

الإستماع والمواشاة

لأبي حيان التوحيدي

قدم له وشرحه ووضع قهارته
الدكتور صلاح الدين الهوارى

دار ومكتبة الهلال

بيروت - لبنان

كتاب الامتاع والموائمة

تأليف
أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

للمخرج الأول

صححه وضبطه وشرح عربيه
أحمد أمين و أحمد الزين

 دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة الناشر

ان من غايات مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلة في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، مهما اختلف نوعه ومنعاه ، شرط ان يكون ذا قيمة انسانية يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر ، وقد الف القراء مفاجآت هذه المؤسسة النشيطة بكتب التراث العربي الضخمة أمثال «الآغانى» لابي الفرج الاصبهاني و«محاضرات الادباء» لابي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و«مجمع الامثال» للميداني و«عيون الانباء في طبقات الاطباء» لابن ابي أصيبعة واخيراً الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة «شرح نهج البلاغة» لابن ابي الحديد . كما نشرت «معجم من اللغة» للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . مع عشرات الكتب الماثلة في الادب والفكر . التاريخ ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لمفكرين أمثال : اشبنغلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الخ.. وغاياتها من هذا النشاط الرصين هي اغناء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب «الامناع والموانسة» في حلته هذه فانما تعتبره حلقة من سلسلة في موضوعه تواصل بها رسالتها أمام تراث الحضارة العربية ولخدمة ثقافة العرب المعاصرة .

مقدمة

كتاب الامتاع والمؤانسة

بقلم : احمد أمين

أبو حيان التوحيدى من أولئك العلماء الأدباء ، الذين أصيبوا فى حياتهم بالبوؤس والشقاء ، وظل حياته يجاهد ويكافح فى التأليف واحتراف الوراقه والنسخ وجوب الأقطار ، يقصد الأمراء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبه ، فلم يحظ من كل ذلك بطائل ، وعاش كما يقول فى بعض كتبه على نحو أربعمين درهما فى الشهر أى ما يساوى جنيتها واحداً — مع أنه كما يقول — رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من الأمراء بالمال الكثير والحظ الوافر ، وليس أكرهم يدانيه علماً أو يجاريه أدبا . قصد ابن العميد وابن عباد وابن شاهويه وابن سعدان وأبا الوفاء المهندس وغيرهم ، ومدح وأطرى ، وبكى واشتكى ، وهدد وأوعد ، فما نفعه مدحه ولا ذمه ، ولا إطارؤه ولا هجاؤه ، فإن استفاد شئ مما عاناه أبو حيان فإنما هو الأدب بما كتب وألف ، وبما حجا واستعطف .

ولم يكن حظه بعد وفاته بأحسن من حظه فى حياته ، فقد عجب ياقوت من أن مؤرخى الرجال لم يترجموا له ، مع أنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ولم نعتز فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته إلا نتفاً قصيرة وأخباراً ضئيلة .

وأراد هو أن ينتقم من الناس الذين كفروا بصنيعه ، وجحدوا علمه وأدبه ، فأحرق فى آخر أيامه كتبه ، وقال : « إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة

منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحرمتُ ذلك كله... ولقد اضطررت
بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، وإلى
التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والروءة ، وإلى تعاطي
الرياء بالسمعة والنفاق ، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب
صاحبه الألم .

قال السيوطي : « ولعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في
حياته وخرجت من قبل حرقها » .

وكان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها — وتبلغ نحو العشرين —
إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات والصداقة والصديق ، ورسالة في العلوم ،
وما بقي منها مخطوطاً ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيح إلى حد
يقلل من قيمتها والانتفاع بها .

ولعل أقوم كتبه وأنعمها وأتممها كتابه الذي نحن بصددده وهو « كتاب
الإمتاع والمؤانسة » .

فهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء أخذنا أنفسنا بنشره لتعميم نفعه .
ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة ، ذلك أن أبا الوفاء المهندس
كان صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله العارض ، فقرب أبو الوفاء أبا حيان
من الوزير ، ووصله به ، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبا حيان من مُتماره ؛
فسامره سبعا وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، ويطرح الوزير عليه أسئلة في
مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان .

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين
الوزير من حديث ، وذكره بنعمته عليه في وصله بالوزير ، مع أنه « أي أبا حيان »

ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبح هيئته وسوء عاداته وقلة ممراته وحقارة لبسته ،
وهده إن هو لم يفعل أن يفض عنه ، ويستوحش منه ، ويوقع به عقوبته ،
وينزل الأذى به .

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ، ونزل على حكمه ، وفضل أن يدون ذلك
في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو وسر ،
فوافق أبو الوفاء على ذلك ، ونصحه أن يتوخى الحق في تضاعيفه وأثناؤه ،
والصدق في إirاده ، وأن يطنب فيما يستوجب الإطناب ، ويصرح في
موضع التصريح .

« فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة »

من هو الوزير أبو عبد الله العارض الذي ساءره أبو حيان ؟
لقد بحث عنه في مظانه فلم أوفق إلى العثور عليه ، وقبل ذلك عني الرحوم
أحمد زكي باشا بالبحث والسؤال عنه من بعض علماء الشرق والغرب فكان
حظه حظي .

وأخيراً رجحت أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان
وزير مصمّام الدولة البويهى ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من
كتب التاريخ أمثال : (تجارب الأمم) وذيله (وابن الأثير) ، ولم يلقيه أحد منهم
(بالعارض) ؛ وكلمة (العارض) كما في كتاب (الأنساب للسمعاني) معناها : « من
يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، ويوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا احتيج
إلى ذلك » فالظاهر أن الوزير أبا عبد الله لقب هذا اللقب إما لأنه تولى هذا
العمل قبل أن يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته ؛ ودليلي على ذلك أمور :
(١) أنه ورد في صدر هذا الكتاب أن أبا الوفاء ذكر لأبي حيان :

أنك لما انكفأت من الرمي إلى بغداد في آخر سنة ٣٧٠ مغيظاً من ابن عباد ، وعدتلك صلاح حالك ، وأن أوصلك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض ، ثم جاء وصف أبي عبد الله هذا بالوزير .

ونحن إذا رجعنا إلى من استوزر فيما بين سنة ٣٧٠ وسنة ٣٧٥ لم نجد وزيراً يكتفى بأبي عبد الله إلا الوزير أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، فقد استوزره مصمص الدولة سنة ٣٧٣ وقتله سنة ٣٧٥ .

(٢) جاء في أثناء كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أن أبا حيان قص على الوزير أنه سمع رجلاً على جسر بغداد يقول وقد رأى ابن بقية الوزير المشهور مصلوياً بعد أن مات عضد الدولة : « سبحان الله ! عضد الدولة تحت الأرض وابن بقية فوق الأرض » ، فلما سمع الوزير ذلك قال : استأذنت الملك في دفن ابن بقية فدفن .

وقد ذكر المؤرخون أن ابن بقية دفن في عهد مصمص الدولة ؛ ولم يكن لمصمص الدولة وزير يكتفى بأبي عبد الله غير ابن سعدان .

(٣) ومما يستأنس به أن أبا حيان كان متصلاً بالوزير ابن سعدان وألف له كتاب « الصداقة والصديق » وقد ذكر في أوائله « أن السبب كان في إنشاء هذه الرسالة أني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعه أبي الخير ، فناء إلى ابن سعدان سنة إحدى [وسبعمين] وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدييره أمر الوزارة حين كانت الأشغال خفيفة ، والأحوال على أذلالها جارية ، فقال لي ابن سعدان : قد قال لي زيد عنك كذا وكذا . قلت : قد كان ذلك . قال : فدون هذا الكلام وصله بصلاته فجمعت ما في هذه الرسالة » .

فانصل أبي حيان بابن سعدان وتأليفه له كتاب «الصدقة والصديق» يرجح الظن بأنه هو أبو عبد الله العارض .

نم كان من رجال مصمم الدولة من اسمه أبو الحسن بن عمارة العارض استخدمه مصمم الدولة في السفارة بينه وبين أعدائه أحيانا ، ولكن يبعد أن يكون هو الذي ألف له كتاب الإمتاع والمؤانسة — لأن كنيته أبو الحسن والذي ألف له الكتاب أبو عبد الله — ولأن أبا الحسن لم يكن وزيراً لمصمم الدولة . وفي الكتاب النص في مواضع متعددة على أنه ألفه لوزير .

(٤) ذكر في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أصدقاء أبي عبد الله العارض وعدد منهم ابن زرعة وأبا الوفاء المهندس ومسكويه والأهوازي وبهرام وابن شاهويه ، وأنهم كانوا يلزمونهم وأنهم أهل مجلسه ، وعدد في كتاب الصدقة والصديق أصدقاء ابن سعدان فإذا هم^(١) ؛ فاتحاد الأصدقاء وتوافقهم واجتماعهم في مجلس وزير يرجح الظن جدا بأن ابن العارض هو ابن سعدان .

(٥) جاء في « كتاب الإمتاع والمؤانسة » أن الوزير سأل أبا حيان عما يقول الناس فيه . فقال له : « سمعت يباب الطاق قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب الزئرب صاحوا وضجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعذر الكسب وغلبة الفقر ، وأنه أجابهم بجواب مُرّ مع قطوب الوجه وإظهار التبرم » .

وهذه الأوصاف كلها تنطبق على ما ذكره أبو شجاع في كتابه « ذيل تجارب الأمم » عن حادثة جرت لابن سعدان .

وابن سعدان هذا استوزره مصمصم الدولة البويهى سنة ٣٧٣ لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . جاء فى كتاب « ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع : « وفيها [أى فى سنة ٣٧٣] خلع على أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة — وكان رجلاً باذلاً لعطائه ، مانعاً للقائه ، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من درجة داره إلى زبزه^(١) ؛ ومع ذلك فلا يخيب طالب إحسان منه فى أكثر مطلبه فبسط يده فى الإطلاقات والصلات وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتّاب والحواشى من أموالهم وأرزاقهم وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق فى وقت نظره من غلاء سعر ، فتطيرت العامة ورجحوا زبزه ، وشغبوا الديلم عليه ، وهجموا على نهب داره ، وابتعثت الحال إلى ركوب مصمصم الدولة إلى مجتمعتهم حتى تلافاهم وردّم^(٢) . »

وقد ظل ابن سعدان فى الوزارة إلى سنة ٣٧٥ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به .

وحدث أن ابن سعدان أراد أن يعين أباه كاتباً لوالدة مصمصم الدولة لما مات كاتبها ، فقال أبو القاسم لمصمصم الدولة : « إن ابن سعدان قد استولى على أمورك ، وملك عليك خزائنك وأموالك ، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه^(٣) . » وتمت المكيدة ولم يعين أبوه . ثم قبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر مصمصم الدولة هذا الواشى

(١) الزبزه : ضرب من السفن .

(٢) ص ٨٥ .

(٣) ص ١٠٣ .

أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف ، ولم يكتف أبو القاسم بمحبس ابن سعدان فاتهز فرصة خروج نائر على صمصام الدولة اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خلعه ، فذس أبو القاسم إلى صمصام الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا النائر وأن الندي جرى كان من فعله وتديره ، وأنه لا يُؤمن ما يتجدد منه في محبسه ، فأمر صمصام الدولة بقتله ، فقتل سنة ٣٧٥

وكان لابن سعدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان في كتبه ، فهو واسع الاطلاع ، له مشاركة جيدة في كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق ، يدل على ذلك حواراه الذي يحكيه أبو حيان في كتابه الإمتاع والمؤانسة والمقابسات ، فهو يسأل أسئلة عميقة ، وينقد الإجابة عنها نقداً قيمياً .

وفوق ذلك كان له في وزارته منتدى يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء منهم ابن زرة الفيلسوف النضرائي ، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) (وتجارب الأمم) ، وأبو الوفاء المهندس الذي نتحدث عنه ، وأبو سعد بهرام بن أردشير ، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماحن المشهور ، ومن الكتاب أبو عبيد الخطيب الكاتب ، وأبو حيان صاحبنا .

وكان له مجلس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفكحون ويتنادرون ويذهبون في فنون الحديث كل مذهب ، ومجلس جد يتحاورون فيه ويتناقشون في الفلسفة والأخلاق والأدب .

وكان يباهى بمجلسه ويفخر به على مجالس الأمراء المعاصرين له ، مثل المهلبى وابن العميد والصاحب بن عباد . فيقول في أصحابه هؤلاء : « ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، ... وأن جميع ندماء المهلبى لا يفون بواحد من

هؤلاء ، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم ، وأن ابن عباد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون^(١) . فلا عجب — إذن — أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي نحن بصده : كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

وأما أبو الوفاء الذي وصل أبا حيان بابن سعدان والذي ألف أبو حيان له كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ودون له فيه كل ما دار بينه وبين الوزير في سبع وثلاثين ليلة ، فهو محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني . ترجم له ابن النديم في (الفهرست) وابن خلكان في (وفيات الأعيان) ؛ وقال فيه هذا الأخير : « إنه أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة ، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها ، وكان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس — وهو القيم بهذا الفن — يبالغ في وصف كتبه ، ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بمدينة بوزجان ، وقدم العراق سنة ٣٤٨ ، وتوفي سنة ٣٧٦ » . وقد ذكر ابن خلكان أنه نقل تاريخ الوفاة هذا من شيخه ابن الأثير . ولكن الذي في ابن الأثير أنه عدّ وفاته في حوادث سنة ٣٨٧ ، فإما أن ابن خلكان أخطأ في النقل أو أن الناسخ أخطأ في الكتابة .

وكان أبو الوفاء هذا من ندماء ابن سعدان كما تقدم ، وقد وصفه ابن سعدان في جملة ما وصف من أصحابه . فقال : « وأما أبو الوفاء ، فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة للطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشبية ، إلا أن لفظه خراساني ، وإشارته ناقصة ، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد ، والبغدادى

إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد^(١) .

إلى هنا رأينا أن الكتاب ألف لأبي الوفاء المهندس ، نقل فيه أبو حيان ما دار بينه وبين ابن سعدان . ولكن التقطى في كتابه « أخبار الحكماء » عند ترجمته لأبي سليمان المنطقي أورد كلاماً يناقض ما نقول ، سواء في ذلك من ألف له الكتاب ، ومن دار الحديث بينه وبين أبي حيان .

فقد ذكر : « أن أبا سليمان كان أعور ، وكان به وَصَح ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله ، فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم ، وكان يشتهي الاطلاع على أخبار الدولة وعلم ما يحدث فيها وكان أبو حيان التوحيدى من بعض أصحابه المتصمين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به ، ولأجله صنف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » نقل له فيه ما كان يدور في مجلس أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي عند ما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة^(٢) . » وأنا أرجح خطأ التقطى في الوجهين معاً .

فأما في الأول : فإن النسخة التي بيدي تذكر أنه ألفه لأبي الوفاء المهندس لا لأبي سليمان المنطقي . ويقول في صدر الكتاب : إنه ألفه رداً لجميل أبي الوفاء إذ كان هو الذي أوصله لأبي عبد الله . وعندما يأتي ذكر أبي الوفاء في ثنايا الكتاب ، ويسأل أبو عبد الله أبا حيان عن رأيه فيه يمدحه ويثنى عليه ، ويقول : كيف أذمه وهو الذي أوصلني بك ، وقد سبق أن أثبتنا أن أبا الوفاء كان من ندماى أبي عبد الله .

(١) الصداقة والصديق ٣٢ .

(٢) أخبار الحكماء ص ٧٨٣ .

ودليل آخر ، وهو أن أبا حيان في بعض كلامه في الكتاب يستجدي من ألف له الكتاب ، وقد كان أبو الوفاء المهندس في منزلة تسمح له بذلك ، فإنه رجل جليل القدر يلقبه الوزير بشيخنا . أما أبو سليمان فكان فقيراً كما ذكر ذلك أبو حيان في هذا الكتاب ، وكانت صلة أبي حيان به صلة علمية لا صلة مالية ، فمن البعيد جداً أن يستجديه أبو حيان .

ودليل ثالث : وهو أن الوزير أبا عبد الله سأل أبا حيان في الكتاب عن أبي سليمان هذا ، فذكر له أوصافه ، وفيها ما هو عيب لأبي سليمان كقوله : إنه يجتمع مع قوم للشراب ، ويذكر بعضهم الوزير بالسوء ، فلو كان أبو حيان ألقه لأبي سليمان لكان بعيداً كل البعد أن يذكر هذا الحديث .

ودليل رابع : وهو أن أبا حيان ينقل في كتابه هذا عن أبي سليمان ، ويذكر آراءه ، وينقل بعض رسائله إلى الوزير ، ولو كان يؤلف الكتاب لأبي سليمان لاستغنى عن ذكر ما يعرفه أبو سليمان عن نفسه من أقواله ورسائله ، ولكن أبو حيان في ذلك كمن ينقل إلى البئر ماءه ، وإلى الكنز ذهبه ، وهذا غير مألوف ولا مستساغ .

لهذا كله نرجح خطأ القفطي فيما ذهب إليه من أنه ألقه لأبي سليمان المنطقي . كما نرجح خطأه في الشق الثاني ، وهو أن أبا حيان دون فيه ما كان يدور بينه وبين أبي الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي وزير صحاصم الدولة . ذلك لأن النسخة التي بين أيدينا يذكر فيها أبو حيان أنه دون فيه ما دار بينه وبين أبي عبد الله العارض لا أبي الفضل عبد الله بن العارض . وقد راجعنا كتب التاريخ التي بين أيدينا وأحصينا فيها من تولى الوزارة لصمصام الدولة ، فلم نجد من بينهم أبا الفضل عبد الله بن العارض الشيرازي الذي ذكره القفطي

وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية في مادة أبي حيان تبعاً له .

نعم رأينا من يسمى أبا الفضل الشيرازي ، وكان يعيش في هذا العصر ولكن اسمه أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي لا أبو الفضل عبد الله الشيرازي كما يقول القفطى . وكان هذا كاتباً لا وزيراً ، وكان صديقاً لأبي على الحسن التنوخى ، ونقل عنه كثيراً في كتابه « نشوار الحاضرة » ولقبه الكتاب لا الوزير . والذي ألف له الإمتاع والمؤانسة وزير لا كاتب .

يضاف إلى ذلك ما ذكرنا قبل من البراهين .

فالكتاب — في رأينا — كتب لأبي الوفاء المهندس لا أبي سليمان المنطقي ودون فيه ما دار في مجلس ابن سعدان لا أبي الفضل الشيرازي .

وصف الكتاب : قال القفطى في وصفه : « وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة ، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتداء أبو حيان كتابه صوفياً وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحقاً ^(١) » .

قسم أبو حيان كتابه إلى ليال ، فكان يدون في كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لى وسألنى وقلت له وأجبتة . وكان الذى يقترح الموضوع دائماً هو الوزير . وأبو حيان يجيب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق وينتظر الإجابة ؛ فإذا أجاب أبو حيان أثارته إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها ، فقد يسأله سؤالاً يأتي

في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي ، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم ، وهكذا ، يستطرد من باب لباب ، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالباً : « ملحة الوداع » فيقول الوزير — مثلاً — : إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملحة الوداع . وهذه الملحة تكون — عادة — نادرة لطيفة أو أبياتاً رقيقة ، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملحة الوداع شعراً بدوياً يشم منه رائحة الشيخ والقيصوم وهكذا .

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة ؛ فقد سأله مرة عن المصادر التي تجيء على وزن تفعال ، فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار . فأبو حيان — مثلاً — يروي عن ديوجانيس أنه سئل : متى تطيب الدنيا ؟ . فقال : « إذا تفلسف ملوكها ، وملك فلاسفتها » ؛ فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال : إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ؛ فكيف يكون الملك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها ! — وأطال في ذلك — وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح ، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان : « فلما قرأتها على الوزير قال : ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوى هذه الوصايا والملح » .

وأونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع ،
يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .

ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه
أن يفكر في الإجابة عنها ، ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها ؛ كما حدث
مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب ، وقال : باحث عنها أبا سليمان
وأبا الخير ، ومن تعلم أن في محاورته فائدة . وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح
وصفته ومنفعته ، وما المانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباء ؛ وهل تبقى ؟
وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه ههنا الخ . ويقول الوزير في آخر
هذه الرقعة : « إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجائهم في صدري ، ومعارض بين
نفسى وفكرى ، وما أحب أن أبوح به لكل أحد » ؛ ويأمره بأن يكتب خطه
فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو . ثم
سأل أبو حيان أبا سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير ، وعلى هذا النمط
يجرى تأليف الكتاب .

وموضوعات الكتاب متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب ،
إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث . حتى لنجد في
الكتاب مسائل من كل علم وفن ؛ فآداب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة
وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر
وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

فلما أراد أبو حيان أن يدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير زاد فيه ونمق
الحديث . وكان يدون جزءاً ويرسله إلى أبي الوفاء ويتبعه بجزء آخر وهكذا ...

وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال : « قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لي القيام به ، وشرفتني بالخوض فيه ، وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير ، ولم آل جهداً في روايتها وتقويمها ، ولم أجنح إلى تعمية شيء منها ، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح الغامض ، وصلة المحذوف ، وإتمام المنقوص ، وحملته إليك على يد « فائق » الغلام ، وأنا حريص على أن أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله .

وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب ؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذائه ، فرجا أبا الوفاء أن يحفظ هذا الكتاب سرا ، فقال : « وأنا أسألك ثانية على طريق التوكيد كما سألتك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين العمييين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف » .

وقد أتميز أبو حيان وعده ، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً . ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير ، وقال في أوله : « قد أرسلت إليك الجزئين الأول والثاني . وهذا الجزء — وهو الثالث قد والله ألقيت فيه كل ما في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وشاحب ونضير ، وفكاهة وأدب ، واحتجاج واعتذار ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري » .

وعلى هذا الوضع ينتهي الكتاب .

ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزايد فيه ، واخترع أشياء لم تجر في

مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتهمه العلماء من قبل ومنهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعروفة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر وعمر في حق علي بن أبي طالب ، ولعل هذا التزويد كان من ضمن الأسباب التي دعت أن يرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير ، وخشى أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزويد . أما أنه ألفه في حياة الوزير ، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو : « أنشئت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤ » والوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥ كما تقدم .

وأيا ما كان ، فالكتاب ممتع مؤنس كاسمه ، يلقي نوراً كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع — أعني في العصر البويهى — وهو عصر مغش بالظلام فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه ، فيصف الأمراء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ، ومجالسهم ومساوئهم ، ويصف العلماء ، ويحلل شخصياتهم ، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب ، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافى ومثى بن يونس القنائى في المفاضلة بين المنطق اليونانى والنحو العربى ، ورأى العلماء في الشعبية والمفاضلة بين الأمم ، إلى كثير من أمثال ذلك .

وفي الكتاب النص الوحيد الذى كشف لنا عن مؤلفي إخوان الصفاء ، وقد نقله القفطى منه ، إذ كان الوزير قد سأل أبا حيان عن هذه الرسائل ومن ألفها ؟ وعن القفطى نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء .

كما أن فيه فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة ، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك ، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك .

وكما يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية فيذكر عدد القينات في الكرخ فيقول : « ولقد أحصينا في سنة ٣٦٠ : ٤٦٠ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر ، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الخدق والحسن . هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالغناء بالضرب إلا إذا نشط أو ثمل في حال أو خلع العذار في هوى » . وأطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد .

ثم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال ، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار ، يجعله لذيذاً شيقاً ، أو على حد تعبيره هو — ممتعاً مؤسفاً — فهو أشبه شيء بألف ليلة وليلة ، ولكنها ليست ليالى اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام ، إنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء ، إذ يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلاسفة ، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك ، كما يتعرض لمشاكل البلغاء كالليلة البديعة التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما ، ومزايا كل ونقصه وهكذا . فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبداع تصوير الحياة الشعبية في ملاحمها وفتنها وعشها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يبحثون ، وفيم يفكرون ، وكلاهما في شكل قصصى مقسم إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة .

وأسلوب أبي حيان في الكتاب بأسرّ أدبي راق كهدهنا في كل كتابته ؛
 يحب الازدواج ويطيل في البيان ، ويحتذى حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة
 في تصوير الفكرة ، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولاً ؛ ولكن
 أغصن أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عثرت
 على البيان ، ودقت عن الإيضاح ، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة
 إلى موضوعات أدبية : كوصف لفقره وبؤسه ، أو وصف للكرم وفوائده ،
 أو وصف للسان والبيان ؛ جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع .
 نسخ الكتاب : للكتاب — فيما أعلم — نسختان ، لا أعلم لهما في مكاتب
 العالم نالته .

فأما النسخة الأولى فكاملة ، وهي تقع في خمسة أقسام .
 وقد جاء في طرة الجزء الثاني ما نصه : « رسم الخزانة السلطان الأعظم ، مالك
 رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل
 والإحسان ، أبي الفاخر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي « محمد الأيوبي » خلد
 الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخافقين عزه وبرهانه » .
 فالجزء الثاني كتب للعادل سليمان بن غازي الأيوبي .

وكان العادل سليمان أديبا شاعرا ، جاء في (كشف الظنون) ذكر كتاب
 اسمه « الدر الثمين في شعر الثلاثة السلاطين » وهم : « العادل سليمان الأيوبي وولده
 الأشرف أحمد وولده الكامل خليل » . فسليمان هذا هو صاحب الخزانة
 المكتوب هذا الجزء برسمها .

وجاء في آخر هذا الجزء : « تمت الجزء الثانى من كتاب المؤانسة والإمتاع بحول الله وحسن توفيقه فى شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضعف العباد شرف بن أميره فى حصن المحروسة حماها الله تعالى عن الآفات والمهات آمين يارب العالمين » .

وخط الجزء الثانى (وهو فى ثلاثة مجلدات) يخالف لخط الجزء الأول (وهو فى مجلدين) ، وإن كان الخطان قريبى الشبه بعضهما ببعض ، والجزء الأول غير مضبوط ، والثانى مضبوط بالضبط الكامل . وكلا الجزئين مملوء بالأخطاء الخطيرة بالزيادة والنقص والتحريف ، ويظهر أن الكاتبين من الخطاطين الذين يجيدون الخط ولا يحسنون الفهم . وكاتب الجزء الثانى يغلب على الظن أنه تركى لا يحسن العربية فهو يقول : « تمت الكتاب » « لا تم الكتاب » . ويقول « فى سنة خمسة عشر وثمانمائة » بدل « خمس عشرة » وهذه — مع الأسف — هى وحدها النسخة التامة .

وهذه النسخة أخذها المرحوم أحمد زكى باشا بالقتوغرافيا من مكتبة طوب قبه سراى لما اطلع على الكتاب وعرف قيمته . وقد أحضر النسخة النوتوغرافية معه إلى القاهرة ، واحتفظ بها فى مكتبته الخاصة ؛ وقد قرأ الكتاب ، ووضع فى الصفحة الأولى من كل جزء فهرسا بحد الليالى وبعض الموضوعات ، كما وضع أسماء الأعلام الواردة فى الكتاب أمام كل صفحة ، مما يدل على أنه كان يريد نشره ، ويريد ترجمة الأعلام التى وردت فيه ولكن لم يتعرض لتصحيح شىء مما فيه من أغلاط .

وقد توفى — رحمه الله — وهى فى مكتبته الخاصة ، فاشترها السيد حمدى السبرجلانى الدمشقى ، وباعها لدار الكتب المصرية .

والنسخة الثانية نسخة فوتوغرافية أخذت من أصل في ميلانو ، وليست كاملة ، وإنما هي قطع ثلاث : قطعتان من الجزء الثانى وقطعة من الجزء الثالث وهى مشوشة غير مرتبة ، وقد استحضرها زكى باشا أيضا ، واحتفظ بها لنفسه ، ثم بيعت لدار الكتب .

ولم يذكر فى أية قطعة من القطع تاريخ نسخها ، وخطها واضح وجميل أيضا ومضبوطة . ولكنها فى جملتها لا تقل فى الأخطاء عن سابقتها .

وقد كان فى نية السيد حمدى السمرجلانى نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب ، فاستنسخ نسخة منها ، وقرأها مع بعض أفاضل دمشق ، منهم الدكتور حسنى سبوح والسيد رشدى الحكيم و خليل مرادم بك ؛ واستظهروا بعض تصحيحات لما وجدوه فى هذه النسخة من تحريف .

وبقيت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط . كثيرة الجمل والألفاظ التى تشبه الألفاظ حتى لا يخلو سطر منها من وقفات تستدعى الجهد الشديد فى تصحيحها . ففرض على لجنة التأليف نشره ، فوافقت على ذلك ، وعهدت إلى كاتب هذه السطور والأستاذ أحمد الزين بتصحيحه ؛ وقد بذلنا ما جهدنا كبيرا فى تصحيح المحرف من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، وشرح المشكل من عباراته ، وتكميل الناقص من جملة ، وضبط الملتبس من كلماته ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة ، وهذا هو جهدنا تقدمه للقراء .

ومع هذا فربما نكون قد أخطأنا الصواب أو أغفلنا بعض المحرف ، وقد أثبتنا ألفاظه المحرفة فى حواشى صفحاته . ويلاحظ أننا فى أكثر الأحيان ثبت اللفظ المحرف وحده غير منبهين على أنه محرف اتكالا على فهم القارىء ، وفى بعض الأحيان ننبه على أنه تحريف وأن صوابه ما أثبتنا ؛ كما يلاحظ أننا

قسمنا كل ليلة من ليالى هذا الجزء إلى موضوعات ، مثبتين فى أول كل موضوع رقما يدل عليه .

فنحن ننشر الجزء الأول من الكتاب اعتمادا على نسخة طوب قبو سراى وحدها ، حتى إذا وصلنا إلى الجزء الثانى أمكننا الانتفاع بنسخة ميلانو .

ولعلنا بهذا النشر نحسن إلى أبى حيان بالتعريف بقيمته ، والإشادة بذكوره ، بعد أن أساء إليه الزمان ، فأماته فى حياته ، وأخذ اسمه بعد وفاته ؛ كما نحسن إلى عصره فنلقى عليه بعض الضوء ، وقد اكتنفه الظلام ، وعفت على آثاره الأيام ، والسلام .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعم من قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى آله الطاهرين .

- (١) أما بعد ، فإنِّي أقول منبهاً لنفسي ، ولن كان من أبناء جنسي : من لم يطع ناصحه بقبول ما يسمع منه ، ولم يملك صديقه كله^(١) فيما يمثله له ، ولم ينقذ لبيانه^(٢) فيما يريته^(٣) إليه ويطلبه عليه ؛ ولم ير أن عقل العالم الرشيد ، فوق عقل المتعلم البليد ؛ وأن رأى المجرب البصير ، مقدّم على رأى الغر^(٤) الغرير فقد خسر حظه في العاجل ، ولعله أيضا يخسر حظه في الآجل ؛ فإن مصالح الدنيا معقودة بمراشد الآخرة ، وكنيات الحس في هذا العالم ، في مقابلة موجودات العقل في ذلك العالم ؛ وظاهر ما يرى بالميان مفض إلى باطن ما يصدق عنه الخبر ؛ وبالجملة ، الداران متفتتان في الخير المغتبط به ، والشر المندوم عليه ؛ وإنما يختلفان بالعمل المتقدم في إحداها ، والجزاء المتأخر في الأخرى ؛ وأنا أعود بالله التلك الحق الجبار العزيز الكريم المساجد أن أجهل حظي ، وأعمى عن

(١) كله : مفعول لـ « يملك » ، يريد بهذه العبارة تمام الطاعة لصديقه حتى كان صديقه ملكاً له كله يتصرف فيه كيف يشاء .

(٢) في الأصل « ولم ينفذ لسانه » .

(٣) يريته : يريده ويطلبه .

(٤) الغر بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور ؛ والجاهل الأبله .

رُشْدِي ، وَأَلْقَى بِيَدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ ، وَاتَّجَانَفَ^(١) إِلَى مَا يَسُوءُنِي أَوْ لَا وَلَا يَسُرُّنِي
آخِرًا ؛ هَذَا وَأَنَا فِي ذَيْلِ الْكُهُولَةِ وَبَادِنَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفِي حَالٍ مَنْ إِنْ لَمْ تَهْدِهِ
التَّجَارِبُ فِيمَا سَلَفَ مِنْ أَيَّامِهِ ، فِي حَالِي سَفَرِهِ وَمُقَامِهِ ؛ وَقَرِيرِهِ وَغِنَائِهِ ، وَشِدَّتِهِ
وَرِغَانِهِ ، وَسَرَائِهِ وَضُرَائِهِ ، وَخِيفَتِهِ وَرَجَائِهِ ؛ فَقَدْ أَقْطَعَ الطَّمْعُ مِنْ فَلَاحِهِ
وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ تَدَارُكِهِ وَأَسْتِصْلَاحِهِ ؛ فَإِلَى اللَّهِ أَفْرَغُ مِنْ كُلِّ رَيْثٍ وَعَجَلٍ
وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ فِي كُلِّ سَوْءٍ وَأَمَلٍ ، وَإِيَّاهُ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ .

(٢) قَدْ فَهِمْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ^(٢) — حَفِظَ اللَّهُ رُوحَكَ ، وَوَكَّلَ السَّلَامَةَ بِكَ ، وَأَفْرَغَ
الْكَرَامَةَ عَلَيْكَ ، وَعَصَبَ كُلَّ خَيْرٍ بِحَالِكَ ، وَحَشَدَ كُلَّ نِعْمَةٍ فِي رِجَالِكَ
وَرَحِمَ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الْهَائِلَةَ — مِنْ أَبْنَاءِ الرِّجَاءِ وَالْأَمَلِ — بِعِنَايَتِكَ ، وَلَا قَطَعَكَ
مِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تَنَى طَرَفَكَ عَنِ الرِّقَّةِ لَهُمْ ، وَلَا زَهْدَكَ فِي أَصْطِنَاعِ
حَالِهِمْ وَعَاطِلِهِمْ ، وَلَا رَغِبَ بِكَ عَنْ قَبُولِ حَقِّهِمْ لِبَعْضِ بَاطِلِهِمْ ، وَلَا ثَقُلَ عَلَيْكَ
إِدْنَاءُ قَرِيْبِهِمْ وَبَعِيدِهِمْ ، وَإِنَالَةَ مُسْتَحِقِّهِمْ وَغَيْرِ مُسْتَحِقِّهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا فِي نَفْسِهِمْ
وَأَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاسَاتِهِمْ ، مِنْ بَشَرٍ تَبْدِيهِ ، وَجَاهٍ تَبْذُلُهُ ، وَوَعْدٍ
تُقَدِّمُهُ ، وَضَمَانٍ تَوَكِّدُهُ ، وَهَشَاشَةٍ تَمْرُجُهَا بِشَاشَةٍ ، وَتَبْشُرُ تَخْلُطُهُ بِفُكَاةٍ
فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ ، وَرِبَاطُ النِّعْمَةِ ، وَشَهَادَةُ بِالْمُحْتَدِ^(٣) الزَّكِيِّ
وَالْعِرْقِ الطَّيِّبِ وَالتَّنَشُّأِ الْمَحْمُودِ ، وَالْمَادَةِ التَّرْضِيَّةِ ؛ وَهِيَ مُؤَدَّةٌ بِأَنَّ الْمُنْحَةَ
رَاهِنَةٌ^(٤) ، وَالتَّوْهِيَّةُ قَاطِنَةٌ ، وَالشُّكْرُ مَكْسُوبٌ ، وَالْأَجْرُ مَذْخُورٌ ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ

(١) « وَاتَّجَانَفَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجَانَفُ إِلَى الشَّيْءِ : الْمِيلُ إِلَيْهِ .

(٢) يَرِيدُ بِالشَّيْخِ أَبَا الْوَفَا الْمُهَنْدِسَ ، وَهُوَ الَّذِي وَصَلَ أَبَا حَيَّانَ بِالْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْمَارِضِ كَمَا يَنْهَمُ مِمَّا يَأْتِي .

(٣) « بِالْمُحْتَدِ » .

(٤) رَاهِنَةٌ : حَاطَةٌ .

واقع ؛ وأسأل الله بعد هذا كله ألا يُسهم^(١) وجهي عندك ، ولا يُزِلْ قَدَمِي
في خدمتك ، ولا يُزِيغَنِي^(٢) إلى ما يقطع مادةَ إحسانك وعائدةَ رأيك ونافع^(٣)
نَفْتِكَ وجَمِيلَ معتقدك ، بمنه ولطفه .

فهمت جميع ما قلته لي بالأمس فهما بليغا ، ووعيته وَعْيًا تامًا ؛ وبأن لي
الرُّشْدُ في جلته وتفصيله ، والصلاحُ في طرفيه ووسطه ، والغنيمةُ في ظاهره
وباطنه ، والشفقةُ من أوله إلى آخره . وأنا أعيده ههنا بالقلم ، وأرسمُه بالخطِّ
وأقتيده باللفظ ، حتى يكون أعترافي به أَرَسَى وأثبتت ، وشهادتي على نفسي
أَقْوَى وأؤكد ، ونُكُولِي عنه أبعدُ وأصعب ، وحُكْمُكَ بِهِ لي وعلى
أَمْصَى وأنفذ .

قلت لي — أدام الله تعالى توفيقك في كل قول وفعل ، وفي كل رأي^(٤) —
ونظر — : إنك تعلم يا أبا حَيَّانَ أَنَّكَ أَنْكَفَأْتَ من الرَّمْيِ^(٥) إلى بغداد في آخر
سنة سبعين^(٥) بعد فوت مأمورك من ذي الكفایتين^(٦) — نصر الله وجهه —
عابسا على ابن عباد^(٧) مَغِيظًا منه ، مقروحَ الكبد ، لما نالك به من الحرمان

(١) السهم : تغير الوجه وعبوسه من الهم ؛ وكنى به عن تغير الحال .

(٢) يزِيغُنِي : يميلني .

(٣) « ويافع » .

(٤) الرى : مدينة فارسية قديمة كانت قصبة بلاد الجبال ، وكان اسمها الفارسي راغة
ومنه أخذ اسمها العربي ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران .

(٥) أى وثلاثمائة .

(٦) ذو الكفایتين : لقب لأبي الفتح علي بن أبي الفضل محمد المعروف بابن العميد .
ويعنون بالكفایتين كفاية السيف وكفاية العلم ، وقد قام مقام أبيه ابن العميد ، واستوزر لركن
الدولة البويهى ، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتله سنة ٣٦٦ هـ .

(٧) ابن عباد ، هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ، ولد سنة ست
وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالرى ، وكان وزيراً لمؤيد الدولة أبى =

المُرّ ، والصدُّ^(١) القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقَدْع^(٢) المؤلم
والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على الخدمة ، وجبس الأجرة على النسخ
والوراقة ، والتجهم المتوالى عند كل لحظة ولنظة .

وذكرت في الجملة شقاء اتّصل بك في سَفَرِكَ ذلك ، وعناء نال منك في
عُرْض^(٣) أحوالك ؛ وَلَمْ يَرَى أَنَّ السَّفَرَ فَعُولٌ لِهَذَا كُلِّهِ وَلَا كَثُرَ مِنْهُ ؛ فَأَرَعَيْتَكَ
بصري ، وأمرتك نهمي ، وسأمتك في جميع ما وقرته في أذني بالجزع والتوجّع
والاستقطاع^(٤) ؛ وَضَمِنْتُ لَكَ تِلْكَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِحَقِّ^(٥) الشفقة
وخالص الضمير ، ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النية ، وصحة العقيدة ، وقلتُ :
أَنَا أُرْعَى حَقَّكَ الْقَدِيمَ حِينَ التَّقِينَا (بَارِجَان^(٦)) ، وأنا على باب (ابن شاهويه^(٧))
الفقيه ، وعهدك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ؛
وَأُوصِلْتُكَ إِلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضِ^(٨) — أدام الله تأييده — وأخطب

= منصور بويه الديلمي ، ثم وزير لأخيه نضر الدولة أبي الحسن طي ، وهو أول من لقب
بالمصاحب من الوزراء ، لأنه صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا .

(١) « والقصد » .

(٢) القدح بالهملة : النع والزجر . وبالذال المعجمة : الشتم . والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٣) « في عرض أحوالك » أي في أكثرها . وعرض الشيء أكثره ومعظمه .

(٤) « والاستقطاع » .

(٥) حاق الشفقة : أي صادقها وكاملها .

(٦) أرجان : مدينة بين فارس وخوزستان ، وهي من كور الأهواز ، وتعرف الآن

باسم « بابهان »

(٧) ابن شاهويه هو أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفارسي الفقيه الشافعي

تولى القضاء ببلاد فارس ، وتوفي سنة ثنتين وستين وثلاثمائة بَنيسابور .

(٨) أبو عبد الله العارض ، هو — في رأينا — أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان

كان وزيرا لمصمّم الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٢ إلى سنة ٣٧٥ والعارض لقب له

وهو كما في الأنساب للسماعني « من يعرف السكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم ، ويعرض

السكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك » والظاهر أنه لقب بهذا إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن

يتولى الوزارة ، أو كان هذا لقباً لأسرته (راجع الأدلة على هذا الرأي في المقدمة) .

لك قبولاً منه ، وتخفيف الإذن عليك ، وامتلاء الطرف بك ، ونيل الخطوة بخدمتك وملازمتك ؛ وفعلت ذلك كله حتى استكتبك (كتاب الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ ، لعنايتك به ، وتوفرك على تصحيحه ، ثم حضرت^(١) لك هذه الحال إلى يومنا هذا ؛ وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمره ونهيه ، وإلى أن يكون هو المبرم والناقض ، والرافع والواضع ، والكافي والوافي ، والمقرب لخدمتها ونصحائها ، والمزحزح لحسدتها وأعدائها ؛ والراعى لرعيتهما ودعماها ، والناهض بأثقالها وأعبائها ، أعانه الله على ما تولاه ، وكفاه اللهم في دنياه وآخرها ، بمنه وقدرته .

نعم ورتبت ذلك كله ، ولم أقطع عنك عادي معك في الاسترسال والأنبساط ، والبر والمواساة ، والمساعدة والمواتاة^(٢) ، والتمصّب والحماة .

أفكان من حقّ عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها ، وفي أخواتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أنك تغلو بالوزير — أدام الله أيامه — ليالى متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب وتريد ، وتلقي إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ؛ ولعلك في غرض ذلك تعدو طورك بالتشّدق^(٣) وتجاوز حدك بالاستحقار ، وتتناول إلى ما لبس لك ، وتغلط في نفسك ، وتنسى زلة العالم ، وسقطة المتحرّى ، وخجلة الواصل ؛ وهذا وأنت غير لاهية لك في لقاء الكبراء ، ومحاوره الوزراء ؛ وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك ، وإلى

(١) « حضرت لك هذه الحال » ، أى كلفتها لك وحفظتها عليك .

(٢) المواتاة : الموافقة .

(٣) التشّدق ، هو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وهو أيضا استهزاء الرجل بالناس يلوى شدة بهم وعليهم .

البارق، وسلوتُ من قربك بقلب معرض وعزم حتى ؛ إلا أن تُطْلِعْنِي طِلْعَ^(١)
 جميع ما تحاورتما وتجادبتما هُذْبَ الحديث عليه ، وتصرفتما في هزله وجِدّه ، وخيره
 وشرّه ، وطيبه وخبيثه ، وباده ومكتومه ؛ حتى كأني كنتُ شاهدا معكما
 ورقبيا عليكما ، أو متوسلا بينكما ، ومتى لم تفعل هذا ، فأنتظر عُقْبَى أَسْتَيْحَاشِي
 منك ، وتوقعُ قَلَّةَ غُفْوِي عَنْكَ ، وكأني بك وقد أصبحتَ حَرَّابَ حَيْرَانَ
 يا أبا حَيَّان ، تأكل أصبعك أسفا ، وتزْدِرُدُ رِيقَكَ لُفَا ، على ما فاتك من العَوَاطِلِ
 لنفسك ، والنظر في يومك لَغْدِكَ ، والأخذِ بالوثيقة في أمرك ، أَتَظُنُّنَ بفرارتك^(٢)
 وغمارتك^(٣) ، وذَهَابِكَ فِي فُسُؤَلَتِكَ^(٤) التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والفرقاء
 والمجتدين الأدياء الأرياء ؛ أنك تقدر على مثل هذه الحال ، وأناأمُ منك على
 حسن الظن بك ، والثقة بصَدْرِكَ ووَردِكَ ، وأطمئن إلى حَكْمِكَ وَجَرْدِكَ
 وأتعمى عن حركِ وبردِكَ ؛ هيهات ؛ رَقَدْتَ فَعَلَمْتُ ، نفيرا رأيت وخيرا يكون
 على هذا الحدِّ كان مَقْطَعُ كلامك في مَوْجِدَتِكَ ، وإلى ههنا بلغ فيضُ
 عَتَبِكَ ولَأَمَّتْكَ ؛ وفي دون ذلك تنبيه للنائم ، وإيقاظٌ للساهي ، وتقويمٌ لمن
 يقبل التقويم ؛ وقد قال الأول :

ألا إنما^(٥) يكنى الفقى عند زَيْفِهِ من الأود^(٦) البادى ثِقافُ المقومِ

قلت لك : أنا سامع مطيع ، وخادمٌ شكور ، لا أشتري سخطك بكلِّ

(١) يقال : « أطلعت طلع أمرى » بكسر الطاء ، أى أبشته سرى .

(٢) الفرارة : الغفلة .

(٣) الفمارة : الجهل والبلامة .

(٤) الفسولة : البضف والحنة وقلة اللهوة .

(٥) « إنما » بالياء . (٦) الأود : العوج . والثفاف : ما سوى به الرماح .

صفراء^(١) وبيضاء في الدنيا ؛ ولا أنفِر من التزام^(٢) الذنب والاعتراف بالتقصير ؛
ومثلي يهفو ويجمَح ، ومثلك ينفو ويصفح ؛ وأنت مولى وأنا عبد ، وأنت آسرُ
وأنا مؤتبر ، وأنت ممثَلٌ وأنا ممثَل ، وأنت مصطنع وأنا صنيعةٌ ، وأنت
منشئٌ وأنا مُنشأٌ ، وأنت أول وأنا آخر ، وأنت مأمول وأنا آمِلٌ ، ومتى
لم تغفر لي الذنب البكر ، والجنابة العذراء ، والبادرة النادرة ؛ فقد أعنتني على
ما كان مني ، ودَلَلت على مَلِك لي ؛ وأنت كنت مترصداً لهذه الهفوة
ومعتقداً في مقابلتها هذه الجفوة ؛ وكرمك يأبى عليك هذا ، ومثولي بين يديك
خِدمة لك يحظره عليك .

هذا وأنا أفعل ما طلبتني به من سرِّد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه
على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن
أذِنتَ جمعتُه كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل ، والخلو والمُر ، والطرى
والعامى^(٣) ، والمحبوب والمكروه ؛ فكان من جوابك لي : إقفل . ونعم ما قلتَ
وهو أحبُّ إليّ وأقربُ إلى إرادتي ، وأحصرُ لما أريدُ^(٤) منه ، وأدخلُ
في الحجة عليك ولك ؛ وأغسلُ للوسخ الذي بيني وبينك ، وأزهرُ للسراج الذي
طغى عني وعنك ، وأجذبُ لِنِمان الحجة إن كانت لك ، وأنطقُ عن المذِر إن
أتضح بقولك ؛ وإذا عزمْتَ فتوكَّل على الله ؛ وليكن الحديثُ على تباعد
أطرافه ، وأختلافِ فنونه مشروحاً ، والإسناد عالياً متصلاً ، والتمنُّ تاماً بيننا ،

(١) يريد بالصفراء الذهب ، وبالبيضاء الفضة .

(٢) « أكرام » .

(٣) الباسى : اليابس .

من الحجا، ودزيه^(١) بالتمييز؛ ونسجه بالرقعة، والحجا في غاية النشاط^(٢) وبهذا
 البون يقع التباين ويتسع التأويل، ويجول الذهن، وتمطى^(٣) الدعوى، ويفزع
 إلى البرهان، ويبرز من الشبهة، ويمر بما أشبه الحجة وليس بحجة؛ فأخذ
 هذا النص ورواده، وأتى هذا الحكم وقوائمه^(٤)؛ ولا تمسق اللفظ دون المعنى
 ولا تهو المعنى دون اللفظ؛ وكن من أصحاب البلاغة والإينشاء في جانب، فإن
 صناعتهم يقتصر فيها أشياء يؤاخذ بها غيرهم، ولست منهم، فلا تشبه بهم، ولا
 تجر على مثالمهم، ولا تنسج على منوالهم، ولا تدخل في غمارهم، ولا تكثر
 ببياضك سوادهم، ولا تقابل بكاهتك براعتهم، ولا تجذب بيدك رشاءهم، ولا
 تحاول بباعك مطاوتهم^(٥) وأعرف قدرك تسلم، وألزم حدك تأمن؛ فليس
 الكوذن^(٦) من العتيق في شيء، ولا الفقير من الغنى على شيء؛ أما سمعت قول
 الناس: ليس الشامى للعراق^(٧) بصاحب، ولا الكردي من الجندي بساخر،
 فإن طال^(٨) فلا تبسل، وإن تشعب فلا تكثر، فإن الإشباع في الرواية أشنى
 للخليل، والشرح^(٩) للحال أبلغ إلى الناية، وأظفر بالمراد، وأجرى على العادة.
 فكتبت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أقول أيها الشيخ — عطف الله

(٥)

(١) دزيه، أي درياه وعلمه.

(٢) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ.

(٣) تمطى: تتناول.

(٤) قوائمه، أي توابه. يقال: قال أثره إذا تبعه.

(٥) «مطاوتهم».

(٦) الكوذن: الفرس الهجين والبرذون. والعتيق من الأفراس: الكريم الرائع منها.

(٧) يشير بهذه الجملة إلى ما وقع بين الشام والعراق من العداوة أيام علي ومعاوية وما

ذلك.

(٨) طال، أي الكلام.

(٩) «والشرح».

قلبك على ، وألمحك الإحسان إلى - في جواب جميع ما قلته واجداً على وعانبا ، وقابضا ، وباسطاً ، ومرشداً ، وناصحاً ؛ ما يُعرَف الحق فيه ، ويستبين الصواب منه ، غير خائن لك ، ولا جانح إلى مخالفتك ، ولا مُرِغٍ^(١) للباطل معك ، ولا جاحدٍ لأيديك القديمة والحديثة ، ولا منكِرٍ لنعمتك الكافية الشافية ، ولا غاظٍ^(٢) على قواضلك المجتمعة والمتفرقة ، ولا تاركٍ لشيء هو على من أجل شيء هو لى ، ولا معرض عن شيء هو لى بسبب شيء هو على ؛ بل أجهز دقه وجهه إليك حتى تراه بسيدته^(٣) وغُبَّاره ، وأجلوه عليك حتى تلحظه بردائه وإزاره . كما نى لم أسمع قول الأول :

« والكفر^(٤) نخبته لنفس المنعم » « والشكر مبعثه لنفس المفضل »
أنا أدعك واجداً على ، وأرقد وأنت مايت لى ، وأجد حسَّ نعمة أنت وهبتها لى ، وألذ عيشاً أنت أذقتنى حلاوته . أنسى أيديك وهى طوق رقبتي ، ونُجاة عيني ، وحشؤ نفسى ، وراحة حلمى ، وزادُ حياتى ، ومادة روحى ؟ هيهات ، هذا بعيد من القياس ، وغير معهود بين أحرار الناس ؛ الذين لهم أهتام بصون أعراضهم ، وحرص على إكرام أنفسهم ؛ قد عبقوا^(٥) بفوائح الفتوة ، وعلّقوا بحبائل المروءة ، وشدوا^(٦) من الحكمة أشرف الأبواب ؛ واعتزوا من الأدب

(١) المريج : المريد .

(٢) غطى على الشيء بتخفيف الطاء : كغطى عليه بتشديد هاء .

(٣) السد : الصحيح من الكلام وكنى بالخباء عما يشور حول الكلام من اعتراض ونحوه ، ومنه قولهم : « كلام لا غبار عليه » .

(٤) هذا الشطر محز بيت لعنترة العبسى ومصدره :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي

(٥) « عتقوا بفرائح » .

(٦) شدوا : أخذوا . يقال : شدا من العلم شيئا إذا أخذه كأنه ساقه أو جمعه ، وفى

الأصل « شدوا » بالمعجمة .

إلى أعز حرم^(١) ؛ وحازوا شرفاً بعد شرف ، وانحازوا عن نطاف بعد نطاف^(٢) ونظروا إلى الدنيا بعين بصيرة ، وعزفوا^(٣) أنفسهم عن زهراتها بتجربة صادقة .

فأول ما أبدوك به أنني ظننتُ ظناً لا كيقين أن شيئاً مما كنتُ فيه مع الوزير — أدام الله أيتامه ، وقصم أعداءه — ليس مما يهتك ، ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ؛ وحسبتُ أيضاً أنني إن بدأتُ بشئٍ منه ردلتني عليه وتنقصني به ، وزريتُ على^(٤) فيه ؛ وأنتك ربما قلت : لم بدأتُ بما لم أسئلك عنه ولم أرخص لك فيه ، هلاً كظمتُ على جرتك^(٥) ، وطويتُ ما بين جنبيك وما على^(٦) مما يدور بين صاحب وخادمه والرؤساء ، والناظرين في أمور الدهماء^(٧) والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة ، ولهم أسرار وعيوب لا يقف عليها أقرب الناس إليهم ، وأعزُّ الناس عليهم ، وأنت أيضاً لم تسألني عنه ، فكان في تقديري أنك قد عرفتُ وصولي في وقت دون وقت ، وأنتك قد سحلتُ أمري على الخدمة التي ليس للعلم بها فائدة ، ولا في الإعراض عنها فائدة .

وإذ جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس^(٨) بظني ، فإني أهدى ذلك كله بغثائته وسمائته ، وخلالوته ومرارته ، ورقته وخثارته في هذا المكان ؛ ثم أنت أبصر بعد ذلك في كتمانته وإفشائه ، وحفظه وإضاعته وستره^(٩) وإشاعته ؛ والله ما أرى هذا أسراً صعباً إذا وصل إلى مرادك

(١) « خدم » .

(٢) النطف بالتحريك : العيب والفساد .

(٣) « عزفوا » ، وعزف عن الشيء : أعرض عنه وزهد فيه .

(٤) « جريك » ، وجرة البعير معروفة ، شبه بها الحديث المختزن يفشي صاحبه .

(٥) « الذبهما » ، والدهماء : جماعة الناس .

(٦) « ولكبس » .

(٧) « ولهزمه وأشكر عنه » .

ولا كُلفَ شاقَّةً إذا أُكسبني مَرْضَاتِكَ ؛ وإن كان ذلك يمرَّ بأشياء كثيرةٍ ومختلفةٍ ، متعصيةً غريبةً ، منها ما يَشِيْطُ ^(١) به الدم المحقون ، ويُزَع من أجله الرُّوح العزيز ، ويُستصَفَّر معه الصَّلب ، ولا يُقنَع فيه بالعذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ؛ وإن كان فيها أيضاً غيرُ ذلك مما يُضحِك السنَّ ، ويُفكِّه النفس ، ويدعو إلى الرشاد ، ويدلُّ على النَّصح ، ويؤكدُ الحُرْمَةَ ، ويعقِدُ الذَّمَّ ، وينشرُ الحكمة ، ويشرفُ الهمة ، ويلقِّحُ العقل ، ويزيدُ في الفهم والأدب ويفتحُ بابَ اليُمْنِ والبركة ، ويُنفِقُ بضاعةَ أهل العلم في السوق الكاسدة ، ويوقظُ العميون الناعسة ، ويُبَلِّ الشَّنَّ ^(٢) المتغضِّف ، ويُندِّي الطَّيْنِ المترشِّف ؛ ويكون سبباً قويا على حُسن الحال وطلبِ العيش ، فإن هذه العاجلةَ محبوبة ، والرَّفاهيةَ مطلوبة ، والمكانةَ عند الوزراء بكلِّ حولٍ وقوَّةٍ مخطوبة ، والدنيا حلوةً خضرةً وعدبةً نصرةً ، ومن شَفَّ ^(٣) أمله شَقَّ عمله ؛ ومن اشتدَّ إلحاحُه ، توالى غدوُّه وزواحه ، ومن أسره رجائُه ، طال عناؤُه ، وعظمُ بلاؤُه ؛ ومن ألهب طمعه وحرصه ، ظهر عجزُه ونقصه .

وفي الجملة :

من لم يكن لله متهمًا لم يُنْسِ محتاجًا إلى أحدٍ

ولا بدَّ من فتي يعينُ على الدهر ، ويُغني عن كرام الناس فضلا عن لثامهم ، ^(٦) ويذلُّ قعودَ الصبر ، ويُجِمِّ راحلةَ الأمل ، ويُجِلِّي مُسرَّ اليأس ؛ والعُرلةُ محمودةٌ

(١) يشيط : يذهب هدرا .

(٢) « السن بالسين المهملة » . والشن بالمعجمة : الغربة الخلق . والمتغضف ، أي التاكسر المتغضن من اليبوسة .

(٣) شف أمله : زاد ، ويجوز أن يفسر بمعنى أسقمه الأمل وأضناه لعلوه وبعد مثاله .

إلا أنها محتاجة إلى الكفاية ، والقناعة مَزَّةٌ ^(١) فِكْمَةٌ ولكنها فقيرةٌ إلى البلغة وصيانة النفس حسنة إلا أنها كُلفَةٌ مُخرجةٌ إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها ^(٢) وفاشيةٌ ^(٣) تَمُدُّها ، وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدينٍ متين ، ورغبةٍ في الآخرة شديدة ، وفِطَامٍ عن دار الدنيا صعب ، ولسانٍ بالخلو والхамض يَلْغُ .

قال ابن السماك ^(٤) : لولا ثلاثٌ لم يقع حَيْفٌ ، ولم يُسَلَّ سيفٌ ، لقمةٌ أُسَوِّغُ من لقمة ، ووجهٌ أُصْبِحُ من وجه ، وسِلَاحٌ ^(٥) « أُنْتَمُ من سِلَاحٍ » ، وليس كلُّ أحدٍ له هذه القوة ، ولا فيه هذه المُنَّةُ ^(٦) والإنسان بَشَرٌ ، وبِنْيُتُهُ متهافِئَةٌ وطِينَتُهُ منتثرَةٌ ، وله عادةٌ طالبةٌ ، وحاجةٌ هاتكةٌ ، ونفسٌ جَوحٌ ، وعينٌ طموحٌ ؛ وعقلٌ طفيفٌ ^(٧) ، ورأى ضعيفٌ ، يهفو لأوّل ريحٍ ، ويستخيلُ ^(٨) لأوّل بارقٍ ؛ هذا إذا تَخَلَّص من قُرْناةِ السوء ، وسلم من سوارقِ ^(٩) العقل ، وكان له سلطان على نفسه ، وقَهْرٌ ^(١٠) لشهواته ، وقَمْعٌ لهوائجه ^(١١) وقبولٌ من ناصحه ، وتهَيُّؤٌ

(١) «مرة» والمزّة : الحزرة اللذيذة الطعم .

(٢) تجدها ، أى تجددها .

(٣) الفاشية : ما انتشر من المال . وفي الأصل « غاشية » .

(٤) « ابن السماك » ، وهو تحريف وابن السماك هو أبو العباس محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواعظ المشهور لقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم وقدم من بغداد زمن هرون الرشيد وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة .

(٥) السِّلَاحُ : الحِيط . وكفى به عن الثوب لأنه من الحيوط .

(٦) « المنة » . والمنة بضم الميم : القوة .

(٧) الطفيف الناقص والقليل .

(٨) في الأصل : « ويستخيل » بالحاء ، وهو تصحيف . ويستخيل لأول بارق ؛ أى يخال المطر عند أول بارق .

(٩) يريد بسوارق العقل : الشهوات التي تذهب به وتجعله في حكم غير الموجود كأنها تسرقه . والذي في الأصل : « سراق » ؛ وهو تصحيف .

(١٠) « وفهم » .

(١١) لهوائجه ، أى لما يهيج به من النزعات والمطامع .

في سعيه ، وتبوؤاً في مَعَانٍ^(١) حَظَّهُ ، وأَتَمَّامٌ بِسَعَادَتِهِ ، وأَسْتَبْصَارٌ فِي طَلَبِ مَا عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَسْتَنْصَافٌ مِنْ هَوَاهِ الْمُضِلِّ لِعَقْلِهِ الْمُرْشِدِ ، هَذَا قَلِيلٌ وَصَعِبٌ وَلَوْ قُلْتُ : مَعْدُومٌ أَوْ مُحَالٌ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمَسِيرِ وَالذَّهْرِ الْفَاسِدِ ، لَمَا خَشْتُ عَائِقًا يَعْوقُنِي ، وَلَا حَسُودًا يَرُدُّ قَوْلِي . قَالَ ابْنُ السَّكَّاكِ : اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى أَلْسِنِ تَصِفِ وَقُلُوبِ تَعْتَرِفُ ، وَأَعْمَالٍ تَخْتَلِفُ . وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْحَارِثِ — وَرَأَاهُ لَا يَلِي لَهُ عَمَلًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ نَائِلًا — : يَا ابْنَ أَخِي ، هِيَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَرْضَعَ مَعْنَا ؛ وَإِنَّمَا أَنْ تَرِيدَ عَنَّا . وَرَبَّمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّفِينَ قَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ، وَلَا مَنْ تَرَكَ الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا وَلَكِنَّ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ . (أَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ مَوْقُوفٌ الْبَاطِنُ . وَرَبَّمَا قَالَ آخَرُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ : (أَعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا ، وَأَعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا) . وَهَذَا أَيْضًا كَلَامٌ مُنْتَقٍ ، لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى مُحَقَّقٍ ؛ أَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — حِينَ قَالَ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ كَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَتَى بَعْدُ أَحَدُكُمَا مِنْ أَحَدِهِمَا قَرُبٌ مِنَ الْآخَرِ ؛ وَمَتَى قَرُبٌ مِنْ أَحَدِهِمَا بَعْدُ مِنَ الْآخَرِ . وَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ضَرَّتَانِ ، مَتَى أَرْضِيَتْ إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَتِ الْآخَرَى ، وَمَتَى أَسْخَطَتِ إِحْدَاهُمَا أَرْضِيَتْ الْآخَرَى .

وَهَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ صَغِيرُ الْحَجْمِ ، ضَعِيفُ الْحَوْلِ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ شَهَوَاتِهِ وَأَخْذِ حِفْظِ بَدَنِهِ وَإِدْرَاكِ إِرَادَتِهِ ، وَبَيْنَ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْمُنْزَلَةِ عِنْدَ رَبِّهِ بِإِدَاءِ فَرَائِضِهِ ، وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى حُدُودِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، فَإِنْ صَفَّقَ

وجهه وقال : نعمل تارة لهذه الدار وتارة لتلك الدار ، فهذا المذنب الذى لا هو من هذه ولا من هذه ؛ ومن تحنَّث^(١) وتكثَّث لم يكن رجلاً ولا امرأة ، ولا يكون أباً ولا أما ؛ وهذا كما نرى .

ونرجع فنقول : ونعوذ بالله من الفقر خاصة إذا لم يكن لصاحبه عياد من التقوى ، ولا عياد من الصبر ، ولا دعامة^(٢) من الأنفة ، ولا اضطبار على المראה .

وقد بُلينا بهذا الدهر الخالى من الديّانين الذين يصلحون^(٣) أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم ، الخاوى من الكرام الذين كانوا يتسعون فى أحوالهم ، ويوسعون على غيرهم من سعتهم ، وكانوا يهتتون بذخائر الشكر المعجل فى الدنيا ، يحرضون^(٤) على ودائع الأجر المؤجل فى الأخرى ؛ ويتلذذون بالثناء ، ويهتزون للثناء ؛ وتملكهم الأريحية عند مسألة المحتاج ، وتعترهم الهزة معها والابتهاج ؛ وذلك لعشقهم الثناء الباقى ؛ والصنيع الواقى ؛ ويرون الغنيمة فى الفرامة ، والرجح فى البذل ، والحظ فى الإيثار ، والزيادة فى النقص ؛ أعنى بالزيادة . الخلف المنتظر من الله ؛ وبالنقص : العطاء ؛ ورأيت الناس يعيبون ابن العميد حين قال : أنا أعجب من جهل الشاعر الذى قال :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

قال : ولو كان هذا صحيحاً كان لا ينبغي أن يُكتسب المال ، لأنه ليس فى ترك

(١) فى الأصل : « تحنَّث » ؛ وهو تمهيف . ويريد بالتحنث والتثيت : اللين والتشدد تشبهاً بالحنثين والليوث .

(٢) « دعامة » . والدعامة : العماد .

(٣) « لا يصلحون » : وقوله « لا » زيادة من الناسخ .

(٤) « يحرضون » .

كسبه أكثر من إخراجِه بالإتفاق . هذا لقولهم ^(١) بحكمتِه وعقلِه وتحصيلِه وصوابُ الجاهل لا يُستحسن كما يُستقبَح خطأ العاقل ؛ نعم ، وكانوا إذا وُلُوا عَدَلُوا ، وإذا مَلَكُوا أَفْضَلُوا ^(٢) ، وإذا أعطوا أَجَزَلُوا ، وإذا سُئِلُوا أَجَابُوا ، وإذا جادوا أَطابُوا ، وإذا عَلُوا ^(٣) صَبَرُوا ، وإذا نَالُوا ^(٤) شَكَرُوا ؛ وإذا أَتَقَوْا وَاسَّوْا ، وإذا امْتَحِنُوا تَأَسَّوْا ؛ وكانوا يرجعون إلى نقائب ميمونة ، وإلى ضرائب ^(٥) مأمونة ؛ وإلى دِيانات قويَّة ، وأماناتٍ ثَخِينَةٍ ^(٦) ؛ وكان لهم مع الله أسرار طاهرة ، وعلانية مقبولة ؛ ومع عباد الله معاملَةٌ جميلة ، ورحمةٌ واسعة ومعدلةٌ فاشية ؛ وكانت تجارتهم في العلم والحكمة ، وعادتهم جارية على الضيافة والتَّكْرِمة ؛ وكانت شيمتهم الصِّفح والمَغْفرة وربِّحهم ^(٧) من هذه الأحوال النجاة والكرامة في الأولى والعاقبة ؛ وكانوا إذا تَلَقَّوْا تَوَاصَوْا بِالْخَيْرِ ، وتَنَاهَوْا عَنِ الشَّرِّ ؛ وتَنَافَسُوا فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ ، وأَدْخَرَ البِضَائِعِ (أعنى صنائع الشكر ، وبضائع الأجر) فذهب هذا كُلُّهُ ، وتاه ^(٨) أَهْلُهُ ؛ وأصبح الدِّين وقد أُخْلِقَ لِبُؤْسِهِ ، وأُوْحِشَ مَأْنُوسُهُ ، وأُقْتُلِعَ مَغْرُوسُهُ ؛ وضار المنكر معروفًا ، والمُعرفُ منكراً ، وعاد كلُّ شَيْءٍ إلى كَدْرِهِ وخَاثِرِهِ ، وفاسدِهِ وضائِرِهِ ؛ وَحَصَلَ الْأَمْرُ

(١) هذا لقولهم ، أى عيب الناس لابن العبيد في كلامه السابق ، لما يصفونه به من الحكمة والعقل الخ .

(٢) أَفْضَلُوا : أُنْصَمُوا .

(٣) في الأصل « اعتزلوا » . وعالوا : افتقروا ، من العيلة بفتح أوله .

(٤) « قالوا » .

(٥) الضرائب : الطبايع والسجايا ، الواحدة ضريبة .

(٦) ثَخِينَةٌ : قوية كما يقال في عكس ذلك : هو رقيق الدين ، أى ضعيفه .

(٧) « وزكهم » .

حَلَّى أَنْ يَقَالَ: فَلَانٌ خَفِيفُ الرُّوحِ ، وَفَلَانٌ حَسَنُ الرَّجَاءِ ، وَفَلَانٌ ظَرِيفُ الْجَمَلَةِ ،
حَلَوُ الشَّامِلِ ، ظَاهِرُ الْكَيْسِ ، قَوِيُّ الدَّسْتِ ^(١) فِي الشَّطْرَنْجِ ، حَسَنُ اللَّعْبِ فِي
النَّرْدِ ، جَيِّدٌ فِي الْأَسْتِخْرَاجِ ، مَدِيرٌ ^(٢) لِلْأَمْوَالِ ، بَذُولٌ لِلْجَهْدِ ، مَعْرُوفٌ بِالْأُسْتِقْصَاءِ
لَا يُغْضِي عَنْ دَانِقٍ ، وَلَا يَتَغَافَلُ عَنْ قِيرَاطٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي الْعَالِمُ مِنْ
تَكَثُّرِهِ ، وَالكَاتِبُ مِنْ تَسْطِيرِهِ .

وهذه كلها كنايات عن الظلم والتجديف ^(٣) ، والحساسة والجهل وقلة الدين
وحب الفساد ، وليس فيها شيء مما قدمنا وصفه عن القوم الذين أجهلوا أن
يكونوا خلفاء الله على عباد الله بالرأفة والرفقة والرحمة والأصطناع والمدل والمعروف .
وأرجع عن هذه الشكينة الطويلة اللاذعة والبليّة العامّة الشاملة ؛ إلى
عينٍ مارست لي ذكره ، وكلفتني إعادته ؛ عائذا بالله في صرف الأذى عني
وسوق الخير إلي ؛ ولأنذا بكرمك الذي رشتني ^(٤) به إلى الساعة ، وكفيتني به
مؤونة الخدمة لغيرك من هذه الجماعة ؛ والأعمال بخواتيمها ، والصّدور بأعجازها ؛
وأنت أولى الناس بالصّفح والتجاوز عني إذا عرفت براءتي في كلّ ما يتعلق
بي من ذمامك ؛ ويجب عليّ من الحقّ في مودّتك ، والأعتصام بحبك
والانتجاع ^(٥) من عُشْبِكَ ، والارتقاء ^(٦) من لَبَنِكَ .

(١) الدست : الحيلة ، وهو أيضا ما يكون فيه القلب في الفطرنج ؛ تقول : « الدست لي
والدست على » .

(٢) « مدير » .

(٣) التجديف : الكفر بنعمة الله . وفي الأصل : والتخويف .

(٤) راشه يرشّه : جعل له ريشا . شبه ما بذله له من المعروف بالريش للطائر .

(٥) الانتجاع : طلب المعروف .

(٦) في الأصل « الارتقاء » بالظاف ؛ وهو تصحيف . والارتقاء : أخذ رغبة اللبن
واحتساؤها .

الليلة الأولى

(١) وصلتُ أيتها الشيخ — أطال الله حياتك — أوّل ليلة إلى مجلس الوزير —
أعزّ الله نصره ، وشدّ بالعصمة والتوفيق أزره — فأمرّني بالجلوس ، وبسطَ لي
وجهه الذي ما أعتراه منذ خُلِقَ المَبُوس ؛ ولَطَفَ كلامه الذي ما تبدّل منذ كان
لا في الهزل ولا في الجدّ ، ولا في الغضب ولا في الرضا .

ثم قال بلسانه الذليق ^(١) ، ولفظه الانيق : قد سألتُ عنك مرّاتٍ شيخنا
أبا الوفاء ، فذكر أنّك مراعى لأمر البيهقيّ من جهته ، وأنا أربأُ بك عن
ذلك ، ولعلّي أعرضُك لشيء أنبّه من هذا وأجدى ، ولذلك فقد تأقت نفسي
إلى حضورك للمحادثة والتأنيس ، ولأتعرف ^(٢) منك أشياء كثيرة مختلفة ترّددُ
في نفسي على مرّ الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكنّي أثرها في
المجلس بعد المجلس على قدر ما يَسْنَح ويَعْرِض ، فأجبتني عن ذلك كلّه باسترسال
وسكونٍ بال ؛ بملء فيك ، وجمّ خاطرك ، وحاضر عليك ؛ ودع عنك تفنّن
البغداديين ^(٣) ^(٤) مع غفوة لفظك ، وزائد رأيك ، وربّج ^(٥) ذهنك ؛
ولا تجبُنْ جُبْنَ الضعفاء ، ولا تتأطر ^(٦) تأطر الأغبياء ؛ وأجزم إذا قلت ، وبالغ إذا
وصفت ؛ وأصدّق إذا أسندت ، وأفصل إذا حكمت ، إلّا إذا عرّض لك

(١) اللسان الذليق : الحاد البليغ .

(٢) « ولا تفرق » .

(٣) يريد بتفنّن البغداديين : استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن .

(٤) هنا كلمة مطبوسة بالأصل لا تمكّن قراءتها .

(٥) ريج ذهنك ، أى فضله .

(٦) التأطر : التحبس والتثني ، شبه به وقوف النهر وتردده في جواب ما يسأل منه .

ما يوجب توقفاً أو تهادياً^(١) ؛ وما أحسنَ ما قال الأول :

لَا تَقْدَحُ الظَّنُّ فِي حُكْمِهِ شَيْئُهُ عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ
يَمْضِي إِذَا لَمْ تَلْقَهُ شَبْهَةٌ وَفِي اعْتِرَاضِ الشَّكِّ وَقَافٌ
وقد قال الأول :

أُبَالِي الْبَلَاءِ وَإِنِّي أَسْرُوهُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ^(٢)
وكن على بصيرة أني سأستدل بما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه
على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه^(٣) .

(٢) فقلت قبل : كل شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصيري على ما يراد
مئني فإني إن مُنِعْتُه نَكَلْتُ ، وإن نَكَلْتُ قُلَّ إفصاحي عما أطلب به
وخِفْتُ الكَسَادَ ، وقد طِمَعْتُ بِالنِّفَاقِ^(٤) وأُتَقِلْتُ بِالْخِلْيَةِ ، وقد عَقِدْتُ
خِصْمِي عَلَى الْمَسْأَلَةِ . فقال — حَرَسَ اللَّهُ رُوحَهُ — : قل — عَافَاكَ اللَّهُ —
ما بدا لك ، فأنت مجاب إليه ما دمت ضامناً لبلوغ إرادتنا منك ، وإصابة
غرضنا بك .

قلت : يُؤْذَنُ لِي فِي كَافِ الْخَاطِبَةِ ، وَتَاءِ الْمَوَاجَهَةِ ، حَتَّى أَتَخَلَّصَ مِنْ مِرَاحِمَةِ
الْكُنْيَةِ وَمِضَاقَةِ التَّعْرِيفِ ، وَأَرْكَبَ جَدَدَ^(٥) الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ تَقْيَةٍ^(٦) وَلَا تَحَاشٍ

(١) التهادى : للمضى الرفيق في تمثيل .

(٢) في الأصل « ارتب » ؛ وهو تحريف .

(٣) قرافه ، أى ارتكابه . يقال : قارف الذنب واقرفه ، إذا خالطه .

(٤) النفاق ضد الكساد .

(٥) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض لا وعث فيه ولا جبل ولا أكمة ، شبه به

القول الذى لا عوج فيه ولا التواء .

(٦) « قية » .

ولا مُحَاوَرَة (١) ولا أَمْحِياش (٢) .

قال : لك ذلك ، وأنت المأذون فيه ، وكذلك غيرك ، وما فى كاف المخاطبة (٣) وتاء المواجهة ؟ إن الله تعالى — على علو شأنه ، وبسطة مُلكه ، وقدرته على جميع خلقه — يواجهه بالتاء والكاف ، ولو كان فى الكناية بالهاء رفعةً وجلالةً وقدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحقّ بذلك ومقدّمًا فيه ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله — عليهم السلام — وأصحابه — رضى الله عنهم — والتابعون لهم بإحسان — رحمة الله عليهم — وهكذا الخلفاء ، فقد كان يقال للخليفة : يا أمير المؤمنين أعزّك الله ، ويا عمرُ أصلحك الله ؛ وما عاب هذا أحد ، وما أنف منه حسيب ولا نسيب ، ولا أباه كبير (٤) ولا شريف ؛ وإنى لأعجب من قوم يرغبون عن هذا وشبهه ، ويحسبون (٥) أن فى ذلك ضعةً أو قبيصةً أو خطأً أو زرايةً ، وأظن أن ذلك لعجزهم وفُسُولَتهم (٦) ، وانخزالهم (٧) وقتلتهم وضُؤولَتهم ، وما يجدونه من الغضاضة فى أنفسهم ، وأن هذا التكلف والتجبر يمحوان عنهم ذلك النقص ، وذلك النقص يكتفى بهذا الصلف ؛ هيئات ، لا تكون الرياسة حتى تصفو من شوائب الخيلاء ، ومن مقابح الزهو والكبرياء .

فقلتُ : أيها الوزير ، قد خالطتُ العلماء ، وخدمت الكبراء وتصفحتُ (٨) أحوال الناس فى أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، فاسمعتُ هذا المعنى من أحد على

(١) لعله : مواربة .

(٢) الانحياش : الانقباض .

(٣) « كثير » .

(٤) « يفتشون » .

(٥) الفسولة : الحسة والضيغ .

(٦) انخزالهم ، أى اضعافهم وتخلفهم عن طلب العالى .

هذه السَّيَاقَةُ الحسنة والحجَّةُ الشافية والبلاغُ المبين ؛ وقد قال بعض السلف الصالح :
« مَا تَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا تَصَاغَرَ لِمَنْ فَوْقَهُ » . والتصاغر دواء
النفس ، وسجِّيةُ أهل البصيرة في الدنيا والدين ؛ ولذلك قال ابن السَّكَّاك^(١) للرشيد
— وقد عَجِبَ من رَقَّتْه وحُسِنَ إصاخته لموعظته وبلغَ قبوله لقوله وسرعةَ دمعته
على وجنته — : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ ، وَإِنِّي
أُظَنُّ أَنَّ دَمْعَتَكَ هَذِهِ قَدْ أَطْفَأَتْ أَوْدِيَةَ مَنْ النَّارَ وَجَعَلَتْهَا بَرْدًا وَسَلَامًا » .

قال^(٢) : هَذَا بَابٌ مُفْتَرَقٌ فِيهِ ، وَرَجَعْنَا إِلَى الْحَدِيثِ [فَإِنَّهُ شَهِيٌّ ، سِيَّماً إِذَا
كَانَ مِنْ خَطَرَاتِ^(٣) الْعَقْلِ] قَدْ خُدِمَ بِالصُّبُوبِ فِي نَفْثَةِ نَائِغَةٍ ، وَحُرُوفٌ مُتَقَاوِمَةٌ ؛
وَلَفِظَ عَذَبٌ ، وَمَأْخَذٌ سَهْلٌ ؛ وَمَعْرِفَةٌ بِالْوَصْلِ وَالْقَطْعِ ، وَوَفَاءٌ بِالنَّثْرِ وَالسَّجْعِ ؛
وَتَبَاعُدٌ مِنَ التَّكَلُّفِ الْجَلْفَى ، وَتَقَارُبٌ فِي التَّلَطُّفِ الْخَلْفَى ، قَاتِلُ اللَّهِ ذَا الرُّيَّةِ^(٤)
حَيْثُ يَقُولُ :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ^(٥) وَلَا نَزْرُ
وَكُنْتُ أَشَدَّ أَيْتَامَ الصَّبَا هَذَا^(٦) بِالذَّالِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَلْقِينِ الْمَعْلَمِ ؛ وَبِالْعِرَاقِ
رُذْ عَلَى وَقِيلَ : هُوَ بِالزَّيْ ؛ وَقَدْ أَجَادَ الْقَطَامِي^(٧) أَيْضًا وَتَغَزَّلَ فِي قَوْلِهِ :

(١) انظر التعريف بابن السكَّاك رقم ٤ صفحة ١٤ .

(٢) قال ، أي الوزير .

(٣) عبارة الأصل « خاصة سيما إذا كان من طيران العقل » .

(٤) ذو الرمة ، هو غيلان بن عقبة بن نهيـس أحد لحول الشعراء الأمويين ، توفي سنة
صبيح عسرة ومائة عن أربعين سنة .

(٥) رخيـم الحواشي : ناعمها . والهراء : المنطق الكثير ، والنزر : القليل .

(٦) هذا ، أي قوله في البيت السابق : « نزر » .

(٧) القطامي لقب غلب على عمير بن شبيب التغلبي من بني جهم بن بكر ، وهو شاعر إسلامي
مقل ، وكان نصرانيا .

فهنَّ^(١) ينبذن من قول يُصْنِن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى قلتُ : ولهذا قال خالد بن صفوان حين قيل له : أتمَلَّ الحديث ؟ قال : إنما يُمَلَّ العتيق^(٢) ، والحديث معشوق الحسِّ بمعونة العقل ، ولهذا يُولَم به الصبيان والنساء ، فقال : وأى معونة لهؤلاء من العقل ولا عقل لهم ؟ قلتُ : ههنا عقلٌ بالقوة وعقلٌ بالفعل ، ولهم أحدهما وهو العقل بالقوة ، وههنا عقلٌ متوسط بين القوة والفعل مُزْمِع^(٣) ، فإذا برز فهو بالفعل ، ثم إذا أَسْتَمِرَّ^(٤) العقل بلغ الأَفْق ؛ ولفرط الحاجة إلى الحديث ما وضع^(٥) فيه الباطل ، وخُلِطَ بالمُحَالِ ووُضِلَ بما يُعْجِب ويُضْحِك ولا يُؤَوِّل إلى تحصيل وتحقيق ، مثل (هزار أفسان^(٦)) وكلُّ ما دخل في جنسه من ضروب الخرافات ؛ والحسُّ شديدُ اللَّهَجِ^(٧) بالحادث والمُحَدَّث والحديث ، لأنه قريب العهد بالكون ، وله نصيب من العُرَافَةِ . ولهذا قال بعض السلف^(٨) : « حادثوا هذه النفوس فإنها سريعة الدُّثُور » ، كأنه أراد أصفُلُوها وأجلُّوا الصَّدَأَ عنها ، وأعيدوها قابلةً لودائع الخير ، فإنها إذا دَثَرَتْ — أى صَدِثَتْ ، أى تَغَطَّتْ ؛ ومنه الدُّثَار الذى فوق الشَّعار — لم يُنْتَفَع بها ؛

(١) « فهن » .

(٢) العتيق : القديم .

(٣) استعار الإزماع هنا لمعنى التهيؤ والاستعداد للظهور .

(٤) استمر ، أى قوى واستحكم ، من المرة بكسر الميم وتشديد الراء ، وهى القوة .

(٥) ما وضع ، أى وضع ، فـ « ما » هنا زائدة ، وهو تمبير شائع الاستعمال فى كلام المؤلف .

(٦) فى الأصل « حسيان » ؛ وهو تحريف . وهزار أفسان كتاب فى الخرافات نقل

ابن النديم معنى هذا الاسم ألف خرافة . ويستفاد مما ذكره من السبب فى تأليفه أنه أصل

(لكتاب ألف ليلة وليلة) المعروف ، فقد ذكر أن بعض الملوك كان إذا تزوج امرأة وبات معها

ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لهن عقل ودراية يقال لها « شهرزاد »

فلما حصلت معه ابتدأت تحدثه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استيقاظها ،

ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن آتى عليها ألف ليلة الخ .

(٧) « الكهج » .

(٨) يروى هذا الحديث عن الحسن .

والتعجب كله منوطٌ بالحادث ؛ وأما التعظيم والإجلال فهما لكل ما قدم : إما بالزمان ، وإما بالدهر ؛ ومثال ما يقدم بالزمان الذهب والياقوت وما شابههما من الجواهر التي بعد العهد بمبادئها ، وسيمتد العهد جدا إلى نهاياتها ؛ وأما ما قدم بالدهر ، فكالقل والنفس والطبيعة ؛ فأما القلّ وأجرامه المزدهرة في المعانة العجيبة ، ومناطيقه الخفية ، فقد أخذت من الدهر صورة إلهية ، وأحدثت فيها سلف منها صورة زمائية .

(٦) فقال : بقى أن يتصل به ^(١) نعت العتيق والخلق ، فكان من الجواب أن العتيق يقال على وجهين : فأحدهما يشار به إلى الكرم والحسن والعظمة ، وهذا موجود في قول العرب : « البيت العتيق » ؛ والآخر يشار به إلى قدم من الزمان مجهول . فأما قولهم : « عبد عتيق » ، فهو داخل في المعنى الأول ، لأنه أكرم بالعتق ، وأرتفع عن العبودية ، فهو كريم . وكذلك « وجه عتيق » لأنه اعتنقه الطبيعة من الدمامة والقيح . وكذلك « فرس عتيق » .

وأما قولهم : « هذا شيء خلق » ، فهو مضمّن معنيين : أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية ^(٢) ؛ والآخر أن نهاية زمانه قريبة . وكان ابن عباد قال لكتابه مرة — أعنى ابن حنبل ^(٣) — في شيء جرى ... : « نعم ، العالم عتيق ولكن ليس بقديم » أى لو كان قديما لكان لا أول له ، ولما كان عتيقا كان له أول ، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم ، وأستحسنوا هذا الإطلاق . وقد سألت العلماء البصراء عن هذا الإطلاق ، فقالوا : ما وجدنا

(١) به ، أى بالحديث الذى سبق الكلام فيه .

(٢) « سائلة » ؛ وفيه تحريف وقلب .

(٣) فى الأصل « ابن حنبل » ، وقد جاء اسمه فى معجم الأدباء : أبى القاسم بن حنبل ، ومرة يسميه : أبى القاسم الحنبل ، وذكر فى بعض المواضع أنه كان يمرض الأوراق على الصاحب ابن عباد ، فالظاهر أنه هو الزاد .

هذا في كتاب الله — عز وجل — ولا كلامٍ نبيّه — صلى الله عليه وسلم — ولا في حديث الصحابة والتابعين . وسألت أبا^(١) سعيد السيرافي الإمام : هل تعرف العرب أن معنى القديم ما لا أول له ؟ فقال : هذا ما صح عندنا عنهم ولا سبق إليّ وهما هذا منهم ، إلا أنهم يقولون : « هذا شيء قديم » « وبنيان قديم » ويسرّحون^(٢) وهمهم في زمانٍ مجهولٍ المبدأ .

(٧) فقال : قد مرّ في كلامك شيء يجب البحث عنه ، ما الفرق بين الحادث والمُحدث والحديث ؟ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلاحظ نفسه [والمُحدث ما يلاحظ^(٣)] مع تعلّقٍ بالذي كان عنه محدثاً . والحديث كالمُتوسّط بينهما مع تعلّقٍ بالزمان ومن كان منه .

وهما شيء آخر ، وهو الحدّثان والحديثان ؛ فأما الأول فكانه لما هو^(٤) مضارعٌ للحادث ، وأما الحدّثان فكانه اسم للزمان فقط ، لأنه يقال : « كان كذا وكذا في حدّثان ما ولى الأمير » ، أى في أوّل زمانه ، وعلى هذا يدور أمر^(٥) الحدث والأحداث والحادثات والحوادث . « وفلان حدّثٌ مُلوّكٌ » كله من ديوان واحد وواد^(٦) واحد وسبّك واحد . قال : « ما الفرق بين حدّث وحدّث » ؟ قلتُ : لا فرق بينهما إلا من جهة أن حدّث تابع لقدم ، لأنه يقال : أخذَه ما قدّم^(٧) وما حدّث ؛ فإذا قيل للإنسان : حدّث يا هذا . فكانه قيل له :

(١) في الأصل « أنا » ؛ وهو تحريف . وأبو سعيد السيرافي هو الحسن بن عبد الله ابن المرزبان السيرافي النحوي المعروف ؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وتوفى سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(٢) « ويسرّحون » ؛ بالفتح .

(٣) هذه العبارة ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) لما هو ، أى موضوع لما هو .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : « الحدث » ؛ كما أن داءها كتبت في الأصل

« نونا » . واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا .

(٦) في الأصل « وهو » ولا معنى له .

(٧) « أخذَه ما قدّم وما حدّث » ، أى أخذته المصوم والأفكار القديمة والحديثة .

صِلْ شيئاً بالزمان يكون به في الحال ، لا تقدّم له من قبل .
ثم رجعتُ فقلت . ولقوائد الحديث ما صنف (أبو زيد)^(١) رسالة لطيفة الحجم
في المنظر ، شريفة القوائد في المخبر ، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة
والتجربة في الأخبار . والأحاديث ، وقد أحصاها وأستقصاها وأفاد بها ، وهي
حاضرة . فقال احملها وأكتبها ، ولا تمل إلى البخل بها على عادة أصحابنا
الغثا . قلت : السمع والطاعة .

ثم رويت أن عبد الملك بن مروان قال لبعض جلسائه : قد قضيتُ الوطر
من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر ، على التلال^(٢) العفر^(٣) .
وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبد العزيز قال : والله إنني لأشتري
[المحادثة]^(٤) من عبد الله^(٥) بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بألف دينار
من بيت مال المسلمين . فقيل : يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا مع تحريك وشدة
تحفظك وتنزيهك ؟ فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنني لأعود برأيه ونصحه
وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنائير ، إن في المحادثة تلقيحاً
للعقول ، وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهمم ، وتنقيحاً للأدب .

(١) الراجع أنه يريد أبو زيد أحمد بن سهل البلخي كان من المتكلمين الفلاسفة الأدباء
وكان يقال له « جاحظ خراسان » ألف كتباً كثيرة منها كتاب فضيلة علم الأخبار وكتاب
النوادر في فنون شتى ولعل أحد هذين الكتابين هو الذي يشير إليه أبو حيان ، وكان
أبو حيان يعجب به وقد قال فيه : « انه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول ولا يظن أنه يوجد
له نظير في مستأنف الدهر » ، مات سنة ٣٢٢ عن سبع أو ثمان وثمانين سنة .

(٢) في الأصل « الكلال » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . وفي رواية « على
الكتبان » ؛ وهو بضم الكاف بمعنى التلال كما أثبتنا .

(٣) في الأصل « العفر » بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل .

(٥) هو أحد الفقهاء السبعة كان إماماً عالماً وكان أعمى قال البخاري إنه مات سنة ٩٤
وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ وهذا متفق مع هذه القصة .

قال : صدق هذا الإمام في هذا الوصف ، إن فيه ^(١) هذا كله .
قلتُ : وسمعتُ أبا سعيد ^(٢) السيرافي يقول : سمعتُ ابنَ السَّراج ^(٣) يقول :
دخلنا على ابنِ الرومي ^(٤) في مرضه الذي قضى فيه ، فأنشدنا قوله ^(٥) :
ولقد سئمتُ مآربي فكانَ أطيبَها خبيثُ
إلا ^(٦) الحديثَ فإنه مثلُ أسِمِه أبدا حديثُ

وقال سليمان بن عبد الملك : « قد ركبنا الفاره ^(٧) ، وتبطننا الحسناء ، ولبسنا
اللَّين ، وأكلنا الطيب حتى أجمناه ^(٨) ، وما أنا اليوم [إلى شيء] ^(٩) أحوجُ
مَنِّي إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ ويحدثني بما لا يمتجعه السمع ، ويطرب
إليه القلب » . وهذا أيضا حقٌ وصواب ، لأنَّ النفس تملُّ ، كما أنَّ البدن يَكِلُّ ؛
وكما أنَّ البدن إذا كلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا ملَّت طلبت الرُّوح ^(١٠)
وكما لا بد للبدن أن يستمدَّ ^(١١) ويستفيد بالجَمَام ^(١٢) الذاهب بالحركة الجالبة

- (١) فيه ، أى في الحديث .
(٢) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ صفحة ٢٥ .
(٣) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج ، أخذ الأدب
عن أبي العباس المبرد ، وأخذ عنه جماعة : منهم أبو سعيد السيرافي ؛ وله التصانيف المشهورة
في النحو وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .
(٤) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي الشاعر المعروف .
ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ببغداد ، وتوفى سنة ثلاث ومائتين . وقيل غير ذلك .
(٥) ورد من هذا اللفظ في الأصل القاف والواو وحدهما .
(٦) « بلا » .
(٧) في الأصل « الفاره » بالقاف ؛ وهو تصحيف . والفرار من الدواب : النشيط
الحاد القوى .
(٨) أجمناه ، أى كرهناه ومللناه من المداومة عليه .
(٩) لم ترد هذه التكلفة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن (عيون الأخبار) .
(١٠) الروح بفتح الراء : الراحة .
(١١) « يستند » .
(١٢) الجمام بفتح الجيم : الراحة .

للنَّصَب والضجر ، كذلك لأبدَ للنفس من أن تطلب الرُّوح عند تكاثف العَلَل الداعي إلى المَرَج^(١) فإن البدن كثيفُ النفس ، ولهذا يُرى بالعين ، كما أن النفس لطيفة البدن ، ولهذا لا توجد إلا بالعقل ؛ والنفس صفاء البدن ، والبدن كدَرُ النفس . فقال : أحسنتَ في هذه الروايات على هذه التوشیحات وأعجبني^(٢) ترشُّك على شيخك أبي سعيد ، فما كلُّ أحدٍ يَسْمَح^(٣) بهذا في مثل هذا المقام ، وما كلُّ أحدٍ يأبه لهذا الفعل ؛ هات مُلحة الوداع حتى نفترق عنها ، ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث .

(٨) قلت : حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية ، قال : رأيت جَحْظَةَ^(٤) قد دعا بَنَاءَ لِبْنِي له حائطا ، فحضر^(٥) ، فلما أَمْسَى أَقْتَضَى البَنَاءُ الأجرة ، فَمَا كَسَا^(٦) وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما ؛ فقال جَحْظَةُ : إنما عملتَ يا هذا نصفَ يوم وتطلب عشرين درهما ؟ قال : أنت لا تدري ، إني قد بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة ؛ فبينما هما كذلك وَجَبَ الحائطُ وسقط ؛ فقال جَحْظَةُ : هذا عملك الحسن ؟ قال : فأردتَ أن يبقى ألف سنة ؟ قال : لا ، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك . فضحك — أضحك الله سنه —

(١) « المَرَج » .

(٢) يلاحظ أنه لم يرد في هذه النسخة عند ذكر أبي سعيد السيرافي قوله — رحمه الله — فلعله قد سقط من النسخ هناك :

(٣) « كَسَح » .

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر المعروف ، كان من طرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة ، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة . وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطة ، ودفن ببغداد .

(٥) في الأصل « وحضر بنا » وبنا لا معنى لها .

(٦) تماكسا ، أى تشاحا في الأجرة ؛ يقال : ما كسه في البيع ونحوه : إذا شاحه فيه واستعطه الثمن واستنقصه إياه .

الليلة الثانية

(١) ثم حضرت ليلة أخرى ، فقال : أول ما أسألك عنه حديث أبي سليمان (١) المنطقي كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه (٢) بنا ، فقد بلغني أنك جاره ومعاشره ، ولصيقه وملازمه وقافي خطوه وأثره ، وحافظ غاية خبره . فقلت : والله أيها الوزير ، ما أعرف اليوم ببغداد — وهي الرقعة الفسيحة الجامعة ، والعرصة (٣) المريضة الفاصّة — إنسانا أشكر لك ، وأحسن ثناء عليك ، وأذهب في طريق العبوديّة معك ، منه ؛ ولقد سكر (٤) الآذان وملاء البقاع بالدعاء الصالح ، رفّعه الله إليه ، والثناء الطيّب أشاعه الله ؛ وقد عمل رسالة في وصفك ذكر فيها ما آتاك الله وفضلك به من شرف أعراقك ، وكرم أخلاقك وعلو همتك ، وصدق حدّسك وصواب رأيك ، وبركة نظارك ، وظهور غنائك ، وخصب فيائك ، ومحبة أوليائك ، وكّد أعدائك ، وصباحة وجهك ، وفصاحة لسانك (٥) ، ونبل حسبك (٦) ، وطهارة غيبك (٧) ، ويمن نقيبتك ، ومحمود

(١) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة كان مجلسه حافلا بالعلماء والحكماء واسع الاطلاع في الفلسفة اليونانية وكان به عور وبرص يمنعانه من غشيان مجالس الأمراء والوزراء وهو أكبر شيوخ أبي حيان في الفلسفة مات على أغلب الظن في السنوات الخمس الأخيرة من القرن الرابع الهجري .

(٢) ورجاؤه بنا ، أي رجاءه المقوّد بنا . وفي الأصل : « وأرجاؤه » والألف زيادة من النسخ .

(٣) العرصة : الساحة الواسعة .

(٤) سكر الآذان : ملأها . وفي الأصل : « شكر » بالشين ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « رخم لسانك » وقوله : « رخم » من زيادات النسخ إذ لا معنى

لها ولا تستقيم مع السياق .

(٦) « وتقلحك » .

(٧) « عيك » .

شيمتك ، ودقيق ما أودع الله فيك ، وجليل ما نشر الله عنك ، وغريب ما يُرى منك ، وبديع ما يُنتظر لك من المراتب العلية ، والخيرات الواسعة والدولة الراحدة ، وهي تصل إلى مجلسكم في غد أو بعده — إن شاء الله — وكان هذا منه [قياماً] ^(١) بالواجب ، فإنك نَشَتَ روحه وكان خَفَتَ ، وبصرتَه وكان عَشِي ؛ وأُنبتَ جناحه وكان قد حُصَّ ^(٢) ، بالرسم الذي وصل إليه لأنه كان قَنِطَ منه وهو قَنُوطٌ ، وسمعتُه يقول مراراً : من يذكرني وقد مضى الملك ^(٣) — رضوان الله عليه — ومن يتخلّفه في مصلحتي ، ويجري على عادته معي ؟ ومن يسأل عني ، ويهتم بحالي ؟ هيهات ، فقد والله بالأمس من ^(٤) يطول تَلَقُّنَا إليه ويدوم تَلَهُّفُنَا عليه * إنَّ الزمانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيل * كان والله شمساً للمعالي وغرة الزمن وحامل الأثقال ، وملتقى ^(٥) القفال ، وعحقّق الأقوال والأفعال ، ويجري لُجْمُ ^(٦) الأحوال على غاية الكمال ؛ كان والله فوق المتنبي ، وأعلى من أن يلحق به نظير ، أو يوجد له مماثل ؛ لذته لمَحْ ^(٧) في تهذيب الأمور ، وهواه وقفٌ على صلاح مَنْ في إصلاحه صلاح ونفي من في نفيه تطهير ؛ ولولا أن عمر الفتى الأريحي قصير ، لكنا لا نُبتلى بفقدِهِ ، ولا نتحرّق على قَوْتِ ما كان لنا بحياته ؛ الدنيا ظُلوم ، والإنسان فيها مظلوم .

- (١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضي إثباتها .
 (٢) يقال : « حص الریش والشعر » ، إذا انتثر . وكني بحص الجناح عن الفقر ، وبنباته عن الفنى .
 (٣) الظاهر أنه يريد بالملك « عضد الدولة » البويهى .
 (٤) عبارة الأصل « مر بطول تلقينا » وهي معرفة في جميع ألفاظها .
 (٥) في الأصل « ومكننى الأفعال » ؛ وهو تحريف . والقفال : المسافرون ، سموا بذلك تفاؤلاً بقفولهم إلى أوطانهم ، أى رجوعهم إليها .
 (٦) استعمل اللجم في معنى الخيل مجازاً . وفي الأصل : « لُجاء » ؛ وهو تحريف .
 (٧) اللج ، النظر الخفيف . والمراد بهذا اللفظ وصفه بالفطنة والألمعية حتى إنه لينظر إلى الأمور نظراً خفيفاً فيكفيه ذلك عن التأمل والإيمان .

فلما وصل إليه ذلك الرسم — وهو مائة دينار — وحاجته ماسة إلى رغيف ، وحولُه وقوُّه قد عجزا ^(١) عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه عاش .

وبما زاد في حديث الرسم أنه وصل إليه مع العذر الجليل ، والوعدِ المريض الطويل ؛ ولورأيته وهو يترقل ويتحنك ^(٢) لمجبت . فقال : سررتني لسروره بما كان مني ، وإن عشتُ كفتُ الزمان عن ضيِّه ، وفَلَّتْ ^(٣) عنه حدَّ نابه ، ولولا الضَّمان ^(٤) مانعة ^(٥) عن نفسه ، ومُتَمَنِّع معها بنفسه ؛ لَنَشَّ هذا المجلس فيكم ^(٦) فاستأنس وأنس ، ولكنَّه على حال لا يحتمل له عليها ، ولا صبر عليه معها ؛ أتخفظ ما قال البديهي فيه ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدني ، فرويت :

أبو سليمانَ عالمٌ فطن ما هو في علمه بمنقَصٍ
لكن تطيرتُ عند رؤيته من عَوْرٍ مُوحِشٍ ومن بَرَصٍ
وبأبْنِه مِثْلُ ما بواله وهذه قِصَّة من القصصِ

فقال : قاتله الله ، فلقد أوجع وبالغ ، ولم يحفظ ذمام العلم ، ولم يقض حق الفتوة .. حدثني عن درجته في العلم والحكمة ، وعرفني محلّه فيها من محلِّ أصحابنا

(١) ورد في الأصل بعد قوله « عجزا » تاء وكاف وميم ؛ ولم نثين الصواب في هذه الحروف الثلاثة ؛ ولعلها زيادة من الناسخ .

(٢) يترقل ، أى يجر ذيله ويتبختر . ويتحنك ، أى يدير الهامة من تحت خنكه . كفى بالترقل والتحنك عن السرور والابتهاج بما وصل إليه من صلة الوزير .

(٣) « قلت » .

(٤) الضمان : العاهة في الجسد . وفي الأصل : « الجمأة » ؛ وهو تحريف .

(٥) مانعة عن نفسه ، أى أن هذه العاهة مانعة لنا عن مجالسته . ومتمنع معها بنفسه أى أنه هو ممتنع بنفسه مع هذه العاهة عن مجالستها .

(٦) « بكم » .

أَبْنُ زُرْعَةَ^(١) وَأَبْنُ الْخَمَارِ^(٢) وَأَبْنُ السَّمْحِ^(٣) وَالْقَوْمِيُّ^(٤) وَمُسْكُوِيه^(٥) وَنَظْلِف^(٦) وَيَحْيَى بْنُ عَدَى^(٧) وَعَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ^(٨) . فَقُلْتُ : وَصَفَ هَؤُلَاءِ أَمْرًا مُتَعَدِّرًا ، وَبَابٌ مِنَ الْكُلْفَةِ شَاقٌّ ؛ وَلَيْسَ مِثْلِي مِنْ جَسَرٍ عَلَيْهِ ، وَبَلَغَ الصُّوَابُ مِنْهُ ؛ وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ مِنْ نَالِ دَرَجَةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَأَشْرَفَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ؛ فَعَرَفَ حَاصِلَهُمْ وَغَائِبَهُمْ ، وَمَوْجُودَهُمْ وَمَقْهُودَهُمْ . فَقَالَ : هَذَا تَحَايُلٌ لَا أَرْضَاهُ لَكَ ، وَلَا أَسْلَمُهُ فِي يَدِكَ ، وَلَا أَحْتَمِلُهُ مِنْكَ ؛ وَلَمْ أَطْلُبْ إِلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَهُمْ^(٩) بَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ مِنْهُمْ ، وَمَوْهَبُهُ^(١٠) لَهُمْ ، وَمَسْئُوقُهُ إِلَيْهِمْ ، وَخَلُوعُهُ عَلَيْهِمْ ، عَلَى الْحَدِّ الَّذِي لَا مَزِيدَ فِيهِ وَلَا نَقْصَ ؛ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَذَكَّرَ مِنْ كُلِّ

(١) أَبْنُ زُرْعَةَ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ عَيْسَى بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ زُرْعَةَ تَالِمَ نَصْرَانِيٍّ مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بَرَزَ فِي الْمُنَظِّقِ وَالْفَلَسَفَةِ ، وَقَتْلَ عِدَّةَ مُصَنِّفَاتٍ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَتَوَفَّى كَمَا رَوَى الْقَفْطِيُّ سَنَةَ ٣٩٨ .
(٢) أَبْنُ الْخَمَارِ ، هُوَ أَبُو الْخَيْرِ الْحَسَنُ بْنُ سَوَارٍ ، كَانَ كَذَلِكَ نَصْرَانِيًّا طَبِيبًا فَيَلْسُوفًا قَتَلَ كِتَابًا كَثِيرَةً مِنَ السَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ .

(٣) أَبْنُ السَّمْحِ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ بْنِ السَّمْحِ مِنْ مَنَافِئَةِ بَغْدَادَ ؛ مَاتَ سَنَةَ ٤١٨ .
(٤) الْقَوْمِيُّ ، هُوَ أَبُو بَكْرٍ الْقَوْمِيُّ الْمُتَفَلِّسُف . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : لَمْ يَكُنْ كَتَبَ لِنَصْرِ الدَّوْلَةِ عَامِينَ .

(٥) مُسْكُوِيه ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّادٍ مُسْكُوِيه الْحَازِنُ ، كَانَ عَارِفًا بِالْفَلَسَفَةِ ، أَلْفَ كِتَابًا تَهْدِيبَ الْأَخْلَاقِ وَتَجَارِبِ الْأُمَمِ ، وَكَانَ قِيًّا عَلَى خَزَانَةِ كِتَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ قِيًّا عَلَى خَزَانَةِ كِتَابِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ اخْتَصَّ بِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ الْبُؤَيْهِيَّ وَعَظَّمَ عِنْدَهُ شَأْنَهُ وَمَاتَ سَنَةَ ٤٢١ .

(٦) نَظْلِف ، هُوَ الْفَسْ نَظْلِفُ النَّفْسِ الرَّومِيَّ ، كَانَ عَلَمًا جَيِّدَ النَّقْلِ مِنَ الْيُونَانِيِّ إِلَى الْعَرَبِيِّ وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ الْأَطْبَاءِ ، وَعَيْنُهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي الْبِيَارِسْتَانِ الَّذِي أُلْشَأَهُ بِبَغْدَادَ .

(٧) يَحْيَى بْنُ عَدَى أَبُو زَكْرِيَّا ، كَانَ نَصْرَانِيًّا مُنَظِّفِيًّا أَخَذَ الْفَلَسَفَةَ عَنْ أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ وَبَشَرَ بِنِ مَتَّى ؛ وَلَهُ مَوْلاَتُ كَثِيرَةٌ ، مَاتَ سَنَةَ ٣٦٤ .

(٨) عَيْسَى بْنُ عَلِيٍّ ، هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَيْسَى بْنُ الْوَزِيرِ الْكَبِيرِ عَلِيٍّ بْنِ عَيْسَى الْجَرَّاحِ ، كَلَّمَ عَيْسَى عَلَمًا فَاضِلًّا ، قَرَأَ الْمُنَظِّقَ عَلَى يَحْيَى بْنِ عَدَى ، كَمَا دَرَسَ الْفَقْهَ وَالْأَدَبَ عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، وَعَمِلَ فِي دِيَوَانِ الرِّسَالِ ؛ وَمَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ٣٩١ . وَقَدْ قَتَلَ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ كَثِيرًا مِنْ أَقْوَالِهِ فِي الْحِكْمَةِ فِي الْمَقَابِسَاتِ .

(٩) « نَسْتَفْهَم » .

(١٠) مَوْهَبُهُ لَهُمْ ؛ أَيُّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ ؛ يُقَالُ : أَوْهَبْتَ لَهُ الشَّيْءَ ، إِذَا أَعَدَدْتَهُ لَهُ .

وَاحِدٌ مَا لَاحَ مِنْهُ لِعَيْنِكَ ، وَتَجَلَّى لِبَصِيرَتِكَ ، وَصَارَ لَهُ بِهِ صُورَةٌ فِي نَفْسِكَ ؛
فَأَكْثَرَ وَصَفَ الْوَاصِفِينَ لِلْأَشْيَاءِ عَلَى هَذَا يَجْرِي ، وَإِلَى هَذَا الْقَدَرِ يَنْتَهِي .
قُلْتُ : إِذَا قَنَعَ مِنْى بِهَذَا ، فَإِنِ أَخَذْتُ بِمَا ^(١) عِنْدِي ، وَأَبْلَغَ فِيهِ أَقْصَى جَهْدِي .
أَمَّا شَيْخُنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فَإِنَّهُ أَذَقَهُمْ نَظْرًا ، وَأَقْرَمَهُمْ غَوْصًا ، وَأَصْفَاهُمْ فِكْرًا ، وَأَظْفَرَهُمْ
بِالدَّرَرِ ، وَأَوْقَفَهُمْ عَلَى الْغُرْرِ ؛ مَعَ تَقَطُّعٍ فِي الْعِبَارَةِ ، وَلُكْنَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ ^(٢) الْمُجْمَعَةِ
وَقَلَّةٍ نَظَرٍ فِي الْكُتُبِ ، وَفَرَطٍ أَسْتَبْدَادٍ بِالْخَاطِرِ ، وَحُسْنِ أَسْتِنْبَاطٍ لِلْعَوِيصِ ، وَجَرَأَةٍ
عَلَى تَفْسِيرِ الرَّمْزِ ، وَبُخْلِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ هَذَا الْكَتَنِ .

وَأَمَّا ابْنُ زُرْعَةَ فَهُوَ حَسَنُ التَّرْجُمَةِ ، صَحِيحُ النُّقْلِ ، كَثِيرُ الرُّجُوعِ إِلَى
الْكِتَابِ ، مَحْمُودُ النُّقْلِ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، جَيِّدُ الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا جَلَّ مِنْ الْفَلَسَفَةِ ؛
لَيْسَ لَهُ فِي دَقِيقَتِهَا مَنَافَذُ ^(٣) ، وَلَا لَهُ مِنْ لَغْزَاهَا مَأْخِذُ ، وَلَوْلَا تَوَزُّعُ ^(٤) فِكْرِهِ
فِي التَّجَارَةِ ، وَمَحَبَّتُهُ ^(٥) فِي الرِّبْحِ ، وَحِرْصُهُ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَشِدَّتُهُ عَلَى الْمَنَعِ ؛
لَكَانَتْ قَرِيحَتُهُ تَسْتَجِيبُ لَهُ ، وَغَائِمَتُهُ ^(٦) تَدِرُّ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنَّهُ مَبْدَدٌ مَبْدَدٌ ، وَحَبُّ
الدُّنْيَا يُعِمِّي وَيُصِمُّ .

وَأَمَّا أَبُو الْخَثَرِ فَقَصِيحُ ، سَبَّطُ الْكَلَامِ ، مَذِيذُ النَّفْسِ ، طَوِيلُ الْعِثَانِ
مَرْضَى النُّقْلِ ، كَثِيرُ التَّدْقِيقِ ، لَكِنَّهُ يَخْلُطُ الدُّرَّةَ بِالْبَعْرَةِ ^(٧) وَيُفْسِدُ السَّمِينَ
بِالْقَثِّ ، وَيَرْقَعُ الْجَدِيدَ بِالرِّثِّ ؛ وَيَشِينُ ^(٨) جَمِيعَ ذَلِكَ بِالزُّهْوِ وَالصَّلَافِ ، وَيَزِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « جَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) « مَعَ » .

(٣) « مَنِيْدَا » .

(٤) « تَوَزَّعَ » .

(٥) « وَنَحْبَتُهُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ « وَغَائِمَتُهُ تَدُو » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ . وَالْغَائِمَةُ السَّحَابَةُ .

(٧) « الْبَقْرَةُ » .

(٨) « وَيَشِينُ » .

في الرقم ^(١) والسوم ، فإيجديه ^(٢) من الفضل يرتجمه بالنقص ؛ وما يعطيه بالاعطف يستردّه بالعنف ؛ وما يصفيه بالصواب ، يكدره بالإعجاب . ومع هذا يُصرّح ^(٣) في كل شهر مرة أو مرتين .

وأما ابن السمع ، فلا ينزل بفنائهم ، ولا يسقي من إنائهم ؛ لأنه دونهم في الحفظ والنقل والنظر والجدل ، وهو بالتبعية ^(٤) أشبه ، وإلى طريقة الدعوى أقرب ، والذي يحطّه عن مراتبهم شيثان : أحدهما بلادة فهمه ، والآخر حرصه على كسبه ؛ فهو مستفرغ مُح ^(٥) البال مأسور العقل ، يأخذ الدائق ^(٦) والقيراط والحبة والطنسوج والفلس بالصرف والوزن والتعطيف ؛ والقلب متى لم يُنقّ من دنس الدنيا لم يعقب بفوائح الحكمة ، ولم يتفوّح ^(٧) برّدع الفلسفة ، ولم يقبل شعاع الأخلاق الطاهرة المفضية إلى سعادة الآخرة .

وأما القومسي أبو بكر ، فهو رجل حسنُ البلاغة ، حلّو الكناية ، كثيرُ الفقر المعجبية ، جماعةٌ للكتب الغريبة ؛ محمود العناية في التصحيح والإصلاح والقراءة ، كثير التردد ^(٨) في الدراسة ؛ إلا أنه غير نصيح في الحكمة ؛ لأنّ

(١) يزيد في الرقم ، أي يزيد في حديثه ويكذب . ويريد بالزيادة في السوم : المبالاة ، وأصل السوم في البياضة عرض السلعة للبيع .

(٢) في الأصل « يديه » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا بدليل مقابله بقوله بعد « يرتجمه » إلخ .

(٣) « بصرح » بالخاء .

(٤) « بالمسبح » .

(٥) مع البال ، أي خالصة .

(٦) الدائق : سدس القدرم . والقيراط : نصف دائق . والحبة : وزن شعيرتين .

والطنسوج : ربع الدائق .

(٧) في الأصل « ولم يتفرخ بربع » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرجعه قوله

قل : « لم يسبق بفوائح » . وردع الطيب : أثره في الثوب والبدن .

(٨) « التردد » .

قريحته ترابية ، وفكرته سحائية ؛ فهو كالمقلد بين المحققين ، والتابع للمتقدمين ؛ مع حبٍ للدنيا شديد ، وحسدٍ لأهل الفضل عتيد .
 وأما مسكويه ، فقير بين أغنياء ، وعبيٌّ^(١) بين أسيان^(٢) ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته في هذه الأبيات (صفوة الشرح لإيساغوجي) وقاطيفورياس ، من تصنيف صديقنا بالري . قال : ومن هو ؟ قلت : أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن السامري ، وصححه معي ؛ وهو^(٣) الآن لائذ بابن الحمار ، وربما شاهد أبا سليمان وليس له فراغ ، ولكنه محبس^(٤) في هذا الوقت للحسرة التي لحقته فيما فاتته من قبل .
 فقال : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ورأى من كان عنده وهذا حفظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبي الطيب السكيميائي الرازي ، مملوك^(٥) المهمة في طلبه والحرص على إصابته مفتونا^(٦) بكُتب أبي زكرياء ، وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت في حاجاته^(٧) الضرورية والشهوية ؛ والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة^(٨) والفرص بُروق تأتلق^(٩) ، والأوطار في غرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس على فواتها تذوب

(١) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحرفين الأخيرين من النقط .

(٢) « أنبياء » .

(٣) في الأصل « وهو الآن لا يكيلين الحمار » . وما أثبتناه عن معجم الأدباء في ترجمة

ابن مسكويه .

(٤) « محب في هذا الوقت للحيرة » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٥) « المملوك » .

(٦) « مقترا » .

(٧) « في الحاجات » . وفي هذه الكلمة حروف زائدة من الناسخ ؛ والسياق

يقتضى ما أثبتنا .

(٨) « دائمة » .

(٩) « تكتلق » .

وتحترق ؛ ولقد قطن العاصري^(١) الرمي خمس سنين ^{جمعة}^(٢) ودرس وأملى وصنف وروى فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه بينه وبينه سد ؛ ولقد تجرّع على هذا التواني الصاب والعلقم ، ومضغ بنمه حنظل الندامة في نفسه ، وسمع بأذنه قوارع اللامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كله . وبعد فهو ذكي حسن الشعر نقي اللفظ ، وإن بقي فساء يتوسط هذا الحديث ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء ، وإتقان زمانه وكذب بدنه^(٣) وقلبه في خدمة السلطان ، وأحترقه في البخل بالدائق والقيراط والكسرة والخرقة ؛ نموذ بالله من مدح الجود باللسان ، وإيثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقة العمل ؛ وهذا هو الشقاء المصوب على هامة من يلبى به ، والبلاء المعصوب^(٤) بناصية من غلب عليه .

وأما عيسى بن علي ، فله الذرع الواسع والصدر الرحيب في العبارة ، حجة في النقل والترجمة ، والتصرف في فنون اللغات ، وضروب المعاني والعبارات ؛ وقد تصفح ما لم يتصفح كثير من هذه الجماعة ، وقلب بخزائن الكبراء والسادات ، وأعين^(٥) بالعمر الطويل والفراغ المديد ؛ ولكنه مع هذا الفضل الكثير بمخيل

(١) العاصري ، هو أبو الحسن محمد بن يوسف العاصري ، فيلسوف معاصر لابن سينا وكانت بينهما مباحثات في الفلسفة ، ومن جملة كتب ابن سينا كتاب الأجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العاصري ، ويقول أبو حيان في المقابسات إنه كان من أعلام عصره وكان متبحرا في الفلسفة اليونانية منكبا على كتب أرسطو وله على بعضها شروح ؛ وقد اتصل بابن العميد وقرأ معاً عدة كتب ، وتوفي نحو سنة ٣٨٠ .

(٢) جمعة ، أي مجموعة .

(٣) « وكذبته » .

(٤) « المنصوب » بالنون .

(٥) « وأعين » .

بكلمة واحدة ، وَنصيح^(١) على ورقة فارغة ، لسودائه الغالبة عليه ، ومزاجه
المتشيط^(٢) بها .

وأما نظيف ، فإنه متوسط ، لا يسفل^(٣) عن أقلهم حظًا ولا يعلو على
أكثرهم نصيبًا ؛ ويده في الطب أطول ، ولسانه في المجالس أجول ؛ ومعه رفق
وحذق في العدل .

وأما يحيى بن عدي ، فإنه كان شيخًا لئيم المريكة فروقة^(٤) ، مشوه^(٥)
الترجمة ، ردى العبارة ، لكنه كان متأنياً^(٦) في تخريج المختلفة^(٧) وقد برع في
مجلسه أكثر هذه الجماعة ، ولم يكن يلوذ^(٨) بالإلهيات ، كان ينهر^(٩) فيها ويضلل
في بساطها ، ويستعجم عليه ما جل ، فضلاً عما دق منها ؛ وكان مبارك المجلس .
فقال : ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت
داخلة^(١٠) في نفوسهم .

حدثني عن مذاهبهم في النفس وما يقولون فيها ؛ وإلى أين يتجهون من

(١) نصيح على ورقة فارغة ، أى أنه بلغ من شدة بخله بعلمه أنه لا يستطيع أحد أن
يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه . وهم يصفون البخيل بالنصح على ماله ، لأنه لا ينخدع
عنه فيجود به . أو لعله شحيح .

(٢) المتشيط : المتهب . وبها ، أى بسبب السوداء .

(٣) « لا يسفل » .

(٤) الفروقة : الشديد الفزع .

(٥) في الأصل : « موسى » وفيه قلب وتحريف .

(٦) متأنياً ، أى مترقفاً متلطفاً .

(٧) في تخريج المختلفة ، أى المسائل المختلفة .

(٨) « يكون » .

(٩) الانبهار : تتابع النفس وإطراده من الثعب والإعياء .

(١٠) وردت هذه الكلمة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضي

إدخالها هنا .

يقينهم بشأنها ، وكيف ثقتهم ببقائها بعد فناء أبدانها ؟ فقلت : علمت أنى لأجد^(١) ما أريد من حديث النفس عند أصحابنا الباقين ، أعنى أبا الوفاء على بن يحيى السامري والمعمري والقومي والصوفي وغلّام زحل^(٢) والصاغاني ، وكذلك غيرهم أعنى ابن عبدان وابن يعقوب وابن لالا وابن بكش^(٣) وابن قوسين^(٤) والحزاني ، لأن هؤلاء ليسوا يحرثون هذه الأرض ، ولا يرقّون هذا البرّ ولا يجهّزون هذا المتاع ولا يتعاملون به ؛ هذا ينظر في المرض والصحة والداء والدواء ، وهذا يعتبر الشمس والقمر ، وليس فيهم من يذكر كلمة في النفس والمقل والإله ، حتى كأنه محظور عليهم ، أو قبيح عندهم .

وقلت : إن هؤلاء القوم — أعنى الطائفة الأولى — متفقون في الاعتراف بأنها جوهر باق خالد ؛ فأما اليقين فما الحكم به لهم ، لأنهم لو كانوا على ذلك — أعنى واجدين لليقين ذائقين لحلاوته — لما كدحوا للدنيا التي تزول عنهم ويزولون عنها مضطرين ؛ فلو أنهم كانوا على تلج^(٥) من النفس ، ويقظة من العقل ، وأستبصار من القلب ، وسكون من البرهان ، لما تعجلوا هذه اللذات المنقوصة ، والأوطار الفاسخة ، والشهوات الخسيسة ، مع التبعات الكثيرة والأوزار الثقيلة ؛ ولا عجب فإنه إذا كانت الركّة^(٦) العائقة تمنع الإنسان

(١) هنا في الأصل راء وجيم بعد قوله « لا » ولعلهما زيادة من الناسخ .

(٢) غلام زحل : لقب لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن كان منجها حاذقا ، توفي سنة ٣٧٦ .

(٣) في الأصل « بكس » بالسين . وقد ورد اسمه في أخبار الحكماء لتقفطى بالشين .

(٤) ابن قوسين : طبيب مشهور في زمانه ، كان يهوديا وأسلم ، وعمل مقالة في الرد على اليهود .

(٥) تلج النفس : راحتها واطمئنانها وسكونها إلى المعنى .

(٦) الركّة : الضعف . أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركّة كثيرا ما تستعمل

في ضعف العقل والرأى . والمراد هنا ما يخص البدن ، كما يقتضيه سياق ما يأتي .

من التدو والسفر ، ومن سرعة الخطو ، لأن الحركة قد بطلت بالرّكّة الداخلة عليه في أعضائه وآلاته ، فأى عجب من أن تكون النفس التي أستعبدتها الشهوات الغالبة^(١) ، والعميدة الرديئة ، والأفعال القبيحة معوقة بمنوعة من الصعود إلى مَمانق الذّآك وتُحارق النجوم وعالم الرّوح ومَقعد الصّدق ومقام الأمن ومحلّ الكرامة ومراد الخلد وبلد الأبد ومعانٍ^(٢) السرمذ .

(٤) قال : هذا كلام تامّ ؛ وسأسألك بعد هذا عن النفس وما تحفظ عنهم فيها لكن تَمّ لى ما كنّا فيه ، كيف علم أى سليمان بالنجوم وأحكامها ؟ قلت : لا يتجاوز التقويم . ثم قال : فما تقول فى الأحكام ؟ قلت : أنشدت منذ أيّام :
علم النجوم على العقول وبال وطلاب حق لا يُنال محال

وقلت أيضا : علم الأحكام لا يجوز فى الحكمة أن يكون مدركا مكشوفاً مخاطباً به معروفا ؛ ولا يجوز أن يكون مقنوطاً منه مطرّحاً مجهولاً ؛ بل الحكمة توجب أن يتوسط هذا الفنّ بين الإصابة والخطأ حتّى لا يُستغنى عن اللّياذ^(٣) بالله أبداً ، ولا يقع اليأس من قبله أبداً ؛ وعلى هذا سخر الله الإنسان وقبضه^(٤) وخيّره بين الأمور وفوضه ؛ ومنع^(٥) من الثقة والطمأنينة إلا فى معرفته وتوحيده وتقديسه وتمجيده ، والرجوع إليه ؛ انظر إلى حديث الطب فإنّ عنده الصناعة توسّطت الصواب والخطأ ، لتكون الحكمة سارية فيها ، واللطف معهوداً بها ؛ لأنّ الطب كما يبرأ به الليل ، قد يهلك معه الليل ؛ فليس بسبب أن بعض

(١) « الغالبة » .

(٢) المان : المنزل .

(٣) « الكيام » .

(٤) فى الأصل : « وقبض له » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٥) ورد فى الأصل قبل هذه الكلمة « ماء ويا » ولم تتبين الصواب فيها ؛ ولعلهما

من زيادات النساخ لاستقامة الكلام بدونهما .

المُدَبِّرِينَ بالطب هلك لا ينبغي أَنْ يُنْظَرَ في الطب ؛ وليس بسببِ أَنْ بعض المرضى
 برأ بالطب وجب أَنْ يَمُوتَ عليه ؛ انظر إلى هذا التوسط في هذه الحال أَيْكون
 التدبير الإلهي والأمر الربوبي نافذَيْن في هذه الخلائق بوساطة ما بينه وبينها ؛
 ولتكون المصلحة بالغة غايتها ؛ وهذه سياسة دار الفناء ، الجامعة لسكانها على
 البأساء والنماء ؛ وهكذا ، فانظر إلى حديث البحر وركوب البأس المتيقن فيه ،
 وجوب الطول والعرض وإصابة الريح ، وطلب العلم ، كيف تَوَسَّطَ بين السلامة
 والعطب ، والنجاة والهلكة ، فلو أَسْتَمَرَّت السلامة حتى لا يوجد من يَفْرَقُ
 ويَهْلِك ، لكان في ذلك مَفْسَدَةٌ عامَّة ؛ ولو أَسْتَمَرَّت الهلكة حتى لا يوجد من
 يَسْلَمُ وينجو ، لكان في ذلك مَفْسَدَةٌ عامَّة ؛ فالحكمة إِذَا مَا تَوَسَّطَ هذا الأمرُ
 حتى يشكر الله من ينجو ، وَيُسَلِّمُ نفسه لله من يهلك . قلت : وبعد هذا فهذا
 العلم ^(١) عويع غامض عميق ، وقد فُقد العلماء به ، الملهَمون فيه ؛ ومعول أهله
 على الحدس والظن ، وعلى بعض التجارب القديمة التي تَكْذِبُ مرَّةً وتَصْدُقُ
 مرَّةً ؛ وبالصدق يعبر الإنسان ، وبالكذب يعرى من فوائده ؛ فالنقص قد
 دخله ، والخلل قد شمله ؛ وليس يجب أَنْ يوهب له زمان عزيز ، فوراءه ما هو
 أهمُّ منه وأجدرُّ ، وأرشد وأهدى .

(٥) قال : هذا حسن ، حدَّثني بالذي أفدت اليوم . قلت : قال أبو سليمان :
 العلم صورة المعلوم في نفس العالم ، وأنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة ^(٢)
 بالقوة . والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل . والتعلم هو بروز ما بالقوة إلى
 الفعل . والنفس الفلكية عالمة بالفعل ، والنفس الجزئية عالمة بالقوة ؛ وكل

(١) يريد علم النجوم وأحكامها .

(٢) في الأصل : « علامة » .

نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهي أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ، وتصيراً لها^(١) .

- قال : هذا في الحُسن نهاية ، وقد أكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء
 زمان ، وتفرغ قلب ، وإصغاء جديد ، هات خاتمة المجلس . قلت له : قرأنا يوم
 الجمعة على أبي عبيد الله المرزباني لعبد الله بن مُصعب :

إذا أستمعتُ منك بلحظ طرفي حتى نصفي ومات عليك نصفي
 تلذذُ مقلتي ويذوب جسمي وعيشي منك مقرون بجحشي
 فلو أبصرتني والليل داج وخدّي قد تَوَسَّطَ بطن كَفّي
 ودعى يستهل من المآقي إذا رأيت ما بي فوق وصفي
 وانصرفتُ .

الليلة الثالثة

- قال لي ليلة أخرى : حدثني أبو الوفاء عنك حديث الخراساني ، فأريد أن
 أسمعه منك . قال : كنت قائماً عشية على زَنَبَرِيَّة^(٢) الجسري [الجانب] الشرقي
 والحاج يدخلون ، وجمالهم قد سدت عرض الجسر — أنتظر جوازها وخفة الطريق
 منها ، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ذكّر لي أنه من أهل سَنَجَان^(٣) وأنها
 خلفَ الجمال يسوقها ، ويحفظ الرجال التي عليها ، حتى نظر إلى الجانب الغربي

(١) يقال : تصير أباه : إذا نزع إليه في شبهه .

(٢) في الأصل زيرة والزنبرتان هما السفيتان اللتان في الجسر في الجانب الغربي من بغداد يعبر عليهما السالكون كما في عيون الأنبا ١/١٧٩ .

(٣) في الأصل : « سحاب » ؛ ولم نجد هذا الاسم فيها راجعاً من الكتب المؤلفة في أسماء البلاد . وسنجان : قرية بمر .

فرأى الجذع عليه ابنُ بَقِيَّةٍ — وكان وزيراً صلبه الملكُ لذنوب كانت له — فقال :
لا إله إلا الله ، ما أعجب أمور الدنيا وما أقلُّ المفكر في غيرها ، وعبرها ، عضد
الدولة تحت الأرض وعدوه فوق الأرض ! .

قال : هكذا حدثني أبو الوفاء ، ولذلك أستأذنتُ في دفنه ، وكان كلام
الشيخ سبباً في ذلك .

(٢) قال : بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسلَ سجستانَ كما^(١) ويظلل
عندهم طاعماً ناعماً ، ويأنس بأنك معه ، فمن يحضر^(٢) ذلك المكان ؟ فقلت : جماعة ؛
وأخبر من كان في هذا الأسبوع الماضي ابنُ جبلة الكاتب ، وابنُ برمويه^(٣) ، وابن
الناظر^(٤) أبو منصور وأخوه ، وأبو سليمان وبندار^(٥) المغمي^(٦) وغزال الراقص ، وعلم^(٧)
وراء الستارة . فقال : ما الذي حفظت من حديث^(٨) عنهم ، وما يجوز أن يلقي
إلينا منهم ؟ فقلت : سمعت أشياء ، ولست أحب أن أسمي نفسي بنقل الحديث
وإعادة الأحوال فأكون غامزاً وساعياً ومفسداً . قال : معاذ الله من هذا ، إنما
تدلُّ على رشد وخير ، وتفضل^(٩) عن غيٍّ وسوء ، وهذا يلزم كلَّ من آثر الصلاح
الخاصَّ والمأمَّ لنفسه وللناس ، وأعتقد الشفقة ، وحثَّ على قبول النصيحة ؛ والنبيَّ

(١) المم : الجمع ؛ يريد أنه يزورهم مجتمعين .

(٢) « ينظر » .

(٣) في الأصل : « ابنُ زمويه » ، وقد ورد ذكر ابنِ برمويه في كتاب ذيل تجارب
الأمم ؛ وهو الحسن بن برمويه ، كان كاتباً لوالدة صمصام الدولة وكان ممن تأسروا على الإيغاق
بإين سعادن وقتله ، ثم استوزر ابنُ برمويه لصمصام الدولة مشتركاً في الوزارة مع أبي القاسم
عبد العزيز بن يوسف .

(٤) في الأصل : « ابنُ الناظر » ، وهو من رجال صمصام الدولة .

(٥) في الأصل : « يكدان » ؛ وهو تحريف .

(٦) « المفكي » .

(٧) علم : اسم جارية .

(٨) في الأصل : « حديثنا » والنون والألف زيادة من الناسخ .

(٩) « تصل » .

صلى الله عليه وسلم قد سمع مثل هذا. وسأل عنه ، وكذلك الخلفاء بعده ، وكلُّ أحد محتاج إلى معرفة الأحوال إذا رجع إلى مرتبة عالية أو محطولة . فقلتُ وجدتُ ابنَ برمويه^(١) يذكر أشياء هي متعلقة بجانبك ، ويرى أنها لو لم تكن لكان مجلسك أشرف ، ودولتك أغزى ، وأيامك أذوم ، ووليكك أحد ، وعدوك أكمد . قال^(٢) : ما هذا الاسترسال كله [إلى] ابن شاهويه^(٣) ؟ وما هذا الكلف بهرام^(٤) ؟ وما هذا التعصب لابن مكيخا^(٥) ؟ وما هذا السكون إلى ابن طاهر^(٦) ؟ وما هذا التعويل على ابن عبدان^(٧) ؟ وما من هؤلاء أحد إلا يرش^(٨) عدوه ويبريه ويضل صاحبه ويغويه^(٩) . أما ابن شاهويه فشيخُ إزراء^(١٠) وصاحبُ محرقة^(١١)

(١) « زمويه » .

(٢) قال ، أى ابن برمويه المحدث عنه .

(٣) ابن شاهويه هذا هو غير ابن شاهويه الفقيه الذى مر ذكره فى مقدمة الكتاب . أما هذا فكان عاملاً كبيراً من عمال صمصام الدولة ، قام بالدعوة له بمان حتى أذعنت له سنة ٣٧٤ ، ثم غضب عليه صمصام الدولة وحبسه مع ابن سعدان ، ثم نجا من القتل بأعجوبة ، ثم عفى عنه سنة ٣٧٥ .

(٤) هو أبو سعيد بهرام بن أردشير ، كان من رجالات صمصام الدولة ، وكان صديقاً لابن سعدان . يقول ابن سعدان فى وصفه : « إني أرى حديثه آتق من المني إذا تحركت والدنيا إذا ملكت ، وإن تمازجنا بالقل والروح والرأى والتدبير ... ليزيد على حال توأمين تراكضاً فى رحم وتراضاً من ثدى ونوغيا فى مهد » . وقد قبض عليه مع ابن سعدان وقتل معه سنة ٣٧٥ .

(٥) فى الأصل « ابن مكيخا » والجيم زائدة ، وما أثبتناه عن ذيل تجارب الأمم وقد كان أبو على بن مكيخا صاحب ديوان الخزان كعضد الدولة كما عمل من بعده لصمصام الدولة . (٦) هو أبو عبد الله بن طاهر ، كان نائباً عن أبى نصر سابور كما كان من رجالات صمصام الدولة قتل سنة ٣٨٠ .

(٧) « ابن عمان » .

(٨) يرش عدوه الخ كناية عن تقويته للعدو وإعانتة على النكاية ، وأصله من راش السهم يرشه إذا ألزق به الريش ليكون أسرع إلى الهدف .

(٩) فى الأصل : « يصل صاحبه ويقويه » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) الإزراء : الفش والتلبس . يقال : أزرى به إذا أدخل عليه أمراً يريد أن يلبسه عليه .

(١١) المحرقة : الحق والكذب .

بين اللذائذ « همه أن يتحسّى دَنّ الشراب في نفس أو نفسين ، ثم يسقط كالجليذع اليابس لا لسان ولا إنسان .

وأما ابن طاهر فرجل يدعى للناس أنه لولا مكانته وكفايته وحسبه ورأيه ومشورته لكانت هذه الوزارة سرايا ، وهذه المملكة خرابا ؛ هذا مع الشر^(١) الذي في طبعه وعادته ؛ فإن جرى خيرٌ انتحلّه ، وزعم أنه من نتائج رأيه^(٢) ؛ وإن وقع شرٌ عصبه برأس صاحبه ، وادّعى أنه استبدّ^(٣) به ؛ ومع هذا فهو يعيب^(٤) هذه المراءاة . وما أدري كيف استكفى^(٥) هذه الجماعة حوله ؟ وكيف يظهر^(٦) هوبها ويسكن إليها ؟ وما فيهم إلا من وكّده الرجس والإفساد والأخذ بالمصانعة وإغراء الأولياء بما يعود بالوبال على البرى والسقيم وعلى الزكى والظنين^(٧) ؛ هؤلاء مباع ضارية ، وكلاب عاوية ؛ وعقارب لساعة ، وأفاعٍ نهاشة ، وفق الله هذا الإنسان العرّة^(٨) المبارك الكريم الرحيم ، فإنه شريف النفس طاهر الطوية^(٩) ، لئِنْ العريكة ، كثير البليانة ، وهذه أخلاق لا تصلح اليوم مع الناس ، قال الشاعر^(١٠) :

ومن لا يذُد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقال :

ومن لا يذُد عن حوضه الناس أو يكن له جانب يشتد إن لان جانب

(١) « السر » .

(٢) « يناج زلته » .

(٣) « أسيد » .

(٤) في الأصل : « عيب لهذه » .

(٥) « استكفيت » والتاء زيادة من الناسخ .

(٦) يظهر : يهاون .

(٧) الزكى : الطاهر النقي . والظنين : التهم .

(٨) « الحير » .

(٩) « ظاهر الخوية » .

(١٠) الشاعر زهير بن أبي سلمى .

وكذب ظاهره، كثير الإيهام، شديد التقوية، لا يرجع إلى وِدِّ صادق، ولا إلى عقد صحيح وعهد محفوظ؛ وإنما كان الماضي يقربه لغرض كان له فيه من جهة هؤلاء الخوارج القرامطة، وكان أيضا مذموم^(١) الهيئة، فكان لا ينبس^(٢) إلا بما يقويه ويحرس حاله، واليوم هو رخي اللب^(٣)، جاذب لكل سبب؛ وليس هناك كفاية ولا صيانة^(٤) ولا ديانة ولا مروءة؛ وبعد، فهو مشثوم نكيد، ثقل الروح، شديد البهت^(٥) قوله الإفساد وعادته تأجيل^(٦) اللهمنا والشامة بالمأثر^(٧) والتشفي من المنكوب.

وأما بهرام فرجل مجوسى معجب ذميم، لا يعرف الوفاء ولا يرجع إلى حفاظ، غرضه^(٨) أن يتبجح في الدنيا بجاهه، ولا يبالي أين صار بماقته؛ وهو يحض^(٩) مع ذلك عليه في كل ما هو مديره ومدبره.

وأما ابن مكيخنا، فرجل نصراني أرعن خسيس، ماجاه يوما بخير قط^(١٠) لا في رأى ولا في عمل ولا في توسط؛ وأصحابنا يلقبونه بقفا وهو «منهمك»^(١١)

(١) مذموما بالهيئة.

(٢) ينبس: يتكلم.

(٣) رخي اللب، أى متسع الحال. وهو مجاز؛ وأصل اللب ما بعد من سيور السرج في الية من صدر الدابة لينع استئثار الرجل.

(٤) «صناعة».

(٥) البهت: الكذب والباطل.

(٦) في الأصل: «تجيل» وسياق السلام يقتضى ما أثبتنا. واللهنا مصدر ميمي

(٧) «بالفار»؛ وهو تصحيف.

(٨) «مرضه».

(٩) يحض مع ذلك الخ، أى ينرى الناس بالوزير ويغسد قلوبهم عليه.

(١٠) وردت هذه العبارة في الأصل معرفة الحروف، مهمل أكثرها من النقط؛ وما

أثبتناه أقرب إلى الرسم الوارد في الأصل، كما أن سياق الكلام الآتى يقتضيه.

يَطْلَأُ حَوْضَهُ لِلْمُسْتوردون وتَفْشَهُ شَوَائِبُ لَا تَبْقَى عَلَيْهَا النِّقَائِبُ ^(١)
وما ضاع قولهم : لَا تَكُنْ حُلُوا فَتَوْكَلْ ، وَلَا مَرًّا فَتُعَاف . ليس الحَذَرُ يَقِي ^(٢)
فَكَيْفَ التَّهَوُّرُ ، أَهْمُنَا لِيَحْيَى تُسَحَّبُ كُلُّ يَوْمٍ ، وَطَوَارِقُ تُتَوَقَّعُ كُلُّ لَيْلَةٍ ! وَالتَّوَكَّلُ
وَالْأَمْسِلَامُ يَلِيقَانِ ^(٣) بِأَهْلِ الدِّينِ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ؛ فَأَمَّا أَصْحَابُ الدُّنْيَا وَأَرْبَابُ
الْمَرَاتِبِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَدْعُوا الْهُوَيْنَا جَانِبًا ، وَيَشْمُرُوا لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ ؛ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ
وَيَكُونُ ضُرُّهُمْ أَكْثَرَ ، وَشَرُّهُمْ أَغْلَبَ ؛ وَرَهَبُوتُ خَيْرٍ مِنْ رَحْمَتٍ .
ولهذا قال الأعرابي :

أَنَا الْغَلَامُ الْأَعْسَرُ الْخَيْرُ فِي وَالشَّرِّ
وَالشَّرِّ فِي أَكْثَرُ

وهذا معنى بديع ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ الْبِدَاءَةَ بِالشَّرِّ خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي أَتَقَي
بِالشَّرِّ ، وَإِذَا أَقْبَلَ الشَّرُّ قُلْتُ لَهُ : مَرْحَبًا ، وَأُدْفَعُ الشَّرَّ وَلَوْ بِالشَّرِّ ، وَالْحَدِيدُ
بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ ^(٤) . وَقَدْ قَالَ الْآخَرُ ^(٥) :

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال ابن دارة :

إِذَا كُنْتُ يَوْمًا طَالِبَ الْقَوْمِ فَأُطْرَحُ مَقَاتِلَهُمْ وَأَذْهَبُ بِهِمْ كُلُّ مَذْهَبٍ
وَقَارِبُ بَنِي حِلْمٍ وَبَاعِدُ بِجَاهِلٍ جَلُوبٍ عَلَيْكَ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ مَجْلَبٍ
فَإِنْ حَدِّثُوا ^(٦) فَأَقْعَسُوا وَإِنْهُمْ تَقَاعَسُوا لَيْسْتُمْ سَكُونًا يَمِيدُونَ فَأُخَذَبُ

(١) شَوَائِبُ ، أَيُ عَيُوبٍ تَخَالُطُ أَخْلَاقَهُ . وَالنِّقَائِبُ : السَّجَايَا وَالْأَخْلَاقُ ، الْوَاحِدَةُ نَقِيبَةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لَيْتَ الْحَذَرُ وَقَى » وَقَوْلُهُ بَعْدَ « فَكَيْفَ » الْحِجْ يُفْتَضَى مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) « يَلْتَفِيَانِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) يَفْلَحُ : يَشْقُ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « نَجَاةٌ لَكَ » وَقَوْلُهُ « لَكَ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) حَدِّثُوا : مِنَ الْحَدَبِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ خُرُوجُ الظَّهْرِ وَدُخُولُ الصُّدْرِ وَالْبَطْنِ .

وَالْقَعْسُ بِالتَّحْرِيكِ : عَكْسُهُ .

وإن حلبوا خَلْقَيْن^(١) فأحلب ثلاثة وإن ركبوا يوما لك الشر فاركب
وقال الحجاج بن يوسف أبو محمد — وهو من رجالات العرب وقد قهر العجم
بالدهاء والزكاة — «لو أخذتُ من الناس مائة ألف، كان أرضى عني من أن
أفرق فيهم مائة ألف». كان الناس بالأمس مزمومين^(٢) مخطومين، يقوم كل واحد
بنفسه على نفسه، ويَتَمَّ غَدَهُ لما جناه في أمسه؛ لأن التَّكَلِّفَ السَّعِيدَ ساسهم،
وقوم زيغهم، وقلم أظفارهم؛ وشغلهم بالحاجة عن البطر والأشر، وبالكفاية
عن القلق والضجر؛ وتقدَّم^(٣) إليهم بترك الخلوص فيما لا مرجوع له بخير؛
وكانوا لا يشكرون الله على نعمته عليهم به، وإحسانه إليهم بمكانه، فسلبوه
فَتَنَفَسَ خَنَاقُهُمْ، وأتسع نِطَاقُهُمْ، فامتطى كل واحد هواه، ويوشك أن يقع
في مَهْوَاة.

قال: وههنا أشياء أخرى غير هذه، ولكن من يسمع ويقبل؟ ومع هذا
فالأمر صائرٌ إلى مصايرها، كما أنها صادرة عن مصادرها.
فقال له ابن جبلة: ما عندي إلا أن الوزير — أبقاه الله — عارفٌ بهم
ومستبطنٌ لأمرهم؛ مع العشرة القديمة، والملازمة المتصلة، والخبرة الواقعة؛
ولكن [لا بدَّ]^(٤) لمن كان في محلِّه ورفعته من جماعة يقرَّبهم، ويرجع إليهم
ويسمع منهم، وينظر بأعينهم، ويصغي بأذانهم، ويتناول بأيديهم. فقال له
بجواب: إن كان عارفاً^(٥) بهم، ومستبطناً لأمرهم، وخبيراً بشأنهم؛ فلم سلَّطهم
وبسلَّطهم، وحدد أنيابهم، وقوى أسنانهم، وفتح أشداقهم، وطول أعناقهم

(١) الخلف: الضرع.

(٢) في الأصل «مرموقين مخطومين»؛ وهو تحريف. وسياق الكلام الآتي يبدى
يقتضى ما أثبتنا. ومزمومين مخطومين، من الزمام والخطام.

(٣) تقدم إليه بكذا أمره.

(٤) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها.

(٥) «فارفا بهم مثكبنا»؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين.

وقطع أرباقهم ؛ وأبطرهم فأسكرهم ، حتى صاروا يجهلون أقدارهم ، وينسون ما كانوا فيه من القلة والذلة ؟ هلاً^(١) رتب كل واحد منهم فيما تظهر به كفايته ولا يرفعه إلى ما يظن معه الظن الفاسد ، ولم يضحك في وجوههم ، ويفضي^(٢) على جنائهم ؟ أما بلغه أن ابن يوسف قال^(٣) : تشبته بأبن شاهويه لأنه قد أعدّه للهرب إلى القرامطة إن دهمه أمر ؟ وأنسه بهرام إنما هو لاستمداد^(٤) الفساد منه وتقديعه لابن طاهر للسرقة على يده ، وفرحه بأبن مكينجا^(٥) للسخرية به وتقريبه لابن الحجاج للسخف ، ولهجه بأبن هرون للهزء واللعب .

قال له ابن جبلة : من أراد أن يحسن القبيح عند رضاه ، ويقبح الحسن عند سُخطه فعل ، ولا يخلو أحد تهب ريحه^(٦) ، ويعلو شأنه ، وينفذ أمره ونهيه من حاسد وقار^(٧) ، ومُدخل ومُرَجِف ، على هذه الأمور بُنيت الدار ، وعليها هجرت الأقدار ، إن كنت تنكر هذا الرهط ، فاعرف له^(٨) الرهط الآخر ؛ فإنك تعرف بذلك حسن اختياره وجميل انتقائه ومحمود رأيه .

قال : من هم ؟ قال : أبو الوفاء المهندس ، وابن زرعة المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، ومسكويه ، والأهوازي والمسجدى فأين هؤلاء الغامطة^(٩) ؟

(١) « على » .

(٢) « يقضي » .

(٣) « طال » .

(٤) « الاستمداد » .

(٥) « ابن مكينجا » .

(٦) تهب ريحه : كناية عن نهوض الحظ وقيام الدولة .

(٧) قار ، أي كاذب ظالم . والمدخل : العائب ، من الدخل بالتحريك وسكون الحاء

بمعنى العيب .

(٨) له ، أي للوزير .

(٩) « فالآن » .

(١٠) الغامطة : الذين لا يشكرون النعمة . ويشير بهذا الوصف إلى الجماعة المتقدم ذكرهم

وهم ابن شاهويه وبهرام الخ . يريد أين هؤلاء من هؤلاء .

قومٌ هُمهم أن يأكلوا رغيفا ويشربوا قدحا ، لا هم ممن يُقْتَبَس من علمهم ولا هم ^(١) يتكلفون له نصحا ، وهيبته ^(٢) تعوقهم عن ذكر شيء في الدولة من تلقائهم إلا أن يكون شيء يتعلق بهم على معنى خاص ؛ فهو ينود ^(٣) هكذا وهكذا حتى يبلغ منهم ما قدر عليه .

فلما سمع الوزير هذا كله قال : سألقى إليك في جواب هذه المسألة ما تخدمني به إن لاقيتهم في مجلس آخر على وجه يُخْفِي ^(٤) أنك له ملقن مُحْكَل كأنك ساء عنه غير حافل به ؛ وقد تقطع الليل ، ويحتاج في هذا الحديث إلى أستئناف زمان ، بعد أستيفاء حمام ؛ ثم أنشدت قول الشاعر :

إني لأصفح عن قومي وألبسهم على الضفائن حتى تبرأ المئزر

ثم قال : ما المئزر ؟ قلت : هي الضفائن التي ذكرها في حشو البيت ، واحدا مئزة ، كأنه أراد وألبسهم على الضفائن [حتى تبرأ الضفائن ^(٥)] فرجع من لفظ إلى لفظ ضرورة القافية لئلا كان معناهما واحدا ؛ قال : لمن هذا البيت ؟ قلت : لأحفظ أسم شاعره ، ولكن أحفظ معه أبياتا . قال : هاتها ؛ فأنشدت أول ذلك :
يأئبها الرجل المزعجي أذيتته ^(٦) هل أنت عن قولك العوراء مزدجر ^(٨)
إني إذا عدت مبطلا ^(٧) إلى أمد لا يستطيع حضاري المقرف البطر

(١) « لا هو » .

(٢) « عتقهم » .

(٣) ينود : يتحرك ويتأبل . والمراد أنه يلوح هكذا وهكذا بالكلام .

(٤) « الخفي » .

(٥) هذه العبارة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام بدونها ، فإن قوله : « وألبسهم على الضفائن » من لفظ البيت ، فلا يصح أن يقال فيه : « كأنه أراد » .

(٦) « أذيتته » .

(٧) « مد مبطاء » .

(٨) الحضار ، بكسر الحاء والمهاضرة : المالبة في الحضر بضمها ، وهو المد والسريع . =

لاقى قناتى مِصرارا عَشَوَزَةً^(١) لا قادح قد تبغها ولا خورُ
إنى لأصنع عن قومي وألبسهم على الضفائن حتى تبرأ المِندُ
قال : أكتبها . قلت : أفعلُ ، وأنصرفُ ، فأعاد على بعد ذلك شيئاً مما كان .

الليلة الرابعة

(١) قال لى بعد ذلك فى ليلة أخرى : كيف رضاك عن أبى الوفاء^(٢) ؟ قلت :
أرضى رضا بآتم شكر وأحد ثناء ؛ أخذ بيدي ، ونظر فى معاشى ، ونشطنى
وبشرنى ، ورعى عهدى ، ثم ختم هذا كله بالنعمة الكبرى ، وقلّدى بها القلادة
الحسنى ، وشملنى بهذه الخدمة ، وأذاقنى حلاوة هذه المزية ، وأوجهنى عند نظرائى .
قال : هات شيئاً من الغزل . فأنشدته :
كلانا سواء فى الموى غير أنها تجلّد أحياناً وما بى تجلّد

== والغرف من الخيل : ما أمه عربية وأبوه أعجمى . والبطر بكسر الباء : من البطر بالتحريك ؛
وهو هنا بمعنى التبعير والدمش والأنهار . يريد أنه يتحير ويدهش حين يسابق أسرع منه فيقصر
عن مسابقته بسبب ذلك . ويقال للبعير القطوف إذا جارى بغيراً واسع الخطو فقصرت خطاه عن
مباراته : « قد أبطره ذرعه » أى حمله على أكثر من طوقه .

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

لاقى قناتى مِصرارا عسورة لا قارح قد تبغها ولا خور
وفى بعض ألفاظه تحريف ظاهر . ومِصرارا ، أى ذات صرر ، أى صوت . والعرب يصفون
الفنّانة الجيدة بأنها تصوت عند غمرها ، كما يدل على ذلك بيت عمرو بن كلثوم الآتى . والعشوزة :
الصلبة الشديدة الفليضة ، قال عمرو بن كلثوم يصف قنات :
عَشَوَزَةٌ إِذَا تُهْمَزَتْ أَرْتِ تَشَجَّ قِصَا لِلتَّقِّفِ وَالْجِينَا
والقادح : أكل يقع فى الشجر . والصديق فى السود .

(٢) يريد أبى الوفاء المهندس ، وهو محمود بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس ، مولده
بيوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ ، وانتقل إلى العراق سنة ٣٤٨ ، وكان إماماً فى الحساب
والمهندسة والجبر والفلك ؛ توفى سنة ٣٨٧ كافى ابن الأثير أوسنة ٣٨٨ كافى تاريخ الحكماء .
وهو الذى ألّف أبو حيان له هذا الكتاب .

تخاف وعيد الكاشحين وإنما جنوني عليها [حين] أنهي وأبعد
ثم قال : غالب ظني أن نصرا غلام خواشاه^(١) ما هرب من فنائي إلا برأيك
(٢) وتجسرك ؛ فإن ذلك عبد ، ولا جرأة له على مثل هذا التدود والشذوذ ، فقد
قال لي القائل : إنك من خلصانه .

قلت : والله الذي لا إله إلا هو ما كان بيني وبينه ما يقتضي هذا الأنس
وهذا الاسترسال ، إنما كنا نلتقي على زنبورية^(٢) باب الجسر بالمشايا وعند
البيمارستان وعلى باب أبي الوفاء ؛ وإنما ركنت إليه لمرقته^(٣) وتاسومته
عند ما كنت رأيته عند صاحبه بالرعي سنة تسع وستين وهو متوجه إلى
قابوس وجرجان ، في المذلة الدائمة والحال المربوطة^(٤) ؛ ولو تبس لي بحرف
من هذا^(٥) ، أو كنت أشعر بأقل شيء منه ، لكنت أقوله لأبي الوفاء
قضاء لحقه ، ووفاء بما له في عنقي من مننه وخوفا من هذا الظن بي ، وقصورا
عن اللائمة لي .

قال : أفأعرف أحدا تسأله عنه ممن كان يخاطله ويباسطه ؟ قلت :
ما رأيته إلا وحده ؛ ولم كان زمان التلاق ؟ كان أقل من شهر ، أفى هذا
القدر يتوكد الأنس وترتفع الحشمة وتستحكم الثقة ويقع الاسترسال والتشاور ؟

(١) خواشاه هو أبو نصر خواشاه كان فارسياً من كبار رجال شرف الدولة البويهى
وكان سفيراً في الاتفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة .

(٢) انظر تفسير هذا اللفظ في الحاشية رقم ٢ صفحة ٤١ .

(٣) الرقعة : من لبس الصوفية ، لما فيها من الرقع . والتاسومة : كلمة شائعة الاستعمال
عند العامة في نوع من المنال البالية يليسه الفقراء ؛ ولم نجدناها في راجعناه من كتب اللغة ، كما
أنها لم ترد فيها بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الألفاظ العامية والدخيلة .

(٤) لعله يريد بالمربوطة في هذا الموضع ، الواقفة عند حد من الفاقة لا تنتقل عنه .

(٥) من هذا ، أى من أمره به .

هذا بعيد . قال : هذا المتخلف^(١) كنتُ قد قرَّبته وربَّته ، ووعدته ومنيته ؛ وتقدمت إلى أبي الوفاء بالإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وإذكاري بأمره في الوقت بعد الوقت ، حتى أزيد نباهة وتقديما ، فترك هذا كله وطوى الأرضَ كأنه هارب من حبس ، أو خائف من عذاب . ويقال في الأثر : إن بعض الصفيحيين^(٢) قال : لله قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل ، ما أكثر من يفتر من هذه الكرامة ، ويقوى — على ترفٍ جَمٍّ — على الهوان ، ويصبر على البلاء ، ويقلق في العافية ! إن السجايا المختلفة ، وإن الطباع المتعادية ؛ قلما يرى شخصان يتشاكلان في الظاهر إلا يتباينان في الباطن . قلتُ : كذلك هو .

(٣) قال : حدثني لم أمتنع من النفوذ مع ابن موسى إلى الجبل فيما رستمنا له أن يتوجه فيه ؟ ولقد أطلتُ التعجب من هذا وكررته على أبي الوفاء . فقلتُ : معنى من ذلك ثلاثة أشياء : أحدها أن ابن موسى لم يكن من شكلي « ولا أشدَّ للصدِّ »^(٣) هونا^(٤) من مصاحبة الصدِّ^(٥) ، لأنه سوداوي وجمد . والآخر أنه قيل : ينبغي أن تكون عيننا عليه ، وأنا لو قررت لك الحديث لما رأيته [لائقا^(٦)] بحالي ، فكيف إذا قرنتُ برجل باطل^(٧) لو مرَّ بوجهه أسرى

(١) يريد بالمتخلف : هذا النلام الأبق ، لتخلفه عن متابعة مولاة .

(٢) الصفيحيون : نسبة إلى الصفيح ، وهو من أسماء السماء ، يريد المتعبدين المتلفة قلوبهم بالعالم العلوي .

(٣) وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في الأصل معرفة لا معنى لها وما أثبتناه هو أقرب الحروف إلى الرسم الوارد في الأصل ، كما أن سياق الكلام يقتضيه .

(٤) الهون : القل والهوان .

(٥) « الصك » .

(٦) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، ولعله يريد أنه لو اكتفى بنقل

حقيقة الحديث لما كان ذلك لائقا بحاله لما في هذا العمل من وصفه بالسعاية والوشاية .

(٧) يريد بالباطل أنه يأخذ بالشبهات والظنون الباطلة .

لَتَهْدِنِي^(١) من أعلى جبل في الطريق . والآخَرُ أَنِّي كُنتُ أَقْدِمُ مَعَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى ابْنِ عَبَّادٍ — وَهُوَ رَجُلٌ أَسَاءَ إِلَيَّ وَأَوْحَشَنِي ، وَحَاوَلَ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِهِ ابْنَ شَاهَوِيهِ أَنْ أَتَقَلَّبَ إِلَيْهِ ثَانِيًا ؛ وَكُنتُ أَكْرَهُ ذَلِكَ ، وَمَا كُنتُ^(٢) آتَمُّ مَا يَكُونُ مِنْهُ وَمَتَّى ، وَالْمَجْنُونُ^(٣) الْمَطَاعُ ، مَهْرُوبٌ مِنْهُ بِالطَّبَاعِ .
وَبَعْدَ ، فَلَيْسَ لِي [حَاجَةٌ] ^(٤) فِي مِثْلِ هَذِهِ الْخِدْمَةِ ، لِأَنَّ صَدْرَ الْعَمْرِ خِلَامَتِي عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَ وَسْطُهُ أَضْعَفَ سَحْلًا ، وَأَبْعَدَ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : مَا كَانَ عِنْدِي هَذَا كُلَّهُ .

- قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ أَتَتْجَعَتَهُ وَخَبَرْتَهُ وَحَضَرْتَهُ^(٥) .
مَجْلِسُهُ ، وَعَنْ أَخْلَاقِهِ وَمَذْهَبِهِ وَعَادَتِهِ ، وَعَنْ عِلْمِهِ وَبِلَاغَتِهِ ، وَغَالِبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَمَغْلُوبِ مَا لَدَيْهِ ؛ فَمَا أَظُنُّ أَنِّي أَجِدُ مِثْلَكَ فِي الْخَبَرِ عَنْهُ ، وَالْوَصْفِ لَهُ ، عَلَى أَنِّي قَدْ شَاهَدْتَهُ بِهِمَا ذَانِ لَمَّا وَافَى ، وَلَكِنِّي لَمْ أُعْجِبْهُ ، لِأَنَّ اللَّبِثَ كَانَ قَلِيلًا ، وَالشَّغْلَ كَانَ عَظِيمًا ، وَالْعَائِقَ كَانَ وَقَعًا .
فَقُلْتُ : إِنِّي رَجُلٌ مَظْلُومٌ مِنْ^(٦) جِهَتِهِ ، وَعَاتِبٌ عَلَيْهِ فِي مَعَامَلَتِي ، وَشَدِيدُ الْفَيْضِ لِحَرَمَانِي ، وَإِنْ وَصَفْتُهُ أَرَيْتُ^(٧) مُنْتَصِفًا^(٨) ، وَانْتَصَفْتُ مِنْهُ مَسْرِفًا^(٩) ،

(١) دَهَمَهُ : دَحَرَجَهُ .

(٢) « وَمَا أَكْتُبُ » .

(٣) « وَالْمَجْكُوتُ » .

(٤) مَوْضِعُ هَذَا اللَّفْظِ فِي الْأَصْلِ حُرُوفٌ مَطْبُوسَةٌ تَتَعَنَرُ قِرَاءَتُهَا ، وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَاهُ أَوْ مَا يَفِيدُ مَعْنَاهُ .

(٥) « أَمْرٌ » .

(٦) أَرَيْتُ : زِدْتُ .

(٧) وَرَدَ فِي الْأَصْلِ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَامٌ وَمِيمٌ ؛ وَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ ، لِاسْتِقَامَةِ الْكَلَامِ بِدُونِهِمَا .

(٨) « مُشْتَرَفًا » ، وَقَدْ وَرَدَ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ حَاءٌ وَيَاءٌ ؛ وَلَهُمَا مِنْ زِيَادَاتِ النَّسَاجِ .

فلو كنت معتدل الحال بين الرضا والغضب ، أو عاريا منهما جملة ، كان الوصف أصدق ، والصدق به أخلق ؛ على أنى علمت رسالة في أخلاقه وأخلاق ابن العميد أودعتها نفسى الغزير ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ولا جسارة لى على تحريرها ، فإن جانبى مهيب ، ولكره ديب ، وقد قال الشاعر :

إلى أن يغيب^(١) الرءى يرعى ويثقى ولا يعلم الإنسان ما فى الغيب

قال : دع هذا كله ، وأنسخ لى الرسالة من المسودة ، ولا يمنعتك ذلك فإن العين لا ترمقها والأذن لا تسمعها واليد لا تنسخها .

وبعد ، فما سألتك إلا وصفه بما جُبِلَ عليه ، أو بما كسب^(٢) هو بيديه من خير وشر ؛ وهذا غير منكر ولا مكروه ، لأمر الله تعالى ، فإنه مع علمه الواسع ، وكرمه السابغ ، يصف المحسن والمسيء ، ويثنى على هذا وينثو^(٣) على ذاك ؛ فأذكر لى من أمره ما خفى اللفظ به وسبق الخاطر إليه وحضر السبب له .

قلت : إن الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان ؛ قد تنف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ؛ والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة ، وكتابته مهجنة بطرائقهم ، ومناظرته مشوبة^(٤) بعبارة الكتاب ؛ وهو شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فى أجزائها كالمهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد ؛ وليس [عنده]^(٥) بالجزء

(١) يغيب ، أى يموت . وفى الأصل « يعيش » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٢) « كتب » بالناء .

(٣) « ينثو على ذلك » ، أى يخبر عنه بذنوبه ، يقال : « ثا على فلان ذنوبه » ، إذا أخبر بها عنه وأشاعها .

(٤) كذا فى معجم الأدياء . والذى فى الأصل : « مسترقة » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ ومكانها كلمة مطبوعة تصنف قاءتسا .

الإلهى خبر، ولا له فيه عين^(١) ولا أثر؛ وهو حسن القيام بالتروض والقوافي؛ ويقول الشعر، وليس بذلك؛ وفي بديهته غزارة. وأما رويته^(٢) فغزارة؛ وطالمة الجوزاء، والشعرى قريبة منه؛ ويتشيع لمذهب أبي حنيفة ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى الرقة والرأفة والرحمة، والناس كلهم محبسون عنه، لجراته وسلطته واقتداره وبسطته؛ شديد العقاب لطيف الثواب، طويل العتاب؛ بنىء اللسان؛ يعطى كثيرا قليلا (أعنى يعطى الكثير القليل)، مغلوب بحرارة الرأس، سريع الغضب، بعيد النية^(٣) قريب الطيرة، حسود حقود حديد، وحسده وقف على أهل الفضل، وحفده سار إلى أهل الكفاية؛ أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سلوته، وأما المنتجعون^(٤) فيخافون جفوته؛ وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة، فحوة وتمتعا وتجبرا وزهوا؛ وهو مع هذا يخدعه الصبي، ويغلبه النوى؛ لأن المدخل عليه واسع، والمآلى إليه سهل؛ وذلك بأن يقال: مولانا يتقدم بأن أعاز شيئا من كلامه، ورسائل منشوره ومنظومه؛ فما جئت الأرض إليه^(٥) من فرغانة ومصر وتقليس إلا لأستفيد كلامه وأفصح به، وأتعلّم البلاغة منه؛ لكننا رسائل مولانا سور قرآن، وفقره فيها آيات فرقان؛ واحتجاجه من ابتدائها إلى انتهائها برهان فوق برهان؛ فسبحان من جمع العالم في واحد، وأبرز جميع قدرته في شخص.

(١) «جين ولا لبر».

(٢) كذا في معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٧٦ الطبعة الأولى. والفى في الأصل: «بديته» ولا يستقيم مع العبارة السابقة.

(٣) «النية». والتصحيح عن معجم ياقوت. والفيئة: الرجعة.

(٤) «المنكبطون».

(٥) «إلا من فرغانة» وقوله «إلا» زيادة من الناسخ.

فيلين عند ذلك ويزدوب ، ويلهى عن كل مهم له ، وينسى كل فريضة عليه ويتقدم إلى الخازن ^(١) بأن يُخرج إليه رسائله مع الورق ^(٢) والورق ويسهل ^(٣) له الإذن عليه ، والوصول إليه ، والتمكّن من مجلسه ؛ فهذا هذا .

ثم يعمل في أوقات كالמיד والقفل شعرا ، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم ، ويقول : قد نحلّتك هذه القصيدة ، امدحنى بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من الهجج ^(٤) المُفسدين ^(٥) . فيعمل أبو عيسى — وهو بندادى محكك ^(٦) قد شاخ على الخدائع وتحتك — ويُشيد ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه ووصفه بلسانه ، ومدحه من تجبيره : أعد يا أبا عيسى ، فإنك — والله — تُجيد زه يا أبا عيسى والله ، قد صفا ذهّنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ؛ ليس هذا من الطراز الأول حين أنشدتنا في العيد الماضى ، مجالسنا تُخرج الناس وتهب لهم الذكاء ، وتزيد لهم الفطنة ، وتحول الكودن ^(٧) عتيقا ، والمحمر ^(٨) جوادا ؛ ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنتيه ؛ وعطية هنيئة ؛ ويغبط الجماعة من الشعراء وغيرهم ، لأنهم يملون أن أبا عيسى لا يقرض مضراعا ولا يزن بيتا ولا يذوق عروضا .

قال يوما : من فى الدار ؟ فقيل له : أبو القاسم الكاتب وابن ثابت ؛ فعمل

(١) « الخازن » .

(٢) يريد بأحد الورقين : الفرام الضرورية ، وهو بفتح الراء وكسرهما .

(٣) كذا فى معجم الأدياء ج ٢ ص ٢٧٧ الطبعة الأولى . والنسب فى الأصل : « ويهلم » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) « الهجج » ، وفق حروفه قلب .

(٥) « المُفسدين » وما أثبتناه من معجم الأدياء .

(٦) محكك ، أى مجرب مدرب .

(٧) الكودن : الفرس الهجين . والعتيق : عكسه .

(٨) المحمر : الفرس الهجين .

في الحال بيتين ، وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنت لمُذِين فأَدْخُلْ بَمدِّها بساعة
وقل : « قد قلت »^(١) بيتين ، فإن رسمتَ لي إنشادها أنشدتُ « وأزعم أنك
بُدِيتَ بهما ، ولا تجزع من تأفُّي بك ، ولا تجزع من نُكْرِي عليك ، ودفعَ
البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن ؛ وأذن للرجلين حتى وصلا ؛ فلما
جلسا وأنسا^(٢) دخل الآخر^(٣) على تقييتهما^(٤) ، ووقف للخدمة ، وأخذ
يتلَطَّطُ يرى أنه يقرضُ شعرا ؛ ثم قال : يا مولانا ، قد حضرني بيتان ، فإن
أنت أذنتَ لي أنشدتُ . قال : أنت إنسان أخرجتُ سخيف ، لا تقول شيئا
فيه خير ، اكفني أمرك وشعرك . قال : يا مولانا ، هي بديهتي ، فإن نُكِرْتَنِي^(٥)
ظلمتني ؛ وعلى كلِّ حال فأسمع ، فإن كانا بارعين وإلا فعاملني بما تحب^(٦)
قال : أنت لجوج ، هات . فأنشد :

يأيتها صاحب تاج الملا لا تجعلني نُهْزَةً الشامتِ
بملحدٍ يُكِنِّي أبا قاسمٍ ومُجَبَّرٍ^(٧) يُعْزَى إلى ثابتٍ

قال : قاتلك الله ، لقد أحسنت وأنت مسيء . قال لي أبو القاسم : فكذتُ
أَتَقَنَّ غِيظًا ، لأنِّي علمت أنه من قَمَلاته المعروفة ؛ وكان ذلك الجاهل لا يقرضُ

(١) ورد في الأصل بعد قوله : « قلت » جيم وميم وهما زيادة من الناسخ ، لاستقامة
الكلام بدونهما ، ولأنهما لم يردا في معجم الأدياء . ويلاحظ أن في هذه النسخة كثيرا من
الحروف الزائدة .

(٢) كذا في معجم الأدياء . والذي في الأصل : « مواسا » ؛ وهو تحريف .

(٣) « الآخر » وما أثبتناه عن معجم الأدياء .

(٤) « قيايتهما » ؛ وهو تحريف . « ودخل على تقييتهما » ، أي على أثرهما . ونفيشة

الماء : حينه وزمنه .

(٥) « نُكِرْتَنِي » ؛ وهو تحريف . وفي معجم الأدياء « كبرتني » .

(٦) « يجب » .

(٧) « مجبر » بفتح الباء ، أي منسوب إلى مذهب الجبرية بالتحريك ، وهم فرقة يقولون :

ليس للعبد قدرة ، وإن الحركات الإرادية بمثابة الرعدة والرعدة .

بيتنا . ثم حدثني الخادم الحديث بنصه .

والذي غلّطه في نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه ، أنه لم يُجَبِّه قط بتخطئة ، ولا قوبل بتسوية ؛ ولا قيل له : أخطأت أو قصرت أو لحنت أو غلّطت أو أخلت ، لأنه نشأ على أن يقال : أصاب سيّدنا ، وصدق مولانا ، وفهّ ذرّه ، والله بلاؤه ، مارأينا مثله ، ولا سمعنا من يقاربه ، من (أبنُ عبدِ كان) مضافا إليه ؟ ومن (أبنُ ثوابة) مقيسا عليه ؟ ومن (إبراهيم بن العباس) الصوّلي [إذا أُجمع بينهما] ؟ من (صريع القواني) من (أشجع السلمي) إذا سلّك طريقهما ، ومتّج برشائهما ، وقَدَحَ بزَنديهما ؟ قد استدرك مولانا على (الخليل) في القروض ، وعلى (أبي عمرو بن العلاء) في اللغة وعلى (أبي يوسف) في النضاء ، وعلى (الإسكافي) في الموازنة ، وعلى (أبنُ نوبخت) في الآراء والديانات ، وعلى (أبنُ مُجاهد) في القراءات ؛ وعلى (أبنُ جرير) في التفسير ، وعلى (أرسطوطاليس) في المنطق ، وعلى (الكِندي) في الجزء ^(١) ، وعلى (أبنُ سيرين) في العبارة ، وعلى (أبي العيّناء) في البديهة ، وعلى (أبنُ أبي خالد) في الخطّ ، وعلى (الجاحظ) في الحيوان ، وعلى (سهل بن هرون) في الفقر ، وعلى (يوحنا) في الطب ؛ وعلى (أبنُ رَين) ^(٢) في الفردوس ، وعلى (عيسى بن دأب) في الرواية ، وعلى (الواقدي) في الحفظ ، وعلى (النجار) في البدل ^(٣) ، وعلى (أبنُ ثوابة) في التنقّه ^(٤) ، وعلى (السريّ السقطلي) في الخطرات والوساوس ، وعلى (مزبّد) ^(٥)

(١) يريد الجزء الذي لا يجزأ ، وهو ما يسمى بالجوهر الفرد .

(٢) « ابن رين » هو علي بن رين كان طبيبا مشهورا ، ألف كتابا اسمه فردوس الحكمة ، وكان يهوديا ثم أسلم على يد المعتصم .

(٣) البدل : اسم كتاب في الكلام لأبي عبد الله الحسين بن محمد النجار .

(٤) في معجم الأدباء « علي بن ثوابة في التنقية » .

(٥) هو أبو إسحاق مزبّد المدني اشتهر بنوادره المضحكة وبسرعة خاطره ولطيف ملحه .

في النوادر ، وعلى (أبي الحسن العروضي) في أستخراج المعنى ، وعلى (بنى برمك) في الجود ، وعلى (ذى الرياستين) في التدبير ، وعلى (سليح) في الكهانة ، وعلى (ابن الحميا خالد بن منان العبسي) في دعواه^(١) ؛ هو والله أولى بقول (أبي شريح أوس بن حنجر التميمي) في (فضالة بن كلدة) :

الألمى الذى يظن بك الظن* كأن قد رأى وقد سمعا

قد يسبق المدح إلى من [لا^(٢)] يستحقه ، ويصير المال إلى من لا يليق به أن يكون ميلا^(٣) حتى إذا وجد من كان لذلك مستحقا منعه ووفر عليه .

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوى ويتبسم ، ويطيّر فرحا ويتقسم ويقول : ولا كذا^(٤) ؛ ثمرة السبق لهم ، وقصّرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو نرد غمارهم . وهو فى كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شذقه ، وبيتلع ريقه ، ويرد كالآخذ ، يأخذ كالمتمتع ، ويفضّب فى عرض الرضا ، ويرضى فى كبوس الغضب ، ويتهاك ويتالك ، ويتقابل^(٥) ويتمايل ؛ ويحاكى المومسات ، ويخرج فى أصحاب الساجات ؛ ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على نقاد الأخلاق وجهابذة الأحوال ، والذين قد فرغهم الله لتتبع

(١) خالد بن سنان روى أنه كان نبيا وكان فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وكان بأرض عيس . ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب من لقيه بابن الحميا ، وقد وردت كنيته فى معجم الأدباء بأبى الحياة .

(٢) لم ترد هذه الكلمة التى بين مربعين فى الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٣) « ميتا » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والليل ، ذو المال .

(٤) « ولا كذا » : كلمة ظاهرها الرغبة فى الاقتصاد فى المدح ، وباطنها الحث على الإكثار منه .

(٥) « ويتقابل » ، أى تتقابل أجزاؤه بعضها ببعض ، وذلك إذا استوى فى مجلسه ولم يعمل إلى ناحية .

وقال ابن المرزبان : هو كثير السرقة ، سَيَّ الإِثاق ، ردى القلب والعكس ، فَرُوقَةٌ^(١) في إيراده ، هزيمته قبل هُجُومِهِ^(٢) . [وإِحْجَامُهُ^(٣)] أظهر من إقدامه . وقال الصابي : هو مجتهد غير موفَّق ، وفاضل غير منطَق^(٤) ولو خطا كان أسرع له ، كما أنه لما عدا كان أبطأ عليه ؛ وطباع^(٥) الجبليّ مخالف لطباع العراقيّ ، يشب^(٦) مقاربا فيقع بعيدا ، ويتناول صاعدا فيتقاعسُ قعيدا . وقال عليّ بن جعفر : ممّ كانت الطبائع^(٧) ! هو يكذب نفسه بحسن الظن في البلاغة ، وطباعه تصدّق عنه بالتخلف ، فهو يشين اللفظ ويحيل المعنى ، فأما شينه اللفظ فبالجفوة والغلظة والإخلال والفجاجة ؛ وأما إحالته فبالإبعاد عن حومة القصيد والإرادة ؛ والعجب أنه يحفظ الطمّ والرّم^(٨) من النثر والنظم ؛ ثم إذا ادّعاها يقع دونهما سقوطا ، أو يتجاوزهما فُرُوطا^(٩) ؛ هذا مع الكبر المقوت والتشيع الظاهر ، والدعوى العارية من البينة العادلة .

(٦) وما أحسن ما كتب به أحمد بن إسماعيل بن الخصيب إلى آخر : الكبر — أعزك الله — معرض يستوى فيه النّبيّه ذِكرًا ، والخالل قَدْرًا ، ليس

(١) الفروقة : الشديد الفرق بالحريك ، وهو الفزع .

(٢) « هجومه » .

(٣) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ، والسياق يقتضي ما أثبتنا أو إثبات ما يفيد معناه .

(٤) غير منطوق ، أي غير بليغ النطق .

(٥) الطباع : الطبع ، يستعمل مفردا كما هنا وجما .

(٦) « بنسته »

(٧) يشعب بهذه العبارة من أصل الطبائع التي تخالف صاحبها فتصدق عنه إذا كذب نفسه ، كما يدل على ذلك سياق الكلام الآتي .

(٨) الطم والرّم : العدد الكثير . يقال : جاء بالطم والرّم . والطم في الأصل : المساء الكثير ، أو ماسقه الماء من غشاء . والرّم : الثرى . والذي في الأصل « الكظم وأكرم » وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٩) الفروط : التقدم . وفي الأصل : « فروطا » وهو تصحيف .

أمامه حاجب يمنعه ، ولا دونه حاجز يحظره ؛ والناس أشد تحفظاً على الرئيس المحفوظ ، وأكثر اجتناءً لأفعاله ، وتتبعاً لمعاييه ، وتصفاً لأخلاقه ، وتنقيراً^(١) عن خصاله منهم عن خامل لا يُعبأ به ، وساقط لا يُكترث له ؛ فيسير عيب الجليل^(٢) يقدح فيه ، وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل النعم يسرع إليه ؛ ولابن هندو في هذا المعنى :

العيب في الرجل المذكور مذكور والعيب في الخامل المستور مستور
كفوفة^(٣) الظفر تخفى من مهاتها ومثلها في سواد العين مشهور
وقال الزهيري : قد نجم بأصبهان ابن لمباد في غاية الرقاعة والوقاحة والخلاعة وإن كان له يوم ، فسيشقى به قوم ، سمعته يقول هذا سنة أئمتين وخمسين في مجلس من الفقهاء .

وقال ابن حبيب : قال بعض الحكماء : إن للنفس أمراضاً كأعراض البدن إلا أن فضل أمراض النفس على أمراض البدن في الشر والضرر كفضل النفس على البدن في الخير ؛ وصاحبنا^(٤) يعني — ابن عباد — مريض عندنا ، صحيح عند نفسه ، زيف بنقدنا ، جيد بنقده ؛ ولو قامت^(٥) الشوق على ساقها ، وتناصف المتعاملون فيها ، ولم يقع إكراه في أخذ ولا إعطاء ، عُرِف البهرج^(٦) الذي

(١) « وتنكيراً » ؛ بالكاف .

(٢) « الجليل » .

(٣) « فوفة » ، وهو تصحيف . والفوف بفاءين : الياء الذي يكون في الأظفار الواحدة فوفة .

(٤) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة لم يظهر منها غير الواو والصاد والألف .

(٥) « قامت » ، واللام زيادة من الناسخ .

(٦) « التهنيج » . والبهرج : الرديء .

أبلغ من ابن يوسف^(١) ، وأغزر وأحفظ وأرؤى وأجمل ركيته ، وأعذب مؤردا ، وأبعد من التفاوت ؛ وليس ابن يوسف من ابن عبّاد في شيء .

فأما ابن العميد فإني سمعت ابن الجمل يقول : سمعت ابن ثوبة يقول : أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ وظن أنه إن تبعه لحقه ، وإن تلاه أدركه ، فوقع بعيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ؛ ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لا تلتقي عند كل إنسان ولا تجتمع في صدر كل أحد : بالطبع والمنشأ والعلم والأصول والعادة والعمر والفراغ والعشق^(٢) والمنافسة والبلوغ ؛ وهذه مفايح قلما يملكها واحد ، وسواها^(٣) مغالِق قلما ينفك منها واحد .

وأما أبنته ذو الكفایتين ، فلو عاش كان أبلغ من أبيه ، كما كان أشعر منه ؛ ولقد تشبه بالجاحظ فأفتضح في مكاتبتة لإخوانه ، ومجانته في كلامه ومسائله لمعلمه التي دلتنا على سرقة وغارته^(٤) وسوء تأتیه^(٥) ، في تسأره وتغطيعه ؛ ومن شاء سمح نفسه ؛ وكان مع هذا أشد الناس أدعاء لكل غريبة ، وأبعد الناس من كل قريبة ؛ وهو نزر^(٦) المعاني ، شديد الكلف باللفظ ؛ وكان أحسد

(١) ابن يوسف الذي يريد هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف أحد أعيان الكتاب في دولة بني بويه ، تقلد ديوان الرسائل لمضد الدولة طول أيامه ، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده ، وهو الذي دس لابن سعدان عند صنعام الدولة حتى سجنه ثم قتله . وفي الجزء الثاني من اليتيمة نماذج من رسائله .

(٢) يريد بالعشق هنا : رغبته وميله إلى ما يزاوله من صناعة الكتابة

(٣) « ووباها » .

(٤) « وغارته » .

(٥) « تأليه » .

(٦) « يزور » .

الناس لمن خَطَّ بالقلم ، أو بَلَغَ باللسان ، أو فَلَجَ^(١) في المناظرة ، أو [فَكِهَ^(٢)] بالنادرة ، أو أغْرَبَ في جواب ، أو أُنْسَعَ في خطاب ؛ ولقد لقي الناسُ منه الدواهيَ لهذه الأخلاق الخبيثة ؛ وقد ذُكِرْتُ ذلك في الرسالة ، وإذا بُيِّضَتْ وقت^(٣) عليها من أولها إلى آخرها إن شاء الله ؛ وأنصرفت .

الليلة الخامسة

- (١) قال لي ليلة أخرى : ألا تتم ما كتبنا به بدأنا . قلت : بلى .
فأما أبو إسحاق^(٤) فإنه أَحَبَّ^(٥) الناس للطريقة المستقيمة ، وأمضاهم على الصحبة الوسطى ، وإنما يُنْقَمُ عليه قِلَّةُ نصيبه من النحو ؛ وليس ابن عباد في النحو بذلك ؛ ولا كان أيضا ابن العميد إلا ضعيفا ؛ وكان يذهب عنه الشيء اليسير . وأبو إسحاق معانيه فلسفية ، وطباعه عراقية ، وعاداته محدودة ؛ لا يَثْبُ ولا يَرْسُب ، ولا يَكِلُّ ولا يَكْهَمُ^(٦) ، ولا يلتفت وهو متوجه ، ولا يتوجه وهو ملتفت . وقال^(٧) لنا : إمامي ابن عبد كان^(٨) ، وهو قد أوفى عليه ، وإن كان

(١) فلج : فاز على خصمه وظفر به .

(٢) موضع هذه الكلمة في الأصل حروف مطبوسة تتعذر قراءتها ؛ وما أثبتناه أقرب إلى ما ظهر من حروفها .

(٣) « ووقت » . والواو زيادة من الناسخ .

(٤) يريد بأبن إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي كان كاتب الإنشاء ينفذ عن الخليفة وعن عن الدولة البويهية ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وهم عليه عضد الدولة مكاتبات صدرت منه ، فلما ملك عضد الدولة أراد قتله فشفعوا فيه فأطلقه ، وألف له كتاب « الناجي » في أخبار بني بويه ، وأريد على الإسلام فأبى وظل على دين الصابئة إلى أن مات سنة ٣٨٤ كما روى ابن خلكان . وقال ابن النديم إنه مات قبل سنة ٣٨٠ .

(٥) « جم » وسياق العبارة الآتية بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٦) يكهم : يضيف .

(٧) وقال ، أي أبو إسحاق الصابي .

(٨) « ابن عبد كان » هو محمد بن عبد كان ، كان كاتباً للدولة الطولونية ، وكان بليفا مقرسلا فصيحاً ، وله ديوان رسائل .

الرأى وقضية العقل ، لكان مملاً في مصطبة على شارع ، أوفى دار ؛ فإنه يخرج الإنسان بتفهمه وتشاؤمه ، وأستحقاره وأستكباره ، وإعادته وإبدائه ، وهذه أشكال تُعجب الصبيان ولا تنفرهم من المعلمين ، ويكون فرحهم بها سبباً للملازمة والحرص على التعلم والحفظ والرواية والدراسة .

(٤) قال : هذا قدرٌ كافٍ إلى أن تبيض الرسالة ؛ هات مُلحة الوداع . قلتُ : قال أبو الميناء : قال أبو دعلج : قال المهدي : بايع ؛ قلتُ : أبايعكم [علام ؟ قال^(١)] : على ما بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم صفين . قال كرز أبو سيار المسمى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدرك صفين ، إنما كانت صفين بين علي ومعاوية . فقال دوست بن رباط الفقيمي أبو شعيب : قد علم الأميرُ هذا ، ولكن أحبّ التسهيل على الناس ، وأنصرفت .

الليلة السادسة

(١) ثم حضرته ليلة أخرى فأول ما فاتح به المجلس أن قال : أتفضل العرب على المعجم أم المعجم على العرب ؟

قلتُ : الأم عند العلماء أربع : الروم ، والعرب ، وفارس ، والهند ؛ وثلاث من هؤلاء عجم ، وصنّب أن يقال : العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة ، مع جوامع ما لها ، وتفاريق ما عندها . قال : إنما أريد بهذا القُرْس . قلتُ : قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي ، أروى كلاماً لابن المقفع ، وهو أصيل في القُرْس عريق في المعجم ، مفضل بين أهل الفضل ؛ وهو صاحب (اليتيمة) القائل :

(١) ما بين الرابين لم يرد بالأصل ؛ والسياق يقتضيه .

تركت أصحاب الرسائل بعد هذا الكتاب في ضحاح من الكلام . قال : هات على بركة الله وعونه . قلت : قال شبيب بن شبة : إنا لوقوف في عرصة الميريد — وهو موقوف الأشراف ومجتمع الناس وقد حضر أعيان مصر — إذ طلع ابن المقفع ، فما فينا أحد إلا هتن له ، وأرتاح إلى مساء لته ، وسررنا بطلعته ؛ فقال : ما يتفككم على متون دوابكم في هذا الموضع ؟ فوالله لو بعث الخليفة إلى أهل الأرض يبتغي مثلكم ما أصاب أحدا سواكم ، فهل لكم في دار ابن برثن في ظل ممدود ، وواقية من الشمس ، واستقبال من الشمال ، وترويح للدواب والظلمان ، وتتمتع الأرض فإنها خير بساط وأوطأ ، ويسمع بعضنا من بعض فهو أمد للجلس ، وأدرك للحديث . فسارعنا إلى ذلك ، ونزلنا عن دوابنا في دار ابن برثن تنسم الشمال ، إذ أقبل علينا ابن المقفع ، فقال : أى الأم أعقل ؟ فقلنا أنه يريد الفرس ، قلنا : فارس أعقل الأم ، نقصد مقاربتة ، ونتوخى مصانعة . فقال : كلاً ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علّموا فتعلّموا ، ومثّل لهم فامتثلوا وأقتدوا^(١) وبُدّوا بأمر فصاروا إلى أتباعه ، ليس لهم استنباط ولا أستخراج . قلنا له : الرّوم . فقال : ليس ذلك عندها ، بل لهم أبدان وثيقة وهم أصحاب بناء^(٢) وهندسة ، لا يعرفون سواها ، ولا يحسنون غيرها .

قلنا : فالصين . قال : أصحاب أثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع الهراش . قلنا : فالهند . قال : أصحاب وهم وغرقة^(٣) وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هاملة^(٤) . فرددنا الأمر إليه . قال : العرب .

(١) « وامتدوا » .

(٢) « بقاء » ، وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « الحرق » . والشعبذة والشموذة : واحد ، وهي أخذ كالسعر ترى

العمى بنير ما عليه أصله في رأى العين .

(٤) هاملة ، أى مهلة . وفي الأصل : « هائلة » .

فللفُرس السياسة والآداب والحدود والرسوم ؛ وللرُوم العلم والحكمة ؛ وللهند الفكر والروية والخفة^(١) والسحر والأناة ؛ وللتُّرك الشجاعة والإقدام ؛ ولزَنُج الصبر والكّد والفرح ؛ وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود والذمام والخطابة والبيان .

ثم إن هذه الفضائل المذكورة ، في هذه الأمم المشهورة ، ليست لكل واحد من أفرادها ، بل هي الشائعة بينها ؛ ثم في جملتها^(٢) من هو عارٍ من جميعها ، وموسوم بأضدادها ، يعني أنه لا تخلو الفُرس من جاهل بالسياسة ، خالٍ من الأدب ، داخلٍ في الرعاع والهمج ؛ وكذلك العرب لا تخلو من جبانٍ جاهلٍ طيَّاشٍ بخيلٍ عبيٍّ^(٣) وكذلك الهند والرُوم وغيرهم ؛ فعلى هذا إذا قوبل أهلُ الفضل والكمال من الرُوم بأهل الفضل والكمال من الفُرس ، تلاقوا على صراطٍ مستقيم ، ولم يكن بينهم تفاوتٌ إلّا في مقادير الفضل وحدود الكمال ، وتلك لا تخص^(٤) بل تُلم . وكذلك إذا قوبل أهلُ النقص والذيلة من أمة بأهل النقص والخساسة من أمة أخرى ، تلاقوا على نهج واحد ، ولم يقع بينهم [تفاوتٌ]^(٥) إلّا في الأقدار والحدود ؛ وتلك لا يُلْتَفَت إليها ، ولا يعار^(٦) عليها ؛ فقد بان بهذا الكشف أن الأمم كلها تقاسمت الفضائل والنقائص بأضطرار الفطرة ، وأختيار الفكرة . ولم يكن بعد ذلك إلّا ما يفتازعه الناس بينهم بالنسبة الترايبية ، والعادة المنشئية

(١) في الأصل : « المفة » ، ولم نجد من معانيها ما يناسب السياق . ولعل صوابه ما أثبتنا . ويريد بالحفة : الشعوذة ، فإنها بخفة في اليد . وقد سبق وصف الهنود بذلك .

(٢) « أجلتها » .

(٣) « غي » .

(٤) في الأصل : « يحصل بل تسلّم » ومعنى الكلمتين لا يناسب السياق . ويريد أنها لا تخص أمة دون أمة ، بل تجمع الأمم كلها .

(٥) موضع هذه الكلمة حروف مطبوسة في الأصل تتعذر قراءتها .

(٦) يعار : يعاب .

والهوى الغالب من النفس الغضبية، والنزاع الهاجج من القوة الشهوية .
وها هنا شيء آخر، وهو أصل كبير لا يجوز أن يخلو كلامنا من الدلالة عليه
والإيماء إليه .

[وهو أن ^(١)] كل أمة لها زمان على ضدها ^(٢) ، وهذا بين مكشوف إذا
أرسلت وهمك في دولة يونان والإسكندر ، لَمَّا غَلَبَ وساس ومَلَك ورأس وفتق
ورَتَق ورَسَمَ ودَبَّرَ وأمر ، وحَثَّ وزجر ، ومحا وسطر ، وفعل وأخبر ؛ وكذلك
إذا عطفت إلى حديث كسرى أنوشروان وجدت هذه الأحوال بأعينها ، وإن
كانت في غُلفٍ غيرِ غُلفِ الأول ، ومعارضٍ غيرِ معارضِ المتقدم ؛ ولهذا قال
أبو مسلم صاحبُ الدولة حين قيل له : أى الناس وجدتهم أشجع ؟ فقال : كل
قوم في إقبال دولتهم شجعان . وقد صدق ؛ وعلى هذا كل أمة في مبدأ سعادتها
أفضلُ وأمجَدُ وأشجعُ وأمجَدُ وأسخى وأجودُ وأخطبُ وأنطقُ وأزأى وأصدق ؛
وهذا الاعتبار ينساق من شيء عامٍ لجميع الأمم ، إلى شيء شاملٍ لأمة أمة
إلى شيء حاوٍ لطائفةٍ طائفة ، إلى شيء غالبٍ على قبيلةٍ قبيلة ، إلى شيء معتادٍ
في بيتٍ بيت ، إلى شيء خاصٍ بشخصٍ شخص وإنسانٍ إنسان ؛ وهذا التحولُ
من أمةٍ إلى أمةٍ ، يشير ^(٣) إلى فيض جود الله تعالى على ^(٤) جميع بريته وخليقته
بحسب استجابتهم لقبوله ، واستعدادهم على تطاول الدهر في نيل ذلك من فضله
ومن رَقَى إلى هذه الرتبة بعين لا قَدَى بها ، أبصر الحق عياناً بلا مِرْية ، وأخبر

(١) هذه التكلة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) ضدها ، أى لها زمان تكون لها فيه الدولة والغلبة على عدوها . وفي الأصل :
« ضد هذا » وقوله : « ذا » زيادة من الناسخ كما يدل عليه سياق الكلام الآتي .

(٣) « وهو يشير » . والظاهر أن قوله « وهو » زيادة من الناسخ .

(٤) « إلى » .

عنه بلا [فرية^(١)] ؛ ومتى صدق نظرك في مبادئ الأحوال وأوائل الأمور
وضح لك هذا كله كالنهار إذا متع^(٢) ، وأستنار كالقمر إذا طلع ؛ ولم يبق
حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب ، إلا ما يكتات بالهوى ، ويسمج
بالتعصب ، ويحبب اللجاج ، ويخرج إلى الصحك^(٣) ؛ فهناك يطيح^(٤) المعنى
ويضل المراد ، فإذا آثرت أن تعرف صحة هذا الحكم وصواب هذا الرأي ،
فاسمع ما أرويه : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : انصرف العباس بن مرداس
السلمي من مكة فقال : « يا بني سلم ، إني رأيت أسرا ، وسيكون خيرا ، رأيت
بنى عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية^(٥) ، وكان وجوههم بدور اللجينة
وكان عمامتهم فوق الرجال ألوية ، وكان منطلقهم مطر الوبل على المحل ؛
وإن الله إذا أراد أن يعمرك^(٦) غرس له غرسا ، وإن أولئك غرس الله ؛ فترقبوا ثمرة
وتوكلوا^(٧) غيثه ، وتقيثوا ضلاله ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به . » ولقد قرع
العباس بهذا الكلام باب الغيب ، وشعر بالمستور ، وأحسن بالخافي ، وأطلع عقله
على المستتر ، وأهتدى بلطف هاجسه إلى الأمر المزمع ، والحادث المتوقع ؛ وهذا
شئ فاش في العرب ، لعل وحديثها ، وصفاء فكرتها ، وجودة بنيتها
وأعتدال هيتها ، وصحة فطرتها ، وخلأ ذرعها ، وأتقاد طبعها ، وسعة لغتها
وتصاريف كلامها في أسمائها وأفعالها وحروفها ، وجولانها في اشتقاقاتها ، وما أخذها

(١) هنا كلمة مطبوسة الحروف في الأصل تتمتع قراءتها . واستقامة الكلام تقتضي
ما أثبتنا أو ما يفيد هذا المعنى .

(٢) متع النهار : ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال .

(٣) الصحك : المنازعة والتماهي في اللجاج .

(٤) « يطيح » .

(٥) الرماح الردينية : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة من العرب كانت تهوم الرماح .

(٦) « أعمرا » .

(٧) الحرفان الأولان من هذه الكلمة في الأصل مطبوسان تتمتع قراءتهما بموسيقا

الكلام يقتضي ما أثبتنا . ومعنى « توكلوا غيثه » ارتقبوه وانتظروه .

البديمة في أستماعاتها ، وغرائب تصرفها في اختصاراتها ، ولطف كنياتها في مقابلة تصرفياتها ، وفنون تبججها^(١) في أكناف مقاصدها ، وعجيب مقاربتها^(٢) في حركات لفظها ؛ وهذا وأضعافه مسلم لهم ، وموفر عليهم ، ومعروف فيهم ومنسوب إليهم ، مع الشجاعة والتجدة والذمام^(٣) والضيافة والفطنة والخطابة والعصية والأنفة والحفاظ والوفاء ، والبذل والسخاء ، والتهاك في حب الثناء والتككل^(٤) الشديد عن النعم والمجاء ؛ إلى غير ذلك مما خُصت به في جاهليتها قبل الإسلام ، مما لا سبيل إلى دفعه وجحوده ، والبهت فيه ، والمكابرة عليه ؛ وقد سمعنا لغات كثيرة — وإن لم نستوعبها — من جميع الأمم ، كلمة أصحابنا المعجم والروم والمند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا شيء من هذه اللغات نصوغ^(٥) العربية ، أعنى الفرّج التي في كلماتها ، والقضاء الذي نجده بين حروفها ، والمساقة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي ندوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تُجحد في أبيتها ؛ وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول ، وصحة هذا الحكم ، فألحظ عرض^(٦) اللغات التي هو بين أشدها تلاسما وتداخلًا ، وترادفًا وتماثلًا^(٧) وتصنوعًا وتعوّصًا^(٨) ، وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً ، وأرقّ

(١) تبججها ، أي اتسامها .

(٢) « مقاربتها » .

(٣) « الذمام » .

(٤) التكل بالتحريك : لغة في التكل ، أي التكلوس عن الشيء والتعني عنه .

(٥) وردت هذه الكلمة في الأصل مطبوسة الحرفين الأولين ، ولم يظهر منها غير الواو والعين .

(٦) « عرض » .

(٧) تماثل الكلام : تراكمه وتوالي بعضه فوق بعض . وكان زهير لا يماثل بين الكلام

أي لا يكرره .

(٨) في الأصل : « وتعوّصا » بالفاء والضاد ؛ ولم نجد من معاني التعويض ما يناسب

السياق ، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه عطلة على التصير ، إذ مؤدى الكلمتين واحد .

لفظاً ، وأخفُ اسماً ؛ وألطفُ أوزاناً^(١) ، وأحضرُ عِياناً ؛ وأحلى مَحَرَجاً وأجلى منهجاً^(٢) وأعلى^(٣) مَدَرَجاً ؛ وأعدلُ عدلاً ، وأوضحُ فضلاً ، وأصحَّ وصلاً إلى أن تنزل^(٤) إلى لغة بعد لغة ، ثم تنتهي إلى العربية ، فإنَّكَ تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والأغماص ، سرى^(٥) قليلاً قليلاً حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض .

وهذا شيء يجده^(٦) كلٌّ من كان صحيحَ البنية ، بريثاً من الآفة ، متنزّها عن الهوى والعصبية ، محباً للإنصاف في الخصومة^(٧) ، متحرّياً للحقّ في الحكومة ، غير مسترقّ^(٨) بالتقليد ، ولا مخدوع بالإلف ، ولا مسخرّ^(٩) بالعادة ، وإني لأعجب كثيراً ممَّن يرجع إلى فضل واسع ، وعلمٍ جامع ؛ وعقلٍ سديد ، وأدبٍ كثير ، إذا أبى هذا الذي وصفته ، وأنكر ما ذكرته ؛ وأعجب أيضاً فضلَ عجبٍ من الجيّهانيّ^(١٠) في كتابه وهو يسبّ العرب ، ويتناول

(١) « أوزاناً » .

(٢) في الأصل : « وأخطر » ومعناه لا يناسب السياق . ويريد بقوله : أحضر عياناً : أنها شديدة الظهور .

(٣) « منهجكم » .

(٤) « ولعلاً » .

(٥) « تترك » .

(٦) « سرى » ؛ والثناء زيادة من الناسخ .

(٧) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير المال والماء . وسياق الكلام يقتضى إثباتها على هذا الوجه .

(٨) « الخصوصية » .

(٩) في الأصل : « مستفرغاً » . ولعل صوابه ما أثبتنا .

(١٠) « مستخرّنا » .

(١١) الجيّهاني : نسبة إلى جيّهان مدينة بخراسان . وقد شهر بهذه النسبة اثنان : أحدهما أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر وزير السامانية ببخارى ، كان أديباً فاضلاً من الكتب كتاب آيين نامه وكتب أخرى ؛ وجيّهاني آخر اسمه محمد بن أحمد كان كذلك وزيراً للسامانيين . =

أعراضها ويحيط من أقدارها ، ويقول : يا كلون اليرابيع والضباب والجُرْذَان والحَيَّات ويتعاورون ^(١) ويتساورون ، وَيَتَهَاوُونَ ويتفاحشون ، وكأنَّهم قد سُلِّخُوا من فضائل البَشَر ، ولبسوا أَهْبَ الخنازير . قال : ولهذا كان كسرى يسمَّى ملك العرب : « سَكَّان شاه » ، أى ملك الكلاب . قال : وهذا ^(٢) لشدة شبههم بالكلاب وجرائها ، والذئاب وأطْلَافُها ^(٣) وكلاما كثيرا من هذا الصَّوْب أرفع قدره عن مثله ، وإن كان يضع من نفسه بفضل قوله . أترأه لا يعلم لو نزل ^(٤) ذلك القفر وتلك الجزيرة وذلك المكان الخاوى وتلك الفياض والتموامى ، كلُّ كسرى كان فى القُرس ، وكلُّ قيصر كان فى الروم ، وكلُّ بلهور ^(٥) كان بالهند ، وكلُّ يقفور كان بخراسان ، وكلُّ خاقان كان بالترك وكلُّ أخشاد ^(٦) كان بفرغانة وكلُّ صَبْهِيذ ^(٧) كان من أسكنان ^(٨) وأردوان

== قال فيه ياقوت : كان أدبيا فاضلا شهما جسورا . وقد ترجم لكليها ياقوت . وقال ابن النديم فى الأخير : لمة من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ويصنفون فى نصرمة الأئمنية . والظاهر أن الأخير هو المراد هنا .

(١) يتساورون ، أى يذكر بعضهم عورة بعض .

(٢) « ولهذا » ؟ واللام زيادة من الناسخ .

(٣) أطلاؤها : أولادها .

(٤) فى الأصل : « كوثر » وبعد الراء حرف مطموس يشبه أن يكون « لاما » .

(٥) بلهور : لقب لكل عظيم من ملوك الهند ، مثل به سيويه فى كتابه ، وفسره السيرافى .

(٦) أخشاد وأخشيد لقب كان للملوك فرغانة ، ولهذا لقب الرضى بالله العباسى محمد بن

طنج صاحب مصر والشام بالأخشيد ، لأنه كان فرغانيا . وفرغانة مدينة وكورة واسعة وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

(٧) فى الأصل : « شبه » بالشين ؛ وفيه تحريف وتقص حرفين إذ لم نجد بالمعنى المناسب

فيما راجعناه من معجمات اللغتين العربية والفارسية ، ولعل صوابه ما أثبتنا . فقد ورد فى شفاء

القليل أن صبهيد معناه الأمير ؛ وهو معرب ورد فى شعر جرير . وفى كتاب الألفاظ الفارسية

المعربة أن صبهيد بالفارسية معناه قائد العسكر وهو مركب من كلمتين « سبه » أى عسكر

و « بد » أى صاحب .

(٨) لعله « أشكيشان » كما فى معجم البلدان ، وهى من قرى أصبهان . وأردوان :

ويقال فيه : أردوال ، بلدة صغيرة بين واسط والجبل وبلاد خوزستان .

ما كانوا يَتَقَدُّونَ هذه الأحوال لأنَّ من جاعَ أكل ما وجد ، وطِيمَ ما لَحِقَ^(١) ،
وَشَرِبَ ما قَدَّرَ عليه ، حَبًّا للحياة ، وطلبًا للبقاء ، وجزءًا من الموت ، وهربًا من
أَلْفَاء . أتري أنوشروان إذا وقع إلى فيافي بني أسد وَبَرَ^(٢) (وَبَار^(٣)) وسُفوح
طِيبَةِ^(٤) ، وَرَمَلِ يَبْرِينَ وساحَةِ هَبِير^(٥) ، وجاعَ وَعَطَشَ وَعَرَى ، أما كان
يأكل اليزْبُورَعَ والجُرْذَانِ ؛ وما كان يشرب بَوَّلَ الجبل وماء البئر ، وما أَسَنَّ في
تلك الوَهْدَاتِ ؟ أو ما كان يلبس البُرْجُدَ^(٦) والخَمِيصَةَ^(٧) والسَّيْلَ^(٨) من الثياب
وما هو دونه وأخشن ؟ بلى والله ، ويأكل حشرات الأرض وَنباتَ الجبال ، وَكُلَّ
ما تَحْمَضُ وَتَمَرُّ ، وَخُبْثُ وَضَرٌّ ، هذا جَهْلٌ من قائله ، وَخَيْفٌ من منتعله ؛ على أن
العرب — رحمك الله — أحسنُ الناس حالًا وعيشًا إذا جادتْهم السماء ، وصدقَتْهم
الأنواء^(٩) ؛ وأزدانت الأرض ، فهدَّلت الثمار ، وأطردت الأودية ، وكثرت اللبن
والأقط^(١٠) والجبن واللحم والرطب والتمر والقمح ، وقامت لهم الأسواق ، وطابت

(١) بالحق .

(٢) وبار : أرض واسعة يبلد اليمن زهاء ثلثة فرسخ في مثلها ، وهي ما بين الشحر
إلى تخوم صنعاء .

(٣) طيبة : بلدة عند زرود . ويريد سفوح الجبال التي هناك .

(٤) الهبير : رمل قرب زرود بطريق مكة . وفي الأصل : « هبير » بتقديم الياء على الباء
ولم نجد فيها راجعًا من الكتب .

(٥) البرجد : كساء غليظ من صوف أحر . وقال بعضهم : هو كساء ضخم مخطط يصلح
للخباء وغيره .

(٦) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٧) السيل من الثياب : الخلق البالي .

(٨) الأنواء : الأمطار ؛ الواحد نوء . وأصل النوء سقوط نجم في المغرب وطلوع
نجم بحاله من ساعته في المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى هذه
الأنواء .

(٩) الأقط : شيء يتخذ من الخبيض القنى يطبخ ثم يترك حتى يعصل . وقيل : من
لبن الحليب .

المزابع وفشا الخصب ، وتَوَالَى التَّنَاج ، وأتصلت الميرة ، وصدق المصاب ^(١) وأَرْفَعَ ^(٢) المنتجع ، وتلاقى القبائل على المحاضر ^(٣) ، وتَقَاوَلُوا ^(٤) وتضايفوا ، وتعاقدوا وتعاهدوا ، وتزاوروا وتناشدوا ؛ وعقدوا الذَّم ، ونطقوا بالحِكم ؛ وقرؤا الطُّرَاق ووصلوا العُفاة ، وزَوَّدُوا السَّابِلَةَ ، وأرشدوا الضَّالَّ ، وقاموا بالَحَمَّالَات ^(٥) وفكَّروا الأَسْرَى ، وتَدَاعَوْا ^(٦) الجَفَلَى ، وتعاَفُوا النَّقْرَى ، وتَنَافَسُوا في أفعال المعروف ؛ هذا وهم في مساقط رءوسهم ، بين جبالهم ورمالمهم ، ومناشئ آبائهم وأجدادهم ، ومَوَالِدِ أهلهم وأولادهم ، على جاهليَّتهم الأولى والثانية ، وقد رأيت حين هبَّت ريحهم وأشرقت دولتهم بالدعوة ، وأنتشرت دعوتهم بالملَّة ، وعزَّت ملَّتهم بالنبوة ، وغلبت نبوتهم بالشرعية ، ورسخت شريعتهم بالخلافة ، ونُضِرَّت خلائقهم بالسياسة الدينيَّة والذنيويَّة ، كيف تحوَّلت جميع محاسن الأمم إليهم وكيف وقعت فضائل الأجيال عليهم من غير أن طلبوها وكَدَحُوا ^(٧) في حيازتها أو تعبوا في نيلها ، بل جاءتهم ^(٨) هذه المناقبُ والمفاخرُ ، وهذه النوادرُ من المآثر عفوا ^(٩) ، وقطنت بين أطناب بيوتهم سهوا رهوا ^(١٠) ؛ وهكذا يكون كلُّ شيء .

(١) المصاب : المقصد . يريد المكان الذي يقصدونه للالتجاع ، من صاب يصوب إذا قصد .

(٢) أرفع له العاش : وسعه .

(٣) المحاضر : المناهل ، لحضور القبائل واجتماعها عليها ، الواحد محضر بفتح الميم والضاد .

(٤) « وتقاوَلُوا » بالفتح والزاي ؛ وهو تصحيف .

(٥) الحَمَّالَات بفتح الحاء : الديات والفرامات يحملها قوم عن قوم .

(٦) تداعوا الجفلى ، أى دعا بعضهم بعضا إلى الطعام دعوة عامة لا تخصيص فيها .

والنقري : الدعوة الخاصة ، قال طرفة : (نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر) وتعاَفُوا أى كرهوا ، من عاف الميء يافه .

(٧) « وكَدَحُوا » بالالف .

(٨) « جلتهم » .

(٩) « حقوا » ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(١٠) سهوا رهوا ، أى عفوا بلام مشقة . يقال : آناه هذا الأمر سهوا رهوا ، أى في سهولة ورفق .

تولاه الله بتوفيقه ، وساقه إلى أهله بتأييده ، وحلّى مستحقّيه بأختياره ؛ ولا غالب لأمر الله ، ولا مبدّل لحكم الله ، ولذلك قال الله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) . والله في خلقه أسرار ، تتصّرف بها دوائر الليل والنهار ، وتذلّلها تجارى الأقدار ، حتى يُنتهى بمحبوبها ومكروها إلى القرار .

عزّ إلها معبودا ، وجلّ ربّا محودا مقصودا . وبعد ، فالنبي لا شك فيه من وصف العرب ، ولا جاحد له من حالها ، أنه ليس على وجه الأرض جيلٌ من الناس ينزلون القفر ، وينتجعون السحاب والقطر ؛ ويعالجون الإبل والخليل والنعيم وغيرها ، ويستبدّون في مصالحهم بكلّ ما عندها ، وبكلّ ما قلّ وكثُر ، وبكلّ ما سهّل وعسّر ؛ ويرجون الخير من السماء في صوّبها^(١) ، ومن الأرض في نباتها ؛ مع مراعاة الألوان بعد الألوان ، وثقة بالحال بعد الحال وتبصرة فيما يُفعل ويُجتنب ؛ ما للعرب فيما قدّمنا وصفه ، وكرّرنا شرحه من علمهم بالخشب والجذب ، واللّين والقسوة ، والحرّ والبرّد ، والرياح المختلفة والسحاب الكاذبة ، والمخايل الصادقة ، والأنواء المحمودة والمذمومة ، والأسباب الغريبة العجيبة .

وهذا لأنهم مع توحّشهم مستأنسون ، وفي بواديهم حاضرون ، فقد اجتمع لهم من عادات الحاضرة أحسنّ العادات ، ومن أخلاق البادية أظهر الأخلاق . وهذا المعنى على هذا النظم قد عدمه أصحاب المَدُن وأربابُ الحَضَر ، لأن الدناءة والرقة والكيس والهمين والخلاصة والخداع والحيلة والمكر والحُبّ تغلب

(١) « صوّبها » بالناء ؛ وهو تصحيف .

على هؤلاء وتَمْلِكهم ، لأن مدارَ أسرهم على المعاملات السيئة ، والكذب في الحس^(١) ، والخلف في الوعد .

- (٤) والعَرَب قد قدَّسها الله عن هذا الباب بأسره ، وجَبَلها على أشرف الأخلاق بقدرته ؛ ولهذا تجد أحدهم وهو في بَتٍ^(٢) حافيا حاسرا يذكر الكرم ، ويفتخر بالحمدة ، وينتحل النجدة ، ويحتمل الكلَّ^(٣) ، ويضحك في وجه الضيف ويستقبله بالبشر ، ويقول : * أحذثه إن الحديث من القرى * ثم لا يقنع بيشَّ الشرف وفعل الخير والصبر على النوائب حتى يحضَّ الصغير والكبير على ذلك ويدعو إليه ، ويستنهضه نحوه ، ويكلفه مجهوده وعفوه .

وقد قيل لرجل منهم في يوم شاتٍ وهو يمشى في سَمَلٍ^(٤) : أما تجد البرد يا أخا العرب ؟ فقال : أمشى الخيزَلَى^(٥) ويكفيني حسبي . والفارسي لا يُحسِن هذا النمط ، ولا يذوق هذا المعنى ولا يحلم بهذه اللطيفة ؛ وكذلك الرومي والهندي وغيرهما من جميع العجم .

- (٥) ومما يدل على تحضرهم في باديتهم ، وتبذيرهم في تحضرهم ، وتحليلهم بأشرف أحوال الأسرى ، أسواقهم التي لهم في الجاهلية ، مثل دومة^(٦) الجندل بقرى

(١) في الأصل : « الحسة » والتاء زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « بيت » والياء زيادة من الناسخ . والبت : كساء غليظ من صوف

أو وبر .

(٣) الكل : الضعيف ؛ يقال هو يحمل الكل ، أي يموت الضعفاء الذين لا يستطيعون الكسب ويقوم بأمرهم .

(٤) السمل من الثياب : الخلق البالي .

(٥) « الخيزلى » وهو تصحيف . والخيزلى : مشية فيها تتأكل وانكسار ، كالخوزلى .

(٦) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى وبينها وبين دمشق

سبع مراحل ، وكانت منازل لكثافة من كلب .

كلب^(١) وهى النصف بين العراق والشام ، كان ينزلها الناس أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون أسواقهم بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ؛ وكان يمشرون أكيدر^(٢) دومة ، وربما غلبت على السوق كلب فيمشرون^(٣) بمض رؤساء كلب ؛ فيقوم سوقهم إلى آخر الشهر ، ثم ينتقلون إلى سوق هجر^(٤) ، وهو المشقر^(٥) في شهر ربيع^(٦) الآخر ، فتقوم أسواقهم ؛ وكان يمشرون المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم ، ثم يرتحلون نحو عمان^(٧) ، فتقوم سوقهم بديار دبا^(٨) ، ثم بصحار^(٩) ، ثم يرتحلون فينزلون إرم^(١٠) ، وقرى الشعر^(١١) فتقوم أسواقهم أيتاما ، ثم يرتحلون فينزلون عدن أبين ، ومن سوق عدن تشتري اللطائم^(١٢) وأنواع الطيب ، ولم يكن فى الأرض أكثر طيبا ، ولا أحذق صناعات للطيب من عدن ؛ ثم يرتحلون فينزلون الراية من حضرموت ، ومنهم من

(١) فى الأصل : « كليب » والياء زيادة من الناسخ .

(٢) أكيدر ، هو صاحب دومة الجندل .

(٣) يمشرون ، أى يأخذ منهم العشر .

(٤) مدينة هجر : قاعدة البحرين . وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . قال ياقوت : وهو الصواب .

(٥) المشقر : حصن بالبحرين قديم كان لعبد القيس بن حصنا لهم آخر يقال له : الصفا قبل مدينة هجر .

(٦) ذكر صاحب بلوغ الأرب أن هذه السوق كانت تقوم فى أول يوم من جادى الآخرة .

(٧) عمان : كورة عربية على ساحل البحر ، وهى فى شرق هجر .

(٨) فى الأصل : « دبا » وهو تحريف . قال ياقوت : « دبا سوق من أسواق العرب بعمان ، وهى مدينة قديمة مشهورة لها ذكر فى أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديما قصبه عمان » .

(٩) صحار : بلدة بعمان كانت فيما مضى قصبه هذه الكورة ، وهى على البحر وتلى الجبل .

(١٠) إرم : فلاة قرب عدن كما فى كتاب صفة جزيرة العرب .

(١١) الشعر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن و عمان .

(١٢) اللطائم : نوافج السك ، أى سرره ، الواحد لطيمة .

يمجوزها ويرد صنعاء ، فتقوم أسواقهم بها ، ومنها كانت تجلب آلة الخزز والأدم والبرود ، وكانت تجلب إليها من معافر^(١) ، وهي معدن البرود والخبر^(٢) ثم يرحلون إلى عكاظ وذى المجاز فى الأشهر الحرم ، فتقوم أسواقهم بها ، فيتناشدون ويتحاجون ويتحادون ، ومن له أسير يسمى فى فدائه ، ومن له حكومة أرتفع إلى الذى يقوم بأمر الحكومة من بنى تميم ، وكان آخرهم الأقرع بن حابس ؛ ثم يقفون بعرفة ، ويقضون ما عليهم من مناسكهم ؛ ثم يتوجهون إلى أوطانهم . وهذه الأسواق كانت تقوم طول السنة ، فيحضرها من قرب من العرب ومن بعد . هذا حديثهم ، وهم همّل لاعتهم إلا بالسودد ، ولا معقل لهم إلا السيف ، ولا حصون إلا الخليل ، ولا نغر إلا بالبلاغة .

- (٦) ثم لما ملكوا الدور والقصور والجنان والأودية والأنهار والمعادن والقلاع والمدن والبلدان والسهل والجبل والبر والبحر ، لم يقعدوا عن شأو^(٣) من تقدم بألاف سنين ، ولم يعجزوا عن شئ كان لهم ؛ بل أبرأوا عليهم وزادوا ، وأغربوا وأفادوا ؛ وهذا الحكم ظاهر معروف ، وحاضر مكشوف ؛ ليس إلى مرده سبيل ولا لمجاهده^(٤) ومنكره دليل .

فليستخى الجيهانى^(٥) بعد هذا البيان والكشف والإيضاح ، بالإنصاف من القذع والسفّه اللذين حشا بهما كتابه ، وليرفع نفسه عما يشين العقل ، ولا تقبله حكام العدل ؛ وصاحب العلم الرصين ، والأدب المسكين ؛ لا يسلط

(١) فى الأصل : « معافر » والياء زيادة من الناسخ . ومعافر : مخالف باليمن تنسب إليه الثياب المعافرية .

(٢) فى الأصل : « والخبر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا : « شا » و « والصواب ما أثبتنا .

(٤) « مجاهدة » ؛ وهو تحريف

(٥) فى الأصل : « الجانى » .

خصته على عرضه بلسانه ، ولا يستدعى مرّ الجواب بتعرضه ويرضى بالميسور في غالب أمره ؛ فإن المصيبة في الحق ربّما خذلت صاحبها وأسلمته ؛ وأبدت عورته ، واجتلبت مساءته ^(١) ؛ فكيف إذا كانت في الباطل ونعوذ بالله أن نكون لفضل أمة من الأمم جاحدين ، كما نعوذ به أن نكون بنقص أمة من الأمم جاهلين . فإن جاحد الحق يدلّ من نفسه على مهانة ، وجاهل النقص يدلّ من نفسه على قصور ؛ فهذا هذا ؛ وفي الجملة المسلمة ، والدعوة المرستة ، أن أهل البرّ وأصحاب الصّحارى الذين وطاؤم الأرض ، وغطّأؤم السماء ، هم في السدد أكثر وعلى بسيط الأرض أجول ، ومن الترفّه والرفاهية أبعد ، وبالحول والقوة أعلّق وإلى التكرّة والنعلنة أفرّج ^(٢) ، وعلى المصالح والمنافع أوقع ، ومن المخازى آنف وللقبائح أعيف ؛ وهذا للدواعى الظاهرة ، والحاجات ^(٣) الضرورية ، والملائق الخاصة ^(٤) على الألفة والمودة ، والشدائد المؤذية ، والموارض اللازمة ^(٥) ؛ ولهذا يقال : عيبُ الغنى أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة ؛ وهذا معنى كريم ، لا يُقرّ به إلاّ كلُّ نقّاب عليم .

(٧) وقال الجيهانيّ أيضا : بما يدلّ على شرفنا وتقدّمنا وعزّنا وعلوّ مكاننا ، أن الله أفاض علينا النعم ، ووسّع لدينا القسّم وبوّأنا الجنان والأرياف ، ونعمّنا وأثرّفنا . ولم يفعل هذا بالعرب ، بل أشقّاهم ^(٦) وعذبهم ، وضيق عليهم وحرّمهم ،

(١) « ماته » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « أفرع » .

(٣) في الأصل : « وإلى الحاجات » وقوله « إلى » زيادة من الناسخ .

(٤) في الأصل : « الحاضرة » والراء زيادة من الناسخ .

(٥) اللازمة ، أى التاجية الشديدة .

(٦) « سقام » .

وَجَمَعَهُمْ فِي جَزِيرَةِ حَرَجَةٍ ، وَرُقْمَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَسَقَامٍ^(١) بَارْتَقَ ضَاخٍ ؛ وَبِهَذَا يُعَمَّ أَنْ الْخُصُوصَ بِالنِّعْمَةِ وَالْمَقْصُودَ بِالنِّكْرَامَةِ فَوْقَ الْمَقْصُودِ بِالْإِهَانَةِ .

فَأُطَالُ هَذَا الْبَابَ بِمَا ظَنُّ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِشَيْءٍ لَا جَوَابَ عَنْهُ ، وَلَا مُقَابِلَ لَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لِمَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ وَتَجَلَّى لَهُ ، بَلْ قَدْ خَصَّتِ الْعَرَبُ بَعْدَ هَذَا بِأَشْيَاءٍ تَطُولُ حَسْرَةُ^(٢) مَنْ فَاتَتْهُ عَلَيْهَا ، وَلَا يَفِيدُ أَلْفَاتُهُ بِالْفَيْضِ إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ دَلَّ كَلَامُهُ عَلَى أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالنِّعْمَةِ ، غَافِلٌ عَمَّا هُوَ سَرُّ الْحِكْمَةِ .

وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَاهِلَ إِذَا لَبَسَ الثَّوْبَ النَّاعِمَ ، وَأَكَلَ الْخُبْزَ الْخَوَّارِيَّ^(٣) وَرَكِبَ الْجَوَادَ ، وَتَقَلَّبَ عَلَى الْحَشِيَّةِ ، وَشَرِبَ الرِّحِيقَ ، وَبَاشَرَ الْحَسَنَاءَ ، هُوَ أَشْرَفُ مِنَ الْعَالِمِ إِذَا لَبَسَ الْأَطْيَارَ ، وَطَعِمَ الْمُسَبَّ ، وَشَرِبَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، وَتَوَسَّدَ الْأَرْضَ ، وَقَنَّعَ بِالْيَسِيرِ وَرَخِيَ الْعَيْشَ ، وَسَلَا عَنْ الْفُضُولِ ؛ هَذَا خَطَأٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَمَرْدُودٌ مِنَ الْحُكْمِ ، عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا ، ثُمَّ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْحِجَابِ ، وَأَصْحَابِ التَّقَى وَالنَّهْيِ ؛ وَعَلَى طَرِيقَتِهِ أَيْضًا أَنَّ الْبَصِيرَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَعْمَى ، وَالْفَنَى أَفْضَلُ مِنَ الْفَقِيرِ .

أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْمَدَارَ عَلَى الْعَقْلِ الَّذِي مَنَ حُرْمُهُ فَهُوَ أَنْقَصُ مِنْ كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعَلَى الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ عَرِيٍّ مِنْهُ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ كُلِّ مُوسِرٍ ؛ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى صُرِيِّينَ : أَحَدُ الضَّرْبَيْنِ عَمَّ بِهِ عِبَادَهُ ، وَغَمَرُ بَفَضْلِهِ خَلِيقَتَهُ ، بَدَأَ بِهَا أَسْتَحْقَاقَ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ وَرَزَقَ وَكَفَلَ وَحَفِظَ وَنَعَشَ وَكَلَأَ وَحَرَسَ وَأَمَهَّلَ وَأَفْضَلَ وَوَهَّبَ وَأَجْزَلَ ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَدْلُ الْخَلُوطُ بِالْإِحْسَانِ ، وَالتَّسْوِيَةُ الْمَعْمُومَةُ بِالتَّفَضُّلِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ سَاقِطًا مِنْهَا الْحَرْفُ الْأَخِيرُ ، وَهُوَ الْفَافُ ، وَأَرْتَقَ ، أَيْ أَكْدَرَ مِنْ رَتَقَ الْمَاءِ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَفَرَحَ إِذَا كْدَرَ . وَضَاحٌ ، أَيْ مَتَرَضٌ لِلشَّمْسِ .

(٢) « حَرَهُ » .

(٣) الْخَوَّارِيُّ : لِبَابِ الدَّقِيقِ وَخَالِصِهِ .

والقدرةُ المشتملةُ على الحكمة ؛ والضرب الثاني هو الذي يُستحقّ بالعمل والأجتهاد والسعي والأرتياد ، والأختبار والأعتقاد ؛ ليكون جزاءً وثواباً ، ولهذا حَرَّمَ العاميَ الخائف ، وأثال الطائعَ الموافق ؛ فقد بان الآن أن المدار ليس بالجنان والترفة ، ولا بالذهب والفضة ، ولا الوبرَ والتدر .

وقد مر^(١) هذا الكلام كله فليَسْكُنْ من الجَهَنَّمَ جأشُهُ ، وليفارقهُ طيشُهُ ؛ وليعلم أن من أنصف أعطى بيده ، وسَلَّمَ الفضلَ لأهله ؛ فإن التواضع للحق رفعة والترفع بالباطل ضمة^(٢) .

(٨) وهما بقيّةُ ينبغي أن يُتبصّرَ فيها ؛ من عَرَفَ النقصَ البحت ، والنقصَ المشوبَ بالزيادة ؛ والفضلَ العُصْرَفَ ، والفضلَ الممزوجَ بالنقيصة لم يَجِدْ بالهوى الثموى فضلاً ، ولم يَدْعِ للمصيبةِ الرُديّةِ شرقاً ، ولم يُنكِرِ بالحسدِ مزينة ؛ والخلقَ كلُّهم في نعم الله تعالى مشتركون ، وفي أياديهِ مغسوسون وبمواهبهِ متفاضلون ، وعلى قدرته متصرفون ؛ وإلى مشيئته صائرون ، وعن حكمتِهِ مخبرون ، ولآلائِهِ ذاكرون ، ولنعمائِهِ شاكرون ، ولأياديهِ ناشرون ، وعلى اختلافِ قضاةِ صابرون ، ولثوابهِ بالحسناتِ مستحقّون ، ولعقابه بالسيئاتِ مستوجبون ، ولعفوهِ برحمته منتظرون ، والله خيرٌ بما يعملون ، وبصيرٍ بما يُسرون وما يُعملون مع الجماعة ، وأبو سليمان يقول : القرب^(٣) أذهب مع صفو العقل ؛ ولذلك هم^(٤) بذكرِ المحاسنِ أبده ، وعن أصدادها أنزه . ولو كانت رَوَيْتُهُمْ في وزنِ بديهتهم ، كان الكمالُ ؛ ولكن لما عَزَّ الكمالُ فيهم ، عَزَّ

(١) « وقدم » .

(٢) « ضمة » .

(٣) « كقرب » .

(٤) في الأصل : « لهم » واللام زيادة من الناسخ .

أيضا^(١) في غيرهم من الأمم ، فالأمة كلها شرعٌ واحد في عدم الكمال إلا أنهم متفاضلون بعد هذا فيما نالوه بالخلقة الأولى ، وبالأختيار الثاني ؛ وأختلفت أبصارهم في هذا الموضع ، فأما ما مُنِعَ الإنسان في الأول فلا عتب عليه فيه ، لأنه لا يقال للأعمى : لِمَ لا تكون بصيرا ، ولا يقال للطويل : لِمَ لا تكون قصيرا وقد يقال للقصير : سَدِّ طَرَفَكَ ، وأَكْحِلْ عَيْنَكَ ، ومُدَّ^(٢) ناظِرَكَ ؛ كما يقال للطويل : تَطَامَنُ ، في هذا الزَّفَاقِ حتى تدخل ، وتَقَاصِرَ حتى تصل ؛ وأما ما لم يُمنعهُ الإنسان في الأول ، بل أُعْطِيَهِ وَوُهِبَ لَهُ ، فهو فيه مَطْلَبٌ بما عليه وله كما أنه مطالب بما له وعليه .

وقال الجبّهاني أيضا : ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى^(١) ولا كتاب الفلاحة ، ولا الطب ولا العلاج ، ولا ما يجري في مصالح الأبدان ، ويدخل في خواص الأنفس .

فليعلم الجبّهاني أن هذا كله لهم بنوع إلهي لا بنوع بشري ، كما أن هذا كله لغيرهم بنوع بشري لا بنوع إلهي ، وأعني بالإلهي والبشري الطباعي والصناعي ؛ على أن إلهي^(٣) هؤلاء قد مازجه بشري هؤلاء ، وبشري هؤلاء قد شابه إلهي هؤلاء ؛ ولو علم هذا الزاري لعلم أن المجسطي وما ذكره ليس للفرس أيضا ، وما عندي أنه مكابر فيدعي هذا لهم . فإن قال : هو لليونان ، ويونان من العجم ، والفرس من العجم ، فأنا أخرج^(٤) هذه الفضيلة من العجم إلى العجم فهذا منه حيف على نفسه ، وشهادة على نفسه ؛ لأنه لو فخر يونان لم يستطع أن

(١) رسمت هذه العبارة في الأصل هكذا : « عزا يضا » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « وقد » بالغاف ؛ وهو تحريف وما أثبتناه أولى بالسياق .

(٣) في الأصل : « للهي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « أخرج » ؛ وهو تصحيف .

يدعى هذا للفُرس ، ولا يمكنه أن يقول : نحن أيضا عجم ، وفضيلتكم في هذه الكتب والصناعة متصلة بنا ، وراجعة إلينا . ومتى قال جُبِهَ ^(١) بالمكروه وقوبل بالقُدْع ^(٢) ، وقيل له : صه ، ^(٣) كما يقال للجاهل — إن لم تقل له : « أخسأ » ، كما يقال — في كل ^(٤) الأحاديث ، وإن أغفلته ^(٥) ظلمتُ نفسي ؛ ومن حابي خصمه غلب .

(١٠) قال القاضي أبو حامد المروزي ^(٦) : لو كانت الفضائل كلها بعقدها وسمعتها ، ونظمها ونثرها ، مجموعة للفُرس ، ومصبوبة على أروسهم ، ومعلقة بأذانهم ، وظالمة من جباههم ؛ لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها ، وأن يخرجسوا عن دقها وجأها ، مع نيكهم الأمهات والأخوات والبنات فإن هذا شيء كريه بالطباع ، وضعيف بالسماع ، ومردود عند كل ذى فطرة سليمة ، ومستبشع في نفس كل من له جبهة ^(٧) معتدلة . قال : ومن تمام طغيانهم ، وشدة بهتانهم ، أنهم زعموا أن هذا بإذن من الله تعالى ، وبشرية أتت من عند الله ، والله تعالى حرّم الخبائث من المطعومات فكيف حلل ^(٨) الخبائث من المنكوحات ؟

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير الباء والماء والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) القُدْع : الشتم والرمى بالفحش وسوء القول .

(٣) في الأصل : « تأكل » وهي زيادة لا معنى لها .

(٤) في « كل » وهو تحريف لا يستقيم معناه .

(٥) « أغفلته » بالعين والقاف ؛ وهو تصحيف .

(٦) هو القاضي أبو حامد أحمد بن بشر البصرى المروزي ، كان عالما بفنون العلوم الدينية والأدبية . قال فيه أبو حيان : « كان بحرا يتدفق حفظا لسير ، وقياما بالأخبار ، واستنباطا للعنان ، وثباتا على الجدل وصبرا في الخصام » . وكان يقول فيه : « إنه أنبل من رأيته في عمرى » . توفي سنة ٣٦٢ .

(٧) « لكيم » ؛ وهو تحريف لا معنى له ، وسياق الكلام يقتضى إثبات ما يفيد معنى الجلبة كما أثبتنا وإن كان بعيدا عن الرسم الموجود في الأصل .

(٨) « على » .

قال : وكذب القوم ، لم يكن زرادشت نبيا ، ولو كان نبيا لذكره الله تعالى في عرض الأنبياء الذين نوه بأسمائهم وردد ذكرهم في كتابه ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » لأنه لا كتاب لهم من عند الله منزل على مُبَلِّغ عنه . وإنما هو خرافة خدعهم بها زرادشت بقوة التلك الذي قبل ذلك منه وسَمَلَ الناس عليه طوعا وكرها ، وترغيبا وترهيبا ؛ وكيف يبعث الله نبيا يدعو إلى الإلهين أثنين ؟ وهذا مستحيل بالعقل ، وما خلق الله العقل إلا ليشهد بالحق للمُحَقِّق والباطل للمُبْطِل ؛ ولو كان شرعا لكان ذلك شائعا عند أهل الكتابين ، أعنى اليهود والنصارى ؛ وكذلك عند الصابئين ، وهم كانوا أكثر الناس عناية بالأديان والبحث عنها ، والتوصل إلى معرفة حقائقها ، ليكونوا من دينهم على ثقة ؛ فكيف صارت النصارى تعرف عيسى ، واليهود تعرف موسى ؛ ومحمد — صلى الله عليه وسلم — يذكرها ويذكر غيرها ، كداود وسليمان ويحيى وزكريا ، وغير هؤلاء ، ولا يذكر زرادشت بالنبوة وأنه جاء من عند الله تعالى بالصدق والحق كما جاء موسى وعيسى^(١) لكنني بُعِثْتُ ناسخا لكل شريعة ، ومجددا لشريعة خصى الله بها من بين العرب .

قال : وهذا بيان نافع في كذبهم ؛ وإنما جاءوا إلى وهي فرقومه ، وإلى حرام بللعل فأباحوه ، وإلى خبيث بالطبع فارتكبوه وإلى قبيح في العادة فاستحسنوه . وقد وجدنا في البهائم ما إذا أُنْزِيَ الفحل منها على أمه لم يطاوع ، وإذا أُكْرِه وخُدِع وعُرف غضب على أهله ونَدَّ عنهم ، وشرَّ ر عليهم ؛ فما تقول في خُلِقَ لا ترضاه البهيمة ، ولا تطاوعه^(٢) فيه الطبيعة ، بل ياباه حسه مع كُؤله^(٣)

(١) يلاحظ أن موضع هذه النقطة كلام ساقط من الأصل فيما يظهر لنا .

(٢) تطاوعه ، أى تطاوع الفحل .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « ككوكه » ؛ وهو تعريف .

وتبرّد شهوته مع اشتغالها ، ويرضاه هؤلاء القوم مع عُجبهم بمقولم ، وكبرهم في أنفسهم .

ولو كان زرادشت أقام لهم على هذه الخصلة اللثيمة والفعلة الذميمة كل آية وكل برهان ، ونثر عليهم نجوم السماء ، وأطلع لهم الشمس من المغرب ، وقتت لهم الجبال ، وغَيّض لهم البحار ، وأراهم الثريا تمشي على الأرض تحترق السكك وتشهد له بالصدق ، لكان من الواجب بالعقل والنيرة والحكمة وبالأفنة وبالتفزز وبالتعرّز ألاّ يجيبوه إلى ذلك ، ويشكّوا في كل آية يرون منه ، ويقتلوه ، ويُنكّلوا به .

ولكن يمثّل هذا العقل قبلوا من مزدك ما قبلوه مرّة ، ولو عاملوا زرادشت بما عاملوا به مزدك ما كان الأمر إلا واحداً ، ولا كان الحق إلا منصورا ، ولا كان الباطل إلا مقهورا ، ولكن اتفق على مزدك ملك عاقل فوضع باطله ، واتفق لزرادشت ملك ركيك فرفع باطله ؛ وما نزع الله عنهم الملك إلا بالحق ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) . ثم قال : وبعد ، فكل شيء خارج من الحكمة الإلهية والمقلية والطبيعية فهو ساقط بهرج ، ومردود مردول ، إذا فعله جاهل عُذِر بالجهل ، وإذا أتاه عالم عُذِل للعلم .

قال : وكانت العرب بهذا الخلق الذميم ، وهذا الفعل اللثيم ، لو فعلته أعذر ، لأنهم أشد غلّة من غيرهم وأكثر تهيجا ، وأقوى على البضاع ، وأوثب على النساء يدلك على هذا غزلهم وعشقهم ونظمهم ونثرهم وفراغهم وشهوتهم ، وتراهم مع هذه الدواعي والبواعث لم يستحسنوا هذا ولم يفعلوه ، ولو أكرههم على هذا مكروه ودعاهم إليه داع لما أطاعوه ، ولذلك لم ينبج منهم ناجم بالحيلة

فدعا إلى هذا ؛ ولو كان لكان أولَ مَنْ دُقَّ رأسُه بالعَد ، ويُعج بطئه بالخنجر ؛ وما منعهم من هذا إلا الأُنس الكريمة ، والطباع المعتدلة ، والشكائم الشديدة ، والأرواح العيِّفة ، والعادات الرضيّة ، والضرائب الطيّبة ؛ وكان وأد البنات عندهم أنقى للعاير ، وأطرَدَ للقبائح من هذا أَلَذَى أُستحسسه زرادشت وقيل منه الفرس ، وهم يَدْعُونَ الحُكْم والعِلْم والعَزَم والعزم ، ولقرط جهلهم وغلبة شهوتهم غفلوا عما يجوز أن يكون الله سبحانه مبيحا له أو حاضرا ، أو مطلِقا أو مانعا ، أو محلا أو محرّما ؛ هيات ما كلف الله أهل العقل القيام بالدين والتصفّح للحق^(١) من الباطل إلا لما شرّفهم به في العاجل ، وعرضهم له في الآجل ؛ والمأقبة للمتقين .

قال أبو الحسن الأنصارى^(٢) — وكان حاضرا — الهند أوضح عذرا في هذا الحديث لأنهم جعلوه من باب القربة في بيوت الأصنام ، وبلغوا مرادهم بهذه الخديعة ، ولم ينسبوا إلى الله شيئا منه ، ولا أستجازوا الكذب عليه ، ولا علقوه أيضا على نبي من عند الله ، بل رأوه صوابا بالوضع^(٣) ثم طابت أنفسهم من هذا الفعل بالمران والمادة . وبعد ؛ فمقولهم مدخولة ، والبارع منهم قليل ، وهم إلى الإفك^(٤) والوهم والسحر أميل ، وفي أبوابها أدخل ؛ ثم قال أبو الحسن : انظر إلى جهل زرادشت في هذا الحُكْم وإلى ضعف عقول الفرس في قبولهم منه هذا

(١) « بالحق » بالباء ، والسياق يقتضى اللام كما أثبتنا .

(٢) كذا بالأصل ولله الأنطاكى ، فإننا لم نجد فيها بين أيدينا من الكتب من يلقب بالأنصارى . وأبو الحسن الأنطاكى هو أبو القاسم علي بن أحمد أصله من أنطاكية ونزل بغداد ، وكان مهندسا حاسبا له مشاركة في علوم الأوائل مع فصاحة لسانه وعذوبة بيانه . مات بغداد سنة ٣٧٦ .

(٣) « لوضع » ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) « الفكر » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

العمل ، وخيّرَ بينها وبين عقول العرب ، فإنهم قالوا : « اغتربوا لا تُضَوُّوا »^(١) .
 وأستفاض هذا منهم حتى سَمِعَ من صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، وذلك
 أن الضَّوَّى مكروه ؛ والعرب قالت هذا بالإلهام ، لقراءتهم الصافية ، وأذهانهم
 الواقذة ، وطينتهم الحرة ، وأعراسهم الكريمة ، وعاداتهم السليمة : وإنما شعروا
 بهذا لأن الضَّوَّى الواصل إلى الأبدان هو سارٍ في العقول ، ولكن الفرس عن
 هذا السر غافلون ، ولا يفطن لهذا وأمثاله إلا الأملئيون الأحمديون^(٢) ؛ ثم قال :
 أنشد الأحمي عن العرب قولَ قائلهم في مدح صاحب له :

فَتَى لم تلده بنتُ عمِّ قريبةٍ قِيضَوِي وقَدِيضَوِي رَدِيدُ الأقاربِ
 قال : وقالت العرب : « أضواء حقّه » : إذا نقصه . قال : وقال آخر لولده :
 والله لقد كفيتك الضَّوْولة ، وأخترتُ لك الخُوْولة .

وقال أيضا : العرب تقول : « ليس أضوى من القرائب ، ولا أنجب من
 القرائب » وقال الشاعر :

أنذرتُ من كان بعيدَ الممِّ تزويجَ أولادِ بناتِ الممِّ
 ليس بناجٍ من ضَوَّى أو سقمٍ وأنت إن أطعمته لا ينجي
 وقال الأسديّ يفتخر :

ولستُ^(٣) بضَوِيٍّ تموجَ عظامُه ولادته في خالدٍ بمسد خالد
 تردّد^(٤) حتى عمّه خال أمه إلى نسب أدنى من السرواحد

(١) اغتربوا لا تضووا ، أي تزوجوا في بقاء الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادكم
 أي تنحف وتضعف .

(٢) الأحمدي : الحاذق المشير للأمور القاهر لها لا يشذ عليه شيء . وفي الأساس :
 « رجل أحمدي » : يسوق الأمور أحسن مساق لعله بها .

(٣) في الأصل : « وكنت » ، وهو تحريف ؛ ومقام الفخر يقتضى ما أثبتنا .

(٤) في الأصل : « تردده » والماء زيادة من الناح .

ثم قال : والعرب لم تُرد بهذا إلا نقص الذهن والعقل ، لأنها لو أرادت نقصان الجسم لكانت مخطئة ، لأنهم يريدون سمانة الجسم مع السلامة والصلابة . ثم قال : وعلى هذا طباع الأرض ، ولذلك يقال : إذا كثرت المؤتفكات ^(١) زكت الأرض ، لأنَّ الرياح إذا اختلفت حوّلت تراب أرض إلى أرض ، وإذا كان الأغتراب يؤثر من التراب إلى التراب ، فبالحرى ^(٢) أن يؤثر ^(٣) الإنسان في الإنسان بالأغتراب ، لأن الإنسان أيضا من التراب .

قال أبو حامد : فما ظنك بقوم يجهلون آثار الطبيعة ، وأسرار الشريعة ^(٤) ؟ ما أذلهم الله باطلا ، ولا سلبهم ملكهم ظالما ، ولا ضربهم بالخزي والمهانة إلا جزاء على سيرتهم القبيحة ، وكذبهم على الله بالجرأة والكابرة ، وما الله بظلام للمبيد .

فلما بلغ القول مداه قال ^(٥) : الله ^(٦) [دَرُّ] ^(٧) هذا النَّفس الطويل والنَّفث ^(٨) الغزير لقد كنتُ قَرَمًا إلى هذا النوع من الكلام ، فقرغَ قَسَكَ لرسمه في جزءٍ لأنظر فيه ، وأشربَ النفسَ حلاوته ، وأستنتجَ العقيمَ منه ؛ فإنَّ الكلام إذا سرَّ بالسمع حَلَقَ ، وإذا شارَفَه البصر بالقراءة من كتاب أَسَفٌ ؛ والحلُّق بعيد التنال ، والمُسِفَ حاضر العين ، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ

(١) المؤتفكات : الرياح التي تغلب الأرض ؛ أو التي تختلف مهابها .

(٢) في الأصل : « فيه لجرى » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) في الأصل : « يوحش » ؛ وهو تحريف .

(٤) ورد في الأصل بعد قوله : « الفريسة » قوله « من الفريسة » وهي زيادة من

الناسخ لا تتسق مع الكلام .

(٥) أي الوزير .

(٦) « الله » والألف زيادة من الناسخ .

(٧) موضع هذه الكلمة في الأصل حرفان مطموسان ؛ وسباق الجملة يختص ما أثبتنا .

تذكر منه الشيء بعد الشيء باليوم الذي لا أنقاده ، والخيال الذي لا مرجح عليه . فقلت : أفعل سامعا مطيعا — إن شاء الله — .

الليلة السابعة

(١) ولما عدتُ إليه في مجلس آخر ، قال : سمعتُ صياحك اليوم في الدار مع ابن عبيد ، فقيم كتما ؟ قلتُ : كان يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك ، والسلطان إليه أحوج ، وهوبها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير ، فإذا الكتابة الأولى جد ، والأخرى منزل ؛ ألا ترى أن التشادق والتفهيق والكذب والخداع فيها أكثر ؛ وليس كذلك الحساب والتحصيل والأستدراك والتفصيل . قال : وبعد هذا فتلك صناعة معروفة بالمبدأ ، موصولة بالناية ، حاضرة الجدوى ، سريعة المنفعة ؛ والبلاغة زخرفة وحيلة ، وهي شبيهة بالشراب ، كما أن الأخرى شبيهة بالماء . قال : ومن خسارة البلاغة أن أصحابها يُسترقعون ويُستحمقون ؛ وكان الكتاب قديما في دور الخلفاء ومجالس الوزراء يقولون : اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة النشئين ، وحقاقه المعلمين ، وركاكة النحويين ، والمنشى والمعلم والنحوي إخوة وإن كانوا لعلات ؛ والآفة تشملهم والمادة تجمعهم ، والنقص يفرهم ، وإن اختلفت منازلهم ، وتباينت أحوالهم قال : ولولم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن للملكة العريضة الواسعة يُكتفى فيها بمنشئ واحد ، ولا يُكتفى فيها بمائة كاتب حساب (١) وإذا كانت الحاجة إلى هذه أمت ، كانت الأخرى في نفسها أحسن ؛ وبعد ، فصالح أحوال

(١) لم يرد جواب « لو » للمعلم ، أى لكن كتابة الحساب غرا على كتابة الإنشاء ، أو ما يفيد هذا المعنى .

العامة والخاصة معلقة بالحساب ؛ على هذه الجديلة^(١) والوتيرة يجري الصغار والكبار والعليّة والسفلة ، وما زال أهل الحزم والتجارب يحثون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلّم الحساب ، ويقولون لهم : هو سلة الخبز . وهذا كلام مستفيض ؛ ومن عبّر عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرّف أو موضوع غير موضعه وأهّم غيره ، وبلغ به إرادته ، وأبلغ غيره ، فقد كفى ؛ والزائد على الكفاية فضل والفضل يُستغنى عنه كثيرا ، والأصل يُفتقر إليه شديدا ، قال : ومن آفات هذه الكتابة أن أصحابها يُقرّفون بالريبة ، ويُرّمون بالآفة ، كآل الحسن بن^(٢) وهب وآل ابن ثوبة . قال : هذه ملحمة منكّرة ؛ فما كان من الجواب ؟

- (٢) قلتُ : ما قام من مجلسه إلا بعد النلّ والقماء ، وهكذا يكون حال من عاب القمر بالكلف ، والشمس بالكسوف ، وأنتحل الباطل ونصر الميطل ، وأبطل الحقّ وزرى على الحقّ . قلتُ : أيّها الرجل ، قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائلةً من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة^(٣) . فأما وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومشملة عليها وحاجية لها ، فكيف يطرد حُكْمُك وتسلم دعواك ؟ ألا^(٤) تعلم أنّ أعمال

(١) الجديلة : الشاكلة ؛ يقال : عمل على جديلته ، أى على شاكلته .

(٢) يشير بهذه العبارة إلى ما فعله الواثق بالله مع الحسن بن وهب كاتبه ، فقد حبسه وأغرمه أربعة عشر ألف دينار ، كما حبس كتابا آخرين وقبض منهم أموالا جمة ، وذلك في سنة تسع وعشرين ومائتين . وإلى نكبة أبي الهيثم بن ثوبة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فقد حبس حتى مات في حبسه بالكوفة بعد أن أخذ منه إسحاق بن عمران أموالا جزيلة لنفسه والسلطان . ويقال : إنه احتال على قتله خفية أن يقر عليه بما أخذ منه .

(٣) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة أيام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره بإجازة ذلك ؛ وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان تجمع جميع ما يحتاج إليه من استئثار واستدعاء توقيع .

(٤) في الأصل : « ألا أن تعلم » « وأن » زيادة من الناسخ .

الدواوين التي يتفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه ؛ بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان للكشوف والأحتجاج الواضح ، وذلك يوجد من الكاتب المنشئ الذي عبته وعرضته ^(١) ، وهذه الدواوين معروفة ، والأعمال فيها موصوفة ؛ وأنا أحصيتها لك كي تعلم أنك غلط وعن الصواب فيها منحرف .

فنها ديوان الجيش ، وديوان بيت المال ، وديوان التوقيع والدار ، وديوان الخاتم ، وديوان القرض ^(٢) ، وديوان النقد والعمار ودور الضرب ، وديوان النظام وديوان الشرطة والأحداث ؛ هذا إلى توابع هذه الدواوين مثل باب العين ^(٣) والمؤامرات ، وباب النوادر ^(٤) والتواريخ ، وإدارة الكتب ومجالس الديوان وقبل وبعد ، كما ^(٥) يلزم كاتب الحساب أن يعرف وجوه الأموال ^(٦) حتى إذا جباها وحصلها عمل الحساب أعماله فيها ، فلا يمكنه ^(٧) أن يجيئ ^(٨) إلا بالكتب البليغة والحجج اللازمة واللطائف المستعملة ، ومن تلك الوجوه التي ، وهو أرض العنوة وأرض الصلح وإحياء الأرض والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع

(١) يقال : عبته بلسانه ، إذا تناوله بمكروه الكلام .

(٢) في الأصل : « الفس » بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف ، والمراد بالفض : فض الكتب المحتومة .

(٣) يريد بالعين : خراج العين ، وهو ما يقرر على البساتين والشجريات والكروم والمقايئ ويسخرج على حكم الضريبة عند إدراك كل صنف . وكان هذا في البلاد الشامية . انظر الجزء الثامن من نهاية الأرب ص ٢٦١ طبع دار الكتب المصرية .

(٤) لعل صوابه : « التقادير » أي تقادير ما تخرجه الأرض من غلة .

(٥) « فا » .

(٦) في الأصل : « الأعمال » وهو خطأ من الناسخ ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه قوله

جد : « حتى إذا جباها » .

(٧) في الأصل : « فيمكنه » . والسياق يقتضي زيادة « لا » النافية .

(٨) « يجيئ » .

وجزية رءوس أهل الذمة وصدقات الإبل والبقر والغنم وأخماس الفنائم والمعادن والركاز^(١) والمال المدفون ، وما يخرج من البحر وما يؤخذ من التجار إذا مروا بالماشر^(٢) والألقطة والضالة وميراث من لا وارث له ومال^(٣) الصدقة ؛ إلى غير ذلك من الأمور المحتاجة إلى المكاتبات البالغة على الرسوم المعتادة والعادات الجارية ، كمهد يُنشأ في إصلاح البريد وتقسيط الشرب ، وكتاب في المارة وإعادة ما نقص منها ، وفي^(٤) حَزْرِ الفلّة^(٥) والدياس^(٦) ، وفي الدوالي والدواليب والفرافات ، وفي القلب والقسمة ، وفي تقدير الخضر^(٧) المبكرة وفي المساحة وفي الطراز^(٨) ، وفي الجوالي^(٩) ، وفي قبض فرائض الصدقات ، وفي أفتتاح الخزاجات ، إلى غير ذلك من كُتُب^(١٠) المحاسبين .

فإن قلت : « هذا كله مستغنى عنه » كبرت وبهت ، لأن مدار المال ودوره ، وزيادته ووفوره على هذه الدواوين التي إما أن يكون حظّ البلاغة فيها أكثر ، وإما أن يكون أثر الحساب فيها أظهر ، وإما أن يتكافأ ؛ فعلى جميع الأحوال لا يكون الكاتب كاملا ، ولا لأسمه مستحقا ، إلا بعد أن ينهض

(١) الركاز ، هو دفين الجاهلية من الأموال .

(٢) الماشر ، هو الذي يأخذ منهم عشر ما معهم .

(٣) « وفي مال » .

(٤) في الأصل « في » بقط وواو العطف ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) في الأصل « حرز العلم » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا يستقيم معناه ؛ والصواب ما أثبتنا . والحزر : التقدير بالظن .

(٦) دياس الحنطة ؛ دراستها .

(٧) « الحصر » .

(٨) الطراز : مقسم الماء في النهر كما ذكره . صاحب مفاتيح العلوم في الكلام على مصطلح

كتاب ديوان الماء . ثم قال : وتسمى مقاسم المياه في بلاد ما وراء النهر : البرقات والمزقات .

(٩) يريد بالجوالي : مال الجوالي ، وهو الجزية المضروبة على أهل الذمة ، والجوالي هم الذين

جلوا عن أوطانهم .

(١٠) « كسوة » .

بهذه الأتقال ، ويجمع إليها أصولاً من الفقه مخطوطة ^(١) بفروعها ، وآيات من القرآن مضمومة إلى سخته ^(٢) فيها ، وأخباراً كثيرة مختلفة في فنون شتى لتكون عُدّة عند الحاجة إليها ، مع الأمثال السائرة والآيات النادرة ؛ والفقر البديعة ؛ والتجارب المهودة ، والمجالس للشهود ، مع خط كتبر مسبوك ، ولفظ كوشى محوك ؛ ولهذا عنّ الكمال في هذه الصناعة ، حتى قال أصحابنا : ما نفلنّ أنّه أجمع هذا كله إلّا الجعفر بن يحيى فإن كتابته كانت سوادية ، وبلاغته سحباتية ، وسياسته يونانية ، وآدابه عربية ^(٣) ، وشماله عراقية ؛ أفلا ترى كيف غرق الحساب في غمار هذه الأبواب ؟ ثم اعلم أن البليغ مُستعمل بلاغته من العقل ، وما أخذ فيها من التمييز الصحيح ، وليس كذلك الحساب في متناوله [فلو ^(٤)] ظنّ ظانّ بأن مدار الملك على الحساب — [فهو ^(٥)] صحيح — ولكن بعد بلاغة للنشئ ، لأن السلطان يأمر وينهى ويلطف ويخاطب ويحتاج وينصف ويوعد ويعد ويضمن ويمنى ويعلق الأمل ويؤكد الرجاء ويحسم المادة الضارة ويذيق الرعية حلاوة العدل ويحبّبهم مرارة الجور ، ثم يحجى ، فإذا جى احتاج إلى الحساب حتى يكون بالحاصل عالماً ، ثمّ يتقدّم بتوزيع ذلك على الحساب حتى يكون من الغلط آمناً ، فانظر إلى المزلتين كيف اختلفتا ؟ وكيف حصلت المزية لإحدهما ؟ ولو أنصفت لعلت أن الصناعة جامعة بين الأمرين ، أعنى الحساب والبلاغة ؛ والإنسان لا يأتى إلى صناعة فيشقّها نصفين ويشرّف ^(٥) أحد النصفين على الآخر .

(١) « مخطوطة » .

(٢) إلى سخته فيها ، أى إلى تبره في فهمها .

(٣) « عقلية » .

(٤) هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم ليستا بالأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتهما أو

إثبات ما يؤدّى معناهما .

(٥) « يسرف » .

وأما قولك : « إحدى الصناعتين هزل والأخرى جد » فبئسما سَوَّلَتْ لك نفسك على البلاغة ، هي الجد ، وهي الجامعة لثمرات العقل ، لأنها تُحقِّق الحق وتُبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه ؛ ثم تحقيق الباطل وإبطال الحق لأغراض تختلف ، وأغراض تأتلف ، وأمور لا تخلو أحوال هذه الدنيا منها من خير وشر ، وإباء وإذعان ، وطاعة وعصيان ، وعدل وعدول^(١) ، وكفر وإيمان ، والحاجة تدعو إلى صانع البلاغة وواضع الحكمة وصاحب البيان والخطابة ؛ وهذا هو حدّ العقل والآخر حدّ العمل .

وأما قولك : « الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ ، والحساب معروف المبدأ » فقد خَرَفْتَ^(٢) ، لأنّ مبدأها من العقل ، وممرّها على اللفظ ، وقرارها في الخط ؛ وأنت إذا قلتَ هذا دَلَلْتَ من نفسك على أنّه ليس لك [ما]^(٣) تبصر^(٤) به هذا المبدأ الشريف وهذا الأوّل اللطيف .

وأما قولك : « والبلاغة زخرفة وهي شبيهة بالسراب » فقد أَوْضَحْنَا لك فيه ما كفى ، فإن لم يكف فانت محتاج إلى بيّنة أخرى .

وأما قولك : « إن أصحابها يُسترقعون » فهذا شنعٌ من القول ، ولو عرفت الصّدق^(٥) فيه لم تنبس به ولم تنطق بحرف منه ، فإن فيه زرايةً على الساف الصالح والصدر الأوّل ، ولو وجب أن يُسترقع البليغ إذا كان عاقلاً ، لوجب أن يُستعقل النقي^(٦) إذا كان أحمق ؛ وهذا خُلف .

(١) يريد بالدول : الجور ، من عدل عن الطريق عدولا إذا نكب عنه وانحرف .

(٢) صدقت .

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٤) تبصر .

(٥) الصرف .

(٦) النقي .

وأما قولك : « المنشئ والعلم والنحوى إخوة فى الركابة » فما يتعلم الناس إلا من العلم والعالم والنحوى وإن ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق .

وأما قولك : « إن الملكة تكتفى بمنشئ واحد » فقد صدقت ، وذلك أن هذا الواحد فى قوته يبنى بأحاد كثيرة ، وهؤلاء الأحاد ليس فى جميعهم وفاء بهذا الواحد ، وهذا عليك لالك . لكن بقى أن تفهم أنك محتاج إلى الأساكفة أكثر مما تحتاج إلى المطارين ، ولا يدل هذا على أن الإسكاف أشرف من المطار ، والمطار دون الإسكاف ؛ والأطباء أقل من الخياطين ، ونحن إليهم أحوج ، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط .

وأما قولك : « ما زال الناس يحثون أولادهم على تعلم الحساب ويقولون : « هوسلة الخبز » فهو كما قلت ، لأن الحاجة إليه عامة للكبار والصغار ؛ وأشرف الصناعات يحتاج إليها أشرف الناس ، وأشرف الناس الملك ، فهو محتاج إلى البليغ والمنشئ والمحزر ، لأنه لسانه الذى به ينطق ، وعينه التى بها يبصر ، وعيسته التى منها يستخرج رأى ويستبصر فى الأمر ، ولأنه بهذه الخاصة لا يجوز أن يكون له شريك ، لأنه حامل الأسرار ، والمحدث بالمكنونات ، والمفضى إليه بينات الصدور .

وأما قولك : « من عبّر عما فى نفسه بلفظ ملحون أو محرف وأفهم غيره فقد كفى » فكيف يصح هذا الحكم ويُقبل هذا الرأى ؟ والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب ، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء ، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال ؛ وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف ؛ ولقد قال رجل بالرمى كان نبيلاً فى حاله جليلاً فى مرتبته عظيماً عند نفسه : « أقمد حتى تنغذى بنا » . وهو يريد : « حتى تنغذى معنا » ؛ فأُنظر إلى هذا المُحال الذى ركب بلفظه

وإلى المراد الذى جانتبه بجملة ؛ ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك وكفى بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلاً بالبلاغة ، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوةها ؛ فانظر كيف وجدت فى استقلالها بنفسها ما يُقَلِّها ويُقِلُّ غيرَها ؛ وهذا أمر بديع وشأن عجيب .

وأما قولك : « ومن آفاتنا أن أصحابها يُقرِّفون بالريبة ويُنالون بالسيب » فهذا ما لا يستحقّ الجواب ، وما يضرّ الشمس نباح الكلاب ؛ وصيانة اللسان عن هذا النوع أحسن ؛ قال الله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) ؛ وقال عمر بن الخطّاب — رضى الله عنه — لو كان المرء أقوم من قِدَحٍ لَوُجِدَ له غامر . وآل ابن وهب وابن ثوبة كانوا أنبل وأفضل وأعقل من أن يُظنَّ بهم ما لا يُظنُّ بخساس العبيد وسفهاء الناس ودأصة^(١) الرعية وسفلة العامة ؛ على أنا ما سمعنا هذا إلا فى مجلس ابن عباد ، منه وممن كان يَحِيطُ^(٢) فى هواه ، ويتحرى بمثل هذه الأحاديث رضاه ؛ وحسده لم فى صناعتهم يمثه على هذه الأكاذيب عليهم ؛ فالمعجب أنه يظن أن كذبه على غيره ينفى الصدق عن نفسه ؛ ولو نزه^(٣) لسانه ومجلسه ومذهبه وأبوتَه لكان أولى به وأزین له ، ولكن النعمة والقدرة إذا عَدِمَتَا عقلا سائسا وحزما حارسا مودينا متينا وطريقا قويا أوردتا ولم تُصدرا وَخَذَلَتَا ولم تَنْصُرَا ؛ ونعود بالله من نعمة تَحَوُّرِ بلاء ، ومرحبا ببلاء يورث يقظة ويكون تمحيصا لما نقص من التقصير ؛ ولكن من هذا الذى يَشْرَبُ فلا يَسْكُرُ ولا يَهْتَمُّ ؟ ومن هذا الذى اذا سَكِرَ عَقَلَ ؟ ومن هذا الذى إذا سجا لا يعتب من شرا به تُمارا يصدع الراس ويمكن الوسواس ؟

(١) الدأصة : الخساس الجبناء . والصورس أيضا .

(٢) فى الأصل : « يحيط » ؛ وهو تصحيف .

(٣) كله .

فقال : هذه جملة قائمة لمن أدعى دعواه أو نحا منجاء ؟ وأنى لك هذا ؟
 لَمْ لَا تُدَاخِلُ صَاحِبَ دِيْوَانٍ وَلَمْ تَرْضَ لِنَفْسِكَ بِهَذَا اللَّبُوسِ ؟ فقلتُ :
 « أنا رجلٌ حُبُّ السَّلامَةِ غَالِبٌ عَلَيَّ ، والقناعةُ بالطيفِ محبوبَةٌ عندي » .
 فقال : كنتَ عن الكسلِ بحبِّ السَّلامَةِ ، وعن الفُسْؤَةِ بالرضا باليسير .
 قلتُ : إذا كنتَ لَا أَصِلُ إِلَى السَّلامَةِ إِلَّا بِالْفُسْؤَةِ ، وَلَا أَتَحْتَمُّ الرَّاحَةَ إِلَّا
 بِالْكَسْلِ ، فمرحبا بهما .

فقال : لكلِّ إنسانٍ رأيٌ واختيارٌ وعادةٌ ومَنشأٌ ومألوفٌ وقُرْآنٌ متى زُحِرَ ح
 عنها قَلْبٌ ، ومتى أُرِيغَ ^(١) على سواها فَرِقَ ؛ أَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ نَصَفَ اللَّيْلَ . قلتُ :
 لعلَّه . قال : فِي الدَّعَةِ ؛ قَدْ خَبَأْتُ لَكَ مَسْأَلَةً ، وسألتُها عليك بمدَّها — إن شاء
 الله تعالى — وانصرفتُ .

الليلة الثامنة

وقال لي مرةً أخرى : أَوْصَلَ وَهْبُ بْنُ يَمِيشِ الرُّقِّيَّ ^(٢) الْيَهُودِيَّ رِسَالَةً يَقُولُ
 فِي عَرَضِهَا بَعْدَ التَّقْرِيطِ الطَّوِيلِ الْعَرِيفِ : إنَّ هُنَا طَرِيقًا فِي إِدْرَاكِ الْفَلَسَفَةِ
 مِثْلُ مَسْلُوكَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فَنَسِيحَةٍ ، لَيْسَ عَلَى سَالِكِهَا كَدٌّ وَلَا شَقٌّ فِي بُلُوغِ مَا يَرِيدُ
 مِنَ الْحِكْمَةِ وَنَبِيلِ مَا يُطَلَّبُ مِنَ السَّعَادَةِ وَتَحْصِيلِ الْفَوْزِ فِي الْمَاقِبَةِ ؛ وَإِنْ أَصْحَابُنَا
 طَوَّلُوا وَهَوَّلُوا وَطَرَحُوا الشُّوْكَ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَنَعُوا مِنَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ غَشَامَتَهُمْ وَبَخَلُوا
 وَلَوْثَ طِبَاعٍ وَقَلَّةَ نَصَحٍ وَإِتِمَاعًا لِلطَّالِبِ وَحَسَدًا لِلرَّائِبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَتَّخَذُوا
 الْمُنَاطِقَ وَالْمُهَنْدِسَةَ وَمَا دَخَلَ فِيهِمَا مَعِيشَةٌ وَمَكْسَبَةٌ ، وَمَا كَلَّةٌ وَمَشْرَبَةٌ ، فَصَارَ ذَلِكَ

(١) « أُرِيغَ » .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْمَقَابِسَاتِ ؛ وَكَانَ أَبُو حَيَّانَ يَسْأَلُ فِي مَسَائِلِ فِلَسْفِيَّةٍ .

كسور من حديد لطلاب الحكمة والمحبتين للحقيقة والمتصفحين لأئناء العالم وكلاما هذا بمعناه ، وإلى هذا يرجع مغزاه .

فكان من الجواب : قد عرفتُ مذهب ابن يعيش في هذا الباب ، وهو جارى ، وكتب هذه الرسالة على هذا الطراز بالأمس إلى الملك السعيد سنة سبعين^(١) ، وتقرّب بها ، ونفعته بالمسألة والتفقد له ، فإنه شديد الفقر ، ظاهر الخصاصة ، لاصق بالدققاء^(٢) ؛ ولّذى قاله وأدعاه ، وقصده وأنتحاه ، وجه واضح وحجة ظاهرة ؛ ولّذى قاله أصحابنا — أعنى مخالفيه — وجه أيضا وتأويل وللقولين أنصار وحمّة ، وحفظة ورعاة .

قال : هاتِ — على بركة الله — فإني أحب أن أسمع في هذا الخطب^(٣) كل ما فيه وأكثر ما يتصل به ؛ فكان من الجواب أن ابن يعيش يريد بهذه الخطبة أن عمر الإنسان قصير ، وعلم العالم كثير ، وسيره^(٤) مغمور ؛ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع^(٥) المحكم ، وذو نضائد مزينة بالتأليف المعجب المتقن ؛ والإنسان الباحث عنه وعمّا يحتويه ذو قوى متقاصرة ، وموانع معترضة ، ودواعٍ ضعيفة ، وإنه مع هذه الأحوال منتبه بالحسن ، حالم بالعقل ، عاشق^(٦) للشاهد ، ذاهل عن الغائب ، مستأنس بالوطن الذى ألقه ونشأ فيه ، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يُلمّ به وإن كان صدّر عنه^(٧) ، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامة ؛ وإن الأولى بهذا الإنسان

(١) سنى بعد الثلاثمائة .

(٢) الدققاء : الأرض لا نبات بها . والتراب . وهذه العبارة كناية عن الفقر الشديد .

(٣) الخطب : الشأن .

(٤) « وشره » .

(٥) « بالوصف » .

(٦) « عاشق » .

(٧) عنه ، أى عن البلد .

المنعوت بهذا الضعف والعجز أم يلمس مسلكا إلى سعادته ونجاته قريبا
 ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه ؛ وإن أقرب الطرق وأسهل
 الأسباب هو في معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى ، فإنه متى عرف
 هذه الجملة بالتفصيل ، وأطلع على هذا التفصيل بالجملة ، فقد فاز الفوز الأكبر
 ونال الملك الأعظم ، وكفى مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات
 الورق الكثير ، مع العناء المتصل في الدرس والتصحيح والنصب في المسألة
 والجواب ، والتنقير عن الحق والصواب ؛ وهذا الذي قاله ابن يعيش ليس بحيف
 ولا خارج عن حومة الحق ، وإن كان الأمر فيه أيضا صعبا وشاقا وهائلا
 وعاملا ، ولكن ليس لكل أحد هذه القوة الفائضة ، وهذه الخصوصية الناهضة ؛
 وهذا الاستبصار الحسن ، وهذا الطبع الوقاد ، والذهن المتقاد ، والقريحة الصافية
 والاستبانة والتأمل ، لأن هذه القوة الإلهية ، فإن لم تكن إلهية فهي ملكية ؛
 وإن لم تكن ملكية فهي في أفق البشرية ؛ وليس يوجد صاحب هذا النعت
 إلا في الشاذ النادر ، وفي دهر مديد بين أمة جمّة القدد ؛ والفائق من كل
 شيء والباثن من كل صنف عزيز في هذا العالم الوحشي ، كما أن الردىء
 والفاسد معدوم في هذا العالم الإلهي ، ويمكن أن يقال بالمثل الأدنى : إن من
 بتكلم بالإعراب والصحة ولا يلعن ولا يخطئ ويجري على السليقة الحميدة
 والضريبة السليمة ، قليل أو عزيز ، وإن الحاجة شديدة لمن علم هذه السجية
 وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه ، ويجري على منهاجه ، ويفي
 بشروطه في أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها ؛
 ومتى أتفق^(١) إنسان بهذه الحلية^(٢) وعلى هذا النجار ، فلعمري إنه غني عن تطويل

(١) اتفق لإنسان ، أى وجد بطريق الاتفاق ، أى الصدقة .

(٢) لعله « الجملة »

النحويين كما يستغنى قارض الشعر بالطبع عن علم العروض ، وهكذا يستغنى صاحب تلك القوة التي أشار إليها ابن يعيش عن ذلك ، ولكن أين ذاك الفرد والشاذ والناذر ؟ فإن حضر فما تفعل معه إلا أن تقلده وتأخذ عنه وتتبعه .

وإنما المدار على أن تكون أنت بهذا الكمال حائزاً لهذه الغاية ، ولا سبيل لك إليها من تلقاء نفسك ، وإنما هو شيء يأتي من تلقاء غيرك ، فإذا بالضرورة وبالواجب ينبغي أن تخطو على آثار المنطقيين والطبيعيين والمهندسين بالزحف والقنأ والتكلف والدؤوب حتى تصير متشبهاً بذلك الرجل الفاضل والواحد الكامل والبدیع النادر ؛ فقد بان من هذا القدر صواب ما أشار إليه ابن يعيش وأنكشف أيضاً وجه ما حث عليه مخالفوه ؛ ولا عيب على المنقوص أن يطلب الزيادة ببذل المجهود ، وإن الكامل مربوط بما منحه من العطية من غير طلب . وأما قوله في صدر كلامه : « إن القوم صدّوا عن الطريق وطرحوا الشوك فيه ، وأتخذوا نشر الحكمة فتحاً للمثالة ^(١) العاجلة » ، فما أبعد ، بل قارب الحق فإن متى ^(٢) كان يُبلى ورقة بدرهم مقتدرى وهو سكران لا يعقل ، ويتهم ، وعنده أنه في ربح ، وهو من الأخسرين أعمالاً ، الأسفلين أحوالاً .

ثم إنّي أيها الشيخ — أحيالك الله لأهل العلم وأحبي بك طالبيه — ذكرتُ (٢) للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح [الفضل بن ^(٤)] جعفر بن القرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر ^(٥) متى وأختصرتها ؛ فقال لي : اكتب هذه

(١) المثالة : حسن الحال ؛ ومنه قولهم : كلما زدت مثالة ، زادك الله رعاة ؛ والريالة : الحق .

(٢) « متى » .

(٣) انظر التعريف بأبي سعيد السيرافي في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥ من هذا الجزء .

(٤) هاتان الكلمتان لم تردا بالأصل وقد أثبتتهما عن معجم ياقوت . وأبو الفتح هذا كان وزير المقتدر الخليفة العباسي سنة عشرين وثلاثمائة .

(٥) موضع هذا الاسم مطبوسة في الأصل ؛ وقد أثبتناه هكذا نقلاً عن المقابسات

وأخذنا من الكلام الآتي . وأبو بشر متى ، هو ابن يونس الثاني من أهل دير قتي . كان =

للمناظرة على التمام فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبوي بين هذين الشيخين بمحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يُنقِصَ سماعه ، وتُوعَى فوائده ، ولا يُتَهاوَنَ بشيء منه . فكتبت^(١) : حدثني أبو سعيد بلُغَ من هذه القصة . فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة .

لما أنقذ المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، قال الوزير ابن الفرات للجماعة — وفيهم الخالدي وأبن الأخشاد والكتبي وابن أبي بشر وأبن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وأبن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والرزباني صاحب آل سامان^(٢) — : ألا^(٣) ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق ، فإنه يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناها^(٤) من المنطق وملكناه من القيام به ، وأستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فأحجم القوم وأطرقوا قال ابن الفرات : والله إن فيكم لَمَن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه وإني لأعُدكم في العلم بحارا ، وللدّين وأهلِه أنصارا ، ولالحق وطلّابه منارا ؛ فما هذا الترامز والتغامز اللذان^(٥) تَجَلَوْنَ عنهما ؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال : أعذر أيها الوزير ، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المروض في هذا

== نصرانيا علما بالمنطق ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في زمنه ، نزل بغداد بعد سنة عشرين وثلاثمائة ، وكانت وفاته في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

- (١) « وكنت » .
- (٢) « سامان » .
- (٣) « أن ينتدب » .
- (٤) « جربناه » .
- (٥) في الأصل : « اللذين » .

الجلس على الأسماع المصبيخة^(١) والميون المحدقة والعقول الحادة^(٢) والألباب الناقدة ؛ لأن هذا يستصحب الهيبة ، والهيبة مَكْمَرَةٌ ، ويَجْتَلِبُ الحياء ، والحياء مَغْلَبَةٌ ؛ وليس البراز في معركة خاصة كالصاع^(٣) في بقعة عامة .

فقال ابن الفرات : أنت لها يا أبا سعيد ، فأعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك . فقال أبو سعيد : مخالفة الوزير فيما رسمه هُجْنَةٌ ، والأحتجازُ عن رأيه إخلاد إلى التقصير ؛ ونعوذ بالله من زَلَّةِ القَدَمِ ، وإياه نسأل حُسْنَ المعونة في الحرب والسِّلم ؛ ثم واجه متى [فقال^(٤)] : حدَّثني عن المنطق ما تعني [به] ؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردَّ خطئه على سَنَنِ مَرْضَى وطريقة معروفة .

قال متى : أعني به أنه آله من آلات الكلام يُعرَفُ بها صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسدُ المعنى من صالحه ، كاليزان ، فأتى أعرف به الرُّجْحَانُ من النقصان ، والسائل^(٥) من الجانح .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرَفُ بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنَّا نتكلَّم بالعربية ؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرَفُ بالعقل إذا كنَّا نبحث بالعقل ؛ وهَبَّكَ عرفتَ الراجح من الناقص من

(١) « المطبخة » .

(٢) في الأصل : « الجامة » وهو تحريف . وفي معجم الأدباء ترجمة أبي سعيد السيرافي : الجامدة ؛ وهو تحريف أيضا لا يستقيم به المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٣) الصاع : من صاع الشجاع أقرانه : إذا حل عليهم ففرق جمهم .

(٤) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل .

(٥) في الأصل : « والسائل » بالسين للهيلة ؛ وهو تصحيف . والسائل : المرتفع .

والجانح : اللائل .

طريق الوزن ، فمن لك^(١) بمعرفة الموزون أيما^(٢) هو حديد أو ذهب أو شبه^(٣) [أو رصاص]^(٤) ؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدّها ؛ فلي هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك ، وفي تحقيقه كان أجهادك ، إلّا نفعا يسيرا من وجه واحد ، وبقيت عليك وجوه ، فأنت^(٥) كما قال الأول^(٦) :

* حفظت شيئا وغابت عنك أشياء *

وبعد ، فقد ذهب عليك شيء هاهنا ، ليس كل ما في الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن ، وفيها ما يُكّال ، وفيها ما يُذَرع ، وفيها ما يُمسح [فيها ما]^(٧) يُحَوَّر وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المُرْتَبَةِ ، فإنه على ذلك أيضا في المقولات المقررة ؛ والإحساسات^(٨) ظلال المقول تحكيها بالتقريب والتبعيد ، مع الشبه المحفوظ والمائلة الظاهرة . ودع هذا ؛ إذا كان المنطق وَصَّعَهُ^(٩) رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فن أين يلزم التُّركَ والمُهندَ والفرسَ والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا وسكيا لهم وعليهم ، ما شهد لهم به قبلوه ، وما أنكره رفضوه ؟

(١) « من ذلك » .

(٢) « أيما » .

(٣) الشبه بالتحريك : التعاس الأصغر .

(٤) الكلمة التي بين مربعين عن ياقوت .

(٥) في الأصل : « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) هو أبو نواس ؛ وأول البيت : فقل لمن يدعى في العلم فلسفة * حفظت شيئا الخ .

(٧) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات

لأبي حيان .

(٨) « والاحتباس ظلال المقول تحكيها » .

(٩) « وصفه » .

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث^(١) عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السائحة والسوانح الماحسة؛ والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد موّهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه؛ ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا^(٢) باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمّت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال: انت إذا لست تدعوننا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعوننا إلى لغة لا تقي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وأنقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريدها؛ على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحوّلة^(٣) بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض، وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق.

(١) «بحث».

(٢) ورد في الأصل بعد قوله: «إلا» جيم وألف وذال، وهي زيادة ممن الناسخ والصواب حذفها.

(٣) «محوكة».

الخالفة ، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا ، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم ، والحق تكفل بهم ، والخطأ تبرأ منهم ؛ والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم ، والذائل بمدت من جواهرهم وعروقهم ؛ وهذا جهل بمن يظنه بهم ، وعناد بمن يدعيه لهم ؛ بل كانوا كخيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء ، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء ، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ، ويحسنون في أحوال ويسئون في أحوال ؛ وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجل منهم ، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده ؛ وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير ، وله مخالفون منهم ومن غيرهم ؛ ومع هذا فالأختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ^(١) وطبيعة ، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه ؟ [هيات^(٢)] هذا محال ، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقهِ ؛ فأمسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لأنه منعقد بالفطرة والطباع ؛ وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها ، وتجارينا فيها ، وتدارس أصحابك بفهم أهلها وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها ، لعلت أنك غني عن [معاني^(٣)] يونان كما أنك غني عن لغة [يونان .

وها هنا مسألة ، تقول : إن الناس عقولهم مختلفة ، وأنصباؤهم منها متفاوتة . قال : نعم . قال : وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالأكتساب ؟ قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف

(١) السنخ : الأصل . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل مهمة الحروف من الخط .

(٢) الكلمة التي بين مربعين عن معجم الأدباء .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل . وقد أبتناها من اللغات س ٣

قال أبو سعيد : إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرّفت ، ووزنت^(١) وما جرّفت ، وأنها [ما]^(٢) أثاثت ولا حافت ، ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدّمت ولا أخرت ، ولا أخلّت بمعنى الخاصّ والعامّ ولا [بأخصّ الخاصّ^(٣) ولا] بأعمّ العامّ — وإن كان هذا لا يكون ، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المصاني — فكأنك تقول : لا حجة إلا عقول يونان ، ولا برهان إلا ما وضعوه ، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه .

قال متى : لا ، ولستهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه ، وعن كلّ ما يتصل به وينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وأنتشر ما أنتشر وفشا ما فشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع ؛ ولم نجد هذا لغيرهم .

قال أبو سعيد : أخطأت وتعصبت ومِلت مع الهوى ، فإنّ عِلْمَ العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم ، ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوه الماقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جَدَدِ^(٤) الأرض ؛ ولهذا غلب علم في مكان دون علم ، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة ؛ وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ؛ ومع هذا فإنما كان يصحّ قولك وتسلم دعواك لو كانت يونانُ معروفةً من بين جميع الأمم بالمصمة الغالبة ، والقِطنة الظاهرة ، والبنية

(١) في الأصل : « ووريت وما حرّفت » ، وهو تصحيف في كلتا الكلمتين . يقال جَرَفَ فلان المنيء ، أى باعه أو اشتراه جزاءً بلا كيل ولا وزن .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل .

(٣) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقاييس .

(٤) الجدد بالتحريك : ما استوى من الأرض . وفي الأصل « جديد » ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

الطبيعيّ والتفاوت الأصليّ؟ قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آنفا . قال أبو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ؟ ودع هذا ؛ أسألك عن حرف واحد ، وهو دائر في كلام العرب ، ومعانيه متميّزة عند أهل العقل ؛ فأستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدلّ به وتبأى بتفخيمه ، وهو (الوار) ما أحكامه ؟ وكيف مواقفه ؟ وهل هو على وجه أو وجوه ؟ فبهت متى وقال : هذا نحو ، والنحو لم أنظر فيه ، لأنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ^(١) [والنحو يبحث ^(٢) عن اللفظ] ، فإن مر المنطق باللفظ فبالعرض ، وإن عثر النحو على المعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضح من المعنى .

فقال أبو سعيد : أخطأت ، لأن الكلام ^(٣) والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار ^(٤) والقرض [والتمنى ^(٥)] والنهي والحضّ والنعاء والنداء والطلب كلّها من واد واحد بالمشاكلة والمائلة ، ألا ترى أن رجلا لو قال : « نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق ، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش ، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح ، وأبان للراد ولكن ما أوضح ، أو فاة بمحاجته ولكن ما لفظ ، أو أخبر ولكن ما أنبأ » ، لكان في جميع هذا محرّفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ، ومستميلا للفظ على غير

(١) في الأصل : « اللفظ » ؛ وهو تبديل من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

(٢) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ، وقد أثبتناها عن القياسات ، إذ

لا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) في القياسات : « لأن النحو والمنطق » .

(٤) الظاهر أن في قوله « والاستخبار » تبديلا من الناسخ صوابه « والإنباء » بدليل

قوله في التمثيل الآتي « أو أخبر ولكن ما أنبأ »

(٥) الكلمة التي بين مربعين عن مصحح الأدباء .

شهادة [من] عقله^(١) وعقل غيره ؛ والنحو منطوق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ، ولكنه مفهوم باللغة ، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبعى والمعنى عقلى ؛ ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان ، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر^(٢) من الطبيعة] ولهذا كلف المعنى ثابتا على الزمان ، لأن مستمل المعنى عقل ، والعقل إلهى ؛ ومادة اللفظ طينية ، وكل طينى متهايت ؛ وقد بقيت أنت بلا أسم لصناعتك التى تنتحلها ، وآلتك التى تزهى بها ، إلا أن تستعير من العربية لها أسما فتعار ، ويسلم لك ذلك بمقدار ؛ وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة^(٣) فلا بد لك أيضا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة وأجتلاب الثقة والتوقى من الخلة اللاحقة .

قال متى : يكفينى من لغتكم هذه الأسم والفعل والحرف ، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هدبته لى يونان .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك فى هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها ؛ وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف ، فإن الخطأ والتحريف فى الحركات كالخطأ والفساد فى للتحركات ، وهذا باب [أنت^(٤) وأصحابك ورهطك عنه فى غفلة ؛ على أن هاهنا سرا ما علق بك ، ولا أسفر لعقلك ؛ وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق^(٥) لغة أخرى من جميع جهاتها بمحدود

(١) « وغفلة » .

(٢) العبارة التى بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

(٣) « التجربة » .

(٤) هذا الكلام الذى بين هذين المربعين لم يرد فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن المقابسات .

(٥) « تتطابق » .

صفاتها ، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها ، وأستعارتها وتحقيقتها ، وتشديدتها وتخفيفها ، وسعتها وضيقها ونظمتها ونثرها وسجعها ، ووزنها وميلها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ؛ وما أظن أحدا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى سُكَّةٍ من عقل أو نصيبٍ من إنصاف ، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجِم لك على هذا الوصف ؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية ؛ على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية ، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية ؛ ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر ، فلم يبق إلا أحكام اللغة ، فلم تُزِرْ على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها ، مع جهلك بحقيقتها ؟

وحدثني عن قائل قال لك : حالي في معرفة الحقائق والتصنع لها [والبحث عنها]^(١) حال قوم كانوا قبل واضع المنطق ، أنظر كما نظروا ، وأتدبر كما تدبروا ، لأن اللغة قد عرقتها بالمشأ والوراثه ، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأى والأعتقاد والاجتهاد . ماتقول له ؟ أقول : إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر ، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرقتها أنت ؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق ؛ وهذا هو الجهل المبين ، والحكم المشين^(٢) .

ومع هذا ، فحدثني عن الواو ما حكاه ؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئا ، وأنت تجهل حرفا واحدا في اللغة التي تدعو بها إلى

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن معجم الأدباء لياقوت والمقابسات للمؤلف .

(٢) في رواية أخرى « غير المستين » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

حكمة يونان ، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفاً ، ومن جهل حروفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها ، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها ، فله يجهل ما يحتاج إليه ، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه . وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير ؛ فلم يتأبى على هذا ويتكبر ، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة ، وأنه يعرف سرّ الكلام وغامض الحكمة وخفى القياس وصحيح البرهان ؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد ، فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها ، ومالبثت بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق ، وآلت لها بالتجوز ؛ سمعتم تقولون : إن « في » لا يعرف النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هي « للواء » كما [يقولون] : « إن الباء للإصاق » ؛ وإن « في » تقال على وجوه : يقال « الشيء في الإناء » « والإناء في المكان » « والسائس [في السياسة] » « والسياسة في السائس » .

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ؟ ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب ؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطأٌ من القول الذي أقاض فيه ؛ النحوي إذا قال « في » للواء^(١) فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح ، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل ؛ ومثل هذا كثير ، وهو كافٍ في موضع التَّكْنِيَةِ^(٢) .

فقال ابن الفرات : أيها الشيخ الموفق ، أجهه بالبيان عن مواقع « الواو »

(١) في الأصل : « للوما » وما أثبتناه عن المقاييس ص ٧٧ إذ به يستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « التبكيت » وفي المصادر الأخرى « السكت » ؛ وفي كلا القطين تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

حتى تكون أشدَّ في إخمائه ، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ، ومع هذا فهو مشنَّع^(١) به .

قال أبو سعيد : للواو وجوه ومواقع : منها معنى العطف في قولك : « أكرمت زيدا وعمرا » ومنها القسم في قولك : « والله لقد كان كذا وكذا » ومنها الاستثناء في قولك : « خرجتُ وزيد قائم » لأن الكلام بمدّه ابتداء وخير ومنها معنى رُبَّ التي هي للتقليل نحو قولهم^(٢) : « وقائم الأعماق خاوي المخترق » * ومنها أن تكون أصلية في الأسم ، كقولك : واصلٌ واقِدٌ وافِدٌ ، وفي الفعل كذلك ، كقولك : وجِلَ يَوجِلُ ؛ ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل . (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ) ، أي نادينه ؛ ومثله قول الشاعر^(٣) :

* فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * المعنى : انتحى بنا ؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا) أي يكلم الناس في حال كهولته ؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر ، كقولك : استوى الماء والخشبة أى مع الخشبة .

قال ابن الفرات : [لمتى] : يا أبا بشر : أكان هذا في نحوك^(٤) .

ثم قال أبو سعيد : دع هذا ، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقل أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ، ما تقول في قول القائل : « زيد أفضل الإخوة » ؟

(١) في الأصل والمقاييس « متشيع » . وفي معجم ياقوت « متشيع » . وفي كلا اللغتين تصحيف .

(٢) هذا الشعر من شعر رؤبة بن المبراج .

(٣) هذا الشعر صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : بنا بطن خبت ذئب خفاف عفتل .

(٤) في المقاييس « في منطقك » ؟ وهي ألسب .

قال : صحيح . قال : فما [تقول ^(١)] إن قال « زيد أفضل إخوته » ؟ قال : صحيح .
 قال : فما [الفرق بينهما [مع الصَّحَّة ^(٢)] فتلحَّح ^(٣)] وجنَحَ وغصنَ بريقه .
 فقال أبو سعيد : أفتيتَ على غير بصيرة ولا أستاذانة ؛ المسألة الأولى جوابك
 عنها صحيح وإن كنتَ غافلاً عن وجه محتمها ؛ والمسألة الثانية جوابك عنها غيرُ
 صحيح وإن كنتَ أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها .

قال متى . بين لي ما هذا التهجين ؟

قال أبو سعيد : إذا حضرتَ الحلقة ^(٤) استفتدت ، ليس هذا مكان التدريس
 هو مجلس إزالة التلبيس ، مع من عادته التمويه والتشبيه ؛ والجماعة تعلم أنك
 أخطأت ، فلم تدعى أن النحوى إنما ينظر في اللفظ دون المعنى ، والمنطقي ينظر في
 المعنى لا في اللفظ ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويجمل ^(٥) فكره
 في المعاني ، ويرتب ما يريد بالوهم السامع والخابر العارض والحدس الطارى ؛
 فأما وهو يريد أن يبرر ^(٦) ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر ، فلا بد
 له من اللفظ الذى يشتمل على مراده ، ويكون طباقاً لقرضه ، وموافقاً لقصد ^(٧)ه .
 قال ابن الفرات لأبى سعيد : تَمَّ لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون
 الفائدة ظاهرة لأهل المجلس ، والتبكيكُ عاملاً في نفس أبى بشر .

(١) هذه العبارة الموضوعية بين مربين ساقطة من الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات
 وبها يستقيم المعنى .

(٢) هذه العبارة التى بين مربين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٣) بلع : أعجمي وعجز . وجنح ، أى مال .

(٤) « المختلفة » .

(٥) « ويجمل » .

(٦) « يزن » .

(٧) « لقصده » .

فقال : ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا مَلَلَ الوزير ؛
فإن الكلام إذا طال مُلٌّ .

فقال ابن الفرات : ما رغبتُ في سماع كلامك وبينى وبين المللِ علاقة ؛
فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر .

فقال أبو سعيد : إذا قلت : « زيد أفضل إخوته » لم يحز ، وإذا قلت :
« زيد أفضل الإخوة » جاز ؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد ، وزيدٌ خارج
عن جملتهم . والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال : « من إخوة زيد » .
لم يحز أن تقول : زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما ^(١) تقول : بكر وعمرو وخالد]
ولا يدخل زيد في جملتهم ، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم ، فلم يحز
أن تقول : أفضل إخوته ، كما لم يحز أن تقول : « إن حمارك أفره ^(٢) البقال »
لأن الحмир غير البقال ، كما أن زيدا غيرُ إخوته ، فإذا قلت : « زيد خير الإخوة »
جاز ، لأنه أحد الإخوة ، والأسم يقع عليه وعلى غيره ، فهو بعض الإخوة ، ألا
ترى أنه لو قيل : « من الإخوة » ؟ عددته فيهم ، قلت : « زيد وعمرو وبكر
وخالد » فيكون بمنزلة قولك : « حمارك أفره الحмир » لأنه داخل تحت الأسم
الواقع على الحмир . فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل
على الجنس ، فتقول : « زيد أفضل رجل » و « حمارك أفره حمار » فيدل « رجل »
على الجنس كما دل الرجال ؛ وكما في « عشرين درهما ومائة درهم » .

فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ، ولقد جلّ علم النحو عندي
بهذا الاعتبار وهذا الإسفار .

(١) هذه العبارة التي بين مربعين لم ترد في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات إذ بها
يستقيم الكلام .

(٢) في المقابسات « أفضل » ؛ والمعنى عليها يستقيم أيضا .

فقال أبو سعيد : معانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته ، وبين وضع الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب فى ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالأستعمال النادر والتأويل البعيد ، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم . فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم ، وكل ذلك محصور بالتبع والرواية والسمع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف ، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعانى لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرم وتكلفهم ، فترجموا لغة هم فيها ^(١) ضعفاء ناقصون . وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وأدعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى .

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال : أما تعرف ^(٢) يا أبا بشر أن الكلام أسم واقع على أشياء قد أختلفت بمراتب ، وتقول ^(٣) بالمثل : هذا ثوب والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوباً ، لأنه نُسج بعد أن غزل ، فسداته لا تكفى دون لُحْمَتِهِ ولُحْمَتُهُ لا تكفى دون سداته ، ثم تأليفه ^(٤) كنسجه ، وبلاغته كقصارته ^(٥) ورقة سلكه كرقّة لفظه ، وغِلْظُ غزله ككثافة حروفه ، ومجموع هذا كله ثوب ، ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج إليه فيه .

قال ابن القرات : سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى ، فإن هذا كلما توالى

(١) عبارة الأصل : « فترجموا لفتحهم فهما » ؟ وهو تحريف .

(٢) رواية المقابسات : « ألا تعلم » والمعنى عليه يستقيم أيضاً .

(٣) عبارة المقابسات : « مثال ذلك أن تقول » والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٤) كذا فى المقابسات . والذى فى الأصل : « بالنقل » ؟ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « لنضارته » ؟ وهو تحريف .

عليه بأن أتعطأه ، وأنخفض أرتفاعه ، في المنطق الذي ينصره ، والحق الذي [١٧] يُبصره .

قال أبو سعيد : ما تقول في رجل يقول : « لهذا على درهم غير قيراط ؛ ولهذا الآخر على درهم غير قيراط » . قال : مالى علم بهذا التَّمط . قال : لست نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنك صاحب غرقة وزرّق^(٢) ، هاهنا ما هو أخفّ من هذا ، قال رجل لصاحبه : « بكم الثوبان المصبوغان » ، وقال آخر : « بكم ثوبان مصبوغان » وقل آخر : « بكم ثوبان مصبوغين » بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ .

قال متى : لو ثرت أنا أيضا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي .

قال [أبو سعيد] : أخطأت ، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه ، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحّ لفظه على العادة الجارية أجبت ، ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو مخالفا ، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك ، وإن كان متصلا باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضا لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقررة بين أهلها .

ما وجدنا لكم إلا ما استعرت من لغة العرب [كالسبب والآلة^(٣)] والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمل والمخصور وأمثلة لا تنفَع ولا تُجدي ، وهي إلى العي أقرب ، وفي الفهاة أذهب .

(١) لم ترد هذه الكلمة التي بين مربعين في الأصل . وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) يريد بالزرّق : الخلع كما يستفاد من كتب اللغة فقد ورد في اللسان ومستدرک التاج

« رجل زراق » ، أى خداع . ولم يذكر في هذين الكتابين فعله ولا مضمره .

(٣) الزيادة التي بين مربعين عن المقابسات ومعجم الأدباء .

ثم أتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر ، لأنكم لا تقولون^(١) بالكتب ولا هي مشروحة ، فتدعون الشعر ولا تعرفونه^(٢) وتذكرون^(٣) الخطابة وأتم عنها في منقطع التراب ؛ وقد سمعتُ قائلكم يقول : الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان . فإن كان كما قال فلم يُقطع الزمانُ بما قبله من الكتب ، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان ، فهي أيضا ماسةٌ إلى ما بعد البرهان ، وإلا فلم يُصنّف مالا يحتاج إليه ويستغنى عنه . هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق .

وإنما بودكم^(٤) أن تشغلوا جاهلا ، وتستذلوا عزيزا ؟ وغايتكم أن تهوّلوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص ، وتقولوا : الهلية^(٥) والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهيولية والصورية والأينية^(٦) والليسية والنفسية ؟ ثم تتناولون^(٧) فتقولون : « جئنا بالسعر » في قولنا : « لا » في شيء من « ب » و « ج » في بعض « ب » ، ف « لا » في بعض « ج » و « لا » في كل « ب » و « ج » في كل « ب » فإذا ن « لا » في كل « ج »^(٨) ؛ هذا بطريق الخلف ، وهذا بطريق الاختصاص .

(١) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « تقولون » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « تذكرونه » ؛ وما أثبتناه عن المقابسات .

(٣) في المقابسات « وتدعون » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) في الأصل : « قولكم » ؛ وهو تحريف .

(٥) الهلية والأينية : نسبة إلى « هل » و « أين » الاستفهاميتين ؛ والنسبة في الألفاظ

التي بعدها معروفة .

(٦) الأينية والليسية : الإثبات والنفي .

(٧) في المقابسات : « يسمطون » أي بتشديد الطاء .

(٨) كذا في الأصل ، ولعل صحة العبارة : لا « أ » في شيء من « ب » و « ج » في

بعض « ب » ف « أ » إذن لا في « ج » و « أ » لا في كل « ب » و « ج » في بعض « ب »

ف « أ » إذن ليس في « ج » كما يقتضيه علم المنطق .

وهذه كلها خرافات وتُرَّهات ، ومغالق وشبكات ؛ ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقوب رأيه وأنارت نفسه أستغنى عن هذا كله — بعون الله وفضله — وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأى وإنارة النفس من منافع الله الهنيئة ، ومواهبه السنية ، يختص بها من يشاء من عباده وما أعرف لأستطالاتكم بالمنطق وجها ، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقته ، ويبين خطأكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة ^(١)] مما قال ، وما زدتم ^(٢) على قولكم : لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم . وهذا منكم تحاجز ونكول ورضى بالعجز وكلول ، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه ^(٣) اعتراض هذا قولكم في « يفعل وينفعل » لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ، ولم تقفوا على مقاسمهما ، لأنكم قنعت فيهما بوقوع الفعل من « يفعل » وقبول الفعل من « ينفعل » ، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ، ومعارف ذهبت عنكم وهذا حالكم في الإضافة .

فأما البدل ووجوهه ، والمعرفة وأقسامها ، والنكرة ومراتبها ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، فليس لكم فيه مقال و [لا] مجال .

وأنت إذا قلت لاإنسان . « كن منطقيا » ، فإنما تريد : كن عقليا أو عاقلا أو أعقل ما تقول ^(٤) لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل ؛ وهذا قول مدخول ، لأن النطق على وجوه أتم عنها في سهو .

(١) البارة التي بين مربعين من المقابسات .

(٢) في الأصل : « زدتم » والكاف زيادة من الناسخ .

(٣) « عليه » .

(٤) « ما يكون » .

وإذا قال لك آخر: «كن محوياً لغوياً فصيحاً» فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك.

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه؛ هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به. فأما إذا حاولت قرّش المعنى وبسط المراد فاجلّ اللفظ بالروادف الموضحة والأشياء المقرّبة، والاستعارات الممتعة، وبين^(١) المعاني بالبلاغة، أعني لوّح منها شيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفّر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرّم وعلا؛ واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري [فيه] أو يتعب في فهمه أو يترج عنه لأغماضه؛ فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق؛ وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس؛ على أنى لا أدرى أيؤثر فيك ما أقول أو لا؟

ثم قال: حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين، أوقفتم الخلاف بين اثنين؛ أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله^(٢)؟ هيات، هاهنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتديق عن عقولهم وأذهانهم.

ودع هذا، هاهنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فأرفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: «لفلان من الحائط إلى الحائط» ما الحكم فيه؟ وما قدّر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معا وما بينهما. وقال آخرون:

(١) في معجم الأدباء: «وسدد».

(٢) «ما هو له».

له [النصف من كلٍ منهما . وقال آخرون ^(١) : له] أحدهما . هات الآن آيتك الباهرة ، ومعجزتك القاهرة ، وأتّى لك بهما ، وهذا قد بان بغير نظرك ونظري أحبابك .

ودع هذا أيضا ؛ قال قائل : « من الكلام ما هو مستقيم حسن ، ومنه ما هو مستقيم محال ، ومنه ما هو مستقيم قبيح ، ومنه ما هو محال كذب ، ومنه ما هو خطأ » . فسر هذه الجملة . وأعرض عليه عالم آخر ، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعارض وأرنا قوة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب ، وبين الحق والباطل ؟ فإن قلت : كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته ، والآخر لم أحصلُ اعتراضه ؟ قيل لك : استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملا له ، ثم أوضح الحق منهما ، لأن الأصل مسموع لك ، حاصلٌ عندك وما يصحّ به أو يردُّ عليه يجب أن يظهر منك ، فلا تتعاسر ^(٢) علينا ، فإن هذا لا يخفى على [أحد ^(٣) من] الجماعة .

فقد بان الآن أن مركّب اللفظ لا يحوّر مبسوط العقل ؛ والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة ؛ وليس في قوة اللفظ من أى لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به ، وينصبّ عليه سُورا ، ولا يدعُ شيئا من داخله أن يخرج ، ولا شيئا من خارجه أن يدخل ، خوفا من الاختلاط الجالب للفساد ، أغنى أن ذلك يخلط الحق بالباطل ، ويشبه الباطل بالحق ؛ وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق ، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بعد ^(٤) المنطق ؛

(١) التكلفة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ وقد أثبتناها عن المقابسات .

(٢) « تنقلش » .

(٣) كذا في المقابسات . والذي في الأصل : « على من حضرته » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به معنى الجملة .

(٤) في المقابسات « بهذا » .

وأنت لو عرفتَ تصرفَ العلماء والفقهاء في مسائلهم ، ووقفتَ على غورهم في نظريهم وغورِهم في استنباطهم ، وحسنِ تأويلهم لِمَا يَرُدُّ عليهم ، وسعةِ تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة ، لحققتَ نفسك ، وأزدريتَ أصحابك ، ولكان مذهبوا إليه وتابَعوا عليه أقلَّ في عينك من الشُّها عند القمر ، ومن الحِصاة عند الجبل . أليس الكِنْدِيُّ وهو عَلمٌ في أصحابك يقول ^(١) في جواب مسألة « هذا » ^(٢) من باب عدِّ . فَمَدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوم بلا ترتيب ، حتى وضعوا له مسائل من هذا الشكل وغالطوه بها وأرَوْه أنها من الفلسفة الداخلة ، فذهب عليه ذلك الوضع ، فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو ^(٣)] مريض العقل فاسد المزاج حائلُ الغريزة مشوشُ اللَّب .

قالوا له : أخبرنا عن أصطِكَالكِ ^(٤) الأجرام ، وتضاغط الأركان ؟ هل يدخل في باب وجوب الإمكان ؟ أو يخرج من باب التَّفُقدان إلى ما يَخفى عن الأذهان ؟ وقالوا له أيضا : ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصُّور الهَيُولائية ؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان ، أو مزايِلَةٌ له مزايِلَةٌ على غاية الإحكام ؟ وقالوا له : ما تأثير تَفُقدان الوجودان في عدم الإمكان عند أمتناع الواجب من وجوبه في ظاهرٍ مالا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله ؟ وعلى هذا فقد حُفِظ جوابُه عن جميع هذا على غاية الرِّكَاكَةِ والضعف [والفساد] والفسالة

(١) في الأصل : « يقولون » ، والوار والنون زيادة من الناسخ .

(٢) في الأصل : « عدم » ، وفي بعض المصادر الأخرى « عدة » وهي غير واضحة

للمعنى في كلتا الروايتين ؟ ولعلَّ الصواب ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٤) في الأصل : « استقصائك » ؟ وهو تحريف .

والسُخف . ولولا التوقى من التطويل لسردتُ ذلك كله ، ولقد مرّ بي في خطّه :
التفاوت في تلاشي الأشياء غير مُحاطٍ به ، لأنّه يلاقى الاختلاف في الأصول
والإتفاق في الفروع ؛ وكلُّ ما يكون على هذا النهج فالنكرة تُزاحم عليه
المعرفة ، والمعرفة تُناقض النكرة ، على أن النكرة والمعرفة من باب الألبسة
العارية من ملابس الأسرار الإلهية ، لا من باب الإلهية العارضة في
أحوال البشرية .

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك الشكلى ويُشمت العدو
ويُفُ الصديق ، وما وُِث هذا كله إلّا من بركات يوزان وفوائد الفلسفة والمنطق
ونسأل الله عصمة وتوفيقا نهتدى بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل ، والفعل
الجارى على التعديل ، إنّه سميع مجيب .

هذا آخرُ ما كتبتُ عن عليّ بن عيسى الرّماني الشيخ الصالح بإملائه .
وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمّا من هذه القصة .

وكان يقول : لم أحفظ عن نفسي كلّ ما قلتُ ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ
حَضَرُوا في ألواح كانت معهم ومحاورُ أيضا ؛ وقد أُختلّ عليّ كثير منه .

قال عليّ بن عيسى : وتقوّض المجلس وأهلُه يتعجّبون من جأش أبي سعيد
الثابت ولسانه المتصرف ووجهه المتهلّل وفوائده المتتابعة .

وقال الوزير ابن الفرات : عين الله عليك أيّها الشيخ ، فقد نذيت أكبّادا
وأقررت عيوننا ، وبيّضت وجوها ، وحُكّت طرازا لا يبلية الزمان ، ولا يتطرق
إليه الحدّثان .

قلت لعليّ بن عيسى : ومكّ كانت سينُ أبي سعيد^(١) في ذلك الوقت ؟

(١) في الأصل : « عليّ بن عيسى » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

قال : مولده سنة ثمانين ومائتين ، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة ، وقد عَهِثَ الشَّيْبُ بِلَهَازِمِهِ^(١) مع السَّمْتِ وَالْوَقَارِ وَالذِّينِ وَالْجِدَّةِ ، وهذا شِعَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْتِقَادِ ، وَقُلٌّ مِنْ تَظَاهُرِهِ أَوْ تَحَلُّيْ بِحَلِيَّتِهِ إِلَّا جَلٌّ فِي الْعِيُونِ وَعَظَمٌ فِي النُّفُوسِ ، وَأَحَبُّهُ الْقُلُوبَ ، وَجَرَتْ بِمَدْحِهِ الْأَلْسُنَةُ .

وقلت لعلِّي بن عيسى : أما كان أبو علي^(٢) الْفَسَوِيُّ النُّحَوِيُّ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ ؟ قَالَ : لَا ، كَانَ غَائِبًا ، وَحُدِّثَ بِمَا كَانَ ، فَكَانَ يَكْتُمُ الْحَسَدَ لِأَبِي سَعِيدٍ عَلَى مَا فَازَ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ الْمَشْهُورِ ، وَالثَّنَاءِ الْمَذْكُورِ .

فقال لي الوزير^(٣) عند منقطع هذا الحديث : ذكرتني شيئاً قد دار في نفسي مراراً ، وأحببت أن أقف على واضحته ؛ أين أبو سعيد من أبي علي ، وأين علي بن عيسى منهما ، وأين ابن المراءى أيضاً من الجماعة ؟ وكذلك التمرزباني وأبن شاذان وأبن الوراق وأبن حَيَّوِيَه ؟

فكان من الجواب ، أبو سعيد أجمعٌ لشمْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْظَمُ الْمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَأَدْخَلُ فِي كُلِّ بَابٍ ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَأُلْزِمُ لِلْجَادَةِ الْوَسْطَى فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، وَأُرَوِّى فِي الْحَدِيثِ ، وَأَقْفَى فِي الْأَحْكَامِ ، وَأَقْفَهُ فِي الْفَتَوَى ، وَأَحْضَرُ بَرَكَةً عَلَى الْخِتْلَفَةِ ، وَأَظْهَرُ أَثَرًا فِي الْمَقْتَبَسَةِ . وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ نُوْحُ بْنُ نَصْرِ — وَكَانَ مِنْ أَهْلِ أَدْبَاءِ مُلُوكِ آلِ سَامَانَ — سَنَةَ أَرْبَعِينَ^(٤) كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالْإِمَامِ

(١) الْهَازِمُ : جَمْعٌ لِهَزْمَةٍ بِكَسْرِ اللَّامِ ، وَهِيَ مَجْتَمِعُ الْهَمِّ بَيْنَ الْمَاضِغِ وَالْأُذُنِ ؛ أَوْ هِيَ الْعَظْمُ النَّاتِقُ فِي الْأَحْيَةِ تَحْتَ الْأُذُنِ ، وَمَا لِهَزْمَتَانِ ؟ وَيُرِيدُ هُنَا الشَّعْرَ النَّاتِبَ عَلَيْهِمَا .

(٢) أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ ، هُوَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سَلِيلَانَ بْنِ أَبَانَ الْهَارَمِيِّ النَّحْوِيِّ ، وَلَدَ بِمَدِينَةِ فَسَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَانَ إِمَامًا وَقَفَهُ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَلَهُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَوْالِفَاتِ الْوَاقِفَةِ النَّافِصَةِ ، وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَمِائَةٍ .

(٣) يُرِيدُ الْوَزِيرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْهَارِظِيَّ .

(٤) أَيْ وَثَلَاثَمِائَةٍ .

وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة ، الغالب عليها الحروف ، وباقى ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأل عنها ؛ وكان هذا الكتاب مقرونا بكتاب الوزير البُلْعَمِيُّ خاطبه فيه بإمام المسلمين ، ضمنه مسائل في القرآن وأمثالا للعرب مشكلة .

وكتب إليه التُّرْزُبَان بن محمد ملك الدَّيْلَمِ من أذربيجان كتابا خاطبه فيه بشيخ الإسلام ، سأله عن مائة وعشرين مسألة ، أكثرها في القرآن ، وباقى ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضوان الله عليهم .

وكتب إليه ابن حِزَابَة من مصر كتابا خاطبه فيه بالشيخ الجليل ، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف .

وقال لي الدارقطني سنة سبعين : أنا جمعت ذلك لأبن حِزَابَة على طريق المعونة .

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتابا يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألة في القرآن ، ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر ، هكذا حدثني به أبو سليمان ؛ وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين .

قال لي الوزير : وهذه المسائل والجواب عنها عندك ؟ قلت : نعم . قال : في كم تقع ؟ قلت : لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة ، لأن أكثرها في الظهور . قال : ما أحوجنا إلى النظر فيها والأستمتاع بها والأستفادة منها ! وأين الفراغ وأين السكون ؟ ونحن كل يوم ندفع إلى طامة تُنسى ما سلف ، وتُوعِد بالهامية

اللهم هذه ناصيتي بيدك ، فتولني بالعصمة ، وأخصني بالسلمة ، وأجعل عقباي إلى الحسن .

ثم قال : صل حديثك .

قلت : وأما أبو علي^(١) فأشد تفرّدا بالكتاب^(٢) وأشد إكبابا عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين ، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافا مما لغيره ؛ وهو متقد بالغيط على أبي سعيد ، وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) ، لأن هذا شيء ما تم للبرّد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم ، وفيض كلامهم .

ولأبي على أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب^(٣) على النظم المعروف .

وحدثني أصحابنا أن أبا علي أشتري شرح أبي سعيد في الاهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين — لاحقا بالخدمة المرسومة به ، والندامة^(٤) الموقوفة عليه — بألفي درهم ؛ وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يأتون بالإقرار به إلا من زعم أنه أراد النقض عليه ، وإظهار الخطأ فيه .

وقد كان الملك السعيد — رضى الله عنه — هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك ، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

(١) يريد أبا علي الفسوي السابق ذكره .

(٢) يريد بالكتاب كتاب سيبويه .

(٣) يريد بالكتاب كتاب سيبويه . يقول : إنه اقتصر على دراسته على الطريقة المعروفة .

(٤) الندامة ، أي المنادامة على المراب ، بدليل ما يأتي بعد في سطر (١) من صفحة ١٣٢ .

وأبو علي يشرب ويتخالم ويفارق هدى أهل العلم وطريقة الرابطين^(١)
وعادة المتنسكين .

وأبو سعيد يصوم الدهر ، ولا يصلي إلا في الجماعة ، ويقيم على مذهب
أبي حنيفة ، ويلى القضاء سنين ، ويتأله^(٢) ويتخرج ، وغيره بمنزل عن هذا ؛
ولولا الإبقاء على حرمة العلم ، لكان القلم يجري بما هو خاف ويغبر بما هو مجتم^(٣)
ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى ، والإعراض عما يجلب اللائمة أحرى .

وكان أبو سعيد حسن الخط ، ولقد أراد الصيبري أبو جعفر على الإنشاء
والنحرير فاستعنى وقال : هذا أمر يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها ، وإلى
سياسة وأنا غريب فيها * ومن القناء رياضة الهرم *

وحدثنا النعري^(٤) أبو عبد الله — وكان يكتب النوبة للمهلي — بحديث
مفند^(٥) لأبي سعيد هذا موضعه ، قال : كنت أخط بين يدي الصيبري أبي جعفر
محمد بن أحمد بن محمد ، فالتسنى يوما لأن أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب
فلم يجدي ، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته ؛ فظن^(٦) أنه بفضل علمه أقوم
بالجواب من غيره ، فتقدم إليه أن يكتب ويحجب ، فأطال في عمل نسخة كثير
فيها الضرب والإصلاح ، ثم أخذ يحرق ، والصيبري يقرأ ما يكتبه ، فوجده مخالفا

(١) الرباني : التأله العارف بالله . وفي الأصل : « الديانين » ولم نجده في كتب اللغة
بهذا المعنى .

(٢) تأله ، أى يتعبد ويتنسك .

(٣) مجتم : من ججم الكلام في نفسه إذا لم يبينه يريد به المستتر الخاف .

(٤) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذى في الأصل :
البرى ؛ وهو تحريف .

(٥) « معد » .

(٦) كذا في معجم الأدباء لياقوت ج ٨ ص ١٨٣ طبع الحلبي . والذى في الأصل : « فبان » .

لجاري العادة لفظاً ، مبيناً لما يريد^(١) ترتيباً .

قال : ودخلت في تلك الحال ، فتمثل الصيّمرى بقول الشاعر :

يا باري القوسِ برّياً ليس يصلحه لا تظلم القوسَ ، أعطِ القوسَ باريها

ثم قال لأبي سعيد : خفف عليك أيها الشيخ وأدفع الكتاب إلى أبي عبد الله تليذك ليحبب عنه ، فحجل من هذا القول ، فلما أبتدأت الجواب من غير نسخة تخير متى أبو سعيد ، ثم قال : أيها الأستاذ ، ليس بمستنكر ما كان متى ، ولا بمستكثر ما كان منك ، إن مال النّيء لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج^(٢) وجهيّ ، والكتاب جهابذة الكلام ، والعلماء مستخرجوه . فقتبم الصيّمرى وأعجبه ما سمع ، وقال : على كل حال ما أخلقتنا من فائدة .

وكان أبو سعيد بعيد القرين ، لأنه كان يُقرأ عليه القرآن والفقه والشروط والقرائض والنحو واللغة والعروض والقوافي والحساب والمهندسة والحديث والأخبار وهو في كل هذا إماماً في الغاية وإماماً في الوسط .

وأما علي بن عيسى^(٣) فعلى الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق ، وعيب به ، إلا أنه لم يسلك طريقاً واضح المنطق ، بل أفرّد صناعة ، وأظهر براعة ، وقد عمل في القرآن كتاباً قيساً ، هذا مع الدين الثخين ، والعقل الرزين .

وأما ابن الراغبي^(٤) فلا يلحق بهؤلاء ، مع براعة اللفظ ، وسعة الحفظ ، وعزّة

(١) في معجم الأدباء : « لما تورة » .

(٢) مستخرج الأموال ، أي جانيها ومحصّلها . والجهيد : الناقد العارف بالجد والردى .

(٣) يريد بطل بن عيسى أبا الحسن الرماني وهو إمام في العربية ، كان علامة في الأدب ،

إماماً في النحو ، بصيراً بالمغالطات ، معتزلاً ، مات سنة ٣٨٤ .

(٤) ابن الراغبي هو أبو الفتح محمد بن جعفر الهمداني وكان معلماً في دولة أبي منصور ،

وكان حافظاً نحوياً بليغاً إخبارياً في نهاية العرف والحرية ؛ وله من الكتب كتاب البهجة على مثال كتاب الكامل .

النفس ، وبلل^(١) الريق ، وغزارة النَّفث ، وكثرة الرواية ؛ ومن نظر في كتاب
البهجة له عرف ما أقول ، واعتقد فوق ما أصف ، ونحل^(٢) أكثر مما أبذل .
وأما المرزباني^(٣) وابن شاذان وابن القرميضي وابن حيوية^(٤) فهم رواة
وسحلة ليس لهم في ذلك نَقْطٌ ولا إجماع ، ولا إسراج ولا إجماع .

(٤) فقال : فصل حديثك [عن^(٥)] هؤلاء بمحدث أصحابنا الشعراء ، صف لي
جماعتهم ، وأذكر لي بضاعتهم ، وما خصّ كل واحد منهم . قلت : لست من
الشعر والشعراء في شيء ، وأكره أن أخطو على دَحْض^(٦) ، وأحتسى غير
محض . قال : دع هذا القول ، فما خُصْنَا في شيء إلى هذا الوقت إلا على غاية
ما كان في النفس ، ونهاية ما أفاد من الأنس ، فكان من الوصف :

أَمَّا السَّلاَمِيُّ^(٧) فهو حلو الكلام ، متسق النظام ، كأنما يتيسر عن ثغر النعام
خفي السركة ، لطيف الأخذ ، واسع المذهب ، لطيف المخارص ، جميل اللباس ؛
لكلامه لَيْطَةٌ^(٨) بالقلب ، وعبث بالروح ، وبرَدٌّ على الكبد .

- (١) بلل الريق : كناية عن الاتساع في الكلام .
- (٢) « نحل » الخ أي أضاف إليه من الفضائل أكثر مما أبذل في وصفه .
- (٣) المرزباني ، هو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، أصله من خراسان ، كان
من الأدباء الاخباريين المصنفين ، وله كتب كثيرة في الأدب والتاريخ عدّها صاحب الفهرست
وقال : إنه كان صادق المهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع ، ومات سنة ٣٧٨ .
- (٤) ابن حيوية ، هو محمد بن حيوية بن المؤمل ، عالم نحوي من أهل همدان مات سنة ٣٧٣ .
- (٥) لم ترد هذه الكلمة في أصل .
- (٦) على دَحْض ، أي على مزلة ومزلة للاقتدام .
- (٧) السلاي : من أشهر أهل العراق ، عربي الأصل من بني غزوم ، ولد بكرخ بن نداد
سنة ٣٣٦ واتصل بالصاحب بن عباد وعضد القولة البويهى ومدحهما ، وقد روى له صاحب
التيبة كثيرا من شعره ، مات سنة ٣٩٤ .
- (٨) لَيْطَةٌ بالقلب ، أي التصاق به وتعلق .

وأما الحاشي (١) فحليظ اللفظ ، كثير المقد ، يحب أن يكون بدوياً قعاً ،
وهو لم يتم حصرها ؛ غزير المحفوظ ، جامع بين النظم والنثر ، على تشابه بينهما في
الجفوة (٢) وقلة السلاسة ، والبعد من المسنوك ، بادي العورة فيما يقول ، لكأنما
يبرز ما يخفى ، ويكدر ما يُصنى ، له سكرة في القول إذا أفاق منها خير (٣) وإذا
خير سدر (٤) ؛ يتناول شاخصاً ، فيتضاد متعاضداً ؛ إذا صدق فهو مهن ، وإذا
كذب فهو مشين .

وأما ابن جلابات (٥) فجنون الشعر ، متفاوت اللفظ ، قليل البديع ، واسع
الحيلة ، كثير الرزق (٦) ، قصير الرشاء (٧) ، كثير النشاء (٨) ؛ عزه نفاقه (٩)
ونفقه نفاقه .

(١) هو محمد بن الحسين الحاشي ، مدح الخليفة القادر بالله ؛ وله الرسالة الحاشية التي
شرح فيها ما جرى بينه وبين المتنبي ، مات سنة ٣٨٨ .
(٢) عبارة الأصل : « على تشابه بينهما في الهوة وقلة السياسة والبعد من الشكوك » ؛ وفي
هذا الكلام تحريف لا يستقيم به المعنى في ثلاثة ألفاظ ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .
(٣) خبر ، أى أصيب بالحجار ، وهو ألم في الرأس وصداع يقبان السكر . والكلام هنا
على طريق الاستعارة .
(٤) سدر : تحير . أو لم يبال ما صنع ولم يهتم . وكلا التفسيرين يستقيم به المعنى .
(٥) في الأصل : « ابن الحليات » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا . وهو أبو القاسم علي بن
جلابات ، ذكره صاحب القيمة في الجزء الثاني ص ٢٧٠ وروى شيئاً من شعره .
(٦) في الأصل : « الرزق » ؛ وهو تحريف . وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، فانه
يصدد الكلام في الشعر لا في الرزق . والرزق بالتحريك : جمع زاووق ، وهو ما يحسن به
القصي ويزين ، والمراد هنا ما يحسن به الشعر تحسناً ظاهرياً . والزاووق في الأصل :
الزريق ، وكان يدخل في التصاور ، ولذلك قالوا لكل مزين : مزوق .
(٧) الرشاء : الحمل الذي يستقي به ، والمراد هنا قصر باريه في الشعر وقصوره عن الإطالة .
(٨) النشاء في الأصل : البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . ويريد به هنا
ما لا فائدة فيه ، ولا يعتد به .

(٩) النفاق بفتح النون : الرواج . ونفقه بتشديد الفاء : روجه . والمراد رواج شعره
وانتشاره بين الناس ، وعبارة الأصل : « عزه نفاقة ونفقه نفاقة » وفي كلتا الجملتين تصحيف .
هنا لى أنهما على هذا الوضع لا يستقيم بهما السجع القوي يريده المؤلف كما يظهر .

وأما الخالغ^(١) فأديب الشعر، صحيح النحت، كثير البديع، مستوي^(٢) الطريقة، متشابه الصناعة، بعيد من طرفة المتعير، قريب من فرصة المتخير؛ كان ذو الكفايتين يقدمه بالرمي، ويقبله على النشر والطن.

وأما مسكويه^(٣) فلطيف اللفظ، رطب الأطراف، رقيق الحواشي، سهل المأخذ، قليل السكب، بلي البنيك؛ مشهور المعاني، كثير التواني؛ شديد التوقي، ضعيف الترقى؛ يرد أكثر مما يصدر، ويتناول جهده ثم يتفصر؛ ويطير بعيدا ويقع قريبا، ويسقي من قبل أن يغرس، ويمتدح^(٤) من قبل أن يُنميه؛ وله بعد ذلك مأخذ كشذو^(٥) من الفلسفة، وتأثر^(٦) في الخدمة، وقيام برسوم الندامة^(٧)؛ وسنة^(٨) في البخل، وغرائب من الكذب؛ وهو حائل^(٩) العقل لشغفه بالكيباء.

وأما ابن نباتة^(١٠) فشاعر الوقت، لا يدفع ما أقول إلا حاسدا أو جاهلا

(١) هو أبو علي الحسن بن علي الخالغ شاعر من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وهو من شعراء البيتة.

(٢) في الأصل: «مستوسق» وهو تحريف. وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «متشابه الخ».

(٣) انظر التبريد في ص ٣٢ رقم ٥.

(٤) متج الدلو ومتج بها: استخرجها من البئر عند الاستقاء، وأما الحافر إمامة: بلغ الماء واستخرجه من الأرض. والكلام كله جار على طريق الاستعارة، يشير بهذه العبارة والتي قبلها إلى أنه يقدم ما حقه التأخير والعكس.

(٥) شدا شدوا، أخذ طرقة من العلم والأدب.

(٦) التأني في التلطف.

(٧) الندامة بكسر النون: حرفة الندامة على العراب.

(٨) «وثيقة».

(٩) حائل العقل، أي متغير متحول من الاستواء إلى العوج.

(١٠) ابن نباتة السعدي، هو عبد العزيز بن محمد بن نباتة من شعراء سيف الدولة بن حمدان، واتصل كذلك بابن العميد ومدحه؛ وقد سنة ٣٢٧ ومات ببغداد سنة ٤٠٥.

أو معانِد ، قد لَحِقَ عصابة (سيف الدولة) وعدًا معهم ووراءهم ، حَسَنُ الحَذَرِ على مثال سَكَّانِ البادية ، لطيفُ الأتِّمَامِ بهم ، خَفِيَ التَّغَاصُّ في واديهم ، ظاهرُ الإِطْلَالِ على نَادِيهم ؛ هذا مع شُعْبَةٍ من الجنون وطائِفٍ من الوَسْوَاسِ .

وأما ابن حجاج^(١) فليس من هذه الزُّمْرَةِ بشيء ، لأنَّه سَخِيفُ الطَّرِيقَةِ بَيِّدٌ مِنَ الحِدَّةِ ، قَرِيعٌ فِي المَزَلِ ؛ ليس للعقل من شِعْرِهِ مِثَالٌ^(٢) ، ولا له في قَرَضِهِ^(٣) مِثَالٌ ؛ على أَنَّهُ قَوِيمُ اللَّفْظِ ، سَهْلُ الكَلَامِ ، وشَمَائِلُهُ نَائِيَةٌ بِالوَقَارِ عن عَادَتِهِ الجَارِيَةِ فِي الخَسَارِ ؛ وهو شَرِيكَ ابْنِ سُكَّرَةٍ فِي هذه القَرَامَةِ^(٤) ؛ وإذا جَدَّ أَقْمَى ، وإذا هَزَلَ حَكَّى الأَفْصَى .

وله مع ذِي الكَفَايَتَيْنِ مَنَازِلَةٌ مَلِيَّةٌ . قال : ما هِيَ ؟ قلتُ : لما ورد ذُو الكَفَايَتَيْنِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَهَزَمَ الأَتْرَاكُ مَعَ أَفْتِكَيْنِ^(٥) ، وكان من الحديث ما هو مشهور ، سأل عن ابن حجاج — وكان متشوقاً له لِمَا كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ قَوَافِيهِ^(٦) ، فَأَحَبَّ أَنْ يَلْقَاهُ ، لأنَّه ليس الخبِرُ كالمُعَايَنَةِ ، والمسموعُ والمبصَّرُ كالأَثَرِ والذِّكْرِ ؛ يَنْزِعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَمَامِهِ ؛ فَلَمَّا حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْتَبَسَهُ لِلطَّعَامِ ، وسمع كلامه ، وشاهدَ سَمْتَهُ ، واستَحْلَى شَمَائِلَهُ ، فقام

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج ، شاعر ماجن في شعره مشهور ، اتصل بالوزير المهملّي وسابور بن أزدشير وعُضِدَ الدولة وابن عباد وابن السبيد ، لشعره متشجبات في اليَتِيمة وفي التَّعَفُّفِ البريطاني وفي مَكْتَبَةِ بَارِيْسِ ؛ وقد مات سنة ٣٩١ .

(٢) « مثال » .

(٣) « حرصته » .

(٤) القَرَامَةُ : الخسران .

(٥) في الأصل : « الوركين » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ههنا عن الكامل لابن الأثير وغيره .

(٦) في الأصل : « من فيه » بسقوط القاف والواو والألف ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

من مجلسه ؛ فلما خلا به قال : يا أبا عبد الله ، لقد والله تُهت^(١) عجباً منك ، فأما عَجَبِي بك فقد تقدّم ؛ لقد كنت أفلي ديوانك ، فأتمنى لقاءك ، وأقول : من صاحب هذا الكلام ، أطيّش طائش ، وأخفّ خفيف ، وأغرّم غارم ؛ وكيف يجالس من يكون في هذا الإهاب ؟ وكيف يقارب من ينسلخ من ملابس الكتاب وأصحاب الآداب ؛ حتى شاهدتُك الآن ، فتهاكتُ على وقارك وسكون أطرافك ، وسكوت لفظك ، وتناسب حركاتك ، وفرط حيائك وناضر ماء وجهك ، وتعاذل كُلك^(٢) ويمضك ؛ وإنك لمن عجائب خلق الله وطُرف عباده^(٣) ؛ والله ما يصدّق واحد أنّك صاحب ديوانك ، وأنّ ذلك الديوان لك ، مع هذا التنافي الذي بين شعرك وبينك في جدك . فقال أبو عبد الله : أيها الأستاذ ، وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارنا على هذا لعلجت عليك بالتعجب منك . قال : لأنى قلت : إذا ورد الأستاذ فسألنى منه خلُقاً جافياً وفظاً^(٤) غليظاً وصاحب رواسير^(٥) وآكل كوامخ^(٦) وجبلياً ديلمياً متكائباً متعاطماً ، حتى رأيْتُك الآن وأنت ألفت من الهواء ، وأرق من الماء ، وأغرل من جيل^(٧) بن معمر ، وأعذب من الحياة ، وأرزن من الطود ، وأغرر من

(١) تهت ، أى تحيرت .

(٢) فى الأصل : « نجلك » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل من هذه الكلمة العين والباء ، ورسمت اماء بعيدة عنها .

(٤) « وغلطا » .

(٥) فى الأصل : « رواصير » .

(٦) الكوامخ : جمع كوامخ بفتح الميم ، وهو إدام يؤتم به يقال له : المرى ، ويقال : هو الردى منه ؛ وقيل : هو خبز بخل مرّ ب « كاهه » بالفارسية ؛ وخصه بعضهم بالخللات التى تستعمل لتفشي الطعام .

(٧) جيل بن معمر ، هو المعروف بجبيل بثينة العنرى .

البحر ، وأبهى من القمر ، وأندى من الغيث ، وأشجع من الليث ، وأنطق من سخبان ، وأندى من الغمام ، وأشد من السهام ، وأكبر من جميع الأنعام .
فقال أبو الفتح وتبسم : هذا أيضا من ودائع^(١) فضلك ، وبواعث تفضلك .
ووصله وصرقه .

قال^(٢) : لم يكن هذا الحديث عندي .

وأما بشر بن هارون فليس من هذه الطبقة في شيء ، لكنه يقرص فيجزم^(٣) ويسم فيهم ، ويخرج فيجزم ؛ والمدهون^(٤) منه كثير ؛ « وأصحابنا^(٥) يستحسنون قول ابن الحجاج في الوزير حين يقول :

لله در الحسين من قر ردت إليه وزارة الشمس

فقال : إن قبلت هذا منهم خفت أن يقال : ماح نفسه يقرئك السلام ؛
وما أصنع بهذا البيت وهو مضموم إلى كل بيت سخيف في القصيدة » .

ثم قال : وجب أن نصف قبل هذا عصابة العلماء ، فلم تركنا ذكرهم ونحن
لا نخلو في حديثهم من غرة لأئمة ، وفائدة نافعة ، وصواب زائد في العقل
وفضيلة على الأدب ، وحلم يزدان به في وقت الحاجة ، وحكمة يستعان بها في
داهية ؛ ورأى يكون مقيلا للتمييز عند تهجيرنا به .

(١) من ودائع فضلك ، أى من فضلك الذى تودعه لدينا فنحفظه لك ونؤديه إليك
جزاء وفا .

(٢) قال ، أى الوزير أبو عبد الله العارض .

(٣) فى الأصل : « يقرض فيخر » ، وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين . ويريد بهذه
العبارة والمبارتين اللتين بعدها أن أثره بالغ غاية فى الهجاء .

(٤) المدهون ، أى المبتلون بالدواوى منه .

(٥) الظاهر أن هذا الكلام الذى بين هاتين العلامتين مؤخر عن موضعه وموضعه
الكلام فى ابن حجاج السابق ذكره إذ لا مناسبة بينه وبين ما هنا .

قلتُ : أما أبو عبد الله الجُعَلُ (١) فقد شاهدته . قال : صدقت ، ولكن لم أقف على مذهبه ودُخْلته وسيرته في اعتقاده .

قلتُ : كان الرجل ملتهب الخاطر ، واسع أطراف الكلام ، مع غشاة اللفظ ، وكان يرجع إلى قوَّة عجيبة في التدريس ، وطول نفس في الإملاء ، مع ضيق صدر عند لقاء الخصم ومُعارَكة القرن ، بيميد العهد بالمصاع والدفاع والوقاع ؛ وكان سببُ هذا الجبن والخَوَر قلة الضراوة على هذه الأحوال ؛ ولقد خَرَّيَ في مشاهد عظيمة .

وأما يتيهه فكان ضعيفا ؛ وأما سيرته فكانت واقفة على حبِّ الرياسة وبذل المال والجاء إذا حضرا ، مع تعصب شديد لمن قدَّمه وأحبَّه ، وإنهاء مفرط على من عاداه ، وكان خَوْضُه في الدُول والولايات — ولهذا رغب عنه (٢) الواسطي وكان أخا ورع ودين — وقال (٣) : هذا منقر (٤) عن الدين والمذهب ، ودافع (٥) للناس عن القول بالحق ، وطارح للشبهة في القلوب . وكان يجهز بهذا وأشباهه ، ولكن كان جاه الرجل لا يُنتقص بهذا القدر وركنُه لا يتخلخل على هذا الهدى ، لأسباب انعدت له ، وأصحاب ذبوا عنه .

وأما ابن الملاح فشيخ حسن المعرفة بالمذهب ، شديد التوقى ، محمود القناعة .

(١) في الأصل « جفل » ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . والجعل ، هو أبو عبد الله الحسين بن عليّ ، أصله من البصرة وبها ولد سنة ٣٠٨ وانهت إليه الرياسة في علم الكلام في عصره ، وكان كذلك فقيها ، وله كتب في الكلام وكتب في الفقه ، من أشهر كتبه في الكلام كتاب نقض كلام الراوندى ونقض كلام الرازى . مات ببغداد سنة ٣٩٩ .

(٢) « فيه » .

(٣) وقال ، أى الواسطي .

(٤) « منقر » .

(٥) « ونافع » .

ظاهر الرضا ؛ تَدُلُّ^(١) سيرته الجميلة على أنه حَسَنُ العقيدة .

وأما ابن العلم^(٢) فَحَسَنُ اللِّسَانِ والجَدَلِ ، صبور على الخصم ، كثيرُ الحيلة ظنين^(٣) السرِّ ، جميل العَلاتِيَّةِ .

وأما أبو إسحق النصيبي فذقيق الكلام ، يشكُّ في النبوات كلها ، وقد سمعتُ منه فيها شُبُهًا ، ولُغَتُهُ^(٤) معقَّدة ، وله أدب واسع ؛ ولقد أضلَّ بهمذان كاتبُ فخر الدولة ابنُ المرزبان . وحمله على قلة الأكتراث بظلم الرعية ، وأراه أنه لا حرج عليه في غيبتهم لأنهم بهائم ، وما خرج من الجبل حتى أفتضح .
وأما ابن خيران^(٥) فشيخ لا يعدو الفقه ، وفيه سلامة .

وأما الدَّارَكِيُّ^(٦) فقد اتخذ الشهادة مكسبة ، وهو يأكل الدنيا بالدين ، ويفلب عليه اللواط ، ولا يرجع إلى ثقة وأمانة ؛ ولقد تهتكت بنيسابور قديما ، وببغداد حديثا ؛ هذا مع القدامة والوخامة ؛ ولقد ندَّ بجُعَلٍ^(٧) غلام ، وهو اليوم قاضي الرى . وابن عباد يَكْنُفُهُ ويقربه ليكون داعية له ونائبا عنه ، وليس له أصل وهو من سواد همدان ، وأبوه كان فلاحا ، ولقد رأيتُه ، إلا أنه يأتي لابن عباد في سَمْتِهِ ولزوم ناموسه حتى خفَّ عليه ، وهو اليوم قارون ؛ وقد علت رتبته في

(١) « يدل » .

(٢) ابن المَعْلَمِ ، هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، انتهت إليه رئاسة الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار ولد سنة ٣٣٨ .

(٣) ظنين ، أى متهم .

(٤) « ولغته » .

(٥) هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران ، أحد فقهاء عصره ، ألف في الفقه كتاب « اللطيف » وكتاب « المقدمات » .

(٦) لعله يريد أبا القاسم الداركى ، نسبة إلى دارك ، قرية في أصفهان ، أحد فقهاء الشافعية وهو بغدادى ، أقام بنيسابور مدة ، وانتهى التدريس إليه ببغداد ، وأخذ عنه عامة شيوخها ؛ مات سنة ٣٧٥ .

(٧) في الأصل : « ندر » ؛ ولعل صوابه ما أمبقتنا . ويد : هرب .

الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا أنه مع ذلك نَقِلُ^(١) الباطن ، خبيث الخبء ، قليل اليقين ؛ وذلك أن الطريقة التي قد لزموها وسلكوها لا تقضى بهم إلا إلى . الشك والأرتياب ، لأن الذين لم يأت بكم وكَيْفٍ في كلِّ باب ، ولهذا كان لأصحاب الحديث أنصار الأثر ، مزية على أصحاب الكلام وأهل النظر ؛ والقلب الخالي من الشبهة أسلم من الصدر المحشو بالشك والريبة ، ولم يأت الجدال بتغيير قط . وقد قيل : من طلب الدين بالكلام ألحد ، ومن تتبع غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفتقر . وما شاعت هذه الوصية جُرَافاً ، بل بعد تجربة كررها الزمان ، وتطاولت عليها الأيام ؛ يتكلم أحدهم في مائة مسألة ويورد مائة حجة ثم لا ترى عنده خشوعاً ولا رقة ، ولا تقوى ولا دَمعة ؛ وإن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرءون ولا يحتجّون ولا يناظرون ولا يُكرِّمون^(٢) ولا يفضلون خيراً من هذه الطائفة وألینُ جانباً ، وأخضع قلباً ، وأتقى لله عزَّ وجلَّ ، وأذكرُ للعقاد ، وأيقن بالثواب والعقاب ، وأقلق من الهفوة ، وألوذُ^(٣) بالله من صغير الذنب ، وأرجع إلى الله بالتوبة ؛ ولم أر متكلماً في مدة عمره بكى خشية ، أو دمعت عينه خوفاً ، أو ألقع عن كبيرة رغبة ؛ يتناظرون مستهزئين ويتحاسدون متعصبين ، ويتلاقون متخادعين ، ويصنّفون متحاملين ؛ جَدَّ الله عروقتهم ، وأستأصل شأفتهم ، وأراح العباد والبلاد منهم ؛ فقد عظمت البلوى بهم ، وعظمت آفتهم على صغار الناس وكبارهم ؛ ودَبَّ داؤمهم ، وعسر دواؤمهم ؛ وأرجو ألا أخرج من الدنيا حتى أرى بنيانهم متضعفاً ، وساكنته متجمجعا^(٤) .

(١) « نَقِلُ » . والنقل : الفساد السيئ .

(٢) « يلزمون ولا يفضلون » .

(٣) هذه الكلمة مطموسة بالأصل .

(٤) متجمجعا ، أى ضارباً بنفسه الأرض من وجع .

قال : فما تقول في ابن الباقلاني ؟ ^(١) . قلت :

فما شرء ^(٢) الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبَحِينا

يزعم أنه ينصر السنّة ويُفحِم المعتزلة وينشر الرواية ؛ وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخُرُميّة ، وطرائق الملحِدة . قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمَحَنَ الغلاظ ، والأمراض التي ليس لها علاج .

ثم قال : إن الليل قد ولّى ، والنعماس قد طرق العين عابثا ؛ والرأى أن نستجِمَ لنشَط ، ونستريح لنعمب ؛ وإذا حضرت في الليلة القابلة أخذنا في حديث الخلق والخلق — إن شاء الله — وأنا أزودك هذا الإعلام ليكون باعثاً لك على أخذ العتاد بعد اختباره في صدرك ، وتَحِيلَ الحال به عندمخوضك وفيضك ولا تجبن جبن الضعفاء ، ولكن قُلْ وأتسع مجاهرا بما عندك ، منقفا مما معك . وانصرفت .

الليلة التاسعة

وعدت ليلة أخرى فقال : فأتحمُّ الحديث معك ، فبهاتِ ما عندك . فكان ^(١) من الجواب : أن أخلاق أصناف الحيوان الكثيرة مؤتلفةٌ في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفوُ الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كَدَرُ النوع الذي هو الإنسان والإنسان صفوُ الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفوا ومُصاحبا ^(٢) بهذا النظر أنتظم فيه من كل ضرب من الحيوان خُلُقٌ وخُلُقَانٌ وأكثر ،

(١) ابن الباقلاني ، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني أحد أعلام التكلميين ، ومن أكبر أنصار مذهب الأشعرى ، ومؤلف كتاب « إيجاز القرآن » مات سنة ٤٠٣ .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ وهو هنا على طريق التل .

(٣) المصاس : المصاراة .

وظهر ذلك عليه وبطن^(١) أيضا بالأقل والأكثر والأغلب والأضعف ، كالكمون الذى فى طباع السبع والقارة ، والثبات الذى فى طباع الذئب ، والتحرز الذى فى طباع الجاموس من بنات الليل ، والحذر الذى فى طباع الخنزير ، والتقدم الذى فى طباع الفيل أمانم قطيعه تمثلا بصاحب المقدمة .

وكذلك ضد ذلك فى الخنزير تمثلا بصاحب الساقة ، وكالحراسة التى فى طباع الكلب ، وكأوب الطير إلى أوكارها التى تراها كالمعاقل وغيرها بالدغل^(٢) والأشب والنياض .

ولهذا قال بعض الحكماء : خذ من الخنزير بُكوره فى الحوائج ، ومن الكلب نُصحَه لأهله ، ومن المرأة لطفَ نفسها عند المسألة .

وقالت الترك : ينبغى للقائد العظيم أن يكون فيه عشر خصال من ضروب لحيوان : سخاء الديك ، وتحنن الدجاجة ، ونجدة الأسد ، وحملة الخنزير وروغان الثعلب ، وصبر الكلب ، وحراسة الكركى ، وحذر الغراب ، وغارة الذئب ، وسمن بعروا^(٣) ، وهى دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء .

ولما وهب الإنسان الفطرة^(٤) ، وأعين بالفكرة ؛ ورُفِدَ بالعقل ، جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه وفى نفسه ، وبسبب هذه المزية الظاهرة فضّل جميع الحيوان حتى صار يبلغ منها مراده بالتسخير^(٥) والإعمال واستخراج المنافع منها وإدراك الحاجات بها ؛ وهذه المزية التى له مستفادة بالعقل ، لأن العقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستعمل منهما ومؤدّر بعضها

(١) « ويطن » .

(٢) الدغل والأشب : الشجر الكثير اللثف بعضه يعض .

(٣) كذا ورد اسم هذه الدابة فى الأصل . ولم نجده فيما بين أيدينا من الكتب .

(٤) « الفكرة » .

(٥) « بالتجبير والاقال » .

إلى بعض بالفيض الإمكانى والتوزيع الإنسانى ؛ فصوابُ بديهيةِ الفكرة من سلامة العقل ، وصوابُ رويةِ الفكرة من صحة الطباع ، وصحة الطباع من موافقة المزاج ، وموافقة المزاج بالمدد^(١) الاتفاقى والاتفاق النيبى ؛ أعنى بهذا أن وجه الحادث المجهول عندنا اتفاق ، ووجه الحادث المعلوم عند الله عز وجل غيب ؛ فلو ظهر هذا الغيب لبطل الاتفاق ، ولو بطل الاتفاق لارتفع الغيب .

فانقسمت الأحداث [بين ما هو]^(٢) على جديلة^(٣) واحدة معروفة ، وبين نادر لا يدوم العهد به ، فدلّ ما ظهر وأستمرّ على ما جاد به وذهب ، ودلّ ما غاب وأستتر على ما تفرّد به وغلب .

ولما كان الحيوان كله يعمل صنائعه بالإلهام على وتيرة قائمة ، وكان الإنسان يتصرف فيها بالأختيار ، صحّ^(٤) له من الإلهام نصيب حتى يكون رفدًا له فى أختياره ، وكذلك يكون النحل أيضا ، صحّ له من الأختيار قسط فى إلهامه حتى يكون ذلك مُعينًا له فى اضطراره ، إلّا أن نصيب الإنسان من الإلهام أقلّ كما أن قسط سائر الحيوان من الأختيار أنزَرَ^(٥) ؛ وثمرة أختيار الإنسان إذا كان مُعانًا بالإلهام أشرف وأدوم وأجدى^(٦) وأقع وأبقى وأرفع من ثمرة غيره من الحيوان إذا كان صرفودًا بالأختيار ، لأن قوة الأختيار فى الحيوان كالعلم كما أن قوة الإلهام فى الإنسان كالفضل .

ومراتب الإنسان فى العلم ثلاث تظهر فى ثلاثة أنفس ، فأحدهم مُلهم

(١) « الندد » .

(٢) هذه التكملة التى بين مربعين ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضئها .

(٣) الجديلة : الشاكلة . يقال : هم على جديلة واحدة ، أى على شاكلة واحدة .

(٤) « وصح » .

(٥) « أكثر » .

(٦) « واحد » .

فَيَتَعَلَّمُ^(١) ويعمل ، ويصير مبدأً للمقتبِسِينَ منه ، المقتبِدين به ، الآخذين عنه ، الحاذِين على مثاله ، السَّارِّين على غِرازه ، القافِين على آثاره ؛ وواحد يتعلَّم ولا يُكَلِّمُ فهو يَمِائِلُ الأوَّل في الدرجة الثانية ، أعنى التعلُّم ؛ وواحد يتعلَّم ويُكَلِّمُ ، فتجتمع له مائتان الخَلَّتَان ، فيصير بقليل ما يتعلَّم مُكثِّراً للعمل والعمل بقوة ما يُكَلِّمُ ويعود بكثرة ما يلهم مصفياً لكل ما يتعلَّم ويعمل .

والكلام في هذه المواضع ربَّما جَمَعَ فلم يمكن كفه ، فينبغي أن يضح العذر إذا عرض تفاوتٌ في الترتيب ، ودخل الخلُّ من ناحية التقريب .

وقال أبو سليمان لنا في هذه الأيام : [الإنسان^(٢)] بين طبيعته وهي عليه وبين نفسه وهي له ، كالمنتهب المتورِّع ، فإن استمد من العقل نورَه وشعاعَه قوَى ما هو له من النفس ، وَضَعُف ما هو عليه من الطبيعة [وإلا فقد قَوَى ما هو عليه^(٣) من الطبيعة] وَضَعُف ما هو له من النفس .

وحكى لنا فقال : كان للحكماء الأولين مَثَلٌ يضربونه ويكتبونه في هَيَّا كَلِمِهِمْ ومتعبداً بهم وهو : « المَلَكُ للوَكَلِ بالدنيا يقول : إِنْ هُنَا خَيْرٌ وَهُنَا شَرٌّ ، وَهُنَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ ، فَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا تَخَلَّصَ مِنِّي ، وَنَجَا سَلَاماً ، وَبَقِيَ كَرِيماً ، وَمَلَكَ نَعِيماً عَظِيماً » .

ومن لم يعرفها قَتَلَتْهُ شَرٌّ قَتْلَةً ، وذلك أَنِّي لَا أَقْتُلُهُ قَتْلًا وَحَيًّا^(٤) يَسْتَرِجُ بِهِ مِنِّي ، وَلَكِنْ أَقْتُلُهُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ ، بِحَسَرَاتٍ عَلَى قُوَّتِ مَأْمُولٍ

(١) في الأصل : « فيلهم » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا بدليل قوله بعد في القسم الثاني « فهو يَمِائِلُ الأوَّل في الدرجة الثانية أعنى التعلُّم » .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « له » .

(٤) « وحياً ، أى سرياً » .

بعد مأمول ، وبلايا يكون بها كالمغلول المكبول .

قال ^(١) : هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة ، لكنك خلّيت يدك من طُرْف الحديث في الخُلُق . قلتُ : إذا طاب الحديث بأسرّ سال السجّية ووقع العلّامة لَهَا الإنسانُ عن مبادئه ، وسال مع الخاطر الذي يستهويه ، ولتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطَل والزَّلَلِ حَدٌّ إذا بلغه كلُّ الخاطر وأختل .

ثم نعود فنقول : أخلاق الإنسان مقسومة على أنفسه الثلاث : أعنى النفس الناطقة ، والنفس الغضبيّة ، والنفس الشهوانيّة ، وسماتُ هذه الأخلاق مختلفة بعرض واسع .

ويمكن أن يقال في نعتها على مذهب التقريب : إنها بين المحمودة وبين المذمومة ، وبين المشوبة بالحمد والذم ، وبين الخارجة منها . فمن أخلاق النفس الناطقة — إذا صفت — ^(٢) البحث عن الإنسان ثم عن العالم ، لأنّه إذا عَرَفَ الإنسانَ قد عَرَفَ العالمَ الصغير ، وإذا عَرَفَ العالمَ قد عَرَفَ الإنسانَ الكبير ، وإذا عَرَفَ العالمين عَرَفَ الإله الذي بجُودِهِ وُجِدَ ما وُجِدَ ، وبقدْرته ثَبَتَ ما ثَبَتَ ، وبحكمته ترتّب ما ترتّب ؛ وبمجموع هذا كلّهُ دام ما دام .

بهذا البحث يتبيّن له ما تشتمل عليه القوة الغضبية والقوة الشهوية فإنّ توابع هاتين القوتين أكثر ، لأنهما بالتركيب أظهر ، وفي ^(٣) الكثرة أدخل وعن الوحدة أخرج ؛ فإذا ساستهما الناطقة حدّفت زوائدهما ، ونفّت فواضِلَهُما

(١) قال ، أى الوزير .

(٢) « صفت » .

(٣) « وعن » .

وَوَفَّتْ نَوَاقِصَهُمَا ، وَذَيْلَتِ قَوَالِصَهُمَا^(١) أَعْنَى إِذَا رَأَتْ غُلْمَةً فِي الشَّهْوِيَّةِ أَخَذَتْ نَارَهَا ، وَإِذَا وَجَدَتْ السَّرْفَ^(٢) فِي الْغَضَبِيَّةِ قَصَّرَتْ عِنَانَهَا^(٣) ؛ غَيْثُنْذُ يَقُومَانِ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَيَعُودُ السَّفَهَ حُلْمًا أَوْ تَحَالُمًا ، وَالْحَسَدُ غِبْطَةً أَوْ تَغَابُطًا وَالغَضَبُ كَغْلَمًا أَوْ تَكَاظُمًا ، وَالنَّيْزُ رُشْدًا أَوْ تَرَاشُدًا ، وَالطَّيْشُ أُنَاةٌ أَوْ تَأْنِيَا^(٤) وَصَرَفَتْ هَذِهِ الْكُومَانِ فِي التَّكَامِينِ — إِذَا سَارَتْ سَوَرَتُهَا ، وَثَارَتْ ثَوَرَتُهَا — عَلَى مَنَاهِجِ الصَّوَابِ ، تَارَةً بِالْعِظَةِ وَاللُّطْفِ ، وَتَارَةً بِالزَّجْرِ وَالضَّرْفِ وَتَارَةً بِالْأَثَقَةِ وَكِبَرِ النَّفْسِ ، وَتَارَةً بِإِشْعَارِ^(٥) الْحَذَرِ ، وَتَارَةً بَعُلُوِّ الْهَمَةِ ؛ وَهَنَاكَ يَصِيرُ الْعَفْوُ عِنْدَ الْقَادِرِ أَلَدًّا مِنَ الْأُنْتِقَامِ ، وَالْعَفَافُ عِنْدَ الْمُسَائِجِ أَلَدًّا مِنَ قَضَاءِ الْوَطَرِ ، وَالْقَنَاعَةُ عِنْدَ الْمَحْتَاجِ أَشْرَفُ مِنَ الْإِسْفَافِ ، وَالصَّدَاقَةُ عِنْدَ الْمُتَوَتِّرِ آثَرٌ مِنَ الْعِدَاوَةِ ، وَالْمَذَارَاةُ عِنْدَ الْمُحْفَظِ^(٦) أَطْيَبُ مِنَ الْمَارَاةِ .

وَفِي الْجُمْلَةِ ، الْخُلُقُ الْحَسَنُ^(٧) مُشْتَقٌّ مِنَ الْخُلُقِ ، فَكَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَبْدِيلِ الْخُلُقِ كَذَلِكَ لَا قُدْرَةَ عَلَى تَحْوِيلِ الْخُلُقِ ، لَكِنَّ الْحَصْنَ^(٨) عَلَى إِصْلَاحِ الْخُلُقِ وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْحُكَمَاءِ بِالْعَبَثِ وَالتَّجْزِيفِ ، بَلْ لِمَنْفَعَةٍ عَظِيمَةٍ مُوجُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَمِثَالُهُ أَنَّ الْحَبْشَى يَتَدَلَّكَ بِالْمَاءِ وَالْفُسُولُ لَا يَسْتَفِيدُ^(٩) بِيَاضًا ، وَلَكِنْ

(١) ذيلت قوالصهما ، أى طولت ما قصر وتفيض منهما .

(٢) « السرف » .

(٣) « عنانها » .

(٤) « تأنيا » .

(٥) « بإشعار » .

(٦) « التحفظ » .

(٧) الظاهر أن قوله « الحسن » زيادة من الناسخ . فسياق الجملة يقتضى أنه يريد الخلق الحسن وغيره .

(٨) « لكراحص » .

(٩) « يستفيد » .

ليستفيد ثناء شديداً^(١) بالبياض ؛ ويقال للمهذار : « أ كُفِّف » لا يكف^(٢) عن النطق ، ولكن ليؤثر الصمت .

ويقال للموتور : « لا تمقد » لا يزول عنه ما حَقَّق^(٣) عليه ، ولكن ليتكلف الصبر ويتناسى الجزاء على هذا أبدا .

وقد تقرّر بالحكمة الباحثة عن الإنسان وطرائق ما به وفيه أن أحواله مختلفة ، أعنى أن كل ما يدور عليه ويمحور إليه^(٤) مقابل بالصد^(٥) أو شبيه بالصد كالحياة والموت ، والنوم واليقظة ، والحسن والقبيح ، والصواب والخطأ ، والخير والشر ، والرجاء والخوف ، والعدل والجور ، والشجاعة والجهن ، والسخاء والبخل ، والحلم والسفَه ، والطيش والوقار ، والعلم والجهل ، والمعرفة والنكرة والعقل والعُتْق ، والصحة والمرض ، والأعتدال والانحراف ، والعفة والفجور والتنبه والغفلة ، والذكور والنسيان ، والذكاء والبلاهة ، والغبطة والحسادة والدمائة والكزآزة^(٦) ، والحق والباطل ، والنقى والرّشْد ، والبيان والحصر والثقة والأرتياب ، والطمانينة والثّمة ، والحركة والسكون ، والشك واليقين والخلاعة والوقار ، والتوقّي والتهوّر ، والإلف والمَلَل ، والصدق والكذب والإخلاص والنفاق ، والإحسان والإساءة ، والنصح والنش ، والمدح والذم وعلى هذا الجرز والسّحب^(٧) ؛ ولعل هذه الصفات بلا آخر ولا انقطاع .

(١) « تشبها » .

(٢) « لتكتفى عنه » .

(٣) « طبق » .

(٤) « ويجوز عليه » .

(٥) « بالصدأ » .

(٦) « الكرامة » بالمهملتين .

(٧) « الجراء والسحب » .

فما ينبغي أن يُعنى الإنسانُ الحبُّ للتبصرة ، المؤثرُ للتذكرة ، الجامعُ للنافع له ، النافِئُ ^(١) للضارِّ به في هذه الأحوال التي وصفناها بأسمائها معرفةً — ما استطاع — باجتلاب ^(٢) محمودها واجتناب مذمومها ، وتمييزه بما يمكن ^(٣) فيه أو تقليده ، أو إطفاء جهرته ، أو أجتناء ثمرته ، والطريق إلى هذا التمييز واضح قريب ، كأن ^(٤) ننظر إلى الحياة والموت فتعلم أن هذين ليسا من الأخلاق ولا مما يعالج بالاجتهاد ، وإلى النوم واليقظة فتعلم أنهما ضروريان للبدن من وجه ، وغير ضروريين من وجه ، فتتفنى ^(٥) منهما ما خرج عن حدِّ الضرورة وتُسَلِّم البدن ما دخل في حدِّ الضرورة ؛ ولا يكثر ^(٦) الإنسانُ نومَه ولا سهرَه ، ولكن يطلب العدل بينهما بقدر جهده .

فأما الحسن والقبيح فلا بدَّ له من البحث اللطيف عنهما حتى لا يجور ^(٧) فيرى القبيحَ حسناً والحسنَ قبيحاً ، فيأتى القبيحَ على أنه حسن ، ويرفض الحسنَ على أنه قبيح ؛ ومناشئُ الحسن والقبيح كثيرة : منها طبيعي ، ومنها بالعادة ، ومنها بالشرع ، ومنها بالعقل ، ومنها بالشهوة ، فإذا أعتبر هذه المناشئ صدق الصادق منها وكذب الكاذب ، وكان استحسانه على قدر ذلك ومثال ذلك الكبر فإنه معيب بالنظر الأول ، لكنه حسن في موضعه بالعلّة ^(٨) الداعية إليه ، والحال الموجبة له .

(١) « الثاني » .

(٢) « اجتلاب » متعلق بـ « يمكن » .

(٣) « يمكن » .

(٤) « كأنك » .

(٥) « فيستعمل » .

(٦) « يكون » .

(٧) « يجوز » .

(٨) « بالعلّة » .

وأما الصواب والخطأ فأمران عارضان للأقوال والأفعال والآراء ، وليساً
بمُخْلِقَيْنِ مُخْضَيْنِ ، ولكتهما موكولان إلى نور العقل ، فما أشرق^(١) عليه العقل
بنوره فهو صواب ، وما أفل^(٢) عنه العقل بنوره فهو خطأ .

وأما الخير والشر فهما في العموم والشمول ليسا بدون الصواب والخطأ
لهما مناهج بكل شيء ، ويغلبان على الأفعال ، وإن كان أحدهما عدماً للآخر .
وأما الرجاء والخوف فهما عرَضان للقلب بأسباب بادية وخافية ، ولا يدخلان
في باب الخلق من كل وجه [ولا يخرجان أيضاً بكل وجه] وهما كالإمادين
للإنسان قد أستصليح لهما ، ورُبطَ قوامُهُ بقلبيهما وضعفهما .

وأما العدل والجور فقد يكونان خُلُقَيْنِ بالفطرة ، ويكونان فِعْلَيْنِ بالفكرة
وجانباها بالفعل^(٣) ألصق ، وإلى الأكتساب أقرب .

وأما الشجاعة والجبن فهما خُلُقَانِ متصلان بالخلق ، ولهذا يعزّ على الشجاع
أن يتحوّل جبانا ، ويتعذّر على الجبان أن يصير شجاعا ، وكذلك طرفاهما
داخلان في الخلق أعنى التهور والتوق^(٤) .

وأما السخاء والبخل فهما خُلُقَانِ محضان أو قريبان من المتخض ، ولهذا
تعلق الحمد والذم بهما وبأصحابهما ، والمدح والمجوسر^(٥) إليهما واتصلا بهما ؛

(١) « أشرف » .

(٢) « أفل » .

(٣) « بالعقل » .

(٤) في الأصل : « والجبن » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله : « وكذلك طرفاهما إذ
الجبن لا يكون طرفا للجبن ، ويدل على صحة ما أثبتنا ذكره التوق بجانب التهور فيما سبق
في ص ١٤٩ س ١٤ .

(٥) « ريا » .

وقد يندم السخى على بذله كثيرا خوفا من الإملاق ، فلا يستطيع ذلك إذا أخذته الأريحية ، وحركته اللوذعية ؛ وقد يلوم البخيل نفسه كثيرا إذا سلقته الأسنة الحداد ، وجبه^(١) بالتوبيخ ، وشمخ^(٢) عند رؤيته الأنف ، وغضن^(٣) الجبين وأولم^(٤) بالعدل وقوبل ؛ ومع ذلك فلا يرشح إلا على بطاء وكلفة وتضجر ؛ والكلام فى هذين الخلقين طويل ، لأنهما أدخل فى تلاقى الناس وتعاطيهم فى عشرتهم ومعاملتهم .

وأما الحلم والسفة فهما أيضا خلقتان ، والأخلاق تابعة للمزاج فى الأصل ، ولذلك قلنا : إن الخلق ابن الخلق ، والولد شبيه بوالده ؛ وفى الجملة ، كل ما يمكن أن يقال فيه للإنسان « لا تفعل هذا » ، « وأقل من هذا وكف عنه » فإنه فى باب الأفعال أدخل ، وكل ما لم يجز أن يقال ذلك فيه فهو فى باب الأخلاق أدخل ، ثم لبعض هذا نسبة إلى الخلق أو الخلق ، إما ظاهرة غالبية وإما خفية ضعيفة .

وأما الطيش والوقار فهما يختلطان بالحلم والسفة ويجريان معهما ؛ فليس ينبى أن ينشر الكلام ويطول الشرح .

وأما الجهل والعلم فليسا^(٥) من الأخلاق ولا من الخلق وإنما^(٦) يُبرزان من صاحب الأخلاق والخلق للمزاج أثرين قويين^(٧) واحدهما عدم

(١) « وجه » .

(٢) « وسبح » .

(٣) « وعش » .

(٤) فى الأصل « واكيل بالعدل وقوتل » .

(٥) « فلما » .

(٦) فى الأصل : « وإنما كانا يبرزان » .

(٧) « أثر قوى » .

والآخر وجدان ، والعدم^(١) لا يكون أعدم من عدم ، والوجدان يكون أئين من وجدان .

وأما المعرفة والنكرة فهما في جوار العلم وضده ، ولكنهما أعلق بالحس وألصق بالنفسين ، أى الشهوية والنفسية .
وأما العقل والحكم فليسا من الخلق ، والكلام في تفسير العقل مشهور^(٢) ، وعدمه الحق .

وأما الصحة والمرض فليسا أيضا من الأخلاق ، ولكنهما يوجدان في الإنسان بواسطة النفس ، إما في البدن ، وإما في العقل ، ولذلك يقال : أمراض البدن ، وأمراض النفس ، [وصحة البدن]^(٣) وصحة النفس .

وأما الاعتدال والانحراف فهما يدخلان في الخلق بوجه ، ويخلصان منه بوجه ، ويعتدأ أعراض البدن وأعراض النفس ، ويوصف بهما الإنسان ، على أن الانحراف المطلق لا يوجد ، والاعتدال المطلق لا يوجد ، ولكن كلاهما بالإضافة . وأما العفة والفجور فخلقان لها سجرة^(٤) ومهود ، والحاجة تمس إلى العدل في استعمال العفة وتنفى^(٥) الفجور ، وإذا قويت العفة حالت عصمة ، وإذا غلب الفجور صار عدوانا .

وأما التنبيه والغفلة فقريبان من الخلق ويغلبان على الإنسان ، إلا أن فرط التنبيه موصول بالوحي ، وفرط الغفلة موصول بالبهيمية .

(١) « والعدو » .

(٢) « يستمر به » .

(٣) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٤) « سجرة » بالمهمله .

(٥) « وتنفى » .

وأما الذكر والنسيان فليسا بخُلُقَيْن محصَّين ، ومنشؤهما بالزواج ، وأحدهما من علائق النفس العالمة ، والآخر من علائق النفس البهيمية .
[وأما الذكاء والبلادة^(١)] فهما خُلُقَان ، ونعتهما كنعمت الذكر والنسيان ، إلا أن هذين^(٢) يعرضان في الحين^(٣) بعد الحين ، والأخريان^(٤) كالراسخين في الطينة .

وأما الغبطة والحسد فخلقان رُسم الأول منهما بأن تتمنى لنفسك ما أُوتِيَه صاحبُك [ورُسم الثاني بأن تتمنى زوال ما أُوتِيَه صاحبُك]^(٥) وإن لم يصل إليك . ورسوم هذه الأخلاق أسهل من تحديدها ، لكننا تركنا ذلك ، لأنَّ الكلام الذي كان يجري ، هو على مذهب الخدمة .

على أن مراتب هذه الأخلاق مختلفة ، فيبعد أن يعتمداً حد واحد ، وإنما اختلفت منازلها لأنهما^(٦) تارة تصفو بقوة النفس الناطقة ، وتارة تكدر بالقوتين الأخريين ؛ ولبعضها حِدَّة بالزيادة ، ولبعضها كَلَّة بالنقص ، فلم يكن التحديد يُفَصِّل^(٧) كلَّ ذاك ، فلم نخرج^(٨) على شيء عجَزنا عنه قبل أخذنا فيه . وُتِمَّ بَقِيَّة ما عُلِقَ بهذه الجملة ، فنقول :

وأما الدماعة والكزازة فخلقان محضان تابعان للزواج ، ثم اللان يزيدهما قوَّة وضَمَفاً ؛ وهما للنعمة أقرب ، كالسهولة واليسر ؛ ولذلك يقال : « ما أَدَمَّتْ

(١) لم ترد هذه العبارة التي بين مربعين في الأصل .

(٢) هذين ، أى الذكر والنسيان .

(٣) « الجين بعد الجين » .

(٤) الأخريان ، أى الذكاء والبلادة . وفي الأصل « والأوليان » .

(٥) هذه العبارة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) « لأن » .

(٧) « بنقص » .

(٨) « يخرج » .

هذه الأرض » ، أى ما أَرخاها وأَليَها ؛ وفي التمثَل : « دَمْتُ لَجَنِّكَ قبل النوم^(١) مضطجماً » .

وأما الحق والباطل فليسا من الخُلُق ولا الخُلُق فى شىء ، وهما من نتائج المعرفة والنكرة ، لأنك تعرف الحق وتنكر الباطل ، وذلك لأغراض تتبعهما ، ولواحق تلتبس بهما .

وأما الفئى والرَّشْد فليسا من الخُلُق ، لكنهما من علائق الأفعال الحميدة والنسيمة ؛ وللرأى والعقل^(٢) فيهما مدخل قوى وحفظ تام .

وأما البيان والحَصْر فليس بينهما وبين الخُلُق علاقة ، وإنما يتبعان الزاج ريزيد فيهما وينقص الجهد والتوانى والطلب والقصور .

وأما الثقة والأرتياب فخلقان يغلبان ينفعان ويضران ويحمدان ويُذمَّان ألا ترى^(٣) أنه يقال : لا تثق بكلِّ أحد ، « ولا ترتب بكلِّ إنسان » وهكذا العلَّمانينة والتُّهمَةُ ، لأنهما فى طيِّهما .

وأما الحركة والسكون فليسا^(٤) من حديث الخُلُق فى شىء ، لأنهما عامَّان^(٥) لجميع الأحوال سواء كان العمل مباشراً أم كان معتقداً ؛ وفى الحركة والسكون كلامٌ واسع ، وذلك أن ههنا حركة إلهية ، وحركة عقلية ، وحركة نفسية ، وحركة طبيعية ، وحركة بدنية ، وحركة فلكية ، وحركة كوكبية ، وحركة

(١) فى الأصل « الترب » . وهذا صدر بيت ، وبجزه :

* لا تسلكن طريقاً غير مأمون *

(٢) « والقصد » .

(٣) « إلا أن ترى » .

(٤) « فلياً » .

(٥) « علَّمان » .

كأنها سكون . فأما السكون فهو ضرب واحد ، لأنه في مقابلة كل حركة ذكرناها . فإذا اعتبرت هذه المقابلة في كل مقابل لحظ الانقسام في السكون ، كما وُجد الانقسام في الحركة .

والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي ، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي ؛ وهذا القدر كاف في هذا الموضع .
وأما الشك واليقين ، فن علائق النفس الناطقة ، ولهذا لا يقال في الحيوان الذي لا ينطق : له يقين وشك .

وأما الخلاعة والوقار ، فقد تقدم البحث عنهما ^(١) .
وأما التوقى والتهور ، فهما خلقتان في جميع الحيوان ، ويغلبان على نوع الإنسان ، لأن العقل يبطل ^(٢) أحدهما ^(٣) ، والحسن ^(٤) يغلب الآخر ^(٥) .
وأما الإلف والممل والمملول ، وإن كان جريان العادة قد وفر الحمد على الإلف ، والذم على الممل . وقد مديح زيد فقيل : هو ألوف . وذم عمرؤ فقيل : هو مملول .
وأما الصدق والكذب ، فن علائق النفس الناقصة والكاملة ؛ وقد يكونان ^(٦) [راسخين ^(٧)] فيلحقان بالخلق ، إلا أن الصدق ممدوح ، والكذب

(١) لاحظ أنه لم يرد فيما سبق ذكر للخلاعة والوقار ، ولا ما يفيد معناها .

(٢) « نطل » .

(٣) يريد بقوله « أحدهما » : التهور .

(٤) « الحسن » .

(٥) يريد بقوله : « الآخر » التوقى .

(٦) « يكرآن » .

(٧) هذه الكلمة التي بين مربعين أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد إليه ما يأتي بعد في صفحة ١٥٧ في الكلام على الإحسان والإساءة : « فإذا رسخ اعتيادهما استمالا خلتين » .

مذموم ، هذا فى النظر الأول ، وقد يعرض ما يوجب المصير إلى الكذب لينجى به ؛ فهما إذن بعد الحقيقة الأولى وقف على الإضافة ؛ وقد وجدنا من كَذَبَ لينتفع ، ولم نجد من صدَقَ ليكتسب الضرر .

وأما الإخلاص والنفاق ، فهما يلحقان بالخلق ، ولكتهما يصدران عن عقيدة القلب وضمير النفس .

وأما الإحسان والإساءة ، فهما يعتمان الأفعال والأقوال ، فإذا رَسَخَ اعتيادها أستحالا خلقيين .

وأما النصح والنش ، فهما خلقتان ، وطرفاهما يتعلقتان بالخلق . وكذلك الطمع واليأس ، والحب والبغض ، والأهيج والسؤ ، وما شاكل هذا الباب .

ولم يجر هذا كله فى المذاكرة بالحضرة ، ولكن رأيت من تمام الرسالة أن أضم هذا كله إلى حَوَمَتِهِ (١) ، وأبلغ الممكن من مقتضاه فى تتمته .

وقال (٢) لى : هاتِ الوداع ، فإن الليل قد هم بالإقلاع . قلت : قال أبو سعيد الذهبى الطيب : لو علم الذى يحمل الباذنجان أن على ظهره باذنجانا لصال على الثيران (٣) .

فضحك — أضحك الله سنه ، وحقق فى كل خير ظنه — وقال : إن كنت تحفظ فى غرائب أخلاق الحيوان شيئا فأذكره إذا حضرت ، فقد مر فى أخلاق الإنسان ما يكفى مجلس الإمتاع والمؤانسة ، فإذا ضم هذا إلى ذاك كان للإنسان فيه تبصر كافٍ ، وتذكر شافٍ . وصدق — صدق الله قوله —

(١) « حرمة » .

(٢) وقال ، أى الوزير .

(٣) « الثيران » .

لأن الإنسان أشرفُ الحيوان ، وإنما كان هكذا لأنه حاز جميع قوى الحيوان
ثم زاد عليه بما ليس لشيء منه ، فصار رجا له سائسا ، ومصرفا له حارسا ، ونظرا
إلى ما سُخِّرَ له منه فاعتبر ، وقاد^(١) نفسه إلى حسن ما رأى ، وعزفها عن^(٢)
قبيح ما وجَد ، ولم يَجْزُ في الحكمة أن يُحَرِّم الإنسان هذا مع ما فيه من المواهب
السنئية ؛ والمنافع الهنية ، فإن قال قائل : فالملائكة إذن قد حُرِّمَتْ هذه الفضيلة ،
فليعلم هذا القائل أن المَلَك لما خُلِقَ كاملا لم يَكُفَّ أن يَكُلَّ ويتكامل
ويستكمل ، فصار كل شيء يطلبه ويتوقاه سببا إلى كماله المُعَدَّ له وغايته المقصودة .
فإن زاد فقال : فهلا خُلِقَ^(٣) كاملا ؟ فليعلم أن كلامه على طريق الجدَل ، لأعلى
طريق البحث عن المَلَل ، لأنه قد جهل أنه بالحكمة وجَب أن يكون الأمر مقسوما
بين ما يحوز الكمال بالجَبلة^(٤) ، وبين ما يَكسِب الكمال بالتقصد .

ولما وجَب هذا بالحكمة سَرَتْ إليه القدرة ، وساح به الجود ، وأشتملت
عليه المشيئة ، وأحاطت به الحكمة ، وشاعت فيه الربوبية .

ولهنا زيادة في شرح الخُلُق يتم بها الكلام ؛ فليس من الرأي أن يقع
الإخلال بذكرها ، لأنها مكشوفة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا غلبت الحرارة
عليه في مزاج القلب يكون شجاعا بذ^(٥) ملتها ، سريع الحركة والغضب
قليل الحقد ، زكي الخاطر ، حسن الإدراك .

وإذا غلبت عليه البرودة يكون بليدا ، غليظ الطباع ، ثقيل الروح .

(١) « وعاد » .

(٢) « من » .

(٣) خلق ، أى الإنسان .

(٤) « بالجَبلة » .

(٥) « دالا » .

وإذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب ، سمح النفس ، سهل التقبل كثير النسيان .

وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابرا ، ثابت الرأي ، صعب القبول يضبط ويحتد^(١) ، ويمسك ويبخل ؛ وهذا النعت على هذا التنزيل — وإن كان مفهوما — فأسرار الإنسان في أخلاقه كثيرة وخبية^(٢) ، وفيها بدائع لا تكاد تنتهى ، وعجائب لا تنقضى ؛ وقد قال الأول :

كلُّ أمرٍ راجعٌ يوما لشيئِهِ وإن تَخَلَّقَ أخلاقا إلى حينٍ
وقال آخر :

إزجِعْ إلى خِيَمِكَ المعروفِ دَيْدَنُهُ إنَّ التَخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
ولولا أن النزوع عن الخلق شاق لما قالوا : تَخَلَّقْ فلان .

وقد قيل أيضا : « وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ » ، وعلى هذا يجرى أمرُ الضريبة والطبيعة والتَّحِيَّةِ والغريزة والتَّعِيِزَةِ والسَّجِيَّةِ والشَّيْمَةِ ، وربما قيل : الطبيعة أيضا ، ثم العادة تاليةٌ لهذه كلها ، أو زائدةٌ فيما نقص فيها ، وموقدةٌ لما سَخَدَ منها .

الليلة العاشرة

ولما عُدْتُ في الليلة الأخرى ونَمِيتُ بهذه الفضيلة ، تفضَّل وقال : ما فى العلم شيءٌ إلَّا إذا بُدِئَ بالكلام فيه أتصل وتسلسل حتى لا يوجد له مَقَطَعٌ ولا منفذٌ ثم قرأتُ عليه نواذرَ الحيوان ، وغرائبَ ما كنتُ سمعتهُ ووجدتهُ ، فزاد عجبًا

(١) « ويحقد » .

(٢) « وخبية » .

وأنا أرويه في هذا المكان حتى يكون تذكرة وفائدة — إن شاء الله تعالى .

يقال : إن أسنان الرجل اثنتان وثلاثون سنا .
 وأسنان المرأة ثلاثون سنا .
 وأسنان الخصى ثمان وعشرون سنا .
 وأسنان البقر أربع وعشرون سنا .
 وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنا .
 وأسنان الثبّس ثلاث وعشرون .
 وأسنان الغنز تسع عشرة سنا .

الذي ذكر من أصناف الحيوان أنه يكتسب معاشه ليلا : البومة والوطواط .
 ومن الحيوان الوحش ما يستأنس سريعا : الفيل
 ويحكى أن الحيوان الذي أسنانه قليلة عمره قصير ، والذي أسنانه كثيرة
 عمره طويل .

الفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال ، فأما أسنانه الكبار وأنيابه الكبار
 فتظهر إذا شبّ وكبر .

قلب جميع الحيوان موضوع في الوسط من الصدر ما خلا الإنسان ، فإن
 قلبه مائل إلى الجانب الأيسر .

الأفعى تبيض في رحمها ، ثم يصير هناك حيوانا .
 الشعر المولود مع الإنسان شعر الرأس والأشعار والحاجبين .
 وأول ما ينبت بعد ذلك شعر العانة وشعر الإبطين وشعر اللحية :
 (إن خصى الإنسان قبل احتلامه لم ينبت في جسده الشعر الذي يتأخر نباته ،
 وإن خصى بعد احتلامه فإن ذلك الشعر يزول ، ما خلا شعر العانة فإنه يبقى .

شعر الحاجبين ربما طال عند الكبير .
 وشعر الأشفار لا يطول .
 للأرانب في داخل أشداقها شعر ، وكذلك تحت أرجلها .
 القنفذ في فيه خمس أسنان في عمقه .
 والبرية منها تسفد قائمة وظهر الأثني لاصق بظهر الذكر .
 الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء ، والنساء في الصيف .
 الخنزير إذا تمت له من ولادته ثمانية أشهر ينزو على الأثني .
 الكلبة تحمل وتبقى ستين يوما ويوما ، وهذا أطول ما يكون ، ولا تضع
 قبل أن يتم حملها ستين يوما ، فإن وضعت قبل ذلك فإنها لا تربى ولا يبقى
 لها ولد .
 الفيل الذكر ينزو إذا تمت له خمس سنين ، وزمان هياجه ونزوه أيام الربيع
 والأثني تحمل سنتين ، ولا تضع إلا واحدا .
 إذا باض الطائر وما كان من أصنافه يخرج من البيضة الطرف العريض
 ثم يرق بمد ذلك .
 كل ما كان من البيض مستطيلا محدّد الطرف فهو يفرخ الإناث
 وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرخ الذكور .
 وجرب من إناث الطير أنها إذا لم تجلس على البيض ^(١) تمرض .
 القبج ^(٢) إذا هاج ووقفت الأثني قبالة الذكر ، وهبت الريح من ناحية
 الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها .

(١) « الطير » .

(٢) القبج : الكروان .

الحمامة إذا نُفِثَتْ ريشة من ريشها احتبس بيضها أكثر مما لها بالطبع .
مبدأ خلق الفَرخ من بياض البيضة ، وغِذاؤه من الصُّفرة ، فإذا خرج
فرخان كان أحدهما أكبر جِثَّةً من الآخر ، والذكر منهما من البيضة الأولى
ومن الثانية الأُنثى .

الفاخِنة^(١) تعيش أربعين عاما .

والحَجَل^(٢) يعيش عشرين عاما .

الرَّحْمَةُ تُفَرِّخ على صخور مشرفة عالية لا يغالها أحد ، ولا توجد رَحْمَةٌ
وفراخها إلا في الفَرط^(٣) .

العُقاب يجلس على البيض ثلاثين يوما ، وكذلك كلُّ طائر عظيم الجِثَّة
مثل الإوز وما أشبهه ، والمتوسط الجِثَّة يجلس على البيض عشرين يوما ، كالخِداة
والبُرَّاة وما أشبه ذلك .

إناث الغُرَبان تجلس على البيض جلوسا دائما ، والذكر يأتيها بالطعم حينئذ .
الحَجَل تَمَلُّ عُشَيْن يجلس الذكر على واحد ، والأُنثى على واحد .

الطاوس يعيش خمساً وعشرين سنة ، وفي هذه المدة تنتهي ألوان ريشه .
ويحصُن بيضه ثلاثين يوما . قيل : وربما أكثر قليلا ، ويبيض في كل سنة
مرة واحدة ، وعدد بيضه اثنتي عشرة بيضة ، ويُلقِي ريشه في زمن الخريف
وبعدَه قليلا ، وذلك حين يُلقِي الشجر ورقه ، فإذا بدا أولُ الشجر وظهرتْ
فروعه ، ونبت ورقه بدأ ريشه يَنْبُت .

(١) الفاخنة : ضرب من الحمام الطوق .

(٢) الحجل : طائر على قدر الحمام كالمطار والرجلين ، ويسمى دجاج البر ؛ وهو
صنفان : نجدي ونهامي ؛ فالنجدي أخضر اللون أحمر الرجلين ؛ والنهامي فيه بياض وخضرة .

(٣) الفرط : الجبل الصغير أو رأس الأكمة .

الثلثين^(١) له لبن ، ويُرضع ، ويحمل عشرة أشهر ، وتلد في الصيف ولا تلد في زمان آخر البتة ، وربما غاب تحت الموج في ثلثاء ثلاثين يوما لا يظهر ؛ وهو محب لغرضه يأكله .

الجمل الذكركر يكره قرب الفرس ويقاقله إذا تمكن منه .

الشاة إن مطرت بعد نزولها انتقض حملها .

الغنم إذا أنزيت والريح جنوب تضع أولادها إناثا ؛ وإن كانت المروق آلتى تحت السن الكباش الفحول بيضا فإن إناث الغنم تضع حملانا بيضا ، وإن كانت المروق سودا فإنها تضع حملانا سودا . وإن كانت لونين تكون مختلفة ؛ وإن كانت شقرا خرجت شقرا .

الغنم إذا هاجت المسنة منها أولا فالسنة ذات خصب ، وإن هاجت الفتية أولا فالسنة رديئة على الغنم .

الكلب السلوقي [يوزو^(٢)] إذا تم له ثمانية أشهر ، والأنتى منها تحمل ستين يوما ، وربما زادت يوما أو يومين ، وجراؤها عُمى^(٣) اثنين وعشرين يوما . ومنها ما يحمل ثلاثة أشهر وتكون جراؤها عميا سبعة عشر يوما .

إناث الكلاب تعلمت في كل سبعة أيام وتبول جالسة ، ومنها ما ترفع رجلها عند البول .

ذكور الكلاب ترفع أرجلها للبول إذا تمت لها من ولادتها ثمانية أشهر . وبعضها في ستة أشهر .

(١) الدلفين من دواب البحر ، اشتهر بأنه ينجى الفريق ؛ وصفته كالزرق للنفوخ وله رأس صغير جدا ، ولا يؤذى أحدا ، وهو كثير بأواخر نيل مصر .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضيها .

(٣) « على » .

ذكور الكلاب^١ السلوقية تعيش عشر سنين ، وإناثها اثنتى عشرة سنة ، ومن أجناسها ما تعيش عشرين سنة ، وإناثها كلها أطول أعماراً من الذكور .

قال أوميروس الشاعر : إن كلب إديوس هلك وهو ابن عشرين سنة .
وليس تلقى الكلابُ شيئاً من أسنانها سوى النابين ، فإذا تمَّ للكلب أربعة أشهر أبقاها .

البقر تلقى أسنانها لسنتين ، وإذا كثر نزوُّ الذكور منها وحملُ الإناث يكون ذلك علامةً شتاء وجودِ أمطار وخصب ، وإناثها تطمئ .

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهراً ، أو في الثاني عشر .
الحيات رعيّةٌ نهمةٌ ، قليلة شرب الماء ، لأنها لا تضبط أنفسها ، وإذا شمت الشراب فإنها تشتاقر إليه جداً .

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب .
البقر تشتهى شرب الماء الصافى النقى ، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل الجلال الماء الكدر الغليظ .

النم فى الخريف تشرب الماء الذى تصيبه ريج الشمال ، وذلك الوقت أوفق لها .

الذّراَج إذا هبّت الرّيح شمالاً تتزاوج^(١) وتخصّب ، وإن كانت جنوباً ساءت حالها ومرضت .

السّمك الذى يأوى إلى الشطوط من ناحية البرّ الذّ من الذى يأوى إلى البحج وما كان منها مستطيل الجثّة فهو يُخصّب فى الصّيف وهبوب الشمال ؛ والعريض

(١) « تتزاوج » .

الجمحة على ضد ذلك ، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعى ، وطلب الطَّم .

والسمك الجاسى الجلد يَنْصَب في السنة المطيرة ، لأن ماء البحر يحلو فيها .
الكلب له ثلاثة أمراض : الكَلْب ، والدُّبْحَةُ^(١) — وهو القاتل لها —
والنَّقرس .

والداء الذى يقال له الكَلْب يعرض للجمال أيضا ، فإذا كَلِبَ الجمل بَحْرَ ولم
يؤكل لجه .

الخيل إذا أَلَت حوافرها وقت تَنْصُل^(٢) نبت لها حافر آخر عاجلا ، لأن
نباته يطلع مع نصول الحافر .

وعلاوة ذلك اختلاج الحصية اليمنى .

ويعرض للغيل داء شبيه بالكَلْب ، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية
أعرافها ، وامتناعها من المَلَف ، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين .

لا يكون فى بلد الهند خنزير . لا أنيس^(٣) ولا برى ، وفى أرض تُعرف بكذا
يُحزُّ البقر كما يُحزُّ الغنم ، وفى أرض الثوبة تولد الكباش نابثة^(٤) القرون .

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور .

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع ، ما خلا الذئبة ، فإنها
أصعب خلقا وأجراً من الذكور .

العقاب والتَّين يتقاتلان ، والعقاب تأكل الحيات حيثما وجدت .

(١) « والدلمة » .

(٢) نصول الحوافر : خروجها من مواضعها .

(٣) « لا أنس ولا يرى » .

(٤) « ناثية » .

الغُذاف^(١) يخطف بيض البومة نصف النهار فيأكله ، لأن البومة لا تبصر بصراً حاداً في ذلك الوقت . فإذا كان الليل شددت البومة على بيض الغُذاف فأكلته . بين العنكبوت وبين الحرذون^(٢) شرٌّ ، لأن الحرذون يأكل العنكبوت . عصفور الشوك يقاتل الحمار ، لأن الحمار إذا مرّ بالشوك أفسد عشه ، فإذا نهق بالقرب منه وقع يبيضه ، وإن كان فيه فراخ خرجت منه ، فلهذه العلة يعطير هذا العصفور حول الحمار وينقره .

الغراب يعادى الثور والحمار وينقرهما .

والحية تعادى الخنزير وأبى عرس ، لأنها يأكلان الحية حيث وجداها . الغُذاف مصادق للشعلب ، والشعلب مصادق للحية ، « والسبب^(٣) في عداوة العصفور للحمار أن معاش العصفور من بزر الشوك وفيه يبيض ، وهو وكره ، والحمار يرى ذلك الشوك إذا كان رطباً » .

البقر يكون في الجبال إذا ضلت بقرة تبعها الأخرى ، ولذلك الرعاة إذا لم يجدوا بقرة واحدة وعدموها طلبوا سائر البقر وفقدوها من ساعتهم .

الخليل إذا ضلت الأنتى منها أو هلكت ولما ولد فإن إناث الخليل ترضعه وتربيه ، وذلك أن جنس الخليل في طباعها حب أولادها .

الأيائل تلتقي قرونها في أماكن عميرة صلبة ، لا تترتق لثلا تؤخذ ؛ ولذلك قيل في المثل : حيث تلتقي الأيائل قرونها ، فإذا ألفتها توقفت أن تظهر إلى أن تنبت ، كأنها قد ألفت سلاحها . وقيل : إنه لم يماين أحد القرن الأيسر من قرنيتها ، لأن فيه منفعة عظيمة .

(١) الغُذاف : غراب كبير يكون ضمن الجناحين .

(٢) الحرذون : دوية شبيهة بالضرب ؛ وقيل : ذكر الضرب .

(٣) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذه العبارة التي بين هاتين الملامتين .

وإذا وضعت أولادها أكلت مشائمها من ساعتها ، ولا يمكن أخذها لأنها تأكلها من قبل أن تقع على الأرض .

والأيلة تصاد بالصغير والغناء ، ويفعل ذلك رجلان أحدهما يغنى ويصفر ، والآخر يرشقها بالسهم ، فلا يصغها^(١) إلى الصغير والغناء لا تحذر السهام .

ويقال إن الأيل إذا كانت أذناه قائمتين فهو يسمع كل شيء ولا يخفى عليه ما يراد به ، وإن كانتا مسترخيتين خفي ذلك [عليه] .

الفهد إذا أكل المشبوبة التي تسمى خائقة^(٢) الفهود يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالمج به .

ابن عرس إذا قاتل الحية أكل السذاب مخالفة للحية .

اللقاق إذا خرجت من قتال بعضها بعضا تضع على الجرح صمغاً برياً .

يقال إن ذكور المصافير تبقى سنة فقط ، والدليل على ذلك — أنها من قبل أطواقها التي في أعناقها — لا تظهر في الربيع ، بل بعد ذلك بأيام ، لأنها لا تبقى شيئاً من الذكور التي كانت من العام الماضي ، فأما إناثها فهي أطول أعماراً .
إذا دنا الصياد من عش القبيج فخرج الأنتى من بين يديه وتطمعه في صيدها حتى تهرب فراخها ، ثم تطير وتدعو فراخها إليها .

وإناث القبيج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر منها يطلب موضع يبيض أنثاه فيدحرجه — مخافة أن تقعد عليه وتشغل عنه — فيفسده ، وهي تحتال أبداً في الهرب منه وتُخفي موضع عُشها ، فتبيض في أما كن خفية ، ومتى^(٣) قصدها

(١) « ملاصقاً لها » .

(٢) « خائقة » .

(٣) « ومن » .

قامت عنه وأطعمت في نفسها حتى تبعد عن أماكن يبيضا ، فإذا بعد طارت
ثم أحتالت في الرجوع إليه .

المدهد يعمل عشه من زبل الإنسان ، فلذلك رائحته كريهة .

العقاب تصيد منذ حين الفداة إلى وقت الرواح ، فأما من أوان الرواح^(١)
إلى أن يترحل النهار فهي قاعدة في مكانها لا تتحرك .

ومنقار العقاب الأعلى ينشأ ويعظم ويتعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها
لأنها لا تنال به الطعم ، فإذا فضلت للعقاب فضلة من طعمه وضعها في عشه
لحاجة فراخه إليها .

أصناف الطير الملققة الخالب لا تجلس على الصخر إلا في القرمط ، لأن خشونة
الصخر مخالفة لتعقف مغالبها .

النحل تعمل عشها في زمانين : في الربيع والخريف . والعسل الذي عمله
في الربيع أشد بياضا وأجود من الذي عمله في الخريف

وأضعف العسل يكون أبدا في أعلى الإناء ، والنقي الطيب في أسفله .

الأسد عظامه جاسية جدا ، وإن دلكت بعض عظامه ببعض خرجت منها
نار كما يخرج من الحجارة .

الحيوان الذي له شعر [في أشفار^(٢) عينيه] ليس في أشفار عينيه شعر إلا
الشعر الأعلى .

والنعامة لها أشفار في الجفنين الأعلى والأسفل .

(١) « الصبح » وهو تبديل وقع من الناسخ يناقض ما قبله .

(٢) هذه الكلمة التي بين مربعين لم ترد في الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

القفذ تبيض خمس مبيضات، وليس هو يبيض بالحقيقة، بل هو على صورة البَيْض، يُشبه الشحم.

قلب كل حيوان طرفه حاد، وهو أصلب من سائر جسده، وهو موضوع في وسط الصدر سوى الإنسان، فإنه مائل فيه إلى الناحية اليسرى، لأنه يكون بإزاء^(١) الجانب^(٢) الأيسر فيعادل الناحية اليمنى، فإن اليسرى من الإنسان أكثر بردا.

وليس في قلوب جميع الحيوان عظم إلا في الخيل، وفي جنس من البقر، فإن في قلب هذين عظاما دون غيرها من الحيوان. وكل حيوان له قلب كبير يكون جزوعا. الكلاب الهندية تتولد من كلب وسبع يشبه بالكلب. والحمار حيوان بارد، ولذلك لا يكون الوحشي منها [إلا^(٣)] في المكان البارد.

ذكور البغال لا تشم أبوال إناثها كسائر ذوات الحافر.

بيض الطير فيه لونان : بياض وصفرة.

وبيض السمك فيه لون واحد.

إذا كانت الريح جنوبا كان المولود أنثى، لأن الجنوب إذا هبت رطبت وإذا أشملت كان المولود ذكرا.

عيون جميع الصبيان ساعة ولادتهم شُهل^(٤)، ثم تنتقل إلى الطباع الغالبة عليها.

(١) « بإزاء ».

(٢) « الجانب ».

(٣) هذه الكلمة التي بين مربعين ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٤) شهل : من الصهلة بضم الشين، وهو أن يتوب سواد العين زرقا؛ وقيل أن تشوب الحديقة حمرة وليست خطوطا.

وعيون جميع الحيوان لون واحد ، كالبقر فإن عيونها سود . وعيون البشر^(١) ألوان كثيرة .

صاحب العين الناتئة^(٢) لا يُبصر ما بعد عنه بصرا جيّدا ، والفائز يُبصر ما بعد عنها ، لأن حركتها لا تتفرّق ولا تتبدّد .

الفهد ربما نكح الذبّ فيتولّد بينهما سبعٌ مختلف المنظر ، لا يتناول الناس ويصيد الكلاب ويأكلها ويستخفي في البحر ، فإذا مرّ به أيلٌ مفاجأة وثب عليه وأنشب^(٣) مخالبه في أكتافه ومصّ دمه حتى يضعف الأيل^(٤) ويسقط فيجتمع عليه هذا الصنف من السباع فيأكله ، فإن أجتاز بها أسد نهضت عنه وتركت الفريسة له تقرّبا إليه .

بأرض يونان معزى جمدة الصوف ، يقال لها : المعزى البرية ، فإذا أصابت قرونها شيئا من قُضبان الكرم لم يَنْبِت ورقه ولا ثمره ، بل يحفّ مكانه ويسقط ما عليه من الورق والثمر .

السُّلْحَفَة تخرج من البحر إلى الرمل فتَبْيِض فيه ، حتى إذا بلغ أوانه وخرج أولادها ، فسا كان ناظرا إلى ناحية البحر كان بحريا ، وما كان وجهه إلى ناحية البر كان برّيا .

والسُّلْحَف تمتنع من الذُّكران ، فيأتونها بعود يحملها في فمها ، ويدنون منها ، فإذا رأت ذلك العود سكنت له .

وما كان من السُّلْحَف بحريا فخرّج إلى البر وأصابه حرّ الشمس لم يستطع

(١) « السر » .

(٢) « الثانية » .

(٣) « وأنشب » .

(٤) الأيل .

الرجوع إلى البحر وبقى حتى هلك . وما كان برتيا فوقع إلى ناحية البحر تَلَف ولم يستطع الرجوع إلى البرِّ وهلك .

الثعلب يهَيُّ عُشَّهُ ووَكَرَّهُ ذا سبعة أجرة ، فإذا^(١) طرقت الكلاب وغيرها مما يتخوف [في جحر^(٢)] خرج من غيره .

وإذا قارب الزرع أن يُسْبِل^(٣) دخل الثعلب فيه وتمكك فرحابه ، فيفسد ذلك الزرع ، ولذلك سمى أختراق^(٤) الشعر : داء الثعلب ، لأنه^(٥) يُسْقِطُهُ كما يُذهب ورق السنبلة والشوكة .

القنفذ يعمد إلى الكرمه فيحترکہا فيقع منها العنب ، فيتمرغ فيه حتى يملأ شوكة ويعود إلى عُشِّهِ ، فإذا بصرت به جراؤه أطافت به تلتقط ذلك الحب من شوكة وتأكله .

الذئب إذا هَيَّ من معاه وَتَرَّ وهَيَّ من معى الشاة وَتَرَّ ، ثم عُلِقًا بآلات اللامى ، ثم ضرب بهما ، صوت الممول من الذئب ، وخرس الوتر الممول من الشاة . وكل شاة يتناول الذئب من لحمها يكون لحمها حلوا لذئذا ، وكل جزء صوف تُهَيَّا من الشاة التى قد تناول الذئب منها قِيل الثوب الممول منها مِنْ قِيل سُم^(٦) أسنانه .

الكلب إذا مَرَضَ أكل حَلْفَاءَ رَطْبَةً .

(١) « كما إذا » .

(٢) هذه التكلة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٣) « يسيل » .

(٤) « اختراق » .

(٥) « لأنه » أى داء الثعلب ؛ « يسقطه » ، أى يسقط الشعر .

(٦) « شم » .

والأيل إذا مرض أكل حية .

والضبع إذا مرض أكل كلبا .

الأسد إذا أكل كلبا فإنه يكون قد ضرس فيزول ذلك .

الرخمة إذا ضعف بصرها بقرت مرارة إنسان

الأعز البرية [تألف^(١)] حيتانا بحرية ، وتدع الجبال وتسلك طريقا بعيدا حتى تأتي البحر لكان تلك الحيتان ، فلما عرفت ذلك الملاحون سلخوا جلود تلك الأعز ، وذنوا^(٢) بها من شاطئ البحر على ظهورهم ، فإذا نظرت^(٣) تلك الحيتان إليها خرجت مسرعة إليها فيصيدها الملاحون .

ليس من السباع شيء صلبه عظم واحد بلا خرز إلا الأسد والضبع .

من ربط على بدنه منيا^(٤) من أسنان الذئب ولبسه لم يخف الذئب .

والفرس الذي يعلق عليه شيء من أسنان الذئب يكون سريع الجرى .

المعزى البرية تكون صلبة القرون ، تأوى أطراف الجبال وما كان مشرفا من الصخور على أودية ، فإن بصرت بالصياد ألقت أنفسها من تلك الصخور لتفيا بقرونها ، فإن سقطت على غيرها هلكت ، وفي قرونها خرزات مستديرات على قدر ما يكون عدد سننها^(٥) .

والعجب أنها تحفظ إناثها عند الكبر وتتمهدها بالمطعم والمشرط تحمله على أقواها .

(١) في الأصل : « الأعز البرية حيتانا » بقوط كلمة « تألف » أو ما يفيد معناها .

(٢) « وذنوا » .

(٣) [ظهرت] .

(٤) « شيتا » .

(٥) « سنوها » .

المعزى البرية إذا صيد شيء من سخاها تبعته ورضيت بالعبودية مع ولدها
وفي أطراف قرونها جحرة تنفّس منها ، فإن سُدتْ هلكت مكانها .

الورشان^(١) يتحرّز بأن يضع ورق النار في عُشه .

والحدأة تضع في عُشها ورق الملق يتحرّز به .

الخطاف يضع في عشه قضيب كرفس .

التدرج^(٢) يضع في عُشه سرطانا نهريّا .

جميع السباع والدواب عند المشى تقدّم اليد اليمنى والرجل اليسرى .

لا تكون الزرافة إلا في أرض قليلة الماء .

إذا هم أصحاب الخيل أن يُنزرو^(٣) حمارا على فرس جزّوا عُرفها فثقت^(٤) حينئذ
وتذلّ لكدم^(٥) الحمار لها .

يؤنان ثيران لها أربعة قرون لا ترضى بمجامعة البقر ، بل تجمّع إناث
الخليل ، ويتولد بينهما خيول عجيبة المنظر .

الجاموس لا ينام أصلا وإن أرخى عينيه إرخاء يسيرا ، لكنّه ساهر
الليل والنهار .

الجل إذا وقع على الناقة وقع الضراب سُتر عن الرجال ، فإن نظر إليه
رجل غضب .

قالت الروم : إن السنور يتولد من مجامعة الفهد لبعض السباع .

(١) الورشان : طائر شبه الحمام ، وهو نوبى وحجازى ، والنوبى أشجأها صوتا .

(٢) التدرج : طائر كالفرّاج حسن الصوت يفرّد في البساتين .

(٣) « يشترّوا » .

(٤) « فيفر » وهو عريف .

(٥) « لكدم » . والكدم : المض .

[لَا يَنَامُ^(١)] البوم إلا إغفاء^(٢) .

ومن العجب أن السنور يكون صافى العين كثير البريق عند أمتلاء الهلال وينقص ذلك الصفاء^(٣) والبريق عند نقصان الهلال .

الأفعى إذا جامعها الذكر وأسمه الأفعوان تحولت إليه ، فإن ظفرت به أكلت رأسه من شدة عشقها له .

ذكر المقرب اسمه عُقْرُبَان ، أسود صغير ، سريع المشى ، جاد^(٤) الذهب الحرذون^(٥) تفسيره بالعربية اللدى يخرج من الزعفران .

التمساح لا يكون إلا فى النيل ونهر بأرض الهند يقال له : الرئيس ويبيض كبيض الإوز ، وربما يؤلّد منه حراذين صغار ، ثم يكبر حتى يبلغ طوله عشر أذرع ، ويزداد طولاً كلما ازدادت سنو حياته .
وسنّه اليسرى نافعة لحصى النافس .

وذكر أنه يجامع ستين مرّة فى حركة واحدة ومحل واحد .
الحمار الوحشى يتولد بين الفرس والفيل ، وله قرن ينبت من أنفه كأنه سيف ، وإن ضرب شجرة قطعها وبه يقاتل الفيل ويبعج^(٦) بطنه بقرنه ، ولم يُعَين من هذا الجنس أنثى قط .

فى البحر حوت يقال له : البوس ، يتولد من الصاعقة إذا كانت فى البحر

(١) هذه الكلمة مساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيه .

(٢) « إغفاء » .

(٣) « الصفاء » .

(٤) « جاد » .

(٥) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ما يفيد أن لفظ الحرذون غير عربى ولا أن تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف ، كما أننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة فى الحيوان .

(٦) « ويبعج » .

وإن وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكل كلا منه تمأباً ولا يمتد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الإخاء .

كلب الماء أبداً ذنبه على ظهره واقع مع انطباق والتواء ، يرمى نبات الأرض ، وهو شديد الجزع من النار ، فإذا كان الليل خرج الصيادون بأيديهم شعل النار ، فيأتون بجسمها ، وتلك لا تتحرك لجزعها من النار حتى تؤخذ ، وإن كلف منها ذكر لم يجامع أنثى قط ، وإذا أرادت الجامعة فإنها تجتمع وتجلد^(١) فتفرخ .

وإن أخذ منها صياد بشبكة واحداً وثبت كلها حتى تدخل الشبكة آية فراق بعضها بعضاً .

ومن لبس جورباً من جلودها وبه نقرس انتفع به جداً .
وإذا ابتلى إنسان برعاف ثم أخذ قطعة من جلدها ، ثم أنقذ في لبن وأشتمه أنقطع ذلك الرعاف .

اليرابيع إذا اجتمعت في موضع ارتفع رئيس لها حتى يكون في موضع مشرف أو على صخرة أو تل ينظر منه إلى الطريق من كل ناحية ، فإن رأى أحداً مقبلاً أو سبها صر^(٢) بأسنانه وصوت ، فإذا سمعته انصرفت عن الموضع إلى جحرتها فإذا أغفل ذلك وعينت البقية سبها أو راجلاً قبل أن يراه ذلك الرئيس انصرفت إليه وقتلته لتضييعه أو غفلته .

وإذا كان حسن الرصد مضت اليرابيع فقطعت أطراً ما يكون من الخضرة وأطيب المشب فحملته بأفواها حتى تأتيه تحية وتكرمة .

(١) في الأصل « وتجلد وتفرخ » والمراد بالجلد هنا جلد مميرة .

(٢) « صر » .

وإذا كانت في جِحرَتها خرج الرئيس أولاً فيبصر الطريق ، فإن لم ير أحدا صرَّ بأسنانه وصوت لها لتخرج فترعى .

في البحر حوت يقال له : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، إذا جاع خرج إلى الشاطئ فاستلقى على الرمل فأقام شوكة في رأسه ، فإذا نظر إليه حوت آخر جاء مسرعا لياً كله يظن^(١) أنه ميت ، فيدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

وإذا ألقى الملاح صِنَارته ولقيت ذلك الحوت رمى مكانه بتلك الشوكة الحادة يد الملاح فتخدر ويطرَح أداة صيده .
فإذا رأى الحوت أن الصنارة داخلته أضلعه غلبت الظلمة على بصره ومات من ساعته .

وفي جلد هذا الحوت عجب ، وهو أن الصاعقة لا تدنو من جلده ، والملاحون ينطون سُنَنهم به عندما يتبينون^(٢) الصواعق ووقوع المطر ، ويدنو هذا الحوت إلى طرف مقدم السفينة فيمسك بطرفه^(٣) اللطيف ، فلو اجتمعت الرياح كلها بأشد هبوبها لم تستطع تحريك تلك السفينة ، فنأخذ من جلدها وسنمر به شراع السفينة لم يخف على سفينته^(٤) غرقا .

السريع الحضر أربعة : النمر والحريش^(٥) وعنز الجبل وكباشها .
عدو الحيات أربعة : القنفذ والفيل والأيل والعقّاق .

(١) « فظن » .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل هكذا : « سنون » .

(٣) بطرفه ، أى طرف مقدم السفينة . واللطيف : العقيق .

(٤) « لسفينتها » .

(٥) الحريش : دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يسجز الفئاس ؛ ولها في وسط رأسها قرن واحد مصبت مستقيم تناطح به .

الجبان اثنان : الأرنب والأيل .

ذو الزهو ثلاثة : الفرس والديك والطاوس .

ذو حدة السمع ثلاثة : الذئب والحمار والغُلْدُ ^(١) .

القادر في التزاوج ثلاثة : العصفور والحمام والمَقْعَقُ ^(٢) .

ذو الشهوة ثلاثة : العصفور والثور والبَاشِقُ ^(٣) .

لمتحمّاس بالليل اثنان : السكركي والبط .

نافى فراخه ثلاثة : النعام والغُذاف والعُقاب .

محب الظلمة ثلاثة : البوم والحَفَّاش والغُلْدُ .

ذو حدة البصر ثلاثة : العقاب والظبي والبَاشِقُ .

من أخذ لسان ضبع وصر به بين الكلاب لم تكلم عليه .

من مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلاً من أصول عنب الحَيَّة هربت

منه . وعَنَب الحَيَّة هو الحنظل :

وذكر الحُبَارَى يقال له : الخَرَب .

إذا أراد إنسان أن يتزوج امرأة فليَنظُر إلى أبيها وأخيها فإنها بَعِيَانِه ^(٤)

وبين يديه أحدهما .

(١) الحُلْد : دوية تحت الأرض ؛ وهي ضرب من الجرذان .

(٢) المَقْعَق : طائر على قدر الحمامة وعلى شكل الغراب ، وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، ذولونين : أبيض وأسود ، طويل القنب .

(٣) البَاشِق : ضرب من بزة الصيد ، وهو طائر خفيف الحمل شديد الملح ، يأكل دجناً ويستوحش حيناً .

(٤) الواو في قوله « وبين يديه » واو الحال ، أى كأنه يعاينها حال كون أحدهما مائلاً ن يديه بعيانه . وفي الأصل « بعيانه وبين يديه بأحدهما » .

من الحيوان ما لا يشبه الولدُ الوالدَ كالديبة والنحل والدَّبَرُ^(١) .
 أما الديبة فتضع أولادها توائمَ لا صور لها حين تولد ، غير أن أمها تهيبُ
 ، وتسويها بلحسها إياها بالسُّتْها...^(٢)
 وأما الدَّبَرُ فإنها تلد دودا يتصوّر بعد ذلك .
 الضفادع والفيالم^(٣) والسرطانات لا ضرر عليها في ماء ولا ييس ، لكنهما
 عندها سيان لا تهلك في برّ ولا تُخنق في بحر .
 كلُّ ما أكل اللحم فهو ذو أسنان قواطع صلاب ، وأعناقٍ قصارٍ شداد ،
 ومخالبٍ وأظفارٍ حداد ، ومناقيرٍ معقّيةٍ جذابة .
 للأسد ثلاث طبائع : الأولى منها أنه إذا مشى فشمّ ريح الصيادين عَنّى
 على آثاره بذَنَبِه لكيلا يتبعه الصيادون ويقفوا عليه في عرينه فيتصيدوه .
 والثانية أن القبوة تلد شبلها ميتا ، فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه في اليوم
 الثالث فينفخ في منخره فيبعثه .
 والثالثة أنه يفتح عينيه إذا نام وهما يقظتان .
 ومن تمسّح بشحم كلى الأسد ومشى بين السباع لم يخفها ولم تقربه ؛ وإن
 افترس^(٤) الأسدُ الفريسةَ ولم يأكلها ميّز أن ريحها منتنة جدا .
 وأصناف الحيوان التي تلغ الدم بالسُّتْها : الكلابُ والسنائير .

(١) . « الدين » . والدبَر : الزناير .

(٢) « سورها » .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من النسخ ، إذ كان مقتضى السياق أن يتحدث عن النحل بعد الديبة .

(٤) الفيالم : ذكور السلاحف ، الواحد غيلم بفتح أوله .

(٥) « وإن لم يفترس » .

الأسد : تضع أولادها غيرَ منفتحة العيون ، وإنما تنفتح بعد ذلك .
 وأما الأسد^(١) خاصة فليس له من جنسه قرين ، ولا يرى شيئا من السباع
 كفؤا له فيصحبته ، ولا يقرب شيئا من بقايا فريسته بالأمس ولو جهده الجوع
 ويهر^(٢) زهير^(٣) كثيرا من الحيوان الذي هو أعظم منه جسما وقوة .
 وإنما تلد اللبؤة واحدا ويحرق^(٤) بطن أمه بأظفاره ويخرج منه .

الثعلب إذا جاع فلم يقدر على صيد عمده إلى أرض شديدة الحر وإلى
 موضع الطير^(٥) إذا حمى ، فاستلقى على ظهره ونظر إلى فوق ، ثم اختلس نفسه
 وأخذ به داخلا حتى ينتفخ انتفاخا شديدا فيحسبه الطير قد مات ، فيقع عليه
 ليا كل منه كما يأكل الجيفة ، فإذا اجتمع الطير انتفض سرعا وقبض على
 ما وجد فأكله ، لأنه ذو خب^(٥) ومكر ، كذلك طبيعته إن أصابه ضرر فآثر
 فيه آثارا وكلم فيه كلوما أخذ من صمغ شجرة تدعى قنطوريا^(٦) فأبرأها به .

القرود أهيأ الحيوان لقبول التعليم ، وهو لعوب غضوب سريع الحس ،
 لا يكون في بلد كثير السباع ، عدو لجميع الحيوان ، مليح الإهاب ، نهوش^(٧)
 خطوف ، إلا أنه إذا شبع نام في غاره ثلاثة أيام ، فإذا خرج صاح بصوت

(١) يفيد قوله : « وأما الأسد خاصة » الخ أن هنا كلاما قبل ذلك في أصناف الحيوان

الذى له قرين من جنسه ، وسقط هذا الكلام من النسخ .

(٢) يهر ، أى يجعلها تصوت من الفزع والخوف .

(٣) « ويحرو » .

(٤) « البير » .

(٥) الحب بكسر الحاء وتشديد الباء : الخداع والمكر .

(٦) كذا في الأصل . والذي في ابن البيطار : قنطوريون ؛ وهو صنفان : كبير وصغير ،
 فالكبير له ورق شبيه بورق الجوز أخضر مثل ورق الكرنب ؛ وله ساق شبيهة بساق الحماس
 طولها ذراعان أو ثلاث . وله شعب كثيرة من أصل واحد ، عليها رهوس شبيهة بالخشخاش الخ
 وهذا هو المراد هنا .

عالٍ تخرج منه رائحة طيبة ، فيجتمع إليه الحيوان لحسن صوته .
ومن أراد خنثه^(١) فليتمسح بشحم الضبع ويدخل عليه في غاره ، فإنه لا يمتنع ؛
خفيف الجرم ، حديد الشد^(٢) يقظان .
دابة يقال لها بالفارسية (درباست) إذا طلبه القانص^(٣) أستلقى لظهوره
وأراه أنه لا خصية له ، كأنه قد علم ما يطلب منه .
خلق الجبان من الحيوان الخائف سريع الحضر سريع الحركة ، وجعل
الصنف الجريء العادي بطيء الحضر^(٤) مبلدا .
الضبع مخالفة^(٥) لجميع أجناس الحيوان ، وذلك أنها تصير مرة ضبعا ذكرا
ومرة أنثى ، تلحق أحيانا كالذكر ، وتقبل اللقاح أحيانا كالأنثى .
وطبيعتها أنها إذا رأت الكلب في ليلة مقمرة مشت على الآثار ووطئت
ظله^(٦) فوق .
« ومن قتل ضبعا وأخذ لسانها ومر بين الكلاب لم تكلب^(٧) عليه ، ولم
تعرض له .
ومن مر بمكان كثير الضباع فأخذ بيده أصلا من حنظل ، أسكتها عنه
وهربت منه » .

(١) « قنله » .

(٢) « السر » .

(٣) « القانص » .

(٤) « الحذر » .

(٥) مخالف .

(٦) عبارة حياة الحيوان : الضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع الكلب فأسكتته .

(٧) يلاحظ أنه قد سبق ما يفيد معنى هذا الكلام الذي بين هاتين العلامتين في ص

القنفذ عدو الحيات ، إذا قبض على حية تركها تضطرب على شوكة حتى تموت ، فإذا ماتت قطعها قطعاً .

الدب يقتل^(١) الثور ، والغالب عليه الانبحار في مغارته^(٢)

الفيل ليس له شهوة السَّقاء^(٣) ، فإذا أراد الولد أنى رياضاً وجناناً^(٤) فيها اللُّفاح^(٥) هو وإنائه فهيج له اللُّفاح برائحته وقوة حرارته شهوته فتسافت ، فإذا ولدت ولدت قائمة ، لأن أوصالها ليست مواتية كأوصال التي تلد بركة وراضة غير أنها تلد في الماء حذراً على دَغْفِلِها أن يموت إذا وقع على الأرض ، فذلك تدخل ساحل البحر حتى يبلغ الماء بطنها فتضع ولدها على الماء كالقراش الوثير والدَّكر في ذلك يحرسها وولدها من الحية .

ما أشدَّ عداوة الفيل للحية ؛ حيثما أصاب الفيل الحية وطئها وقتلها . وإن هو سقط على جنبه لم يستطع القيام ، إنما نومه إذا اتكأ على شجرة . ومن هناك — لما عَرَفَ أهل تلك البلاد^(٦) كيف نومه — يأتون الشجرة فينشرونها بالمنشار ، فإذا أتاها الفيل واتكأ عليها وقعا على الأرض معا ، حينئذ يشتدَّ صياحه بصوت رفيع ، ويجمع إليه لذلك قبيلة كثيرة تحاول معاونته على النهوض والأنبعاث ، فلا تقدر على ذلك ، فتصيح جماعتها بصوت واحد جزعاً من ضعف حيلتها وعجزها حتى يأتي الفيل الذي هو في الجسم أصغر ، وفي

(١) في الأصل : « يصل » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما يأتي في

س ١٨٥ سطر ١٢ و ١٣ .

(٢) « مغارته » .

(٣) « الفساد » .

(٤) « وحصاناً » .

(٥) « اللُّفاح » بالفاء .

(٦) تلك البلاد ، أى التي تكون فيها القبيلة .

الحيلة أكبر منها ، فيدخل مشفره^(١) تحت القيل الساقط ، وتعمل كفعله جميعا في إدخال مشاويرها^(٢) تحته حتى تدغمه فينبعث ، وإنما كَوْنُ رأسُ القيل في عنق قصير ، وكَوْنُ له بدلَ المنق الطويل المشفر الطويل ليكتفى به من الضيق ؛ وبه يتناول طعامه وشرابه .

وخُلقت قوائمُه غيرُ منفصلة ، لكنَّها كالأساطين المصمتة والسواري الوثيقة لتحمل الكثير الثقيل ؛ ورُبِطت بِمِراقِبٍ صغارٍ غيرٍ منحنية ولا منثنية على الأوصال ، لكنَّ عظامه مفرَّغة إفراغا .

تطول أعمارُها إلى ثلاثمائة سنة ؛ غير أنَّ الجُرْذَانِ والبقَ تَلْقَى بِالْقَيْلَةِ فتؤذيها . السِّنْدَلُ^(٣) : دابة لا تخاف النار ، لأنها لا تحرقها ، وإن دخلت أخذوداً متأججا مضطربا بالنار لم تحفل بذلك ، وصارت النار التي تُبِيدُ الأجسامَ مَبْعَثًا لهذه الدابة الهينة الحقيرة ، تستلذُّ التقلب فيها أستلذاذ القلب بالهواء البسيط وهبوب أرواحه^(٤) الطيبة ؛ ونضارة جلدها وتنقيته بالنار ، فيزداد بالنار حسنَ لون .

الأرْزَبُ من طباعها الجبن والخوف ، وهي كثيرة الولادة .

الكلب ذو لحص وأفتاء للأثر ، وبشَّمه يسترشد^(٥) ويهتدى ويستدل إذا شمَّ العوْلى عرقَه إن كان له أو لغيره .

ومن طباعه الترضى والبصصة والمشاشة^(٦) لمن عرفه .

(١) « مشفره » .

(٢) « مشاويرها » .

(٣) السندل : دابة دون الثعلب خلجية اللون ، جراء العين ، ذات ذنب طويل .

وقيل : طائر .

(٤) « وأرواح هبوبة » .

(٥) « يسترشد » .

(٦) « والمشاشة » .

ليس في الحيوان أشد حبا لصاحبه منه ، فإن أشار له ^(١) على صيد وثب ناصبا رأسه وافما ذنبه مستعدا كالفرس ، البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب وهو يعلم أن الصيد ليس بمحاضر ، لكن ذلك منه حسن طاعة .
فأما حب بعض جراء الكلاب لبعض إذا كان أخاه لأم ولأب فما قد عهد وشوهد ، وذلك أنه حيث كان يُطرح لها الطعام في الوسط ، فلا يخطف واحد منها ذلك ، لكنها تتعاطاه بينها يسكون وتمكين بعضها لبعض ، غير مستأثرة به ولا محاربة عليه .

الفرس من طباعه الزهو والحرارة وشهوة الإناث للسفاد . وإن وطئ الفرس أثر وطء الذئب ارتعد وخرج الدخان من جسده كله .
الذئب إذا رأى الإنسان مبطلنا خطوه وهو ساكن سكت عنه ، فإن رآه خاف وجبن اجترأ ^(٢) وحمل عليه وكبسه .

وليس كل ذئب يعدو ، وليسكن هو الذي يكون ضاريا ؛ وفيه خلطان : أحدهما أن يكون منفردا يمشى وحده ، والأخرى حدة سمعه ، إن خفي عليه مكان النعم أتى مكانا وعوى صوتين ^(٣) أو ثلاثة ، ثم سكت منصتا لأصوات الكلاب التي مع النعم ونباحها حين سمعت عواءه ^(٤) ، فإذا سمع نباح الكلاب شد ^(٥) مسرعا نحوها ، قاصدا إليها ؛ فإذا قرب من النعم مال إلى ناحية أخرى خالية من تحرّس ^(٦) الكلاب فاختطف ما أمكنه خطفه من النعم .

(١) عبارة الأصل ؛ « وضع أشلاءه » والكلمة الأولى زيادة من الناسخ ، وفي الثانية تحريف .

(٢) « واجترأ » .

(٣) « قوتين » .

(٤) « عواء » .

(٥) « مد » .

(٦) « محرم » .

حمار الوحش إذا ولدت الأنتى الأولاد الذكور جاء الفحل فانتزع خصى
تلك الذكور وقطعها بأسنانه لكيلا^(١) تُصَاد أو تُشاركه في طروقة^(٢) ، إلا
أن الأنتى ربما وضعت ولدها في مكان غامض حتى يشتد جسمه وتصلب
خوافره ، ويقوى بالشدة على النجاة من الفحل ، ولهذا السبب يَقلُّ منها القحول .
الحريش^(٣) دابة صغيرة في جرم الجدى ساكنة جدا ، غير أن لها من
قوة الجسم وسرعة الحضر ما يُعجز القناص^(٤) عنها ، ثم لها في وسط رأسها قرن
واحد منتصب مستقيم ، به تُناطح جميع الحيوان فلا يفلها شيء .

احتل لصيدها بأن تعرض لها فتاة عذراء وضيئة ، فإذا زاتها وثبت إلى
حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة ، فإذا هي صارت
في حِجر الفتاة أَرْضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان
من الخمر والوسنان من النوم ، فيأتيها القناص^(٥) على تلك الحال فيشد من
وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة .

الأيّل عدو الحيات إن قربت منه حية فأنجحرت في صدع صفا ملاً
الأيّل فاه من القدير أو من حيث وجد فدفعه في ذلك الصدع ، ثم أجتذب
الحية إليه بالقوة حتى يقتلها ، وإن كانت فوق أنزلها ، وكذلك إن كانت
أسفل ، فإن كان جائعا أكل ما أصاب منها ، وإن لم يكن به جوع قتلها وتركها
فصارت الحيات ذوات السم الزعاف المُميت لكل من أصابه أو خالط بدنه

(١) يريد بقوله « لكيلا تصاد » أنها إذا خصيت قويت على الجري فلا يقوى الصيادون
على اصطيادها .

(٢) يريد بالطروقة : الأتان التي يطرقها الفحل .

(٣) « الحرس » .

(٤) « القياس » .

(٥) « الناس » .

غذاء هذه الأيائل ، ويكون ملأماً لها لذيذا عندها .
وإن دخن البيت الذي فيه الحيات بدخان حريق قرن الأيائل فررت
منه كلها خوفاً .

على أن الأيائل نفسها جبان شديد الرعب ، إذا أكل الحية بدأ بذنّها حتى
ينتهي إلى رأسها ، ثم يقطع بأسنانه ، وأكبر^(١) من ذلك [أنه] يتعلق
برءوسها وتبقى في الهواء . وتكثر فيه المِرّة^(٢) ويعطّش عطشاً شديداً فيعوج
إلى غدير الماء .

الغزال ، يقال : ليس في الحيوان أبصر من الغلّباء ؛ ويقال لها باليونانية
الظفارة والمُبصرة .

الثور دابة عمول كدودٍ مقدّر جسمه بقدر قوّته . من طبيعته كثرة اللقي
وتوقّد شهوة السّفاد ، إن لم يُخص لم يذلل للعمل ولم يسكن ولم يصحّ جسمه
لأنّ الغلّة تحمل^(٣) جسمه تنجّله ، والخصاء يقطع ذلك كلّهُ . وبينه وبين
الذئب^(٤) عداوة شديدة .

أعزُّ^(٥) الجبل وكباشه وهي الأزواء والثّيائل هذا جنس متمرّد في الجبال
سريع الحُضر في الشواهي والتوقّل^(٦) فيها^(٧) وطبيعتها أن تلدّ توأمم .

(١) أي وأكبر مما مرّ من دلائل جبنه أنه لا يقطع رءوسها بأسنانه كما سبق ، بل
يتعلق بها فلا يأكلها خوفاً ولا يلقيها من فيه فتبقى رءوسها معلقة في الهواء . هذا ما يلوح لنا
من معنى هذه العبارة .

(٢) المرة : خلط من أخلاط البدن ، وهي الصفراء .

(٣) « تدخل » .

(٤) « الذئب » .

(٥) « أعزج » . ولم نجد هذا الجمع في كتب اللغة .

(٦) التوقّل : الصعود .

(٧) « في الماء » .

قد يوجد من البهائم ما لا يحمل ، فأما أتى الخليل إذا كانت حاملا فوطئت
أثر الذئب بحافرها أجهضت حملها .

الحمار في طبيعته معرفة صوت الإنسان الذي اعتاد استماعه وإيناسه ، لا يضل عن
طريق مسلكه مرة ولا يخطئه ، إذا ضلّ راكبهُ الطريق هداه وحمله على الصحبة .
وأما حدة السمع ، فليس في البهائم فيما يُذكر أحدٌ سَمِما منه .

اليامورة ^(١) دابةٌ وحشية نافرة ، لها قرنان طويلان ، كأنهما منشاران
تنشربهما الشجر ؛ إذا عطشت وردت الفرات وعليه غياطل ^(٢) وغياض ملتفة
أشجارها تفرغت من أغصانها غصونٌ طوال دقاق مشبكة ، فإذا شربت ربها
وأرادت الصّدر أشتت الاستتار ^(٣) والقُدو بين تلك الأشجار «ولجّت ^(٤) هناك»
فملق قرّناها بتلك الغصون اللدنة المتينة ، وكلما عالجتها لتفلى أزدادت ارتباطا
فإذا ضجرت مما وقعت فيه عجت جزعا ، وسمع القناص صوتها فأتوها فقتلوها .
الجل : حقود ، يرتصد من ضاربه الفرصة والخولة لينتقم منه ؛ فإذا أصاب
ذلك لم يستبق صاحبه ، فأما ظهره فذو سنام مقبب يكون لكثرة الحمل
وأحتمال الثقل ، وأوصال ركبته وعراقيبه كبار صلاب ، وأوتارها وعروقها
متينة شديدة ، وعصبه وثيق لم يشتد ^(٥) بضغط التحام مفاصله وأتصالها ولم
يسترخ مطويا ^(٦) ، لكنها هيئت على الاعتدال ^(٧) ليهون عليه بذلك البروك

(١) « اليامورة » .

(٢) الغياطل : الكثير الملف من الشجر والنبات .

(٣) « الانقيار » .

(٤) وردت هذه العبارة في الأصل مؤخرة عن هذا الموضع ؛ والسياق يقتضى وضعها هنا .

(٥) « لم يشتد » .

(٦) « مطويا » .

(٧) في الأصل « الاعتدال » ؛ وهو تحريف ؛ والمراد بالاعتدال هنا أن أعصابه ليست

شديدة ولا مسترخية ، بل هي بين ذلك .

والنهوضُ بعمله ، مع تسهيل الارتقاء عليه في ذلك .

البغال : نوعٌ هَجِينٌ قد أنبثنا أنه لا يلد ، إلا أنه أهدى للطريق ^(١) للناس وأثبت حفظاً .

الثيران وكل ذى قرن لا يأخذهُ الفُواق .

وأما سباع الطير وآكلات اللحم منها فصِلاب الأظفار ، حُجْنٌ ^(٢) المناقير ذات حدة وقوة ، قويةُ الأجنحة .

والنواهض ^(٣) التي فيها القوادم أكثر طيراً .

الديك صِلَفٌ في طبيعته ، غير أن له مع ذلك إيقاظاً للنائم بصياحه في آناء الليل ، والتبشيرَ بإقبال الصبح وطلوع الشمس ، يؤنس السيارات في السفر ^(٤) بصياحه في الليل ، ويحترضهم على السير ، مع إيقاظه الفلاحين لعملهم ، والصنّاع لصناعاتهم ، وإذا سمع المرضى صوته داخلهم من ^(٥) ذلك رَوْحٌ وخَفَةٌ من مرضهم . الطالوس يحب الزينة ، غير عفيف الطبيعة ، يدعوه زهوه وحرصه على التزيّن إلى نشر ذنبه وعقده كالطاق لتراه الأنتى بحسن زينته .

الكرّاكى تتحارس ^(٦) بالليل ؛ ويجمل الحارس منها يتردد في المحلة ويهتف بصوت يسمع محذراً ^(٧) ، فإذا قضى نوبته أسترّاح وأعقبه الذي كان مستريحاً نائبا عنه حتى تقضى كلّها ما يلزمها من الحراسة ، فإذا طارت لم تطر .

(١) أهدى للطريق للناس ، أى أكثر هداية — لراكيه من الناس — إلى طريقه .

(٢) حجن المناقير ، أى معوجتها ، الواحد أحجن ، والأنتى حجناء .

(٣) النواهض : فراخ العقبان التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران ، الواحد ناهض .

وفي الأصل : « والنواهض » ولم نجد فيها راجعاً من كتب اللغة .

(٤) « يؤنس في السفر والسيارات (صياحه) » .

(٥) « مع » .

(٦) « تتحارس » .

(٧) « محذراً » .

مقطعةً ، لكنها تطير نَسَقًا غير مشقعة ، يقدّمها واحد منها كالرأس والمهادى لها حتى تتلوه كلها لازمةً صفها ، ثم يعقبه بعده آخر متقدّم حتى يصير المتقدم الأول متأخرًا في آخرها ، وتنتسم كرامة المتقدم كلها بالسوية ؛ وفيها ما يبعد سفره وينتقل عن مصيفه إذا هجم الشتاء .

البط له بقطة حارسة تدل على حدة حسه .

الجراد معروف الحال .

العقاب تطلب عين^(١) الماء ، فإذا أصابتها تحلق طائرةً إلى حر الشمس وهو موضع دورانها فيحترق ريشها وما كان من جناح ، ثم تقوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة^(٢) « وتذهب ظلمة عينها »^(٣) .

وأما الطريق^(٤) فيقتض الله له طائرا يقال له : قاس^(٥) فيضنه إليه ولا يدعه يهلك ، ولكنه يقويا ويربيه مع أفراده .

وأجنحة العقبان مفصلة شبه ريشها .

وبصرها قوى بعيد تحت الشعاع المستنير .

ويقال : إنها أبصر الطير .

الحَجَل يأتي أعشاش نظرائه فيسرق بيضها ثم يحضنها ، فإذا تحرّكت الفراخ وطارت لحقت بأمتها .

البُوم مأواه وعمله الخراب ، يوافقه الليل ، لأنه بالليل بصير وبالنهارة كليل ، مع حبه التوحد والخلوة بنفسه ، وبينه وبين الغربان عداوة ماتنقضى .

(١) « من » .

(٢) « منابة » .

(٣) وردت هذه العبارة في الأصل قبل هذا الموضع .

(٤) يريد بالطريق : الملقى الذي لا يفدر على الطيران لضعفه من المرض ونحوه .

(٥) لم نجد اسم هذا الطائر فيما راجعناه من الكتب .

النَّسْرُ يَتَّخِذُ وَكْرَهُ فِي الْمَكَاتِ لِعَالِي الْمَرْتَفِعِ ، وَعَلَيْهِ يَقَعُ وَفِيهِ يَنَامُ كَالرَّاصِدِ ، إِمَّا فِي ذِرْوَةِ الْجَبَلِ أَوْ فِي وَسْطِهِ مِنْ شِظَايَاهُ ^(١) وَثَنَايَاهُ وَمَوْضِعِ التَّمَنُّعَةِ . وَإِذَا حَمَلَتْ زَوْجَتَهُ مَضَى إِلَى الْهِنْدِ فَأَخَذَ مِنْ هُنَاكَ حَجْرًا كَهَيْئَةِ الْجَوْزَةِ إِذَا حُرِّكَ سَمِعَ بِهِ صَوْتُ حَجَرٍ آخَرَ — يَتَحَرَّكُ فِي وَسْطِهِ ^(٢) — كَصَوْتِ الْجَرَسِ ، فَإِنْ عَسِرَتْ عَلَى زَوْجَتِهِ الْوَلَادَةُ جَعَلَتْ ذَلِكَ الْحَجَرَ تَحْتَهَا وَعَلَتْ عَلَيْهِ فَيَذْهَبُ عَنْهَا الْمُسْرُ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ مَرَّةً أُتِيَ مِنْ جَنْسِ الطَّيْرِ مَاتَ زَوْجُهَا فَامْتَنَعَتْ مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ لِيَالِي ^(٣) كَثِيرَةٍ صَارَتْ فِيهَا كَالنَّامُحَةِ الْبَاكِیَةِ عَلَى زَوْجِهَا بِتَنْفُسِ الصَّعْدَاءِ وَزَقَرَاتِ الْحُزْنِ لَا تَلْقُطُ أَيَّامًا مُتَتَابِعَةً شَيْئًا .

الْبُزَاةُ مِنْ طَبِيعَتِهَا أَنْ تَدَاوِيَ أَنْفُسَهَا وَفِرَاحَهَا فَلَا تَمُوتُ ، لِأَنَّهَا تَسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْمَرَضِ وَالْدَاءِ ^(٤) نَبِئَةً تَعْرِفُهَا وَتَعْرِفُ طَبَّهَا ... « وَمِنْهُ مَا يَنْقُصُ وَيَزِيدُ » ^(٥) . النَّعَامُ : لَا يَعُولُ أَفْرَاحَهُ إِلَّا أَيَّامًا يَسِيرَةً ، ثُمَّ يُدَحِّضُهَا ^(٦) وَيَطْرُدُهَا مِنْ عِنْدِهِ إِنْكَارًا لَهَا .

الْعُدَافُ لَا يَبْيِضُ وَلَا يُفْرِخُ مِنْ سَفَادٍ ، فَإِذَا أَفْرَخَتْ أَثْنَاهُ أَفْرَاحًا لَمْ يَزُقْهَا ^(٧) وَلَمْ يُطْعَمْهَا ، إِلَّا [أَنْ] ^(٨) [الْبَقَّ وَالْبَعُوضُ يَقَعُ عَلَيْهَا لِزَهْوَمَتِهَا وَتَنَ الْجَمَا ، فَتَفْتَحُ

(١) شِظَايَا الْجَبَلِ : قِطْعُ ضَخَامٍ تَنْقَلِعُ مِنْ عَرْضِهِ وَلَمْ تَنْفَصِلْ انْفِصَالًا تَامًا ، تَشْبِيهَا لَهَا بِالشِّظَايَا الْعُرُوفَةِ . وَثَنَايَاهُ : الْعُقَبَاتُ فِيهِ .

(٢) « صَوْتُهُ » .

(٣) « لِيَالٍ » .

(٤) « وَالْدَانِيَّةُ » .

(٥) لَمْ يَتَضَحَّ لَنَا وَجْهُ الْإِنْتِصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ وَمَا قَبْلَهَا ؟ فَلَمْ نَحْنِ كَلَامًا سَقَطَ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) يُدَحِّضُهَا : يَدْفَعُهَا .

(٧) « يَذُقُّهَا » .

(٨) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ؛ وَالسِّيَاقُ يَحْضِي لِتَبَاتِهَا .

أفواها وتبلغ ما دخل فيها من ذلك البق ، فهو يسكها ويقويها .
 أنحاء طَيْرَان الطير مختلفة كاختلاف الطير ، بعضها يطير قريبا من الأرض
 كالبط وما أشبهه ، وبعضها يرتفع ، غير أنه لا يُبعد ، كالحمام والغراب ، وبعضها
 يحلق تحليقا ، كالنقاب والصقور ^(١) والأجادل والبُرّة .

وما كان من الطير بدنه أعظم من جناحه فهو قريب الطيران من الأرض ،
 لسرعة إحناء أجنحته واضطراره إلى الوقوع على الأرض .

البيضاني ^(٢) والأبث ^(٣) : هذا طائر يبيض ولده ، فإذا تحرّكت فراخه
 ودَرَجَتْ صَرَبَتْ وجهه بأجنحتها فيدعوه المعك والغضب المطبوعان فيه إلى
 قتلها ، فإذا ماتت اكتب عليها الأبوان وأقاما عليها شبه المائتم ثلاثة أيام ، ثم
 إن الأم في اليوم الثالث تشقّ جنبها حتى يَقَطُر دُمُها على تلك الفراخ ، فيصير
 ذلك نشورا لما بعد موتها .

مالك الحزين ^(٤) ينشل الحيتان من الماء فيأكلها وهي طعامه ؛ لا يُحسِن
 السباحة ، فإن أخطأه أنتشال فجاء طرح نفسه على شاطئ النهر في بعض
 تخضاضه ، فإذا اجتمعت إليه السمك الصغار لتأكله أسرع [لأكل ^(٥)]
 ما يؤكل منه .

من الطير ما يكتفح من هبوب الرياح ، لا يحتاج إلى تراوُّج ولا إلى سيفاد .

(١) « والنور » .

(٢) كذا ورد هذا اللفظ في الأصل ؛ ولم نجد في راجعناه من كتب اللغة والكتب
 المؤلفة في الحيوان .

(٣) وردت هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من النقط ؛ والصواب إثباتها على هذا
 الوجه . والأبث : طائر من طير الماء كلون الرماد ، طويل النقب ؛ وسمى أبث لبشته ،
 وهي بياض إلى الخضرة ، وهو من شرار الطير .

(٤) مالك الحزين : من طير الماء ، وهو البلشون ، طويل النقب والرجلين .

(٥) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في الأصل .

والخفاش له خصيتان كخصى الحيوان ، وله أربع قوائم وأسنان حداد
 كأَسنان ذوات الأربع ، يُرَضِع ولده من اللبن إرضاعا ، وجلده أملس .
 العفّاق لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به ، ولكنه يهتئ وكرهه في المواضع
 المشرفة العالية والعرّاء الكاشف وجه الهواء الفسيح ؛ وطبيعته الزنا وخيانة
 الزوج ، فإذا باضت الأنثى بيضها حصنته بورق الذئب وغطته كيلا يقربه
 الخفاش ، فإن مسّه مرق^(١) البيض من ساعته وفسد .
 النحل يلد من غير لقاح الذكور .

الحية إذا هرمت وكل بصرها واسترخى جلدّها دخلت في صدع صفاة
 ضيق أو جُحر ضاغط يعسر عليها النفوذ فيه حتى ينسلخ عنها جلدّها فتأق
 عين الماء فتتغمس فيها حتى يقوى لحمها وينعصب ، فإذا هي فعلت ذلك عادت
 شابّة كما كانت . فإذا أرادت أن تقي^(٢) عينها أكلت الرازيانج الرطب
 فاشتفت عيناها واحتد بصرها ، وإن ضربت ضربة بقصبة استرخت فلم تستطع
 الفرار ، فإن ثنيتها وثبت وسعت هاربة .
 إن أنقع الحسك^(٣) في الماء ثم نضح ذلك الماء بين يدي جُحر الحية فرت
 من هناك .

وإن وُضِع في جُحرها أصل رَحْمٍ رطب فرت أيضا .
 وإن رأت الحية إنسانا غريانا استحييت منه ولم تقربه .
 وإن رآته كاسيا^(٤) سحلت عليه بجراة شديدة ؛ وما أشد طلبها لثأرها ؛
 وإن شدخ رأسها ماتت من ساعتها .

(١) مرق البيض : صار ماء وفسد . وفي الأصل : مرّت .

(٢) تقي .

(٣) الحسك محرّكا : نبات له ثمرة شائكة مدحرجة تعلق بأصواف النمل .

(٤) كاسيا .

السَّمْسِيَّةُ ، وهى حَيَّةٌ حَرَاءٌ بَرَّاقَةٌ ، إِذَا كَبُرَتْ وَأَصَابَهَا وَجَعُ الْعَيْنِ وَكَمِدَتْ^(١) التَّمَسَّتْ حَائِطًا مُقَابِلَ الْمَشْرِقِ ، فَإِذَا تَبَدَّتْ الشَّمْسُ أَحَدَتْ إِلَيْهَا بَصَرَهَا قَدَرُ سَاعَةٍ فَإِذَا دَخَلَ شُعَاعُ الشَّمْسِ عَيْنَهَا كَشَطَ عَنْهَا الْعَمَى وَالْإِظْلَامَ ، وَلَا تَزَالُ تَعْمَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتَجَدَّدَ بَصَرُهَا تَامًا .
الْأَفْعَى تُزَاجِرُ دَابَّةَ بَحْرِيَّةً ، تَأْتِي الْأَفْعَى شَفِيرَ الْبَحْرِ فَتَصَوَّتْ ، وَصَوْتُهَا مُهِيجٌ لِتِلْكَ الدَّابَّةِ الْبَحْرِيَّةِ .

مَنْ أَحْرَقَ عَقْرَبًا طَرَدَ بَرَانِحَةً حَرِيقَهَا عَقَارِبَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .
فَأَمَّا مُحَمَّةُ الْعَقْرَبِ فَهِيَ جَوْفَاءُ كَهَيْئَةِ الْمِزْمَارِ مَعْقِفَةُ الرَّأْسِ مَكُونَةٌ لِلدَّغِ ، فَإِذَا ضَرَبَتْ شَيْئًا تَحْرَكَتْ فَخَرَجَ سَمُّهَا وَجَرَى فِي مُحْتِمِهَا وَسَرَى فِي الْمَلْدُوغِ .
الْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ عَرَسٍ إِنَّمَا تَلْقَحُ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَتَلِدُ مِنْ آذَانِهَا .
مِنْ عَادَةِ هَذَا الْجَنْسِ أَنْ يَسْرِقَ مَا وَجَدَ مِنْ حُلَى الْذَهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَيَحْبِئُوهُ فِي جِحْرَتِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ أَيْضًا فِي الْبَيْتِ حُبُوبًا^(٢) خَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، كَأَنْ عَمَلَهُ غَمْلُ الطَّبَّاخِينَ فِي خَلْطِ التَّوَابِلِ .

الْفَارُ الْفَارَسِيُّ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ .
وَأِنْ أَخَذَ إِنْسَانٌ جُرْذَا فَرَبَطَهُ فِي بَيْتٍ فَرَّتْ مِنْهُ الْجُرْذَانُ كُلُّهَا .
وَأِنْ وُضِعَ فِي جُحْرِ الْجُرْذِ الْبَرِيِّ وَرَقُ الدُّفْلِيِّ^(٣) مَاتَ الْجُرْذَانُ .

(١) كَمِدَتْ هِيَئَهَا ، أَيْ ذَهَبَ صِفَاؤُهَا ، مِنْ الْكُمْدَةِ ، وَهِيَ تَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَذَهَابُ صِفَاتِهِ .
(٢) « جَنْوِبَا » .

(٣) الدُّفْلِيُّ ، نَبْتٌ مِنَ الطَّمِّ جَدَا ، وَهُوَ بَرِّيٌّ وَنَهْرِيٌّ ، فَوَرَقُ الْبَرِيِّ كَوَرَقِ الْحَقَاءِ بَلْ أَرْقَ ، وَقَضْبَانُهُ طَوَالٌ مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَ الْوَرَقِ شَوْكٌ ، وَالنَّهْرِيُّ يَنْبُتُ فِي شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَشَوْكُهُ خَفِيُّ ، وَوَرَقُهُ كَوَرَقِ الْخَلَّافِ وَوَرَقُ الْوُزِّ ، مَرِيضٌ ، وَزَهْرُهُ كَلَّةُ كَالْوَرْدِ الْأَحْمَرِ ، وَحُلَّةُهُ يَشْبَهُ الْخَرْتُوبَ .

الدودة الهندية هي دودة القز ، لها في رأسها قرنان ، ثم تتحول بيضة
ثم تتصور في هيئة أخرى ، ذات جناحين عريضين منتصبين ، وصناعتها
دقيق الحرير .

النمل عمول مواظب ، فإذا جمع الحب قطعته كيلا يئبث إذا أصابه الندى
والبلية ، ويخرج منه ويبسطه عند فم الجحر ، فإذا يبس أدخله .
ومن جرب طبائع النمل أدرك علم أزمان المطر والصحو .
من أراد أن يقتل النمل فليدق الكبريت والحبق^(١) ويذرهما في جحره
ولا يولد من تزواج^(٢) ، ولكنه يخرج منه شيء قليل صغير فيقع في الأرض
فيصير بيضا ، ثم يتصور من البيض بالهيئة التي ترى ، وإذا شمت الورد مؤت
وأجنحتها مدبجة لا صفة بها .

البق والبعوض لا يتاج لها ، وإنما تنجّل^(٣) من عفن الماء ووسخه ونثنه .
ومن وضع غصن العنب في موضع تحت سريره لم يقر به بق ولا بعوض .
ومن أراد ألا يتأذى بالبراغيث فليحفر في وسط البيت حفرة ويملاها
دم تيس فإن البراغيث تجتمع هناك .

وإن وضع في الحفرة ورق دفل مانت البراغيث .
الخلد غير ذى عيّن ، دائم الحفر في غير نفع ؛ وطعامه من أصول النبات
وعروقه أذهابة في الأرض ، فهو يصيب ذلك في خلال حفره .

يقال : إن في بلاد كذا نهرا ماؤه في البحر منحدرًا إليه على حال طبيعته

(١) الحب محرّكة : نبات طيب الرائحة ، حديد الطعم ، ورقه كورق الخلاف ، منه سهلى
ومنه جبلى ، وهو الذى يقال له : الفوتنج . وقال أبو حنيفة : إنه يشبه الريحانة التى تسمى
السنّام ، ويكثر نباته على الماء ، وهو أنواع كثيرة .

(٢) « يراوح » .

(٣) تنجل ، أى تولد .

ولذلك يصحب السفن متلذذا بأصوات الناس ، فإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها ، وثب الزامور ودخل أذنه ، فلا يزال زاسرا فيها حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب خزفا أو صخرة ، فإذا أصاب ذلك لا يزال يضرب به رأسه حتى يموت .

وركّاب السفينة يخبّونه ويظلمونه . ويتفقّدونه ، ليدوم إلفه لهم وصحبته لسفيتهم ، ويسألوا به من ضرر السمك العادي .
وإذا ألّقوا شبكة ليصطادوا السمك فوقع فيها الزامور خلوه حيا وأخذوه^(١) وأعتقوا لكرامته أصناف السمك الواقع في الشبكة أحياء .



وإني [قرأت^(٢)] هذا الفصل على الوزير — كبت الله كل شأني له — في ليلتين ، فتمجّب وقال : ما أوسع رحمة الله ؛ وما أكثر جُند الله ؛ وما أغرب صنع الله . قلتُ : نعم ؛ وما أغفل الإنسان عن حقّ الله الذي له هذا الملك المبسوط^(٣) ، وهذا القلّك المربوط ؛ وهذه العجائب التي تصعد^(٤) فوق العقول التامة بالأعتبار والأختبار بعد الأختبار ؛ وإنما بثّ الله تعالى هذا الخلق في عالمه على هذه الأخلاق المختلفة والخلق المتباينة ، ليكون للإنسان المشرف^(٥) بالعقل طريق إلى تعرّف خالقها ، وبيان لصحّة توحيد له بما يشهد من أعاجيبها ،

(١) عبارة الأصل « وأخذوا أصناف السمك » ، وقوله : « وأخفوا » واقعة في غير موقعها ، وقد أبتناها في الموضع اللائق بها لاستقامة الكلام بذلك .

(٢) عبارة الأصل « وأن هذا الفصل على الوزير كتب الله » ، وفيها همس وتحرّيف كما هو ظاهر .

(٣) المبسوط .

(٤) تصدّ .

(٥) المشرف .

ست ساعات ، وفي الست الثانية يحتبس ماؤه في ينبوعه ويرى جوفه ناضبا^(١)
قد يبس .

ونهر آخر يجري في كل سبع سنين نهر كبريت ، ولا يكون فيه سمك ، لأن
مائه يتغير في كل يوم ثلاث مرات ، وينبعث^(٢) منه شبه نور ليس له رأس .
وأهل الشام إذا أرادوا أخذه ألغوه في سفينة ، ولا يستطيعون قطعه
بقأس ولا كسره بحجر ، إنما يؤتى بالماء المُنْتِن ودم الحيض فيخلطان جميعا
ثم يفضحان عليه ، فإذا وقعا عليه تحلل وتكثل كتلا^(٣) صغارا ، وتُسْتَعْمَل في
أشياء يُنتَفَع بها .

عين النار تنبع منها نازة تضيء بالليل للسيارات فلا تطلق^(٤) ولا تحتاج إلى
شئ يمسكها ، لكنها محفوظة بالحجارة ؛ إن سَمَلَ إنسان منها شملة قَبَسَ إلى
موضع لم تُوقد .

البحر الميت يقال له ذلك لأنه يموت فيه كل شيء .

السرطان ينسلخ جلده في السنة سبع مرات ، ويتخذ بجُحْره بايين ؛
أحدهما شارع إلى الماء ، والآخر إلى اليابس ؛ وإذا سلخ جلده سدَّ عليه الشارع
إلى الماء لكيلا يدخل السمكُ فيأكله ؛ إلا أنه يدع الذي إلى اليس مفتوحا
فتصيبه الريح وما ينفع لَحْمَه ويعصمه ، فإذا اشتدَّ لَحْمُه وعاد إلى حاله فتحَّ
ذلك المسدود وسلك في الماء وطلب طعمه وما يقيم حياته .

الزامور حوت صغير الجسم ألف لأصوات الناس ، مستأنسٌ بأسماعها

(١) « ناضبا » .

(٢) « ينبعث » .

(٣) « وتكثل كيلا » .

(٤) « يطفئها » .

ونيل لرضوانه بما يتزود من عبّره التي يجد فيها ، وليكون له موقظٌ منها ، وداع حادٍ ^(١) إلى طاعة من أبدأها وأبرزها ، وخلطها وأفردّها .

فقال : قد كنت قلت : إنه يجري كلامٌ في النفس منذ ليالٍ ، فهل لك في ذلك ؟ .

قلتُ : أشدّ الميل ^(٢) وأوحاه ، لكن بشرط أن أحكي ما عندي ، وأروى ما حصلتُ من هذه العصابة بسماعى وسؤالي . فقال : نستأنف ^(٣) الخوض في ذلك — إن شاء الله — فإن النّفس ^(٤) قد حدّثت العين ، فأنا كما قال :

قد جمل النّعاسُ يغرّ نديني ^(٥) أدفعه عني ويسرّ نديني

أنشدني أبياتا ودّعني بها ، ولتكن من سرّاء ^(٦) نجد ، ليشتّم منها ريحُ الشّيح والقيصوم .

فأنشدته لأعرابي قديم :

مُطرنا فلما أن روينّا تهادرت شقاشقُ منها رائبٌ وحليبٌ ^(٧)
ورابت ^(٨) رجالٌ من رجالٍ ظلامّةٍ وعادت دُحولُ بيننا وذُئوبٌ ^(٩)

(١) « صام » .

(٢) « المثل » .

(٣) « لتأذن » .

(٤) « النفس » .

(٥) يغرّ نديني ويسرّ نديني ، يريد أن النعاس يغلبه ويملوه . وفي الأصل : « يغرّ نديني بالعين المهملة . ولم يرد في اللسان فائل هذا الشعر .

(٦) « سرارة » .

(٧) تهادرت أي تساقطت . والشقاشق : جمع شقشقة ، وهي جرة البعير معروفة ، وكفى بتهادر الشقاشق عن الحصومة بين القوم وتنمر بعضهم لبعض . يقول : لما أخصبت أرضنا تنمر بعضنا لبعض وتمها كل فريق منا لحاربة فريق ، كما يدل على ذلك البيت الذي يليه .

(٨) « رابت » .

(٩) الذحول : جمع ذحل يفتح الذال ، وهو الثأر .

وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ لَمَنْ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبَ حَبِيبٌ^(١)
 وَطَائِنٌ^(٢) فِئَاءَ الْحَى حَتَّى كَانَهُ رَجَاً^(٣) مَنَهْلٍ مِنْ كَرْهِنٍ نَخِيبٍ
 بَنَى عَمَّنَا لَا تَعْجَلُوا يَنْضَبُ الثَّرَى غَلِيلًا وَيَشْفِي الْمُسْرِفِينَ طَبِيبٌ^(٤)
 فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتَ وَامْتَرِثَ الْقَرْىَ وَحُثَّتْ رِكَابُ الْحَى حِينَ تَوُوبُ^(٥)
 وَصَارَ^(٦) عَيُوفَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا — ذُو جِدَّتَيْنِ قَشِيبٌ^(٧)
 وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خَنْزُورَةٌ^(٨) يُنَادَى إِلَى دَاعِي الرَّدَى فَيُجِيبُ
 أَوْلَشْكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَكَابَ^(٩) سَكَيْتٌ^(١٠) أَمْ أَشْمٌ نَجِيبٌ
 فَمَجِبٌ وَقَالَ : هَذَا جَنَى غَرَمٍ قَدْ جُذَّ أَصْلُهُ ، وَنَزِيحٌ قَلِيبٌ قَدْ غَارَ مَدُّهُ
 وَجَزُرُهُ ، وَانْصَرَفَتْ .

- (١) وَنَصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا ، أَيْ رَفَعَتْ أَعْنَاقَهَا لِرَبْعِ الصَّبَا تَسْتَرَوِّحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ :
 « وَفَضَّتْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٢) « وَطَائِنٌ » .
 (٣) رَجَا الْبُتْرُ : تَاحِيْتُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالنَّخِيبُ :
 الْمُنْخَوْبُ ، أَيْ الْمَنْزُوعُ الْجُوفِ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَجِيبٌ » . شَبَّهَ فِئَاءَ الْحَى وَقَدْ وَطَّنَتْهُ هَذِهِ
 الرِّكَائِبُ بِجَانِبِ مَنَهْلٍ مَنْخَوْبٍ الْجُوفِ مَهْدَمٍ مِنْ كَثْرَةِ مَا تَطَوَّاهُ أَقْدَامُ الْوَرَادِ .
 (٤) فَضُوبُ الثَّرَى : كُنَايَةٌ عَنِ التَّقَاعُلِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، قَالَ جَرِيرٌ :
 فَلَا تَوْبَسُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الثَّرَى فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَثَرَى
 (٥) امْتَرِثَ الْقَرْىَ : امْتَسَكْتُهَا وَطَلَبْتُ مِنْهَا الْمِيرَةَ .
 (٦) صَارَهُ يَصُورُهُ ، أَيْ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَمَلَهُ نَحْوَهُ . يُشِيرُ إِلَى حُلُولِ الْجَدْبِ وَإِرْخَاصِ الْفَقْرِ
 أَقْدَارَ الْعَلِيَّةِ ، فَيَسْتَطِيعُ مِنْ لَهُ ثَوْبِينَ أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْرَمُ الْمُعَاوِلِ الْكَرِيمَةِ عَلَى قَوْمِهَا بِمَا لَهُ
 مِنْ إِسِيرٍ غَنَى وَإِنْ اتَّضَعَ لِسَبِّهِ .
 (٧) « قَشِيبٌ » .
 (٨) الْخَنْزَوَانَةُ : الْكَبِيرُ .
 (٩) « أَكَابَ » .
 (١٠) السَكَيْتُ : الَّذِي يَمْحَى ، آخِرُ خَيْلِ الْحَلْبَةِ .

الليلة الثالثة عشرة^(١)

(٢) فلما حضرت ليلةً أخرى قال : هات . قلتُ : إن الكلام في النفس صعب ، والباحثون عن غيبها وشهادتها وأثرها وتأثيرها في أطراف متناوذة^(٣) وللنظر فيهم مجال ، وللولم عليهم سلطان ، وكلُّ قد قال ما عنده بقدر قوته ولحظه ، وأنا آتي بما أحفظه وأرويه^(٤) ، والرأى بعد ذلك إلى العقل الناصح والبرهان الواضح .

قال بعض الفلاسفة : إذا تصقّحتنا أمر النفس لحفظناها^(٥) تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان إذا تصوّر بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بآلة كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف ، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة [إلى]^(٦) أخرى عند تصوّره بالعقل ، فيظنّ الظانّ منّا أنّ النفس لا^(٧) تفعل بالبدن ، لأنّ هذه الأمور ليست بجسم ولا أعراض جسميّة .

وقد تعرف النفس أيضاً الآت من الزمان والوحدة واليقظة ، وليس لأحد أن يقول : إن النفس تعرف هذه الأشياء بحسّ من الإحساس ، ففعل النفس

(١) يلاحظ أننا ذكرنا في الليلة السابقة أنّها الليلة الحادية عشرة ، والصواب أنها ليلتان الحادية عشرة والثانية عشرة ، كما يتبين ذلك من قوله : « في ص ١٩٥ س ١٠ : « ولأن قرأت هذا الفصل على الوزير كتبت الله كل شأني له في ليلتين » ولهذا جعلنا هذه الليلة الثالثة عشرة .

(٢) متناوذة ، أى متقابلة .

(٣) « وأرومه » .

(٤) « لحفظها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٦) في الأصل : « إنما » والتعليل الآتي بعد يقتضى أداة النفي كما أميتنا .

إذن يفارق البدن ، وتأليف البرهان أن يكون على أن يقال : للنفس أفعال تخصها خلوة من البدن ، مثل التصور بالعقل ، وكل ما له فعل يخصه دون البدن فإنه لا يفسد بفساد البدن عند المفارقة .

وقال أيضا : وجدنا الناس متفقين على أن النفس لا تموت ، وذلك أنهم يتصدقون عن موتهم ، فلو أنهم يتصورون أن النفس لا تموت ، ولكنها تنتقل من حال إلى أخرى إما إلى خير وإما إلى شر ؛ ما كانوا يستغفرون لهم ، وما كانوا يتصدقون على موتهم ويزورون قبورهم .

وقال أيضا : النفس لا تموت ، لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن ، إذ كان يدبر البدن ويرأسه .

والله جلّ وعزّ المدبر لجميع الأشياء ، والرئيس لها . والبدن أشبه شيء بالشيء الميت من النفس إذ كان البدن إنما يحيا بالنفس .

وقال أيضا : النفس قابلة للأضداد ، فهي جوهر ، فالفائدة أن النفس جوهر .

وقال : النفس ليست بهيولى ، فلو كانت هيولى لكانت قابلة للعظم ، فليست النفس إذا بهيولى .

وقال : ليست النفس بجسم ، لأن النفس نافذة في جميع أجزاء الجسم الذي له نفس ، والجسم لا ينفذ في جميع أجزاء الجسم ^(١) ؛ ولا هيولى ، لأن النفس لو كانت هيولى لكانت قابلة للمقادير والعظم ^(٢) ، وفائدة هذا أن النفس جوهر على طريق الضرورة .

(١) « النفس » .

(٢) يلاحظ أن هذا الكلام مكرر مع ما سبق من قوله : النفس ليست بهيولى الخ .

وقال آخر : حركة كل متحرك تنقسم قسمين : أحدهما من داخل ، وهو قسمان : قسم كالطبيعة التي لا تسكن البتة ، كحركة النار مادامت نارا ، وقسم هو كحركة^(١) النفس تهيج أحيانا وتسكن أحيانا ، وكحركة جسد الإنسان التي تسكن إذا خرجت نفسه وصار جيفة .

والقسم الآخر من خارج ، وهو قسمان : أحدهما يدفع دفعا كما يدفع السهم ويُطْلَق عن القوس ، والآخر يُجَرُّ جُرًّا كما تُجَرُّ العجلة والجيفة .

وقال : فنقول : ليس يَخْفَى أَنَّ جسدنا ليس مدفوعا دفعا ولا مجرورا جُرًّا [لنا]^(٢) كان كل مدفوع أو مجرور متحرك من خارج متحرك كما لا محالة من داخل ، فالجسد إِذْهُ متحرك من داخل اضطرابا .

وقال : إن كان جسدنا متحركا من داخل ، وكان كل متحرك من داخل إما متحركا كحركة طبيعية لا تسكن ، وإما نفسية تسكن .

فليس^(٣) يَخْفَى أَنَّ حركة جسد الإنسان ليست بدائمة لا تسكن ، بل ساكنة [لا]^(٤) تدوم ، وكانت حركة كل ما سكنت حركته فلم تدم ليست حركة طبيعية لا تسكن ، بل نفسية من قِبَل نفس تحركه وتحسسه .

وقال : إن كانت النفس هي التي تُعْجِي الإنسان وتحركه ، وكان كل محرك يحرك غيره حيا قائما موجودا ، فالنفس إِذَا حَيَّةٌ قائمة موجودة .

وقال أيضا : النفس جوهر لا عَرَض ، وَحَدَّ الجوهر أَنَّهُ قابل للأضداد من غير تغير ، وهذا لازم للنفس ، لأنها تَقْبَلُ العلم والجهل ، والبَرِّ والفجور

(١) « حركة » .

(٢) هذه الكلمة سائطة من الأصل .

(٣) في الأصل : « وقال ليس » . والظاهر أن قوله : « وقال » زيادة من الناسخ .

(٤) لم ترد هذه الكلمة في الأصل .

والشجاعة والجلب ، والعفة وضدّها ، وهذه أشياء أضداد ، من غير أن تتغيّر في ذاتها ، فإذا كانت النفس قابلةً لحدّ الجهر ، وكان كلُّ قابلٍ لحدّ الجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : قد استبان أن النفس هي المحيية الحركة للجسد الذي هو الجوهر .
و[لما] كان كلُّ مُحيٍّ محرّكٌ للجوهر جوهرًا فالنفس إذا جوهر .

وقال : لا سبيل أن يكون المُحيي الحركة جوهرًا ويكون المحيى الحركة غير جوهر ، فإذا كانت هي المحيية الحركة للجسد ، وكان لا يمكن أن يكون المحيى الحركة للموجود غير موجود ، فالنفس إذا لا يمكن [أن تكون^(١)] غير موجودة .
وقال : إن كانت النفس بها قوَى وحياة الجسد ، فيمتنع أن يكون قوامها بالجسد ، بل بذاتها التي قامت بها حياة الجسد .

وقال : إن كانت النفس قائمة بذاتها التي قامت بها حياة الجسد ، فما كان قائمًا بذاته فهو جوهر ، فالنفس إذا جوهر .

وقد أملى علينا أبو سليمان كلامًا في حديث النفس هذا موضعه ، ولا عذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمومًا إلى غيره ، وإن كان كلُّ هذا لم يجز على وجهه بحضرة الوزير — أبقاه الله ومد في عمره — لكن الخوض في الشيء بالقلم مخالفٌ للإفاضة باللسان ، لأن القلم أطولُ عِنانا من اللسان ، وإفشاء^(٢) اللسان أحرَجُ من إفشاء القلم ، والغرض كلُّه الإفاضة ، فليس يكتر الطويل .

قال : ينبغي أن نعرف باليقظة التامة أن فينا شيئًا ليس بجسم له مدّات ثلاث : أعنى الطول والعرض والسَّمَك ، ولا يجرأ من جسم ولا عَرَض من

(١) هذه العبارة أو ما يقيد معناها ساقطة من الأصل . والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) « وقضاء » .

الأعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسميّة ، لكنّه جوهر مبسوط غير مُدرك بحسّ^(١) من الإحساس . ولما وجدنا فينا شيئا غير الجسم وضدّ أجزائه بحدّته وخاصّته ، ورأينا له أحوالا تُباين أحوال الجسم حتّى لا تُشارك في شيء منها وكذلك وجدنا مباينته للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المباينة للأجسام والأعراض إنّما هي من حيث كانت الأجسام أجساما والأعراض أعراضا ؛ قضينا أنّها هنا شيئا ليس بجسم ولا جزء من الجسم ، ولا هو عرض ، ولذلك لا يقبل التغيّر ولا الحيلولة ، ووجدنا هذا الشيء أيضا^(٢) يطلع على جميع الأشياء بالسواء ولا يباله فتور ولا ملال ، ويتضح هذا بشيء أقوله : كلّ جسم له صورة فإنّه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى البتّة إلّا بعد مفارقتها الصورة الأولى ، مثال ذلك أنّ الجسم إذا قبل صورة أو شكلا كالتثليث ، فليس يقبل شكلا آخر من التربيع والتدوير إلّا بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قبل نقشا أو مثالا فهذا حاله ، وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى^(٣) على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه صورتان ، ولا تتمّ واحدة منهما ، وهذا يطرّد في السَّمْع^(٤) وفي الفضة وغيرها إذا قبل صورة تُنقش في الخاتم ؛ ونحن نجد النفس تقبل الصوَر كلّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصّة ضدّ الخاصّة الجسم ، ولهذا^(٥) يزداد الإنسان بصيرة كلّما نظر وبحث وأرتأى وكشّف .

(١) « يحسّ » .

(٢) هذه الكلمة وردت في الأصل في غير موضعها اللاحق بها من العبارة ؛ والسياق يقتضى وضعها في هذا الموضع .

(٣) « الأولى » .

(٤) « السمع » .

(٥) « ولها ما » .

ويتضح أيضا عن كُتُب^(١) أن نفس ليست بعرَض ، لأنَّ العَرَض لا يوجد إلَّا في غيره ، فهو محمول لا حامل وليس هو قِوَامًا ، وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تَحْمِلَ ، وليس له شبه من الجسم ولا من العَرَض .

وكان يقول : إذا صدق النظر ، وكان الناظر جاريًا من الهوى ، وصحَّ طلبه للحق بالعشق الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرق بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين البدن المتحرَّك بالنفس .

قال : ولما عرضت الشبهة لقوم قصر نظرهم ، ولم يكن لهم لحظ ولا أطلاع فظنوا أنَّ الرباط الذي بين النفس والبدن إذا انحَلَّ فقد بَطَلَ جميعا .

وهذا ظنٌّ فيه عَسَف ، لأنهما لم يكونا في حال الارتباط على شكل واحد وصورة واحدة ، أعنى أنَّهما تَبَايَنَا^(٢) في تصاحُبهما وتَصاحُبًا في تَبَايُنهما^(٣) .

ألا تَرَى أنَّ البدن كان قِوَامُهُ ونظامُهُ وتَمَامُهُ بالنفس ؟ هذا ظاهر .

وليس هذا حُكْمُ النَّفْس في شأنها مع البدن ، لأنَّها واصلتُهُ في الأوَّل عند مسقط النطفة ، فما زالت تَرْبِيهِ وتغذِّيه وتُحْيِيهِ وتُسَوِّيهِ حتَّى بلغ البدنُ إلى ما تَرَى ، ووُجِدَ الإنسانُ بها ، لأنَّ النفس وحدها ليست بإنسان ، والبدن وحده ليس بإنسان ، بل الإنسان بهما إنسان ، فإذا الإنسانُ نصيبُهُ من النفس أكثرُ من نصيبه من البدن .

وهذه الكثرة توجد في الأوَّل من ناحية شرف النفس في جوهرها ، وتوجد في الثاني من جهة صاحب النفس الذي هو الإنسان بما يستفيذه من المعارف

(١) « ونصح أيضا عن كسب » .

(٢) « تباينا » .

(٣) « تباينهما » .

الصحيحة، ويضمه إلى الأفعال الواجبة الصالحة، فأمر المعارف الصحيحة معرفة الله الواحد الحق باليقين الخالص، وأمر الأفعال الواجبة الصالحة العبادة له والرضوان عنه.

وغاية المعرفة الاتصال بالمعروف، وغاية الأفعال الواجبة الفوز بالنعم والخلود في جوار الله، وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إلى التجاوز عليه كل من رجع إلى بصيرة وآوى إلى حُسن سيرة.

فأما من هو عن هذا كله عم^(١) وعمّا يجب عليه ساء، فهو في قطع النعم، وإن كان متقلّباً في أصناف النعم.

(٢) وكان يقول كثيراً: الناس أصناف في عقولهم: فصنف عقولهم مغمورة بشهواتهم، فهم لا يَبصرون بها إلا حظوظهم المعجلة، فلذلك يكذبون^(٢) في طلبها وتثليها، ويستعينون بكلّ وُشع وطاقاة على الظنّ.

وصنف عقولهم منتهبة^(٣)، لكنّها مخلوطة بسبّات^(٤) الجهل، فهم يحرضون على الخير واكتسابه، ويخطئون كثيراً، وذلك أنّهم لم يكملوا في جيلتهم الأولى وهذا نعت موجود في المباد الجهلة والعلماء الفجرة، كما أنّ النعت الأول موجود في طالبي الدنيا بكلّ حيلة ومحالة.

وصنف عقولهم ذكّية متهبة، لكنّها عميّة عن الآجلة، فهي تدأب في تئيل الحظوظ بالعلم والمعرفة والوصايا اللطيفة والسُّمة الربّانية، وهذا نعت موجود في العلماء الذين لم تثلج صدورهم بالعلم، ولا حقّ عندهم الحق اليقين؛ وقصّروا

(١) « عميم » .

(٢) « يكسبون » .

(٣) « منته » .

(٤) « بسبّات » .

بن حال أبناء الدنيا الذين يشهرون في طلبها السيوف الحداد ، ويطيلون إلى نيلها سواعد الشداد^(١) فهم بالكيد والحيلة يسعون في طلب اللذة وفي طلب الراحة^(٢) . وصنف عقولهم مضئئة بما فاء عليها من عند الله تعالى باللفظ الخفي ، الأصطفاء السنّي ، والأجتهاء الزكي ، فهم يحملون بالدنيا ويستيقظون بالآخرة ؛ تراهم حضوراً وهم غيب ، وأشياءاً وهم متباينون .

وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة ، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ . وهذا كما تقول : « الملوك ساسة » ، ولكل واحد منهم خاصّة » ؛ وكما يقولون : « هؤلاء شعراء ولكل واحد منهم بحر » ؛ « هؤلاء بلغاء ولكل واحد منهم أسلوب » ؛ وكما تقول : « علماء ، ولكل واحد منهم مذهب » .

وعلى هذا أبو سليمان — حفظه الله — إذا أخذ في هذا الطريق أطرب ، لسعة صدره بالحكمة ، وفيص صوبه من المعرفة ، وصحة طبيعته بالفطرة .

وقال : إنّا بعد هذا المجلس تركنا صنفاً لم نرسمه بالذكر ، ولم نعرض له^(٣) بالاستيفاء ، وهم الهمج الرّاع الذين إن قلت : « لا عقول لهم » كنت صادقا ، وإن قلت : « لهم أشياء شبيهة بالعقول » كنت صادقا ؛ إلا أنهم في العدد ، من جهة النسبة العنصريّة والجبلة الطينيّة والفطرة الإنسيّة ، وفي كونهم في هذه الدار عمارة لها ومصالح لأهلها ؛ ولذلك قال بعض الحكماء : « لا تسبوا الفوغاء فإنهم يُخرجون الغريق ويُطفئون الحريق ويُؤنسون الطريق ويشهدون الشوق » .

فضحك — أضحك الله نغره ، وأطال عمره ، وأصلح شأنه وأمره — فقال :

(١) « السداء » .

(٢) « البرحة » .

(٣) « عليه » .

وكالإشارة في الحلم ، وليست حلماً ولا أُنْتَبَاهَا في الحقيقة ، لأن هذين نعتان محمودان في عالم السيلان والتبدل ، جاريان على التخيل والتجوز بزوائد لا ثبات لها ونواقص لا مبالاة بها ، رُوحَانِيَّة في رُوحَانِيَّة ، كما يقال : « هذا صفو هذا » ؛ و « هذا صفو الصفو » ومن لحظ هذه الكيفية^(١) وبُشِّر صدره بهذه الحقيقة أَسْتغْنَى عن رسوم محدودة بألف ولام ، وحقائق مكنونة في عرض الكلام ؛ وإذا جهلنا أشياء هي لأهل الأنس^(٢) بلغات قد فُطروا عليها ، وعبارات أنسوا بها ، كيف نجد السبيل إلى الإفصاح والإشارة إليها .

فهذا باب واضح ، والطمع في نيله نازح ؛ وإذا كان التمثال صعباً^(٣) في الموضع الذي عمدنا إليه ، فكيف يكون حالنا في البحث عما في حيز اللاهوتية وبمحبوبة الربوبية ، ولا كون هناك ولا ما نسبته للكون ؛ وأقوى ما في أيدينا أن نتعمّل بالوجود ، فالموجود والوجدان والجود ، وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها .

قلّ هذا ، الصمت أوجَدُ للمراد من النطق ، والتسليم أخْفَرُ بالبغيّة من البحث .

قال البخاري^(٤) : فشئ كهذا^(٥) بدقيقه وإشكاله ، وغرضه وخفائه ، كيف يظهر على جِبِلَّة بَشَرِيَّة وبنية طِينِيَّة وكتْمِيَّة مَادِّيَّة وكَيْفِيَّة غَنْصَرِيَّة ؟ .

فقال : يا هذا ، إنما يشع من هدم السكينة على قدر ما أستودع صاحبها من

(١) « الكفّة » .

(٢) يريد الأنس بمعرفته . وفي الأصل « أندلس » .

(٣) « صعباً » .

(٤) البخاري ، هو أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان النطقي وصديقه ، كثير السؤال والمجادلة له ، كما يتبين مما حكاه أبو حيان عنه في المقالات .

(٥) « فها هذا » .

قد جرى في حديث النفس أكثر مما كان في النفس ، وفيه بلاغ إلى وقت ، وأظن الليل قد تغطى^(١) بصلبه ، وناء بكلكله ؛ وانصرفت .

الليلة الرابعة عشرة

(١) ومَرَّ بعد ذلك في عرض السَّمر : ما تقلدَ أمرؤُ قِلادةً أفضلَ من سَكينة .
 فقال : ذَكَرْتَنِي شَيْئاً كُنْتُ مَهْتَمّاً بِهِ قَدِيماً ، وَالْآنَ قَرَعْتَ إِلَى بَابِهِ ؛ مَا السَّكِينَةُ ؟
 فَإِنِّي أَرَى أَصْحَابَنَا يَرُدُّونَ هَذَا الْأَسْمَ وَلَا يَبْسُطُونَ الْقَوْلَ فِيهِ . فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ :
 سَأَلْتُ أَبَا سَلِيحٍ عَنِ السَّكِينَةِ مَا هِيَ ؟ فَقَالَ : السَّكَاةُ كَثِيرَةٌ : طَبِيعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ
 وَعَقْلِيَّةٌ ، وَإِلَهِيَّةٌ . وَمَجْمُوعَةٌ مِنْ هَذِهِ بِأَنْصِبَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَقَادِيرٍ مُتَفَاوِتَةٍ وَمَتَبَاعِدَةٍ .
 وَالسَّكِينَةُ الطَّبِيعِيَّةُ اعْتِدَالُ الْمَزَاجِ بِتَصَالِحِ الْأُسْطَقْسَاتِ ، تَحْدِثُ بِهِ لِصَاحِبِهِ
 شَارَةً تُسَمَّى الْوَقَارَ ، وَيَكُونُ لِلْعَقْلِ فِيهَا أَثَرٌ بَادٍ ، وَهُوَ زِينَةُ الرِّثْوَاءِ الْمَقْبُولِ .
 وَالسَّكِينَةُ النَّفْسِيَّةُ مِمَّا تَلَّهُ الرُّوِيَّةُ لِلْبَدِيهِةِ ، وَمَوَاطَاةُ الْبَدِيهِةِ لِلرُّوِيَّةِ ، وَقَصْدُ
 النَّايَةِ بِالْمُهَيْتَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ ، يَحْدِثُ بِهَا لِصَاحِبِهَا تَمَتُّ ظَاهِرٌ وَرُتُونٌ دَائِمٌ وَإِطْرَاقٌ
 لَا أُجُومُ^(٢) مَعَهُ ، وَغَيْبَةٌ لَا غَفْلَةٌ مَعَهَا ، وَشَهَامَةٌ^(٣) لَا طَيْشٌ فِيهَا .
 وَالسَّكِينَةُ الْعَقْلِيَّةُ حُسْنُ قَبُولِ الْأُسْتَفَاضَةِ بِنِسْبَةٍ تَامَةٍ إِلَى الْإِفَاضَةِ ؛ وَمَعْنَى
 هَذَا أَنَّ الْقَابِلَ مُسْتَفَرِّقٌ بِقُوَّةِ الْمَقْبُولِ مِنْهُ ، وَبِهَذِهِ الْحَالِ يَحْدِثُ لِصَاحِبِهَا هَدًى
 يَشْتَمِلُ عَلَى وَزْنِ الْفِكْرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ مَعَ سُكُونِ الْأَطْرَافِ فِي أَنْوَاعِ الْحَرَكَاتِ .
 وَالسَّكِينَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَا عِبَارَةَ عَنْهَا عَلَى التَّحْدِيدِ ، لِأَنَّهَا كَالْحُلْمِ فِي الْإِتْبَاهِ

(١) يشير إلى قول امرئ القيس يخاطب الليل :

فقلت له لِمَا تغطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
 كفى بذلك من طول الليل .

(٢) « وجوم » .

(٣) « وشهامة » .

نور العقل ، وقبس النفس ، وهبة الطبيعة ، وصحة المزاج ، وحسن الاختيار وأعتدال الأفعال ، وصلاح العادة ، وصحة الفكرة ، وصواب القول ، وطهارة السرّ ومساواته للعلائية ، وغلبته بالتوحد ، وانتظام كلِّ صادر منه ووارد عليه . وهاهنا تتجلى الحيلة البشريّة ، وتتبدّد الحيلة الطليّنية ، وتبيد الكميّة المادّيّة وتنفو الكيفيّة^(١) المنصريّة ، ويكون السلطان والولاية والتصرف والسياسة كلّها لتلك السكينة التي قدّمنا وصفنا لها ، واشتدّ وجدنا بها ، وطال شوقنا إليها ودام تحديقنا نحوها ، وأتصل رُؤُونا إليها ، وتناهت نَجْوانا بذِكْرها .

وهذا هو الخلع الذي سمعتَ بذِكْره ، واللباس الذي سألتَ عنه ، أعنى خلع ما أنت منه إنسان ، وليسَ ما أنت به ملك . [الله] المستغاثُ منكم ، ما أشدّ بلواي بكم ، لِمَ تتعزّكون إلا إلى ما لا سكون لكم فيه ؟ ولِمَ تسألون عمّالا أطلع لكم عليه ؟ سلوا ربكم أعيناً بصيرة ، وآذاناً واعية ، وصدوراً طاهرة ، وقوّة متتابعة ، فإنكم إذا مُنِحتموها هُديتم لها ، وإذا حُرِمتموها قُطِعتم دونها ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

قال البخارى : وقد تركنا يا سيّدنا حديث السكينة المجموعة من هذه الجملة بأنصباء مختلفة .

فقال : لا عجب أن يُنشأ العالمُ بكلِّ ما فيه في هذه الحومة^(٢) التي لُذنا بها وحاولنا الوصولَ إليها ؛ وأى شيء أعجَب^(٣) في هذا المقام ، رسم أو قوام ، أو ثبات أو دوام ، إلا^(٤) له نصيب من عناية الله تعالى الكريم .

(١) « الكمية » .

(٢) « الحومة » .

(٣) عبارة الأصل : « أعجب له » ، ويلوح أن قوله « له » زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : « إلا ماله » وقوله : « ما » زيادة من الناسخ .

نعم ، والسكينة المجموعة من كل ما سلف القول فيه تقاسمها نوع الإنسان بالزيادة والنقصان ، والعموض والبيان ، والقلة والكثرة ، والضعف والقوة ، وهذا يتبين بأن تقسيم الطيش والحدة والعجلة والخفة على أحبابها ، فتجد التفاوت ظاهراً .

وكذلك إذا قسمت الهدوء والقرار والسكون والوقار على أهلها ، فإنك تجد التباين مكشوفاً والاختلاف ظاهراً .

ثم قال : أما السكينة التي هي في أعلى المراتب فهي لأشخاص هم فوق البشر ، وليس لهم نسبة من الخلق إلا الخلقة الحسنة والعشرة البشرية ، وإلا فهم في ذروة عالية ، ومحلة إلهية .

قال : وأما السكينة التي تلي هذه فهي للأنبياء على اختلاف حظوظهم منها لأنها مراتب تنقسم بين المنام واليقظة اتقساماً متفاوتاً بالعرض الحامل للصدق والتشبيه بالصدق ، ولحق ولقرب من الحق ، وللصحيح والتألي للصحيح ، ثم يختلف بيانهم عن^(١) ذلك بالتمريض والإيضاح ، والكناية والإفصاح ، والتشبيه والاستعارة .

قال : فأما السكينة التي تتلو هذه فهي التي تظهر على طائفة تخلف الأنبياء ، وذلك أن بقايا قواهم يرثها الذين محبوبهم ، واستضاءوا بنورهم ، وفهموا عنهم ، ولقنوا منهم ، ودخلوا في زمرتهم ، وحاكوم في الشئائل والأخلاق ، وسلكوا منهاجهم في القياد والسياق ، وصلحوا سفراء بين الأبدن ، كما كانوا سنجراء^(٢) للأقربين ، وهم الذين يفسرون الغامض ، ويوضحون المشكل ، ويسطرون العلوي ، ويشرحون المكني ، ويبرزون المراد والمعنى ، ويوطدون الأساس ،

(١) « ما بهم على » .

(٢) « سرجاً » . والسجراء : الأصدقاء الأصفياء .

ويرفعون الالتباس ، وينفون الوحشة ويحدثون الإيناس .
 وأما السكينة الباقية فهي مفضوضة على أتباع هؤلاء بالسهم العلوية ، والمقادير
 العدلية ، والمناسيب العقلية ، من غير جَوْر ولا حَيْف ، ولا انحراف ولا ميل .
 قال البخاري : أهي — أعنى السكينة — فى معنى فاعلة أو مفعولة ؟ فقال :
 القضاء أمرض ^(١) بما تظن ، وإن كان فى غاية العرض ؛ والذروة أعلى من أن
 ترام وإن كان الإنسان يطلبها بالبسط والقبض .
 هى بوجه فى معنى فاعلتها إذا شعرت بتأثيرها ، وبوجه آخر فى معنى مفعولة إذا
 شعرت بتأثرها .

وبوجه آخر ، ليست من هذين القبيلين فى شىء إذا لحظتها فى معانيها قبل
 تأثيرها وتأثرها ، وأنت تعتبر حد الفاعل والمفعول من شكل اللفظ ووزن الترتيب ،
 بشائع العادة وقائم العرف ، والسكينة وراء هذا كله بالحق والواجب والصحة والتمام
 فإنها صراط الله للمخصوصين بالاستقامة عليه ، فإذا شهدت الخصوص بها كانت
 عبارتك عن الملحوظ منها مشاكلةً لعبارتك عن أخلاق رضىة وأحوال مرضية ،
 وإذا شهدت ذلك المعنى من معانى الحق كانت عبارتك متلجلجة لا نظام لها
 ولا تعادل ولا أتساق على العادة الجارية والحال الطارئة ؛ فأحق ما ينبغى لطالب
 الحكمة واللائد بهذه الحومة أن يبحث وينظر ، ويكشف وينقر ، ويستقصى ويستبصر ^(٢)
 ويسأل ويستبصر ؛ حتى إذا بلغ هذه الآفاق ، وشهد هذه الأعلام ، ووجد الصواب
 الذى لا شوب فيه ، وصادف اليقين الذى لا ريب معه ، وعرف الاستبانة التى تنفى
 عن البيان ، وذاق المعنى الذى هو فوق العيان ، أمسك واتمى ، ووقف واستغنى

(١) « القضاء أغض » .

(٢) « ويصبر » .

لا لِعَرَضٍ ظلامٍ غَشِيَةٍ ، ولكن لسلطانٍ شُعاعٍ مَلَكَةٍ ؛ لأن ذلك النور محيط بكل شيءٍ دونه ، ومستَوِلٍ على كلِّ شيءٍ تحته .

وكان يقول في هذا الفن إذا جدَّ به الكلام وبدأ منه المكتوم وشرد عنه الخاطر ما لا يُوعَى بحفظ ، ولا يُروى بلفظ .

وإنما كان أصحابنا ينتظرون منشوره بهذه الحروف لفظاً لينظموا منه شذراً وعقداً ، وكانوا إذا تلاقوا اشتروا في تقويم ذلك كله ، وتعاونوا على تحبيره ، وتصادقوا [على] مفهومهم منه ، وتجنبوا المنازعة والشغب عليه ، وأخذوا بالعفو والممكن منه ، لئلا يفوتهم المعنى ، ولا يتحيرون في المنتهى .

(٢) وسأله الأندلسي في هذا المجلس عن الأمم وأحوالها ، ونقصها^(١) وكملها ؛ فقال : اشتريت الأمم في جميع الخيرات والشرور ، وفي جميع المعاني والأمور : اشتراكاً أتى على أول التفاوت ووسطه وآخره ، ثم استبدت كلُّ أمة بقوالب ليست لأختها ، واشتراكهم فيها كالأصول واستبدادهم كالفرع ، وفيما اشتروا فيه الحمود والذموم .

ولم يَجْزُ في الحكمة الإلهية غيرُ هذه القسمة ، لأن الاشتراك لو سبق بلا تفاوت لم يكن اشتراكاً ، والتقسام لو عَرِيَ من الاتفاق لم يكن تقاسماً ، فصار ما من أجله يفرقون ، به يجتمعون ، وما من أجله ينتظمون ، به ينتثرون .

فعلى هذا أشتروا في الأخلاق واللغات ، والعقائد والصناعات ، وجزَّ المنافع ودفع التضرار ، مع اختلافهم فيها بنوع ونوع .

ألا ترى أن لغة الهند غيرُ لغة الروم ، وكذلك الصناعة والعقيدة وما يجري مجراها ، إلا أنهم مع هذه الأصول والقواعد تقاسموا أشياء بين الفطرة والتبني ،

وبيّن الاختيار والتقدمة ، فصار الاستنباط والغوص والتنقيب والبحث والاستكشاف والاستقصاء والفكر [ليونان^(١)] والوم والحُدس والظن والحيلة والتحيل والشعبنة [لهند^(٢)] والحصافة^(٣) واللفظ والاستعارة والإيجاز والأتساع والتصريف والسّحر باللسان للعرب ؛ والروية والأدب والسياسة والأمن والترتيب والرسوم والعبودية والثرثورية للفرس .

فأما الترك فلها الشجاعة . والعرب تشاركها إما بالزيادة وإما بالمساواة ؛ وليس للترك بعد هذا حظ ولا دراية إلاّ بقسط من الظلّ من الشخص .
والعرب مع منطقتها البارِع لها المزية المعروفة على الترك بعدُ [في^(٤)] السياسة وإن كانت قاصرة ؛ وأما الزّيج والسودان فغلبت عليها الفُسولة وشاكلت البهائم الضعيفة ، كما شاكلت الترك السّباع القويّة .

قيل له : إن أبا زيد قد عمل كتابا في أخلاق الأمم . قال : قد رأيتُه وقرأتُه وقد أفاد ، وكلّ من تكلم على^(٥) طريقة الحكماء الذين يتوخّون من الأمور لبابها ، ويصرفون عنها قشورها ، فله السابقة والتقدّم على من يخطئ كفلان وفلان .
ومن جحد بلاغة العرب في الخطابة وجوّالانها كلّ مجال وتبَيّزها باللسان فقد كابر ، ومن أنكر تقدّم يونان في إثارة المعاني من أمانتها وإقامة الصناعات بأسرها ، وبحثها عن العالم الأعلى والأوسط والأسفل فقد بهت .
ومن دفع مزية الفرس في سياستها وتديراتها وترتيب الخاصة والعامة بحق مالها وعليها فقد عاند .

(١) يلوح لنا أن هاتين الكلمتين اللتين بين مربعين ساقطتان من الأصل كما يدل على ذلك ما يأتي بعد من قوله : « ومن أنكر تقدم يونان في إثارة المعاني » إلخ كما يدل عليه أيضاً كلام سبق في المفاضلة بين العرب وغيرهم من الأمم في أوائل هذا الجزء .

(٢) « والحصلة » .

(٣) كلمة « في » زيادة منا يدل عليها المعنى .

(٤) في الأصل « غير طريقة » .

وهكذا مَنْ دفع ما للهند ، فليس من شخص وإن كان زريًا قميثًا إلا وفيه
مِرَّةٌ كامنٌ لا يَشْرُكُه فيه أحد ، وإذا كان هذا في شخص على ما قلنا ، فكيف
إذا نظرتَ إلى ما يحويه النوع . وهكذا إذا أرتقيتَ إلى الجنس ، وهذا لأن
عَرَضَ الجنس أوسعُ من عَرَضِ النوع ، كما أن عَرَضَ النوع أوسعُ من عَرَضِ
الشخص ، وليس دون الشخص تحت ، كما أنه ليس فوق الجنس فوق ^(١) . وأما
انقسام هذه الثلاثة على هذا فليكون فضاء العالم غاصًا بالطرف والوسط والأفق
وليكون سَجًّا بالغًا من المصدر إلى المورد .
وعلى هذا لولا الجنس لم يُوجد نوعٌ ، ولولا النوع لم يوجد شخص .
وكذلك العكس .

قال أبو سعيد الطيب : ألعالم العلويُّ أجناس وأنواع وأشخاص ؟ قال :
كيف يخلو العالم العلويُّ من هذا التقسيم ، وإنما هذا الذي لحقنا في العالم السفلي
حكايه ذلك العالم العلويِّ حَذَوِ النمل بالنمل والقُدَّة بالقُدَّة . فقال له مستزيذا :
فهل في البسائط الإلهية أجناس وأنواع وأشخاص ؟ فقال : لا ، إلا أن يتخذ
شيءٌ من هنالك قراره في معارض العالم السفليِّ بقوة العالم العلويِّ ، وذلك كالبرق
إذا خَطَفَ ، والتسيم إذا لطف .

قال : فهل ينال البسائط نقصٌ بالإخبار بالأجزاء المركبة عنها كما ينال
المركبات كمالٌ بالأجزاء البسيطة عنها ؟

فقال ، لا ، لأن ماعلا يؤثر ولا يقبل التأثير ؛ وما سفلي يتأثر . ألا ترى أن
ماعلا من الكواكب لا يتصل بشيء دونه ، وما سفلي منها يتصل بما علا عنه .
وقال له أيضا : إذا قلنا : الرُّوحانيات ، فإذا ينبغى أن يُلاحظ منها ؟ فقال : (٤)

الروحانيات على أقسام ؛ فقسم منها متبدّد في المركّبات من الحيوان والجماد ، وقسم منها مكتنفٌ للحيوان والجماد ، وبحسب هذا الأكتناف هو أبسط وألطف من القسم الأوّل المتبدّد ؛ وقسمٌ منها فوق القسم المكتنف ، وهو الذي منه مادّة المحيط ؛ وقسم آخر فوق هذا الممتدّ ، ثم فوق هذا ما لا يملكه وهم ، ولا يُدرّكه فهم ؛ وذلك أنه في جناب القدس وحيث لا مرّامَ لشيء من قوَى الجنّ والإنس .

(٥) وسألتُ أبا سليمان فقلت : إن عليّ بن عيسى الرثانيّ ذكر أن التمكن من القبيح قبيح ، لأن التمكن من الحسّن حَسَن . فلو كان التمكن من القبيح قبيحا مع كونه من الحسّن حَسَنًا كان حَسَنًا قبيحا ؛ وهذا تناقض ؛ كيف صحّة هذا الذي أومأ إليه ؟

فقال : أخطأت^(١) ، لأن التمكن وحده اسمٌ مجرّد لشيء محدّد ، والأسماء المحدّدة دلالتها على الأعيان لا على صفات الأعيان أو ما يكون من الأعيان أو ما يكون في الأعيان .

والتمكن معتبر بما يضاف إليه ويناط به ، فإن كان من القبيح فهو قبيح لأنه علّة القبيح ، وإن كان من الحسّن فهو حَسَن لأنه سببُ الحسّن .

وهذا كما تقول : هذا الدرهم نافع أو ضارّ ؟ فيقال : إن صرفته فيما ينبغى فهو نافع ، وإن أتفته فيما لا ينبغى فهو ضارّ ، وكذلك السيف في الآلات ، وكذلك اللفظ في الكلمات ، والإضافة قوّة إلهيّة سرت في الأشياء سريانا غريزيا قاهرا متملكا قاسرا ، فلا جرم لا ترى حسيا أو عقليا أو هميا أو ظنيا أو علميا أو عرقيا أو عمليا أو حلميا أو يقظيا إلا والتصاريف سارية فيها ، والإضافة حاكّة عليها . وهذا لأن الأشياء بأسرها مصيرها إلى الله الحق ، لأن مصدرها من الله

(١) « أخطأ » .

الحق ، فالإضافة لازمة ، والنسبة قائمة ، والمشابهة موجودة . ولولا إضافة بعضنا إلى بعض ما أجتمعنا ولا أفرقنا ، ولولا الإضافة ينفنا الغالبة علينا ما تفاهمنا ولا تعاوننا .

قال : إذا كنا بالتضاييف نتوالى ، فبأي شيء بعده نتمادى ^(١) ؟ قال : هذا أيضا بالإضافة ، لأن الإضافة ظل ، والشخص بالظل يأناف ، وبالظل يختلف . وقال : ويزيدك بيانا أن العدم والوجود شاملان لنا ، سائران فينا فبالوجود نتصادق ، وبالعدم نتفارق .

وسأل ^(٢) مرة عن الطرب على الغناء والضرب وما أشبههما .
(٦) فكان من الجواب : قيل لسقراط فيما ترجمه أبو عثمان الدمشقي . لم طرب الإنسان على الغناء والضرب ؟ فقال : لأن نفسه مشغولة بتدبير الزمان من داخل ومن خارج ، وبهذا الشغل هي محجوبة عن خاص مآلها فإذا سمعت ألغناء أنكشف عنها بعض ذلك الحجاب ، فحنت إلى خاص مآلها من المثالات الشريفة والسعادات الروحانية من بعد ذلك العالم ، لأن ذلك وطنها بالحق .

فأما هذا العالم فإنها غريبة فيه ، والإنسان تابع لنفسه ، وليست النفس تابعة للإنسان ، لأن الإنسان بالنفس إنسان ، وليست النفس نفسا بالإنسان ، فإذا طربت النفس — أعني حنت ولحظت الروح الذي لها — تحركت وخفت فأرتاحت واهتزت .

ولهذا يطرح الإنسان ثوبه عنه ، وربما مزقه كأنه يريد أن ينسل من إهابه

(١) « تنقاد » .

(٢) سأل ، أى الوزير .

أنه لا بدن له ، فيكون له عَرَض ، والعَرَض كله للممكن بالنعمة الذي سلف من الكثرة والقلة والمساواة .

ولهذا تعلقت التكاليف به في ظاهر الحال وبادئ الأمر وعارض الشان ، وأستولى الوجود عليه بباطن الحال وخفى الأمر وراتب^(١) الشان . لكن هذا الفصل الذي اشتمل على الظاهر والباطن ليس ينكشف للحس كما ينكشف للعقل .

ولما كنا بالحس أكثر — وإن كنا لا نخلو في هذه الكثرة من آثار العقل — لزِمنا الاعتراف بعوائد الممكن وعلائقه ، والعمل عليه ، والرجوع إليه إذا أمرنا أو نهينا أو ائتمرنا [أو اتهمنا]^(٢) .

ولما ظهر لنا بإزاء هذا الذي كنا به أكثر أن لنا شعبا آخر نحن به أقل وهو العقل يشهد لنا بأن صورة الوجوب أستولت من مبدأ الأمر إلى منقطعه الذي هو في عَرَض الواجب إلى آخر المتنفع .

وكما لزِمنا الاعتراف الأول لنكون به عاملين ومستعملين ، ورافعين وواضعين ، ولأعین وملومين ، ونادمين ومُندِمين ؛ كذلك لزِمنا الاعتراف بسلطان الواجب الذي لا سبيل إلى عزله ، ولا حيص عن الإقرار به ، ولا فكاك من أطرادِه بغير دافع أو مانع .

واتصل كلامُ ابن يعيش على تقطُّع في عبارته التي ما كانت أداته تواتيه فيها ، مع تدفق خواطره عليها ؛ فقال : الرؤيا ظِلٌّ أَلَيَقْظَةُ ، وهي واسطة^٢ بين

(١) « رأيت » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

الذى لصيق به ، أو يُقِلَّت من حصاره الذى حُبِس فيه ، ويهرول إلى حبيبه الذى قد تمجلى له وبرز إليه .

إلا أن هذا المعنى على هذا التضيد إنما هو للفلاسفة الذين لهم عناية بالنفس والإنسان وأحوالها .

وأما غيرهم فطربهم شبيه بما يعترى الطيرَ وغيرها ، وأنصرفت .

الليلة الخامسة عشرة

(١) وجرى مرة كلامٌ فى الممكن ، فحكيتُ عن ابن يعيش الرقى فصلا سمعته يقوله ، لا بأس برسمه فى هذا الموضع ، فإن التشاور فى هذا الحرف دائم متصل وينبغى لنا أن نبحث عنه بكل زحف وحبو^(١) ، وبكل كذب وعقو .

قال : الممكن شبيه بالرؤيا لا بدن له يستقل به ، ولا طبيعة يتحيز فيها . ألا ترى أن الرؤيا تنقسم على الأكثر والأقل والتساوى ، وكما أن الرؤيا ظلٌّ من ظلال اليقظة ، والظلُّ ينقص ويزيد إذا قيس إلى الشخص ؛ كذلك الممكن ظلٌّ من ظلال الواجب ، فطورا يزيد تشابها للواجب ، وطورا ينقص تشاكها للممتنع ، وطورا يتساوى بالوسط .

قال : والواجب لا عرض له ، لأنه حد واحد ، وله نصيب من الوحدة بدليل أنه لا تغير له ولا حيلولة لا بالزمان ولا بالمكان ولا بالحدثان ولا بالطبيعة ولا بالوهم ولا بالعقل ، بل العقل ينقاد له ، والطبيعة تسلم إليه ، والوهم يفرق منه وصورة الواجب لا يحدسها الظن ، ولا يتحكم فيها تجويز ، ولا يتسلط عليها دامن ولا ناسخ ، وهذا الحكم يطرد على الممتنع ، لأنه فى مقابلته على الضد ، أعنى

(١) « حبو وزحف » .

اليَقَظَة والنوم ، أعنى بين ظهور الحِسِّ^(١) بالحركة ، وبين خفائه بالسكون .
قال : والنوم واسطة بين الحياة والموت ، والموت واسطة بين البقاء الذى
يتصل بالشهود^(٢) وبين البقاء الذى يتصل بالخلود .

قال : وهذا نعتٌ على تسهيل اللفظ وتقريب المراد والتصوّر ؛ والثقة شوك
القتاد ، وأزدرأء العَلَمِّ والصاب ، للجواجز القائمة والموانع المعترضة من الإلف
والتمشأ وغير ذلك مما يطول تعديده ويشق استقصاؤه .

فقال^(٣) : هذا كلامٌ ظريف ، وما خلتُ أن ابنَ يعيش مع فدامته^(٤) ،
ووَخَامَتِهِ يسحب دَيْلَهُ في هذا المكان ، ويُجرى جِوَادَهُ بهذا العِنان .

قلتُ له : إنَّ له مع هذه الحالِ مرامىً بعيدة ، ومقاصدَ عالية ، وأطرافاً
من المعانى إذا اعتلَّقهم دَلٌّ عليها ، إما بالبيان الشافى ، وإما بما يكون طريقاً إلى
الوهم الصافى .

وقلتُ : لقد مرَّ له اليومَ شيءٌ جرى بينه وبين أبى الخير اليهودى^(٥)
أستفيد^(٥) منه .

قال : وما ذاك ؟ أنثرَ علينا دُرَرَ هذه الطائفة التى نميل إليها بالأعتقاد
وإن كنّا نقع دونها بالأجتهاد ؛ ونسأل الله أن يرحمَ ضَعْفَنَا الذى منه بُدِثْنَا^(٦)
وبدَّلْنَا قوَّةَ بها نَجِدُ قُرْبَنَا فى آخرنا .

(١) « والحركة » .

(٢) « بالبنود » .

(٣) فقال ، أى الوزير .

(٤) « فدامته » باللفاف .

(٥) فى الأصل « ما استفيد » و « ما » زيادة من الناسخ .

(٦) « وورينا » . وبدثنا ، أى خلقنا .

قلت : ذكر أن العقل لا غناء ^(١) له في الأشياء التي تغلب عليها الحيلة والسيلان والتطوّل ، كما أن الحس لا ينفذ في الأمور التي لا تطوّر لها بالحيلة والتطوّل ، ولذلك عرفت الحكمة في الكائنات الفاشيات ^(٢) ، وخفيت العلل والأسباب في بدوّها وخفيتها وتبدّدها وتألّفها ، لكنّ هذا الفرق والخفاء مسلّمان للقُدرة المستعملية والمشيئة النافذة .

قال : ولهذا الترتيب سرٌّ ^(٣) به حسن هذا النعت ، وإليه انتهى هذا البحث وذلك أن خفاء ما خفي بحقّ الأول الحق ، وبدوّ ما بدا من نصيب أطلاق للذي ^(٤) لا يحتمل غير هذا الثقل ، ولو خُفّف عنه هذا للحقّ الإنسان البهائم ، ولو ثقل عليه هذا للحقّ الملائكة ، فكان حينئذ لا يكون إنسانا ، وقد وجب في الأصل أن يكون إنسانا كاملا بالنصب والدأب ، ويمتعض من أن تكون صورة الإنسان عنده معارة ، لأنه في الحقيقة حيوان غير ناطق ، بل يجتهد بسمعه وكده أن يصير إنسانا فاضلا ، ويكون في فضله وكأله ملكا ، أعنى بالمشاكهة الإرادية لا بالمشاكهة النوعية .

قال : وغاية الحكمة منها للباشرين لها أن المعرفة تقف على خيولتها ولسيلاتها فقط ، لا على تصفّح أجزائها ، لأن الترتيب فيها يستحيل مع الزمان . ألا ترى أن الرقّ على الماء لا صورة له ، لأن صفحة الماء لا ثبات لها ، وكذلك الخطّ في الهواء ، وكذلك الكائنات البائذات ^(٥) لا صورة لها ، لأنها لا ثبات

(١) « غناء » .

(٢) « الفاسدات » .

(٣) « سرّه » .

(٤) « الذي » .

(٥) « البائذات » .

لها ، وأنت إذا وجدت شيئاً لا ثبات له لم تضمّ إليه شيئاً آخر لا ثبات له طمعاً في وقوع الثبات بينهما ، هذا ما لا يدين به وهم ، ولا ينقاد له ظنّ ؛ ولو ساغ هذا لساغ أن يُجمع بين ماله ثبات ، وبين ماله أيضاً ثبات ، فيحدث هناك سَيِّلانٌ وأستحالة .

(٤) وقال : وَصَفُ العَقل بشهادة الحسّ ، كما يكون وصف الحسّ بشهادة العقل إلا أن شهادة الحسّ للعقل شهادة العبد للمولى ، وشهادة العقل للحسّ شهادة المولى للعبد ؛ على أن هاتين الشهادتين لا يطردان ولا يستمرّان ، لأن لكل واحد من الحسّ والعقل تفرّداً بخاصّ ماله ، ولذلك ما وُجد حيوانٌ لا عقل له البتة ، ووُجد في مقابلته حتى لا حسّ له .

ثم قال : بل العقل يحكم في الأشياء الروحانية البسيطة الشريفة من جهة الصُّور الرفيعة ، والعلائقُ التي بين المعقولات والحسوسات مانعت العقل ، والعاقل من خلص^(١) الباقيات الخالديات الدائمات القائمات الثابتات من حومة الكائنات الفاسدات البائئات^(٢) المذهبات الحائلات الزائلات المائلات البائئات .

ودخل في هذا التلخيص ضربٌ من الشكّ والتمازى والخصومة والتعاضد والتعنّت إلى اختلاف عظيم ، ووقفتُ عن الحكم بعد اليقين .

(٥) وقال — أدام الله سعادته — ما السَّجِيَّةُ^(٣) ؟ قلت : سمعتُ الأندلسيّ يقول : فلان يمشى على سَجِيَّتِهِ^(٣) ، أى طبعه^(٣) .

(٦) قال : هل يقال : ظفرتُ عليه ؟ قلتُ : قد قال شاعرهم .

وكانت قريش لو ظفروا عليهم شفاء لما في الصدر والنقص ظاهر

(١) « في تخليص » .

(٢) « البائئات » .

(٣) وردت هذه الكلمات الثلاث التي تحت هذا الرقم في الأصل هكذا « السه »

« حسه » . « لحفته » . والتعريف فيها ظاهر .

قال : هذا حسن . قلت : الحروف التي تتعدى إلى الأفعال ، والأفعال التي تتعدى بالحروف ؛ يراعى فيها السماع فقط لا القياس .

هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد ؛ وقد جاء أيضا « ظفربه » ؛ وجاء « سخرتُ به ومنه » .

ومن لا أتوسع له في مذهب العرب يظن أن « سخرتُ به » لا يجوز وهو صحيح . حكاه أبو زيد .

قال : كيف يقال في جمل به غدة ؟ فكان من الجواب : جمل مُغِد . قال : فكيف يُجمع ؟ فكان الجواب بأنه في القياس ظاهر ، ولكن السماع قد كفى . قال الشاعر — وهو خراش بن زهير :

فَقَدْ تَكْمُو^(١) وَلَحْظُكُمُو إِلَيْنَا بَبْطُنٍ عُكَاطَ كَالإِبِلِ الْغِدَادِ^(٢)
ضَرَبْنَاهُمْ بِبَبْطُنٍ عُكَاطَ حَتَّى تَوَلَّوْا طَالِعِينَ مِنَ النَّجَادِ
وقال — حرس الله نفسه — من لقبه^(٣) الخُرَاسِيَّ إلى أي شيء يُنسب ؟
فكان من الجواب : يقال : رجل خُرَاسَانِيٍّ وخُرَاسِيٍّ وخُرَاسِيٍّ ، فنُسبت^(٤)
إلى رجل نزلها^(٥) فاشتهرت به .

فقال : القَذال كيف يجمع ؟ فكان من الجواب أن فعَالاً وفِعَالاً وفُعَالاً وفَعِيلًا وفُعُولًا أخوات تُجمع في الأقل على أَفْعَلَةٍ ، يقال : حِمَارٌ وأَحْمَرَةٌ ، وَغُرَابٌ وأَغْرَبَةٌ ، وَقَذَالٌ وَأَقْذَلَةٌ ، وَعُمُودٌ وَأَعْمَدَةٌ .

(١) في اللسان مادة (غدد) : « عدمكم ونظرتكم »

(٢) في كتب اللغة مادة (غدد) أن غدادا جمع (غاذ) لا جمع سامعي (المُسَيْد) كما تفيد عبارة المؤلف .

(٣) « له » .

(٤) أي نسبت كورة خراسان إلى رجل اسمه خراسان ، كما في كتب اللغة .

(٥) ورد في الأصل بمد قوله « نزلها » هذه الكلمة : « سه » مهملة الحروف من التقط ؛ ولم نبتين الصواب فيها .

قال : نسيت^(١) أسألك عن المسألة الأولى — أعني الخُرُصَى — من أين لك تلك الفتيا ؟

فكان من الجواب : قرأته على أبي سعيد الإمام في شرحه كتاب سيديوه .
قال : برزت غليلي ، فإنَّ الحجَّةَ في مثل هذا متى لم تكن بأهلها كانت متلجلجة .

قال : أنشدني شيئاً نختم به المجلس ، فقد مررت طرائف .
فأنشدته لهُمارةَ بنِ عقيل في بنت^(٢) له :

حُبِّكَ يَأْذَاتُ الْأُنَيْفِ الْأَكْشَمَ^(٣) حُبُّ تَسَاقَاهُ مُشَاسُ^(٤) أَعْظَمِي
وَدَبَّ بَيْنَ كَيْدِي وَتَحْزَمِي وَسَاطَهُ^(٥) اللَّهُ بَلَحْمِي وَدَمِي
فَلَيْسَ بِالْمَذْقِرِ وَلَا الْمَكْتَمِ وَلَا الَّذِي إِنْ يَتَقَادَمَ يُسَامِ
لَقَدْ تَزَلَّتْ مِنْ فَوَادِي — فَأَعْلَى — مَنْزِلَةَ الشَّيْءِ الْمُحِبِّ الْمَكْرَمِ
وَانصَرَفْتُ .

الليلة السادسة عشرة

(١) ثم عُدْتُ وقتاً آخر فقال : كنتَ حكيتَ لي أَنَّ العامريَّ صنَّفَ كتاباً
عنوانه (بِإِقْظَاذِ الْبَشَرِ مِنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ) ، فكيف هذا الكتاب ؟
فقلتُ : هذا الكتاب رأيته بخطه عند صديقنا وتلميذه أبي القاسم الكاتب
ولم أقرأه على العامريِّ ، ولكن سمعتُ أبا حاتم الرازي يقرؤه عليه ، وهو كتاب

(١) « لست » .

(٢) هذه الكلمة في الأصل مهلة الحروف من التقط .

(٣) الأكسم : المقطوع ، يريد وصفها بصغر الأنف حتى كأنه قد قطع منه جزء .

(٤) المشاس : كل عظم لا مغ فيه .

(٥) ساطه : خلطه .

تفيس ، وطريقة الرجل قوية ، ولكنه ما أنقذ البشر من الجبر والقدر ، لأن الجبر والقدر اقتسما جميع الباحثين عنهما والناظرين فيهما .

قال : لم قيل الجبر والقدر ولم يُقَلَّ الإيجاب .

فكان الجواب : أن الإيجاب^(١) لغة قوم ، والجبر لغة تميم ، يقال : جبر الله الخلق وأجبر الخلق ، وجبر بمعنى جبل ؛ واللام تعاقب الراء كثيراً .

قال : فتكلم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامري ، واتقد له إن كان الحق فيما ذهب إليه ودل عليه .

فكان من الجواب : أن من لحظ الحوادث والكوائن والمواد والأوتار من معدن الإلهيات أقر بالجبر وعزى نفسه من العقل والأختيار والتصرف والتصرف ، لأن هذه وإن كانت ناشئة من ناحية البشر ، فإن منشأها الأول إنما هو من الدواعي والبواعث والصوارف والموانع التي تنسب إلى الله الحق ؛ فهذا هذا .

فأما من نظر إلى هذه الأحداث والكائنات والأختيارات والإرادات من ناحية المباشرين الكاسبين الفاعلين المحدثين اللامعين للمؤمنين المكافئين ، فإنه يعلقها بهم ويُلصِقها برقابهم ، ويرى أن أحداً ما أتى إلا من قبل نفسه وبسوء اختياره وبشدة تقصيره وإيثار شقائه ؛ والملاحوظان صميمان واللاحظان مصبيان ، لكن الاختلاف لا يرتفع بهذا القول والوصف ، لأنه ليس لكل أحد الوصول إلى هذه الغاية ، ولا لكل إنسان اطلاع إلى هذه النهاية .

فلما وقعت البيئونة^(٢) بين الناظرين بالطبع والنسبة لم يرتفع القال والقيل

(١) « من الإيجاب » ، « ومن » زيادة من الناسخ .

(٢) « السوية » .

من ناحية القول والصفة ، فهذا هذا .

قال — أطل الله بقاءه — فما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال : إن القضاء مصدره من العلم السابق ، والقدر مؤرده بالأجزاء الحادثة .

فقال : لم ورد في الأثر ؟ : « لا تخوضوا في القدر فإنه سرُّ الله الأكبر » .

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال لنا في هذه الأيام . إن الناموس ينطق بما هو أمتصلاح عام ، ليكون النفع به شائعاً في سكون النفس وطيب القلب وروح الصدور .

فإن كان هذا هكذا فقد وضح أن حكمة هذا السرِّ طيبة ، لأن عجز الناظرين يُفرض بهم إلى الحيرة ، والحيرة مضلة ، والمضلة هلكة . وإذا كانت الراحة في الجهل بالشئ ، كان التعب في العلم بالشئ ، وكَم علم لو بدا لنا لكان فيه شقاء عيشنا ، وكَم جهل لو ارتفع منا لكان فيه هلاكنا ؛ [والعلم] ^(١) والجهل مقسومان بيننا ومفوضان علينا على قدر احتمال كل واحد منا للذي سبق إليه وعلق به ، ألا ترى أن علمنا لو أحاط بموتنا متى يكون ؟ وعلى أي حال تحدث العلة ^(٢) أو الحنة أو البلاء ؟ لكان ذلك مفسدة لنا ، ومحنة شديدة علينا .

فأنظر كيف زوى الله الحكيم هذا العلم عنا ، وجعل الخيرة فيه لنا . ألا ترى أيضاً أن جهلنا لو غلب علينا في جميع أمورنا لكان فساد ذلك في عظم الفساد الأول ، والبلاء منه في معرض البلاء المتقدم ، فمن هذا الذي أشرف على هذا الغيب المسكون والسر الخزون فينقل عن الشكر الخالص ، والاستسلام الحسن ، والبراءة من كل حول وقوة .

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في الأصل : « أو العلة » ، « وأو » زيادة من الناسخ .

فالأستعداد ممن له الخلق والأمر ، أغنى الإبداء والتكليف ، والإظهار والتشريف ، والتقدير والتصريف .

قال : هذا فنٌ حسنٌ ، وأظنك لو تصديتَ للقصص والكلام على الجميع ^(١) (٢) لكان لك حظٌ وافر من السامعين العاملين ، والخاضعين والحافظين . فكان من الجواب : أن التصدي للعامة خلوة ^(٢) ، وطلب الرفعة بينهم ضعة ، والتشبه بهم نقيصة ؛ وما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولؤنته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم وقبولهم وعطائهم وبذلهم . وليس يقف على ألقاصٍ إلا أحد ثلاثة .

إما رجل أبله ، فهو لا يدري ما يخرج من أمِّ دماغه .
وإما رجل عاقلٌ فهو يزدرية ^(٣) لتعرضه لجهل الجهال ، وإماله نسبة ^(٤) إلى الخاصة من وجه ، وإلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب عليه من الإنكار الجانب للهجر ، والأعتراف الجانب للوصل ، فالقاص ^(٥) حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداواة هذه الطوائف ، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية ، ولذاته العقلية ، وينقطع عن الأزدیاد من الحكمة بمجالسة أهل الحكمة ، إما مقتبساً منهم ، وإما قابساً لهم ؛ وعلى ذلك فما رايت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما وإلا ديناراً أو ثوباً ؛ ومناصبه شديدة المائليه وعُداته . قال : إن الليل قد دنا من فجره ، هاتِ ملحّة الوداع .

(١) يريد بالجميع ، العامة .

(٢) يريد بالخلوة هنا معنى التبدل والامتحان . يقال : خلق التوب بتثليث اللام خلوة وخلقة : إذا بلى .

(٣) يزدان به .

(٤) ورد في الأصل بمد هذه الكلمة قوله : « له » وهي زيادة من الناسخ .

(٥) « فالقاص » .

قلتُ : قال يعقوب صاحب (إصلاح المنطق) :

دخل أعرابي الحمام فزلق فأشجَّ ، فأنشأ يقول :

وقالوا تظلمون إنه يؤمُّ مُجمَعَةً فرُحْتُ من الحمام غيرَ مُعلَّمَرٍ
تردَّيتُ منه [إشارياً] ^(١) شجَّ مفرقٍ بفلسين إني بش ما كان متَجَرِّمٍ
وما يُحسِّنُ الأعرابُ في السوقِ مشيَّةً فكيف بيَّيت من رِخامٍ ومزَمَرٍ
يقول لي الأنباطُ إذ أنا نازل ^(٢) « به لا بطلِّي بالصَّريَّةِ أَعفَرٍ » ^(٣)
وقال — حرس الله نفسه — كنتُ أروى قافية هذا البيت « أعرفا » ،
وهذه فائدة كنتُ عنها في ناحية ؛ وأنصرفت .

(٧) قد رأيتُ أيُّها الشيخ — حاطك الله — عند بلوغي هذا الفصل أن أختمَ
الجزءَ الأوَّلَ بما انتهى إليه ، وأشفقته بالجزء الثاني على سياج ما سلف نظَّمه
ونثره ، غيرَ عاجِزٍ على ترتيبٍ يحفظُ صورةَ التصنيف على المادة الجارية لأهله ،
وهذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأنَّ الحديث كان يجرى على عَوَاهِدِهِ بحسب
السامع والدَّاعى .

وهذا الفن لا ينظم أبداً ، لأنَّ الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، وإنما يملك
ما هو له وإليه .

وهذا فصل يحتاج إلى نفسٍ مديد ، ورأيٍ يصدر عن تأييدٍ وتسديد ^(٤) ؛
والسلام ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين ،
وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل ؛ وبقي البيت يقتضى ما أمبئنا .

(٢) « تارك » .

(٣) هذا مثل يضرب في العماة بالرجل . يريدون أن الكروه ينزل به ولا ينزل بطلِّي
أعفر ؛ كأنه من الحسة والهران بحيث يفغسل عليه الظي الأعفر .

(٤) في نسخة ميلانو بعد قوله : « وتسديد » ما نصه : أنشئت هذه الرسالة في رجب
سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

فهرست الاعلام

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|---|--|
| ابن الجمل — ٣ : ٦٦ | إبراهيم بن العباس الصولي — ٧ : ٥٨ |
| ابن الحجاج = أبو عبد الله الحسين بن أحمد | إبراهيم بن حلال أبو إسحاق الصابي — |
| ابن الحجاج | ١٣ : ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ و ١٧ * |
| ابن حنبل = أبو القاسم بن حنبل | ابن أبي بكر — ٦ : ١٠٨ |
| ابن حنبل — ٨ : ١٣٠ | ابن أبي خالد — ١٣ : ٥٨ |
| ابن حيوة = محمد بن حيوة بن المؤمل | ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب |
| ابن خلكان — ٢١ : ٦٧ | ابن أبي طالب الجراسي الكاتب صواب |
| ابن الحمار = أبو الحفيظ الحسن بن سوار | أبو طالب = أبو طالب |
| ابن خيران = أبو علي الحسين بن صالح بن خيران | ابن الأثير — ٢١ : ١٣٧ ، ٢٤ : ٥٠ |
| ابن دارة — ١٤ : ٤٦ | ابن الأخشاب — ٦ : ١٠٨ |
| ابن درستويه — ٩ : ١٣١ | ابن الباقلي = أبو بكر محمد بن الطيب القاضي |
| ابن رباح — ٦ : ١٠٨ | ابن برن — ٦ : ٧١ |
| ابن ربن = علي بن ربن | ابن برمويه = الحسن بن برمويه |
| ابن رشيد — ٨ : ١٠٨ | ابن بنية الوزير — ١ : ٤٢ |
| ابن الرومي = أبو الحسن علي بن العباس | ابن بكش — ٤ : ٣٨ |
| ابن جزيق | ابن البيطار — ٢١ : ١٧٩ |
| ابن زرعة = أبو علي عيسى بن إسحاق | ابن ثابت — ١٥ : ٥٦ |
| ابن زرعة | ابن ثوبة أبو الهيثم — ٦٦ : ٦٦ ، ٥٨ |
| ابن السراج = أبو بكر محمد بن السري | ٩ : ١٠٣ ، ١٨ : ٩٧ و ١٨ * |
| ابن سهل | ابن جلة الكاتب — ١٣ : ٤٧ ، ٨ : ٤٢ |
| ابن سمدان — ١٣ : ٤٢ ، ١٩ : ٤٢ | ٨ : ٤٨ |
| ١٧ : ٦٦ | ابن جرير — ١١ : ٥٨ |
| ابن سكرة — ٧ : ١٣٧ | ابن جليات = أبو القاسم علي بن جليات |
| ابن السناك = أبو العباس محمد بن صبح | |
| الكوفي | |

ابن مسكويه — ١٨ : ٣٥
 ابن العلم = أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
 ابن القفح — ١٧ : ٧٠ ، ٩ : ٦٥ ، ١٧ : ٧٠ ،
 ٣ : ٧٣ ، ٤ : ٧١
 ابن مكينا = أبو علي بن مكينا
 ابن الملاح — ١٥ : ١٤٠
 ابن موسى — ١٠ : ٥٧
 ابن الناظر أبو منصور — ٨ : ٤٢ و ٩
 ابن نباتة السدي = عبد العزيز بن محمد الشاعر
 ابن النديم — ٢٣ : ٢٠ ، ٦٧ : ٢١ ،
 ١١ : ٧٩
 ابن نوبخت — ١٠ : ٥٨
 ابن هارون — ٧ : ٤٨
 ابن هندو — ٥ : ٦٣
 ابن الوراق — ١١ : ١٢٩
 ابن وهب — ٩ : ١٠٣
 ابن يحيى الملو — ٨ : ١٠٨
 ابن يعقوب — ٤ : ٣٨
 ابن ييش الرقي — ٣ : ١٠٥ ، ١٢ : ١٠٤
 ٧ : ٢١٦ ، ٢ : ١٠٧ ، ٧ : ١٠٦
 ٧ : ٢١٨ ، ١٧ : ٢١٧
 ابن يونس القناني = أبو بصرى بن يونس
 أبو إسحاق الصابي = إبراهيم بن هلال الكاتب
 أبو إسحاق مزبذ المدني — ١٧ : ٥٨
 * ٢٣
 أبو إسحاق النصيلي — ٤ : ١٤١
 أبو بصرى بن يونس القناني — ١٠ : ٧
 ١٣ و ١٧ و ٢٤ * ١٠ : ١٠٨
 ١١٢ ، ١ : ١١١ ، ٨ : ١٠٩
 ١٠ : ١١٥ ، ١ : ١١٤ ، ٧
 ١٠ : ١١٨ ، ١٤ : ١١٩ ، ٦ : ١٥
 ٩ : ١٢٢ ، ١١ : ١٢١
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث —
 ٥ : ١٥

ابن السمع = أبو علي بن السمع
 ابن سيرين — ١٣ : ٥٨
 ابن سيف الكاتب الراوية — ٨ : ٢٨
 ابن شاذان — ٣ : ١٣٤ ، ١١ : ١٢٩
 ابن شاهويه عامل مصمم الدولة — ٤٣ :
 ٥ و ١١ ، ٤ : ٤٨ ، ٣ : ٥٣
 ابن شاهويه الفقيه = أبو بكر محمد بن أحمد
 ابن علي
 ابن طنج — ٨ : ١٠٨ ، ١٩ : ٧٩
 ابن عباد = أبو القاسم إسماعيل الصباح
 ابن عباد
 ابن بدران — ٧ : ٤٣ ، ٤ : ٣٨
 ابن عبد العزيز الهاشمي — ٨ : ١٠٨
 ابن عبدكان = محمد بن عبدكان
 ابن عبيد الكاتب — ٦١ : ٤٨ ، ١٣ : ٦١ :
 ٥ : ٩٦ ، ١٥
 ابن العميد = أبو الفضل بن العميد
 ابن القرات الوزير أبو الفتح الفضل بن
 جعفر — ٥ : ١٠٨ ، ١٦ : ١٠٧ ، ٤ : ١٠٩
 ١١٨ ، ١٨ : ١١٧ ، ٤ : ١٠٩
 ٣ : ١٢٠ ، ١٤ : ١١٩ ، ١٤ : ١٢١
 ١٧ : ١٢٨ ، ١٧ : ١٢١
 ابن فراس — ٧ : ١٠٨
 ابن القاسم = علي بن القاسم
 ابن الفرسميني — ٣ : ١٣٤
 ابن قوسين — ٤ : ٣٨ و ١٩ *
 ابن كعب — ٧ : ١٠٨
 ابن لالا — ٤ : ٣٨
 ابن دق = بصرى بن دق
 ابن مجاهد — ١١ : ٥٨
 ابن الحيا = خالد بن سنان العيسى
 ابن المديني — ٢٥ : ٢٦
 ابن المرائي = أبو الفتح محمد بن جعفر
 ابن المرزيان كاتب غفر الدولة — ١ : ٦٢ ،
 ٦ : ١٤١

٢٠، ١١٠ : ٢٢ : ٢٠٧ : ٢٢
 أبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن
 الحار — ٣٢ : ١ : ١١ * ٣٣ :
 ١٤، ٣٥ : ٦
 أبو الخير اليهودي — ٢١٨ : ١٢
 أبو دعلج — ٧٠ : ٦
 أبو زكرياء — ٣٥ : ١١
 أبو زكرياء = يحيى بن عدى
 أبو زيد اللغوي — ١٣١ : ١٤٥ : ٢٢١ : ٦
 أبو زيد أحمد بن سهل البلخي — ٢٦ : ٢
 ١٥ * ٢١٢ : ١١
 أبو سعيد بهرام بن ازدشير — ٤٣ : ٦
 ١٥ * ٤٤ : ٤٨، ٤٨ : ٥
 أبو سعيد الذهبي الطيب — ١٥٧ : ١٤
 ٢١٣ : ١٠
 أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن
 الرزبان — ٢٥ : ٢ : ١٧ * ٢٧ :
 ٢٨، ٢٨ : ٧٩ : ١٨ : ١٠٧ :
 ١٧، ١٠٨ : ٣ : ١٠٩ : ٤
 ١١١ : ٤ : ١١٢ : ١ : ١١٤ :
 ١١٥، ١٢ : ١١٨ : ٣ :
 ١١٩ : ٣ : ١٢٠ : ١٢١ : ١ :
 ١٢٢ : ٣ : ١٢٨ : ١٢ : ١٢٩ :
 ٦، ١٣١ : ٦ : ١٣٢ : ٣ :
 ١٣٣ : ٤ : ٢٢١ : ٣ : ٢٢٢ :
 أبو سليمان المنطقي محمد بن طاهر — ٢٩ :
 ٢ و ١٣ * ٣١ : ١٠ : ٣٣ :
 ٤، ٣٥ : ٦ : ٣٩ : ٧ : ٤٠ :
 ١٦، ٤٢ : ٦ : ٨٨ : ١٦ :
 ١٣٠ : ١٣ : ١٤٦ : ٨ : ٢٠١ :
 ١٣ : ٢٠٥ : ١٠ : ٢٠٦ : ٧ :
 ٢٠٧ : ٢١ : ٢١٤ : ٧ : ٢٢٤ :
 أبو شريح أوس بن حجر التميمي الشاعر —
 ٥٩ : ٣

أبو بكر القومسي — ٣٢ : ١ : ١٤ *
 ٣٤ : ١١
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه
 الفقيه — ٩٠ : ٢١ *
 أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف
 بابن السراج النحوي — ٢٧ : ٢ : ١٤ *
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني القاضي —
 ١٤٣ : ١ : ١٨ *
 أبو جعفر الصيمري — ١٣٢ : ٧ :
 ١٣٣ : ٢
 أبو جعفر ملك سجستان — ١٣٠ : ١٣
 أبو حاتم الرازي — ١٤٠ : ١٩ : ٢٢٢ : ١٧
 أبو حامد أحمد بن بصر المروزي — ٩٠ :
 ١٩ و ٦ * ٩٥ : ٧
 أبو الحسن أحمد بن جعفر جعظة القاصر —
 ٢٨ : ٨ و ١٩ *
 أبو الحسن الأنصاري صوابه الأنطاكي وهو
 أبو القاسم علي بن أحمد — ٩٣ : ١٠ : ١٩
 أبو الحسن المروزي — ٥٩ : ١
 أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ابن
 الروي) — ٢٧ : ٣ و ١٧ *
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني — ١٠٨ :
 ٣، ١٢٨ : ١١ : ١٢٩ : ٥ :
 ١٣٣ : ١٣ و ٢٠ * ٢١٤ : ٧
 أبو الحسن الفلكي — ٦٨ : ١٧
 أبو الحسن محمد بن يوسف العامري — ٣٥ :
 ٣٦، ١ : ١٥ * ٢٢٢ : ١٤ :
 ٢٢٣ : ٦
 أبو حنيفة (الإمام) — ٥٥ : ٣ : ١٣٢ : ٤
 أبو حنيفة اللغوي — ١٩٣ : ٢٠
 أبو حيان التوحيدى — ١ : ٢ : ١٩
 ٣ : ١١ : ٧ : ٦ : ٢٦ : ١٧ :
 ٢٩ : ١٤ : ٣٢ : ١٤ : ٣٦ : ١٧ :
 ٥٠ : ٢٥ : ٩٠ : ٢٠ : ١٠٤ :

أبو عثمان الجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٣ : ٥ —
٤ : ٦٦

أبو عثمان العسقي — ٩ : ٢١٥
أبو علي أحمد بن محمد مسكويه — ٩ : ٣٢
و ١٦ : ٣٥ ، ٣ : ٣٦ ، ٢ : ٤٨ —
٤ : ١٣٦ ، ١٤

أبو علي الحسن بن علي الخالغ — ١٣٦ :
١ و ١٢ *

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران —
١٤١ : ٨ و ٢٠ *

أبو علي بن السمع — ١٣٢ : ١ و ١٣ *

أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرقعة —
٣٢ : ٩ و ١٠ ، ٣٣ : ٨ ، ٤٨ : ١٣

أبو علي الفسوي النحوي الحسن بن أحمد —
١٢٩ : ٥ و ١٩ ، ١٣١ : ٤ ،
١ : ١٣٢

أبو علي بن مكيفا — ٤٣ : ٦ و ٢١ ،
٤٤ : ١١ ، ٤٨ : ٦

أبو عمرو بن الملا — ٥٨ : ٩
أبو عمرو قدامة بن جعفر — ١٠٨ : ٧

أبو عيسى بن المنجم — ٥٦ : ٤
أبو العيلاء — ٥٨ : ١٣ ، ٧٠ : ٦

أبو الفتح بن العبيد = ذو الكفائين
أبو الفتح علي بن أبي الفضل محمد بن

العبيد
أبو الفتح الفضل بن جعفر = ابن البركات
الوزير

أبو الفتح محمد بن جعفر المهنداني بن المراهي —
١٢٩ : ١٠ ، ١٣٣ : ١٧ و ٢٢ *

أبو الفضل بن العبيد الكاتب — ١٦ :
١٤ ، ١٧ : ١٥ ، ٣٢ : ١٧ ، ٣٥ :

٣٦ ، ٨ : ١٨ ، ٦١ : ١٢ ، ٦٦ :
٣ : ٦٧ ، ٩ : ٦٨ ، ١٥ : ١٣٢

١٢ : ١٣٦ ، ٢٦ :

أبو شعيب دوست بن رباط القيمي —
٧٠ : ٩

أبو طالب الجراسي — ٦٨ : ١٤ و ١٦
أبو العباس — ١٢٤ : ٥

أبو العباس البخاري تلميذ أبي سليمان المنطقي
— ٢٠٧ : ١٥ و ٢١ ، ٢٠٨ :

١٤ ، ٢١٠ : ٤
أبو العباس المبرد — ٢٧ : ١٥ ، ١٣١ : ٨

أبو العباس محمد بن صباح الكوفي المعروف
بإبن السبك — ١٤ : ٥ و ١٥ *

١٥ : ٤ ، ٢٢ : ٣
أبو عبد الله تلميذ أبي سعيد السيرافي —
١٣٣ : ٤ و ٥

أبو عبد الله الجيهاني أحمد بن محمد بن نصر —
٧٨ : ١١ و ٢٥ ، ٨٥ : ١٥ ،

٨٦ : ١٤ ، ٨٨ : ٥ ، ٨٩ : ٩

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج
القاهر — ٤٨ : ٧ ، ١٣٧ : ٤

١٤٠ : ١٥ و ١٦ ، ١٣٨ : ١ ، ١٣٩ : ٨

أبو عبد الله الحسين بن علي الجبل — ١٤٠ :
١ و ١٦ *

أبو عبد الله الحسين بن محمد النجار — ٥٨ :
١٦ و ٢١ *

أبو عبد الله بن طاهر — ٤٣ : ٦ و ٢٢ *

٤٥ : ٣ ، ٤٨ : ٦
أبو عبد الله العارض الحسين بن أحمد بن

سمعان الوزير — ٢ : ١٩ ، ٤ :
١١ و ٢٣ ، ١٢٩ : ٢٢ ، ١٣٩ :

٩ و ١٨
أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم —
١٤١ : ٢ و ١٦ *

أبو عبد الله النصري — ١٣٢ : ١٠
أبو حبيد الله المروزي محمد بن عمران —
٤١ : ٥ ، ١٢٩ : ١٠ ، ١٣٤ :

٣ و ١٥ *

٥ : ٥٠ ، ١٣ : ٤٨ ، ٤ : ٤٧
 و ٢٢ : ٥١ ، ٧ : ٥٢ ، ٢ : ٢٢٦
 ٢٣ : ٢٢٦
 أبو يوسف الفقيه — ١٠ : ٥٨
 أحمد بن بصر للروروذي = أبو حامد
 أحمد بن بصر
 أحمد بن جعفر جعطة = أبو الحسن أحمد
 ابن جعفر
 أحمد بن سهل البلخي = أبو زيد أحمد
 ابن سهل
 أحمد بن محمد — ٢ : ٦٤
 أحمد بن محمد مكويه = أبو علي أحمد بن محمد
 أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني = أبو عبد الله
 الجيهاني أحمد بن محمد
 أخشاد — ١٠ : ٧٩
 إديوس — ٣ : ١٦٤
 أرسطوطاليس — ٥٨ : ٣٦ ، ١٨ : ٥٨
 ٩ : ١١٦ ، ٤ : ١١٤ ، ١٢
 استانباس — ٢٠ : ٦١
 إسحاق بن إبراهيم القوصلي — ٦ : ٧٦
 إسحاق بن عمران — ١٩ : ٩٧
 الأسدى — ١٥ : ٩٤
 الإسكافي — ١٠ : ٥٨
 الإسكندر — ٥ : ٧٥
 إسماعيل بن عباد = أبو القاسم إسماعيل
 صاحب بن عباد
 أشنجع السلمي — ٨ : ٥٨
 الأصمى — ٧ : ٩٤
 أفككين — ١٠ : ١٣٧
 الأقرع بن حابس — ٥ : ٨٥
 أقليدس — ٩ : ٨٩
 امرؤ القيس — ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠ : ١١٨
 الأندلسي — ١٦ : ٢٢٠ ، ٩ : ٢١١
 أنوشروان — ٣ : ٨٠ ، ٧ : ٧٥

أبو القاسم إسماعيل صاحب بن عباد —
 ٣ : ١٣ و ٢٣ ، ٢٤ : ١٤ و ٢٣ ،
 ٥٣ : ٢ ، ٦١ : ١٥ ، ٦٣ : ١٣ ،
 ٦٤ : ٦ ، ٦٦ : ٢ ، ٦٧ : ٨ ، ٦٩ :
 ١٩ ، ١٠٣ : ١١ ، ١٣٤ : ٢٢ ،
 ١٣٧ : ١٦ ، ١٤١ : ١٢
 أبو القاسم بن حولة — ١٥ : ٢٤
 و ٢١ *
 أبو القاسم الباركي — ٩ : ١٤١ و ٢٢ *
 أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف —
 ٤٢ : ١٩ ، ٤٨ : ٤ ، ٦١ : ١٢ ،
 ٦٦ : ١ و ١٥ *
 أبو القاسم عبيد الله بن الحسن غلام زحل —
 ٣٨ : ١٧ و ٣ *
 أبو القاسم علي بن جلبات — ٧ : ١٣٥
 و ١٧ *
 أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى الجراح —
 ٣٢ : ٢ و ٢٣ * ٣٦ : ١١
 أبو القاسم الكاتب غلام أبي الحسن
 العامري — ٣٥ : ٥ ، ٥٦ : ١٥ ،
 ٥٧ : ١٢ ، ٢٢٢ : ١٦
 أبو محمد الحجاج بن يوسف — ٢ : ٤٧
 أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة —
 ٩ : ٧٥
 أبو منصور = ابن الناطر
 أبو نصر خورشاذه — ٥١ : ١٦ *
 أبو نصر سابور — ٤٣ : ٢٢
 أبو نصر الفارابي — ٣٢ : ٢١ *
 أبو نواس — ١١٠ : ٢٠ *
 ٣ : ٩٧ و ٨ : ١٨ و ١٠٣ : ٩
 أبو الوفاء علي بن يحيى الماصري —
 ٣٨ : ٢
 أبو الوفاء المهندس محمود بن محمد بن يحيى —
 ٢ : ١٩ ، ٧ : ١٩ ، ٤١ : ١٢ .

(ح)

- الحجاج بن يوسف = أبو محمد الحجاج
ابن يوسف
الحراني — ٥ : ٣٨
الحسن بن أحمد بن عبد الفجار = أبو علي
القسوي
الحسن بن برمويه — ٤٢ : ٨ و ١٨ *
٣ : ٤٣
الحسن بن سوار = أبو الخير الحسن بن سوار
الحسن بن عبد الله المرزبان = أبو سعيد
السيرافي
الحسن بن علي الخالغ = أبو علي الحسن بن
علي الخالغ
الحسن بن وهب — ٧ : ٩٧
الحسين — ٩ : ١٣٩
الحسين بن أحمد بن الحجاج الشاعر = أبو
عبد الله الحسين بن أحمد
الحسين بن أحمد بن سعدان الوزير =
أبو عبد الله العارض
الحسين بن صالح بن خيران = أبو علي الحسين
ابن صالح
الحسين بن علي الجعل = أبو عبد الله الحسين
ابن علي
الحسين بن محمد النجار = أبو عبد الله الحسين
ابن محمد

(خ)

- خاقان — ٩ : ٧٩
خالد بن سنان العبسي — ١٥٩ : ٣ و ١٥ *
خالد بن صفوان — ٢ : ٢٣
الخالد — ٦ : ١٠٨
خراسان — ٢٢ : ٢٢١ *

الأهوازي — ١٤ : ٤٨
أوميروس الشاعر — ٣ : ١٦٤

(ب)

- باقل — ١٧ : ٦١
البخاري المحدث — ٢٤ : ٢٦
البخاري = أبو العباس البخاري تلميذ
أبي سليمان
البديهي — ٩ : ٣١
بهر بن متى — ٢٢ : ٣٢
بهر بن هارون — ٦ : ١٣٩
البلعمي الوزير — ٣ : ١٣٠
بلهور — ٩ : ٧٩
بندار الغني — ٩ : ٤٢
بهاء الدولة البويه — ١٨ : ٣٢ *
بهرام بن أزدشير = أبو سعيد بهرام
ابن أزدشير

(ث)

ثابت — ١٢ : ٥٧

(ج)

- جابر بن حيان — ١١ : ٣٥
الجاحظ = أبو عثمان الجاحظ
جعظلة = أبو الحسن أحمد بن جعفر
الجراح = أبو القاسم عيسى بن علي
الجراسي = أبو طالب الجراسي
جرير — ١٦ : ١٩٧، ٢٤ : ٧٩
جعفر بن يحيى — ٦ : ١٠٠
جيل بن معمر صاحب بثينة — ١٤ : ١٣٨
الجهاني = أبو عبد الله أحمد بن محمد بن نصر
الجهاني = محمد بن أحمد

زكرياء (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 الزهري — ٧: ١٠٨
 : هير بن أبي سلمى الشاعر — ٢٥: ٤٥
 ٢١: ٧٧
 الزهري — ٨: ٦٣

(س)

سابور بن أردشير — ١٦: ١٣٧
 سابور = أبو نصر سابور
 سبحان — ٢: ١٣٩
 السري السقطي — ١٧: ٥٨
 سطيج — ٢: ٥٩
 سقراط — ٩: ٢١٥
 سكان شاه — ٤: ٧٩
 السلاي — ١٠: ١٣٤
 سليمان (عليه السلام) — ١٢: ٩١
 سليمان بن عبد الملك — ٦: ٢٧
 سهل بن هارون — ١٤: ٥٨
 سيديويه — ٧: ١٣١، ١٨: ٧٩
 ٣: ٢٢٢
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي
 سيف الدولة بن حمدان — ٢٥: ١٣٦
 ١: ١٣٧

(ش)

شبيب بن شبة — ٢: ٧١
 شرف الدولة البويهى — ١٦: ٥١
 شهرزاد — ٢٢: ٢٣ *

(ص)

الصابي = أبو إسحاق إبراهيم بن هلال

خراش بن زهير — ٩: ٢٢١
 الحليل بن أحمد — ٩: ٥٨
 خواشاذه = أبو نصر خواشاذه

(د)

الدارقطني — ١١: ١٣٠
 داود (عليه السلام) — ١١: ٩١
 دوست بن رباط الفقيمي = أبو شعيب
 دوست بن رباط

(ذ)

ذو الرمة الشاعر — ١٠: ٢٢ و ١٨
 ذو الرياستين (ابن سينا) — ٢: ٥٩
 ذو الكفارين أبو الفتح علي بن أبي الفضل
 محمد بن العميد — ١٢: ٣ و ٢٠*
 ١٠: ٦٦، ١٣٦، ٣: ١٣٧
 ٣: ١٣٩، ١٠ و ٩

(ر)

الرازي = أبو حاتم الرازي
 الراوندي — ١٩: ١٤٠
 ردينة — ٢٢: ٧٦
 الرشيد = هارون الرشيد
 الرضى بالله العباسي — ١٩: ٧٩
 الرماني = أبو الحسن علي بن عيسى
 ركن الدولة البويهى — ٢١: ٣
 روية بن العجاج — ١٩: ١١٨

(ز)

الزجاج — ٨: ١٣١
 زرادشت — ٩١: ٩٢، ٣: ٩٣ د

علم الجارية — ٩ : ٤٢
 على بن أبي طالب — ٩ : ٧٠ ، ٢١ : ١٠
 على بن أبي الفضل محمد أبو الفتح بن العبد =
 ذو الكفارين أبو الفتح على
 على بن أحمد الأنطاكي = أبو الحسن
 الأنصاري

على بن جعفر — ٦ : ٦٢
 على بن جليات = أبو القاسم على بن
 جليات

على بن ربن — ١٥ : ٥٨ ، ١٩ *
 على بن العباس بن جريج = أبو الحسن على
 ابن العباس

على بن عيسى الجراح الوزير — ٣٢ :
 ١٤ : ٦٨ ، ٢٣

على بن القاسم — ١٦ : ٦١
 على بن يحيى السامري = أبو الوفاء على
 ابن يحيى

عمارة بن عقيل — ٧ : ٢٢٢
 عمر بن الخطاب — ٨ : ٢١ ، ١٠٣ : ٨

عمر بن عبد العزيز — ٩ : ٢٦
 عمرو بن كلثوم — ٢٠ : ١٤٣ *

عمير بن سليم التغلبي الملقب بالقطامي — ٢٢ :
 ١٤ و ٢٢ *

عنزة العيسى — ٢٠ : ١١ *
 عيسى بن إسحاق = أبو على عيسى
 ابن إسحاق

عيسى بن دأب الأخباري — ١٥ : ٥٨
 عيسى بن على بن عيسى الجراح = أبو

القاسم عيسى
 عيسى (عليه السلام) — ١٥ : ٥٩

(غ)

غزال الراص — ٩ : ٤٢

الصاحب بن عباد = أبو القاسم إسماعيل

الصاحب بن عباد

الصافاني — ٣ : ٣٨

صبغ — ١٠ : ٧٩

صريح النوافي — ٧ : ٥٨

صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه —

٤ : ٢٤ ، ٤٢ : ١٨ ، ٤٣ : ١٢ ،

١٧ : ٦٦ ، ١٧ : ٥١

(ط)

طرفة — ٢٠ : ٨١ *

(ع)

عباد أبو الصاحب — ٨ : ٦٣

العباس بن مرداس — ٦ : ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي —

١٣٦ : ١١ و ٢٥ *

عبد العزيز بن يوسف = أبو القاسم

عبد العزيز بن يوسف

عبد الله بن دارم — ٦ : ٨٤

عبد الله بن مصعب — ٥ : ٤١

عبد الله بن مروان — ٧ : ٢٦

عبيد الله بن الحسن = أبو القاسم غلام زحل

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود —

١٠ : ٢٦

عروة بن الورد — ١ : ٦١

عن الدولة البويهية — ١٨ : ٦٧

المسجدي — ١٤ : ٤٨

عضد الدولة بن بويه — ٣ : ٢٢ ، ٣٠ : ١٩ ،

٣٢ : ١٨ ، ٤٢ : ٢٢ ، ٤٣ : ٢١ ،

٦٦ : ١٦ ، ٦٧ : ١٨ ، ١٣٤ : ٢٢ ،

١٣٧ : ١٦

مقي = أبو بصير مقي بن يونس القناني
محمد (صلى الله عليه وسلم) — ١٥ : ٥٩ .
٢ : ٩١

محمد بن إبراهيم — ٥ : ٦٩
محمد بن أحمد الجيهاني — ٢٥ : ٧٨
محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه الفقيه =
أبو بكر محمد بن أحمد بن علي
محمد بن جعفر الممداني = أبو الفتح محمد
ابن جعفر
محمد بن الحسين الحاتمي — ١ : ١٣٥ ،
* ١٠ و

محمد بن حيويه بن المؤمل — ١١ : ١٢٩
١٣٤ : ٣ و ١٨ *
محمد بن السري بن سهل = أبو بكر محمد
ابن السري
محمد بن صبيح الكوفي = أبو العباس محمد
ابن صبيح
محمد بن طاهر = أبو سليمان النطقي محمد
ابن طاهر
محمد بن طنج = ابن طنج
محمد بن الطيب الباقلائي القاضي = أبو بكر
محمد بن الطيب
محمد بن عبدكان — ١٢ : ٦٧ ، ٦ : ٥٨
* ٢٥ و

محمد بن عمران = أبو عبيد الله المرزباني
الأديب
محمد بن محمد بن النعمان = أبو عبد الله محمد
ابن محمد بن النعمان
محمد بن يوسف العامري = أبو الحسن
محمد بن يوسف
محمود بن محمد بن يحيى = أبو الوفاء المهندس
المرزباني بن محمد ملك الديلم — ١٤ : ٦٨ ،
٥ : ١٣٠
المرزباني صاحب آل سامان — ٩ : ١٠٨

هلام زحل = أبو القاسم عبيد الله بن الحسن
هليلان بن عقبة بن نهيس = ذو الرمة

(ف)

غفر الدولة أبو الحسن علي بن بويه — ٤ :
١٧ : ٦٠ ، ١٢
فضالة بن كلدة — ٤ : ٥٩
الفضل بن جعفر = ابن القرات

(ق)

قايوس — ٩ : ٥١
القادر بالله الخليفة — ١٠ : ١٣٥
قارون — ١٤ : ١٤١
قدامة بن جعفر = أبو عمرو قدامة بن جعفر
قس بن ساعدة — ١٧ : ٦١
القس نظيف النفس الرومي — ٢ : ٣٢
* ١٩ و ٣ : ٣٧
القنطاري = عمير بن شليم التخلي
القنطاري — ١٨ : ٣٨ ، ١٠ : ٣٢
القناني = أبو بصير مقي
القوي — ٣ : ٣٨
قيصر — ٨ : ٧٩

(ك)

الكنتي — ٦ : ١٠٨
كريز أبو سيار المسمي — ٧ : ٧٠
كسرى — ٨ و ٣ : ٧٩
كسرى أنوشروان = أنوشروان
الكندي — ٥ : ١٢٧ ، ١٢ : ٥٨

(م)

المغني — ١١ : ١٣٥

(هـ)

هارون الرشيد — ١٤ : ١٦ ، ٢٢ : ٣
المروى — ٦٩ : ١٢

(و)

الوائق بالله الخليفة — ٩٧ : ١٦
الواسطى — ١٤٠ : ١١
الواقدى — ٥٨ : ١٦
وهب بن عيش الرقى = ابن عيش

(ى)

ياقوت — ٥٥ : ٢٠ ، ٧٩ : ١١ ، ٨٤ :
١٤ ، ١٠٧ : ٢١ ، ١١٠ : ١٨ ،
١١٦ : ٢٠ ، ١١٨ : ١٧ ،
١٣٢ : ٢٠
يعي (عليه السلام) — ٩١ : ١٢
يعي بن عدى أبو زكريا — ٣٢ : ٢
و ٢١ * ، ٣٧ : ٦
يقوب بن السكيت — ٢٢٦ : ١
يقفور صوابه قُفُور — ٧٩ : ٩
يوحنا — ٥٨ : ١٥

مزدك — ٩٢ : ٩

مكويه = أبو علي أحمد بن محمد
للسبح (عليه السلام) — ١٥٠ : ١٢
معاوية بن أبى سفيان — ١٠ : ٢١ *
١٥ : ٧٠ ، ٥٥ : ٩
المصمم الخليفة — ٥٨ : ٢٠ *
المعري صوابه المكيبرى — ٣٨ : ٣
المقتدر الخليفة العباسى — ١٠٧ : ٢٢ *
المنذر بن ساوى — ٨٤ : ٥
للهدى الخليفة — ٧٠ : ٦
المهاي الوزير — ١٣٢ : ١٠ ، ١٣٧ : ١٦
موسى (عليه السلام) — ٩١ : ١١
مؤيد الدولة أبو منصور يوي — ٣ : ٢٤ *
٤ : ١٣ ، ٦٠ : ١٧

(ن)

النبي = محمد صلى الله عليه وسلم
النجار = أبو عبد الله الحسين بن محمد
نصر الدولة — ٣٢ : ١٤
نصر غلام خواشاذه — ٥١ : ٢
النصرى = أبو عبد الله النصرى
النصبى = أبو إسحاق النصيبى
نظيف = النفس نظيف النفس الرومى

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١٩ : ١٤٠ ، ٢٦ : ١٣٦ ، ١٣

٢٣ و ١٠ : ١٤١

بلاد الجبال — ١٧ : ٣ ، ١٠ : ٤

بوزجان — ٢٣ : ٥٠

البيت العتيق — ٩ : ٢٤

البيارستان — ٧ : ٥١

(ت)

تركستان — ٢١ : ٧٩

تفليس — ١٣ : ٥٥

(ج)

جبل طى — ٢٢ : ٨٣

جزجان — ٩ : ٥١

جزيرة العرب — ٢٤ : ٨٤

جيهان — ٢٤ : ٧٨

(ح)

حضر موه — ١٠ : ٨٤

(خ)

خراسان — ١٥ : ٤١ ، ١٦ : ٢٦

(١)

أرجان — ١٩ و ٩ : ٤

أرم — ٢٤ و ٧ : ٨٤

أردوال = أردوان

أردوان — ٢٨ : ٧٩

أسكنان — ١٠ : ٧٩

أصبهان — ٢٧ : ٧٩ ، ٨ : ٦٣ ، ٢٢ : ١٤١

أندلس — ٩ : ٧٧

أنطاكية — ١٩ : ٩٣

الأهواز — ١٢ : ١٣١ ، ١٩ : ٤

(ب)

باب الجسر — ٦ : ٥١

بابهان = أرجان

باريس — ١٧ : ١٣٧

بحر الهند — ٢٥ : ٨٤

البحرين — ١٦ و ١٤ : ٨٤

بخارى — ٢٥ : ٧٨

البصرة — ١٧ : ١٤٠

بنباد — ٢٥ ، ١٦ : ١٤ ، ١١ : ٣

١٣ و ٥ : ٢٩ ، ٢١ : ٢٨ ، ١٨

١٨ : ٤١ ، ٢٠ و ١٣ و ٩ : ٣٢

١٣١ ، ١٨ : ١٠٨ ، ٢٠ و ١٩ : ٩٣

(ش)

الشام — ٧٩ : ٢٠ ، ٢١ : ١٠
٨٣ : ٢٢ ، ٨٤ : ١ ، ١٩٤ : ١
الشعر — ٨٠ : ٨٤ ، ٦٣ : ٨٠ و ٢٥

(ص)

صبار — ٨٤ : ٧ و ٢٣
الصفا — ٨٤ : ١٦
صفين — ٧٠ : ٧
صنماء — ٨٠ : ١٤ ، ٨٠ : ١
الصين — ٧١ : ١٦

(ط)

طهران — ٣ : ١٨
طيبة — ٨٠ : ٤ و ١٥

(ع)

عدن — ٨٤ : ٨ و ٢٤ و ٢٥
العراق — ١٠ : ٢١ ، ٢٢ : ١٣ ، ٥٠
٢٣ : ٨٤ ، ١ : ١٣٤ ، ٢١ : ٢٣
مرفة — ٨٥ : ٦
عكاظ — ٨٥ : ٣ ، ٢٢١ : ١٠ و ١٠
عمان — ٤٣ : ١٢ ، ٨٤ : ٦ و ١٩ و ١
٢٢ و ٢٣ و ٢٥

(ف)

فارس — ٤ : ١٩
فرغانة — ٥٥ : ١٣ و ٢٢ ، ٧٩
١٠ و ١٩ و ٢٠

٧٨ : ٢٤ ، ٧٩ : ٩ ، ١٣٤ : ١٥ ،

١٤٤ : ١٣ ، ٢٢١ : ٢٢

خوارزم — ٧٧ : ٩
خوزستان — ٤ : ١٩ ، ٧٩ : ٢٨

(د)

دار الكتب المصرية — ٩٨ : ١٩
دارك — ١٤١ : ٢٢
دبا — ٨٤ : ٧ و ٢٠
دمشق — ٨٣ : ٢٣
دومة الجندل — ٨٣ : ١٤ و ٢٢ ، ٨٤ :
١٢ و ٣

(ذ)

ذو المجاز — ٨٥ : ٣

(ر)

راغة = الرى
الراية — ٨٤ : ١٠
الرى — ٣ : ١١ و ١٧ و ٢٤ ، ٣٥ : ٥٠ ،
٣٦ : ١ ، ٥١ : ٨ ، ١٣٦ : ٣ ،
١٤١ : ١٢

(ز)

زروود — ٨٠ : ١٥

(س)

سجستان — ٤٧ : ٦ ، ١٣٠ : ١٣
سرمن رأى — ٦٩ : ٦
سنجان — ٤١ : ١٥ و ٢١

نيابور — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٥٠ ،
١٤١ : ١٠ و ٢٢

(هـ)

هجر — ٨٤ : ٤ و ١٤ و ١٧
مندان — ٥٣ : ١٢ ، ١٣٤ : ١٨ ،
١٤١ : ٥٣ و ١٣
الخير — ٨٠ : ١٦
الهند — ٧٩ : ٩ ، ١٦٥ : ١٣ ،
١٧٤ : ٨

(و)

واسط — ٢٨ : ٧٩ ، ٢٨ : ٢٨ ،
ويار — ٨٠ : ٣

(ي)

يبرين — ٨٠ : ٤
اليمن — ٨٤ : ٢٥ ، ٨٠ : ١٣ ،
يونان — ١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١

(ك)

كرخ بغداد — ١٣٤ : ٢١
الكوفة — ١٧ : ١٤ ، ٩٧ : ١٩

(م)

ماوراء النهر — ٩٩ : ٢٣
للتحف البريطاني — ١٣٧ : ١٧
للدينة — ٨٣ : ٢٢
مدينة السلام = بغداد
مرو — ٤١ : ٢١
الشعر — ٨٤ : ٥ و ١٦
مصر — ٥٥ : ١٣ ، ٧٩ : ٢٠ ،
١٠٨ : ٩
مكة — ٨٠ : ١٦
مكتبة باريس — ١٣٧ : ١٦

(ن)

نجد — ١٩٦ : ٩
التوبة — ١٦٥ : ١٤

**فهرست القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدى**

١١٧ : ١٤ ، ١٣٧ ، ١٠ : ١٤٤ :
١٠ ، ٢١٢ : ٦ و ٧ و ٨

(ج)

الجاهلية — ٩٩ : ١٤
الجبرية — ٥٧ : ٢٤

(ح)

الحكاء — ١٤٦ : ١٢ ، ١٤٨ : ١٣

(خ)

الحرمية — ١٤٣ : ٤

(ر)

الروم — ٧١ : ١٤ ، ٧٤ : ١٠ ، ١٧٣ :
١٧ ، ٢١١ : ١٩

(ز)

الزبدية — ٥٥ : ٣
الزنج — ٧١ : ١٨ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٧ :
٩ ، ٣٦٢ : ٩

(ا)

آل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) =
٥ : ١

آل ابن ثوبة — ٩٧ : ٨ ، ١٠٣ : ٩

آل ابن وهب — ١٠٣ : ٩

آل سامان — ١٠٨ : ٩ ، ١٢٩ : ١٦

الأتراك = الترك

أهل القنمة — ٩٩ : ٢٤

(ب)

البصريون — ٢٥ : ١٩

البغداديون — ١٩ : ١٣ و ١٨

بنو أسد — ٨٠ : ٣

بنو تميم — ٨٥ : ٥

بنو عبد الله بن دارم — ٨٤ : ٦

بنو عبد المطلب — ٧٦ : ٨

بنو مخزوم — ١٣٤ : ٢١

(ت)

التابعون — ٢٥ : ٢

الترك — ٧١ : ١٧ ، ٧٤ : ٢ ، ٧٧ : ٧٧

٩ ، ٧٩ : ٩ ، ١١٠ : ١٣ ،

١١٧ : ١٤ ، ١٧٤ : ٨ ، ٢١١ :
٢ : ٢١٢ ، ١٩

(٥)

اليهود — ١٠ و ٨ : ٩١
يونان — ٧٥ : ٥ ، ٨٩ : ١٦ و ١٨ ،
١٧٠ : ١٠ ، ١٧٣ : ١١ ،
٢ : ٢١٢

(ن)

النحويون — ١٠٧ : ١ ، ١١٧ : ٩ ،
١٠ : ١٢١
النصارى — ٩١ : ٨ و ١٠

(هـ)

الهنود — ٧٤ : ١٨ ، ٧٧ : ٩ ،
٧٩ : ٩١ ، ٩٣ : ١٠ ، ١١٠ : ١٣

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

تهذيب الأخلاق — ١٧ : ٣٢

(ح)

حياة الحيوان — ٢١ : ١٨٠
الحيوان للجاحظ — ١٤ : ٥٨ ، ٢ : ٥

(ذ)

ذيل تجارب الأمم — ١٧ : ٤٢ ، ١٧ : ٤٣ ، ٢٠

(ر)

الرسالة الحاتمية — ١٠ : ١٣٥

(ع)

عيون الأخبار — ٢٤ : ٢٧
عيون الأنباء — ١٨ : ٤١

(ف)

فردوس الحكمة — ١٩ : ٥٨
فضيلة علم الأخبار — ١٦ : ٢٦
الفلاحة — ١٠ : ٨٩
الفهرست — ١٦ : ١٣٤

(١)

آيين نامه — ٢٥ : ٧٨
الأجوبة — ١٦ : ٣٦
أخبار بني بويه — ٢٠ : ٦٧
أخبار الحكماء — ٢٤ : ٥٠ ، ١٨ : ٣٨
إصلاح المنطق — ١ : ٢٢٦
إنجاز القرآن — ١٩ : ١٤٣
الألفاظ الفارسية العربية — ٢٤ : ٧٩
ألف ليلة وليلة — ٢١ : ٢٣
إنقاذ البصر من الجبر والقدر — ١٥ : ٢٢٢
إساغوسى — ٤ : ٣٥

(ب)

البدل — ٢١ و ١٦ : ٥٨
بلوغ الأرب — ١٨ : ٨٤
البهجة — ٢ : ١٣٤ ، ٢٣ : ١٣٣

(ت)

التلخيص في أخبار بني بويه — ١٩ : ٦٧
تاريخ ابن الأمير = الكامل لابن الأمير
تاريخ الحكماء — أخبار الحكماء
تجارب الأمم — ١٧ : ٣٢

معجم البلدان — ٧٩ : ٢٧ ، ٨٤ : ٤
 للمعجم الفارسي الإنجليزي — ٦١ : ١٩
 مفاتيح العلوم — ٩٩ : ٢٢
 مفردات ابن البيطار — ١٧٩ : ٢١
 المقابسات — ١١٤ : ١٨ و ٢٠ ، ١١٥
 ١٩ و ٢١ ، ١١٦ : ٢٠
 المقدمات — ١٤١ : ٢١
 الموسيقى — ٨٩ : ٩

(ن)

تقضى كلام الراوندى — ١٤٠ : ١٩
 تقضى كلام الرازى — ١٤٠ : ١٩
 نهاية الأرب — ٩٨ : ١٩
 النوادر — ٢٦ : ١٧

(هـ)

هزار أفسان — ٢٣ : ٨ و ١٩

(ى)

يخيمة الدهر — ١٣٤ : ٢٣ ، ١٣٥
 ١٧ : ١٣٧ ، ١٣ : ١٣٦ ، ١٨

(ق)

قاميغورياس — ٣٥ : ٤

(ك)

الكامل لابن الأثير — ٥٠ : ٢٤ ، ١٣٣ :
 ٢٤ ، ١٣٧ : ٢١
 كتاب إقليدس ٨٩ : ٩
 مكناب الجيهاى فى الطمن على العرب —
 ٧٨ : ١١
 كتاب سيويه — ٧٩ : ١٨ ، ١٣١ :
 ٧ و ١٩ و ٢٠ ، ٢٢٢ : ٣

(ل)

لسان العرب — ١٢٢ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٨
 اللطيف — ١٤١ : ٢١

(م)

المجسطى — ٨٩ : ٩ و ١٥
 مستدرک التاج — ١٢٢ : ٢٠
 معجم الأدباء — ٢٤ : ٢١ ، ٣٥ : ١٧ ،
 ٥٤ : ٢١ ، ٥٥ : ١٨ و ٢٠

استدراك

اطلع صديقنا السيد محمد كرد علي على تجارب الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة بعد أن مثلت للطبع ، فكتب عليها الملاحظات الآتية ، ونحن نسجلها لحضرته مع شكرنا الجزيل له على هذه المعاونة العلمية القيمة .

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣	٨	أبعدُ	أبعدَ
٣	١٣	عابسا	عأتبا
١٠	٦	يُفْتَقَرُ	يُغْتَفَرُ
١٠	٨	بفكاهتك	بفهاهتك
١٢	٢	زهراتها	زهرتها
١٢	٩	وعيوب	وغيوب
١٣	٩	طلب	طيب
١٦	٩	يحرصون	ويحرصون
٢١	١	محاوبة	محاابة
٢٦	١٠ و ٩	والله إني لأشتري المحادثة من عبيد الله	والله إني لأشتري ليلة من ليالى عبيد الله
٣٥	٣	شاذٌ	شاذٍ
٣٨	٣	السامريّ والمرى	السامريّ والصيّري ، (وقد ذكرنا هذا التصويب في فهرست الأعلام أيضاً) .
٣٩	٤	مخارق النجوم	مخارف النجوم

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣٩	١٥	عنده الصناعة	هذه الصناعة
٤٠	١٣	يمرّ	يَعْتَبِرُ
٤٠	١٩	النفس الفلكية	النفس الكلية
٤١	١	» »	» »
٤١	١٣	قال	قلت
٤٤	٦	تأجيل	تهجين
٥١	٩ و ٨	إلى قابوس وجرجان	إلى قابوس بجرجان
٥٧	١٤	أنه من فعلاته	أنها من فعلاته
٥٨	٤	يقال	يقال [له]
٦٨	١٦	ابن أبي طالب	أبو طالب
٧٠	١	في دار	في دار [لِتَانٍ] . (والثاني : الدهقان ؛ أوزعيم الإقليم)
٧٢	١٣	ويتجنّون به على الدناءة	ويتجنّبون به الدناءة
٧٩	٩	يقفور	فُفُور
٨٣	١٠	ويكفيني	ويدفني
٨٦	١١	للمؤذية	المؤذبة
٨٦	١٣	نَقَاب	نَقَات
٨٨	٢	والاختبار	والاختيار
٨٨	١٦	مع الجماعة وأبو سليمان يقول	وأبو سليمان يقول مع الجماعة
١٠٠	١١	وينصف	وينصف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٠١	٩	خَرَفَتْ	خَرَفَتْ
١٠٢	٢١ و ٢٠	تَتَغَذَّى	تَتَغَذَّى
١١٣	١٥	بِإِذْنِ	بِإِذْنِ
١٣٦	١١	يَذْفَعُ	[لا] يَذْفَعُ
١٥٨	١٥	بِذَّالًا	بِذَّالًا
١٩٦	٧	حَدَّثَ الْعَيْنَ	جَذَبَتِ الْعَيْنَ
١٩٧	٢٠ ح	تُوبِينَ	تُوبَانَ
٢٠٨	١٠	لَمْ تَتَحَرَّكُونَ	لَمْ [لا] تَتَحَرَّكُونَ
٢١٨	٤	وَالثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ	و [دون] الثَّقَةُ شَوْكُ الْقِتَادِ
٢٢٠	٧	لَا يَطْرِدَانِ وَلَا يَسْتَمِرَّانِ	لَا تَطْرِدَانِ وَلَا تَسْتَمِرَّانِ
٢٢٣	١	قَوِيَّةٌ	قَوِيَّةٌ

وقد تفضل نختم هذه الملاحظات بالجملة الآتية :

« هذا ما أردت تقييده ، ومن هذه الملاحظات ما يرد عليه بأيسر سبيل ، ومنه ما هو من هنات مطبعية لا يخلو منها كتاب ، ومن رأى النسخة الوحيدة التي جرى عليها الطبع من كتاب الإمتاع والمؤانسة يهني الأستاذين ناشريه على ما وُقِّعَ له من تقويم غلطاته وسقطاته ونحريافته ، والمصمة لله وحده . »



كتاب

الامتاع والموائمة

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير ابا عبد الله العارض في نحو اربعين ليلة

المجلد الثاني

صححه وضبطه وشرح غريبه

أحمد أمين و أحمد الزين

 دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

تنبيهات

١ - لم ننشر فهارس للموضوعات في هذا الجزء وسابقه اعتماداً على أننا سننشر فهرساً عاماً للموضوعات كلها في آخر الكتاب .

٢ - كان اعتمادنا في الطبع على النسخة الكاملة الوحيدة للشار إليها في الحوائج بحرف ا . وهناك قطع قليلة غير مرتبة الصفحات ولا كاملة الأجزاء ، تبلغ خمسي الكتاب تقريباً ، ومن ثم جعلناها نسخة إضافية ، وقد نجد فيها بعض الزيادات فنضمه بين مرتبين من غير تنبيه عليه . فليلاحظ ذلك .

أحمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أيها الشيخ — أطالَ اللهُ يَدَكَ في الخيرات ، وزادَ في هِمَّتِكَ رَغْبَةً في
أصطناعِ المَكْرُمات ، وأجراكَ على أحسنِ العادات في تقديمِ طُلَّابِ العِلْمِ وأهلِ
البيوتات — قد فرغتُ في الجزء الأول على مَارسَمَتِ في القيامِ به ، وشرَفْتَنِي
بالخَوْضِ فيه ، وسَرَدْتُ في حواشيه أعيانَ الأحاديث التي خَدَمْتُ بها مجلسَ
الوزير ، ولم آلُ جُهْدًا في روايتها وتقويمها^(١) ولم^(٢) أحتجْ إلى تَعْمِيةِ شيء منها ،
بل زَبَرَجْتُ كثيرًا منها بناصِعِ اللفظ ، مع شرحِ الغامِضِ وصِلَةِ المَحذُوفِ
وإتمامِ المَنقُوصِ ، وحَمَلْتُهُ إِلَيْكَ على يدِ (فائقٍ) الغلام ، وأنا حريصٌ على أن
أتبعه بالجزء الثاني ، وهو يصلُ إليك في الأسبوع إن شاء الله تعالى .

(٢) وأنا أسألكَ ثانيةً على طريقِ التوكيد ، كما سألتك أولاً على طريقِ الاقتراح ،
أن تكون هذه الرسالة مَصُونَةً عن عُيُونِ الحاسدين العيَّابين ، بعيدةً عن تناوُلِ
أَيْدِيِ المَفسِدِينَ المَنافِسِينَ ؛ فليس كلُّ قائلٍ يَسْلَمُ ، ولا كلُّ سامعٍ يُنصِفُ ،
ولا كلُّ مُتَوَسِّطٍ يُصلِحُ ، ولا كلُّ قادمٍ يُفَسِّحُ له في المجلس عند القُدوم .

والبَلِيَّةُ مضاعفةٌ من جهةِ النَّظَرِ في الصناعة ، وللحسدِ ثَوْرانٌ في نفوسِ
هذه الجماعة ؛ وقَلٌّ من يَجْهَدُ جُهْدَهُ في التقربِ إلى رئيسٍ أو وزيرٍ ، إلا جَدَّ في
إبعاده من مَرامِهِ كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ وهذا لأنَّ الزمانَ قد استحالَ عن المَعهودِ ،

(١) هذه الكلمة مطبوسة في (١) .

(٢) في (١) ولولم أحتج ، وقوله : « لو » زيادة من الناسخ .

وجفا عن القيام بوظائف الديانات وعادات أهل الرواة ؛ لأمرٍ شرَّحها يطول ؛
وقد كان الناس يتقلبون في بسيط^(١) الشمس ؛ (أعنى الذين) فَرُبَّتْ عَنْهُمْ ،
فعاشوا بنور القمر ، (أعنى الرواة) فأفل دُونَهُمْ ، مَبَقُوا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،
(أعنى الجهل وقلة الحياء) فلا جَرَمَ أَغْضَلَ الدَّاءُ ، وَأَشْكَلَ الدَّوَاءُ ، وَغَلَبَتْ
الْحَيَرَةُ ، وَقَدَّ الْمُرْشِدُ ، وَقَلَّ الْمُسْتَرْشِدُ ؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
وَأَرْجِعْ إِلَى مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ نَسْخِ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

الليلة السابعة عشرة

(١) فلما عُدْتُ إِلَى الْمَجْلِسِ قَالَ : مَا تَحْفَظُ فِي تَفْعَالٍ وَتَفْعَالٍ ، فَقَدْ اشْتَبَهَا ؟ وَفَرَعْتُ
إِلَى ابْنِ عُيَيْنٍ الْكَاتِبِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَقْنَعٌ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَى مِسْكَوِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ
فِيهَا مَطْلَعٌ ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى دُورِ الْأَدَبِ وَبَوَارِ الْعِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْكَدْحِ
فِي طَلَبِهِ . فَقُلْتُ :

قال شيخنا أبو سعيد السَّيرَافِيُّ الْإِمَامُ — نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ — : الْمَصَادِرُ
كُلُّهَا عَلَى تَفْعَالٍ بَفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنَّمَا تَجِيءُ تَفْعَالٌ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ .
قال : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مِنْهَا سِتَّةَ عَشَرَ اسْمًا لَا يُوجَدُ غَيْرُهَا . قال : هَاتِيهَا .
قلتُ : مِنْهَا التَّبَيُّانُ وَالتَّلَقُّاءُ ، وَمَرَّ تَهَوَّاءٌ مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَتَبْرَاكُ^(٢) ، وَتَمَشَّارُ^(٣)
وَتَرَبَّاعٌ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ ؛ وَتَمْسَاحٌ لِلدَّابَّةِ الْمَعْرُوفَةِ ؛ وَالتَّمْسَاحُ الرَّجُلُ الْكَذَّابُ أَيْضًا .

(١) كذا ورد هذا اللفظ في كلا الأصلين ولعل المراد ببسيط الشمس ضوءها التبسيط .
(٢) في كلتا النسختين « وتزال » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا نقلًا عن ياقوت .
وتبراك : ماء لبنى المنبر و قيل موضع بمخاء تشار .
(٣) في كلتا النسختين « وتمشاء » ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن ياقوت . وتمشأ
موضع بالدهناء .

وتجفاف وتمثال وتمراد^(١) بيت الحمام ، يَلْفَاق ، وهو ثوبان يُلْفَقَان . وتَلْقَام : سريعُ اللَّقْم .

ويقال : أنت الناقةُ على تَضْرَابِها ، أى على الوقت الذى ضَرَبَها الفحلُ فيه ، وتَضْرَاب كثيرُ الضَّرْب [وتَقْصَار]^(٢) ، وهى المِخْنَقَةُ ؛ وتَنْبَال ، وهو القصير .

قال : هذا حَسَنٌ ، فما تقولُ فى تَذْكَار ؟ فإنَّ الخوض فى هذا المثلِ إنما كان من أجلِ هذا الحَرْفِ ، فإنَّ أصحابنا كانوا فى مجلس الشَّرَاب ، فأخْتَلَفُوا فيه ؟ قلتُ : هذا مَصْدَرٌ ، وهو مفتوح .

ثم قال : اِجْمَعْ لى حُرُوفًا نظائرٌ لهذا من اللغة ، وأشرح^(٣) ما نَدَرَ منها ، وعَرِّضَ الشَّكَّ لكثير من الناس فيها .

قلتُ : السمع والطاعة مع الشَّرَفِ بالخدمة .

وقال أيضاً : حدثنى عن شىء هو أهمُّ من هذا لى وأخطرُ على بالى ، إني (٢) لا أزال أسمع من زيد بن رِفَاعَةَ قولاً ومذهباً لا عهد لى [به]^(٤) وكناية عما لا أحَقُّه ، وإشارةً إلى ما لا يتوضَّح شىء منه ، يذكُرُ الحروف ويذكُرُ النُّقْطَ ، ويَزْعُمُ أن الباء لم تُنْقَطْ من تحت واحدةٍ إلا بسبب ، والتاء لم تُنْقَطْ من فوق اثنتين إلا لعلَّة ، والألف لم تُعَرَّ إلا لغرض . وأشبه هذا ؛ وأشهد^(٥) منه فى عَرَضِ ذلك دَعْوَى يتعاضم بها ويتنفَّج^(٦) بذكرها ؛ فما حديثه ؟ وما شأنه ؟

(١) فى كتب اللغة أن التمراد هو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيغه .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى كلتا النسخين ، وقد أثبتناها عن كتب اللغة .

(٣) فى « ب » : « وتوخ » .

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (١) .

(٥) « وأشهر » فى كلتا النسخين .

(٦) يتنفج : يفخر بما ليس فيه . وفى كلتا النسخين « يتنفخ » .

وما دُخِلَتْهُ؟ وما خَبَرُهُ؟ قد بلغني أنك تغشاه وتجلس إليه، وتُكْثِرُ عنده، وتُورِّقُ له، ولك معه نوادرٌ مضحكة، ونوادرٌ معجبة. ومن طالت عِشْرَتُهُ لإنسان صدقتْ خِبرَتُهُ به، وأنكشَفَ أمرُهُ له، وأمكنَ إطلاعُهُ على مستكنِّ رأيهِ وخافِي مَذْهَبِهِ وعويصِ طريقتِهِ.

قلتُ: أيُّها الوزير، هو الذي تعرِّفه قَبْلِي قديماً وحديثاً بالتريية والأختبار والأستخدام، وله منك الأُخُوَّةُ^(١) القديمة والنسبة المعروفة.

قال: دَعْ هذا وصِفْه لِي. قلتُ: هناك ذِكْرٌ غالبٌ، وذِهنٌ وقادٌ، ويَقْظَةُ حاضرة، وسَوَاحُجٌ متناصرة^(٢)، ومَتَسَّعٌ في فُنُونِ النِّظَمِ والنَّثْرِ، مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماع المقالات، وتبصُّر في الآراء والديانات، وتصرُّف في كلِّ فنٍّ: إمَّا بالشدو^(٣) الموهوم، وإمَّا بالتبصُّر المفهم، وإمَّا بالتناهي المفهم. فقال: فعَلَى هذا ما مذهبُهُ؟ قلتُ: لا يُنسب إلى شيء، ولا يُعرَف برَهْطٍ، لجَيشَانِه بكلِّ شيء، وغَليَانِه^(٤) في كلِّ باب. ولا خِلاف ما يبدو من بَسْطَةِ تَبْيَانِه، وسطوته بلسانه^(٥)، وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادَفَ بها جماعةً جامعةً لأصناف العلم وأنواع الصناعة؛ منهم أبو سليمان محمد بنُ مَعْشَرِ البَيْسَتِيِّ^(٦)، ويُعرَف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن

(١) في «ب» الآصرة. والآصرة ما عطفك على لسان من ود أو رحم أو نحوها.

(٢) متناصرة، أي ينصر بعضها بعضاً.

(٣) بالشدو، أي أخذ العلم وتلقيه.

(٤) في كلتا النسختين «وعليانه».

(٥) في (١) «بسلطانه».

(٦) في كلتا النسختين «ابن مسعر البستي»، وهو تحريف والبستي نسبة إلى بستي

من قري الرى.

هارون الزنجاني^(١)، وأبو أحمد المهرجاني^(٢) والعوفي وغيرهم، فصحبهم وخدمهم؛ وكانت هذه العصابة قد تآلفت^(٣) بال عشرة، وتصافت بال صداقة، وأجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرَّبوا به [الطريق] إلى الفوز برضوان الله والمصير^(٤) إلى جنَّته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دُنست بالجهالات، وأختلطت بالضلالات؛ ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، [وذلك] لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية. وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعمليها، وأقردوا لها فهرستاً وسموها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتبوا أسماءهم، وبثوها في الوراقين، ولقنوها للناس، وأدَّعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله عز وجل، وطلب رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضرُّ النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضرُّ أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها؛ وحشَّروا هذه الرسائل بالكلم الدينيَّة والأمثال الشرعيَّة والحروف^(٥) المختلعة والطَّرُق الموهمة.

قال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت: قد رأيت جملةً منها، وهي مبثوثة من كل فنٍ نتفاً بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات

(١) في (١) الريحاني.

(٢) المهرجاني: نسبة إلى مهرجان من قرى أسفرايين أو مهرجان قنق، وهو كورة، وفي كلتا النسختين «المهرجوني».

(٣) في (١): «بالفت».

(٤) كذا في «ب»، والذي في (١) «والفوز» مكان قوله: «والمصير». وهو خطأ من الناسخ.

(٥) الحروف: الكلمات.

وتلزيقات ؛ وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها ؛

(٢٧) وحلت عدة منها إلى شيخنا أبى سليمان المنطقى السجستانى (محمد بن بهرام) ^(١) وعرضتها عليه ونظر فيها أياما واختبرها طويلا ؛ ثم ردّها على وقال :
تعبوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ،
ونسجوا مهلكوا ، ومشطوا ففلقوا ^(٢) ؛ ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا
يُستطاع ؛ ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة — التى هى علم النجوم والأفلاك
والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والإيقاعات
والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبار الأقوال بالإضافات والكميات
والكيفيات — فى الشريعة ، وأن يضموا ^(٣) الشريعة للفلسفة .

وهذا مرامٌ دونه حد ^(٤) ؛ وقد توفّر على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحد
أنبياء ، وأحضر أسبابا ، وأعظم أقدارا ، وأرفع أخطارا ، وأوسع قوى ، وأوثق
عرا ، فلم يتيّم لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أملوه ؛ وحصلوا على ثورات قبيحة ،
ولطخات فاضحة ، وألقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزار مثقلة .

فقال له البخارى أبو العباس : ولم ذلك أيها الشيخ ؟

قال : إن الشريعة مأخوذة عن الله — عز وجل — بوساطة السّفير بينه وبين
الخلق من طريق الوحي ، وباب المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ،
على ما يوجبُه العقل تارة ، ويجوزُه تارة ، لمصالح عامّة متقنة ، ومراشد تامّة

(١) فى كلتا النسخين : « ابن إبراهيم » .

(٢) فى (١) : « تفلقوا » وفى (ب) : « فملقوا » ؛ وهو تصحيف . وفلقوا ، أى جعلوا

الشعر شديد الجموعة . يقال : شعر مفلل ، إذا كان كذلك .

(٣) فى (ب) : « يطبقوا » .

(٤) دونه حد ، أى دفع ومنع .

مُبَيَّنَةٌ ؛ وفي أثنائها ما لا سبيلَ إلى البحثِ عنه ، والقَوْصِ فيه ؛ ولا بدَّ من التسليم للداعى إليه ، والمنبئِ عليه ؛ وهناك يَسْقُطُ (لَمْ) وَيَبْطُلُ (كَيْفَ) ، وَيَزُولُ (هَلَّا) ويذهبُ (لَوْ) و(لَيْتَ) في الرَّجْحِ ، لأنَّ هذه الموادَّ عنها تحسومة ، وأعتراضات المعترضين عليها مردودة ، وأرتياب المرتابين فيها ضارٌّ ، وسكون الساكنين إليها نافع ؛ وجمَلَتُها مُشْتَمِلَةٌ على الخير ، وتَقْصِيلُها مَوْصُولٌ بها على حُسْنِ التَّقَبُّلِ ، وهى متداوِلةٌ بين متعلِّق بظاهرٍ مكشوف ، ومُخْتَجِّمٌ بتأويلٍ معروف ؛ وناصِرٌ باللغة الشائعة ، وحامٍ بالجدل المبين ، وذابٌّ بالعمل الصالح ، وضاربٌ للمثل السائر ، وراجعٌ إلى البرهان الواضح ، ومثَقِّفٌ في الحلال والحرام ، ومُسْتَنِدٌ إلى الأثر والخبر المشهورين بين أهلِ المِلَّةِ ، وراجعٌ إلى اتفاقِ الأُمَّةِ .

وأساسُها على الوَرَعِ والتَّقْوَى ، ومُنْتَهَاها إلى العبادةِ وطلَبِ الزُّلْفَى .
ليس فيها حديثُ النُّجْمِ في تأثيراتِ الكواكب وحركاتِ الأفلاكِ ومقاديرِ الأجرامِ ومطالعِ الطَّوَالِغِ ومغاربِ الفواربِ .

ولاحديثُ تشاؤمِها وتياؤمِها ، وهُبُوطِها وصُعودِها ، ونَحْسِها وسَعْدِها ، وظُهورِها واستِئْشَارِها ، ورُجوعِها واستقامتِها ، وتربيعِها وتثليثِها ، وتسديسِها ومُقَارَئِها .
ولا حديثُ صاحبِ الطبيعةِ الناظرِ في آثارِها ، وأشكالِ الأسْطَقْسَاتِ ، بثبوتِها واقتراحِها ، وتصريفِها في الأقاليمِ والمعادنِ والأبدانِ ، وما يتعلقُ بالحرارةِ والبرودةِ والرطوبةِ واليبوسةِ ؛ وما الفاعلُ وما المُنْفَعِلُ منها ؛ وكيف تمازُجُها وتزاوُجُها ، وكيف تنافرُها وتسايرُها ؛ وإلى أين تَسْرِي قُوَاهَا ، وعلى أى شىء يَتَقِفُ مُنْتَهَاها .
ولا فيها حديثُ المهندسِ الباحثِ عن مقاديرِ الأشياءِ ونَقْطِها وخطوطِها وسُطُوحِها وأجسامِها وأضلاعِها وزواياها ومقاطعِها ، وما الكُرَّةُ ؟ وما الدائرةُ ؟ وما المُسْتَقِيمُ ؟ وما المُنْحَنَى ؟

ويقولون : مُطَرْنَا بِنَوْءِ الْمَجْدَحِ ، فهذا كما ترى ، والمَجْدَحُ : الدَّبران .
ثم قال : ولقد اختلفت الأُمةُ ضروباً من الأختلاف في الأصول والفروع ،
وتنازَعوا فيها فُنُوناً من التنازع في الواضح والمُشْكَل من الأحكام ، والحلال
والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعِيان والخبر ، والعادة والأصطلاح ؛ فما فَرَعُوا
في شيء من ذلك إلى منجَمٍ ولا طيِّبٍ ولا منطقيٍّ ولا مُنْهَدِسٍ ولا مُوسِيقٍ
ولا صاحب غزِيمةٍ وشَعْبَذَةٍ وسِحْرِ وكِيمياء ، لأن الله تعالى تَمَّ الدين بنبيه
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يُخَوِّجْهُ بعد البيان الوارد بِالْوَحْيِ إلى بيانٍ
موضوعٍ بِالرَّأْيِ .

قال : وكما لم نجد في هذه الأُمة من يَفْزَعُ إلى أصحاب الفلسفة في شيء من
دينها ، فكذلك أُمة عيسى عليه السلام وهي النصارى ، وكذلك المجوس .
قال : ومما يَزِيدُكَ وَضُوحاً وَيُرِيكَ عَجَباً أَنَّ الأُمةَ اختلفت في آرائها
ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها وَفَرَقاً ؛ كالمُرْجِئة والمعتزلة والشَّيعَةِ
والشُّنَّةِ والخواارج ، فما فَرَعَتْ طائفةٌ من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا
حَقَّقَتْ مَقَالَاتِها بشواهدهم وشهادتهم ، ولا أَشْتَغَلَتْ بطريقهم ، ولا وَجَدَتْ عندهم
ما لم يكن عندها بكتاب ربِّها وأثر نبيِّها .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام منذ أيام
الصِّدْرِ الأوَّلِ إلى يومنا هذا لم نجدْهم تَظَاهَرُوا بِالْفَلَسَفَةِ فَأَسْتَنْصَرُوهم ، ولا قَالُوا
لهم : أَعِينُونَا بِمَا عِنْدَكُمْ ؛ واشهدوا لنا أو علينا بِمَا قَبْلَكُمْ .

قال : فأين الدِّينُ من الفلسفة ؟ وأين الشيء المَأْخُوذُ بِالْوَحْيِ النَّازِلُ ، من
الشيء المَأْخُوذِ بِالرَّأْيِ الزَّائِلِ ؟

فإِذَا أدلُّوا بِالْعَقْلِ فَالْعَقْلُ مَوْهَبَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ لِكُلِّ عَبْدٍ ، ولكن بَقْدَرٍ

ولا فيها حديثُ المنطقيِّ الباحثِ عن مراتب الأقوال ، ومناسِبِ الأسماء والحروف والأفعال ؛ وكيف أرتباطُ بعضها ببعض على موضوع رجل من يونان حتى يصحَّ بزعمه الصدق ، ويُنبَذَ الكذب .

وصاحبُ المنطق يرى أنَّ الطبيبَ والمنجمَّ والمهندسَ وكل من فاه بلفظٍ وأمَّ غرضاً فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال : فعلى هذا كيف يسوغ لإخوان الصفاء أن ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة ؟

على أن وراء هذه الطوائف جماعة أيضاً لهم مأخذٌ من هذه الأغراض ، كصاحب الغزمية وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدعى السحر وصاحب الكيمياء ومستعمل الوهم . قال : ولو كانت هذه جائزةً وممكنةً لكان الله تعالى نبيه عليها ، وكان صاحبُ الشريعة يُقومُ شريعته بها ، ويكملها باستعمالها ، ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التي يجدها في غيرها ، أو يحضن المتفلسفين على إيضاحها [بها] ويتقدم إليهم بإتمامها ، ويفرض عليهم القيام بكل ما يُدبِّ به عنها حسب طاقتهم فيها ، ولم يفعل ذلك بنفسه ، ولا وَكَّله إلى غيره من خلفائه والقائمين بدينه ؛ بل نهى عن الخوض في هذه الأشياء ، وكرهه إلى الناس ذكراً ، وتوعدَّهم عليها ، وقال : من أتى عمراً أو طارماً ^(١) أو حازياً ^(٢) أو كاهناً أو منجماً يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ، ومن حارب الله حُرِبَ ، ومن غلبه غلب ، حتى قال :

« لو أنَّ الله حبَسَ عن الناس القطرَ سبعَ سنينَ ثم أرسله لأصبحت طائفةٌ به كافرين » .

(١) الطارق : الذي يطرق الحصى مستخبراً لما به عن الغيب .

(٢) الحازي : الذي ينظر في الأعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن . ومنه قولهم : على الحازي وقت ، أي على الحيز ؛ والحازي أيضاً : الذي يزجر الطير .

ما يدرك به ما يعلوه ، كما لا يخفى به عليه ما يتلوه ، وليس كذلك الوحي ، فإنه على نوره المنتشر ، وبيانهِ الميسر .

قال : وبالجملة ، النبيُّ فوقَ الفيلسوف ، والفيلسوفُ دون النبي ؛ وعلى الفيلسوف أن يتبع النبي ، وليس على النبي أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبي مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقلُ يكتفي به لم يكن للوحي فائدةٌ ولا غناء ، على أن منازل الناس متفاوتةٌ في العقل ، وأنصباؤهم مختلفةٌ فيه ؛ فلو كنا نستغني عن الوحي بالعقل كيف كنا نصنع ، وليس العقل بأشبه لواحد منا ، وإنما هو لجميع الناس ، فإن قال قائل بالعبث والجهل : كلُّ عاقلٍ موكولٌ إلى قدرٍ بعقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنه مكفيٌّ به ، وغيرُ مُطالبٍ بما زاد عليه .

قيل له : كفالك تماديا في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافق ، ولا عليه مطابق ؛ ولو استقلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه لاستقلَّ أيضاً بقوته في جميع أحواله في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحدٍ من نوعه وجنسه ؛ وهذا قولٌ مردودٌ ورأيٌ مخدول .

قال البخاري : وقد اختلفت أيضاً درجاتُ النبوة بالوحي ، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحي ولم يكن ذلك ثلماً له ، ساغ أيضاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه .

فقال : يا هذا ، اختلافُ درجات أصحاب الوحي لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن أصطفاهم بالوحي ، وخصهم بالمناجاة ، وأجتباهم للرسالة ، وأكملهم بما ألبسهم من شعار النبوة ؛ وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالقول المختلفة ،

لأنهم على بُعدٍ من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل والنزير اليسير؛ وعوارُ هذا الكلام ظاهر، وخطلُ هذا المتكلم يبين .

قال الوزير: أفما سمع شيئاً من هذا المقدس؟ قلت: بلى قد ألفتُ إليه هذا وما أشبهه بالزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، في أوقات كثيرة بمحضرة حمزة الوراق في الوراقين، فسكت، وما رآني أهلاً للجواب؛ لكن الحريري غلام ابن (٤) طرارة هيّجه يوماً في الوراقين بمثل هذا الكلام، فاندفع فقال: الشريعة طبُ المرضى، والفلسفة طبُ الأصحاء، والأنبياء يطبّون للمرضى حتى لا يتزايد مرضهم، وحتى يزول المرض بالعافية فقط. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها حتى لا يعتريهم مرض أصلاً، فبين مدبّر المريض ومدبّر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف، لأن غاية مدبّر المريض أن ينتقل به إلى الصحة، هذا إذا كان الدواء ناجعاً، والطبّع قابلاً، والطبيب ناصحاً. وغاية مدبّر الصحيح أن يحفظ الصحة، وإذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل، وفرّغه لها، وعرضه لاقتنائها؛ وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى، ومتبوّئ الدرجة العليا؛ وقد صار مستحقاً للحياة الإلهية؛ والحياة الإلهية من الخلود والديمومة والسرمديّة.

فإن كسب من يبرأ من المرض بطبّ صاحبه الفضائل أيضاً؛ فليست (١) تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل، لأن إحداها تقليدية، والأخرى برهانية؛ وهذه مظنونة، وهذه مستيقنة (٢)، وهذه روحانية، وهذه جسميّة، وهذه دهرية، وهذه زمانية.

(١) في ب « قلت »؛ وهو تحريف.

(٢) في ب « مستقنة »؛ وهو تحريف.

وقال أيضاً : إنما جَمَعْنَا بين الفلسفة والشرِعة لأن الفلسفة معترِفةٌ بالشرِعة ، وإن كانت الشرِعة جاحدةً لها ؛ وإنما جَمَعْنَا أيضاً بينهما لأن الشرِعة عامة ، والفلسفة خاصّة ، والعامة قِوامُها بالخاصّة ، كما أن الخاصّة تمامُها بالعامة ؛ وهما متطابقتان إحداهما على الأخرى ، لأنها كالظّاهرة التي لا بدّ لها من البِطانة ، والبطانة التي لا بدّ لها من الظّاهرة .

فقال له الحريري : أمّا قولك طِبُّ المَرَضَى وطِبُّ الأصمّاء وما نسقت عليه كلامك فمَثَلٌ لا يعبرُ به غيرُك^(١) ومن كان في مُشْكل ، لأن الطيب عندنا الحاذق في طِبِّه هو الذي يجمع بين الأمرين ، أعنى أنه يُبرِئ المريض من مرضه ، ويحفظُ الصّحيح على صحته ؛ فأما أن يكونَها هنا طبيبان يعالج أحدهما الصّحيح ، والآخرُ يعالج المريض ، هذا ما لم نعهذه نحن ولا أنت ؛ وهو شيءٌ خارجٌ عن العادة ، فمَثَلُك مردودٌ عليك ، وتشبيهُك فاضحٌ لك ، وكلُّ أحدٍ يَعْلَمُ أن التدبير في حفظ الصّحة ودفعِ المرض — وإن كان بينهما فرقٌ — واحد ، فالطبُّ يجمعهما ، والطيب الواحد يقوم بهما وبشرائطهما .

وأما قولك في الفصل الثاني : إن إحدى الفضيلتين تقليدية ، والأخرى برهائية ، فكلامٌ مدخول ، لأنك غلظت على نفسك ؛ ألا تعلم أن البرهانية هي الواردة بالوحي ، الناطمة للرُّشد ، الداعية إلى الخير ، الواعدة بحسن المكاب ؛ وأن التقليدية هي المأخوذة من المقدّمة والنتيجة ، والدعوى التي يُرجع فيها إلى من ليس بحجة ، وإنما هو رجلٌ قال شيئاً فوافقه آخرٌ وخالفه آخرٌ ، فلا الموافق له يرجعُ إلى الوحي ، ولا الخالف له يستند إلى حق ؛ والعجب أنك جعلت الشرِعة من باب الظن ، وهي بالوحي ، وجعلت الفلسفة من باب اليقين ، وهي من الرأي .

(١) في (١) « عليه » .

وأما قولك : هذه رُوحانيّة — تعني الفلسفة — وهذه جسميّة — تعني الشريعة — فزخرفة لا تستحقّ الجواب ، ولمثل هذا فليعمل المزخرفون ؛ على أنا لو قلنا : بل الشريعة هي الرُوحانيّة ، لأنها صوّتُ الوحي ، والوحي من الله عزّ وجل ، والفلسفة هي الجسميّة ، لأنها برزت من جهة رجل باعتبار الأجسام والأعراض ، وما هذا شأنه فهو بالجسم أشبه ، وعن لطفِ الرّوح أبعد [لما أبعدنا] .

وأما قولك : الفلسفة خاصّةُ الشريعةُ عامّة ، فكلام ساقط لا نورَ عليه ، لأنك تشير به إلى أن الشريعة يعتقدونها قوم — وهم العامة — والفلسفة ينتحلها قوم — وهم الخاصة — فلمَ جعّمتَ رسائل إخوان الصفاء ودعوتهم الناس إلى الشريعة وهي لا تلزم إلا للعامة ، ولمَ تقولوا للناس : مَنْ أحبَّ أن يكون من العامة فليتحلّ بالشريعة ، فقد ناقضتُم ، لأنكم حشّوتم مقالاتكم بآياتٍ من كتاب الله تزعمون بها أن الفلسفة مدلولٌ عليها بالشريعة ، ثم الشريعة مدلولٌ عليها بالمعرفة ، ثم هانتَ تذكّر أن هذه للخاصّة ؛ وتلك للعامة ؛ فلمَ جعّمتَ بين مفرّقين ، ومرتّبين مجتمعين ؛ هذا والله الجهلُ المبين ، والخرقُ المشين .

وأما قولك : إنّنا^(١) جمعنا بين الفلسفة والشريعة^(٢) لأنّ الفلسفة معترفةٌ بالشريعة ، وإن كانت الشريعة جاحدةً للفلسفة ، فهذه مناقضة أخرى^(٣) ، وإنّي أظنّ أنّ حسك كليل ، وعقلك عليل ، لأنك قد أوضحتَ عُذرَ أصحاب الشريعة ، إذ جحدوا الفلسفة ، وذلك أن الشريعة لا تدّكرها ، ولا تحضّ على الذنوبة^(٤) .

(١) في (١) « إذا » وهو تحريف .

(٢) ورد بعد قوله : الشريعة في (١) « وما » وهي زيادة من الناسخ لا معنى لها .

(٣) في (١) « للأخرى » وهذان اللامان زيادة من الناسخ .

(٤) « النوبة » .

بها ؛ ومع ذلك فليس لهم علمٌ بأنَّ الفلسفة قد حَتَّتْ على قبول الشريعة ، ونهت عن مخالفتها ، ومتمتها بالناموس الحافظ لصلاح العالم^(١)

ثم قال الحريري : حدثني أيها الشيخ : على أيَّ شريعةٍ دلت الفلسفة ؟ أعلى اليهودية ، أم على النصرانية ، أم على المجوسية ، أم على الإسلام ، أم ماعليه الصائبون ؟ فإنَّها هنا من يتفلسف وهو نصرانيٌّ كابن زُرْعَة وابن الخمار وأمثالهما ، وها هنا من يتفلسف وهو يهوديٌّ ، كأبي الخير بن يعيش ، وها هنا من يتفلسف وهو مسلمٌ ، كأبي سليمان والنوشجاني وغيرهما ؛ أفنقول إن الفلسفة أباحت لكل طائفة من هذه الطوائف أن^(٢) تدين بذلك الدين الذي نشأت عليه ؟ ودع هذا ليُخاطَبَ غيرُك ، فإنَّك من أهل الإسلام بالهَدْي والجِبِلَّة والتنشِيط والوراثَة ؛ فما بالنا لا نرى واحداً منكم بأركان الدين ، ويتقيد بالكتاب والسنة يُراعى معالي الفريضة ووظائف النافلة ؟ وأين كان الصدر الأول من الفلسفة ؟ أعني الصحابة ، وأين كان التابعون منها ؟ ولم خفي هذا الأمر العظيم — مع^(٣) ما فيه من الفوز والنعيم — على الجماعة الأولى والثانية والثالثة إلى يومنا هذا وفيهم الفقهاء والزهاد والعباد وأصحاب الورع والتقوى ، والناظرون في الدقيق ودقيق الدقيق وكلُّ ما عاد بخير عاجل وثواب آجل ، هيئات^(٤) لقد أسرَّرتهم الحسَو في الارتقاء^(٥) وأستقيم بلا دَلْو ولا رِشاء ، ودَلَلْتُم على فسولتكم وضعف منَّتكم

(١) ورد في (١) جد قوله : « العالم » قوله : « قبله » ولا معنى لها هنا .

(٢) في (١) « لمن تدين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « على مع ما فيه » ؛ وقوله : « على » زيادة من الناسخ .

(٤) في (١) « ما هنا هيئات » ؛ وقوله : « ما هنا زيادة من الناسخ .

(٥) الارتقاء : أخذ الرغوة ، وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد خلافه ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يريد الكثير ، وقد سئل النبي في رجل قبل أم امرأته فقال : يسرَّ حسوا في ارتقاء ، وقد حرمت عليه امرأته .

وأردتم أن تقيموا ما وَضَعَهُ اللهُ ، وتضعوا ما رَفَعَهُ اللهُ ، والله لا يُغَالِبُ ؛ بل هو غَالِبٌ على أمره ، فعَالٌ لما يُريد .

قد حاول هذا الكَيْدُ خَلْقٌ في القديم والحديث ، فنكصوا على أعقابهم خائبين ، وكتبوا لوجوههم خاسرين ؛ منهم أبو زيد البلخي ؛ فإنه أدعى أَنَّ الفلسفة مُقَاوِدَةٌ^(١) للشريعة ، والبشريعة مشاكلة للفلسفة ، وأن إحداها أُمٌّ والأخرى ظِلٌّ ، وأظهرَ مَذْهَبَ الزَيْدِيَّةِ ، وأنقادَ لأمير خراسان الذي كتب له أن يعمل في نشر الفلسفة بشفاعة الشريعة ، ويدعو الناس إليها باللطف والشفقة والرغبة ، فشتت اللهُ كلمته ، وقوض دِعَامَتَهُ ، وحال بينه وبين إرادته ، ووَكَّلَهُ إلى حَوَالِهِ وقُوَّتِهِ ، فلم يَتِمَّ له من ذلك شيء .

وكذلك رَأَى^(٢) أبو تمام النيسابوري ، وخدم الطائفة المعروفة بالشيعية ولجأ إلى مطرّف بن محمد وزير مرداويج^(٣) الجبلي ليكون له به قوة ، وينطق بما في نفسه من هذه الجملّة ، فإزادته إلا صِغْراً في قَدْرِهِ ، ومهانة في نفسه ، وتوارياً في بيته ؛ وهذا بعينه قصّدَ العاصريُّ فإزال مطروداً من صنّيع إلى صنّيع يُنذَرُ دَمُهُ ويُرتَصَدُّ قَتْلُهُ ، فرّة يتحصّن بفناء ابن العميد ، ومرةً يلجأ إلى صاحب الجيش بنيسابور ، ومرةً يتقرّبُ إلى العامّة بكتب يصنّفها في نُصْرَةِ الإسلام ، وهو على ذلك يُتَمِّمُ ويُقَرِّفُ بالإلحاد ؛ ويقدم العالم والكلام في الهَيُولَى والصُّورَةِ والزَّمانِ والمكان ، وما أشبه هذا من ضروب الهديان التي

(١) مقاودة للشريعة ، أي مساوقة لها ؛ يريد أنها تسير معها في قود واحد . وفي ب :

« مقارنة » .

(٢) في (١) « أم »

(٣) في كلتا النسختين : « ابن أحر وزير مرداج » ؛ وهو تحريف .

ما أنزل الله بها كتابه ، ولا دعا إليها رسوله ، ولا أفاضت فيها أُمَّتُهُ .
 ومع ذلك يُبَاغِي صَاحِبَ كُلِّ بَدْعَةٍ ؛ وَيُجْلِسُ إِلَيْهِ كُلُّهُمْ ؛ وَيُلْقِي
 كَلَامَهُ إِلَى كُلِّ مَنْ أَدْعَى بَاطِناً لِلظَّاهِرِ وَظَاهِراً لِلْبَاطِنِ .
 وما عندي أَنَّ الْأُتَمَّةَ الَّذِينَ ^(١) يَأْخُذُ عَنْهُمْ وَيَقْتَبِسُ مِنْهُمْ ، كَأَرْسُطُو طَالِيسَ
 وَسُقْرَاطَ وَأَفْلَاطُونَ ، رَهْطِ الْكُفْرِ ذَكَرُوا فِي كُتُبِهِمْ حَدِيثَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ،
 وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ نَسْجِ الْقَدَّاحِينَ فِي الْإِسْلَامِ ، السَّاتِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ
 التَّهْمِ ؛ وَهَذَا بَعِيْنُهُ دَبْرُهُ الْمَهْجَرِيُّونَ ^(٢) بِالْأُمَسِ ، وَبِهَذَا دَنَدَنَ ^(٣) النَّاهِجُونَ
 بِقَرْوِينَ وَبَثُّوا الدُّعَاةَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ ، وَبَذَلُوا الرِّغَابَ وَفَتَنُوا ^(٤) النَّفُوسَ .
 وقد سَمِعْنَا تَأْوِيلَاتَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ لآيَاتِ الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
 (اِنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
 وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ) وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) وَفِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ فَمَا يَطُولُ وَيُعَوَّلُ ^(٥) فَدَعَوْنَا ^(٦) مِنَ التَّوْرَةِ وَالْحِيلَةِ وَالْإِيهَامِ وَالْكِنَايَةِ عَنْ
 شَيْءٍ لَا يَتَّصِلُ [بِالْإِرَادَةِ ، وَالْإِرَادَةِ لَشَيْءٍ لَا يَتَّصِلُ] بِالتَّصْرِيحِ ، فَالْنَّاسُ أَنْقَدُوا
 لِأَدْيَانِهِمْ وَأَحْرَصُوا عَلَى الظَّفَرِ بِبَغْيَتِهِمْ ^(٧) مِنَ الصَّيَارِفَةِ لَدَنَّا نِيرِهِمْ وَدَرَاهِمِهِمْ .
 فَلَمَّا أَنْبَهَرَ الْمُقَدِّسِيُّ بِمَا سَمِعَ وَكَادَ يَتَفَرَّى إِهَابَهُ مِنَ الْعَيْظِ وَالْعَجْزِ وَقَلَّةِ الْحِيلَةِ

(١) في كلتا النسختين : « الدين » ، وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « الهجون » .

(٣) يقال : دَنَدَنَ الذَّبابُ : إِذَا صَوَّتَ وَطَنَّ . وَدَنَدَنَ الرَّجُلُ إِذَا نَعِمَ وَلَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ كَلَامٌ .

(٤) في كلتا النسختين : « وقتلوا » .

(٥) يقول : مَنْ عَالَ الشَّيْءَ فَلَانًا إِذَا ثَقُلَ عَلَيْهِ وَغَلَبَهُ وَأَهْمَهُ .

(٦) في كلتا النسختين : « قد عنونا » ؛ وهو تحريف .

(٧) في (١) « بنصبيهم » .

قال : الناس أعداء ما جهلوا ، ونشر الحكمة في غير أهلها يورث العداوة ويطرح^(١) الشحاء ويقدح زند الفتنة .

ثم كرر الحريري كره المدلل وعطف عطفة الواثق بالظفر ، فقال : يا أبا سليمان ، من هذا الذي يُقر منكم أن عصا موسى انقلبت حية ، وأن البحر أنفلق ، وأن يداً خرجت بيضاء من غير سوء ، وأن بشراً خلق من تراب ، وأن آخر ولدته أثنى من غير ذكر ، وأن ناراً مؤججة طُرح فيها إنسان فصارت له برداً وسلاماً ، وأن رجلاً مات مائة عام ثم بُعث فنظر إلى طعامه وشرابه على حالهما لم يتغيرا ، وأن قبراً تفقأ عن ميت حي ، وأن طيناً دُبر^(٢) فنفخ فيه فطار ، وأن قرا انشق ، وأن جذعاً حن ، وأن ذنباً تكلم ، وأن ماء نبع من أصابع فروى منه جيش عظيم ، وأن جماعة شيعت من تريدة في قدر جثم قطة ؟

وعلى هذا ، إن كنتم تدعون إلى شريعة من الشرائع التي فيها هذه الخوارق والبدائع فاعترفوا بأن هذه كلها صحيحة ثابتة كائنة لا ريب فيها ولا مرية ، من غير تأويل ولا تدليس ، ولا تغليل ولا تلبيس ، وأعطونا خطكم بأن الطبائع تفعل هذا كله ، والمواد تواتي له ، والله تعالى يقدر عليه ؛ ودعوا التورية والحيلة والغيلة^(٣) والظاهر والباطن ، فإن الفلسفة ليست من جنس الشريعة ، ولا الشريعة من فن الفلسفة ، وبينهما يرمى الرامي ويهمل الهامي ؛ على أننا ما وجدنا الديانين من المتألهين من جميع الأديان يذكرون

(١) يطرح الشحاء ، أى يلقيها في القلوب .

(٢) دبر ، أى صنع كهشة الطير .

(٣) الغيلة : الخديعة .

ويتحلى بهما مُفترِقَيْنِ في مكانين على حالين مُخْتَلَفَيْنِ ، ويكون بالدين مُتَقَرِّبًا إلى الله تعالى ، على ما أَوْضَحَهُ له صاحبُ الشريعة عن الله تعالى ، ويكون بالحكمة مُتَصَفِّحًا لقُدْرَةِ الله تعالى في هذا العالم الجامع للزينة الباهرة لكل عين ، المُحَيِّزَةِ لكل عقل ، ولا يَهْدِمُ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ . أعنى لا يَجْتَحِدُ ما أُلْقِيَ إليه صاحبُ الشريعة مُجَمَّلًا وَمُفَصَّلًا ، ولا يَغْفُلُ عما استَخَزَنَ الله تعالى هذا الخلق العظيم عَلَى ما ظَهَرَ بِقُدْرَتِهِ ، وأَشْتَمَلَ بِحِكْمَتِهِ ، واستَقَامَ بِمَشِيئَتِهِ ، وانتَظَمَ بِإِرَادَتِهِ واستَمَّ بِعِلْمِهِ ؛ ولا يَقْتَرِضُ عَلَى ما يَبْعُدُ في عَقْلِهِ ورَأْيِهِ من الشريعة ، وبدائع آياتِ الثبوتِ بأحكام الفلسفة ، فإنَّ الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور عَلَى الغاية ، والدِّيانَةُ مأخوذة من الوَحْيِ الوارد من العِلْمِ ^(١) بالقُدْرَةِ .

قال : ولَعَمْرِي إِنَّ هذا صَعْبٌ ، ولكنه جَماعُ الكلام ، وأخذُ المُستطاع ، وغايةُ ما عَرَضَ له الإنسانُ المؤَيَّدُ بِاللَّطَائِفِ ، المُزَاحُ بِالْعِلَلِ وَبِضُرُوبِ التَّكَالِيفِ . قال : ومن فَضْلِ نِعْمَةِ الله تعالى عَلَى هذا الخلقِ أَنَّهُ نَهَجَ لَهُم سَبِيلَيْنِ وَنَصَبَ لَهُم عَمَلَيْنِ ، وَأَبَانَ لَهُم تَجَدُّدَيْنِ ^(٢) لِيَصِلُوا إلى دارِ رِضْوَانِهِ إما بِسُلُوكِهَا وإما بِسُلُوكِ أَحَدِهَا .

فقال له البخارى : فَمَا دَلَّ الله على الطريقتين اللذين رسمتهما في هذا المكان ؟ قال : دَلَّ وَبَيَّنَّ ، ولكنك عَمَرٌ ، أما قال : (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) ؟ وفي فَحْوَى هذا وما يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ؟ فقد وَصَلَ العقلَ بِالْعِلْمِ ، كما وَصَلَ الْعِلْمَ بِالْعَقْلِ ، لأنَّ كمالَ الإنسانِ بهما ، ألا ترى أَنَّ العاقلَ متى عُرِّيَ مِنَ الْعِلْمِ قَلَّ انتِفَاعُهُ بعقله ؟ كذلك الْعَالِمُ متى خُلِيَ مِنَ الْعَقْلِ بَطَلَ انتِفَاعُهُ بعلمه ، أما قال : (وَمَا يَتَذَكَّرُ

(١) في كلتا النسختين : « العقل » .

(٢) السبيلين والعلمين والتجددين إلى العقل والعلم .

أن أصحاب شرائعهم قد دَعَوْا إلى الفَلَسَفَةِ وأَمَرُوا بِطَلَبِهَا وَاتَّبَعَهَا مِنَ الْيُونَانِيِّينَ
 هذا موسى وعيسى وإبراهيم ودَاوُدَ وسليمان وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى إلى محمد — صلى الله عليه
 وسلم — لَمْ نَحْضَرْ مَنْ يَعَزُّو إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَيُعَلِّقُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَدِيثَ .
 قال الوزير : مَا عَجِبِي مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا مِنْ أَبِي سُلَيْمَانَ فِي هَذَا
 الاسْتِحْقَاقِ وَالتَّغَضُّبِ ، وَالْإِحْتِشَادِ وَالتَّعَصُّبِ ؛ وَهُوَ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِالْمَنْطِقِ ،
 وَهُوَ مِنْ غِلْمَانِ يَحْيَى بْنِ عَدِيٍّ النَّصْرَانِيِّ ، وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ كُتُبَ يُونَانَ ، وَتَفْسِيرَ
 دَقَائِقِ كُتُبِهِمْ بِغَايَةِ الْبَيَانِ .

(٥) فقلت : إِنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ يَقُولُ : إِنَّ الْفَلَسَفَةَ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ
 فِي شَيْءٍ ، وَالشَّرِيعَةُ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَلَسَفَةِ فِي شَيْءٍ ، وَصَاحِبُ الشَّرِيعَةِ
 مَبْعُوثٌ ، وَصَاحِبُ الْفَلَسَفَةِ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُهُمَا مَخْصُوصٌ بِالْوَحْيِ ، وَالْآخَرُ
 مَخْصُوصٌ بِبَحْثِهِ ، وَالْأَوَّلُ مَكْفِيٌّ ، وَالثَّانِي كَادِحٌ ، وَهَذَا يَقُولُ : أَمَرْتُ وَعُلِّمْتُ ،
 وَقِيلَ لِي ، وَمَا أَقُولُ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي ؛ وَهَذَا يَقُولُ : رَأَيْتُ وَنَظَرْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ
 وَاسْتَقْبَحْتُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : نَوَّرَ الْعَقْلَ أَهْتَدَيْتُ بِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : مَعِيَ نَوْرُ خَالِقِ
 الْخَلْقِ أَمْشِي بِضِيَّائِهِ ؛ وَهَذَا يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَ الْمَلَكُ ؛ وَهَذَا يَقُولُ :
 قَالَ أَفْلَاطُنٌ وَسُقْرَاطُ ؛ وَيُسْمَعُ مِنْ هَذَا ظَاهِرٌ تَنْزِيلٌ ، وَسَائِغٌ تَأْوِيلٌ ، وَتَحْقِيقٌ
 سُنَّةٌ ، وَاتِّفَاقٌ أُمَّةٌ ؛ وَيُسْمَعُ مِنَ الْآخِرِ الْهَيُولَى وَالصُّورَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَالْأُسْطَقْسُ
 وَالذَّاتِيَّ وَالْعَرَضِيَّ وَالْأَيْسِيَّ وَاللَّيْسِيَّ ، وَمَا شَاكَلَ هَذَا مِمَّا لَا يُسْمَعُ مِنْ مُسْلِمٍ
 وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا مَجُوسِيٍّ وَلَا مَانَوِيٍّ .

وَيَقُولُ أَيْضًا : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَلَسَفَ فَيَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْرِضَ بِنَظَرِهِ عَنْ
 الدِّيَانَاتِ ، وَمَنْ اخْتَارَ التَّدْيِينَ فَيَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّدَ ^(١) بَعَايَتَهُ عَنِ الْفَلَسَفَةِ

إلا أولوا الألباب) ؟ أما قال : (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) ؟ أما قال : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ) ؟ أما ذمَّ قوماً حين قال : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) ؟ أفما قال : (أَوْ مَن كَانَ مَنِيئًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) ! أما قال : (وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) ؟ أما قال : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ؟ وكتاب الله عز وجل مُحِيطٌ بهذا كله ، وإنما تقاد إلى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فيما لا يناله عقلك ، ولا يبلغه ذهنك ، ولا يتفكر إليه فِكرك ، فأمرك باتباعه والتسليم له ، وإنما دخلت الآفة من قوم دهرين مُلحدين رَكَبُوا مطية الجدل والجَهل ، ومالوا إلى الشَّغبِ بالتعصب ، وقابلوا الأمور بتحسينهم وتقييحهم وتهجينهم ، وجعلوا أن وراء ذلك ما يفوت ذرعتهم ، ويتخلف عن لحاقه رأيهم ونظرهم ، ويعمى دون كنه ذلك بصَرهم ؛ وهذه الطائفة معروفة ، منهم صالح بن عبد القدوس ، وابن أبي العوجاء ، ومطر بن أبي الغيث ، وابن الراوندي ، والحصري ، فإن هؤلاء طأخوا في أودية الضلالة ، واستجروا إلى جهلهم أصحاب الخلاعة والمجانة .

فقال البخاري : فما الذي تركت بهذا الوصف للذين جمعوا بين الفلسفة والديانة ؛ ووصلوا هذه بهذه على طريق الظاهر والباطن ، والحقى والجلي ، والبادى والمكتوم ؟ قال : تركتُ لهم الطَّويلَ العريض ، القومُ زعموا أن الفلسفة مُواطئةٌ للشريعة ، والشريعة مُوافقةٌ للفلسفة ؛ ولا فرق بين قول القائل : قال النبي ، وقال الحكم ، وأن أفلاطن ما وضع كتاب التواميس إلا لنعلم كيف نقول ؟ وبأى

شئ نبحت ، وما الذى نُقدِّم وتؤخر ، وأن النبوة فرعٌ من مروع الفلسفة ، وأن
الفلسفة أصلُ علم العالم ، وأن النبىَّ محتاجٌ إلى تنعيم ما يأتى به من جهة الحكيم ،
والحكيم غنى عنه ؛ هذا وما أشبهه ؛ وأنَّ صاحبَ الدين له أن يُعيِّنَ
ويورثَ ويُشيرَ ويَكْنِىَ حتى تتمَّ المصلحةُ ، وتنتظمَ الكلمةُ ، وتتفقَ الجماعةُ ،
وتثبتَ الشئنةُ ، وتحلوا المعيشةُ ، وحتى قال قائلٌ منهم : « أوائلُ الشريعةِ أمورٌ
مُبتدعةٌ ، ووسائلُها سننٌ مُتَّبعةٌ ، وأواخرُها حقوقٌ مُنتزعةٌ » وإنَّ هذا التَّغَتُّ من
قولى : « إنَّ الشريعةَ إلهيةٌ ، والفلسفةُ بشريةٌ » ، أعنى أنَّ تلكَ بالوحى ، وهذه
بالتعلُّل ، وأنَّ تلكَ موثوقٌ بها ومُطمأنٌّ إليها ، وهذه مشكوكٌ فيها مضطربٌ عليها .

قال له البخارى : فلمَ لمَ ينهج صاحبُ الشريعةِ هذه الطريق ، وكان يزول
هذا الخصاص ، وينتفى هذا الظنُّ ، وتكسدُ هذه السُّوق ؟ فقال : إنَّ صاحبَ الشريعةِ
مستغرقٌ بالنور الإلهيِّ ، فهو محبوس على ما يراه ويُبصرُه ، ويحده وينظره ،
لأنَّه مأخوذ بما شهده بالعيان وأدركه بالحسِّ وناله بوديعة الصدر عن كل ما عده ،
فهذا يدعو إلى اقتباس كماله الذى حصل له ، ولا يسعد بدعوته إلا من وفق
لإجابته ، وأذعن لطاعته ، واهتدى بكلمته ، والفلسفة كمال بشرى ، والدين
كمال إلهيِّ ، والكمال الإلهيِّ غنى عن الكمال البشرى ، والكمال البشرى
فقيرٌ إلى الكمال الإلهيِّ ، فهذا هذا ، وما أمر الله عزَّ وجلَّ بالأعتبار ، ولا حثَّ
على التدبُّر ، ولا حرَّك القلوب إلى الاستنباط ، ولا حبَّبَ إلى القلوب البحث في
طلب المكنونات ، إلا ليكونَ عبادُه حُكَّاءَ ألباءٍ أُنبياءَ أذكِياءَ ، ولا أمرَ
بالسليم ولا حظرَ التلوى والإفراط في التعمُّق إلا ليكونَ عبادُه لاجئين إليه
مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ ، مُعْتَصِمِينَ بِهِ ، خَائِفِينَ مِنْهُ ، رَاجِينَ لَهُ ، يدعونه خوفاً وطمعا ،

وَيَعْبُدُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا ، فَبَيْنَ مَا بَيْنَ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَعِبَادَتِهِ ، وَطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ، وَأَخْفَى مَا أَخْفَى لَتَدُومَ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقَعُ الْغِنَى عَنْهُ ، وَبِالْحَاجَةِ يَقَعُ الْخُضُوعُ وَالتَّجَرُّدُ ، وَبِالِاسْتِغْنَاءِ يَغْرِضُ التَّجَبُّرُ وَالتَّمَرُّدُ ؛ وَهَذِهِ أُمُورٌ جَارِيَةٌ بِالْعَادَةِ ، وَثَابِتَةٌ بِالسَّيَرَةِ الْجَائِزَةِ وَالْعَادِلَةِ ؛ وَلَا سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهَا وَرَفْعِهَا وَإِنْكَارِهَا وَجَعْلِهَا ، فَلِهَذَا لَزِمَ كُلٌّ مِنْ أَدْرَكَ بِعَقْلِهِ شَيْئًا أَنْ يَتَمَّ نَقْصَهُ بِمَا يَجِدُهُ عِنْدَ مَنْ أَدْرَكَ مَا أَدْرَكَ يَوْحِي مِنْ رَبِّهِ .

وقال أيضاً : مما يُؤَكِّدُ هذه الجملة أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَدْ أَتَتْ عَلَى مَقْضُولٍ كَثِيرٍ ، بنور الوحي المنير ، ولم تأتِ الفلسفةُ على شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ لَا كَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ :

قال : وَلَيْسَ لِيُونَانَ نَبِيٌّ يُعْرِفُ ، وَلَا رَسُولٌ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ صَادِقٌ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَفْزَعُونَ إِلَى حُكَّائِهِمْ فِي وَضْعِ نَامُوسٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ حَيَاتِهِمْ وَنِظَامَ عَيْشِهِمْ وَمَنَافِعَ أَحْوَالِهِمْ فِي عَاجِلَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مَلُوكُهُمْ تُحِبُّ الْحِكْمَةَ وَتُؤَثِّرُ أَهْلَهَا ، وَتَقَدِّمُ مِنْ تَحَلَّى بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ النَامُوسُ يُعْمَلُ بِهِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَبْلَاهُ الزَّمَانُ ، وَأَخْلَقَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، عَادُوا فَوَضَعُوا نَامُوسًا آخَرَ جَدِيدًا بِزِيَادَةِ شَيْءٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوْ نَقْصَانٍ ، عَلَى حَسَبِ الْأَحْوَالِ الْغَالِبَةِ عَلَى النَّاسِ ، وَالْمَغْلُوبَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِهَذَا لَا يُقَالُ : إِنَّ الْإِسْكَانْدَرَ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِ حِينَ سَارَ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَ يَذْكُرُ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : فُلَانٌ ، أَوْ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ، وَلَقَدْ وَقَعَ دَارًا وَغَيْرَهُ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ الْقَلْبَةِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ ، وَحِيَازَةِ الدِّيَارِ وَجَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالسَّيِّ وَالْفَارَةِ ، وَلَوْ كَانَ لِلنَّبِوَةِ ذِكْرٌ وَلِلنَّبِيِّ حَدِيثٌ لَكَانَ ذَلِكَ مَشْهُورًا مَذْكُورًا ، وَمُؤَرَّخًا مَعْرُوفًا .

قال الوزير : هذا كلامٌ عجيبٌ ما سمعتُ مثله على هذا الشرح والتفصيل ، قلتُ :

إنَّ شيخنا أبا سليمان غزيرُ البحر ، واسع الصدر ، لا يُغلقُ عليه في الأمور الروحانية والأنباء الإلهية والأسرار الغيبيَّة ، وهو طويلُ الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتي مزاجا حسن الاعتدال ، وخطراً بعيد المنال ، ولسانا فسيح المجال ، وطريقته هذه التي أجتباها مكتنفةً بمعارضاتٍ واسعة ، وعليها مداخلُ الخصائمه ، وليس يني كلُّ أحدٍ بتلخيصه لها ، لأنه قد أنرزَّ الشريعة من الفلسفة ، ثم حثَّ على انتحالها معا ، وهذا شبيهٌ بالمناقضة . وقد رأيتُ صاحباً لمحمد بن زكرياء في هذه الأيام ورد من الرميِّ يقال له : أبو غانم الطيب يُشادُّه في هذا الموضع ويضيقُه ، ويُلزِمُه القول بما يُنكره على الخصم ، وإذا أُذِنَتْ رَسَمْتُ كلامهما في ورقات . قال الوزير : قد بان الغرض الذي رمى إليه ، وتقليبه بالجلد لا يزيده إلا إغلاقاً ، والقصدُ معروف ، والوقوفُ عليه كافٍ ، ومع هذا فليتَ حفظنا منه كان يتوفر بالتلاقي والاجتماع ، لا بالرواية والسماع ، هاتِ فائدة الوداع ، فقد بلغت في المؤانسة غاية الإمتاع .

قلت : أكره أن أختمَ مثل هذه الفقر الشريفة بما يشبه الهزل وينافي الجِدِّ ، (٧) فإن أُذِنَتْ رَوَيْتُ ما يكون أساساً ودِّعامة لما تقدَّم . قال : هاتِ ما أحببت ، فما عهدنا من روايتك إلا ما يشوقنا إلى رؤيتك .

قلت : قال ابن المقفَّع : عملُ الرجل بما يَعْلَمُ أنه خطأ هوَّى ، والهوى آفةُ العفاف ، وتركه العمل بما يَعْلَمُ أنه صوابٌ تهاوُن ، والتهاوُن آفةُ الدين ، وإقدامه على ما لا يَعْلَمُ أصوابٌ هو أم خطأ لحاج ، واللجاج آفةُ الرأي .

قال — حَرَسَ الله نفسه — : ما أَكْثَرَ رَوْنَقَ هذا الكلام ! وما أعلَى رُتْبَتَه في كُفْهِ العقل ! أَكُتِبَ لَنَا ، بل أَجْمَعَ لِي جُزْءٌ لطيفاً من هذه الفقر ، فإنها تُروِّحُ العقلَ في الفئنة بعد الفئنة ، فإنَّ نورَ العقل ليس يَشِيعُ في كلِّ

وقت ؛ بل يَشِعُّ مِرَّةً وَيَبْرِقُ مِرَّةً ، فإذا شَعَّ عَمَّ نَفْعُهُ ، وإذا بَرَقَ خَصَّ نَفْعُهُ
وإذا خَفِيَ بَطَلَ نَفْعُهُ . قلت : أفعلُ . فقال : إن كان معك شيءٌ آخرُ فاذكُرْهُ ،
(٨) فإنَّ الحديثَ الحَسَنَ لا يُمَلُّ ، وما أَحَسَنَ ما قال خالدُ بنُ صَفْوَانَ ، فإنه قيل
له : أتمَلُّ الحديثَ ؟ قال : إنما يُمَلُّ العَتِيقُ . قال : صدق خالد : إنَّ الحديثَ
لا يُمَلُّ من الزَّمانِ ^(١) إلا فيما يليه ^(٢) ، وإلا فكيف يُمَلُّ في أوَّلِ زمانه وفاتحته
أوانه ، وإنما المَلَلُ يَعْزِضُ بِتَكَرُّرِ الزَّمانِ وَضَجَرِ الحِسِّ وَنِزاعِ الطَّبعِ إلى
الجديد ، ولهذا قيل : لكلُّ جديدٍ لَذَّةٌ .

(٩) فحَكَيْتُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَلَّدَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ مَمْلَكَتَهُ عَكَّفَ عَلَى الصُّبُوحِ
وَالْعَبُوقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَزِيرُهُ رُقْعَةً يَقُولُ فِيهَا : إِنَّ فِي إِدْمَانِ المَلِكِ ضَرراً عَلَى
الرَّعِيَةِ ، والوجهُ تخفيفُ ذلك والنظرُ في أُمُورِ المَمْلَكَةِ . فَوَضَعَ عَلَى ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
بِالْفَارِسِيَّةِ بِمَا تَرْجُمُهُ : يا هذا ، إذا كانت سُبُلُنَا آمِنَةً ، وسيرتُنَا عادلةً ، والدُّنْيَا
بِاسْتِقَامَتِهَا عَامِرَةً ، وَعُمَالُنَا بِالْحَقِّ عَامِلَةً ، فَلِمَ نَمْنَعُ فَرَحَةً عاجلةً ؟

قال : من حَدَّثَكَ بهذا ؟ قلت : أَبُو سُلَيْمَانَ شَيْخُنَا ، قال : فكيف كان
رِضاهُ عن هذا المَلِكِ في هذا القول ؟ فقلت : أَعْتَرَضَ فقال : أَخْطَأَ من وجوه ،
أَحَدُهَا أَنَّ الإِدْمَانَ إِفْرَاطٌ ، والإِفْرَاطُ مَذْمُومٌ ؛ وَالْآخَرُ أَنَّهُ جَهْلٌ أَنَّ أَمْنَ السَّبِيلِ
وَعَدْلَ السَّيْرِ وِعِمَارَةَ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ بِالْحَقِّ مَتَى لَمْ يُؤْكَلْ بِهَا الطَّرْفُ السَّاهِرُ وَلَمْ
تُحَاطَ بِالْعَنَايَةِ التَّامَّةِ ، وَلَمْ تُحَفَظْ بِالأَهْتَامِ الجَالِبِ لِسَوَامِ النِّظَامِ ، دَبَّ إِلَيْهَا النِّقْصُ
وَالنِّقْصُ بَابٌ لِلانْتِقَاضِ ، مُزْعَزِعٌ لِلدُّعَاةِ ، وَالْآخَرُ أَنَّ الزَّمانَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ

(١) من الزمان ، أى في وقت من الزمان .

(٢) في نسخة فاتحته . وفي نسخة ما تحته ؛ وهو تحريف في كليهما ؛ وسياق الكلام

الآتى بعد يقتضى ما أثبتنا .

يُنْزِلُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّمَتُّعِ ، فَإِنْ فِي تَكْمِيلِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ
بِاِكْتِسَابِ الرُّشْدِ لَهَا وَإِبْعَادِ الْغَيِّ عَنْهَا مَا يَسْتَوْعِبُ أَضْعَافَ الْعَمْرِ ، فَكَيْفَ إِذَا
كَانَ الْعُمْرُ قَصِيرًا ، وَكَانَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَلْهَوًى كَبِيرًا ؟ وَالْآخِرُ أَنَّهُ ذَهَبَ عَلَيْهِ أَنَّ
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ إِذَا وَقَفَتْ عَلَى أَسْتَهْثَارِ الْمَلِكِ بِالذَّاتِ ، وَأَنْهَمَا كِهَ فِي طَلَبِ
الشَّهَوَاتِ ، أَزْدَرَّتْهُ وَأَسْتَهَانَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْ عَنْهُ بِأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَعَادَاتِ الْحَصِيرِ
وَأَسْتَهَانَةُ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ بِالنَّاظِرِ فِي أَمْرِهَا وَالْقِيَمِ بِشَأْنِهَا مَتَى تَكَرَّرَتْ عَلَى
الْقُلُوبِ تَطَرَّقَتْ إِلَى اللِّسَانِ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْحَافِلِ ، وَالتَفَّتْ بِهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
وَهَذِهِ مَكْسَرَةُ الْهَيْبَةِ ، وَقَوْلُهُ الْهَيْبَةُ رَافِعَةٌ لِلْحَشْمَةِ ، وَارْتِفَاعُ الْحَشْمَةِ بَاعِثٌ عَلَى
الْوَسْثَةِ ، وَالْوَسْثَةُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ مِنَ الْهَلَكَةِ ؛ وَمَا خَلَا الْمَلِكُ مِنْ طَامِعٍ رَاصِدٍ قَطُّ
وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ الْحَازِمِ أَنْ يَظُنَّ أَنَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا مُنَازِعَ ، وَقَدْ يَنْجُمُ الضَّدُّ
وَالْمُنَازِعُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَا أَكْثَرَ خَجَلِ الْوَائِقِ ! وَمَا أَقَلَّ حَزْمِ الْوَائِقِ !
وَمَا أَقَلَّ يَقِظَةِ الْمَائِقِ ^(١) !

ثُمَّ قَالَ : وَعَلَى الضَّدِّ مَتَى كَانَ السَّائِسُ ذَا تَحْفُظٍ وَبَحْثٍ ، وَتَنْبُحٍ وَحَزْمٍ
وَإِكْبَابٍ عَلَى لَمِّ الشُّعْمِ وَتَقْوِيمِ الْأَوْدِ وَسَدِّ الْأَخْلَالِ وَتَعْرِيفِ الْجَهُولِ وَتَحْقِيقِ
الْمَعْلُومِ وَرَفْعِ الْمُنْكَرِ وَبَثِّ الْمَعْرُوفِ ، احْتَرَسَتْ مِنْهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ ، وَأَسْتَشْعَرَتْ
الْهَيْبَةَ ، وَالتَّزَمَتْ بَيْنَهَا النَّصْفَةَ ، وَكُفِّيتْ كَثِيرًا مِنْ مُعَانَاتِهَا وَمِرَاعَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ
لِلدَّوْلَةِ رَاصِدٌ لِلْغَرَةِ يَتَسَّرُ مِنْ نَفُوزِ الْحِيلَةِ فِيهَا ، لِأَنَّ اللَّصَّ إِذَا رَأَى مَكَانًا حَصِينًا
وَعَهْدَ عَلَيْهِ حُرَّاسًا لَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِالتَّعَرُّضِ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ قَصْرًا فِيهِ ثُلْمَةً ،
وَبَابًا إِلَيْهِ طَرِيقَ ، وَالْأَعْرَاضُ بِالْأَسْبَابِ ، وَإِذَا ضَعُفَ السَّبَبُ ضَعُفَ الْعَرَضُ ،
وَإِذَا انْقَطَعَ السَّبَبُ انْقَطَعَ الْعَرَضُ .

(١) المائق : الأحمق الغرّ . وفي كلتا النسختين « الفائق » ؛ وهو تحريف .

قال — أدام الله أيامه — : هذا كلامٌ كافٍ شافٍ . وقال بسند ذلك :
حدثني عما تسمع من العامة في حديثنا .

(١٠) قلتُ : سمعتُ (باب الطاق) قوما يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشطِّ ،
فلما نزل اليزير ليركب المركب صاحوا وضحوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام
وتعذر الكسب وغلبة الفقر وتهتك صاحب العيال ، وأنه أجابهم بجوابٍ
مريم مع قطوب الوجه وإظهار التبرم بالاستغانة : بعدُ لم تأكلوا النخالة .
قال : والله ما قلتُ هذا ، ولا خطرَ لي على بال ، ولم أقابلَ عامةً جاهلةً
ضعيفةً جامئةً بمثل هذه الكلمة الخشنة ، وهذا يقوله من طرح ^(١) الشرَّ وأحبَّ
الفسادَ وقصدَ التشنيعَ على والإيحاشَ متى ، وهو هذا العدوُّ الكلب ، « يعني
ابن يوسف » كفاني الله شرَّه ، وشغله بنفسه ، ونكسَ كيدَه على رأسه ؛ والله
لأنظرنَّ لها وللقراء بمالٍ أطلقه من الخزانة ، وأرسمُ ببيع الخبز ثمانية بدرهم ،
ويصلُ ذلك إلى الفقراء في كلِّ محلةٍ على ما يذكرُ شيخُها ، ويبيع الباقيون على
السعر الذي يُقوِّم لهم ، ويشترية الغنيُّ الواحد ؛ ففعل ذلك — أحسنَ الله جزاءه —
على ما عرفتُ وشاهدتُ ، وأبلغته بنشر الدعاء له في الجوامع والجامع بطول
البقاء ودوام القلاء وكبتِ الأعداء ونصرِ الأولياء . ثم كتبتُ جزءاً من الفقر
على ما رسم من قبل ، فلما أوصلته إليه قال لي : اقرأ ، فقرأته عليه ، فقال :
صلِّ هذا الجزء بجزء آخر من حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — والصحابة
وبجزء من الشعر ، وبشيء من معاني القرآن ، فإنه مقدَّم على كلِّ شيء بحسب
ما رفع الله من خطره ، وأحوجَ إلى فهمه ، ونَدَبَ إلى العملِ به ، وأثابَ على
التفكير فيه والتعجُّب منه .

(١) « طرح الصر » أي ألقاه في القلوب ، وهذا تعبير قد سبق المؤلف مثله في صفحة ١٧
سطر ٢ ، مريداً به هذا المعنى .

وَعَظَّ^(١) رَجُلٌ مِنْ (جُهَيْنَةَ) (عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) فِي قِصَّةِ الْحُكُومَةِ ، قَالَ عَمْرُو (١١)
 لَهُ : مَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا تَيْسَ جُهَيْنَةَ ؟ فَوَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكَ الْحَقُّ ، وَلَا يَضُرُّكَ الْبَاطِلُ ،
 فَاسْكُتْ فَإِنَّ الظَّلْفَ لَا يَجْرِي مَعَ الْخَفِّ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ الْمَدُنَ تُبْنَى عَلَى الْمَاءِ وَالْمَرْعَى وَالْمُحْتَطَبِ
 وَالْحَصَانَةِ .

وقال الشاعر :

لَا حَ سُهَيْلٌ فِي الظَّلَامِ الدَّامِسِ كَأَنَّهُ نَارٌ بِكَفِّ الْقَابِسِ
 قَالَ رُبَيْعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكٍ فِي عَمْرُو بْنِ الْإِطْنَابَةِ — حِينَ دَفَعَ أُخْتَهُ وَأَخَذَ
 أَخَاهُ وَكَانَ أَسِيرًا فِي قَوْمِهِ ، وَجَعَلَ دَفَعَ أَخِيهِ إِلَيْهِ صَدَاقَ أُخْتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي
 تَسْمِيهِ الْعَرَبُ الْمُسَاهَاةَ^(٢) — : فَقَدْ حَزَمِي الَّذِي هُدَيْتُ لَهُ ، وَعَزَمِي الَّذِي أُرْشِدْتُ
 إِلَيْهِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَسَاهَى بِهَا عَمْرُو وَرَاعَى إِفَالَهُ^(٣) فَرُبْدٌ وَتَمَرٌ بَعْدَ ذَلِكَ كَثِيرُ
 وَكَانَتْ دِيَّةُ الْعَرَبِيِّ مِائَةً وَسُقْيٍ ، وَدِيَّةُ الْهَجِينِ خَمْسِينَ وَسُقْيَا ، وَدِيَّةُ الْمَوْلَى
 عَشْرَةٌ أَوْ سُقْيٍ ؛ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَجْعَلُ دِيَّةَ الْمُخَوَّلِ مِائَةً بَعِيرٍ ، وَدِيَّةَ الْمَوْلَى
 خَمْسَةً وَعِشْرِينَ بَعِيرًا .

(١) يلوح لنا أن هذه الفقر الآتية قد قرأها المؤلف على الوزير في ليلة أخرى غير
 الليلة السابعة عشرة السابقة وإن لم يرد في الأصول ما يدل على ذلك ؛ وإذن فتكون هذه هي
 الليلة الثامنة عشرة ، والليلة الآتية بعد هي الليلة التاسعة عشرة ، إذ لا يقل أن يطلب الوزير إلى
 المؤلف كتابة هذه الفقر في ليلة فيكتبها ثم يقرأها في نفس الليلة أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها
 إلى الوزير .

(٢) لعلهم سموا هذا النكاح بالمساهاة لما فيه من معنى المساهاة وهي المساعدة وترك
 الاستقصاء في المعاشرة .

(٣) « الإفالة » : صغار الإبل ، الواحد أفيل .

وقال جرير :

رَأَيْتُ بَنِي بَهَانَ أَذْنَابَ طَيِّءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وَصُدُورُ
تَرَى شَرْطَ^(١) الْمِعْزَى مُهَوَّرَ نَسَائِهِمْ وَفِي شَرْطِ الْمِعْزَى لَهُنَّ مُهَوَّرُ
وقال خالد بن جعفر بن كلاب^(٢) :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي (هُوَ زَنْ) بَعْدَمَا أَعْتَقْتُهُمْ فَتَوَالَدُوا أَحْرَارًا
وَقَتَلْتُ رَبَّهُمْ زُهَيْرًا بَعْدَمَا جَدَعَ الْأَنْوَفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارِ
وَجَعَلْتُ مَهْرَ نَسَائِهِمْ وَدِيَارِهِمْ عُقْلَ^(٣) الْمُلُوكِ هَجَانِنًا وَبِكَارًا
وقال جندل بن صفير ، وكان عبدا :

وَمَا فَكَّ رِقِّي ذَاتُ دَلٍّ خَدَلَجٍ وَلَا سَاقَ مَالِي صُدُقَةٌ وَعُقُولُ^(٤)
وَلَكِنْ نَمَانِي كُلُّ أَبِيضٍ خَضِرِمٍ^(٥) فَأَصْبَحْتُ أَذْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ
وقتل الكلبي عبد الله بن الجَوْشَنَ الْعَطَفَانِيَّ بِقَتْلِهِ ابْنَهُ الْجَرَّاحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
(رَوَّاد) ، وكانوا عرضوا عليه الدِّيةَ ، فقال :

شَفَيْتُ بَرَوَّادٍ غَلِيلاً وَجَدْتُهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْهُ مُسْتَمِرٌّ وَظَاهِرٌ

(١) « شرط المعزى » : صفارها .

(٢) كان من حديث هذا الشعر أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا ، وكان يعسرهم فإذا كانت سوق عكاظ أتاها زهير بن جذيمة وأتته هوازن بالإتاوة ، فأتته بمجوز مرة . بنحى فيه سمن ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدفعها بقوس كانت في يده ، فسقطت على الأرض ، فأنكشفت ، ففضب قومها ، وآلى خالد بن جعفر أن يقتله ، فلم يزل يعد لذلك عدته حتى أمكنته الفرصة فقتله . في حديث طويل ليس هنا موضع ذكره (انظره في بلوغ الأرب ج ١) .

(٣) العقل : جمع عقال ، وهى الناقة الفتية الحسنة . والهجان من الإبل : البيض الكرائم .

(٤) الخدج : المرأة البتلة الذراعين والساقين . والصدقة : المهر . والعقول : الديات ، واحده عقل .

(٥) « الخضرم » : السيد .

أَلَا لَيْتَ قَبْرًا بَيْنَ أَدَمَى ^(١) وَمُطْرِقٍ يُحَدِّثُهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ خَابِرٌ
وَقَالُوا نَذِيهٌ مِنْ أَبِيهِ وَفَتَدَى فَقُلْتُ: كَرِيمٌ مَا تَذِيهِ الْأَبَاعِرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ يَذْهَبُ دَثْرُهُ ^(٢) وَتَنْبَرُّ أَقْوَالُ وَتَبْقَى الْمَعَايِرُ
أَدَمَى وَمُطْرِقٌ غَدِيرَانِ ^(٣) بَيْنَ فَذَكَ وَبِلَادِ طَى.

سئلت أبنَةَ الْخُسِّ هَلْ يَلْقَحُ الْبَازِلُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَهُوَ رَازِمٌ، أَى وَإِنْ كَانَ
لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَزَالِ. يُقَالُ: جَلُّ بَازِلٌ ^(٤) وَنَاقَةٌ بَازِلٌ،
وَيُقَالُ: ضَرَبَهُ قَبْرُ كَعَمَةٍ إِذَا أَبْرَكَهُ، وَتَبَرَّكَعَ، وَيُقَالُ: شِمُّ لَى هَذِهِ الْإِبِلَ،
أَى أَنْظَرُ لَى خَبَرَهَا.

وَيُقَالُ لَوْلَدٍ كُلِّ بَهِيمَةٍ إِذَا سَاءَ غِذَاؤُهُ: جَجِنَ وَتَحَنَلَّ وَجَدَعَ، وَكُلُّ
مَا غُذِيَ بِغَيْرِ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ: عَجِيٌّ، وَكَذَلِكَ الْجَجْنُ ^(٥) وَالْوَيْغِلُ وَالسَّعْلُ كُلُّهُ
السَّيِّئُ الْغِذَاءِ.

سئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا
حِذَاؤُهَا ^(٦) وَسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ حَتَّى يَأْتِيَهَا «رَبُّهَا».
سئِلَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ، فَقَالَ: هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّئْبِ.
قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَالْأَقْطَةُ؟ قَالَ: «تَعْرِفُهَا سَنَةً وَنَحْصِي وَكَأَءُهَا وَوِعَاءُهَا».

(١) أَدَمَى «بضم الهمزة وفتح الدال، وسكنت للشعر».

(٢) «المال الدثر»: الكثير الوافر و«تنبر أقوال»، أى تبتق.

(٣) فى اللسان أن أَدَمَى: أرض بظاهر اليمامة. وذكر ياقوت أقوالاً كثيرة فى تعيين هذا
الموضع منها ما يوافق ماورد فى اللسان. ومطرق: باليمامة أيضاً.

(٤) البازل: الذى فطر نابه، أى انشق بدخوله فى السنة التاسعة.

(٥) يلاحظ أن هذه الكلمة قد ذكرت فيما سبق.

(٦) يشير بقوله «معا حذاؤها» لى أنها بعيدة المذهب قوة على المشى وقطع الأرض.
تشبيها لها بالسافر الذى معه حذاؤه وسقاؤه.

وعِفَاصُهَا^(١) وَعَدَدَها ؛ فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدَّها إِلَيْهِ .

وَقَالَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ : أَصَبْتُ مِائَةَ دِينَارٍ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « اِحْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا وَعَدَدَهَا فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَخْبِرْكَ بِعَدَدِهَا وَعِفَاصِهَا وَوِكَائِهَا فَأَدَّها إِلَيْهِ وَإِلَّا فَعَرَّفْهَا سَنَةً ، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِقُبَّةِ النَّخْلَتَيْنِ^(٢) قَالَ لَهُ الْأَنْصَارُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي السَّبَاقِ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى النَّوَاضِحِ^(٣) — وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي أُخْرِيَّاتِ النَّاسِ ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ عَلَى الْعِصْبَاءِ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ فِي أَوَّلِ النَّاسِ — فَقَالَ : أَيْنَ أُسَامَةُ ؟ فَنَتَادَى النَّاسُ حَتَّى بَلَغَ أُسَامَةُ الصَّوْتُ ، فَوَضَعَ السَّوْطَ فِي النَّاقَةِ فَأَقْبَلَتْ ، فَلَمَّا دَنَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ أَرَادُوا السَّبَاقَ فَأَنْخِ نَاقَتَكَ حَتَّى تَرَعُو ، ثُمَّ عَلَّقِ الْخِطَامَ ثُمَّ سَابِقْهُمْ ؛ ففَعَلَ وَاسْتَبَقُوا ، فَسَبَقَتْ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ أُسَامَةُ يُكَبِّرُ وَيَقُولُ : سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ : سَبَقَ أُسَامَةُ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : أَقْصِرْ يَا أُسَامَةُ ، فَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فِيهِمْ حِيَالٌ وَخَفِيزَةٌ .

(١٢) قَالَ : وَلَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ سَنَامٌ إِلَّا الْبَعِيرُ ، وَلِبَعْضِ الْبَخَائِي سَنَامَانِ ، وَلِبَعْضِ الْبَقَرِ شَيْءٌ صَغِيرٌ عَلَى مَوْضِعِ الْكَاهِلِ . وَالْجَمْلُ يَبُولُ إِلَى خَلْفٍ ،

(١) العِفَاصُ : وَعَامٌ مِنْ جِلْدٍ يَضَعُ فِيهِ الْمَسَافِرُ نَفَقَتَهُ .

(٢) الْقُبَّةُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . وَلَمْ نَجِدْهُ مَضَافًا إِلَى النَّخْلَتَيْنِ فَيَأْرَاجُ عَنْهُ مِنَ الْكُتُبِ فَلَعَلَّ فِي هَذَا الْأَسْمِ تَحْرِيفًا .

(٣) النَّوَاضِحُ : الْإِبِلُ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا .

وكذلك الأسد . وقضيبُ الجمل من عَصَبٍ ، وقضيبُ الإنسان من لحمٍ وغضروفٍ ،
وقضيبُ الذئبِ والعلبِ من عظمٍ ، وقضيبُ ذَكَرِ الأرنابِ من عظمٍ على
صورة الثَّقبِ كأنه نصفُ أنبوبةٍ مشقوقة . وفي قلبِ الثَّورِ عَظْمٌ ، وربما وُجد
في قلبِ الجملِ . والمرأةُ تَلِدُ من قُبُلٍ ، والناقةُ من خَلْفٍ . وزمانُ نَزْوِ الجِمالِ في
(شباط) . والإناثُ من الإبلِ تَحْمِلُ اثْنَيْ عَشَرَ شهرًا وتَضَعُ واحدًا وتَلْقَحُ إذا
بلغت ثلاثَ سنين ، وكذلك الذَّكَرُ ، ثم تُقيمُ الأثني سَنَةً ثم يُنَزَّى عليها .
وزعمَ صاحبُ المُنطِقِ أَنَّ الجملَ لَا يُنَزَّى على أُمِّه ، وإن اضْطُرَّ كَرِهَهُ .

قال : وقد كان رجلٌ في الدَّهْرِ السَّالِفِ سَتَرَ أُمَّهُ بِثَوْبٍ ثم أَرْسَلَ بِكَرٍّ
عليها ، فلما عَرَفَ ذلك لم يُتِمِّمْ وقطع ، وحَقَّدَ على الجَمَالِ فقتله .

قال : وقد كان للملِكِ فَرَسٌ أَثْنَى ، وكان لها أَفْلَاءٌ^(١) ، فأراد أن تَحْمِلَ
من أَكْرَمِها ، فَصَدَّ عنها وكرِهها ، فلَمَّا سَتَرَتْ وَثَبَ فَرَكِبها ، فلَمَّا رَفَعَ الثَّوْبُ
ورآها هَرَبَ ومَرَّ حُضْرًا^(٢) حتى ألقى نَفْسَهُ في بعضِ الأودِيَةِ فهلك ...^(٣)

هذا كلامُ أميرِ المؤمنين على بن أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وجهه .

قال حُذَيْفَةُ : كُنْ في الفتنَةِ كَابِنِ اللَّبُونِ ، لا ظَهَرَ فَيُزَكَّبَ ، ولا
لَبِنَ فَيُحْلَبَ .

قال ديوجانس : إِنَّ المَرَأَةَ تُلَقِّنُ الشَّرَّ مِنَ المَرَأَةِ ، كما أَنَّ الأَفْعَى تأخذ السمَّ^(١٣)
من الأَصِلَةِ .

(١) الأفلاء : جمع فاء بكسر الفاء ، وهو المهر الذي لم يبلغ الفطام .

(٢) الحضر بالضم : سرعة العدو .

(٣) ورد في « ب » مكتوباً على هامشها عند موضع هذه النقط ما يفيد أنه قد سقط
من النسخة ثلاث ورقات .

وقال فيثاغورس : إن كثيراً من الناس يرون العلمى الذى يعرض لعين
ألبدين فتأباه أنفسهم ، فأما عمى عين النفس فإنهم لا يرونه ولا تأباه أنفسهم ،
فلذلك لا يستحيون .

وقال أيضاً : كما أن الذى يسلك طريقاً لا يعرفه لا يدري إلى أى موضع
يؤديه ، كذلك الذى يسمع كلاماً لا يعرف الغرض فيه لا يرج منه
إلا التعب .

قيل لديوجانس : أيهما أولى ، طلب الغنى ، أم طلب الحكمة ؟ فقال :
للدنيا الغنى ، وللآخرة الحكمة .

وقيل له : متى تطيب الدنيا ؟ قال : إذا تفلسف ملوكها وملاك فلاسفتها .

(١٤) قال الوزير — اسعده الله — عندي أن هذا الكلام مدخول ، لأن
الفلسفة لا تصح إلا لمن رقص الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون
المالك رافضاً للدنيا وقالياً لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها والقيام عليها باجتلاب
مصلحتها ونفي مفسداتها ، وله أولياء يحتاج إلى تديبرهم وإقامة أبنيتهم والتوسعة
عليهم ومواكبتهم ومشاربتهم ومُداراتهم والإشراف على سرهم وعلايتهم ،
والمالك أتعب من الطبيب الذى يجمع معالجة كثيرة بضروب الأدوية المختلفة
والأغذية المتباينة ؛ هذا والطبيب فقير إلى تقديم النظر في نفسه وبدنه ، ونفى
الأمراض والأغراض عن ظاهره وباطنه ، ومن كان هكذا ومن هو أكثر
منه وأشد حاجة وعلاقة كيف يستطيع أن يكون ملكاً وحكماً ؟ ولعل قائلًا
يظن هذا ممكناً ، ويكون الملك واعياً في الحكمة بالدعوى ، وقائماً بالملك على
طريق الأولى ، وهذا إلى التيات الأمر واختلاله واختلاله في الملك والفلسفة

[أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى إِحْكَامِ الْأَصْلِ وَإِثْبَاتِ الْفَرْعِ . قَالَ : وَلِهَذَا] لَمْ نَجِدْ نَحْنُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ نَظَرٍ فِي أَمْرِ الْأُمَّةِ عَلَى الزَّهْدِ وَالْتَقَى وَإِشَارِ الْبِرِّ وَالْهَدَى إِلَّا عِدَدًا قَلِيلًا ، وَالْجَوْسُ تَزْعُمُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ مُعَرَّجَةٌ عَنِ الْمَلِكِ ، أَيْ الَّذِي يَأْتِي بِهَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يُعَرِّجَ عَلَى الْمَلِكِ ، بَلْ لَهُ أَنْ يَكِلَ الْمَلِكُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ ، وَلِهَذَا قَالَ مَلِكُنَا الْفَاضِلُ : الدِّينُ وَالْمَلِكُ أَخَوَانُ ، فَالدِّينُ أَسُّ ، وَالْمَلِكُ حَارِسُ ، فَالْأَسُّ لَهُ فَهُوَ مَهْدُومٌ ، وَمَا لِحَارِسٍ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ .

فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا بَابٌ إِنْ تَوَزَّعَ ^(١) الْقَوْلُ فِيهِ طَالَ ، وَإِنْ رُمِيَ بِالْقَصْدِ جَازَ ، وَالْأُمَّةُ كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَمَا يَجْرِي بِجَرَى النِّيَابَةِ عَنْ صَاحِبِ الدِّيَانَةِ عَلَى فَنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَجَمَلٌ مُتَعَدِّدٌ ، إِلَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، حَامِلًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، عَلَى طَرَائِقِهَا الْمَعْرُوفَةِ ، لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ سِيَاسَةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ ، وَالْمَلِكُ سِيَاسَةُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ مَتَى خَلَّتْ مِنَ السِّيَاسَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالسِّيَاسَةُ مَتَى عَرِيتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ كَانَتْ نَاقِصَةً ، وَالْمَلِكُ مَبْعُوثٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَ الدِّينِ مَبْعُوثٌ ، إِلَّا أَنْ أَحَدَ الْبَعِثَيْنِ أَخْفَى مِنَ الْآخَرِ ، وَالثَّانِي أَشْهَرُ مِنَ الْأَوَّلِ ^(٢) . قَالَ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ — كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ قُلْتُ : إِنْ الْمَلِكُ مَبْعُوثٌ أَيْضًا ؟ فَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَا ثَبَتَتْ فِي أُذُنِي قَطُّ ، وَلَا خَطَرَتْ لِي عَلَى بَالٍ ؛ قُلْتُ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ : (إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) . فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذَا قَطُّ .

ذَكَرَ لِلْإِسْكَندَرِ سِوَهُ أَحْوَالِ رُؤَسَاءِ مَذْهَبِهِ لَمَّا كَانَ أَبُوهُ أَحْتَازَ أَمْوَالَهُمْ (١٥) وَسَلَبَ أَحْوَالَهُمْ . فَقَالَ : يَجِبُ لِلْأَبَاءِ عَلَى الْأَبْنَاءِ إِزَالَةُ أَلَدَمَ عَنْهُمْ ، [وَحَوُّ الْإِسْمِ ،

(١) فِي (١) «تَوَزَّعَ» .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : «وَالأَوَّلُ أَشْهَرُ مِنَ الثَّانِي» .

ستعطافُ ألقابِ عليهم ، ونشرُ الحمدِ عنهم ؟ وأمرَ بردُ أموالهم عليهم ، وزاد في الإحسان إليهم . وقال : قد بلغَ من فرطِ شفقةِ الآباءِ على الأبناء أن يُسيثوا إلى أنفسهم لتكونُ الإساءةُ سبباً للإحسانِ إلى أولادهم ، لأنهم يرون أولادهم كأفسهم لأنهم من أنفسهم .

قلت : أيها الوزير ، إني لأعجبُ من الإسكندر في الفعل الرّشيد وأقول : السّديد ، فهذا المنصورُ أبو جعفر صاحبُ الشهامةِ والصّرامةِ أخذَ من وجوهِ العراقِ أموالاً بخواتيمِ أصحابها وأقرّمهم ، وجعلها في خزائنه بعد أن كتبَ على تلك الخراطِ والظُروفِ أسماءَ أهلها ، ثمّ وصّى المهديّ بردّها على أصحابها بعد موته ، ووكّد ذلك عليه ، وقال : يا بُنيّ ، إنما أريدُ بهذا أن أُحبّيك إلى الناس ، ففعل المهديّ ذلك ؛ فانشرّ له الصّيتُ وكثُرَ اللّطاءُ وعجّت الأصوات ، وقال الناس : هذا هو المهديّ الذي ورد في الأثر . فقال : هذا هجَب .

وقال سُقراط : ينبغي لمن علمَ أنَّ البدنَ هو شيءٌ جُعِلَ نافعاً للنفسِ مثلَ الآلةِ للصانعِ أن يطلبَ كلَّ ما يصيرُ البدنُ به أُنفعَ وأَوْفَقَ لأفعالِ النفسِ التي هي فيه ، وأن يَهْرُبَ من كلِّ ما يُصَيِّرُ البدنَ غيرَ نافعٍ ولا موافقٍ لاستعمالِ النفسِ له . قال أوميرئوس : لا ينبغي لك أن تؤثرَ عِلْمَ شيءٍ إذا عَيَّرَتْ به غَضِبَتْ ، فانك إذا فعلتَ هذا كُنتَ أنتَ القاذِفُ لنفسِكَ .

وقال ديوجانس : من القبيح أن تتحرى في أغذيةِ البدنِ ما يصلحُ له ولا يكون ضاراً ، ولا تتحرى في غذاءِ النَّفسِ الذي هو العِلْمُ لئلا يكون ضاراً . وقال أيضاً : من القبيح أن يكون الملاح لا يُطلقَ سفينته في كلِّ ريح ، ونحن نُطلقُ أنفسنا في غيرِ بحثٍ ولا اختبار .

ذكر لنا أبو سليمان أن فيلسوفاً وَرَدَ مَدِينَةَ فِيهَا فِيلَسُوفٌ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَدَنِيُّ
كَأْسًا مَلَأَى ، يُشِيرُ بِهَا إِلَى أَنَّ الاسْتِغْنَاءَ عَنْهُ وَاقَعَ عِنْدَهُ ، فَطَرَحَ الْقَادِمُ فِي الْكَأْسِ
إِبْرَةً ، يُعَلِّمُهُ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ تَنْفُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ .

وقال فيلسوفٌ يونانيٌّ : التَّقَلُّبُ فِي الْأُمُصَارِ ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْجَامِعِ ^(١) ،
والتَّصَرُّفُ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَاسْتِمَاعُ فَنُونِ الْأَقْوَالِ ، مِمَّا يَزِيدُ الْإِنْسَانَ بَصِيرَةً
وَحِكْمَةً وَتَجَرِبَةً وَيَقْظَةً وَمَعْرِفَةً وَعِلْمًا .

قال الوزير : مَا الْبَصِيرَةُ ؟ قُلْتُ : لَحَظُ النَّفْسِ الْأُمُورَ . قَالَ : فَمَا الْحِكْمَةُ ؟
قُلْتُ : مُبْلَغُ الْقَاصِمَةِ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْظِ . قَالَ : فَمَا التَّجَرِبَةُ ؟ قُلْتُ : كَمَالُ النَّفْسِ بِلِحَازِ
مَا لَهَا . قَالَ : هَذَا حَسَنٌ .

قال أنكساغورس : كَمَا أَنَّ الْإِنَاءَ إِذَا أُمْتَلَأَ بِمَا يَسْعُهُ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ تَجْعَلُ فِيهِ
زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَاضٍ وَانْصَبَ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ شَيْءٌ آخَرُ ؛ كَذَلِكَ
الذَّهْنُ مَا أَمْكَنُهُ أَنْ يَضْبُطَهُ فَإِنَّهُ يَضْبُطُهُ ، وَإِنْ طُلِبَ [مِنْهُ] ضَبْطُ شَيْءٍ آخَرَ
أَكْثَرَ مِنْ وَسْعِهِ تَحَيَّرَ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ الذَّهْنُ ضَابِطًا لَهُ ،
وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ ، وَإِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذَا ظَنُّوا وَقَالُوا : إِنَّ الْإِنْسَانَ
يَسْتَطِيعُ حِفْظَ جَمِيعِ فَنُونِ الْعِلْمِ وَالْقِيَامَ بِهَا وَالْإِبْقَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مَقْدُورًا
عَلَيْهِ [لَوُجِدَ ، وَ] لَوُجِدَ لِمَعْرِفٍ ، وَلَوْ عُرِفَ لَذِكْرِ ، وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا وَقَلْبُ
الْإِنْسَانِ مُضْغَةٌ ، وَقُوَّتُهُ مَقْصُورَةٌ ، وَابْتِسَاطُهُ مُتَنَاهٍ ، وَاقْتِبَاسُهُ وَحْفَظُهُ وَتَصَوُّرُهُ
وَذِكْرُهُ مَحْدُودٌ ؟ وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُهَدَّى الطَّبْرِيُّ قَالَ : قُلْتُ بَيْنَخَدَادِ لِأَبِي
بِشْرٍ : لَوْ نَظَرْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَلْفَقِهِ مَعَ هَذِهِ الْأَبْرَاقِ الَّتِي لَكَ فِي الْكَلَامِ ، وَمَعَ هَذَا

اللسان الذى تحيّر فيه كلّ خصم . قال : أفعلُ ، قال . فكنتُ أقرأ عليه بالنهار مع المختلفة الكلام ، وكان يقرأ علىّ بالليل شيئاً من ألفقه ، فلما كان بعد قليل أقصرَ عن ذلك ، فقلت له : ما السبب ؟ قال : والله ما أحفظ مسألةً جليّةً فى ألفقه إلّا وأنسى مسألةً دقيقةً فى الكلام ، ولا حاجة لى فى زيادة شيء يكون سبباً لنقصان شيء آخر منى .

وسأل رجلٌ آخر أن يُقرضه مالا ، فوعده ثم غدر به ، فلامه الناس ، فقال : لأنّ يَحمرَّ وجهى مرّةً أحبُّ إلىّ من أن يصفرَّ مراهراً كثيرة .

وولّى أريوس ولايةً فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظهر الرجل ، بل الرجلُ يظهر الولاية .

وقال ديوجانس . الدنيا سوقُ المسافر ، فليس ينبغى للعامل أن يشتري منها شيئاً فوق الكفاف .

وقيل لاسطفانس : من صديقك ؟ قال : الذى إذا صرّْتُ إليه فى حاجة وجدته أشدَّ مُسارعةً إلى قضائها منى إلى طلبها .

وقال أفلاطون : إن النفس لذّتين : لذّة لها مجرّدة عن الجسد ، ولذّة مشاركة للجسد ، فأما التى تنفرد بها النفس فهى العلم والحكمة ، وأما التى تُشارك فيها البدن فالطعام والشراب وغير ذلك .

وقيل لسقراط : كيف ينبغى أن تكون الدنيا عندنا ؟ قال : لا تستقبلوها بتمنٍ لها ، ولا تتبعوها بتأسف عليها ؛ فلا ذلك يُجدي عليكم ، ولا هذا راجعٌ إليكم . وقال سقراط : القنينة^(١) مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس [ببحر] .

(١) فى كلتا النسختين : « القينة » ؛ وهو تعريف ؛ والقينة : ما يقنى

وقال بعض ندماء الإسكندر له : إن فلاناً يسىء الثناء عليك ، فقال : أنا أعلم أن فلاناً ليس بشيرير ، فينبغي أن يُنظر هل ناله من ناحيتنا أمرٌ دعاه إلى ذلك ، فَبَحَثَ عن حاله فوجدَهَا رَثَةً ، فأمر له بصلَّة سنَّيَّة ، فبلغه بعد ذلك أنه يسطر لسانه بالثناء عليه في المحافل ؛ فقال : أما ترون أن الأمر إلينا أن يقال فينا خيرٌ أو شرٌ . قيل لطياناؤوس : لم صِرتَ تسمى بالقول في الناس ؟ قال : لأنه ليس يمكنني أن أسىء إليهم بالفعل . وكان مرةً في صحراء ، فقال له إنسان : ما أحسنَ هذه الصحراء ! قال : لو لم تحضُرْها أنت .

وقال غالوس : ما وجه الأهتمام بما إن لم يكن ^(١) أَجْزَى فَوْتُهُ ، وإن كان فالمنفعة به وبمحضوره قليلة منقطعة .

وقال سُقْرَاط : ينبغي إذا وَعَظْتَ ألا تتشكَّلَ بشكل منتقمٍ من عَدُوٍّ ، ولكن بشكل من يُسْعِطُ أو يَكْوِي بعلاجه داء بصدق له ، وإذا وُعِظْتَ أيضاً بشيء فيه صلاحُك ، فينبغي أن تتشكَّلَ بشكل المريض للطبيب .

ركب مقاريوس في حاجة ، فمر بزيمُوس وقد تعلَّق به رجل يطالبه بمال اختدعه عنه وعليهما جماعةٌ من الناس ، وهو يسأله تنجيم ذلك المال عليه نجومًا ليؤديه ، ويتضرَّعُ أشدَّ التضرُّع . فقال مقاريوس : ما طَلَبْتُكَ عند هذا الرجل ؟ فقال : أتاني فخدعني بالزُّهد والنُّسك عن مالي ، ووعدني أن يملأ بيتي ذهباً من صنعته ، فلم أزل في الأسترسال إلى ظاهره السليم حتى أنقرني باطنه السقيم . فقال له مقاريوس : إنَّ كلَّ مَنْ بَدَّلَ شَيْئاً إِنَّمَا يَبْذُلُهُ عَلَى قَدَرٍ وَسِعِهِ ؛ وكان زيمُوس أَتَاكَ على حاله التي هو عليها ، ولم يكن ليتَّسع لأكثر من ذلك القول ؛ وأما عَمَلُ الذَّهَبِ فَبَيِّنٌ ظاهر ، لأنَّ فَقْرَهُ يَدُلُّ على عَجْزِهِ وَضَعْفِهِ عنه ، ومن أَمَّلَ الغنى عند الفقير

(١) يلاحظ أن قوله : « يكن » هنا تامة ، أي إن لم يوجد ؛ وكذلك قوله : « كان » الآتي .

نفاية ما يمكن أن يبلغه أن يصير مثله ؛ وآخر ما يؤمل عند الفقير نيل الفقر .
 فقد أصبت ما كنت تحب أن تجده عند زيموس ؛ وهو حظ إن تمسكت
 به لم يغلب بما تلف من مالك ، ولئن كان وعدك أن يفيدك مالا باطلاً فلقد
 أفادك معدناً حقاً ، من غير قصد إلى نفعك . ثم أقبل على زيموس وقال له :
 ما أبعد شبه معدنك من المعادن الطبيعية ! إن المعادن تلفظ الذهب ، ومعدنك
 هذا يتطلع الذهب ؛ ومن جاور معدناً منها أغناه ، ومن جاور معدنك أفقره ؛
 والمعادن الطبيعية تثمر من غير قول ، ومعدنك يقول من غير إثمار . فقال
 زيموس : أيها الفاضل ، لئن عبتني فلست بأول حكيم لقي من الناس الأذى .
 فقال له : أجل ، ولا آخرهم ولا أوسطهم ، لكنك من الجهال الذين لقي الناس
 منهم الأذى .

(١٦) فقال — أعلى الله قوله — : فهل لهذا الأمر — أغني الكيمياء — مَرَجوع ؟
 وهل له حقيقة ؟ وما تحفظ عن هذه الطائفة ؟

فكان الجواب ، أما يحيى بن عدي — وهو أستاذ هذه الجماعة — فكان
 في إصبعه خاتم من فضة يزعم أن فضته عملت بين يديه ، وأنه شاهد عملها
 عياناً ، وأنه لا يشك في ذلك .

وأما أصحابه كأبن زُرعة وأبن الخمار ، فذكروا أن ذلك تم عليه من
 فعل لم يفتن له من بعض من أغتره من هؤلاء المحتالين الخداعين .

وأما شيخنا أبو سليمان فحصلت من جوابه على أنه ممكن ، ولم يذكر سبب
 إمكانه ولا دليل حقيقته .

وأما أبو زيد البلخي — وهو سيد أهل المشرق في أنواع الحكمة —

فذكر أنه مُحَالٌ ولا أَصْلَ له ، وأنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تعالى لا توجبُ صِحَّةَ هذا الأمر ، وأنَّ صِحَّتَهُ مَنفَسَدَةٌ عَامَّةٌ ، (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) .

وَأَمَّا مَسْكُوبِيهِ — وَهَاهُو بَيْنَ يَدَيْكَ — فَيَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ وَصَحِيحٌ ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمْنَعُ مِنْ إعْطَائِهِ ، وَلَكِنَّ الصَّنَاعَةَ شَائِقَةٌ ، وَالطَّرِيقَ إِلَى إصَابَةِ الْمِقْدَارِ عَسِيرةً ، وَجَمَعَ الْأَسْرَارَ صَغْبٌ وَبَعِيدٌ ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ ؛ فَقَدْ مَضَى عُمرُهُ فِي الْإِكْبَابِ عَلَى هَذَا بِالرَّيِّ أَيَّامٌ كَانَ بِنَاحِيَةِ أَبِي الْفَضْلِ ^(١) وَأَبَى الْفَتْحِ ابْنَهُ مَعَ رَجُلٍ يُعْرَفُ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، شَاهَدْتُهُ وَلَمْ أَحُدِ عَقْلَهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ صَاحِبَ وَسْوَاسٍ وَكَذِبٍ وَسَقَطٍ ، وَكَانَ مَخْدُوعًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، خَادِعًا فِي آخِرِ عُمرِهِ .

وَأَيُّنُ مَا سَمِعْتُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ فَوْقَ الصَّنَاعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ دُونَ الطَّبِيعَةِ ، وَأَنَّ الصَّنَاعَةَ تَتَشَبَّهُ بِالطَّبِيعَةِ وَلَا تَكْمُلُ ، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَتَشَبَّهُ بِالصَّنَاعَةِ وَتَكْمُلُ ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ سَارِيَّةٌ فِي الْأَشْيَاءِ وَاصِلَةٌ إِلَيْهَا ، عَامِلَةٌ فِيهَا بِقَدْرِ مَا لِلْأَشْيَاءِ مِنَ الْقَبُولِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالْأَنْفَعَالِ وَالْمَوَاتَةِ ، إِمَّا عَلَى الْتَّامِ ، وَإِمَّا عَلَى النِّقْصَانِ . وَقِيلَ : إِنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَسْلُكُ إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي الْمَادَّةِ أَبْعَدَ الطَّرِيقِ ، وَلَا تَتَرَكُّ أَقْرَبَ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْمَادَّةُ هِيَ الَّتِي تُعْطَى هَذِهِ الْجَوَاهِرَ عَلَى قَدْرِ الْمُتَابَلَاتِ الْعُلَوِيَّةِ وَالْأَشْكَالِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْمَوَادِّ الشُّغْلِيَّةِ وَالْكَائِنَاتِ الْأَرْضِيَّةِ ، لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ الصَّنَاعَةُ مُسَاوِيَةً لَهَا ، كَمَا لَمْ يَجْزُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَعْلِيَةً عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الصَّنَاعَةَ بَشَرِيَّةٌ مُسْتَخْرَجَةٌ مِنَ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ إِلَهِيَّةٌ ، وَلَا سَبِيلَ لِقُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ أَنْ تَنَالَ قُوَّةَ إِلَهِيَّةٍ بِالمَسَاوَاةِ ؛ فَمَا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ وَالتَّلَاسِيهِ ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالصَّنَاعَةِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ أَوْ فِضَّةٌ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي

(١) يريد أبا الفضل بن العميد .

الحقيقة ، لا ذَهَبٌ ولا فِضَّةٌ ؛ وإذا كان ظُهور القطن بالطبيعة وظهور الثوب بالصناعة فليس هذه أن تَعْرِضَ لهذه ، [ولا لهذه أن تَعْرِضَ لهذه] ؛ والأمور موزونة^(١) ، والصناعات متناهية ؛ فإن ادَّعَى في شيء من الصناعة ما يزيد عليها حتى تكون كأنها الطبيعة ، احتيج إلى بُرْهانٍ واضح ، وإلى عيان مصرَّح ، لأننا نعلم أنه ما من صناعةٍ ولا علمٍ ولا سياسةٍ ولا نِحْلَةٍ ولا حالٍ إلا وقد مُحِلَ عليها ، وزيدَ فيها وكُذِبَ من أجلها بما إذا طَلَبْتَ صِحَّتَهُ بالبرهان لم تجِدْ ، أو بالعيان لم تقدر .

(١٧) فأما أصحابُ التُّسْكِ ومن عُرِفَ بالعبادة والصَّلاح ؛ فقد ادَّعَى لهم أن الصُّرَّ يُصَيَّرُ لهم ذهباً ، وشيثاً آخر يصيرُ فضةً ، وأن الله عزَّ وجلَّ يُزَلِّزُ لهم الجبلَ ويُنْزِلُ لهم القطرَ ، ويُنبِتُ لهم الأرضَ ، وغيرُ ذلك مما هو كالأياتِ للأنبياء الذين يأتون من قِبَلِ الله بالكُتُبِ والوصايا والأحكام والمواعظ والنصائح ، وربما يسمَّى كثيرٌ من الناس ما يظهرُ للزُّهَادِ والعُبَادِ من هذا الضربِ كراماتٍ ولا يسميها معجزاتٍ ، والحقائق لا تَنْقَلِبُ بالأسماء ، فإن المسمَّى بالكرامة هو المسمَّى بالمعجزة والآية .

والخَوْضُ في هذا الطَّرَفِ قديمٌ ، وفَصْلُهُ في الحقِّ شاقٌّ ، والتنازُعُ فيه قائمٌ ، والظنُّ يعملُ عمله ، واليقينُ غيرُ مَظْهُورٍ به ، ولا موصولٍ إليه ؛ والطبيعةُ قد أولعت الناسَ بادِّعاءِ الغرائب ، وبَعَثَتْهُمْ على نُصْرَتِهَا بالوَفْقِ والخَرْقِ ، والتسهيلِ واللَّجَاجِ ، والمواتاةِ والمَحْكِ ، والله في طيِّ هذا العالمِ العُلُوِّ أسرارٌ وخفايا وغُيُوبٌ ومَكَامُنُ لا قُوَّةَ لأحدٍ من البَشَرِ بالحِسنِ ولا بالعقلِ أن يحومَ حولها ، أو يبلُغَ عُنفَهَا ، أو يُدْرِكَ كُنْهَهَا ، ومن تَصَرَّفَ عَرَفَ ، ومن عَرَفَ سَلِمَ ، والسلام .

(١) كذا وردت هذه الكلمة في سكتنا النسخين .

وحكى لنا أبو سليمان أنَّ أرسطوطاليس كتب إلى رجل لم يُشْفَعْ^(١) في رجل سألَه الكلامَ له في حاجة : إن كنت أردتَ ولم تقدرَ فمعدور ، وإن كنت قدّرتَ ولم تُردْ فسوف ينجي وقتٌ تريد ولا تقدر .

وقال بعض الحكماء : لا تُرهِّقوا السُّقْلةَ فيعتادوا الكسلَ والراحة ، ولا تجرِّثوهم فيطلبوا السَّرَفَ والشَّغَبَ ، ولا تأذّنوا لأولادهم في تعلُّمِ الأدب فيكونوا لرداءةِ أصولهم أذهن^(٢) وأغوص ، وعلى التعلُّمِ أصبر ؛ ولا جرم فإنهم إذا سادوا^(٣) في آخر الأمر خربوا بيوتَ العليّةِ أهل الفضائل .

وقال فيلسوف : للنفس خمسُ قوَى : الحسّ والوهم والذهن والاختبار^(١٩) والفكر .

فأما الحسُّ فلحاقُ الأشياء بلا فحص ، ولا يحتاج في ذلك اللّحاق إلى شيء آخر ، إلا أن يكون ممنوعاً بمانع ، وذلك إذا وجد شيئاً أبيض حكم بأنه أبيض بلا فكر ولا قياس .

وأما الوهم ، فإنه يقع على الأشياء بتوسط الحسّ .

وأما الاختبار فيوافق الفكر ، كقولك : النفس لا تموت ، فهذا قولٌ اختباريٌ بعد الفكر ، فإن كان هذا هكذا فالاختبار ليس بقياس ، ولكنه أُنقِ القياس .

وأما الذهن فإنه لا يهجم على أوائل الأشياء .

وقال آخر شبيهاً بهذا الكلام ، ولا بأس أن يكون مضموماً إليه ، ليكون شمل القاعدة أكثر نظاماً وأقرب مراماً .

(١) يشفعه : يقبل شفاعته

(٢) أذهن ، أى أجود ذهنًا ، وفي (١) « أدهى » ، وفي ب « أذهب » ، وهو تصغير في كلتيهما .

(٣) في كلتا النسخين : « ساروا » .

قال : ليس للحَوَاسِّ والحركاتِ فِعْلٌ دون أن تَبْعَها القوَّةُ المميَّزةُ ، فذلك لا يُحسُّ السُّكْران ولا النَّمُّ ، وكذلك أيضاً البهائم فإنها لا تصيحُ إلا بعد أن يَغرُض في فِكْرها شيءٌ ، ولا تتحرَّكُ إلا بأنبعاثِ القوَّةِ المميَّزةِ .

ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواحٍ في ثلاثة أعضاء رئيسة : نفسية في الدماغ ، وحيوانية في القلب ، وطبيعية في الكبد .

وفي كل واحد منها قوَّةٌ مميَّزةٌ بها يتم عمله ، فالتى في الدِّماغ هي العقل المميَّز الحارس للبدن ، ومنه ينبعث الحِسُّ والحركة ، [والتى] في القلب تنبعث منها الحرارة الغريزية في جميع البدن ؛ وزعموا أن تلك الحرارة هي الرُّوح ؛ والتى في الكبد هي موضع الهضم والنضج ، وهي التى تنضج الطعام وتغيره وتحيله دماً وتوزَّعُ في كلِّ عضو ما هو ملائمٌ له ، وبالجاذبة تجذبُ ، وبالحابسة تحبسُ ، وبالماضمة تهضمُ ، وبالدافعة تدفعُ .

فأما الدِّماغ فينقسم ثلاثة أقسامٍ يَحْجُزُ بينها أغشيةٌ ، أحدها في مقدِّم الرأس موضع التخيل ، والثانى في وسط الرأس موضع العقل والفكر والتمييز ، والثالث في مؤخر الرأس موضع الحفظ والذكر والقبول ؛ فكلُّ واحد مما ذكرنا يخدم الآخر ، وإن ضَعُفَ أحدها ضَعُفَ لضعفه الآخر ، وباعتدالهنَّ وسلامتهنَّ قوامُ البدن والنفس .

ولكل واحدٍ منها آلة بها يستعين على خِدمة الآخر .

قال : فكما أن الرِّحَى إذا نقصت شيئاً منها أو زدت أفسد الطحن ؛ إما بزيادة أو نقصان ، كذلك سائرُ خَدَمِهِ وآلاتِهِ .

وقال : الدِّماغ مَسْكَنُ العقل ، وخَدَمُهُ الحِسُّ والحركة ؛ والقلب مَسْكَنُ

الحرارة الفريزية ، وخدمته العروق الضواري ؛ والكبد مسكن النضج والهضم ، وخدمتها العروق غير الضواري .

وقال : النار تحرق ، فإذا كانت موجودة فالدخان والرماد موجودان ، والدخان رماد لطيف ، والرماد دخان كثيف .

وقال أبو سليمان : ذكر بعض الباحثين عن الإنسان أنه جامع لكل ما تفرق في جميع الحيوان ، ثم زاد عليها وفضل بثلاث خصال : بالعقل والنظر في الأمور النافعة والضارة ، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بواسطة النظر ، وبالأيدى لإقامة الصناعات وإبراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة بقوة النفس . ولما انتظم له هذا كله جمع الحيل والطلب والهرب والمكاييد والحدار ، وهذا بذل الشرعة والخفة التي في الحيوان ، واتخذ بيده السلاح مكان الناب والمخالب والقرن ، واتخذ الجن لتكون وقاية من الآفات ، والعقل ينبوع العلم ، والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما قابل منهما ، مؤدى من بعض إلى بعض ، فصواب بديهية الفكر من صحة العقل ، وصواب روية الفكر من صحة الطباع .

(٧٠) وقال أبو العباس : الناس في العلم على ثلاث درجات ، فواحد يلهم فيعلم فيصير مبدأ ، والآخر يتعلم ولا يلهم فهو يؤدى ما قد حفظ ، والآخر يجمع له بين أن يلهم وأن يتعلم . فيكون بقليل ما يتعلم كثيراً بقوة ما يلهم .

وقال : الإنسان بين طبيعته — وهي عليه — ونفسه — وهي له — منقسم ؛ فإن اقتبس من العقل قوى نوره ما هو له من النفس ، وأضعف ما هو عليه من الطبيعة ، فإن لم يكن يقتبس بقى حيراناً أو مهوراً .

أَلْقَحَهَا ؛ فَمِنْ مَنْ وَلَدَ يَنْمُو بَيْنَهُمَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ .

وقال فيلسوف : إِنَّ الْبِعُوضَةَ تَحْيَا مَا جَاعَتْ وَإِذَا شَبِعَتْ مَاتَتْ .

وقال ديوجانس : إِنْ تَكُنْ مُلْحَا يُصْلِحُ ، فَلَا تَكُنْ ذُبَابًا يُفْسِدُ .

وقيل لـديوجانس : مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ ؟ فَقَالَ : مِنْ حَيْثُ يَأْكُلُ عَبْدٌ لَهُ رَبٌّ .

وقال ديوجانس : كُنْ كَالْعُرْسِ تُرِيدُ الْبَيْتَ خَالِيًا .

قيل لـأرسطوطاليس : إِنْ فَلَانًا عَاقِلٌ . قَالَ : إِذَا لَا يَفْرَحُ بِالْدُنْيَا .

وقيل لـفيثاغورس : مَا أَثْمَلَكَ فَلَانًا لِنَفْسِهِ ! قَالَ : إِذَا لَا تَعْرِعُهُ شَهْوَتُهُ ،

وَلَا تَخْذَعُهُ لَدَنَّتُهُ .

وقيل لـأسقليبيوس : فَلَانٌ لَهُ هَمَّةٌ . قَالَ إِذَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِدُونِ الْقَدْرِ .

ومَدَحَ رَجُلٌ ثِيُودُورُوسَ عَلَى زُهْدِهِ فِي الْمَالِ قَالَ : وَمَا حَاجَتِي إِلَى شَيْءٍ

الْبَحْتِ يَأْتِي بِهِ ، وَاللَّوْمُ يَحْفَظُهُ ، وَالنَّفَقَةُ تُبَدِّدُهُ ، إِنْ قَلَّ غَلَبَكَ الْهَمُّ بِتَكْثِيرِهِ ،

وَإِنْ كَثُرَ تَقَسَّمَكَ فِي حِفْظِهِ ، يَحْسُدُكَ مَنْ فَاتَهُ مَا عِنْدَكَ ، وَيَخْذَعُكَ عَنْهُ مَنْ

يَطْمَعُ فِيهِ مِنْكَ .

وقال سُقْرَاتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ عَالِمَةً بِكُلِّ مَا أَعِدَّ لَهَا ؛ قِيلَ :

وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا لَوْ عَلِمَتْ طَارَتْ فَرَحًا وَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهَا .

وقال ديوجانس : الْقَلْبُ ذُو لَطَافَةٍ ، وَالْجِسْمُ ذُو كَثَافَةٍ ، وَالْكَثِيفُ

يَحْفَظُ الْلَطِيفَ كَضَوْءِ الْمَصْبَاحِ فِي الْقِنْدِيلِ .

وقال افلاطون : الْعِلْمُ مَصْبَاحُ النَّفْسِ ، يَنْفِي عَنْهَا ظُلْمَةَ الْجَهْلِ ، فَمَا أَثْمَنُكَ

أَنْ تُضِيفَ إِلَى مَصْبَاحِكَ مَصْبَاحَ غَيْرِكَ فَأَفْعَلُ .

قال أبو سليمان : مَا أَحْسَنُ الْمَصْبَاحِ إِذَا كَانَ زَجَاجُهُ نَقِيًّا ، وَضَوْؤُهُ ذَكِيًّا ،

وَزَيْتُهُ قَوِيًّا ، وَذُبَالُهُ سَوِيًّا .

وقال سُقراط : الكلام اللطيف ، ينبؤ عن الفهم الكثيف .
وحَكَّى لنا أبو سليمان قال : قيل لفيلسوف : ما بالُ المريض إذا داوَاهُ الطبيبُ
ودخل عليه فرح به وقبل منه وكافاه على ذلك ، والجاهلُ لا يفعل ذلك بالعالم
إذا علمه ويَبِّن له ؟ فقال : لأنَّ المريضَ عالمٌ بما عند الطبيب ، وليس الجاهلُ
كذلك ، لأنَّه لا يَعْلَمُ ما عند العالم .

وقال ديوجانس لصاحبه : أما [تَعَلَّم] أنَّ الحمامَ إذا كان سَمائِيًّا كان أغلَى
ثَمًّا ، وإذا كان أَرْضِيًّا كان أقلَّ ثَمًّا^(١) .

قال — أبقاه الله — هذا مَثَلٌ في غاية الحُسْن والوضوح .
[وقال ديوجانس^(٢) : المأكول للبدن ، والموهوب للعباد ، والمحفوظ للعدو .
وقال فيلسوف : التهاون باليسير أساسٌ للوُتُوع في الكثير .
وقال أفلاطون : مَثَلُ الحكيم كَمَثَلِ النملة تَجَمُّع في الصيف للشتاء ، وهو
يجمع في الدنيا للآخرة .

وقال فيلسوف : من يصف الحكمة بلسانه ولم يتحلَّ بها في سرِّه وجهه فهو
في المَثَل كَرَجُل رَزِق ثوبًا فأخذ بطرفه فلم يلبسه .
وقال السيد المسيح : إن أستطعت أن يجعل كنزك حيث لا يأكله الشوس ،
ولا تدركه اللصوص ، فأفعل .]

قال فيلسوف : إذا نازعك إنسانٌ فلا تُجِبْهُ ، فإنَّ الكلمة الأولى أنثى
وإجابتها فحلها ، وإن تركت إجابتها بترتها وقطعت . نسلها ، وإن أجبتها

(١) يلوح لنا أن في هذه الفقرة نقصاً سقط من الناسخ في كلتا النسختين .
(٢) آخر هذه الزيادة التي نقلناها عن ب بعض كلمات مطبوعة لم استطع تمييزها ، فلم
ثبتها ، فانظرها في هامش الورقة رقم ٢٠٤ من هذه النسخة .

قيل لسقراط : ما أحسنُ بالمرء أن يتعلّمه في صِغره ؟ قال : ما لا يسعه أن يجهّله في كِبَره .

قال أبو سليمان : ومن هاهنا أخذَ مَنْ قال : يحسُن بالمرء التعلّم ما حسنتُ به الحياة .

قيل لهوميروس : ما أصبرك على غيبِ الناسِ لك ! قال : لأنّا أَسْتَوَيْنَا في الغيب ، فأنا عندهم مثلهم عندي .

وقيل للإسكندر : أيّ شيء أنتَ به أسرّ ؟ قال : قُوَّتِي على مكافأة من أحسنَ إلّي بأحسنٍ من إحسانه .

[وقال ديوجانس : إن إقبالك بالحديث على من لا يفهم عنك بمنزلة من وضع المائدة على مقبرة] .

ورأى ديوجانس رجلاً يأكل ويتنزع^(١) ويكثُر ، فقال له : يا هذا ، ليست زيادة القوة بكثرة الأكل ، وربما وَرَدَ على بدنك من ذلك الضررُ العظيم ، ولكنَّ الزيادة في القوة بجودة ما يقبل بدنك منه على الملاءمة .

وقال ديوجانس : الذهبُ والفضة في الدار بمنزلة الشمس والقمر في العالم . قال أبو سليمان : هذا مليح ، ولكن ينبغي أن تبقى الشمس والقمر فأنهما يُكسفان فيكونان سبباً لفساد كثير ، ويذوبان^(٢) ويُحميان فيكونان ضارّين وقال أفلاطون : موت الرؤساء أصلحُ من رأسه السُّفلة .

وقال : إذا نحلَّ أَلَلُكُ بألّال كثير الإرجاف به

وقال سنولون : العلمُ صغير في الكميّة ، كبير في الكيفيّة

(١) يتنزع ، يكثر ويفرط ، (٢) يذوبان ، أي ، هب والفضة .

وقال أبو سليمان : يعنى أن القليل منه إذا استعملته على وجهه كان له إثماء
ونفع فائض ودرر سائح ، وغاية محمودة ، وأثر باق . وهذه كلها كيفيات من
تلك الكمّية .

وقال أفلاطون : لا يسوسُ النفوسَ الكثيرة على الحقِّ والواجبِ من
لا يُمكنه أن يسوسَ نفسه الواحدة .

وقال سُقراط : النفسُ الفاضلة لا تطغى بالفرح ، ولا تجزعُ من الترح ، لأنها
تنظر في كلِّ شيء كما هو ، لا تسلبه ما هو له ولا تُضيفُ إليه ما ليس منه ؛
والفرحُ بالشئ إنما يكون بالنظر في محاسنِ الشئ دون مساوئه ، والترحُ إنما
يكون بالنظر في مساوئِ الشئ دون محاسنه ؛ فإذا خلصَ النظرُ من شوبِ الغلط
فيما يُنظر فيه انتفى الطغيانُ والجزع ، وحصلَ النظامُ وربع^(١) .

قال ديوجانس : ينبغي للإنسان أن ينظر في المرأة ، فإن كان كخبه حسناً
أستبجح أن يُضيفَ إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان وجهه قبيحاً وذلك أن
يضيف قبيحاً إلى قبيح حتى يتضاعف القبح .

وقال إبيقراط : منزلة لطافة القلب في الأبدان بمنزلة لطافة الناظر في الأجفان .
وقال : للقلب آفتان : وهما النومُ والهمُّ ، فالنمُّ يعرض منه النوم ، والهمُّ
يعرض منه السهر ، وذلك أن الهمَّ فيه فكرٌ في الخوفِ مما سيكون ، فنه
يغلبُ السهر ؛ والنمُّ لا فكر فيه ، لأنه إنما يحدث لما قد مضى وكان .

وقال أفلاطون : من يصحب السلطان فلا يجزع من قسوته ، كما لا يجزع
الغواصُّ من ملوحة البحر .

قال أبو سليمان : هذا كلامٌ ضرره أكثرُ من نفعه ، وإثما نفعه صاحبه

(١) ربع ، أى ثبت ودام .

بالمثال ، والمثالُ يَسْتَجِيبُ للحقِّ كما يَسْتَجِيبُ للباطل ، والمعول على ما ثَبَتَ بالدليل ، لا على ما يُدَّعى بالتَّمْثِيل ، وقد يَجِبُ أَنْ يُجْتَنَبَ جَانِبُ السُّلْطَانِ بِغَايَةِ لَأَسْتَطَاعَةِ وَالْإِمْكَانِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ الدَّهْرُ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ الْغَالِبَةِ . فَقَالَ لَهُ الْأَنْدَلُسِيُّ : وَمَا صُورَةُ الزَّمَانِ الْخَالِي مِنَ الْآفَاتِ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ الدِّينُ طَرِيقًا ^(١) ، الدَّوْلَةُ مَقْبَلَةً ، وَالْخَضْبُ عَامًّا ، وَالْعِلْمُ مَطْلُوبًا ، وَالْحِكْمَةُ مَرْغُوبًا فِيهَا ، وَالْأَخْلَاقُ طَاهِرَةٌ ، وَالذِّعْوَةُ شَامِلَةٌ ، وَالْقُلُوبُ سَلِيمَةٌ ، وَالْعَامَلَاتُ مُتَكَافِئَةٌ ، وَالسِّيَاسَةُ مَغْرُوسَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مُتَقَارِبَةٌ . فَقَالَ : هَذَا لَوْ صَحَّ لَأَرْتَفَعَ الْكُفْرُ وَالْفُسَادُ الْإِذَانُ وَهَذَا سِوَى هَذَا الْمَكَانِ ، فَقَالَ : غَلَطْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْكُفْرَ وَالْفُسَادَ يَكُونَانِ عَلَى حَالِيهِمَا ، وَلَكِنَّهُمَا يَقَعَانِ عَلَى مَعْلُومَيْنِ لِلصُّورَةِ الثَّابِتَةِ ، وَالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ الْغَالِبَةِ ، كَأَنَّكَ لَا تَحْسُ بِالْفَرْقِ بَيْنَ زَمَانٍ خِصْبِ الْأَرْضِ وَجَدْبِهَا ؛ وَكَمَا أَنَّ لِلْأَرْضِ خِصْبًا وَجَدْبًا ؛ كَذَلِكَ لِلْأَحْوَالِ وَالْأَدْيَانِ وَاللَّدُولِ صَلَاحٌ وَفُسَادٌ ، وَإِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ، وَزِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ ؛ وَلَوْ كَانَ مَا خِلْتَهُ لَازِمًا ، لَكُنَّا لَا نَتَمَقَّقُ مَلِكًا عَادِلًا ، وَلَا سَائِسًا فَاضِلًا ، وَلَا نَاطِرًا نَاطِلًا ، وَلَا مَدْبِرًا عَالِمًا ؛ وَكَانَ هَذَا لَا يُعْرَفُ وَلَا يُعْهَدُ ، وَيَكُونُ فِي غُرُضِ الْمَحَالِ كَوْنُهُ وَوُجُودُهُ ؛ وَلَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ عَهِدْنَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِسَجِسْتَانَ ، وَكَانَ وَاللَّهِ بَصِيرًا خَبِيرًا ، عَالِمًا حَكِيمًا ، يَقِظًا حَذِيرًا ، يَخْلُقُ وَيُفَرِّقُ ، وَيَرِيشُ وَيُبْرِى ، وَيَكْسُو وَيُعْرِى ، وَيُنْرِضُ وَيُبْرِى ، وَهَكَذَا مِثْلُ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْأَمْسِ مَلِكِ الْعِرَاقِ فِي حَرَامَتِهِ وَصِرَامَتِهِ وَقِيَامِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، بِنَظَرِهِ وَتَنْدِيرِهِ ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ عَهِدَ النَّاسُ قَبْلَنَا مِثْلَ هَذَا ، فَلِمَ يَقَعُ التَّعَجُّبُ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْهِ مَدَارُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

وَقَالَ دِيوجَانِسُ لِصَاحِبِ لَهُ : أُطْلُبْ فِي حَيَاتِكَ هَذِهِ الْعِلْمَ وَالْمَالِ تَمَلِّكْ بِهِمَا

(١) طرِيقًا : يَرِيدُ غَضَبًا نَاصِرًا .

الناس ، لأنك بين الخاصة والعامة ، فالخاصة تعظمك لفضلك ، والعامة تعظمك لمالك^(١) .

وقال أفلاطون : إن الله تعالى بقدر ما يُعطى من الحكمة يمنع الرزق ؛ قال أبو سليمان : لأن العلم والمال كضرتين قلما يجتمعان ويصطلحان ، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعية ، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة ، وهذان الحظان كالمتعاندين والضدين . قال : فيجب على الحصيف والمميز أن يعلم بأن العالم أشرف في سنخه وعنصره ، وأوليه وآخره ، وسفوره وحضره ، وشهادته [ومتغيبه^(٢)] من ذى المال ؛ فإذا وهب له العلم فلا يأس على [المال الذى يُجزئ منه اليسير ، ولا يُلهب نفسه على [فوته حشرة وأسفا ؛ فالعلم مُدبّر ، والمال مُدبّر ؛ والعلم نفسى ، والمال جسدى ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال ، وآفات صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالماً سُرِق علمه وترك فقيراً منه ؛ وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونُهبت وأُخذت ، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم ؛ والعلم يزكو على الإنفاق ، ويضحب صاحبه على الإنفاق ؛ ويهذى إلى القناعة ، ويسيل السّر على الفاقة ؛ وما هكذا المال .

(١) عبارة « ب » فالخاصة تفضلك بما تعلم ، والعامة تعظمك بما تملك .

(٢) لم ترد هذه الكلمة في كلا الأصلين .

الليلة الثامنة عشرة^(١)

وقال مرةً : تعالَ حَتَّى نَجْعَلَ لَيْلَتَنَا هذهُ مُجَوِّتِيَّةً ، ونأخذُ منَ الهَزْلِ بنصيبٍ وافرٍ ، فإنَّ الجِدَّةَ قد كَدَدْنَا ، ونالَ مِن قُوَانَا ، وملَأْنَا قَبْضًا وكرْبًا ، هاتِ مَاعِنْدَكَ ، قلتُ : قالَ حَسَنُونَ المَجْنُونُ بالسكوفةِ يومًا — وقد اجتمعَ إليه المُجَّانُ يَصِفُ كُلُّ واحدٍ منهم لَذَاتِ الدُّنْيَا — فقالَ : أمّا أنا فأَصِفُ ماجرَ بَنْتُهُ ؛ فقالوا : هاتِ ؛ فقالَ : الأَمْنُ والعافِيَةُ ، وصَنَعُ الصُّلَعِ الزُّزْقِ ، وَحَكُّ الجَرَبِ ، وأَكْلُ الرُّثْمَانِ فِي الصَّيْفِ ، والطلَّاءُ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ ، وإِيتَانِ التَّسَاءِ الرُّغْنِ والصَّبِيانِ الرُّعْرُ^(٢) ، والمَشْيُ بلا سَراويلَ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا تَحْتَشِمُهُ ، والعَرَبْدَةُ عَلَى الثَّقِيلِ ، وَقَلَّةُ خِلَافٍ مِنْ تَحْبُثُهُ [والتَّمَرُّسُ]^(٣) بِالْحَقِّقِ ومُواخَاةُ ذَوِي الوَفَاءِ ، وتركُ معاشرَةِ السَّفَلَةِ وقالَ الشاعرُ :

أَصْبَحْتُ مِنْ سُفْلِ الْأَنَامِ . إِذِ بَغْتُ عِرْضِي بِالطَّعَامِ .
أَصْبَحْتُ صَفْعَانًا^(٤) لَثِي مَ النَّفْسِ مِنْ قَوْمٍ لثَامِ .
فِي أَسْتِ أُمِّ رَبَّاتِ الْخِلْيَا مِ وَمَنْ يَحْنُ إِلَى الْخِلْيَامِ .

(١) هذا العدد حسباً هو وارد في (١) وقد سبق لنا استظهار غير ذلك في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧ فانظرها . ويلاحظ أن المؤلف قد آتى في هذه الليلة ببعض من المجون الساقط والنواذر المتنبلة ، ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها واكتفينا بما لطف ورق ولم ينب عنه النوق . على أن المؤلف قد اعتذر عن ذلك في آخر الليلة من ٦٠ مستنداً إلى أقوال بعض الصحابة

(٢) الزعر : جمع أزعمر ، وهو الذي لا شعر له .

(٣) في الأصل « والتمرى » ؛ وهو تحريف إذ لا يناسب معناه سياق ما يأتي بعد . والتمرس بالحقى الاحتكاك بهم لإظهار ما عندهم من الحماقة تفكها بهم .

(٤) صفعاناً ، أى يصفع من الناس لدنائه وخسته .

نفسى تحنّ إلى الهلا م^(١) الموتُ من دون الهلام
 مِن لَحْمٍ جَذِي رَاضِعٍ رَخِصِ^(٢) المفاصلِ والعظامِ
 هذا لأولاد الخطا يا والتبغايا والحرامِ
 حَيّ القُدورَ الراسيا تِ وإن صَمِنَ عن الكلامِ
 وقِصاعُهُنَّ^(٣) إذا أتيد نَكَ طالُحاتِ بالسّلامِ
 لَهْفِي على سِكِّبَاجَةٍ^(٤) تَشْفِي القُلُوبَ من السّقامِ
 يا عاذلي أَسْرَفْتَ في عَذَلِ الخَلِيعِ المُسْتَهَامِ
 رَجُلٌ يَنْفَضُّ إذا نَصَحَ تَ له على فأسِ اللّجَامِ^(٥)
 دَعِ عَذَلَ من يَغْمِى العَذُو لَ ولا يُصِيخُ إلى التّلامِ
 خَلَعَ العِذارَ وراحَ في ثوبِ المعاصي والأثامِ
 شَيْخٌ يُصَلِّي قَاعِدًا وَيَنِيكَ عَشْرًا من قِيامِ
 وَيَعَافُ نَيْكَ الغانِيا تِ وَيَشْتَبِي نَيْكَ العَلامِ
 وَتَراهُ يُرْعَدُ حينَ يُذْ كُرُ عنده شَهْرُ الصَّيامِ
 خَوْفًا من الشَّهْرِ المَعْدُوبِ نَفْسَهُ في كُلِّ عامِ
 سَلِسُ القِيادِ إلى التّصا بِي والمَلاهي والحَرامِ
 مَنَ للرُّوءَةِ والقُتُوَّةِ بعدَ مَوْتِي والتّدامِ
 مَنَ للسّماحِ وللرّما حَ لَدَى الهَراهِزِ والحُسامِ

(١) الهلام : مرق السكباج يبرد ويصنّى من الدهن .

(٢) رخص المفاصل : لينها .

(٣) جعل ما في القصاع من التريد واللحم كأنه تحية وتسليم على من تقبل عليه .

(٤) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل ؛ وهو فارسي معرب .

(٥) فأس اللجام : الحديدة القائمة في حنك الدابة .

مَنْ لِلَّوِاطِ وَلِلْحُلَا قِي^(١) وَلِلْمَلِكِ الْعِظَامِ
 كان محمد بن الحسن البصري جاني متقرا في كلامه ، فدخل الحمام يوماً ،
 فقال للقيم : أين الجليلة التي تسليح بها الضويطة^(٢) من الإخفيق ؟ قال : فضع
 القيم قمام بجلدة النورة وخرج هارباً ، فلما خرج من الحمام وجه إلى صاحب
 الشرطة ، فأخذ القيم وحبسه ، فلما كان عشاء ذلك اليوم كتب إليه القيم
 رُفْعَةً يقول فيها : قد أبرمتني المحبوسون بالمسئلة عن السبب الذي حبستك له ،
 فأما خلتي وإما عرفتكم . فوجه من أطلقه ، وأتصل الخبر بالفتح ، فحدث
 المتوكل ، فقال : ينبغي أن يُغنى هذا القيم عن الخدمة في الحمام . وأمر له
 بمائتي دينار .

قال^(٣) : وكان بالبصرة مخنث^(٤) ويعشق بعض الماهلية ، فلم يزل الخنث به
 حتى أوقعه ، قال : فلقيته من غد فقلت له : كيف [كانت وقعة الجفرة^(٥) عندكم
 البارحة ؟ فقال : لما تداخت [الأشخاص ، ورق الكلام ، والتفت الساق بالساق ،

(١) الحلاق : قلة شيع الأتقان والمرأة من إتيانهما .

(٢) الضويطة : الحذاء في أصل الحوض . والإخفيق : الشق في الأرض . فله أراد الجليلة
 التي يزال بها الوسخ من الجسد (مجازاً) . وفي كلتا النسختين « الطوطة من الإخفيق » ؟ وهو
 تصحيف ؟ إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؟ فلعل الصواب ما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه قد سقط من النسخ اسم القاتل هنا إذ لم يسبق له ذكر .

(٤) أي يجمع بين المتعاشقين .

(٥) الجفرة : موضع بالبصرة كانت به وقعة سنة سبعين بين عبد الملك بن مروان ومصعب
 ابن الزبير ، وكان على جيش عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وخليفة مصعب بن
 الزبير على البصرة عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي ، ودامت هذه الوقعة أربعين يوماً ،
 وكان النصر فيها لأهل البصرة . وفي كلتا النسختين « الحفرانة » ؟ وهو تحريف . وفي الكلام
 قورية كما لا يخفى .

وُلِّطَخَ باطنُها بالبُرْأق ، وفُرِعَ البَيْضُ^(١) بالدُّكور ، وجَعَلَتِ الرِّمَاحُ تَمُورَ^(٢) ؛
صَبَرَ الكَرِيمُ فلمْ يَجْزَعْ ، وسَلَّمَ طَائِعًا فلمْ يُخَدِّعْ ؛ ثم انصرف القومُ على سِلْمٍ ، بأَفْضَلِ
غُثِّ ؛ وشَفِيتِ الصدور ، وسَكَنتِ حَرَارَةُ النفوس ، ومَاتَ كُلُّ وَجَدٍ ، وأُصِيبَ
مَقْتَلُ كُلِّ هَجْرٍ ، وأَتَصَلَ الحَبَلُ ، وانعَقَدَ الوَصْلُ . قال : فلو كان أَعَدَّ هذا
الكلامَ لِمَسْتَلَّتِي قَبْلَ ذَلِكَ بَدَهْرٍ لَكَانَ قَدْ أَجَادَ .

وقال أبو فرعون الشاشي :

أَنَا أَبُو فِرْعَوْنَ فَأَعْرِفْ كُنِّيَّتِي حَلَّ أَبُو عَمْرَةَ وَسَطَ حُجْرَتِي
وَحَلَّ نَسْجُ العَنْكَبُوتِ بُرْمَتِي أَغْشَبَ تَنْوِيرِي وَقَلَّتْ حِنْطَتِي
وَحَالَفَ القَمْلُ زَمَانًا لِحَيَّتِي وَضَعَّتْ مِنْ الهُزَالِ ضَرْطَتِي
وَصَارَ تُبَّانِي^(٣) كِفَافَ خُصْيَتِي أَيْرُ جِمَارٍ فِي حَرٍّ أَمْ عِشْتِي

[أبو عمرو : صاحبُ شُرْطَةِ الحِثَارِ بْنِ عُبَيْدٍ ، كَانَ لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا
اجْتَنَحَهُمْ ، فَصَارَ مِثْلًا لِكُلِّ شُؤْمٍ وَشَرٍّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا عَمْرَةَ أَسْمُ
الجُوعِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو الحَسَنِ البَصْرِيُّ] .

وَأُنْشَدَ بِشَرِّ بْنِ هَارُونَ فِي أَبِي طَاهِرٍ :

أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ وَأَنْتَ حُرٌّ مِنَ الْأَحْرَارِ مَنزُوعُ القِلَادَةِ

(١) يشير إلى قول مهلهل بن ربيعة :

فلولا الريح أسمع من بجعر صليل البيض تفرع بالدُّكور
يريد الشاعر بالدُّكور : السيوف ، وبالبَيْضِ : التي تلبس على الرأس في الحرب . وفي الكلام هنا
تورية لا تخفى على ذي فهم .

(٢) تمور ، أي تضطرب .

(٣) التَّبَّانُ : سراويل صغير يستر المورة المفلطة . وكفاف الشيء : مثله . يقول :

لأن سراويله بمقدار خصيئته ، يشير إلى فقره وقلة مقدرته على توسيع سراويله .

أعزَّ الله القاضي ؛ قل له : ما رأيت ؟ يُعرِّفه ^(١) ؛ فكفَّ الرَّجُلُ ، وأخذَ يبيدُ
وليه وانصرف ^(٢) .

قال : وسمعتُ آخرَ يقول لشاطر ^(٣) : أُسْكُتُ ، فإنَّ نهرًا جرى فيه الماء
لا بدَّ أن يعودَ إليه . فقال له الآخر : حتى يعودَ إليه الماء [تكون] قد
ماتت صفادُعه .

ومن كلام الشُّطَّار : أنا البُغْلُ الحُرُون ، والجَمَلُ المائِج ، أنا القيل المُغْتَلِم
لو كلَّني عدوِّي لعقدتُ شَعرَ أنفِهِ إلى شَعرِ أَسْتِهِ حتى يَشُمَّ فُساءه ، كأنَّه القُنْفُذَةُ .
وقال بعضُ القُصَّاص : في النَّبيذِ شيءٌ لا من الجنة (الحمد لله الَّذي أَذْهَبَ
عَنَّا العَرَنَ) والنَّبيذُ يُذهِبُ الحزنَ .

قال ^(٤) وسمعتُ ماجنةً تقول : ضُرَّ وسرَّ ، وقُدَّ وازقُدَّ ، واطرَّخ وافتَرَّخ .
قال ابن أبي طاهر : دعا مَرَّةً قومًا وأمر جاريته أن تبخِّرهم ، فأدخلت يدها في
ثوب بعضهم فوجدتُ أيرَه قائمًا ، فجعلت تمرُّسُه وتلعَّبُ به وأطالت ؛ فقال
مولايها : أيش آخرُ هذا العود ؟ أما أحترق ؟ قالت : يا مولاي ، هو عُقْدَةٌ .

قال مزيد : كان الرجلُ فيما مضى إذا عَشِقَ الجارية راسَلها سنةً ، ثم رَضِيَ
أن يَمُضِعَ العِلَّكَ الَّذي تَمُضِعُه ، ثم إذا تلاقيا تحدَّثا وتناشدا الأشعار ، فصار
الرجلُ اليومَ إذا عَشِقَ الجارية لم يكن له همٌّ إلا أن يرفعَ رِجلها كأنَّه أشهدَ
على نِكَاحها أبا هريرة .

(١) يعرفه ، أى يعرف مارأى ، أى يذكر العلامات التى رآها فى هذا الموضع .

(٢) يلاحظ أن آخر هذه القصة وكثيراً من ألفاظها مطبوس الحروف فى نسخة (ب) ؛
وهى التى وردت فيها وحدها ، فلتراجع فى هامش ورقة ٢١٠ من هذه النسخة .

(٣) الشاطر ، هو من أعيان أهله خبثاً .

(٤) يلاحظ أنه لم يذكر هنا اسم القائل ؛ فلعله سقط من الناسخ إذ لم يسبق له ذكر .

سَأَلْتُكَ بِالْإِلَهِ لِتُخَيِّرَنِي أَجْهَلَكَ مُسْتَفَادٌ أَمْ وَلَادَةٌ ؟
فَإِنْ يَكُ فَيْكَ مَوْلُودًا فَعُذْرٌ وَإِنْ يَكُ حَادِثًا لَكَ بِأُسْتِفَادَةٍ
فَوَاعِجِبَا يَزِيدُ النَّاسُ فَضْلًا وَأَنْتَ تَزِيدُ نَقْصًا بِالزِّيَادَةِ !

حكى الشولى : حدثنا ميمون بن مهران قال : كان معنا محنتٌ يلقب
مِشْمِشَةً — وكان أميًا — فكتب بحضرة رجلٍ إلى صديق له كتابًا ، فقال
الحنت : أكتب إليه : مِشْمِشَةُ يقرأ عليك السلام ؛ قال : قد فعلتُ — وما
كان فعَل — قال : أرني ؛ قال : هذا أسمك ؛ قال : هيهات ، اسمي في
الكتاب شبه داخل الأذن ، فعجبنا من جودة تشبيهه .

قال نضلة : مررت بكناسين أحدهما في البئر والآخر على رأس البئر ، وإذا
ضجّة ، فقال الذى فى البئر : ما الخبر ؟ فقال : قبض على عيسى بن عيسى ؟ فقال :
من أقعدوا بدله ؟ قال : ابن الفرات ؛ قال : قاتلهم الله ، أخذوا المصحف ووضعوا
بدله الطنبور .

[كتب أبو العيناء إلى ابن مكرم : قد أصبت لك غلاماً من بنى ناعظ ،
ثم من بنى ناشرة ، ثم من بنى نهْد . فكتب إليه : أثبتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين .

وقدِمَ رجلٌ مع امرأة إلى القاضى ومعهما طفلٌ ، فقالت : هذا أبنة ، فقال
الرجل : أعز الله القاضى ما أعرفه ؛ فقال القاضى : اتق الله فإن النبى صلى
الله عليه وسلم يقول : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، فهذا وأمه على فراشك ؛
قال الرجل : ما تنايكنا إلا فى الأست ، فإن ابن لى ولد ؟ فقالت المرأة :

قال ابن سيرين : كانوا يَشْتَقُونَ من غير ريبة ، فكان لا يُسْتَنَكِرُ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَجِيءَ فَيُحَدِّثَ أَهْلَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَذْهَبَ . قال هشام : ولكنهم لا يَرْضَوْنَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالْمَوَاقِعَةِ .

قال الأصمعي : قلتُ لأعرابي : هل تعرفون العشقَ بالبادية ؟ قال : نعم ، أَيْكُونُ أَحَدُهُ لَا يَتَرَفَهُ . قلتُ : فما هو عندهم ؟ قال : الْقُبْلَةُ وَالضَّمَّةُ وَالشَّمَّةُ ، قلتُ : ليس هو هكذا عندنا . قال : وكيف هو ؟ قلتُ : أَنْ يَتَخَذَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَيُبَاذِلُهَا . فقال : قد خَرَجَ إِلَى طَلَبِ الْوَلَدِ .

قال يَشْرُبُ بْنُ هَارُونَ :

إِنْ أَبَا مُوسَى لَهُ لِحْيَةٌ تَدْخُلُ فِي الْجُحْرِ بِلَا إِذْنِ
وَصُورَةٍ فِي الْعَيْنِ مِثْلُ الْقَذَى وَنَفْمَةٍ كَالْوَقْرِ فِي الْأُذُنِ
كَمْ صَفْقَةٍ صَاحَتْ إِلَى صَافِعٍ بِالنَّعْلِ مِنْ أَخْدَعِهِ : خُذْنِي
وقال لنا أبو يوسف : قال جحظة : حضرتُ مجلساً فيه جماعةٌ من وُجُوهِ
الْكِتَابِ ، وَعِنْدَنَا قَيْنَةٌ مُحْسِنَةٌ حَاضِرَةٌ النَّادِرَةِ ، فَقَالَ لَهَا بَعْضُهُمْ : بِحَيَاتِي
عَلَيْكَ غَفِّي لِي :

لَسْتُ مَعِي وَلَسْتُ مِنْكَ فَدَعْنِي وَأَمْضِ عَنِّي مُصَاحِبًا بِسَلَامٍ
فَقَالَتْ : أَهَكَذَا كَانَ أَبُوكَ يَفْنِيكَ ؟ فَأَخْجَلَتْهُ .

اشْتَرَى مَدِينِي زُطْبَاً ، فَأَخْرَجَ صَاحِبُ الزُّطْبِ كَيْلَجَةً صَغِيرَةً لَيْسَ كَيْلُهَا بِهَا ،
فَقَالَ الْمَدِينِيُّ : وَاللَّهِ لَوْ كَلَّتْ بِهَا حَسَنَاتٌ مَا قَبِلْتُهَا .

سَلَّ أَبُو عُمَارَةَ قَاضِيَ الْكُوفَةِ : أَيُّ بَنِيكَ أَثْقَلُ ؟ قَالَ : مَا بِهِمْ بَعْدَ الْكَبِيرِ
أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

اجتمع جماعة عند جامع الصيدناني ، فقال أحدهم : ليس للمخمور أنفع من سلحه ، فقال جامع : أخذتها والله من قمي .

قال رجل لرؤبة : أتهمز الخراً ؟ قال : يا صبيك يا ابن الخبيثة .

وقف أعرابي على قوم يسألهم ، فقال لأحدهم : ما أسمك ؟ قال : مانع ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : مخز ؛ وقال للآخر : ما أسمك ؟ قال : حافظ ؛ قال : قبّحكم الله ، ما أظن الأفعال إلا من أسمائكم .

[من كلام العامة : « منارة الإسكندرية عندك خشخاشة فارغة »^(١)]

قال جحظة : قرأت على فعض ماجنة : ليلة عرسي ؛ فقبوا بالأيثر كسي . وعلى فعض ماجنة أخرى ؛ السحق أخنى والنيك أشنى .

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة : إني نذرت إن رأيتك أن آخذ منك ألف درهم . فقال : رأيت أصحاب النذور يُعطون لا يأخذون ، وأمر له بها^(٢) .

قال السري : رأيت المختل الذي يعرف بالغريب^(٣) ، وإنسان من العامة قد آذاه وطال ذلك ، فالتفت إليه وقال له : يا مشقوق ؛ تفلك زائفة ، وقيصك مقرون الحاجبين ، وإزارك صدق أزرق ، وأنت تتلاهي بأولاد الملوك والأمراء . قال السري : فنجعل العاقب ومرّة ، فقلت له : فسّر لي هذا الغريب . فقال : [مضى إلى ثعلب . فقلت : ليس هذا من عمله ؛ فسّره لي . قال : النعل الزائفة^(٤)] للتي

(١) موضع هذه النقط في « ب » كلام مطموس لم نستطع قراءته . فليراجع في هامش ورقة ٢١١ من النسخة المذكورة .

(٢) في « ب » بألف درهم .

(٣) بالغريب ، أي بالغريب من الألفاظ . هذا ما يظهر لنا من سياق القصة ، أو لعله يقبله .

(٤) لعل ذلك مأخوذ من زافت الحمامة تزوف إذا سحبت ذنبها على الأرض ونفرت جناحيها . والذي في كلتا النسختين : النعل الزائفة ؛ ولم نجد له معنى فيما راجعناه من الكتب ؛ فعمل الصواب ما أمبئنا .

تَجْرُفُ التَّرَابَ جَرَفًا ، والقَمِيصُ المَقْرُونُ ، هو الخَلَقُ [الذي في كَتِفَيْهِ رَمْعَتَانِ أَجْوَدُ مِنْهُ ، فَمَا تُفْصِحَانِ بَيَانًا ، وَالْإِزَارُ صَدْفُ أَرْزَقٍ ، أَيْ مَخْرَقٌ مُفَتَّتٌ . فَقُلْتُ : قَوْلُكَ : يَامَشْقُوقُ ؟ قَالَ : قَطِيعُ الظَّهْرِ .

قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ : أَيْجُوزُ أَنْ يَصِلَ فِي الْبَيْعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يُخْرَأَ فِيهَا . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : الْقُبْلَةُ رَسُولُ الْجَمَاعِ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِلجَّعْفَرِ : كَيْفَ مَائِدَةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، يَعْنِي الْبَرْمَكِيَّ . قَالَ : شِئْرٌ فِي شِئْرٍ ؛ وَصَفَفْتُهُ مِنْ قِشْرِ الْخَشْخَاشِ ، وَبَيْنَ الرَّغِيفِ وَالرَّغِيفِ مَضْرِبُ كُرَّةٍ ؛ وَبَيْنَ اللَّوْنِ وَاللَّوْنِ فَتْرَةٌ نَبِيٌّ . قَالَ : فَنَ يُحْضَرُهَا ؟ قَالَ : الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ ؛ فَضَحَكَ وَقَالَ : لَحَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ .

قَالَ نَضْلَةُ : دَخَلْتُ سَاقِيَةً فِي الْكَرْنَجِ فَتَوَضَّأْتُ ؛ فَلَمَّا خَرَجْتُ تَعَلَّقَ السَّقَاءُ بِي وَقَالَ : هَاتِ قِطْعَةً ؛ فَضَرَطْتُ ضَرْطَةً وَقُلْتُ : خَلَّ الْآنَ سَبِيلِي فَقَدْ نَقَضْتُ وَمُضُونِي ؛ فَضَحَكَ وَخَلَانِي .

وَعَدَّ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ أَنْ يُهْدِيَ إِلَيْهِ بَغْلًا ؛ فَطَالَ مَطْلُهُ ، فَأَخَذَ قَارُورَةً وَبَالَ فِيهَا وَجَاءَ إِلَى الطَّيِّبِ وَقَالَ : انْظُرْ إِلَى هَذَا الْمَاءِ ، هَلْ يُهْدَى إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي بَغْلًا .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْخَلَّالِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْيَعْقُوبِيِّ يَقُولُ : رَأَيْتُ عَلَى بَابِ الْمَرْبَدِ خَالِدًا الْكَاتِبَ وَهُوَ يَنَادِي : يَا مَعْشَرَ الظُّرَفَاءِ ، وَالْمُتَخَلِّقِينَ بِالْوَفَاءِ ؛ أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ ، وَالنَّادِرِ الْغَرِيبِ ، أَنْ شِعْرِي يُزَنِّي بِهِ وَيُلَاطُ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطْلُبُ دَرَاهِمًا فَلَا أُعْطَى ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَتَوَلُّوْا وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وسمعتُ الملاجِنَ المعروفَ بالغُرَابِ يقولُ : ويلَكَ أَيُّشَ في ذَا ؟ لَا تَخْتَلِطِ الحِنَطَةُ
بالشَّعِيرِ ، أَوْ يُصَنِّعُ البَاذِنِجَانُ قِرْعًا ، أَوْ يَتَحَوَّلُ الفُجْلُ إِلَى البَاقِلَاءِ ، وَيَصِيرُ
الْخَرْنُوبُ إِلَى الْأَرَنْدَجِ ^(١) .

وسمعتُ دَجَاجَةً الحَفَّتَ يَقُولُ لِآخَرٍ : إِنَّمَا أَنْتَ بَيْتٌ بِلَا بَابٍ ، وَقَدَمٌ بِلَا سَاقٍ ،
وَأُغْمَى بِلَا عَصَا ، وَنَارٌ بِلَا حَطَبٍ ، وَنَهْرٌ بِلَا مَغْبَرٍ ، وَحَائِطٌ بِلَا سَقْفٍ .
وَشَتَمَ آخَرَ فَقَالَ : يَا رَأْسَ الْأَفْعَى ، وَيَا عَصَا الْمُكَارِي ، وَيَا بُرْئُسَ الْجَائِلِيْقِ ^(٢) ،
يَا كَوْدَنَ ^(٣) الْقَصَّارِ ، يَا يَيْرَمَ ^(٤) النَّجَّارِ ؛ يَا نَاقُوسَ النَّصَارَى ؛ يَا ذَرُورَ الْعَيْنِ ،
يَا تَخْتَ ^(٥) الثِّيَابِ ، يَا طُفْنَ الرُّمَحِ فِي الثُّرُسِ ؛ يَا مَغْرَمَةَ الْقُدُورِ ، وَمِكَنَسَةَ
الدُّورِ ؛ لَا تُبَالِي أَيْنَ وَضِعْتَ ؟ وَلَا أَى جُحْرِ دَخَلْتَ ؟ وَلَا فِي أَى خَانٍ نَزَلْتَ ،
وَلَا فِي أَى حِمَامٍ عَمِلْتَ ؛ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْكُوَّةِ مِتْرَسًا فَتَفْتَحِ لِلصُّوَصِ الْبَابَ ؛
يَا رَحَى عَلَى رَحَى ؛ وَوِعَاءَ فِي وَِعَاءٍ ، وَغِطَاءَ عَلَى غِطَاءٍ ، وَدَاءَ بِلَا دَوَاءٍ ؛ وَغَمَى
عَلَى غَمَى ؛ وَيَا جُهْدَ الْبَلَاءِ ؛ وَيَا سَطْحًا بِلَا مِيزَابٍ ، وَيَا عَوْدًا بِلَا مِضْرَابٍ ، وَيَا فَمَا
بِلَا نَابٍ ، وَيَا سِكِينًا بِلَا نِصَابٍ ، وَيَا رَعْدًا بِلَا سَحَابٍ ، وَيَا كُوَّةً بِلَا بَابٍ ؛
وَيَا قِميصًا بِلَا مِئْزَرٍ ، وَيَا جِسْرًا بِلَا نَهْرٍ ، وَيَا قُرْعًا عَلَى قُرْعٍ ؛ وَيَا شَطَّ الصَّرَاةِ ^(٦)

(١) هذه الكلمة مهملة الحروف من النقط في الأصل ؛ وقد أثبتناها على هذا الوجه لاتفاق
الخرنوب والأرنديج في اللون . والأرنديج : الجلد الأسود ؛ وهو مربوب .

(٢) الجائليق : من رؤساء النصاري ، معروف .

(٣) الكودن : البغل .

(٤) ييرم النجار : عتله .

(٥) تخت الثياب : ما تصان فيه .

(٦) الصراة : نهر بال عراق .

ويا قَصْرًا بلا مِسْنَاهُ^(١) ويا وَرَقَ السَّكْمَاءِ^(٢) ، يا مَطْبِخًا^(٣) بلا أَفْوَاهٍ^(٤) ؛ يا ذَنْبَ
القَارِ ، يا قِدْرًا بلا أَبْزَارٍ ، يا رَأْسَ الطُّومَارِ ، يا رَسُولًا بلا أَخْبَارٍ ؛ يا خَيْطَ
البَوَارِي^(٥) ، يا رَحَى فِي صَحَارِي ، يا طَاقَاتٍ بلا سَوَارِي .

دخل أبو نواس على عِنَانٍ جَارِيَةٍ النَّاظِفِيَّ فقال لها :

لَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ جُجْرًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا^(٦)
أَوْ رَأَى فِي الْبَيْتِ ثَقْبًا لَتَحَوَّلَ^(٧) عَنْكَبُوتَا

فأجابته :

زَوَّجُوا هَذَا بِأَلْفٍ وَأُظِنُّ الْأَلْفَ ثَوْتًا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي

فقال — أدام الله دولته ، وبسطَ لَدَيْهِ نِعْمَتَهُ — قَدِّمَ هَذَا الْفَنَّ عَلَى غَيْرِهِ ،
وما ظَنَنْتُ أَنْ هَذَا يَطْرُدُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ، وربما عَيبَ هَذَا النَّمْطُ كُلَّ الْعَيْبِ ،
وذلك ظَلَمٌ ، لأنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى بَشَرٍ . وقد بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ
فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الْخَوْضِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْفَقْهِ وَالْمَسَائِلِ : آخِصُوا ، وما أَرَاهُ
أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا لَتَعْدِيلِ النَّفْسِ لثَلَاثَ يَلْحَقَهَا كَلَالُ الْحِدَّةِ ، وَلِتَقْتَبِسَ نَشَاطًا فِي
الْمُسْتَأْنَفِ ، وَلِتَسْتَعِدَّ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا فَتَسْمَعَ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) المسناة : الرفقة ، من السناء بالمد ، وهو العلو والرفعة .

(٢) السكامة مخففة : السكامة بالهمز .

(٣) في الأصل . « مصرجيا » ؛ وهو تحريف .

(٤) الأفواه : التوابل .

(٥) البواري بتشديد الياء : ضرب من الحصر تعمل من البردى معروفة بمصر إلى اليوم .

(٦) في كتاب أخبار أبي نواس لابن منظور : اجتمع أبو نواس مع عِنَانٍ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ :

لَوْ رَأَى فِي السَّقْفِ صَدْمًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا

(٧) كذا وردت هذه الكلمة في الأصل . ولا يخفى أَنَّ تَسْكِينَ الْفَعْلِ لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ .

الليلة التاسعة عشرة

- (١) وَرَسَمَ بِمَجْمَعِ كَلَامِ بَوَارِعَ ، قِصَارِ جَوَامِعَ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ كَفْتُ
أَسْمُهَا مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَفِيهَا قَرَعْتُ
لِلْحِسِّ ، وَتَنْبِيهٌ لِلْعَقْلِ ، وَإِمْتِنَاعٌ لِلرُّوحِ ، وَمَعُونَةٌ عَلَى اسْتِفَادَةِ الْيَقِظَةِ ، وَانْتِفَاعٌ
فِي الْمَقَامَاتِ الْخِطَّةِ ، وَتَمَثُّلٌ لِلتَّجَارِبِ الْخَلْفَةِ ؛ وَامْتِثَالٌ لِلْأَحْوَالِ الْمُسْتَأْنَفَةِ .

من ذلك :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » مِفْتَاحُ الْمَذَاهِبِ . الْبِرُّ يَسْتَعْبِدُ الْحُرَّ . الْقَنَاعَةُ عِزُّ الْمُفْسِرِ .
الصَّدَقَةُ كَنْزُ الْمُوسِرِ . مَا انْقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بِبَضْعَةٍ مِنْ نَفْسِكَ .
دِرْهَمٌ يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنْ دِينَارٍ يَضُرُّ . مَنْ سَرَّهُ الْفَسَادُ ، سَاءَ الْبَعَادُ . الشَّقِيُّ مَنْ
جَمَعَ لِقَائِهِ فَضَنَ عَلَى نَفْسِهِ بِخَيْرِهِ . زِدْ مِنْ طَوْلِ أَمَلِكَ فِي قَصْرِ عَمَلِكَ . لَا يُفَرِّقَنَّكَ
صِحَّةُ نَفْسِكَ ، وَسَلَامَةُ أَمْسِكَ ، فَمُدَّةُ الْعُمُرِ قَلِيلَةٌ ، وَصِحَّةُ النَّفْسِ مُسْتَحِيلَةٌ . مَنْ
لَمْ يَقْتَبِرْ بِالْأَيَّامِ ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْمَلَامِ . مَنْ أَسْتَغْنَى بِاللَّهِ عَنِ النَّاسِ ، أَمِنَ مِنْ
عَوَارِضِ الْإِفْلَاسِ . مَنْ ذَكَرَ الْمَنِيَّةَ ، نَسِيَ الْأُمْنِيَّةَ . الْبَخِيلُ حَارِسُ نِعْمَتِهِ ،
وِخَازِنُ وَرَثَتِهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دُنْيَاهُ ، مَا يُعِينُهُ عَلَى عِمَارَةِ آخِرَاهُ . مَنْ
أُرْتَدَى بِالْكَفَافِ ، اكْتَسَى بِالْعَفَافِ . لَا تَخْذَعَنَّكَ الدُّنْيَا بِخَدَائِعِهَا ، وَلَا
تَفْتِنَنَّكَ بَوْدَائِعُهَا . رَبُّ حُجَّةٍ ، تَأْتِي عَلَى مُهْجَةٍ ؛ وَرُبَّ فُرْصَةٍ ، تُؤَدِّي إِلَى
غُصَّةٍ . كَمْ مِنْ دَمٍ ، سَفَكَهُ فَمَ . كَمْ إِنْسَانٍ ، أَهْلَكَهُ لِسَانٌ . رَبُّ حَرْفٍ ،
أَدَّى إِلَى حَتْفٍ . لَا تُفْرِطْ ، فَتَسْقُطَ . الزَّمِ الصَّمْتَ ، وَأَخْفِ الصَّوْتَ .
مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ ، طَابَتْ مَرَاغِيهِ . مَنْ أَعَزَّ فُلْسُهُ ، أَذَلَّ نَفْسُهُ . مَنْ طَالَ

عُدُوَّهُ ، زَال سُلْطَانُهُ . مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقَظَةِ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفَظَةِ . مَنْ
اسْتَهْدَى الْأَعْمَى عَمَى عَنِ الْمُهْدَى . مَنْ اغْتَرَّ بِمِحَالِهِ ، قَصَرَ فِي أَحْيَالِهِ .
زَوَال الدُّوَل ، بِاصْطِنَاع السُّقَل . مَنْ تَرَكَ مَا يَعْنِيهِ ، دُفِعَ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِ .
ظَلَمَ الْعُمَالُ ، مِنْ ظُلْمَةِ الْأَعْمَالِ . مَنْ اسْتَشَارَ الْجَاهِلَ ضَلَّ ، وَمَنْ جَهَلَ مَوْضِعَ
قَدَمِهِ زَلَّ . لَا يَغْنُمُكَ طُولُ الْقَامَةِ ، مَعَ قِصَرِ الْأُسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ الدَّرَّةَ مَعَ
صِغَرِهَا ، أَنْفَعَ مِنَ الصَّخْرَةِ عَلَى كِبَرِهَا . تَجَرَّعَ مِنْ عَدُوِّكَ الْغُصَّةَ ، إِنْ لَمْ
تَنْلَ مِنْهُ الْفُرْصَةَ ، فَإِذَا وَجَدْتَهَا فَاهْتَرِزْهَا قَبْلَ أَنْ يَفُوتَكَ الدَّرَكُ ، أَوْ يَصِيبَكَ
الْفَلَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دُولٌ تَبْنِيهَا الْأَقْدَارُ ، وَيَهْدِمُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . مَنْ زَرَعَ
الْإِحْنَ ، حَصَدَ الْمِحْنَ . مَنْ بَعُدَ مَطْمَعُهُ ، قَرُبَ مَضْرَعُهُ . الثَّغْلَبُ فِي إِقْبَالِ
جَدِّهِ ، يَغْلِبُ الْأَسَدَ فِي اسْتِقْبَالِ شَدِّهِ . رُبَّ عَطَبٍ ، تَحْتَ طَلَبِ . اللِّسَانُ ،
رِقُّ الْإِنْسَانِ . مِنْ ثَمَرَةِ الْإِحْسَانِ ، كَثْرَةُ الْإِخْوَانِ ، مَنْ سَأَلَ مَا لَا يَجِبُ ،
أُجِيبَ بِمَا لَا يُجِبُ ، وَأُنْشِدْتُ :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا أَضَرَّ بِنَا وَالْبَاسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ

(٢) قَالَ حَمِيدُ بْنُ الصَّيْغَرِيِّ لِابْنِهِ : أَحَبَّ السُّلْطَانَ بِشِدَّةِ التَّوَقُّيِّ كَمَا تَصَحَّبَ
السَّبْعَ الضَّارِيَّ وَالْقِيلَ الْمُفْتَلِمَ وَالْأَفْعَى الْقَاتِلَةَ ؛ وَأَحَبَّ الصَّدِيقَ بِلِينِ الْجَانِبِ
وَالْتَوَاضَعَ ؛ وَأَحَبَّ الْعَدُوَّ بِالْإِعْذَارِ إِلَيْهِ وَالْحُجَّةِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ؛ وَأَحَبَّ الْعَامَّةَ
بِالْبَرِّ وَالْبِشْرِ وَاللَّطْفِ بِاللِّسَانِ .

وَقَعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ : يَا هَذَا ، لَوْ جَعَلْتَ مَا تَحْمَلُهُ الْقِرَاطِيسُ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَأَحْوَيْتَ جَمَالًا وَحُزْنَ كَالْأَلَا .

وَوَقَعَ السَّفَاحُ مَرَّةً : مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَحَاشَيْتُنَا خَارِجُونَ مِنْهَا ، فَجَعَلَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَزِدَ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : عُنْوَانُ الشَّرَفِ ، حُسْنُ الْخَلْفِ .

وَقَالَ جُفَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — : إِنْ لَمْ تَجْفُ ، فَقَلِّمًا تَصْفُو .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : النَّخْلَةُ جَذْعُهَا نَمَاءٌ ^(١) ، وَلَيْفُهَا رِشَاءٌ ، وَكَرْبُهَا ^(٢) صِلَاءٌ ، وَسَعْفُهَا ضِيَاءٌ ^(٣) ، وَسَحْلُهَا غِذَاءٌ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ كَسَّاحًا ^(٤) يَقُولُ لِفُلَانٍ لَهُ : أَلَمْ أَضَعْ إِزَارَكَ ، أَلَمْ أَصْنَعْ عُودَ مِجْرَفَتِكَ ؟ أَلَمْ أَجْعَلْكَ كَسَّاحًا عَلَى حِمَارَيْنِ ؟

وُجِدَ كِتَابٌ بِالْبَلْبَلِ فِيهِ : أَنَا فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانِ التُّبَيْعِيِّ ، كُنْتُ آكُلُ الْبَقْلَ الرَّطْبَ مِنَ الْهِنْدِ وَأَنَا بِالْبَلْبَلِ ، ثُمَّ جُعْنَا حَتَّى اشْتَرَيْنَا مَكْكُوكَ ^(٥) بِرَبْرٍ بِمَكْكُوكِ دُرٍّ ، مِنْ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ بِمِصْرَ ، فَمِنْ رَأَيْنَا فَلَا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ — كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ — لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبٍ يَوْمَ صِفِّينَ : أَأَتَرْتُمُ مُعَاوِيَةَ ؟ فَقَالَ : مَا أَتَرْتَنَاهُ ، وَلَكِنَّا أَتَرْنَا الْقَسْبَ ^(٦) الْأَصْفَرَ ، وَالْبَرَّْ الْأَخْضَرَ ، وَالزَّيْتَ الْأَخْضَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : «مَاء» ؛ وَالتَّوْنُ سَاقِطَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) الْكَرْبُ : أَصُولُ السَّفْرِ الْغُلَاطِ الْعَرَاضِ .

(٣) يُرِيدُ أَنْ نَارَ السَّفْرِ يَطْلُو لَهَا وَيَسْطَعُ ، فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلِاسْتِغْنَاءِ دُونَ الْأَصْطِلَاءِ .

(٤) الْكَسَّاحُ : الْكَنْثَاسُ ؟ وَمِنْ يَنْظِفُ الْبُتْرَ وَالتَّهْرَ وَنَحْوَهَا .

(٥) الْمَكْكُوكُ : مَكْيَالٌ يَسَعُ صَاعًا وَنَعْفًا أَوْ نَعْفًا وَطَلًا إِلَى ثَمَانِ أَوْاقٍ .

(٦) الْقَسْبُ : التَّمَرُ الْيَابِسُ .

قيل للحسن بن عليّ — رضى الله عنه — لثما صالح معاوية : يا غار المؤمنين .
فقال : العار خير من النار .

نظر الحجاج يوماً على المسائدة إلى رجل وجأ عنق رجل آخر ، فدعا بهما ،
فقال للواحي : علام صنعت ؟ فقال : غصّ بعظم فخفت أن يقتله ، فوجأت عنقه
فألقاه ؛ فسأل الآخر فقال : صدق ؛ فدعا بالطباخ فقال له : ألدع العظام في طعامك
حتى يغصّ بها ؟ فقال : إن الطعام كثير ، وربما وقع العظم في المرق فلا يزال .
قال : تصب المرق على المناخل . فكان يفعل ^(١) .

قال سلمة بن المحبق ^(٢) : شهدت فتح الأبلّة ، فوقع في سهمي قدر نحاس ،
فمنظرت فإذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتبت في ذلك إلى عمر ،
فأجاب بأن يحلف سلمة بأنه أخذها يوم أخذها وهي عنده ، فإن حلف سلمت إليه ،
وإلا قسمت بين المسلمين ، قال : خلفت فسلمت إليّ ، فأصول أموالنا اليوم منها .
قال بعض الحكماء : لا يصبر على الثروة إلا ذو طبيعة كريمة .

(٣)

أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجلاً صدق بخراسان — مالا عظيما
فجهز سبعين مملوكا بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ، ثم أصبحوا معه

(١) عبارة الأصل : « نصيب المرق على المناخل فكان تفعلك » . وفيها تحريف ظاهر .
والصواب ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « سلمة بن المحبي » . وهو تحريف . والتصويب عن الإصابة والقاموس .
وضبط في القاموس بكسر الباء المشددة ، وفي الإصابة بفتحها .

(٣) موضع هذه النقط عبارة لابن السكك مهمة أكثر حروفها من النقط ، فلم
نستطع تحقيق ألفاظها ، ونحن تثبتنا هنا كما وردت في النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة
بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٢١٥ ز) في ص ٣٨٧ ونصها : « وقال ابن السكك لو خرج
رجل في طلب السنان إلى الكوفة لهدده والدار في لعدوه بقاءه كان خفيها على إخوانه لعرسه »

يومَ الرِّحِيل ، فلما أَسْتَوَى بِهِمُ الطَّرِيقُ نَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبُوا أَتُمْ أَحْرَارٌ ، وَمَا مَعَكُمْ لَكُمْ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَنْ قِيلَ صِلْتَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مُرُوَّتُهُ ، وَأَذَلَّ لَقَدْرِكَ عِزَّهُ .

كَتَبَ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ إِلَى الْمُهْدِيِّ :

أَنَا نَادَيْتُ عَفْوَكَ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا نَادَيْتُ سُخْطَكَ مِنْ بَعِيدٍ

وَأِنْ عَاقَبْتَنِي فَلَسَوْءٌ فَعِلِي وَمَا ظَلَمْتُ عُقُوبَةً مُسْتَقِيدِ

وَأِنْ تَصَفَّحْ فَأِحْسَانٌ جَدِيدٌ عَطَفْتَ بِهِ عَلَى شُكْرِ جَدِيدِ

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَحْرِيرٍ : أَوْصِنِي ؛ فَقَالَ : اسْمَعِ وَلَا تَتَكَلَّمْ ، وَأَعْرِفْ وَلَا تَعْرِفْ ، وَأَجْلِسْ إِلَى غَيْرِكَ وَلَا تُجْلِسْهُ إِلَيْكَ .

وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ أَسِيدٍ^(١) الْقَاضِي : إِنْ أُمِّي تَرِيدُ أَنْ تَوْصِيَ فَتَحَضَّرْ وَتَكْتُبْ ؛

فَقَالَ : وَهَلْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ ؟

وَدَخَلَ صَاحِبُ الْمَطَالِمِ بِالْبَصْرَةِ عَلَى رَجُلٍ مُبْرَسَمٍ^(٢) وَعِنْدَهُ طَبِيبٌ يَدَاوِيهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الطَّبِيبِ وَأَهْلِ الْمَرِيضِ ، وَقَالَ : لَيْسَ دَوَاءُ الْمُبْرَسَمِ إِلَّا الْمَوْتُ حَتَّى تَقِلَّ حَرَارَةُ صَدْرِهِ ، ثُمَّ حِينَئِذٍ يَعَالَجُ بِالْأَدْوِيَةِ الْبَارِدَةِ حَتَّى يَسْتَبِيلَ .

وَأَجْتَاَزَ بِهِ بَائِعُ دُرَاجٍ فَقَالَ : بَكُمُ تَبِيعُ الدَّرَاجَةَ ؟ فَقَالَ : بَلَرُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : أَحْسِنْ . قَالَ : كَذَا بَعْتُ . قَالَ : نَأْخُذُ مِنْكَ اثْنَتَيْنِ بِثَلَاثَةِ . قَالَ : هَا لَكَ . قَالَ : يَا غَلَامُ خُذْ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُسَهِّلُ التَّبِيعَ .

وَدَخَلَ حَجَّاجُ بْنُ هَارُونَ عَلَى نِجَاحِ الْكَاتِبِ ، فَذَهَبَ لِيَقْبَلَ رَأْسَهُ ؛ فَقَالَ

(١) يلاحظ أن هذه الطرفة والست التي بعدها كان ألقى بها جميعا باب المجون السابق .

(٢) مبرسم ، أي به برسام ، وهو علة يهذى فيها .

له : لا تفعل ، فإن رأسي مملوء بالذهن ، فقال : والله لو أن عليه ألف رطل خراء لقبلته .

قدّم لأبن الحسحاس سكباجة^(١) فقال لصديق له : كل فإنها أم القرى . وعزّي ابن الحسحاس صديقاً له ماتت أبنته ، فقال : من أنت حتى لا تموت أبنيتك البظراء ! قد ماتت عائشة بنت^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم .

أخذ يعقوب بن الليثي في أول أمره رجلاً فاستصفاه ، ثم رآه بعد زمان ، فقال له : أبا فلان ، كيف أنت الساعة ؟ قال له : كما كنت أنت قديماً . قال وكيف كنت أنا ؟ قال : كما أنا الساعة ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم .

قال ابن المبارك : إذا وُضِعَ الطعامُ فقد أُذِنَ لِلآكلِ .

(٤)

وقال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إن العرب لا تصلح ببلاد لا تصلح بها الإبل .

وقال إبراهيم بن السدي : نظر رجلٌ من قریش إلى صاحب له قد نام في غداةٍ من غدوات الصيف طيبة النسيم ، فركضه برجله وقال : مالك تنام عن الدنيا في أطيب وقتها ، ثم عنها في أحبّ حالاتها ، ثم في نصف النهار لبعدك عن الليلة الماضية والآتية ، ولأنها راحة لما قبلها من التعب ، وجمام لما بعدها من العمل ، نمت في وقت الحوائج ، وتنبّهت في وقت رجوع الناس ؛ وقد جاء : " قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ " .

(١) السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) يلاحظ أن قوله : « بنت النبي صلى الله عليه وسلم » هو موضع التفكهة ببهل هذا

القاتل وغفلته .

وقال إبراهيم بن السُّنْدِي أَيْقَظَتْ أَعْرَابِيَّةٌ أَوْلَادَهَا صِغَارًا قَبْلَ الْفَجْرِ
فِي غَدَوَاتِ الرَّبِيعِ وَقَالَتْ : تَنْسَمُوا هَذِهِ الْأَزْوَاحَ ، وَأَسْتَنْشِقُوا هَذَا النَّسِيمَ ،
وَتَهْتَمُّوا هَذَا النَّعِيمَ ، فَإِنَّهُ يَشُدُّ مِنْ مُنْتِكِمِكُمْ .

ويقال في الوَصْفِ : كَأَنَّهُ مِجْرَاكُ نَارٍ ، وَكَأَنَّهُ الْجَأْمُ^(١) صَدَى .

وَإِذَا وَصَّوهُ بِالْقِصْرِ قَالُوا : كَأَنَّهُ عُقْدَةُ رِشَا ، وَأُبْنَةُ عَصَا . وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا
قَالُوا : كَأَنَّهُ قِطْعَةُ زُبْدٍ ، وَالْمَوْلَدُونَ يَقُولُونَ : كَأَنَّهُ أُسْكُرُجَةٌ^(٢)

قال بعض السَّلَفِ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ لَا أُحِيطُ بِنِعْمِكَ عَلَى فَأَعُدَّهَا ، وَلَا
أُبْلَغُ كُنْهَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فَأُحَدِّثُهَا .

دَعَا عَطَاءُ السُّنْدِي فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْوَاقِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ،
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِكَ الْوَاسِعِ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَانِعٌ .

ودعا بعض السلف : اللَّهُمَّ إِنَّ قَلْبِي وَنَاصِيَّتِي بِيَدِكَ لَمْ تُمْلِكْنِي مِنْهُمَا شَيْئًا ،
وَإِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ وَلِيَّهُمَا ، فَأُهْدِنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ .

ودعا بعضُ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ مَا كَانَ لِي مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ قَضَيْتَهُ وَيَسَّرْتَهُ
وَهَدَيْتَهُ ، فَلَا حَمْدَ لِي عَلَيْهِ ؛ وَمَا كَانَ مِنِّي مِنْ سُوءٍ فَإِنَّكَ وَعَظْتَ وَزَجَرْتَ
وَنَهَيْتَ فَلَا عُذْرَ لِي فِيهِ وَلَا حِجَّةَ .

ودعا آخَرُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ، وَنَدِيمٍ فَاجِرٍ ، وَصَدِيقٍ
غَادِرٍ ، وَغَرِيمٍ مَآكِرٍ ، وَقَرِيبٍ مُنَاكَرٍ^(٣) ، وَشَرِيكِ خَائِنٍ ، وَحَلِيفٍ

(١) الجأَم : إناء من فضة .

(٢) أسكرجة : صفة صغيرة يوضع فيها السكامخ ، وهي فارسية .

(٣) مناكر ، أى محارب .

مَائِن ، وولِدِ جافٍ ، وخادم هَافٍ ، وحاسد مُلَافِظ ، وجارٍ مُلَاحِظ ، ورفيقٍ
كَسَلان ، وخليِلٍ وَسَنان ، و ^(١) ضَعِيف ، ومَرَزٍ كُوبٍ قَطُوف ^(٢) ، وزوجةٍ
مَبْدُرة ، ودارٍ ضَيِّقة .

قال المدائني : قال بعض السلف لابنه : اِسْحَظْ طَبْعَكَ بِالْعُيُونِ وَالْفِقَرِ ^(٣)
وإن قَلَّتْ ، فإن الشجرة لا يَشِينُهَا قَلَّةُ الْحَمَلِ إذا كان ثمرُها نافعاً ،
وأَكَلُها ناجعاً .

(٦) وقيل للأوزاعي : ما كرامة الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه .

قال مجاهد في قول الله تعالى : (ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) قال : قِيَامُهُ
عليهم بنفسه .

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس من المروءة أن تَسْتَخْدِمَ الضَّيْفَ .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد : كان يقال : أَرْبَعٌ لِلشَّرِيفِ لا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتَفَ
منهن وإن كان أميراً : قِيَامُهُ من مجلسه لأبيه ، وَخِدْمَتُهُ لضيِّفه ، وَخِدْمَتُهُ للعالمِ
يَتَعَلَّمُ منه ، وإن سُئِلَ عما لا يَعْلَمُ أن يقولَ : لا أَعْلَمُ .

حاتم كان يقول : العَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ ، فإِذَا مِنَ السَّنَةِ :
إِطْعَامُ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزُ المَيِّتِ ، وَتَرْوِيْجُ البِكْرِ ^(٤) ، وَقَضَاءُ الدَّيْنِ ،
والتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ .

(١) هنا يياض بالأصل .

(٢) المركوب القطوف : الضيق الحظو .

(٣) أي جيون الكلام البليغ وفقره .

(٤) في رواية : « الكف » .

وقال : من أطعمَ الضَّيفَ لحماً وخُبْزَ حِنْطَةٍ وماءً بارداً فقد تَمَّ الضَّيَافَةُ .
وقال حاتم : المَزُورُ المُرَائِي إذا ضَافَ إنساناً حَدَثَهُ بِسَخَاوَةِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ ،
وإذا ضَافَهُ إنسانٌ حَدَثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وقال ميمون بن ميمون : من ضَافَ البَخِيلَ صَامَتِ دَابَّتُهُ ، واستغنى عن
الكَنِيفِ ، وَأَمِنَ الثُّخْمَةَ .

وقال بعض السلف الصالح : لَأَنْ أَجْمَعَ إِخْوَانِي عَلَى صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ أَحَبُّ^١
إِلَيَّ مِنْ عِتْقِ رَقَبَةٍ .

قال الأعشى : كَانَ الرِّبِيعُ بْنُ خَنْثَمٍ يَصْنَعُ لَنَا الخَمِيرَ^(١) وَيَقْدِمُهُ وَيَقُولُ :
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَطْيَبِيهِمْ نَفْسًا ، وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا ، وَأَرْحَمَهُمْ جَمِيعًا .

وقال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : كُلَّ بَيْتٍ لَا يَدْخُلُهُ الضَّيْفُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ .

ولما قرأته على الوزير — بَلَّغَهُ اللَّهُ آمَالَهُ ، وَزَكَّى أَعْمَالَهُ ، وَخَفَّفَ عَنْ قَلْبِهِ
أَقْبَلَهُ — قَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ مِثْلَ هَذَا الْحَجْمِ يَحْوِي هَذِهِ الْوَصَايَا وَالْمَلَحَ ؟ .
وهذه الكلماتُ التُّرَرُ ما فيها ما لَا يَجِبُ أَنْ يُحْفَظَ ، وَاللَّهُ لَكَأَنَّهَا بَسْتَانٌ فِي زَمَانِ
الْحَرِيفِ ، لِكُلِّ عَيْنٍ فِيهِ مَنْظَرٌ ، وَلِكُلِّ يَدٍ مِنْهُ مَقْطَفٌ ، وَلِكُلِّ فَمٍ مِنْهُ مَذَاقٌ .
إِذَا فَرَّغْتَ فَأَضِيفْ لِي جِزْءًا أَوْ جِزْءَيْنِ أَوْ مَا سَاعَدَكَ عَلَيْهِ النَّشَاطُ ، فَإِنْ مَوَّقِعَهَا
يَحْسُنُ ، وَذِكْرُهَا يَجْمَلُ ، وَأَثَرُهَا يَبْقَى ، وَفَائِدَتُهَا تُرْوَى ، وَعَاقِبَتُهَا تُحْمَدُ .
فَقُلْتُ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ .

(٢) الخمير : طعام كان يصنع من التمر والسن .

الليلة العشرون^(١)

وقال لي مرة [أخرى] : أكتب لي جزءاً من الأحاديث الفصيحة
 (١) الفيدة . فكتبت : قال مالك بن مَعْمَرَةَ اللَّخْمِي . كنتُ أَجَالِسُ فِي ظِلِّ
 الكعبة أيامَ الموسمِ عبدَ الملك بن مروان وقيصة بن ذؤيب وعروة بن
 الزبير ، وكنا نخوضُ في الفقهِ مرةً ، وفي الذِّكرِ مرةً ؛ وفي أشعار العربِ
 وآثارِ الناسِ مرةً ؛ فكنيتُ لا أجِدُ عند أحدٍ منهم ما أجدهُ عند عبد الملك بن
 مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة ،
 وحسن استماعه إذا حَدَّثَ ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّثَ ؛ فخلوتُ معه ذات ليلة فقلتُ :
 والله إني لتسرورن بك لما أشاهدهُ من كثرة تصرفك وحسن حديثك ،
 وإقبالك على جليسك ؛ فقال : إنك إن تعش قليلاً فسترى العيون طامحة إلى
 والأعناق قاصدة نحوى ، فلا عليك أن تعمل إلى ركابك . فلما أفضت إليه
 الخلافة شخصتُ أريده ، فوافيته يومَ جُمعة وهو يخطبُ الناس ، فتصدت له ،
 فلما وقعت عينه علىَّ بَسَرَ^(٢) في وجهي ، وأعرض عني ، فقلت : لم يُبِتني معرفةً
 ولو^(٣) عرفني ما أظهر نُكْرَةً . لكنني لم أبرح مكاني حتى قضيت الصلاة
 ودخل ، فلم ألبث أن خرج الحاجبُ إلىَّ فقال : مالك بن مَعْمَرَةَ ، فقلت ، فأخذ
 بيدي وأدخلني عليه ، فلما رآني مَدَّ يده إلىَّ وقال : إنك تراءيت لي في موضع
 لم يجز فيه إلا ما رأيت من الإعراض والانتباه ؛ فرحباً وأهلاً [وسهلاً] ،

(١) انظر الحاشية رقم ١ من ٢٧ من هذا الجزء .

(٢) في (١) « كسر » .

(٣) عبارة (ب) « أو عرفني وأظهر » الخ .

كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مسيرك؟ قلت: بخير، وعلّى ما يحبّه أمير المؤمنين. قال: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، وهو الذي أعملني إليك؛ فقال: والله ما هو بميراث أدعينا، [ولا أثر وعينا]، ولكني أخبرك عن نفس خصالا سمت بها نفسى إلى الموضع الذى ترى، ما لاحت ذؤود ولا ذا قرابة قط، ولا شمت بمصيبة عدوّ قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهى، ولا قصدت كبيرة من محارم الله متلذذاً بها وواثباً عليها، وكنت من قرّيش فى بيتها، ومن بيتها فى وسطه، فكنت أمل أن يرفع الله منى، وقد فصل؛ يا غلام، برّته منزلاً فى الدار. فأخذ الغلام بيدي وقال: أنطلق إلى رحلك؛ فكنت فى أخفض حال، وأنتم بال؛ وكان يسمع كلامى وأسمع كلامه، فإذا حضر عشاؤه أو غداؤه أتانى الغلام وقال: إن شئت صرت إلى أمير المؤمنين فإنه جالس، فأمشى بلا حذاء ولا رداء فيزفع يجلسى، ويقبل على محادثتي، ويسألني عن العراق مرّة، وعن الحجاز مرّة، حتى مضت لى عشرون ليلة. فتغديت عنده يوماً، فلما تفرّق الناس نهضت للقيام، فقال: على رسلك أيها الرجل، أعي الأمرين أحب إليك: المقام عندنا، ولك النصف فى المعاشرة والمجالسة مع المواساة، أم الشخوص ولك الحياء والكرامة؟ قلت: فارقت أهلى وولدى على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرنى اخترت فناءه على الأهل والولد، قال: بل أرى لك الرجوع إليهم، فإنهم متطلعون إلى رؤيتك، فتجدد بهم عهداً ويمجدون بك مثله، والخيار فى زيارتنا وللقام فيهم إليك، وقد أمرنا [لك] بعشرين ألف دينار، وكسوتناك وحملناك، أترانى ملأت يدك أبا نصر؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أراك ذا كراماً لما رويت^(١) عن نفسك.

(١) فى الأصل: «ورئت».

قال: أجل، ولا خيرَ فيمن يَنسى إذا وَعَدَ؛ ودَّعَ إذا شئتَ صَحِبَتِكَ السلامة .
 قال الوزير : ما أحلّى هذا الحديث ! هاتِ ما بعده ، قلتُ : قال يحيى بن
 (٢) أوى يعلى : لما قَدِمَ السَّالُّ من ناحيةِ عمرَ بنِ عبد العزيز — رحمه الله — على
 أبي بكر بن حَزْم ، قَسَمَهُ بين الناس في المدينة ، فأصاب كلُّ إنسانٍ خمسين
 دينارًا ، فدَعَتْنِي فاطمةُ بنت الحسين — عليه السلام — فقالت : أ كُتِبَ ،
 فكتبتُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبدِ الله عمرَ أمير المؤمنين من فاطمة بنت
 الحسين سلامُ [الله] عليك ، فَإِنِّي أَحمدُ إِيكَ الله الذي لا إِلَهَ إِلَّا هو ، أمَّا
 بعد ، فأصلَحَ اللهُ أمير المؤمنين وأعانَه عَلَى ما تَوَلَّاهُ ، وعَصَمَ به دينه ، فَإِنَّ
 أمير المؤمنين كَتَبَ إلى أبي بكر بن حَزْم أن يَقسِمَ فينا مالاً من الكَتِيبَةِ ،
 ويتحرَّى بذلك ما كان يصنع من قبله من الأئمة الراشدين المهديين ، وقد
 بلغنا ذلك ، وقَسَمَ فينا ، فَوَصَلَ اللهُ أمير المؤمنين ، وجزاه من وال خيرَ
 ما جَزَى أحداً من الوُلاة ، فقد كانت أصابتنا جَفْوَةً ، وأحتَجْنَا إلى أن يَعمَلَ
 فينا بالحق ؛ فأقسَمُ بالله يا أمير المؤمنين لقد أختَدَمَ من آلِ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من لا خادِمَ له ، وأَكْتَسَى من كان عارياً ، وأستقرَّ من كان لا يَجدُ
 ما يَستقرُّ [به] . وبعثتُ [إليه] رسولا .

قال يحيى : فحدثني الرسولُ قال : قَدِمْتُ الشَّامَ ^(١) عليه ، فقرأ كتابها وإنه
 لَيَحْمَدُ الله وَيَشْكُرُه ، فأمر لي بعشرةَ دنانير ، وبعث إلى فاطمةَ خَسمائةَ
 دينار ، وقال : أَسْتَعِينِي بها على ما يُعوزُكَ ، وكتب إليها كتاباً يَذْكُرُ فيه
 فضلها وفضلَ أهلِ بيتها ، ويَذْكُرُ ما فَرَضَ اللهُ لهم من الحق .

(١) في (١) « العراق » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

فرق الوزير عند هذا الحديث وقال : أذْكَرْتَنِي أَمْرَ الْعَلَوِيَّةِ ، وأخذ القلم ، وأستمدَّ من السواة ، وكتب في التذكرة شيئاً ، ثم أرسل إلى نقيب العلوية العمري في اليوم الثاني بألف دينار ، حتى تُفرَّقَ في آل أبي طالب ، وقال لي : هذا من بركة الحديث .

(٣) ثم قال : كيف تَطَاوَلَ هؤلاء القومُ إلى هذا الأمرِ مع بُعْدِهِم من رَحِمِ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وقُرْبِ بني هاشم منه ؟ وكيف حَدَّثَهُم أنفسهم بذلك ؟ إِنَّ عَجَبِي من هذا لَا يَنْقُضِي ، أَيْنَ بنو أمية وبنو مروان من هذا الحديث مع أحوالهم المشهورة في الدين والدنيا ؟

قلت : أيُّها الوزير ، إذا حُقِّقَ النَّظَرُ واستُشِفَّ الْأَصْلُ (١) لم يكن هذا (٢) عجيباً ، فإنَّ أعجازَ الأمورِ تاليةٌ لصدورها ، والأسافلُ تاليةٌ لأعلىها ، ولا يزال الأمرُ خافياً حتى يَنْكَشِفَ سَبَبُهُ (٣) فيزول التعجب [منه] ، وإنما بعدُ هذا على كثير من الناس ، لأنهم لم يُعَنِّوا به ويتعرَّفوا أوائله والبحث عن غوامضه ، ووضعوه في مواضعه ، وذهبوا مذهبَ التعصب .

قال : فما الذي خَفِيَ حتى إذا عُرِفَ سَقَطَ التَّعَجُّبُ وَلَزِمَ التسليم ؟ فكان من الجواب : لا خِلافَ بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ وَعَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وخالد بن سعيد على صنعاء ، وأبو سفيان ابن حرب على نجران ، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين ، وسعيد ابن القسب الأزدي حليف بني أمية على جرش ونحوها ، والمهاجر بن أبي أمية

(١) في (١) « الأمر » .

(٢) في (١) « لم يكن بعيداً عجيباً » .

(٣) في (١) « حتى تنكشف نفسه » ؛ وهو تحريف .

المخزومي على كِنْدَةَ والصَّدِيف ؛ وعمر بنُ العاص على عُمان ، وعُثمان بن أبي العاص على الطائف . فإذا كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أسس هذا الأساس ، وأظهر أمرهم لجميع الناس ؛ كيف لا يقوى ظنهم ، ولا ينبسط رجائهم ، ولا يمتد^(١) في الولاية أملهم ؟ وفي مقابلة هذا ، كيف لا يضعف طمع^(٢) بني هاشم ، ولا ينقبض رجائهم ، ولا يقصر أملهم ؟ وهي الدنيا ، والذين عارض فيها ، والعاجلة محبوبة ، وهذا وما أشبهه حدّد أنبيائهم ، وفتح أبوابهم ؛ وأترع كآسهم ، وفتل أمراتهم ، ودلائل الأمور تسبق ، وتبشير الخبر تعرف .

قال ابن الكلبي : حدثني الحكم بن هِشام الثقفي قال : مات عبيد الله ابن جحش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة ، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، فدعا بالقرشيين فقال : من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا وأولام بها . قال : فزوج نبيكم . قال : فزوجه ومهر عنه أربعمائة دينار ؛ فكانت أول امرأة مهّرت أربعمائة دينار ؛ ثم حُملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعها الحكم بن أبي العاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النظر إليه ، فقيل له : يا رسول الله ، إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب . قال : أليس ابن المخزومية ؟ قالوا : بلى ؛ قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم ، وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال لمعاوية : والله إني لأبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، وما بقي إلا عشرة حتى يكون الأمر في ؛ فيقول معاوية بن أبي سفيان : أخذها والله من عَيْنٍ صافية .

(١) في (أ) : « يحذروا » ، وفي (ب) : « يحيد » ؛ وهو تصحيف في كليهما .

(٢) في (ب) : « أمل » .

فهذا — كما تَسْمَعُ — إن كان حقاً فلا سبيل إلى رَدِّهِ ، وإن كان مُفْتَعَلًا
فقد صارَ داعيةً إلى الأمرِ الَّذِي وَقَعَ النزاعُ فيه ، وجمالُ الخِصامِ عليه .
وهاهنا شيء آخر .

قال القَعْقَاعُ بنُ عمرو : قلتُ لعلِّي بنُ أبي طالب — عليه السلام —
ما حَمَلَكَمُ على خلافِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ وَتَرَكِ رَأْيِهِ ؟ وهذا يَعْنِي به أن
العباسَ كان قال لعلِّي — عليه السلام — في مرضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم :
قم بنا إليه لِنَسْأَلَهُ عن هذا الأمرِ ، فإن كان لنا أَشْأَعُهُ في النَّاسِ ، وإن كان في
غيرنا وَصَّيَ فينا ، وكان عليٌّ عليه السلام أباي على عمِّه العباسِ ولم يُطَاوِعْهُ —
قال القَعْقَاعُ : قال أميرُ المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب — عليه السلام — في جوابه
لي : لو فَعَلْنَا ذَلكَ جَعَلَهَا في غَيْرِنَا بعدَ كَلَامِنَا لم نَدْخُلْ فيها أَبَدًا ، فأُحْبِبْتُ
أن أَكُفَّ ، فإن جَعَلَهَا فينا فهو الَّذِي نريدُ ، وإن جَعَلَهَا في غَيْرِنَا
كانَ رَجَاءُ مَنْ طَلَبَ ذَلكَ مِنَّا مَمْدُودًا ، ولم يَنْقَطِعْ مِنَّا ولا من النَّاسِ . قال
القَعْقَاعُ : فكان النَّاسُ في ذَلكَ فرقتين : فرقةٌ تَحْزُبُ للعباسِ وتَدِينُ له ، وفرقةٌ
تَحْزُبُ لِعَلِيِّ وتَدِينُ له . فهذا وما أَشْبَهَهُ يُضْعِفُ نفوسًا ، ويرْفَعُ رُءُوسًا ، وبعدَ فهذا
البيتُ خُصَّ بالأمرِ الأوَّلِ ، أعني الدَّعْوَةَ والنَّبُوَّةَ والكتابَ العزيزَ ، فأما الدنيا
فإنها تَزُولُ من قومٍ إلى قومٍ ، وقد رُوِيَ ^(١) أبو سُفْيَانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ وقد وقف
على قبرِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ وهو يقول : رَحِمَكَ اللهُ يا أبا عُمارة ، لقد قَاتَلْتَنَا على
أمرٍ صارَ إلينا .

(١) سَكَنَّا في ب وعبرة ١ وقد روى أنه وقف أبو سفيان صخر بن حرب على قبر

حمزة بن عبد المطلب وهو يقول .

فإن قال قائل : فقد وصل ^(١) هذا الأمرُ بعد مدّةٍ إلى [آل] النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فالجواب : [صدّقت] ، ولكن لما ضَعُفَ الدِّينُ وتَحَلَّلَ ^(٢) رُكْنُهُ وتداوله الناسُ بالقلبِ والقهر ، فتطاولَ له ناسٌ من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعجمِ وبِقُوَّتِهِمْ وَنَهَضَتِهِمْ وعادَتِهِمْ في مساورةِ الملوك ، وإزالةِ الدول ، وتناولِ العِزِّ كيف كان ، وما وصلَ إلى أهلِ العدالة والطهارة والزهدِ والعبادة والورع والأمانة ، ألا ترى أن الحالَ أَسْتَحَالَتَ كَيْفَمَا : كِسْرِيَّةٌ وقَيْصَرِيَّةٌ ، فإين هذا من حديثِ النبوةِ الناطقة ، والإمامةِ الصادقة ؛ هذا الربيعُ — وهو حاجب المنصور — يضربُ مَنْ شَمَتَ الخليفةَ عند العطسة ، فيُسَكِّى ذلك إلى أبي جعفر المنصور ، فيقول : أصابَ الرجلُ السُّنَّةَ وأخطأَ الأدبَ . وهذا هو الجهل ، كأنه لا يَعْلَمُ أَنَّ السُّنَّةَ أَشْرَفُ من الأدبِ ، بل الأدبُ كُلُّهُ في السُّنَّةِ ، وهي الجامعةُ للأدبِ النبويِّ والأمرِ الإلهي ، ولكن لما غلبت عليهم العِزَّةُ ^(٣) ، ودَخَلَتِ التَّعَرُّفُ في آثافِهِمْ ، وظَهَرَتِ الْخُنْزَوَانَةُ ^(٤) بَيْنَهُمْ ، سَمَّوْا آيِنَ ^(٥) العِجَمِ أدبًا ، وقَدَّمُوهُ على السُّنَّةِ التي هي ثَمَرَةُ النبوةِ ، هذا إلى غير ذلك من الأمور المعروفة ، والأحوال المتعلّلة المتداولة التي لا وَجْهَ لِدِكْرِهَا ، ولا فائدةَ لنشرها ، لأنها مقرّرةٌ في التاريخ ، ودائرةٌ في عُرْضِ الحديث .

ولما كانت أوائلُ الأمور على ما شَرَحْتُ ، وأواسطُها على ما وَصَفْتُ ، كان من نتائجها هذه الفتن والمذاهبُ ، والتعصُّبُ والإفراطُ ، وما تَقَامَ منها وزاد

(١) في (ب) : « صار » .

(٢) تحلل ركنه ، أى تزعزع وزال عن موضعه .

(٣) في كلتا النسختين « الحية » ؛ وهو تحريف .

(٤) الخنزوانة : الكبر .

(٥) آين السجم : عرفهم وعاداتهم ؛ وهي كلمة فارسية .

ونما وعلا وترأى ، وضافت الحيلُ عن تدارُكه وإصلاحه ، وصارت العامةُ مع جَهلِها ، تجدُ قوَّةً من خاصَّتها مع علِّها ، فسفكت الدِّماء ، واستبيح الحرِّيم ، وشقت الغارات ، وخربت الدِّيارات ، وكثُر الجِدال ، وطال القيلُ والقال ، وفشا الكذبُ والمُحال ، وأصبحَ طالبُ الحقِّ حَيْران ، ومحِبُّ السلامةِ مقصوداً بكلِّ لسانٍ وسنان ، وصار الناسُ أحزاباً في النحلِّ والأديان ، فهذا نصيرِي^(١) ، وهذا أشجعي^(٢) ، وهذا جَارُودِي^(٣) ، وهذا قَاطِعِي^(٤) ، وهذا جَبَّائِي^(٥) ، وهذا أشعري^(٦) ، وهذا خارجي^(٧) ، وهذا قَرمَطي^(٨) ، وهذا

(١) الصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، كانوا يؤلهون علياً ، وكان منهم ناس في زمن علي ابن أبي طالب مخدوم . وينسبون إلى رجل اسمه نصير .
(٢) كذا ورد هذا اللفظ في (١) وحدها ؛ ولم نجد الأشجعية فيها راجعته من الكتب للمؤلفة في الفرق .

(٣) الجارودية : فرقة من الزيدية نسبت إلى أبي الجارود زياد بن أبي زياد ، ويزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نس على إمامة علي بالوصف دون الاسم ، وكفروا بالصحابة وتركهم بيعة علي .

(٤) القطعية ، ويقال لهم : الاثنا عشرية أيضاً ، وذلك لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر ، وهؤلاء يسوقون الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه موسى ، ويقطعون بموت موسى ، ويزعمون أن الإمام بعده سبط محمد بن الحسن الذي هو سبط علي بن موسى الرضا .
(٥) الجبائية والأشعرية : فرقان من التكلمين ، أولاهما تنسب إلى أبي علي الجبائي وكانت المعتزلة البصرية على مذهبه ، ثم انتقلوا بعده إلى مذهب أبي هاشم ابنه ، وسموا بد الهشمية ، وثانيتها تنسب إلى أبي الحسن الأشعري من أهل السنة .

(٦) القعبيية : فرقة من الخوارج ينسبون إلى رجل منهم اسمه شبيب ، ويقولون في القدر والاستطاعة والمشيئة قول الخازمية ، وهو موافق لقول أهل السنة في ذلك .

(٧) الترامط والفرامطة : طائفة مشهورة من الزنادقة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وماني ، وكانوا يبيعون المحرمات ، وكان ابتداء أمرهم في سنة مائتين وثمان وسبعين . راجع عقد الجمان للمعني في حوادث هذه السنة . ومن هذه الطائفة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، وهو الذي أظهر مذهبهم ، وكان دافعا ، فنفى عن بلده جبابة ، فخرج إلى البحرين وأقام بها تاجرا ، وجعل يستميل العرب بها ويدعوم إلى نخلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها ، وقتل سنة إحدى وثلاثمائة ، ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فكان من قتله حجاج بيت الله الحرام ، وانقطع طريق مكة في أيامه =

راوندي^(١) ، وهذا نجاري^(٢) ، وهذا زعفراني^(٣) ، وهذا قدري^(٤) ، وهذا جبري^(٥) ، وهذا لفظي^(٦) ، وهذا مستدركي^(٧) ، وهذا حارثي^(٨) ، وهذا رافضي^(٩) ، ومن لا يحصي عددها إلا الله الذي لا يُعجزه شيء ؛ لا جرّم شمت اليهود والنصارى والمجوس بالمسلمين ، وعابوا وتكلموا ، ووجدوا أجراً وجصاصاً فبنوا ، وسمعوا فوق ما تمنوا [فرووا]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزداد الأمر إلا صُعوبة ، ولا الناس إلا اتباع هوى ، حتى تقوم الساعة على شرار الناس » . وقال أيضاً : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء من أمّتي » .

== بسبه ، والتعدي في الحرم واثهاب الكعبة ونقله الحجر الأسود إلى القطيف والأحساء من أرض البحرين ، ما قد اشتهر ذكره ، وقد بقي الحجر الأسود عندهم إحدى وعشرين سنة ، ثم رد ببذول بذلت لهم ، وقد استوفى الطبري وابن الأثير وغيرهما أخبار هذه الطائفة في كتبهم فارجع إليها ، وانظر حجم البلدان في الكلام على « جنابة » بتشديد النون وتاج العروس « مادة جنب » .

(١) الراوندية هم أتباع الراوندي أبي الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق من أهل مرو سكن بنداد وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وترنق وألف في الرد عليهم ؛ ومات سنة ٢٩٨ .
(٢) النجارية : أتباع الحسين بن محمد النجار ، وقد وافقوا أهل السنة في أصول ، والفدرية في أصول ، وانفردوا بأصول .

(٣) الزعفرانية : أتباع الزعفراني الذي كان بالري ، وهم فرقة من النجارية .
(٤) القدرية : فرقة تنفي القدر عن الله عز وجل وتقول إن العبد مخير في أفعاله ، وليس للقدر دخل فيها .

(٥) الجبرية : فرقة تثبت القدر لله عز وجل وتقول : إن العبد مجبر على أفعاله ، وليس له اختيار فيها ، وإن أفعاله بمثابة الرعدة والرعدة .

(٦) كذا ورد هذا اللفظ في كلتا النسختين ؛ ولم نجد فرقة بهذا الاسم ؛ فلمله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ .

(٧) المستدركة : فرقة من النجارية يزعمون أنهم استدركوا ما خفي على أسلافهم .

(٨) الحارثية : فرقة من الإباضية ، ينسبون إلى حارث بن يزيد الإباضي ، وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة . وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وكفّرهم سائر الإباضية في ذلك .

وقلتُ لأبن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة : ما صفةُ هذا الغريب ؟ فقال لي : يا بُنيَّ هو الذي يَفِرُّ من مدينةٍ إلى مدينةٍ ، ومن قُلةٍ إلى قُلةٍ ؛ [ومن بلدٍ إلى بلدٍ] ومن برٍّ إلى بحرٍ ، ومن بحرٍ إلى برٍّ ، حتى يَسْلَمَ ، وأتى له بالسلامة مع هذه النيران التي قد طافَتْ بالشرق والغرب ، وأتت على الحرث والنَّسل ، ففدَّمتُ^(١) كلَّ أفوهٍ ، وأسكَّتُ كلَّ ناطقٍ ، وحيرتُ كلَّ لبيبٍ ، وأشَرَّتُ كلَّ شاربٍ ، وأمَّرتُ على كلِّ طاعمٍ ؛ وإنَّ الفِكرَ في هذا الأمرِ لمُختَلِسٌ لِلْعَقْلِ^(٢) وكَارِثٌ لِلنَّفْسِ^(٣) ، ومُحْرِقٌ لِلْكَبِدِ .

فقال الوزير : والله إنه لكذلك ، وقد نال منِّي هذا الكلام ، وكَبُرَ عليَّ هذا الخطبُ ، والله المستعان .

ونظرتُ إليه وقد دَعَتْ عَيْنُهُ وَرَقَّ فؤاده وهو — كما تَعَلَّم — كثيرُ التَّأَلُّهِ ، شديدُ التَّوَقُّي ، يصومُ الاثنين والخميس ، فإذا كان أولُ رجبٍ أصبحَ صائماً إلى أولِ يومٍ مِنْ شوالٍ ، وما رأينا وزيراً على هذا الدَّأْبِ وبهذه العادة ، لا منافقاً ولا مُخْلِصاً^(٤) ، وقد قال الله تعالى : (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) تَوَلَّاهُ اللهُ أَحْسَنَ الْوِلَايَةِ ، وكفاه أ كَمَلَ الْكِفَايَةِ ، إنه قريبٌ مجيب .

فلَمَّا رَأَيْتُ دَمْعَتَهُ قُلْتُ : أيها الوزير ، رَوَى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، [وحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ] وحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ حَرَامِ اللهِ » ،

(١) فدَّمتُ ، من الفدامة ، وهي العي .

(٢) في (١) : « الأمر » .

(٣) كَارِثٌ لِلنَّفْسِ : من كَرِثَ الغم إذا اشتد عليه .

(٤) في ١ : « ولا غاصاً » ؛ وهو تحريف .

قال — أحسن الله توفيقه — : هو الهلاك إن لم يُنقِذ الله بفضله ، ولم يتغمّد بقوّه ؛ لو غرقت في البحر كان ^(١) رجائي في الخلاص منه أقوى من رجائي في السلامة مما أنا فيه . قلتُ : إذا علم الله من ضميرك هذه العقيدة ألبسك ثوب عفوّه ، وحلّلك بشعار عافيته وولايته ، وكفالك كيد أعدائك ، وعصب بروعهم ما يريدونه بك (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

قال : اجمع لي جزءاً من رقائق العباد وكلامهم اللطيف الحلو ، فإن مراميهم شريفة ، وسرايرهم خالصة ، ومواعظهم رادعة ، وذلك — أظن — للدين الغالب عليهم ، والتأله المؤثر فيهم ؛ فالصدق مقرون بمنطقهم ، والحق موصول بقصدهم ، ولست أجد هذا المعنى في كلام الفلاسفة ، وذلك — أظن أيضاً — لخوضهم في حديث الطبائع والأفلاك والآثار وأحداث الزمان . قلتُ : أفعل ، فكتبت تمام ما تقدّم به ، ثم كتبت بعد ورقات في حديث النساك .

(٤) قال عتبة بن المنذر السلمي : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ الأجلين قضى موسى — عليه السلام — ؟ قال : أكثرهما وأوفاهما ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى — عليه السلام — لما أراد فراق شُعيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من نتاج غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما وضعت غنمه من قالب ^(٢) لون ذلك العام ، فلما وردت الخوض وقف موسى بإزاء الخوض فلم تضدّ منها شاة إلا ضرب جنبها بعصاه ، فوضعت قوالب ألوان كلها ووضعت أثنتين أو ثلاثة كل شاة ، ليس فيهن قشوش ^(٣) »

(١) في (١) : « كاف » ؛ وهو تحريف .

(٢) شاة قالب لون : إذا كانت على غير لون أمها .

(٣) القشوش : الشاة التي ينفش لبنها من غير حب .

ولا ضُبوب^(١) ولا تَعْمُول^(٢) ولا كَمِيشَة^(٣) تَفَوْتُ الكَف^(٤) فَإِنْ أُنْتَحِمَ الشَّامُ
وَجَدْتُمْ بِهَا بَقَايَا مِنْهَا ، فَاتَّخِذُوهَا ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ .

قال جعفرُ بن أبي طالب للنَّجَاشِي في حديثٍ : بعث الله [تعالى] رسولا
فينا نعرف صِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فدعانا إلى الله [لنُوَحِّدَهُ] مَوْنَعِدَهُ وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا
نَعْبُدُهُ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ،
وَالْكَفِّ عَنِ الْحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ
الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ .

وقال صاحب التاريخ : وَلَدَتْ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ — رضوان الله عليه —
أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عليه السلام — زَيْنَدًا وَرُقَيْيَةً ؛ وَأُمُّ
أُمِّ كَلْثُومِ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال أنسُ بن مالك : صَلَّى النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا
تُوُفِّيَ أَفْرَادًا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

ولَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِ سِنِينَ ، هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ،
وهو شَيْبَةُ أَبُو الْحَارِثِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْقِيلِ بِثَنَانِ سِنِينَ ، وَتَوَقَّيْتُ أَمْنَهُ أُمُّهُ وَهُوَ
ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، كَانَتْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي
عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ تَزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى مَكَّةَ .

(١) في القاموس : الضُبوب : الدابة تبول وتعدو ؛ والشاة الضيقة الإحليل .

(٢) التعمول : الزائدة الأطباء ، وهي حلمات الضرع .

(٣) الكميشة من الشياه : الصغيرة الضرع التي انكش ضرعها وتقلس .

(٤) في (١) : « بلون الكف » ؛ وهو تحريف . ووردت هذه الكلمة في

(ب) مطبوعة الحروف تتغير قراءتها . وتفوت الكف ، أي لا يمكن القبض على ضرعها
بالكف لصغره .

الليلة الحادية والعشرون

(١) وسأل مرة عن المغنى إذا راسله (١) آخر لم يجب أن يكون الله وأطيب ، وأحلى وأعذب ؟

فكان من الجواب : أن أبا سليمان قال في جواب هذه المطالب ما يمنع من اقتضاب قول وتكلف جواب ، ذكر أن المسموع الواحد إنما هو بالحس الواحد ، وربما كان الحس الواحد أيضا غليظا أو كدرا ، فلا يكون نيله (٢) اللذة به (٣) بسط ونشور ولذادة (٤) ، وكذلك [المسموع] ربما لم يكن في غاية الصفاء على تمام الأداء بالتقطيع [الذى هو نفس في الهواء ، فلا تكون أيضا إنالته للذة على التمام والوفاء ، فإذا تفتى (٥) المسموع — أعني توحد (٦) النغم بالنغم — قوى الحس المدرك ، فال مسموعين بالصناعة ، ومسموعا واحدا بالطبيعة ؛ والحس لا يعشق الموحدة (٧) والمناسبة والاتفاق إلا بعد أن يجدها في المركب ، كما أن العقل لا يعشق إلا بعد أن ينالها في فضاء البسيط (٨) ؛ فكلما قوى الحس باستعماله ، ألتذ صاحبه بقوة حتى كأنه يسمع ما لم يسمع بحس أو أكثر ، وكما أن الحس إذا كان كليل [كان الذى يناله كليل] ، كذلك الحس إذا كان قويا كان ما يناله قويا .

(١) راسله آخر ، أى تابعه في غناؤه مساندة له .

(٢) في كلتا النسختين : « فلا يكون نيله للذة » ؛ وهو تحريف .

(٣) به أى بالمسموع .

(٤) في كلتا النسختين : « وقسر وولاية » ولا معنى لهاتين اللفظتين هنا ؛ ففعل صوابهما ما أثبتناه أو ما يفيد معنييهما .

(٥) في كلتا النسختين : « فأذن الأنس المسموع » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ ولعل صوابه ما أثبتناه أو ما يفيد معناه .

(٦) في كلتا النسختين : « توجد » ؛ وهو تصحيف .

(٧) فى (ب) « المأخذة » وفى (أ) « الواحدة » ؛ وهو خطأ فى كليهما .

(٨) فى (أ) « بقاء النشيط » ؛ وهو تحريف .

قال : هذا كله موهوبٌ للحسّ ، فما للعقل في ذلك ؟ فإنّا نرى العاقل (٢) تعذّبه دَهْشَةٌ وأَرْيَحِيَّةٌ وأَهْتَازٌ .

قلت : قد أتى على مجموع هذا ومعرفته أبو سليمان في مذاكرته لأبن الحمار ، وذَكَرَ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ الشُّكُّونَ ، وَمِنْ شَأْنِ الْحِسِّ التَّهَيُّجُ ، ولهذا يوصف العاقل بالوقار والسكينة ، وَمَنْ دُونَهُ يُوصَفُ بِالطَّيْشِ والعجرفة ، والإنسان ليس يَجِدُ الْعَقْلَ وَجَدَانًا فَيَلْتَذُّ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ إِنَّمَا جُمْلَةً وَإِنَّمَا تَفْصِيلًا ؛ أَعْنَى جُمْلَةً بِالرَّسْمِ وَتَفْصِيلًا بِالْحَدِّ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَشْتَأْقِي إِلَى الْعَقْلِ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَنَالَهُ ضَرْبًا مِنَ النَّيْلِ وَيَجِدَهُ نَوْعًا مِنَ الْوَجْدَانِ ، فَلَمَّا أَبْرَزَتِ الطَّبِيعَةُ الْمَوْسِيقِيَّ فِي عَرْضِ الصَّنَاعَةِ بِالْآلَاتِ الْمَهْيَأَةِ ، وَتَحَرَّكَتِ بِالنَّاسَبَاتِ النَّائِمَةِ وَالْأَشْكَالِ الْمُتَّفِقَةِ أَيْضًا ، حَدَّثَ الْأَعْتَدَالُ الَّذِي يُشْعِرُ بِالْعَقْلِ وَطُلُوعِهِ وَأُنْكَشَافِهِ وَأَعْجَلَانِهِ ، فَهَرَّ (١) الْإِحْسَاسُ ، وَبَثَّ الْإِنْفَاسُ ، وَشَوَّقَ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَالنَّعِيمِ ، وَإِلَى مَحَلِّ الشَّرَفِ الْعَمِيمِ ، وَبَعَثَ عَلَى كَسْبِ الْفَضَائِلِ الْحِسِّيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ ، أَعْنَى الشَّجَاعَةَ وَالْجُودَ وَالْحِلْمَ وَالْحِكْمَةَ وَالصَّبْرَ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جَمَاعُ الْأَسْبَابِ الْمَكْمَلَةِ لِلْإِنْسَانِ فِي عَاجِلَتِهِ وَآجِلَتِهِ ؛ وَبِالْوَاجِبِ مَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ الْفَضَائِلَ لَا تُقْتَنَى إِلَّا بِالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا ، وَالطَّلْبُ لَهَا ؛ وَالشَّوْقُ وَالطَّلْبُ وَالْحِرْصُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشَوِّقٍ وَبَاعِثٍ وَدَاعٍ ، فَلِهَذَا بَرَزَتِ الْأَرْيَحِيَّةُ وَالْهَزَّةُ ، وَالشَّوْقُ وَالْعَزَّةُ ؛ فَالْأَرْيَحِيَّةُ لِلرُّوحِ ، وَالْهَزَّةُ لِلنَّفْسِ ، وَالشَّوْقُ لِلْعَقْلِ ، وَالْعَزَّةُ لِلْإِنْسَانِ . وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ أَخْصَصَ بِالنَّفْسِ مِنَ الْإِحْسَاسَاتِ الْبَاقِيَةِ ، لِأَنَّهُمَا خَادِمَا النَّفْسِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَمُؤَنِّسَاهَا فِي الْخُلُوةِ ، وَمُمِدِّاهَا فِي النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ ؛ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الرَّتْبَةُ لشيءٍ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ ، بَلِ الْبَاقِيَّاتُ آثَارُهَا فِي الْجَسَدِ (٢) الَّذِي هُوَ مَطْيَةُ الْإِنْسَانِ ،

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « فَهَرَّ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « فِي الْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لكن الفرق بين السمع والبصر في أبواب كثيرة : ألقها أن أشكال السموع مركبة في بسيط ، وأشكال البصر مبسطة في مركب .

قلت : وقد حكيتُ هذا لأبي زكرياء الصَّيْمَرِيَّ فَطَرِبَ وَأَرْتَاحَ وقال :
ما أبعدَ نظرَ هذا الرجل ! وما أرقى لحظه ! وما أعزَّ جانبَه !

الليلة الثانية والعشرون

(١) وقال لي مرّة أخرى : إزوي شيئاً من كلام أبي الحسن العامري ، فإني أرى أصحابنا يردّونه ويذيلونه ، فلا يرون له في هذه العُصبة قدماً ، ولا يرفعون له في هذه الطائفة علماً .

قلت : كان الرجل لكزّازته وغلظ طبعه وجفاء خلقه يُنفّر من نفسه ، ويُغري الناس بعرضه ، فإذا طُلب منه الفن الذي قد خُصّ به وطُوبى بتحقيقه وُجد على غاية الفضل .

فن كلامه قوله : الطبيعة تتدرّج في رُفْعِها من الكليّات البسيطة ، إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرّج من الجزئيات المركبة ، إلى البسائط الكليّة ، والإحاطة بالمعاني البسيطة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني المركبة ، ليُتوصّل بتوسّطها إلى استنباطها^(١) ، والإحاطة بالمعاني المركبة تحتاج إلى الإحاطة بالمعاني البسيطة ليُتوصّل بتوسّطها إلى تحقيق إثباتها^(٢) . وكما أن القوة الحسيّة عاجزة بطبيعتها عن استخلاص البسائط الأوائل ، بل تحتاج معها إلى القوة العاقلة ،

(١) في (ب) « أسباب إثباتها » وفي (أ) « إثبات اثباتها » وكلتا المبرتين غير ظاهرة المعنى ؛ ففعل الصواب ما أثبتنا .

(٢) في ب « ما ينالها » وفي (أ) « مسابقتها » وهو تحريف في كليتها .

وإن قَوِيَتْ لصار العقلُ فَضْلاً — كذلك أيضاً القوَّة العاقلة لا تَقْوَى بذاتها على استثبات المركَّبات إلا من جهة القوة الحسَّاسة ، ولو قَوِيَتْ عليه لصار الحسُّ فَضْلاً [للعاقلة] .

قال : هذا كلامٌ بارِعٌ من صَدْرٍ واسع ، وأحبُّ أن تزيدني من نَمِّله . قلت : وقال أيضاً : الكلُّ مُفْتَقِرٌ إلى الجزئ لا لأن يصير بدَيْمُومَتَه محفوظاً [بل لأن يصيرَ بتوسطه موجوداً ، والجزئ مُفْتَقِرٌ إلى الكلِّ لا لأن يصير بتوسطه موجوداً ، بل لأن يصير بدَيْمُومَتَه محفوظاً] .

وقال : الحالُّ في جميع الشُّبُل — أعني مَسالك الأشياء في تَكُونِها^(١) صناعيَّة كانت أوتديريَّة أو طَبِيعيَّة أو اتِّفَاقِيَّة — واحدة ، مثاله أن الإنسان وإن أَلْتَذَّ بالِدَسْتَنبَانِ^(٢) فلن يُعَدَّ موسيقاراً إلا إذا تحقَّق بمبادئه الأولى التي هي الطَّيْنَتَات وأنصاف الطَّيْنَتَات ، وكذلك الإنسان وإن أُسْتَطَاب الحُلُو فلن يسمَّى حُلُوَانِيًّا إلا إذا عَرَفَ بسائطه وأُسْطَقْسَاتِه .

وقال : أَلْعَلُّ لا يحيط بالشَّيء إلا إذا عَرَفَ مبادئه القريبة والبعيدة والمتوسطة . وقال : نتوصَّل إلى كُرِّيَّة القمر بما نراه من أختلاف أشكاله ، أعني أنا نراه في الدَّوْرَةِ الواحدة هلالياً مرَّتَيْن ومنصفاً مرَّتَيْن وبدرًا مرَّةً واحدة ، وهذه الأشكال وإن كانت متقدِّمة عندنا فإن كونه كُرِّيًّا هو المتقدِّم بالذات . وقال : ما هو أكثر تركيباً فالحسُّ أقوى على إثباته ، وما هو أقلُّ تركيباً

(١) في كلتا النسخين « بالتكون » ، بالباء ؛ والصواب ما أثبتنا كما يظهر لنا .

(٢) في كلتا النسخين « الدسْتَبَان » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا نقلاً عن كتاب الألفاظ الفارسية المَرْبِيَّة ، والدسْتَبَان كلمة فارسية مركبة من كلمتين : دسْتَان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى . وأصل معناه النغمة . وبان ، أى الذى يضرب به ؛ ويقال أيضاً دسْتَاوَان ، وهو مرَّب الأول .

فالعقل أخلص إلى ذاته .

وقال : الأحداث — وهى الذوات الإبداعية — الوقوف على إثباتها يغنى عن البحث عن ماهياتها .

وقال : كل معنى يوجد بوجوده غيره لا يرتفع بارتفاع ذلك الذى هو غيره ، بل يرتفع غيره بارتفاعه ، فإنه أقدم ذاتا من غيره ، مثاله الجنس لا يرتفع بارتفاع واحد من أنواعه ، والأنواع ترتفع بارتفاع الجنس ، وكذلك حال النوع مع الشخص ، فالجنس أقدم من النوع ، والنوع أقدم من الشخص ، وأغنى بالجنس والنوع الطبيعيين لا المنطقيين .

وقال : معرفتنا أولا تتعلق بالأشخاص الجزئية ثم بتوسطها ثبتت الأجناس فإذا المتقدم بالذات غير المتقدم إلينا .

وقال : مسلك العقل فى تعرف المعانى الطبيعية مقابل لمسلك الطبيعة فى إيجادها ، لأن الطبيعة^(١) تتدرج من الكليات البسيطة إلى الجزئيات المركبة ، والعقل يتدرج من الجزئيات المركبة إلى البسائط الكلية .

قال أبو النضر نفيس : إنما كان هذا هكذا لأن الطبيعة متناولة من العقل والعقل مُناول للطبيعة ، فوجب أن يختلف الأمران ، فإن قال قائل : فهلا تم الأمران معاً بواحدٍ منهما ، أعنى الطبيعة أو العقل ؟ فالجواب أن أحدهما فى العلو ، والآخر فى السفلى ، فليس للعالى أن يهبط ، ولا للسافل أن يعلو ؛ فلما كان هذا محالاً توسط بينهما — أعنى العالى والسافل — المتناولة والتناول حتى اتصل الأول بالثانى ، وغص الفضاء بينهما بضروب الأفراد والأزواج ، وانتظم

(١) قد سبق ما يفيد هذا المعنى فى أول كلام أبى الحسن العامرى فانظره .

الكل فلم يكن فيه خلل ، ولا دونه مأتى ، ولا وراءه متوهم .
 وقال : الإنسان مركب من الأعضاء الآلية بمنزلة^(١) الرأس واليدين
 والرجلين وغيرها ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء مركب من الأعضاء المتشابهة
 الأنواع بمنزلة^(٢) اللحم والعظم والعصب والشريان ، ثم كل واحد من هذه الأعضاء
 مركب من الأخلط الأربعة التي هي الدم والبلغم والمريتان ، ثم كل واحد من
 هذه الأخلط مركب من الأسطقسات الأربع التي هي النار والهواء ، والأرض
 والماء ؛ ثم كل واحد من هذه الأسطقسات مركب من الهيولى والصورة .
 وقال : كما أن لكل عضو قوة تخصه بتدبيرها ، كذلك لجميع البدن قوة
 أخرى ضامنة لتدبيره .

قال : وقال الحكيم في كتاب « السماء »^(٣) : « علة الأنواع والأجناس ودوامها
 هي الفلك المستقيم ، وعلة كون الأشخاص وتجدد حُدُوثها هي الفلك المائل ، فأما
 الكليات المنطقية فإن طبيعتها هي القوة [القياسية المستتبّة لها] عند تكون^(٤) الحس
 على واحد منها . قال أبو النضر نفيس : هذا حكم بالوهم ، ورأى خرج من الظن ؛
 الفلك المستقيم والفلك المائل هما بنوع الوحدة ونسبة الاتفاق^(٥) ، فليس لأحدهما
 اختصاص بالأنواع والأجناس ، ولا بتجدد الأشخاص ، والدليل على هذا أن قائل^(٦)
 لو قلب^(٧) قال بته ذلك لم يكن له عنه انفصال . وللرأي زلات ، كما أن للسان فلتات ،

(١) يلاحظ أن تعبيره هنا بقوله « بمنزلة » في كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم غير مناسب كما لا يخفى . والصواب أن يقول في كلا الموضعين : « التي هي » الخ .

(٢) يعنى كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .

(٣) كذا في « ب » . والنسبة في (١) « عند تكرار الحس » .

(٤) في (ب) : « الاختيار » .

(٥) في (١) : « أن فلانا ؟ وهو تحريف » .

(٦) في كلتا النسختين « لو قلت عليه ذلك » وهو تصحيح لا معنى له . وسياق الكلام

يقتضى ما أبتناه .

والحكيم^(١) هَفَوَات ، كما أَنَّ للجِوَادَ عَثَرَات ؛ وما أَكْثَرَ من يَسْكُرُ فيقول في سُكْرِه ما لا يَعْرِف ، وما أَكْثَرَ من يَفْرُقُ^(٢) في النوم فيَهْدِي بما لا يدري ، ومن الذي حَقَّقَ عنده أَنَّ الفَلَكَ المستقيم هذا نَعْتُهُ ، والفَلَكَ المائلُ تلك صِفَتُهُ ؛ هذا توهم وتلفيق ، لا يَرْجِعُ مُدَّعِيَهُ إلى تحقيق ، وقَوْلُ أبي الحسن هذا عن الحكيم تقليدٌ ، كما أَنَّ دَعْوَى ذاك الحكيم توهم ، وَتَحْبَةُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على قبول الباطل ، وَبُغْضُ الرُّجَالِ للرُّجَالِ فتنةٌ حَامِلَةٌ على رَدِّ الحق ؛ وهذا أمرٌ قد طَالَ منه الضَّجيج ، وفُزِعَ إلى الله منه بالتَضَرُّع .

قال أبو الحسن : الموجود له حقيقةٌ واحدةٌ لا تُدْرِكُ إِلَّا عَقْلاً ، وليس له مَبْدَأٌ ، ولو كان له مَبْدَأٌ لَشَارَكَهُ المَبْدَأُ في طبيعة الوجود ، وليس بِمُتَحَرِّكٍ لَّأنَّهُ لا مُقَابِلَ لَهُ فيَتَحَرَّكُ إِلَيْهِ .

وقال أبو النضر نفيس : عَنَى بهذا الموجود الحقَّ الأوَّلَ الَّذِي هو عِلَّةُ الْعِلَلِ ، وهو الباريُّ الإلهُ ، وما أَنْصَفَ ، لَّأنَّهُ يجبُ أَنْ يَقْسِمَ الموجودَ بِأَقْسَامِهِ ، وَيَصِفَ مرتبةَ كُلِّ موجودٍ على ما هِيَ عليه وعلى ما هُوَ به حتى يَنْتَهِيَ [مِنْ] هذا الموجود^(٣) الأَعْلَى إلى آخر الموجودِ الأَسْفَلَ ، أو يَصِفَ الموجودَ الأَسْفَلَ حتى يَرْتَقِيَ إلى هذا الموجودِ الأَعْلَى ، فَإِنَّهُ لَأَشْيٌ مِمَّا يَعْقِلُ وَيُحِسُّ إِلَّا وَلَهُ مِنْ هَذَا الوجودِ نصيبٌ به أَسْتَحَقُّ أَنْ يَكُونَ موجوداً ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ النِّصِيبُ قَلِيلاً .

وقال : قد يوصف الشيء بأنه واحد بالمعنى وهو كثير بالأسماء ، ويوصف بأنه واحد بالاسم وهو كثير بالمعنى ، ويوصف بأنه واحد بالجنس وهو كثير بالأنواع ،

(١) كذا في ب والذى في (١) « وكما أن للحكيم » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « يعرف » ؛ وهو تصحيف .

(٣) عبارة (ب) : « حتى ينتهي من هذا الموجود إلى آخر الموجود الأعلى » ؛ وهي غير مستقيمة .

ويوصف بأنه واحد بالنوع وهو كثير بالشخص ، ويوصف بأنه واحد بالأصل وهو كثير بالأجزاء ، وقد نقول في شيء : إنه واحد بالموضوع وهو كثير بالحدود ، كالتفاحة الواحدة التي يوجد فيها اللون والطعم والرائحة ، وقد يكون واحداً في الحد وكثيراً في الموضوع ، كالبياض الذي يوجد في الثلج والقطن والإسفيداج ، وقد يكون كثيراً بالحد والموضوع كالعلم والحركة ، فإن موضوع هذا الجسم ، وموضوع ذلك النفس ، وحد أحدهما غير حد الآخر ، وقد يكون واحداً بالموضوع والحد بمنزلة السيف والضمصام ؛ وقد نقول أشياء تكون واحدة بالفعل ، وهي بالقوة كثيرة ، كالسراج الواحد ؛ فأما أن يكون واحداً بالقوة وكثيراً بالفعل من وجه واحد ، فلا يكون ، بل من جهات مختلفة .

قال أبو النضر نفيس : الواحد الذي ينقسم فتشأ منه الكثرة غير الواحد الذي لا ينقسم ، والكثير الذي يتوحد حتى يكون واحداً غير الكثير الذي لا يتوحد ، فالواحد الذي لا ينقسم علة الواحد المنقسم ، والكثير الذي يتوحد هو علة الكثير الذي [لا] يتوحد ، وبالحكمة الإلهية ما كان هكذا حتى يكون الكثير الذي يتوحد في مقابلة الكثير الذي لا يتوحد ، والواحد الذي ينقسم في مقابلة الواحد الذي لا ينقسم ، وهذه المقابلة هي عبارة عن صورة التمام الحاصل لكل ، وليست هي عبارة عن صورة مزاجية لصورة ، أو كثرة غالبية لكثرة ، المستغاث بالله من قصور العبارة عن الغاية ، وتقايس اللفظ عن المراد .

وقال (١) : يُعجبني من جملة الحكم الأمثال التي يضربونها ، والعيون (٢) التي يستخرجونها ، والمعاني التي يقربونها . قلت : صدقت ، مثل قول فيلسوف :

(١) وقال ، أي الوزير .

البدن للنفس بمنزلة الدُّكَّان للصانع ، والأعضاء بمنزلة الآلات ، فإذا أنكسرت
آلات الصانع وخُرب الدُّكَّان وانهدم ، فإن الصانع لا يَقْدِر على عمله الذي
كان يَعْمَلُهُ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَ دُكَّانًا آخَرَ ، وآلاتٍ جُددًا آخَرَ .

قال : أحب أن أسمع شيئاً من منشور كلامهم في فنون مختلفة .

قلتُ : قال فيلسوف : العاقل يَضِلُّ عَقْلُهُ عند محاورَةِ الأحمق . قال
أبوسليمان : هذا صحيح ، ومثاله ^(١) أَنَّ العاقل إذا خاطَبَ العاقلَ فَهِمَ وإن
أختلفت مرتبتهما في العقل ، فإنهما يَرْجِعَانِ إلى سِنخ ^(٢) العقل ، وليس كذلك
العاقل إذا خاطَبَ الأحمق ، فإنهما ضِدَّان ، والضدَّ يَهْرُبُ من الضدِّ ؛ وقد
قيل لأبي الهذيل العلاف — وكان مُتَكَلِّمَ زمانه — : إِنَّكَ لَتُنَاطِرُ النِّظَامِ
وَتَدُورُ بَيْنَ كَمَا نَوَاتٍ ، وأحسن ^(٣) أحوالنا إذا حَضَرْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ شَاكِينَ فِي
الْقَاطِعِ مِنْ كَمَا وَلِلنَّقِطِ ، ونراك مع هذا يُنَاطِرُكَ زَنْجَوِيَه الحِمَالُ فيَقَطِّعُكَ فِي سَاعَةٍ .
فقال : يا قوم إن النظام معي على جادة واحدة لا ينحرف أحدنا عنها إِلَّا
بَقَدْرِ مَا يَرَاهُ صَاحِبُهُ فَيُذَكِّرُهُ انْحِرَافَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى سَنَنِهِ فَأَمْرُنَا يَقْرُبُ ، وليس
هكذا زنجويهِ الحِمَالُ فَإِنَّهُ يَبْتَدِي بِمَعَى بَشَى ، ثُمَّ يَطْفِرُ إِلَى شَيْءٍ بِلَا وَاصِلَةٍ وَلَا
فَاصِلَةٍ ، وَأَبْقَى ، فَيُحَكِّمُ عَلَى بِالْأَقْطَاعِ ، وَذَاكَ لِعَجْزِي عَنْ رَدِّهِ إِلَى سَنَنِ
الطَّرِيقِ الَّذِي فَارَقْنِي آفَاقًا فِيهِ .

وقال فيلسوف آخر : العادات قاهرات ، فمن أعتاد شيئاً في السِّرِّ فضحه

فِي الْعَلَانِيَةِ .

(١) كان صواب العبارة أن يقول : « وذلك لأن العاقل » إلخ ، إذ لا ينبغي أن الكلام
الآتي تعليل لما سبق لا مثال .

(٢) سنخ العقل : أصله .

(٣) في كلتا النسختين « قال أحسن » إلخ وقوله « قال » زيادة من الناسخ .

قال أبو سليمان : وهذا صحيح ، لأن حقيقة العادة في ^(١) الشيء المهود عَوْدُهُ بعد عَوْدِهِ ، فهي — أعنى العادة — بالاستمرار الذي يقهر من اعتاده ، والخلوة حال ، والعلائية حال ، والعادة بمجردياتها تهنّج في الحالين ولا تقريّ ؛ ولهذا ما قيل : العادة هي الطبيعة الثانية ؛ كأن الطبيعة عادة ، ولكنها الأولى بالحيّة ^(٢) ؛ والعادة طبيعة ولكنها الأخرى بحسن الاختيار أو بسوء الاختيار .

وقال فيلسوف : ما أكثر من ظنّ أن الفقير هو الذي لا يملك شيئاً كثيراً وهذا فقير من جهة العَرَض ، فأما الفقير الطبيعي فالذي شهواته كثيرة وإن كان كثير المال ؛ كما أن الغني الطبيعي لا يحتاج إلى شيء وإن كان قليل المال ، أي الذي ملك نفسه وقمع شهواته وأحمد لهب إرادته ؛ وقد ظنّ قوم أن الذين منعوا من الشهوات ، ورَضُوا بالزهد في الذات ، خانوا الناس وحالوا بينهم وبين حظوظهم ، وحرّموا ما هو لهم ، وصدّوهم عن محبوباتهم ؛ وهذا ظنّ خطأ ، وأى مُراد في هذا للواعظين والمزهدين ، والذين وصّوا وأشفقوا ، وردّعوا عن الخَوْض في لذات النفوس الغضبيّة والبهيميّة ؟ والله ما كان ذلك منهم إلا على طريق النصيحة والشفقة والإعذار والإنذار ، إلا أن يكون الذين ظنّوا هذا إنما ظنّوه لأنهم رأوا بعض المزهدين راغباً ، وبعض الناصحين غاشاً ، وبعض الآمرين مخالفاً ، وليس العمل على المحتال ، وعلى من آثر الغش في المقال ؛ ولكن المرجع إلى ما يدلّ عليه الحق ، ويشهد له العقل ، ويصحّ فيه البرهان ؛ أتريّ الفيلسوف غشّ في قوله لأصحابه : إقنعوا بالقوت ، وأنفّوا عن أنفسكم الحاجة ، ليكون لكم قربة إلى الله ، لأن الله غير محتاج ، فكلمّا احتجّتم أكثر كنتم

(١) في كلتا النسختين : « عن الشيء » .

(٢) في كلتا النسختين : « بالجملة » ؛ وهو تحريف .

منه أبعد ، وأهملوا من الشر والأيام ، وأطلبوا من الخير أعظمه ، وأبقاه وأدومه ؛ وأعرفوا الأبد ، وأطلبوا السرمدة ، فإن من طلب الأبد ثم وجد بقي على الأبد ، ومن طلب الأمد ثم وجد فنى على الأمد .

الحاجة ذل ، والغنى عز ، والعز ضد الذل ؛ فمن طلب العز في العاجلة فقد طلب الذل وهو لا يدري ، ومن طلب العز في الآجلة فقد وجد العز وهو يدري .

في الحكمة ^(١) أن يقال : اصبر على الذل لتتال العز ، وليس في الحكمة أثبت على العز لتتال الذل ، هذا معكوس .

الليلة الثالثة والعشرون

(١) وكان الوزير رَسَمَ بكتابة لُعم من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقرئت ذلك في هذه الورقات ، وهي :

قال صلى الله عليه وسلم : « أشد الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساة الأخ من مالك ، وشكر الله تعالى على كل حال » .

وقال الوايدي : لما غلط خالد بن الوليد عبد الرحمن بن عوف قال النبي صلى الله عليه وسلم — يا خالد : ذروا لي أصحابي ، لو كان لك أخذ ذهباً تنفقه فرائط في سبيل الله لم تدرك غدوة أوروحة من عبد الرحمن .

وقال عليه السلام : « إن أحدم إذا قام إلى الصلاة تبشيش ^(٢) الله إليه ، وإن آخرها أعرض عنه » .

(١) عبارة (ب) : « ويان الجملة أن يقال » .

(٢) التبشيش من افقه تعالى : الرضا والإكرام .

وقال عليه السلام : « إنما فذك^(١) طُعْمَةٌ أَطْعَمْنِيهَا اللَّهُ حَيَاتِي ، ثُمَّ هِيَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقال عليه السلام : « الْمُقَوِّمُ قَدْ يَأْتِمُّ وَلَا يَغْرُمُ » .

وقال عليه السلام في دعائه : « اللَّهُمَّ أَتَجَمَّعْ عَلَى الْهُدَى أَمْرُنَا ، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا كَقُلُوبِ خِيَارِنَا ، وَأَهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَاصْرِفْ عَنَّا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَمَعَاشِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

وقيل له صلى الله عليه وسلم : إِنَّ فُلَانًا أُسْتُشْهِدَ ، فَقَالَ : « كَلَّا ، إِنْ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ حُنَيْنٍ اشْتَغَلَتْ عَلَيْهِ نَارًا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ صُبْرِ^(٢) بَابٍ فَقُقِشَتْ عَيْنُهُ فَهِيَ هَدَرٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يذبحُ شاةً : « أَرْهِفْ شَفْرَتَكَ ، فَإِذَا قَرَيْتَ فَأَرِخْ^(٣) ذَبِيحَتَكَ ، وَدَعَهَا تَحْبُ وتَشْخُبُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لِلدَّمِ وَأَحْلَى لِلْحَمِّ » .

وقال عليه السلام : « خَيْرُ النَّاسِ الْغَنِيُّ الْخَفِيُّ التَّقِيُّ » .

وقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ إِنْ مَاتَ فِي سَفَرِهِ كَانَ شَهِيدًا ، أَوْ فِي حَضَرِهِ كَانَ صَدِيقًا » .

(١) فذك : بلدة بخير .

(٢) صبر الباب وغيره بكسر العباد وضمة : ناحيته وحرفه ؛ والذي في كلتا النسختين « صبير » ولم نجد له معنى يناسب السياق .

(٣) في كلتا النسختين « فأرخ » ؛ وهو تحريف ؛ وما أثبتناه عن كتب الحديث .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ظهر المؤمن مشجبته ، وبطنه خزانته ، ورجله مطيئته ، وذخيرته ربه » .

وقال [صلى الله عليه وسلم] : « ما نقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عز وجل عزاً وعفواً ، فاعفوا ؛ ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ، فاستعفوا .
وقال عليه السلام : « أجود الأعمال الجود في العسر ، والقصد في العصب ، والعفو عند المقدرة » .

وقال عليه السلام : « إن بين مضراعى باب الجنة مسيرة مائة عام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » .

وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول قوم من بني عامر يستأذنه في المرعى حول المدينة ؛ فقال عليه السلام : إنها ديار لا تضيق عن جارنا ، وإن جارنا لا يُظلم في ديارنا ، وقد ألجأتكم الآزمة^(١) ، فنحن نأذن لكم في المرعى ونُشرِككم في المأوى ، على أن مَرَحَنَا^(٢) كَسَرَحِكُمْ ، وعانينا كعانيكم^(٣) ، ولا تُعينوا علينا بعد اليوم ؛ فقال : لانعين عدوا ما أقفنا في جوارك ، فإذا رَحَلْنَا فإنما هي العرب تطلب أثارها ، وتشفي ذحولها ؛ فقال عليه السلام : يا بني عامر ، أما علمتم أن اللؤم كل اللؤم أن تنحاشوا عند الفاقة ، وتثبوا عند العزة ، فقال : وأبيك إن ذلك اللؤم ، ولن نبغيك غائلة بعد اليوم ، فقال : اللهم أشهد ، وأذن لهم .
وسئل صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيه الوحي ؟ فقال : « في مثل صلصلة الجرس ، ثم ينفصم » .

(١) الآزمة : الشدة . (٢) السرح : المال السائم .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين .

وقد روى ابن الكلبي عن أبيه عن ابن صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال علي — عليه السلام — للمقداد : أعطني فرسك أركبه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت تقاتل راجلاً خير منك فارساً . قال : فركه ووتر قوسه ورعى فأصاب أذن الفرس فصدمه ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسك على فيه ، فلما رأى علي ضحكك غضب فسل سيفه ، ثم شد على المشركين ، فقتل ثمانية قبل أن يرجع ، فقال علي — صلوات الله عليه — لو أصابني شرٌّ من هذا كنت أهله حين يقول : «أنت تقاتل راجلاً خير منك فارساً» ، فعصيته .

وقال صلى الله عليه وسلم : «إن أماً عرفت الله وعبدته وطلب رضاه وخالف هواه لحقيق بأن يفوز بالرحمة» .

لما ورد محمد بن مسلمة على عمرو بن العاص من جهة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صنع عمرو له طعاماً ودعاه إليه ، فأبى محمد ، فقال عمرو : أتحرم طعامي ؟ قال : لا ، ولكني لم أؤمر به . فقال عمرو : لعن الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب ، لقد رأيته وأباه وإني شملة ما توارى أرتاغهما ، وإن العاصي بن وائل لفي مقطعات الديباج مززرة^(١) بالذهب . فقال محمد : أما أبوك وأبو عمر فني النار ، وأما أنت فلولاً ما وليت لعمر لأفئيتك معتقلاً^(٢) عنأ يسرك غزوها^(٣) ويسوءك بكوها^(٤) ، فقال عمرو : المجالس^(٥) أمانة ، فقال محمد : أما ما دام عمر حياً فنعم .

(١) في بعض الروايات «مزورة» بالواو قبل الراء ، أي مزينة .

(٢) في المقد الفريد «مقتعداً» .

(٣) كذا في المقد الفريد ج ١ يريد غزارة لبنها . والذي في الأصل «غروها» ، وهو تحريف .

(٤) البكاء : قلة اللبن .

(٥) عبارة المقد الفريد «هي عندك بأمانة الله» .

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على فاطمة — عليها السلام — يعودها من
هَلَّةٍ ، فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبْكِيكِ ؟ فقالت : قِلَّةُ
الْعِلْمِ ، وَشِدَّةُ الشَّغْمِ ، وَكَثْرَةُ الْهَمِّ .

قال عبد الله بن مسعود : شرُّ الأمور محدثاتها ، وَشَرُّ الْفِتَنِ غِنَى الْإِثْمِ ،
وَخَيْرُ الْفِتَنِ غِنَى النَّفْسِ ، وَالْحَرُّ جَمَاعُ الْإِثْمِ ، وَالدُّنْيَا حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبَابُ
شُكْبَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ .

قيل له : أقول هذا من تلقائك ؟ قال : لا ، بل مِنْ تِلْقَاءِ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ
عَلَيْ طَاعَتِهِ .

وقال أبو ذَرٍّ [رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ] : قال [لِي] رسول الله — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — يَا أَبَا ذَرٍّ : إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لَا تَأْمُرَنَّ
عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلَا تَوَلِّ مَالَ يَتِيمٍ .

وقال أبو هُرَيْرَةَ : عن النبي — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — ستحرون على
الإمارة ، وستكون حَسْرَةً وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَتَنْتَعِمُ الْمَرْضُوعَةُ ، وَتُبْسِتِ الْفَاطِمَةُ .
أبو أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : مَا مِنْ رَجُلٍ بَلَغَ أَمْرَ عَشْرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مَغْلُولًا أَطْلَقَهُ الْعَدْلُ ، أَوْ أَوْثَقَهُ الْجَوْرُ .

قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أَمَرَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَصِيبُ (١) .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : إِنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَالَ لَهُ :

(١) كذا وردت هذه العبارة في كلتا النسختين ؛ ولا معنى لقوله هنا « فأصيب » كما أن في
العبارة ناعبا سقط من النسخ ؛ وقد رواها صاحب العقد الفريد كاملة في الجزء الأول ص ٢٤
طبع لجنة التأليف ، فذكر أن العباس رضى الله عنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولاية ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمْرُو ، نَفْسٌ تَحِيها خَيْرٌ مِنْ وِلَايَةٍ لَا تَحْصِيها .

أَمْرَضَنِي أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى أَجَلٍ ، فَقَالَ : مَنْ الْكَفِيلُ بِكَ ؟ فَقَالَ : اللَّهُ . فَأَعْطَاهُ الْأَلْفَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْأَجَلَ أَرَادَ الرَّدَّ ، فَحَبَسَتْهُ الرِّيحُ ، فَعَمِلَ تَابُوتًا وَجَعَلَ فِيهِ الْأَلْفَ وَغَلَّغَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ أَدِّ حِمَالَتَكَ ؛ فَخَرَجَ النَّجَاشِيُّ إِلَى الْبَحْرِ فَرَأَى سَوَادًا ؛ فَقَالَ : ائْتُونِي بِهِ . فَأَتَوْهُ بِالتَّابُوتِ ، فَفَتَحَهُ ، فَإِذَا فِيهِ الْأَلْفُ ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ جَمَعَ أَلْفًا بَعْدَ ذَلِكَ ، وَطَابَتِ الرِّيحُ ، وَجَاءَ إِلَى النَّجَاشِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : لَا أَقْبَلُهَا مِنْكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ فِيهَا . فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي صَنَعَ ؛ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ : قَدْ أَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْأَلْفُ فِي التَّابُوتِ ، فَأَمْسِكَ عَلَيْكَ أَلْفَكَ^(١) .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا مَعَ آخَرٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أَبِي . قَالَ : فَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ ، وَلَا تَجْلِسَ قَبْلَهُ ، وَلَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَسْتَسِيبَ^(٢) لَهُ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَأَتَتْ أُمُّهُ فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، أَنَا أُمُّكَ ، كَلِّمْنِي ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ؛ فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ أَتَتْهُ ثَانِيَةً فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، كَلِّمْنِي ، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَخْتَارَ صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْهُ فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا ابْنِي قَدْ عَفَّنِي فَلَمْ يَكَلِّمْنِي فَلَا تُمِيتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمَوْسِمَاتِ ، وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لُفِتَنَ ؛ قَالَ : وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ ، فَخَرَجَتْ أَمْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي ، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا : تَمْنِ هَذَا ؟ فَقَالَتْ : مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِقُفُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ

(١) يلاحظ أن هذه القصة لا تدخل في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عنون به المؤلف هذا الباب وكذلك بعض القصص الآتية بعد .

(٢) أى لا تعرضه للسب بأن تسب أحداً بأية فيسب الآخر أباك .

فَبَسَرُوا بِهِ ، فَصَادَفُوهُ يَصِلُ ، فَلَمْ يَكَلِّهِمْ ، فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دِيرَهُ ، فَزَلَّ وَتَبَسَّمَ
وَمَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ وَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ : أَبِي رَاعِي الضَّانِّ . فَلَمَّا سَمِعَ
الْقَوْمُ ذَلِكَ رَاعَهُمْ ، وَعَجِبُوا ، وَقَالُوا : نَحْنُ نَبْنِي لَكَ مَا هَدَمْنَا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .
قَالَ : لَا ، أَعِيدُوهَا كَمَا كَانَتْ تُرَابًا ؛ ثُمَّ عَادَ .

وقال أبو الدرداء : لَا يُحَافِظُ عَلَى سُبْحَةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ .

وقال أيضاً : لَيْسَ عَلَى سَارِقِ الْحِمَامِ قَطْعٌ .

وقال : إِذَا اخْتَرْتُمْ أَرْضًا فَلَا تَخْتَارُوا أَرْمِينِيَّةً ، فَإِنَّ فِيهَا قِطْعَةً مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ ، يَعْنِي الْهَرْدُ .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : وَيْلٌ لِلْعُرَفَاءِ ، وَيْلٌ لِلْأَمْنَاءِ ، لَيَتَمَتَّعَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَلِّقِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَتَذَبَذَبُونَ مِنَ الثَّرَيَّا ، وَأَنَّهُمْ
لَمْ يَلَوْا عَمَلًا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة : « لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ ،
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْئَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا ، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ
أُعِنْتَ عَلَيْهَا » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالْأَمِيرُ
رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَ ؛ وَالرَّأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِهَا
وَمَا وَلَيْتُ مِنْ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ أَقَامَتْ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ ضَيَّعَتْ ؛ وَالْخَادِمُ
مَسْئُولٌ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ فِيهِ أَمْ ضَيَّعَ » . هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ عُثْبَةَ عَنْ
نَافِعٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ .

قال عياض الأشعري : قَدِمَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمرَ وَمَعَهُ كَاتِبٌ لَهُ ، فَرَفَعَ

حِسَابَهُ ، فَأَعْجَبَ عَمْرُ . وجاء إلى عمر كتاباً ، فقال لأبي موسى : أين كتابك يقرأ هذا الكتاب على الناس ؟ قال : إنه لا يَدْخُلُ المسجد . قال : لم ؟ أَجُنُبٌ هو ؟ قال : إنه نصراني . قال : فَاتَّهَرَهُ ، وقال : لا تُدْنِيهِمْ وقد أَقْصَاهُمُ اللهُ ، ولا تُكْرِمْهُمْ وقد أَهَانَهُمُ اللهُ ، ولا تَأْتَمَنَّهُمْ وقد خَوَّنَهُمُ اللهُ .

قال عبدُ اللهِ بنُ نافع : جاء رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَخْتَصِمَانِ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دَرَسَتْ لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ ، فقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّكُمْ لَتَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَإِنَّمَا [أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا] أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى مَحْوٍ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ ، يَأْتِي بِهَا إِسْطِطَامًا^(١) فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قال : فَبَكَى الرَّجُلَانِ ، وقال كلُّ واحدٍ منهما : حَقِّي لِأَخِي ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : أَمَّا إِذْ قُلْتُمَا هَذَا فَأَذْهَبَا فَاسْتَمِهَا ، وَتَوَخَّيَا الْحَقَّ ، وَلْيَحْلُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ . وفي رواية أخرى : اذْهَبَا فَاصْطَلِحَا .

وَرَوَى أَنَّ عَبَّاسَ ابْنَ رَسُولِ اللهِ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، فَكَتَبَ النَّجَاشِيُّ : إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ بْنُ أَبَجَرٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهِ مِنَ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِهِ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الْكَافِرُ خَبٌّ^(٢) ضَبٌّ^(٢) ، وَالْمُؤْمِنُ دَعِيبٌ لَعِيبٌ» . وقال رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : اْعْدِلْ فَإِنَّكَ إِلَى الْآنَ

(١) الإسطام : مسمار النار ، وهي الحديدية التي تسعر بها .

(٢) الحب : الخداع . والضب : الحقد ؛ يريد ذا حقد ؛ ووصفه بالمصدر .

لم تعدل . قال : وَنَيْلِكَ ! إِذَا لَمْ أَعْدِلْ أَنَا فَمَنْ يَتَعَدَّلُ ؟ .
 وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْوَاجِدَ ^(١) يُبَيِّحُ ظَهْرَهُ وَعِرْضَهُ » .
 وقال عُمَرُ : رَدَّدِ الْخُصُومَ كَيْ يَضْطَلِّحُوا .
 وقال عليه السلام : لَا تَخْلِفُوا بِأَيْمَانِكُمْ ، وَمَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ ، وَمَنْ
 حَلَفَ لَهُ فَلْيَقْبَلْ .
 وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا كَاذِبَةً يَتَقَطِّعُ بِهَا مَالَ أَمْرِي مُسْلِمٍ لِقَى اللَّهَ
 وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان .
 وقال : مَنْ حَلَفَ يَمِينًا فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ،
 وَلْيُكْفَرْ عَنْ يَمِينِهِ .
 وقال — عليه السلام — لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي سَحَرٍ .
 حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ الْقَاضِي هُثَيْبُ بْنُ عُيَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعِزْزِ بْنِ
 قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْمِنْقَرِيُّ قَالَ : كَانَ شَرِيكُ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى عَلَى وَكِيلٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ بِقَضَاءِ
 لَمْ يُوَافِقْ عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَمَّا شَرِيكًا بِبَغْدَادَ ، فَقَالَ لَهُ : قَضَيْتَ عَلَى وَكِيلِي قَضَاءً
 لَا يُوَافِقُ الْحَقَّ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا تَفْكِرُ . قَالَ : قَدْ نَكِرْتُكَ أَشَدَّ
 التَّكْيِيرِ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ . قَالَ : فَلَا كِبِيرَ وَلَا طَيْبَ . قَالَ : كَيْفَ
 لَا تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ تَشْتُمُ الشَّيْخَيْنِ . قَالَ : مِنَ الشَّيْخَانِ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ .
 قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَشْتُمُ [أَبَاكَ] وَهُوَ دُونَهُمَا ، فَكَيْفَ أَشْتُمُهُمَا وَهِيَ فَوْقُ وَأَنَا دُونَهُمَا ؟ .

(١) الواجد : ذو الوجد ، وهو الغضب . يريد أن الغضب ينسبه حفظ ما يجب
 عليه حفظه .

وقال عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُؤْتَى الدُّنْيَا وَيُوسَّعَ لَهُ فِيهَا وَهُوَ اللَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقَطَّعَ دَائِرَةُ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَاسُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ ، مَعْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَدْعٍ هَلَكْتَهُ ، مَاخُذٌ مِنَ الدَّارِجِ ، وَهُوَ الْهَالِكُ ، يُقَالُ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ ، وَيُرَادُ بِدَرَجَ : هَلَكَ ؛ وَبَدَبَ : مَشَى .

وقال سعيد بن عامر بن حُزَيْمٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَمْنَاءٌ عَلَى خَلْقِهِ يَضُنُّ بِهِمْ عَلَى الْقَتْلِ يُعِيشُهُمْ فِي عَافِيَةٍ ، وَيُمِيتُهُمْ فِي عَافِيَةٍ » .

قال نَاشِرَةُ بْنُ سُمَيٍّ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ الْجَلَايَةِ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَأَمَرْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَعْتَ عَامِلًا أَسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْمَدْتَ سَيْفًا سَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَضَعْتَ لِوَاءَ شَدَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَشَابٌّ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَهَذَا الْقَائِلُ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَفْصٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ عَمٍّ خَالِدٍ .

قال قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الطَّرْقِ ^(١) وَالْعِيَانَةِ وَالْخَطِّ .

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ : صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ » .

قَبِيصَةُ بْنُ الْمُخَارِقِ وَزُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) يريد بالطرق طرق الحمى وبالخط الخط في الرمل لاستطلاع النيب كما هو معروف .

الأقرين) ، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رَضْمَةٍ^(١) من جَبَلٍ فعَلَا
أَعْلَاهَا جَبْرًا ، وقال : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، يَا بَنِي فِهْرٍ ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ
رَجُلٍ رَأَى الْقَدُوءَ فَانْطَلَقَ يُرِيدُ أَهْلَهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ
يَهْتَفُ وَاصْبَاحًا .

النُّهْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَقَبِيصَةُ قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — :
« إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ إِذَا تَجَلَّى
لشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعٌ » .

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا ، وَلَمْ يُسَمِّ لها صَدَاقًا ،
فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لها صَدَاقُ إِحْدَى نِسَائِهِ ، لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ ، وَعَلَيْهَا
الْعِدَّةُ ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ . فَقَامَ أَبُو سِنَانٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، فَقَالُوا : لَقَدْ قَضَى فِيهَا
بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَرُوعَ بِنْتِ وَاشِقِ الْأَشْجَعِيَّةِ .

عُقْبَةُ السُّلَمِيُّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِذَا
تَبَايَعَتِ الْمَغَازِي وَكَثُرَتِ الْفَرَائِمُ وَأُسْتُؤْتِرَ بِالْفَنَائِمِ نَفِيرُ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ » .

حِبَّانُ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ
حُنَيْنٍ فَأَحَلَّ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ [كَانَ نَهَاهُمْ عَنْهَا ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ] كَانَ
النَّاسُ يَحْلُلُونَهَا ، [أَحَلَّ لَهُمْ^(٢)] أَكَلَ الْحَوْمِ الْأَضَاحِي ، وَزِيَارَةَ الْقُبُورِ
وَالْأَوْعِيَةِ^(٣) ، وَنَهَاهُمْ عَنْ بَيْعِ الْمَغَنَمِ حَتَّى يُقْسَمَ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ النِّسَاءِ مِنَ السَّبَايَا

(١) الرضمة : الصخرة العظيمة .

(٢) لم ترد هذه العبارة في الأصول .

(٣) في الأصول : « والأدعية » ؛ وهو تحريف . ويريد بالأوعية أسقية النبيذ ، وذلك
أخذًا من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ،
ونهيكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيكم عن النبيذ إلا في سقاء
فاضربوا في الأسقية كلها ، ولا تهربوا مسكرا » رواه مسلم .

أَلَا يُوطَأَنَّ حَتَّى يَضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَنَهَاهُمْ أَلَّا تَبَاعَ ثَمَرَةٌ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا ، وَيُؤْمَنَ عَلَيْهَا مِنَ الْعَاهَةِ .

وَهَبُ بْنُ حَذِيفَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الرَّجُلُ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ .
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : لَعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ .
قَالَ مَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ الْغَافِقِيُّ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ : لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ مَا يُقَدَّرُ يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ .

خَالِدُ بْنُ عَدِيٍّ الْجَهَنِّيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ .

رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ — أَخُو جُنْدَبِ بْنِ مَكِيثٍ — شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « حُسْنُ الْمَلَكََةِ ^(١) نَمَاءٌ ، وَسُوءُ الْخَلْقِ شَوْمٌ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ مِثْقَةَ السُّوءِ ، وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ .
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ زِينَةٍ كَيَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ .

خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ ^(٢) — وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
قَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى يَوْمًا إِلَى جِدَارٍ كَثِيرِ الْحِجَرَةِ إِنَّمَا ظَهَرَ أَوْ عَصَرَ ، فَلَمَّا صَلَّى خَرَجْتُ إِلَيْهِ عَقْرَبٌ فَلَدَغَتْهُ ؛ فَغَشِيَ عَلَيْهِ ، فَرَقَاهُ النَّاسُ فَأُفَاقَ ، فَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ شَفَانِي وَلَيْسَ بِرُفَيْتِكُمْ » .
قَالَ الْوَزِيرُ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْمَجْلِسَ .

(١) حسن المَلَكََةِ ، أى حسن صحبة المرء أن يملكهم من ممالئكه ومواليه .

(٢) فى الأصل « ابن الأزرق » وهو تحريف .

الليلة الرابعة والعشرون

(١)

وجرى حديث القيل ليلةً فأكثر من حضر وصفه بما لم يكن فيه فائدة
تُعاد ، ولا غريبة تُستفاد ؛ فحكيت : إن العلماء بطبائع الحيوان ذكروا أن
القيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية ، وتحت مدار بُرج الحمل ؛
والزرافة لا تكون إلا في بلاد الحبشة ، والسُّنُورُ وغزال السنك لا يكونان إلا
في الصحاري الشرقية الشمالية ؛ وأما الصُّقُور والنُّسُور والبُزاة وما شاكلها من الطير
[فإنها] لا تُفْرِخُ إلا في رموس الجبال الشاخنة [والمقَاب ^(١)] . والنعام لا تُفْرِخُ
إلا في البراري والقنار والقنوات . والوطواط والطيطوى ^(٢) وأمثالهما من الطير
لا تُفْرِخُ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام ؛ والمصافير
والقواخيت وما شاكلها من الطير لا تُفْرِخُ إلا بين الأشجار والدَّحَال ^(٣)
والقُرى والبساتين .

وحدث ابن الأعرابي عن هشام بن سالم — وكان مُسِينًا من رَهْطِ ذِي
الرُّمَةِ — قال : أَكَلْتُ حَيَّةً بَيْضَ مَكَّاءَ ^(٤) فجعل المَكَّاءُ يُشْرِشِرُ ^(٥) على

(١) في ب التي قلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والعطاف » . ولعل سوابه
ما أمبئنا ، إذ لم نجد العطاف فيها راجعاً من كتب الحيوان . وفي « كتاب حياة الحيوان » أن
من أنواع المقاب ما يأوى إلى الصحاري .

(٢) الطيطوى : طائر لا يفارق الآجام وكثرة المياه ، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئاً
من النبات ولا من اللحوم ، وإنما قوته مما يتولد في شاطئ النياض والآجام من دود التين .
والقدي في (ب) : « والوطوطى » ؛ والوطوطى هي البغاة ، وهو غير مراد هنا .

(٣) الدحال : جمع دحل ، وهو ثقب ضيق القم متسع الأسفل حتى يعصى فيه ؛ وربما
ثبت فيه السم .

(٤) المكاء : طائر أبيض يصفر ويصيح في الرياض .

(٥) يشرشر ، أى يرفرف ، كما ذكره السمعاني في حياة الحيوان في الكلام على المكاء .

رأسها ويذنون منها ، حتى إذا فتحت فها تريده وممت به ألقى في فيها حَسَكَةً ؛
فأخذت بحلقها حتى ماتت .

وأنشد أبو عمرو الشَّيبَانِيُّ قولَ الأَسَدِيِّ :

إِنْ كُنْتَ أَبْصَرْتَ قُلًّا^(١) وَمُضْطَلًّا فَرَبَّمَا قَتَلَ الْمَكَّاهُ ثُعْبَانًا

فقال — حرسَ الله نفسه — من أين للحيوان غير الإنسان هذه القطنة
[وهذه الفضيلة] وهذه الجرأة وهذه الحيلة ؟ قُلتُ : شيخنا أبو سليمان يقول
في هذه الأيام — وقد جرى حديثُ الحيوان وعجائب أفاعيله — إن الإحساسات
التي للحيوان على أصنافه لها غرضٌ عظيم ، وبذلك الغرض لها تفاوتٌ [عظيم]
ظاهرٌ وخافٍ ، وأفعالٌ معهودة ونادرة ، ولها أخلاقٌ معروفة ، ومعارفٌ موصوفة ؛
ولولا ذلك ما كان يقال : أصولٌ من جمل ، وأغدرٌ من ذئب ، وأروغٌ من
ثعلب ، وأجبنٌ من صقر ، وأجمعٌ من ذرة^(٢) ، وآلفٌ من كلب ، وأهدى من قطاة ،
وأحذرٌ^(٣) من عقق ، وأزهى من غراب ، وأظلم^(٤) من حية . وأشدُّ عداوةً من
عقرب . وأخبثٌ من قرد ، وأحقُّ من حبارى ، وأكذبٌ من فاختة^(٥) ،

(١) في (١) : « مذ أو مضت ظلمًا » ، وهو تحريف . وفي (ب) : « قدا » ، وهو
تحريف أيضًا ، إذ لم نجد من معاني القد ما يناسب السياق . والقل من الناس : بضم القاف
الفرد الذي لا أحده . والمضطلم : من الاضطلام ، وهو الاستئصال . فلعله يريد الذي استؤصلت
أهله ونصرأؤه وبقي فردًا . (٢) الذر : التل الأجر الصغير .

(٣) الذي وجدناه في كتاب حياة الحيوان في الأمثال التي قيلت في العقق : ألس من
عقق ، وأحق من عقق ؛ ولم نجد أنه قيل : أحذر من عقق كما هنا ؛ فلعل قوله
« أحذر » بحرف عن أحق . والعقق : طائر على قدر الحمامة ، وهو على شكل الغراب ،
وجناحه أكبر من جناحي الحمامة ، وهو طويل الذنب .

(٤) يقال ذلك للحية لأنها تأتى الجحر الذي لم تحفره بل حفره غيرها فتسكنه .

(٥) الفاختة : من الحمام ذوات الأظواء ، وتوصف بحسن الصوت ، ويصفونها بالكذب
لأنهم يزعمون أنها تقول في صباحها : « هذا أوان الرطب » (بضم الراء) والنخل لم يطلع بعد . قال الشاعر :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يد لها : هنا أوان الرطب

وَالْأُمُّ مِنْ كَلْبٍ عَلَى جِيفَةٍ ، وَأَعْقٌ^(١) مِنْ ضَبٍّ ، وَأَبْرٌ^(٢) مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرٌ مِنْ ظَلِيمٍ^(٣) ، وَأَجْرَأُ مِنْ لَيْثٍ ، وَأَحَقْدُ مِنْ فِيلٍ ؛ وَعَلَى هَذَا .

قال : وكما أنَّ بين آحاد نوع الإنسان تفاوتاً في الأخلاق ، كذلك بين آحاد نوع الحيوان تفاوتٌ ، وكما أنه يزل بعضُ العقلاء فيركب ما لا يُظنُّ بمثله لعقله ، كذلك يزلُّ وَيَغْطُطُ بعضُ الحمقى فيأتى بما لا يُحَسَّبُ أنَّ مثله يَهْتَدِي إليه ، فليس العقلُ بِمُحَاطِرٍ عَلَى صاحبه أَنْ يَنْدَرَّ مِنْهُ ما يكون من الحيوان ، وأصنافُ الحيوان من الناسِ وغيرِ الناسِ تتقاسمُ هذه الأخلاقَ بِضُرُوبِ المزاجِ المختلفةِ في الأزمانِ المتباعدة ، والأماكنِ المتنازحة ، تقاسمها محفوظَ النَّسَبِ بالطبيعة المستولية ، وإن كان ذلك التقاسمُ بِمَجْهُولِ النَّسَبِ للغموضِ الذى يَغْلِبُ عليه ، وإذا عُرِفَ هذا الشرح وما أشبهه تما يزيده وضوحاً ، زال التعجُّبُ الناشئُ من جهلِ العِلَّةِ وخفاءِ الأمرِ .

قال : ومن العَجَبِ أَنَا إِذَا قلنا : أروغ من ثعلب ، وأجبنُ من صقر ، وأَحَقْدُ من فيل ، أن هذا الرُّوْغُ وهذا الجُبْنُ وهذا الحِقْدُ في هذه الأصنافِ ليست لتكون^(٤) عُدَّةً لها مع نوع الإنسان ، ولكن لتتعاطى أيضاً بينها ، وتستعملها عند الحاجة إليها ؛ وكما يشبَّه إنسانٌ لآته^(٥) لَصًىً بالفأرة ، أو بالفيْلِ لآته حَقُودٌ ، أو بِالْجَمَلِ لآته صَوُولٌ ، كذلك يُشَبَّه كلُّ صَرَبٍ من الحيوانِ فى فعله وخلقه وما يَظْهَرُ من سِنِّهِ بِأنه إنسان .

(١) يقال : أعقَّ من ضب ، لما يقال من أن أشاء تأكل أولادها .

(٢) يقال هذا المثل لأنهم يزعمون أن المرة تأكل أولادها لمدة حبها لإمام .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) فى كلنا النسختين ليست تكون والسياق يقتضى زيادة اللام كما أثبتنا .

(٥) فى الأصول د بأنه ؛ وهو تحريف .

ويقال للبليد من الناس : كأنه حمار ؛ ويقال للذكي من الخيل : كأنه إنسان ؛ ولولا هذا التمازج في الأصل والجوهر ، والسِّنخ والعُنْصُر ، ما كان هذا التشابه في الفرع الظاهر ، والعادة الجارية بالخبر والنظر .

فقال^(١) : هذا كلام لا مزيده عليه .

وقالت العلماء : إن هذا الاعتبار واصل في الحقيقة إلى جنس النبات ، فإن (٢) النخل والموز لا ينبتان إلا في البلدان الدفئة والأرض اللينة التربة ، والجوز والفستق وأمثالهما لا ينبتان إلا في البلدان الباردة [والأرض] الجبليّة . والذئب وأمّ غيلان في الصحارى والتفار ؛ والقصب والصّصاف على شطوط الأنهار . قالوا : وهكذا أيضاً وصف الجواهر المعدنية ، كالذهب ، فإنه لا يكون إلا في الأرض الرملية والجبال والاحجار الرخوة . والفضة والنحاس والحديد لا تكون إلا في الأرض النديّة والتراب اللين والرطوبات الدهنية ، والأملاح لا تنعقد إلا في الأراضي [والبقاع] السبخة ، والجص والاسفيداج لا يكونان إلا في الأرض الرملية المختلطة ترابها بالحصى ، والزاج لا يكون إلا في التراب الغصص ؛ وقد أحصى بعض من عني بهذا الشأن هذه الأنواع المعدنية فوجدّها سبعة أنواع .

وقالوا : من الجواهر المعدنية ما هو صلب لا يذوب إلا بالنار الشديدة ، ولا يكسر إلا بالفأس كالياقوت والعقيق ؛ ومنها ترابي رخو لا يذوب ولكن ينفرّك ، كالمِلح والزاج ، والطلق^(٣) ؛ ومنها مائي رطب ينفرّك^(٤) من النار

(١) فقال ، أي الوزير .

(٢) الطلق : حجر براق يتشظى إذا دقّ يتخذ منه مضايء للحمامات بدلا من الزجاج ، ويحلّ بأن يجعل في خرقة مع حصوات ويدخل في الماء الفاتر ثم يحرك برفق حتى ينحل ويخرج من الخرقة في الماء ؛ ثم يصفى عنه الماء ، ويشمس ليجفّ .

(٣) في (١) يفر من النار .

كالزئبق، ومنها هوائية دُفَى تأكله النار، كالكبريت والزئبق؛ ومنها نباتية كالترجان، ومنها حيوانية كاللتر، ومنها طَلَّ مُنْعَقِد، كالعنبر والبادزهر، وذلك أن العنبر إنما هو طَلَّ يَقَعُ على سطح ماء البحر، ثم ينمقد في مواضع مخصوصة في زمانٍ مقدَّر؛ وكذلك البادزهر^(١)، فإنه طَلَّ يَقَعُ على بعض الأحجار، ثم يَرَسَخُ في خَلَلِهَا، وَيَغِيبُ فيها، وَيَنْعَقِدُ في بِقَاعٍ تَخْصُوصَةً، في زمانٍ معلوم، وكالترنجبين الذي هو طَلَّ يَقَعُ على صَرْبٍ من الشوك؛ وكذلك اللك فإنه يَقَعُ على نباتٍ مخصوصٍ يَنْعَقِدُ عليه؛ وكذلك اللتر فإنه طَلَّ يَرَسَخُ في أصداف نوعٍ من الحيوان البحري، ثم يَفْلُظُ ويَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ فيه؛ وكذلك الموميا، وهي طَلَّ يَرَسَخُ في صخورٍ هناك ويميرُ ماءً ثم يَبْرُءُ من مَسَامٍ ضَيِّقَةٍ وَيَجْمَدُ وَيَنْعَقِدُ^(٢).

والطَّلُّ هو رطوبة هوائية تجمد من بَرْدِ اللَّيْلِ، وتقع على النبات والشجر والحجر والصخر؛ وعلى هذا القياس جميع الجواهر المعدنية، فإن مادتها إنما هي رطوبات مائية، وأنداء وتُخَارَاتٌ تَنْعَقِدُ بطول الوقوع ومرَّ الزَّمانِ. وقالت الحكماء الأولون: ها هنا طبيعةٌ تألفُ طبيعةً أخرى، وطبيعةٌ تَلْزَقُ بطبيعةٍ أخرى، وطبيعةٌ تأنسُ بطبيعةٍ، وطبيعةٌ تَنْشَبُهْ بطبيعةٍ، وطبيعةٌ

(١) الذي وجدناه في مفردات ابن البيطار أن البادزهر حجر ينفع من السموم، ومنه الأسفر والأغبر والمنكت والمرب يخضرة وغير ذلك، ومعادنه يبلاد الصين والهند، ولم نجد أنه طَلَّ منمقد في بعض الأحجار كما ذكره المؤلف هنا.

(٢) ذكر ابن البيطار من أنواع الموميا هذا النوع الذي ذكره المؤلف، فذكر أن هذا الاسم يقال على حجارة تكون بصنماء البين سود، وفيها أدنى تجويف، وهي إلى الحقنة تكسر فيوجد في ذلك التجويف شيء سيال أسود، وتقل هذه الحجارة إذا كسرت في الزيت فتغذف جميع ما فيها من تلك الرطوبة السوداء السيالة، كما ذكر أنواعا أخرى من الموميا فانظرها ثم.

تَقَهَّرُ طَبِيعَةٌ ، وَطَبِيعَةٌ تُخْبِتُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تَطِيبُ مَعَ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُقْسِدُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُعْثَرُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُبَيِّضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تَهْرُبُ مِنْ طَبِيعَةٍ ، وَطَبِيعَةٌ تُبْفِضُ طَبِيعَةً ، وَطَبِيعَةٌ تُمَارِجُ طَبِيعَةً .

فَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَأْلَفُ طَبِيعَةً فَمِثْلُ الْمَاسِ فَإِنَّهُ إِذَا قَرُبَ مِنْ الذَّهَبِ لَزِقَ بِهِ وَأَمْسَكَهُ ، وَيَقَالُ : لَا يَوْجَدُ الْمَاسُ إِلَّا فِي مَعْدِنِ الذَّهَبِ فِي بَلَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَمِثْلُ طَبِيعَةِ التَّغَنَّاطِيسِ فِي الْحَدِيدِ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ يَابِسَانِ صُلْبَانِ ، وَبَيْنَ طَبِيعَتَيْهِمَا أُلْفَةٌ ، فَإِذَا قَرُبَ الْحَدِيدُ مِنْ هَذَا الْحَجَرِ حَتَّى يَشُمَّ رَائِحَتَهُ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَالتَّصَقَّ بِهِ وَجَذَبَ الْحَدِيدَ إِلَى نَفْسِهِ وَأَمْسَكَهُ كَمَا يَقَعُّ الْعَاشِقُ بِالْمَعشُوقِ . وَكَذَلِكَ يَقَعُّ الْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلْخَزِّ (١) وَالْحَجَرُ الْجَاذِبُ لِلشَّعْرِ ، وَالْجَاذِبُ لِلتَّبَنِ ؛ وَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ مَا مِنْ حَجَرٍ مِنْ أَحْجَارِ التَّعْدِنِ إِلَّا وَبَيْنَ طَبِيعَتِهِ وَبَيْنَ طَبِيعَةِ شَيْءٍ آخَرَ أُلْفٌ وَاشْتِيَاقٌ ، عُرِفَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يُعْرَفْ ؛ وَمِثْلُ هَذَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الدَّوَاءِ وَالْعُضْوِ الْعَلِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ خَاصَّةِ كُلِّ عَضْوٍ عِلِيلٍ اشْتِيَاقُهُ إِلَى طَبِيعَةِ الدَّوَاءِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ طَبِيعَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي بِهِ ، فَإِذَا حَصَلَ الدَّوَاءُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُضْوِ الْعَلِيلِ وَأَحْسَّ بِهِ جَذْبَتَهُ الْقُوَّةَ الْجَاذِبَةَ إِلَى ذَلِكَ الْعَضْوِ وَأَمْسَكَتْ لِلْمَسِكَةِ وَأُسْتَعَانَتْ بِالْقُوَّةِ الْمُدْبِرَةِ لَطَبِيعَةِ الدَّوَاءِ عَلَى دَفْعِ الطَّبِيعَةِ الْمُؤَلِّفَةِ لِلْعِلَّةِ وَقَوِيَّتِ عَلَيْهَا وَدَفَعَتْهَا عَنِ الْعَضْوِ الْعَلِيلِ كَمَا يَسْتَعِينُ وَيُدْفَعُ الْمُحَارِبُ وَالْخَاصِمُ بِقُوَّةٍ مِنْ يُعِينُهُ عَلَى خَصْمِهِ وَعَدُوِّهِ وَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَقَهَّرُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ طَبِيعَةِ الشَّنْبَادِجِ (٢) الَّتِي يَأْكُلُ الْأَحْجَارَ عِنْدَ الْحَكِّ

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلَانِ « لَعْمَر » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) الشَّنْبَادِجُ حَجَرٌ يَجْلُو بِهِ الصَّيْقَلُ السُّيُوفَ ، وَتَحْمِلُ بِهِ الْأَسْنَانُ ، هُوَ حَجَرٌ كَأَنَّهُ مَجْتَمِعٌ

مِنْ رَمْلِ خَشَنٍ .

أَكْلًا وَيُلِينُهَا وَيَجْعَلُهَا مَلَسًا . ومثل طبيعة الْأَسْرُبِ الوَسَخِ فِي الْمَاسِ الْقَاهِرِ لِسَائِرِ الْأَحْجَارِ الصُّلْبَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَاسَ لَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْجَارِ ، وَهُوَ قَاهِرٌ لَهَا كُلِّهَا ، وَلَوْ تَرَكْنَا عَلَى السُّنْدَانِ وَطُرُقَ بِالْمِطْرَةِ لَدَخَلَ فِي أَحَدِهَا وَلَمْ يَنْفَكِرْ ، وَإِنْ جَعَلَ بَيْنَ صَفِيحَتَيْنِ مِنْ أَسْرُبٍ ^(١) وَضَعْنَا عَلَيْهِ تَفَقَّتَ ؛ وَمِثْلُ طَبِيعَةِ الزُّبُقِ الطَّيَارِ الرَّطْبِ الْقَلِيلِ الصَّبْرِ عَلَى حَرَارَةِ النَّارِ ، إِذَا طَلَى بِهِ الْأَحْجَارَ الْمَعْدِنِيَّةَ الصَّلْبَةَ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ أَوْ هَنَأَهَا وَأَرْخَاها حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ تُنْكَسَرَ بِأَهْوَنِ سَهْمٍ ؛ وَتَتَفَقَّتَ قِطْعًا .

وَمِثْلُ الْكِبْرِيتِ الْمُتْنِنِ الرَّائِحَةِ الْمَسْوُودِ لِلأَحْجَارِ النَّيِّرَةِ الْبَرَّاقَةِ ، الْمَذِيبِ لَأَلْوَانِهَا وَأَصْبَاغِهَا ، يُمْكِنُ النَّارَ مِنْهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ فِي أَسْرَعِ مَدَّةٍ . وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِبْرِيتَ رُطُوبَةٌ دُهْنِيَّةٌ لَزِجَةٌ جَامِدَةٌ ، فَإِذَا أَصَابَتْهُ حَرَارَةُ النَّارِ ذَابَ وَالتَزَقَ بِأَجْسَادِ الْأَحْجَارِ وَمَا زَجَّهَا ، فَإِذَا تَمَكَّنَتْ النَّارُ مِنْهَا احْتَرَقَ وَأُحْرِقَ مَعَهُ تِلْكَ الْأَجْسَادَ يَاقُوتًا كَانَتْ أَوْ ذَهَبًا أَوْ غَيْرَهَا .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تَرَسُبُ ^(٢) فِي طَبِيعَةِ أُخْرَى وَتُنِيرُهَا ^(٣) ، فَمِثْلُ النَّوْشَازِرِ الَّذِي يَفُوصُ فِي قَعْرِ الْأَشْيَاءِ وَيَغْسِلُهَا مِنَ الْوَسَخِ .

وَأَمَّا الطَّبِيعَةُ الَّتِي تُعِينُ طَبِيعَةً أُخْرَى فَمِثْلُ الْبُورَقِ الَّذِي يُعِينُ النَّارَ عَلَى سَبْكِ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْمَعْدِنِيَّةِ الدَّائِبَةِ ، وَمِثْلُ الزَّاجَاتِ وَالشُّبُوبِ الَّتِي تَجَلُّوْهَا وَتُنِيرُهَا وَتَصْبُغُهَا ، وَمِثْلُ الْمَغْنِيسِيَا وَالْقَلِيِّ ^(٤) الْمُعِينَيْنِ عَلَى سَبْكِ الرَّمْلِ وَتَعْضِفِيَّتِهِ

(١) الْأَسْرُبُ : الرِّصَاصُ الْأَسْوَدُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « تَرِبُ طَبِيعَةً » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هُوَ مَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ الْآتِي .

(٣) فِي ب « وَتُنِيرُهَا » . وَفِي (أ) « وَتُدِيرُهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) الْقَلِيُّ وَيُقَالُ فِيهِ قَلِي كَالْمِلِّ ، هُوَ شَبَّ الْعَصْفَرِ ، وَيَتَّخِذُ مِنْ حَرِيقِ الْحُمْضِ ، وَأَجُودُهُ الْمَتَّخِذُ مِنَ الْحُمْضِ ، وَهُوَ قَلِي الصَّبَاغَيْنِ وَبَقِيَّةُ أَنْوَاعِهِ تَسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الزَّجَاجِ (ابْنُ الْبَيْطَارِ) .

حتى يكونَ منه زُجاج ؛ وعلى هذا المثال جميعُ الأحجارِ المعدنية .
النارُ هي الحاكمة بين الجواهرِ المعدنية بالحق .

ويقال : من أذَمَنَ الأَكَلَ والشُّرِبَ في أوَانِي النحاسِ أَفْسَدَتْ مزاجه ،
وعَرَضَ له أَسْرَاضٌ صَعْبَةٌ ، وإن أُذْنِيَتْ^(١) أوَانِي النحاسِ من السَّمَكِ
شَمِئَتْ لها رائحةٌ كريهةٌ وإن كُتِبَتْ آنيَةُ النحاسِ على سَمَكٍ مشويٍّ أو
مطبوخٍ بجزاراته حَدَثَ منه سُمٌّ قَاتِلٌ .

القَلَمِيُّ^(٢) قريبٌ من الفِضَّةِ في لونه ، ولكن يخالفها في ثلاثِ صفات :
الرائحةِ والرخاوةِ والصَّرِيرِ ، وهذه الآفاتُ دخلتْ عليه وهو في مَقْدِينِهِ كما تَدْخُلُ
الآفاتُ على الفُلُوجِ وهو في بطنِ أمِّه ؛ فَرَخَاوَتُهُ لكَثْرَةِ زَيْبِقِهِ ، وصَرِيرُهُ^(٣)
لغِلَظِ كَبَرِيَّتِهِ .

ويقال : إنَّ لَوْنَ الياقوتِ الأصْفَرَ والذهبِ الإبريزِ ، ولَوْنَ الزعفرانِ وما
شاكلها من الألوانِ المُشْرِقةِ منسوبةٌ إلى نورِ الشمسِ وبريقِ شُعاعها ، وكذلك
بياضُ النِصَّةِ والمِلْحِ والبِلُورِ والقُطُنِ وما شاكله من ألوانِ النباتِ منسوبةٌ إلى
نورِ القمرِ وبريقِ شُعاعِهِ ؛ وعلى هذا المثال سائرُ الألوانِ .

وقال أصحابُ النجومِ : السوادُ لَزُحَلٍ ، والحُمْرةُ لِلْمَرِيخِ ، والخُضرةُ لِلْمُشْتَرِيِّ ،
والزُّرْقَةُ لِلزُّهْرَةِ ، والصُّفْرةُ لِلشَّمْسِ ، والبياضُ لِلْقَمَرِ ، والتَّلَوْنُ لِعُطَارِدِ .
ويقال : إنَّ العِلَّةَ الفاعلةَ للجواهرِ المعدنيةِ هي الطَّبِيعَةُ ، والعِلَّةُ الطَّيْنِيَّةُ

(١) في كلتا النسخين : « أدمنت » ؛ وهو تحريف .

(٢) القَلَمِيُّ ، هو الرصاصُ الجيد . وفي نسخة « القلي » ؛ وهو تحريفٌ إذ الأوصافُ
التي ذكرها المؤلفُ هنا لا تنطبقُ على القلي الذي سبق التعريفُ به في الحاشية رقم ٤ من صفحة
١١٠ من هذا الجزء ، فانظرها ثم .

(٣) لصله : « ورائحته » إذ المعروف أن الكبريت سبب في الرائحة لافي الصرير .
ويلاحظ أنه قد قص التعليل لواحد من الثلاثة المذكورة قبل .

الزَّبَقُ والكَبَرِيتُ ؛ والعِلَّةُ الصُّورِيَّةُ دَوْرَانُ الْأَفْلَاكِ وحركاتُ الكَوَاكِبِ
حَوْلَ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ وَالْأَرْضُ ؛ والعِلَّةُ التَّامِّيَّةُ
الْمَنَافِعُ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ .

ويقال : إن الجواهر المعدنية ثلاثة أنواع : منها ما يكون في التُّرابِ والطِّينِ
وَالْأَرْضِ [السَّبِيخَةُ ، ويتمُّ نُضْجُهُ فِي السَّنَةِ وَأَقْلَّ كَالْكِبَارِيتِ وَالْأَمْلَاحِ
وَالشُّبُوبِ وَالزَّاجَاتِ وَمَا شَابِهَهَا] ؛ ومنها ما يكون في قَعْرِ الْبِحَارِ وَقَرَارِ الْمِيَاءِ ،
وَلَا يتمُّ نُضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنَةِ [أَوْ أَكْثَرَ] كَالدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، فَإِنْ أَحَدَهُمَا نَبَتَ
وَهُوَ الْمَرْجَانُ ، وَالْآخَرُ حَيَوَانٌ ، وَهُوَ الدُّرُّ .

ومنها ما يكون في وَسْطِ الْحَجَرِ وَكُهُوفِ الْجِبَالِ وَخَلَلِ الرَّمَالِ فَلَا يتمُّ
نُضْجُهُ إِلَّا فِي السَّنِينَ ، كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ وَمَا
شَاكَلَهَا ؛ وَمِنْهَا مَا لَا يتمُّ نُضْجُهُ إِلَّا فِي عَشْرَاتِ السَّنِينَ ، كَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرَجَدِ
وَالْعَقِيقِ وَمَا شَاكَلَهَا .

(٣) وقال بعضُ من حضر المجلسَ — وهو الرَّجُلُ الْقَدِيمُ الثَّقِيلُ — : إنَّ الزَّارِعَ
لَا يَزْرَعُ طَالِبًا لِلْعُشْبِ ، بَلْ قَصْدُهُ لِلْحَبِّ ، وَلَا يَدْءُ الْعُشْبَ مِنْ أَنْ يَنْبُتَ إِنْ
أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ ، فَلِمَ ذَلِكَ ؟ قِيلَ لَهُ : قَدْ يَضْحَكُ الْمُقْصِدُ مَا لَيْسَ بِمُقْصودٍ ، مِنْ
حَيْثُ لَا يتمُّ الْمُقْصودُ إِلَّا بِمَا لَيْسَ بِمُقْصودٍ ، وَالْعُشْبُ هُوَ فَضْلَاتُ الْحَبِّ ، وَبِهِ
صِفَاةُ الْحَبِّ وَتَمَامُهُ ، وَلَوْلَا ^(١) الْقُوَّةُ الَّتِي تَصِفِي الْحَبَّ وَتُصَوِّرُهُ بِصُورَتِهِ الْخَاصَّةِ
بِهِ ، وَتَنْفِي كَدْرَهُ وَتُحْصِلُ ^(٢) صَفْوَهُ لَكَانَ الْعُشْبُ فِي بَدَنِ الْحَبِّ ، وَحِينَئِذٍ
لَا يَكُونُ الْحَبُّ الْمُتَنَفِّعَ بِهِ الْخُصُوصُ بِأَسْمِهِ الْمَعْرُوفُ بَعَيْنِهِ ، بَلْ يَكُونُ شَيْءٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَلَوْلَا أَنَّ الْقُوَّةَ » ، وَقَوْلُهُ : « أَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتُحْضِرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

آخِرَ ؛ فلما تميزت تلك الشوائب التي كانت ملازمة له من أجزاء الأرض والماء وآثار الهواء والنار ، خَلَصَ منتفعا به ، مفضودا بعينه ، فَوَجَبَ بهذا الاعتبار أن يكون الحبُّ بالذات ، والعُشْبُ بالعرض .

فقال — أدام الله دولته — هل تعرّفُ العربُ الفرقَ بين الروح والنفس (١) في كلامها ؟ وهل في لفظها من نظمها ونثرها ما يدل على ما بينهما ، أو ما كشيء واحد لحقه أسمان ؟

فكان الجواب : إن الاستعمال يخلطُ هذا بهذا وهذه بهذا في مواضع كثيرة ، وإذا جاء الاعتبار أفرد^(١) أحدهما من الآخر بالحد والأسم ؛ وعلى هذا اتفق رأي الحكماء ، لأنهم حكّموا بأن الروح جسمٌ لطيف مُنبَثٌّ في الجسد على خاصٍّ ماله فيه (٢) فأما النفس الناطقة فإنها جوهرٌ إلهي ، وليست في الجسد [على خاصٍّ ماله فيه] ولكنها مدبرةٌ للجسد ؛ ولم يكن الإنسان إنسانا بالروح ، بل بالنفس ، ولو كان إنسانا بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روحٌ ولكن لا نفس له . فأما النفسان الأخران اللتان هما الشهوية والغضبية فإنهما أشدّ اتصالا بالروح منهما بالنفس ، وإن كانت النفس الناطقة تدبرهما وتمدّهما وتأمّرهما وتنهاهما ؛ فهذا أيضا يوضح الفرق بين الروح والنفس ، فليس كلُّ ذي روح ذا نفس ، ولكن كلُّ ذي نفس ذورُوح ؛ وقد وجدنا في كلام العرب مع هذا الفرق بينهما ، فإن [الناطقة] قد قال للنعمان بن المنذر :

وأشدّ كنت نفسي بعد ما طارَ روحها وألبستني نعمي ولست بشاهدٍ

(١) في كلتا النسختين « قرب » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به السياق .

(٢) في « ب » منه « مكان قوله : « فيه » .

وقال أبو الأسود :

لَعَمْرُكَ مَا حَشَاكَ اللَّهُ رُوحًا بِهِ جَشَعٌ وَلَا نَفْسًا شَرِيرَةً
قال : هذا من الفوائد التي كنتُ أحنُّ إليها ، وأستبَعِدُ الظَّفَرَ بها ، وما
أنفعَ المطَارَحَةَ والمُفَاتِحَةَ وَبَثَّ الشكَّ وأستباحةَ النَّفْسِ ، فَإِنَّ التَّغَاوُلَ عَمَّا تَمَسُّ^١
إليه الحاجةُ سوءَ اختيار ، بل سوءُ توفيق .

وما أحسنَ ما قال بعضُ الحِلَّةِ : تَوَانَيْتُ فِي أَوَانِ التَّعَلُّمِ عَنِ الْمَسْئَلَةِ عَنْ
أَشْيَاءَ كَانَتْ الْحَاجَةُ تَحْفِزُ إِلَيْهَا وَالْكُسْلُ يَصُدُّ عَنْهَا ، فَلَمَّا كَبُرَتْ أَفْنَتْ مِنْ
ذِكْرِهَا وَعَرَضَهَا عَلَى مَنْ عَلَّمَهَا عِنْدَهُ ، فَبَقِيَتْ الْجَهَالَةُ فِي نَفْسِي ، وَرَكَدَتْ
الْوَحْشَةُ بَيْنَ قَلْبِي وَفِكْرِي .

ثم جَرَى فِي حَدِيثِ النَّفْسِ ذِكْرُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ قَالَ : إِنَّ نَفْسَكَ هِيَ
إِحْدَى الْأَنْفُسِ الْجُزْئِيَّةِ مِنَ النَّفْسِ الْكَلِّيَّةِ ، لَا هِيَ بَعِينُهَا ، وَلَا مُفَصَّلَةٌ عَنْهَا ،
كَمَا أَنَّ جَسَدَكَ جُزْءٌ مِنْ جَسَدِ الْعَالَمِ لَا هُوَ كُلُّهُ وَلَا مُفَصَّلٌ عَنْهُ ؛ وَقَدْ مرَّ مِنْ
أَمْرِ النَّفْسِ مَا فِيهِ إِضْاحٌ تَامٌّ وَأُسْتَبْصَارٌ وَاسِعٌ ، وَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ فِي نَعْتِ النَّفْسِ
لَا آخِرَ لَهُ ، وَلَا وَقُوفَ عَنْهُ .

ولو قال قائلٌ : إِنَّ جَسَدَكَ هُوَ كُلُّ الْعَالَمِ لَمْ يَكُنْ مُبْطِلًا ، لِأَنَّهُ شَبِيهُ بِهِ ،
وَمُسْلُولٌ مِنْهُ ، وَبِحَقِّ الشَّبهِ يَحْكِيهِ ، وَبِحَقِّ الْأَنْسِلَالِ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ ؛ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ
الْجُزْئِيَّةُ هِيَ النَّفْسُ الْكَلِّيَّةُ ، لِأَنَّهَا أَيْضًا مَشَاكِهَةٌ لَهَا ، وَمَوْجُودَةٌ بِهَا ، فَبِحَقِّ
الشَّبهِ أَيْضًا تَحْكِي حَالَهَا^(١) ، وَبِحَقِّ الْوُجُودِ تَبْقَى بَقَاءُهَا ، فَلَيْسَ بَيْنَ الْجَسَدِ إِذَا
أُضِيفَ إِلَى الْعَالَمِ ، وَالنَّفْسِ إِذَا قِيسَتْ بِالْأُخْرَى فَرَقٌ ، إِلَّا أَنَّ الْجَسَدَ مَعْجُونٌ

(١) فِي الْأَصْلِ « تَجِدُ مَا لَهَا » وَلَا مَعْنَى لَهُ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ الصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

من الطينة، والنفس مدبرة بالقوة الإلهية؛ ولهذا أحتيج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس^(١) والالتباس حتى تكون مدة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد.

فقال — أدام الله سعادته — لو كان ما يمر من هذه الفوائد العرر والرمي اللطاف مرسوماً بسوادٍ على بياض، ومقيّداً بنقطةٍ وعبرة، لكان له ربيع وإتاء، وزيادة ونماء.

فكان الجواب إن هذا غير متعذر ولا صعب إن نفس الله في البقاء، وصرف هذه المعلوم التي تقسم الفكر بالعوارض التي لا تحتسب، والأسباب التي لا تعرف؛ فأما والأشغال على تكاثفها، والزمان على تلوثه فكيف يمكن ذلك؛ والعجب أنه يجري حرف من هذه الأمور الشريفة في هذه الأوقات الضيقة.

- ولقد قال أبو سليمان أمس: كيف نشاط الوزير — أدام الله سعادته — (٥) في شأنه، وكيف كان تقبله لرسالتي إليه، وتلطفي له، وخدمتي لدولته؟ قلت: ما تم شيء يحتاج إلى الزيادة من فهم ودراية، وبيان وأستبانه، وهشاشة ورفق، وإطلاع وتأن؛ ولكن الوقت مستوعب بالتدبير والنظر، وكف العدو بالمداورة مرة، وبالإحسان مرة. فقال: الله يُبقي، ويرينا ما نُحِبُّه فيه.
- وقال أيضاً أبو سليمان: كيف لا يكون ما تقلده ثقيلاً، وما تصدى له عظيماً، وما يباشره بلسانه وقلبه صعباً، والأولياء أعداء، والأعداء جهال، والحض عليه من ورائه شديد، ونصيحته غاش، وثيقته^(٢) مُريب^(٣)، والشغب

(١) في ب « وإلى القياس ». (٢) في (١) ونفيه؛ وهو تحريف.

(٣) في كلتا النسختين « قريب »؛ وهو تحريف.

مَقْصِلٌ ، وَطَلَبُ الْمَالِ ^(١) لَا آخِرَ لَهُ ، وَالْمُضْطَنَعُ مُسْتَزِيدٌ ، وَالْحَرُومُ سَاخِطٌ ، وَالْمَالُ مَمْرُوقٌ ، وَالتَّجْدِيفُ ^(٢) مِنَ الطَّالِبِ وَاقِعٌ ، وَالتَّحْكَمُ بِالْإِذْلَالِ دَائِمٌ ، وَالْأَسْتِقَالَةُ مِنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَالْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَالتَّدْبِيرُ لَيْسَ يَقْمَعُ ؛ وَالْوَعْدُ هَبَاءٌ مَنثورٌ ، وَالْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مَبْتُورٌ ؛ وَالسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَالْعَلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ ؛ وَقَدْ رَكِبَ كُلُّ هَوَاهُ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاهُ ؛ وَأَخْتَلَطَ الْمُبْرَمُ ^(٣) بِالسَّحِيلِ ، وَضَاقَ عَلَى السَّالِكِ كُلِّ سَبِيلٍ ؛ وَمَتَابَعُ الْفَسَادِ وَمَتَابِتُ التَّخْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ الْحَاشِيَةِ [الَّتِي] لَا تَعْرِفُ نِظَامَ الدَّوْلَةِ وَلَا أَسْتِقَامَةَ الْمَمْلَكَةِ ؟ وَإِنَّمَا سُوْلُهُمَا ^(٤) تَعْجِيلُ خَطِّهِ وَإِنْ كَانَ نِزْرًا ، وَأَسْتِلَابُ دِرْهَمِهِ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا ، وَلَعَمْرِي لَيْسَ يَكُونُ الْكَدْرُ إِلَّا بَعْدَ الصَّفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ الصَّفْوُ إِلَّا بَعْدَ الْكَدْرِ ، هَكَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَالنُّورُ وَالظُّلَامُ ، هَذَا يَخْلُفُ هَذَا ، وَهَذَا يَتَلَوُّ هَذَا .

قَالَ : أَغْنَى بِهَذَا أَنَّهُ لَمَّا فَقِدَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — بِالْأَمْسِ حَدَثَ هَذَا كُلُّهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ زَمَّ وَخَطَّمَ ، وَجَبَّرَ وَخَطَّمَ ، وَأَسَا وَجَرَحَ ، وَمَنَعَ وَمَنَعَ ؛ وَأَوْرَدَ وَأَصْدَرَ ، وَأَظْهَرَ وَسَتَرَ ، وَسَهَّلَ وَوَعَّرَ ، وَوَعَدَ وَتَوَعَّدَ ، وَأَنْحَسَ وَأَسْعَدَ ، وَوَهَبَ زَمَانَهُ وَحَيَاتَهُ لِهَذَا ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِدَنِّهِ فِيهِ ، وَغَايَتَهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْتَهَى أَنْ يُطِيرَ صَيْتُهُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَسْمَعَ مَلُوكُهَا بِفِطْنَتِهِ وَحَزْمِهِ ، وَتَصْمِيمِهِ وَعَزْمِهِ ، وَجِدَّةِ وَتَشْمِيرِهِ ، وَرِضَاهُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا ، وَسُخْطِهِ فِي وَقْتِ الشُّخْطِ ، وَرَفْعِهِ لِمَنْ يَرْفَعُهُ بِالْحَقِّ ، وَوَضْعِهِ لِمَنْ يَضَعُهُ بِالْوَاجِبِ ؛ يُجْرَى الْأُمُورُ بِسَنَنِ الدِّينِ مَا أَسْتَجَابَتْ ، فَإِنْ عَصَتْ أَخَذَ بِأَحْكَامِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْمَالِ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالتَّحْرِيفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالتَّجْدِيفُ : الْكَفْرَانُ بِالنِّعْمَةِ .

(٣) الْمُبْرَمُ : الَّذِي أَحْكَمَ فَتْلَهُ . وَالسَّحِيلُ : ضِدُّهُ .

(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « نُوْلُهُمَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الأمور متلبسة بالدين والدنيا لم يَجْزُ للعاقل الخَصِيف ، والدبّر اللطيف أن يُعْمِل التدييرَ فيها من ناحية الدين خَسْب ، ولا من ناحية الدنيا فقط ، لأنّ دائرة الدين إلهية ، ودائرة الدنيا حسّية ، وفي الإحساس أحقادٌ لا بدّ من إطفاء نائرتها ، وصنائعٌ لا بدّ من تربيتها ، وموضوعاتٌ لا بدّ من إشالتها^(١) ومرفوعاتٌ لا بدّ من إزالتها ؛ وتدييراتٌ لا بدّ من إخفائها^(٢) ، وأحوالٌ لا بدّ من إبدائها ، ومقاماتٌ لا بدّ من الصبر على عوارض ما فيها ، وأمورٌ هي مسطورةٌ في كتب السياسات للحكماء لا بدّ من عرفانها والعمل بها والمصير إليها ، والزيادة عليها ؛ فليس الخبر كالعيان ، ولا الشاهد كالغائب ، ولا المتظنون كالمستيقن .

ثم قال : — أعنى أبا سليمان — وهذا كلّهُ منوطٌ بالتوفيق والتأييد اللذين إذا نزلا من السماء واتّصلا بمفرق السائس تضافت أحواله على الصّلاح ، وانتشرت على النّجاح ؛ وكفى كثيراً من مُهمومه ؛ ثم دعا الوزير بالبقاء العديدي والعيش الرّغيد والجّد السّعيد ؛ وأمن الحاضرون على ذلك ، وكانوا جمّاً غفيراً ، لا فائدة في ذكر أسمائهم والإشارة إلى أعيانهم ؛ وكلّهم لما سمعوا هذا الكلام الشريف عجبوا منه ، وعوّذوه وسألوه أن ينظّم لهم رسالةً في السياسة ؛ فقال : قد رسمتُ شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتبْتُ وحمل في جملة الهدية إلى قابوس بجرّجان ، فهذا — أيّها الشيخ — نَمَطُ أبي سليمان وأنت عنه مشغول ، قد رَضِيتَ بترك النّظر في أمره ، وبذلّ الجاه له فيما عاد بِشأنه ، والله ما هذا لسوء عهدك فيه ، ولا لحيلولة نيتك [عنه] ؛ ولكن قلّة حظه منك وإنحاء الزّمان على كلّ مَنْ يجرى بحراه ، مع عَوَزِ مثله في عصره ؛ وكيف تُتهم بسوء اعتقاد

(١) في كلتا النسختين : « أسالها » ؛ وهو تحريف ، وإشالة المعنى : رفعه .

(٢) في كلتا النسختين : « من إخفائها » ؛ وهو تصحيف .

وَقَلَّةَ حِفَاطٍ ، وَتَوَانٍ عَنْ رِعَايَةِ عَهْدٍ ، وَقِيَامٍ بِحَقِّ ، وَأَنْتَ مِنْ فَرَقِكَ إِلَى قَدَمِكَ
فَضْلٌ وَخَيْرٌ وَجُودٌ وَبِحْدٌ وَإِحْسَانٌ وَكَرَمٌ وَمَعُونَةٌ وَرَفْدٌ وَإِنْعَامٌ وَتَفَقُّدٌ وَتَعَهُدٌ
وَبَذَلٌ وَعُرْفٌ ؛ وَلَوْ كَانَ أَمْرُؤُ مِنْ الذَّهَبِ الْمَصْفَى لَكُنْتُه [وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ
الرُّوحِ الصَّوْفِ لَكُنْتُه] ؛ وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ الصِّيَاءِ الْحَاطِطِ لَكُنْتُه ؛ فَسُبْحَانَ
مَنْ خَلَقَكَ مِرْفَاً بِلا مَزَاجٍ ، وَصَفَوْا بِلا كَدَرٍ ، وَوَاحِداً بِلا ثَنٍ ، لَقَدْ نَحَرُ^(١)
بِكَ الشَّرْقَ عَلَى الْغَرْبِ ، وَسَلَّمْ لَكَ بِلا خُصُومَةٍ وَلَا شَعْبٍ ، فَأَدَامَ اللَّهُ لَكَ مَا آتَاكَ
وَأَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ لَدُنْهِ مَا يُنَوِّرُ مَسْعَاكَ ؛ وَبَلَّغَكَ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى فِي عُقْبَاكَ ،
كَأَنَّكَ السَّعَادَةَ الصُّغْرَى فِي دُنْيَاكَ .

(٦) أَعْرِضْ أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مَا تَرَى ، وَالْكَلَامُ ذُو جَيْشَانٍ ،
وَالصَّدْرُ ذُو غَلْيَانٍ ، وَالْقَلَمُ ذُو نَفْيَانٍ^(٢) وَمَتَدَفَّقُهُ لَا يُسْتَطَاعُ رَدُّهُ ؛ وَمُنْتَبِئُهُ
لَا يُقَدَّرُ [عَلَى] تَسْهِيلِهِ ، وَخَطْبُهُ غَرِيبٌ ، وَشَأْنُهُ عَجِيبٌ ؛ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ دِقَّةَ
وَجِلَّةٍ مَنْ يَذُوقُ حُلُوهَ وَمُرَّةَ ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَمْرِي لِتَحْفَظَهُ بِمَعِينِ
الرَّعَايَةِ ، وَأَعْرِضْ عَلَيْكَ حَدِيثِي لِتَحْفَظَهُ فِي صَحِيفَةِ الْعِنَايَةِ ؛ فَلَقَدْ أَمْسَيْتُ بَيْنَ
صَدِيقٍ يَشُقُّ عَلَيَّ حُزْنُهُ لِي ، وَبَيْنَ عَدُوٍّ تَسُوهُنِي شِمَاتُهُ بِي ؛ وَقَدْ صَحَّحْتُ عِنْدِي أَنَّ
إِقْبَالَكَ عَلَيَّ يُسِّرُ ، كَمَا أَنَّ إِعْرَاضَكَ عَنِّي يُعَسِّرُ ، وَأَرْجِعُ إِلَى تَمَامِ هَذَيْنِ الْجُزْأَيْنِ
وَإِنَّهُ أُخْرَى^(٣) .

(٧) وَأَمَّا حَدِيثُ الزُّهَادِ وَأَصْحَابِ النُّسُكِ ، فَإِنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ بِأَفْرَادٍ جُزْءٍ فِيهِ ،

(١) فِي (ب) « تَحْرِيكٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَوَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ (أ) مَطْبُوسَ الْحُرُوفِ ؛
وَمَا أَتَيْنَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ .

(٢) النَّفْيَانِ : مِنْ نَفَثَ السَّحَابَةُ الْمَاءَ إِذَا نَحْتَهُ . أَوْ مِنْ نَفَثَ الرِّيحُ التُّرَابَ إِذَا أَطَارَتْهُ .

وَفِي (أ) « نَفْيَانٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَفِي (ب) « رَمِيَانٌ »

(٣) فِي « ب » وَاجْتِدَاءٌ آخَرٌ .

وقد أثبتته في هذا الموضع ، ولم أحب أن أعزله عن مجلته ، فإن فيه تنبيهاً حسناً ، وإرشاداً مقبولاً ، وكما قصدنا بالهزل الذي أفردنا فيه جزءاً جاثماً للنفس قصدنا بهذا الجزء الذي عطفنا عليه إصلاحاً للنفس وتهذيباً للخلق ، واقتداءً بمن سبق إلى الخير واتباعاً لمن قصد النصيح ؛ وشرف الإنسان موقوف على أن يكون فاتحاً ليا ب من أبواب الخير على نفسه وعلى غيره ، فإن لم يكن ذلك فلا أقل [من أن يكون] مقتضياً لأثر من كان فاتحاً قبله ؛ ومن تقاعس عن هذين الأمرين فهو الخاسر الذي جهل قيمة نفسه ، وضل عن غاية حياته ، وحرِمَ التوفيق في إصابة رُشده ؛ والله المستعان .

قال ابن مسعود : لو عرفت البهائم ما عرقت^(١) ما أسكنتم سمينا .
وقال أبو هريرة : اللهم إني أسألك قلباً قاراً ، ورزقاً داراً ، وعملاً ساراً .
وقال بعض السلف : اللهم إني أسألك قلباً شاكراً ، ولساناً ذا كراً ، وبدوناً صابراً .

وقال صالح بن مسمار : لا أدري أنعمته عليّ فيما بسط لي أفضل ، أم نعمته فيما زوى عني ، لأنه فيما بسط لي أحياني ، وفيما زوى عني سماني ، نظر لي بما يزيد على نظري لنفسى ، وآتاني من عنده أكثر مما عندي .

وقال الله عز وجل — لموسى — عليه السلام : حببني إلى عبادي .
قال : وكيف أحببك ؟ قال : ذكركم آلائي ونعمائي .

وقال شداد بن حكيم لبعض الواعظين : أي شيء تقول إذا جلست على المنبر ؟ قال : أذكركم آلاء الله لي شكروا ، وأذكركم جفائهم ليتوبوا ، وأخبرهم عن إبليس وأعوانه حتى يحذروا .

(١) في رواية : « ما مرقت من الموت ما أسكنتم منها سمينا » .

وقال بعضُ الصَّالحِينَ : مَثَلُ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا كَخَابِيَةٍ فِيهَا سُمٌّ وَعَلَى رَأْسِهَا عَسَلٌ ، فَمَنْ رَغِبَ فِي الْعَسَلِ سَقِيَ مِنَ السُّمِّ ، وَمَثَلُ شِدَّةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ خَابِيَةٍ مَمْلُوءَةٍ مِنَ الْعَسَلِ وَعَلَى رَأْسِهَا قَطَرَاتٌ مِنْ سُمٍّ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى أَكْلِهَا بَلَغَ إِلَى الْعَسَلِ .

جاء رجلٌ إلى حاتم الزَّاهِدِ بَنِيْمِيَّةٍ ، قَالَ : يَا هَذَا أَبْطَأْتَ عَنِّي وَجِئْتَ بِثَلَاثِ جَنَائِيَّاتٍ ؛ بَفَضْتَ إِلَى الْحَبِيبِ ، وَشَغَلْتَ قَلْبِي الْفَارِغَ ، وَأَعْلَقْتَ نَفْسَكَ الثُّمَّةَ ، وَأَنْتَ آمِنٌ .

وكان خالد بن صفوان يقول : قَبُولُ قَوْلِ النَّامِ شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبِلَ وَأَجَازَ .
وقال ابن السماك الواعظ : يُدْرِكُ النَّامُ بَنِيْمِيَّتَهُ مَا لَا يُدْرِكُ السَّاحِرُ بِسَعْفِهِ .

وقال معمر : مَا نَزَلْتُ بِعَبْدٍ نَازِلَةٌ فَكَانَ مَفْزَعُهُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ .
وقال عمر : مَا أَسْأَلُ اللَّهَ الرِّزْقَ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْهُ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُهُ أَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهِ .

وقال مالك بن دينار : الْجُلُوسُ مَعَ الْكَلْبِ خَيْرٌ مِنَ الْجُلُوسِ مَعَ رَفِيقٍ سَوْءٍ .
وقال أبو هريرة : تَهَادَوْا عِبَادَ اللَّهِ يَتَجَدَّدَ فِي قُلُوبِكُمْ الْوُدُّ ، وَتَذْهَبَ السَّخِيمَةُ .
وقال حاتم : صَاحِبُ الضَّغْنِ غَيْرُ ذِي دِينٍ ، وَالْغَائِبُ ^(١) غَيْرُ ذِي عِبَادَةٍ .
وَالنَّمَامُ غَيْرُ صَدُوقٍ ، وَالْحَاسِدُ غَيْرُ مَنْصُورٍ .

وقال بعضُ السَّلَفِ : مَنْ أَسْتَقَصَى عِيُوبَ النَّاسِ بَقِيَ بِلا أَصْدِقَاءٍ .
وقال محمد بن واسع : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَرْأَةِ كَمَا يَكُونُ أَهْلُ

(١) يريد بالغائب من يفتاب الناس .

المجنون مع المجنون ، يحتملون [منه] كل أذى ومكره .
 قيل لمالك بن دينار [لو تزوجت ؛ قال : ^(١)] لو أستطعت لطلقت
 نفسي .

قال شقيق : اشتريت بطيخة لأُمِّي ، فلما ذاقنها سَخَطَتْ . فقلت : يا أُمِّي ،
 على من تَرُدِّينَ القَضَاءَ وَمَنْ تَلُومِينَ ، أَحَارِثَهَا أَمْ مُشْتَرِيهَا أَمْ خَالِقَهَا ؟ فَأَمَّا حَارِثُهَا
 وَمُشْتَرِيهَا فَمَالُهَا ذَنْبٌ ، فَلَا أَرَاكِ تَلُومِينَ إِلَّا خَالِقَهَا .

ويقال : إِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَاوَلَهُ مَوْلَاهُ [شَيْئًا يَأْكُلُهُ] ، وقال : أُعْطِنِي
 قِطْعَةً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ ، فَلَمَّا أَكَلَهُ وَجَدَهُ مُرًّا ، فقال : يَا غُلَامُ ، كَيْفَ أَكَلْتَ هَذَا
 مَعَ شِدَّةِ مَرَاتِرِهِ . قال : يَا مَوْلَايَ ، قَدْ أَكَلْتُ مِنْ يَدِكَ حُلُوءًا كَثِيرًا ، وَلَمْ أَحِبَّ
 أَنْ أُرِيكَ مِنْ نَفْسِي كِرَاهَةً لِمَرَاتِرِهِ .

وأوحى الله تعالى إلى عَزَبَرٍ : إِذَا نَزَلَتْ بِكَ بَلِيَّةٌ لَا تَشْكُنِي إِلَى خَلْقِي
 كَمَا لَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلَائِكَتِي عِنْدَ صُعودِ مَسَاوِيكَ إِلَيَّ ، وَإِذَا أَذْنَبْتَ ذَنْبًا فَلَا
 تَنْظُرُ إِلَى صِغَرِهِ ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ مِنْ أَهْدِيَّتِهِ ^(٢) إِلَيْهِ .

وقال لُفْهَانُ : إِنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِالنَّارِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَرَّبُ بِالْبَلَاءِ .
 وقال بعضُ السَّلَفِ : عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)
 وقال : (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وقال : (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
 الْغُرُفَةَ بِمَا صَبَرُوا) . وقال : (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) . وقال : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) .
 بِمَا صَبَرْتُمْ) .

(١) هذه التكملة أو ما يفيد معناها ساقطة من كلا الأصلين ؛ والسياق يقتضي إلتها .

(٢) من أهديته إليه ، يريد الله سبحانه وتعالى . وعبرة الأصل : « من أهداه إليك » ؛

وفيها تحريف ظاهر .

وقال الأوزاعي : المؤمن يُقِلُّ الكلامَ وَيُكثِرُ العملَ . والمنافقُ يُكثِرُ الكلامَ وَيُقِلُّ العملَ .

وقال فضيل بن عياض : الخوفُ ما دامَ الرجلُ صحيحاً أفضلَ ، فإذا نزل الموتُ فالرجاءُ أفضلُ .

وقال النبي — صلى الله عليه وسلم — إياكم والخيانة ، فإنها بثست البطانة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله عن وجهه لفتح النار يوم القيامة » .

وروي من وقي شرَّ لقلقه وقبَّبه وذَبَذبه فقد وقي شرَّة الشباب ^(١) .
وقيل لأبن المبارك : إنك لتَحَفِظَ نفسك من الغيبة . قال : لو كنت مُغْتَاباً أحداً لأغبتُ والدي ، لأنهما أحقُّ بحسناتي .

وقال بعضُ الصالحين : لو أن رجلاً تَعَشَّى بألوان الطعام وقد أصاب من النساء في الليل ، ورجلاً آخرَ رأى رؤيا على مثال ما أصاب الأول في التَغَفُّلَةِ ، فإذا مضى صار الحاليم والآخرُ سواء .

وقال شقيق : من أبصر ثواب الشدة لم يتمنَّ الخروجَ منها .
وقال شقيق لأصحابه : أيما أحبُّ إليكم ، أن يكون لكم شيء على العليِّ ، أو يكون شيء على عليكم ؟ فقالوا : بل ^(٢) نحبُّ أن يكون لنا على العليِّ . فقال : إذا كنتم في الشدة يكون لكم على الله ؛ وإذا كنتم في النعمة يكون الله عليكم .
وقال بعضُ السلف : شتان ما بين عمَلين : عملٍ تذهبَ لذته وتبقى تبعته ، وعملٍ تذهبَ مؤونته ويبقى ذخره .

(١) القلق : اللسان . والقبب : البطن ، والذبذب : معروف .

(٢) في كلتا النسختين « بلا » ؛ وهو تحريف .

وقال الزقاشي في مواعظه : خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من التزبلة .
وقال يحيى بن معاذ : العلم قبل العمل ، والعقل قائد الخير ، والهوى
مركب المعاصي ، والمال داء التكبر .

وقال : من تعلم علم أبي حنيفة فقد تعرض للسلطان ، ومن تعلم النحو
والعربية دله بين الصبيان ، ومن علم علم الزهاد بلغ إلى العرش .

وقال بعض الصالحين : إن العلماء يسقون الناس ، فبعضهم من الفؤدان
والحياض ، وبعضهم من العيون والقلوب ، وبعضهم من البحار الواسعة .

وقال حاتم : لا تنظر إلى من قال ، ولكن أنظر إلى ما قال .

وقال مالك بن دينار : إني لا أندر أن أعمل بجميع ما أقول .

وقال وهيب بن الورد : مثل عالم الشؤ كمثل الحجر يقع في الساقية فلا هو
يشرب الماء ، ولا يخلّي عن الماء فيذهب إلى الشجرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تأين غير الدجال أخوف عليكم . قيل :
ومن هو ؟ قال : الأئمة المضلون .

وقال الثوري : نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر ، وفتنة القائد الجاهل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي علماء فساق ، وقراء جهال » .

وقال الثوري : العلم طيب الدين ، والمال داء ، فإذا رأيت الطيب يجر
الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره .

وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس وهو لا يبصرها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس حسرة يوم القيامة عالم علم

الناس ونجوا به ، وأرثهن هو بسوء عمله » .

وقال أحمد بن حَرَب : إن منازل الدنيا لا تُقَطَع بالكلام ، فكيف يُقَطَع طريقُ الآخرة بالكلام .

وقال أبو مسلم الخولاني : العلماء ثلاثة : رجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ وعاشَ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ ولمَ يَعِشْ به الناسُ ، ورجلٌ عاشَ بعِلْمِهِ الناسُ وهلكَ هو .
وشاورَ رجلٌ محمد بن أسلم فقال : إني أريدُ أن أزوّجَ بنتي ، فَمِمَّنْ أزوّجُ ؟ قال : لا تزوّجها عالِمًا مفتونًا ، ولا كاسِبًا^(١) كاذبًا ، ولا عابِدًا شاكًا .

قيل^(٢) : نصّح إبليسُ فقال : إِيَّاكَ والكِبَرُ ، فَإِنِّي تَكَبَّرْتُ فَلُعِنْتُ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ فَإِنَّ أَبَاكَ حَرَصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَأَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ أَحَدَ بَنِي آدَمَ قَتَلَ أَخَاهُ بِالْحَسَدِ .

ومرَّ حاتمٌ بقومٍ يَكْتُبُونَ الْعِلْمَ فنظَرَ إليهم وقال : إن يكن معكم ثلاثةُ أشياءَ لن تفلحُوا . قالوا : وما هي ؟ قال : همُّ أمسٍ ، وأُغْتِنَامُ^(٣) اليوم ، وخَوْفُ الغدِ .

وقال ابن عمر : كان في بني إسرائيل ثلاثةٌ خرجوا في وَجْهِ ، فأخذهم العطَرُ فدخلوا كهفًا ، فوقع حجرٌ عظيمٌ على باب الكهف ، وبقوا في الظلمة وقالوا : لا ينجينا إلا ما علمناه في الرءاء . فقال أحدهم : إني كنتُ راعيًا فأرحتُ وحَلَبْتُ ، وكان لي أبوان وأولاد وامرأةٌ فسقيتُ أولاد الوالدين ثم الأولاد ، فجئتُ يومًا فوجدتُ أبويَّ قد ناما فلم أوقظهما لحرْمَتِهِما ولم أَسْقِ^(٤) الأولادَ ،

(١) هذه الكلمة لم يرد منها في كلا الأصلين غير سين وباء وألف وحرفين مطموسين في أولها ، ولعل الصواب فيها ما أثبتنا .

(٢) ورد في كلا الأصلين « قيل النصيح من إبليس قال إبليس » ؛ ولعل صواب العبارة ما أثبتنا .

(٣) في الأصول : « واغتنام » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « أفق » ؛ وهو تحريف .

وبقيت قائماً إلى الصبح ؛ فإن كنت يا ربّ قبلتَ هذا منّي فأجعل لنا فرجاً ،
فتحرّك الحجر ودخل عليهم الضوء .

وقال الثاني : إني كنتُ صاحبَ ضياع ، فجاءني رجل بعد ما متّع النهار ،
وكان لي أجرأ يَحْصِدُونَ الزرع ، فاستأجرته ، فلما تم عملهم أعطيتهم أجورهم ، فلما
بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيتُه وافيّاً كما أعطيتُ غيره ، فغضبوا وقالوا : تعطيه
مثل ما أعطيتنا . فأخذتُ تلك الأجرة واشتريتُ بها عجولاً^(١) ونمّي حتى كثُرَ
البقر ؛ فجاء صاحب الأجرة يطلبُ فقلتُ : هذه البقرُ كلّها لك ، فسلمتها إليه ،
فإن كنت يا ربّ قبلتَ منّي هذا الوفاء ففرّجْ عنا . فتحرّك الحجر ودخل منه
ضوءٌ كثير .

وقال الثالث : كانت لي بنتٌ عمّ فراودتها ، فأبّت ، حتى أعطيتها مائة دينار
فلما أردتُ ما أردتُ اضطربتُ وارتعدت . فقلتُ لها : مالكِ ؟ قالت : إني أخافُ
الله . فتركها ورجعتُ عنها ، إلهي فإن كنت قبلتَ ذلك منّي ففرّجْ عنا . فتحرّك
الحجر وسقطَ عن باب الكهف وخرجوا منه يمشون .

وقال حاتم : لو أدخِلت السوقَ شياهُ كثيرةً لما اشتري أحدٌ التّهزول ،
بل يقصِدُ السمينَ للذَّبْحِ .

وقال يحيى بن معاذ : في القلب عيونٌ يهيجُ منها الخيرُ والشرُّ .

وقال بعض الصالحين في دعائه : اللهم إنَّ أحدنا لا يشاء حتى تشاء ، فأجعل
مشيئتك لي أن تشاء ما يُقرِّبُني إليك ؛ اللهم إنك قدّرتَ حرّكاتِ العبد ، فلا
يتحرّك شيءٌ إلا بإذنك ، فأجعل حرّكاتي في هواك .

(١) العجولُ والعجل واحد .

وقال قاسم بن محمد^(١): لَأَنْ يَعِيشَ الرَّجُلُ جَاهِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ .
وقال الشعبي : لم يكن مجلسٌ أحبَّ إليَّ من هذا المجلس ، ولأنَّ أبعدَ^(٢)
اليوم عن بساطه أحبُّ إليَّ من أن أُحبَسَ فيه .

وقال حاتم : إذا رأيتَ من أخيك عيبًا فإن كتمته عليه فقد خنته ، وإن
قلته لغيره فقد أغبتَه ، وإن واجهته به فقد أوحشته ؛ قيل له : كيف أصنع ؟
قال : تكفى عنه ، وتعرضُ به ، وتجمعه في جملة الحديث .

وقال : إذا رأيتَ من أخيك زلةً فاطلبْ لها سبعين وجهًا من العِلَلِ ، فإن
لم تجدْ فلمْ نفسك .

وقال إبراهيم بن جُنَيْد : إِتَّخِذْ مِرَّ آتَيْنِ ، وانظر في إحداها عيب
نفسك ، وفي الأخرى محاسنَ الناس .

وقال يحيى بن مساذ : الدنيا دارُ خراب ، وأخربُ منها قلبُ من يغمُرُها ،
والآخرة دارُ عمران ، وأعمارُ منها قلبُ من يغمُرُها .

وقال ابن السماك : الدنيا كالمرؤوس المجلوة تشوّفت لخطابها وفَتَنَتْ
بغرورها ، فالعيون إليها ناظرة ، والقلوبُ عليها والهة ؛ والنفوس لها عاشقة ، وهي
لأزواجها قاتلة .

وقال بعض العارفين : الدنيا أربعة أشياء : الفرحُ والراحةُ والحلاوةُ
واللذة ؛ فالفرحُ بالقلب ، والراحةُ بالبدن ، واللذةُ بالخلق ، والحلاوةُ بالعين .

(١) كذا في (١) والذي في (ب) « محمد بن القاسم » .

(٢) ورد كلام الشعبي هذا في نسخة واحدة دون الأخرى . ويشير إلى فساد العلماء
وأنهم قد أصبغوا لا يرغب في الجلوس إليهم . والذي في النسخة « أقعد اليوم على بساطه » ؛
وهو تحريف .

وقال يحيى بن معاذ : الدنيا خمرُ الشيطان ، فمن سكر منها لم يُفِقْ إلا في مَسْكَنِ النّادمين .

وقال بعض السلف : الزهد خلعُ الراحة ، وبذلُ الجهد ، وقطعُ الأمل .
وقال الأنطاكي أحمد بن عاصم : الزُّهدُ هو الثَّقةُ بالله ، والتبرُّؤُ من الخلق ، والإخلاصُ في العمل ، وأحتمالُ الدُّل .

وقال داود — عليه السلام — في دعائه : يا رازق النّقاب في عُشِّه .
وقال بعضُ السّلف : لو كنتَ على ذنبِ الرِّيحِ [لم] ^(١) تَفِرَّ مِنْ رِزْقِكَ .
وقال آخر : الإنسان بين رِزْقِهِ وأَجَلِهِ ، إلا أنه مخدوعٌ بِأَمَلِهِ ^(٢) .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : خلَقَكَ ربُّكَ في أربعِ مراتبَ ، فكنتَ آمناً ساكناً في ثلاث ، وقلقتَ في الرابعة ، أولاها في بطنِ أُمِّكَ في ظُلُماتٍ ثلاث ، والثانية حينَ أخرجَكَ منه وأخرجَكَ لك لبناً من بين فَرْثٍ ودمٍ . والثالثة إذا فُطِمتَ أَطعمَكَ المَرِيَّ الشَّهِيَّ ، حتى إذا اشتدت عِظامُكَ وبلغتَ تَمَامَكَ صِرتَ خائناً وأخذتَ في السَّرِقَةِ والحيلة .

وقال أنس : رأيتُ طائراً أَكُمَهُ فَتَحَ فَأُجِئَتْ جَرَادَةٌ فَدَخَلَتْ قَمَهُ .
وقال عيسى — عليه السلام — يا ابنَ آدمِ اعْتَبِرْ رِزْقَكَ بِطَيرِ السَّمَاءِ ، لَا يَزْرَعُنَّ وَلَا يَحْصُدُنَّ وَاللَّهُ السَّمَاءُ يَرْزُقُهُنَّ . فَإِنْ قُلْتَ : لَهَا أَجْنَحَةٌ فَأَعْتَبِرْ بِحُمْرِ الْوَحْشِ وَبَقَرِ الْوَحْشِ مَا أُسَمِّئَهَا [وَمَا أُبَشِّمَهَا] وَأَبْدَنَهَا !

وقال ابنُ السَّمَّاكِ لو قال العبد : يا ربِّ لَا تَرْزُقْنِي لقال الله : بل أَرْزُقْكَ

(١) هذه الكلمة لم ترد في نسخة (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة : « بعله » . وما أُبَشِّمَهَا هو

مقتضى السياق .

على رزغم أنفك ، ليس لك خالقٌ غيري ، ولا رازقٌ سِوَايَ ، إن لم أرزُقمك
فمن يرزُقمك ؟

وقيل لراهب : من أين تأكل ؟ فقال : إن خالقَ الرَّحَى يأتي بالطَّحِينَ .
وقال حاتم : الحمارُ يَعْرِفُ طريقَ المَعْلَفِ ، والمَنَاقِبُ لَا يَعْرِفُ طريقَ السَّمَاءِ .
وقال إبراهيمُ بنُ أدهم : سألتُ راهبًا من أين تأكلُ ؟ قال : ليس لهذا
العلمُ عِنْدِي ، ولكن سألَ رَبِّي من أين يُطْعِمُنِي .

وقال حاتم : مثْلُ المتوَكِّلِ مثْلُ رَجُلٍ أَسَدَ ظَهْرُهُ إِلَى جَبَلٍ .
وقال بعضُ الأبرار : حَسْبُكَ مِنَ التَّوَكُّلِ أَلَّا تَطْلُبَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا
غَيْرَهُ ، وَلَا لِرِزْقِكَ خَازِنًا غَيْرَهُ ، وَلَا لِعَمَلِكَ شَاهِدًا غَيْرَهُ .

وقال عبدُ الحميد بنُ عبد العزيز : كَانَ لِأَبِي صَدِيقٍ وَرَاقٌ ، فَقَالَ لَهُ [أَبِي]
يَوْمًا : كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ مَا دَامَتْ يَدِي مَعِيَ ، فَأَصْبَحَ الْوَرَّاقُ وَقَدْ
شَكَتْ يَدُهُ .

قال أبو العالية : لَا تَتَّكِلْ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ فَيَكَاكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَا تَعْمَلْ
لغَيْرِ اللَّهِ فَيَجْعَلَ ثَوَابَ عَمَلِكَ عَلَيْهِ .

وقال رجلٌ لِأَبِي ذَرٍّ : أَنْتَ أَبُو ذَرٍّ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَوْلَا أَنَّكَ رَجُلٌ
سَوْءٌ مَا أَخْرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : بَيْنَ يَدَيَّ عَقَبَةٌ كَوْوِدٌ إِنْ نَجَوْتُ
مِنهَا لَا يَضُرُّنِي مَا قُلْتَ ، وَإِنْ أَقَعْتُ فِيهَا فَأَنَا شَرٌّ مِمَّا تَقُولُ .

وقيل لفضيل : إِنْ فَلَانًا يَفْعُ فَيْسِكَ . قَالَ : لَا غِيظَنَ مِنْ أَمْرِهِ ^(١) بِذَلِكَ
اللَّهُمَّ أَخْفِرْ لَهُ .

(١) من أمره بذلك ، يريد الشيطان .

وقال رجل لأبي هريرة : أنت أبو هريرة ؟ قال : نعم . قال : سارق الذريرة^(١) ؟ قال : اللهم إن كان كاذباً فأغفر له ، وإن كان صادقاً فأغفر لي ؛ هكذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رجل لأبن مكرم : يا كافر . قال : وَجِبَ عَلَى الشُّكْرِ ، حيث لم يَجِرْ ذلك على لساني ، ولم تَجِبْ عَلَى إقامَةِ الْحُجَّةِ فيه ، وقد طَوَيْتُ قَلْبِي على مُجَلَّةٍ^(٢) أشياء : قال : وما هن ؟ قال : إِن قُلْتَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَا أُجِيبُكَ مَرَّةً ، وَلَا أَحْقِدُ عَلَيْكَ ، وَلَا أَشْكُوكَ إِلَى أَحَدٍ ، وَإِن نَجَوْتُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بعد هذه الكلمة شغفتُ لك . فتاب الرجل .

كان للحسن جَارٌ نصرانيٌّ ، وكان له كَنِيفٌ على السَّطْحِ ، وقد نَقَبَ ذلك في بيته ، وكان يَتَحَلَّبُ منه البَوْلُ في بَيْتِ الحسن ، وكان الحسنُ أَمَرَ بِإِنَاءٍ فَوَضَعَ تحته ، فكان يُخْرِجُ ما يَجْتَمِعُ منه ليلاً ، ومَضَى على ذلك عشرون سَنَةً ، فَمَرِضَ الحسنُ ذاتَ يَوْمٍ فعاده النصرانيُّ ، فرأى ذلك ، فقال : يا أبا سعيد : مُذْ كَمْ تَحْمِلُونَ مِنِّي هذا الأذى ؟ فقال : منذ عشرين سنةً . فَمَقَطَعَ النصرانيُّ زُنَّارَهُ وَأَسْلَمَ .

وجاءت جاريةٌ لمَنصور بن مِهْران بِمِرْقَةٍ فهِرَاقَتَهَا عليه ، فلما أَحَسَّ بِحَرِّهَا نظرَ إليها ، فقالت : يا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ أَذْكَرُ قَوْلَ اللَّهِ . قال : وما هو ؟ قالت : (وَالْكَافِرِينَ أَغْنَى) قال : كَظَمْتُ . قالت : واذْكَرُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قال : قد عَفَوْتُ . قالت واذْكَرُ (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) . قال : اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّةٌ .

(١) الذريرة : ضرب من الطيب .

(٢) في كلتا النسختين : «خسة» ؛ ولعله محرف عما أثبتنا إذ لم يذكر فيا بعد غير أربعة

أشياء ، أو لعل الخامسة قد سقطت من الناسخ .

قال الحسن : ما جَزَعَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَزَعَةٍ مُصِيبَةٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِصَبْرٍ ،
وَجَزَعَةٍ غَضَبٍ رَدَّهَا صَاحِبُهَا بِعِلْمٍ .

وكان محمد بن المنكدر إذا غَضِبَ على غُلَامٍ يَقُولُ : مَا أَشْبَهَكَ بِسَيِّدِكَ !
وقال أبو ذر : كَيْفَ يَكُونُ حَلِيمًا مَنْ يَغْضَبُ عَلَى حِمَارِهِ وَسَخْلِهِ وَهَرَّةٍ .

ومات ابنُ الرِّشِيدِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا ، فَوَعَفَ لَهُ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَتَعَطَّ ؛ فَدَخَلَ
مَغْنَتًا وَقَالَ : أَنَا ذَنْ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ قَالَ : تَكَلَّمَ . فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَامَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا رَجُلٌ ، وَقَدْ تَشَبَّهْتُ بِالنِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَأَيُّ
شَيْءٍ كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ كَانَ أَبْنُكَ فِي الْأَحْيَاءِ وَكَانَ عَلَى صُورَتِي ، فَأَتَعَطَّ بِهِ
وَأَخْرَجَ النَّوَاحِلَ مِنَ الدَّارِ .

قال وَهْب : مَكْتُوبٌ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ : إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ رَحْمَتِي
فَارْحَمُوا عِبَادِي .

وقال جعفر بن محمد — عليهما السلام — حُسْنُ الْجَوَارِ عِمَارَةُ الدِّيَارِ
وَمَثَرَةُ الْمَالِ .

ولما قرأ هذا الجُزْءُ — حَرَسَهُ اللَّهُ — ارتاح وقال : أَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ ، إِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِيِّ .

الليلة الخامسة والعشرون

وقال — أدام الله دولته — ليلة : أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا فِي مَرَاتِبِ النَّظْمِ
وَالنَّثَرِ ، وَإِلَى أَيْ حَدٍّ يَنْتَهِيَانِ ، وَعَلَى أَيْ شَكْلٍ يَتَفَقَّانِ ، وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لَافْتَاةٌ ،
وَأَرْجَعُ بِالْعَائِدَةِ ، وَأَدْخُلُ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَأَوَّلِي بِالْبَرَاعَةِ ؟

- (١) فكان الجواب : إنَّ الكلامَ على الكلامِ صَعِبَ . قال : ولم ؟ قلتُ : لأنَّ الكلامَ على الأمور المعتمد فيها على صُورِ الأمور وشُكُولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحسِّ ممكِن ، وفَضاء هَذَا مَتَّسِع ، والمجالُ [فيه] مختلف^(١) . فأمَّا الكلامُ على الكلامِ فإنَّه يَدُور على نفسه ، ويَلْتَبِسُ بعضُهُ ببعضِهِ ؛ ولهذا شَقَّ النَّحْوُ وما أَشَبَه النَّحْوَ من النُّطْق ، وكذلك النَّثْر والشُّعْرُ وعلى ذلك .

وقد قال الناس في هذين الفَنَّينِ ضروباً من القول لم يَبْغِدوا فيها من الوصفِ الحَسَن ، والإنصافِ الحمود ، والتنافسِ المقبول ، إلَّا ما خالطَه من التعصُّبِ والتحكِّ ، لأنَّ صاحبَ هذين الخُلُقَينِ لا يَخْلُو من بعضِ الكِبَرَةِ والمغالطةِ وَبَقَدَّرَ ذلك^(٢) يَصِيرُ له^(٣) مَدْخَلٌ فيما يُرادُ تحقيقُه من بيانِ الحجةِ أو قُصُورها^(٤) عما يُرامُ من البلوغِ بها ، وهذه آفةٌ مُعْتَرِضةٌ في أمورِ الدِّينِ والدُّنيا ، ولا مَطْمَعٍ في زَوَالِها ، لأنَّها ناشئةٌ من الطَّبائعِ المختلفةِ ، والعاداتِ السيِّئةِ ، اِكْتَنَى^(٥) مع هذه الشُّوْكةِ الحادَّةِ ، والخُطَّةِ السَّكَّادَةِ^(٦) ؛ أقولُ ما وَعَيْتُهُ عن أربابِ هذا الشَّانِ ، والمُنْتَمِينِ^(٧) لهذا الفنِّ ، وَإِنْ عَنَّ شَيْءٌ لا يكونُ شَكْلاً لذلك وَصَلَتْهُ به تكميلاً للشرحِ ، وأستيعاباً للبابِ ، وَصَمَدًا^(٨) للغايةِ ، وأخذًا بالحِياطةِ ، وإن كان المنتهى منه غيرَ مَطْمُوعٍ فيه ، وَلَا مَوْضُوعٍ إِلَيْهِ ؛ والله المعين .

(١) في ب « يمكن » مكان قوله : « يختلف » .

(٢) في كلتا النسختين : « وبذلك القدر » ، وفي كلتا الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، ويشير « بذلك » إلى ما سبق من الكِبَرَةِ والمغالطة .

(٣) كذا في ب والذي في (١) يصير ذلك . (٤) في كلتا النسختين « وقصور » .

(٥) في (١) « التي » ؛ وهو تحريف .

(٦) في كلتا النسختين « الكبرى » ؛ وهو تحريف . (٧) في (١) والقيمين بهذا

الفنِّ ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضاً . (٨) صمداً للغاية ، أى قصداً إليها .

(٢) قال شيخنا أبو سليمان : الكلام يَنْبَغُ في أوّل مبادئه إمّا مِنْ عَقْوِ البديهة ، وإمّا مِنْ كَدِّ الرّوِيَّةِ ، وإمّا [أَنْ يَكُونَ] مَرْكَبًا مِنْهُمَا ، وفيه قُوَاهُما بالأكثر والأقل ؛ ففضيلة عَقْوِ البديهة أَنَّهُ يَكُونُ أَضْفَى ، وفضيلة كَدِّ الرّوِيَّةِ أَنَّهُ يَكُونُ أَشْفَى ، وفضيلة المَرْكَبِ مِنْهُمَا أَنَّهُ يَكُونُ أَوفَى ؛ وَعَيْبُ عَقْوِ البديهة أَن تَكُونَ صُورَةُ الْعَقْلِ فِيهِ أَقْلٌ ؛ وَعَيْبُ كَدِّ الرّوِيَّةِ أَن تَكُونَ صُورَةُ الْحِسِّ فِيهِ أَقْلٌ^(١) ، وَعَيْبُ المَرْكَبِ مِنْهُمَا بِقَدْرِ قِسْطِهِ مِنْهُمَا : الْأَغْلَبُ وَالْأَضْعَفُ ؛ عَلَى أَنَّهُ إِنْ خَلَصَ هَذَا المَرْكَبُ مِنْ شَوَائِبِ التَّكَلُّفِ ، وَشَوَائِبِ التَّمَسُّفِ ، كَانَ بَلِيغًا مَقْبُولًا رَائِعًا حُلُوًّا ، تَحْتَضِنُهُ الصُّدُورُ ، وَتَحْتَلِسُهُ الْأَذَانُ ، وَتَنْتَهِيهِ الْجَالِسُ ، وَيَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُ بِفَسَدِ الْمُتَنَافِسِ ، وَالتَّنَاضُلِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْبُلْغَاءِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا المَرْكَبِ الَّذِي يُسَمَّى تَأْلِيفًا وَرَصْفًا ؛ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ صُورَةُ الْعَقْلِ فِي [البديهة] أَوْضَحَ ، وَأَنْ تَكُونَ صُورَةُ الْحِسِّ^(٢) فِي الرّوِيَّةِ [أَلْوَحَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ آثَارِ النَّفْسِ وَنَوَادِرِ أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَالتَّدَارُ عَلَى الْعَمُودِ الَّذِي سَلَفَ نَشْئُهُ ، وَرَسَا أَصْلُهُ .

(٣) وَسَمِعْتُ أَبَا عَابِدٍ الْكَرْنَجِيَّ صَالِحَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ : النَّثْرُ أَصْلُ الْكَلَامِ ، وَالنَّظْمُ فَرْعُهُ ؛ وَالْأَصْلُ أَشْرَفُ مِنَ الْفَرْعِ ، وَالْفَرْعُ أَنْقَصُ مِنَ الْأَصْلِ ؛ لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا زَائِنَاتٌ وَشَائِنَاتٌ ، فَأَمَّا زَائِنَاتُ النَّثْرِ فَهِيَ ظَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ جَمِيعَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَكْثَرُ » ؛ وَهُوَ غَلَطٌ مِنَ النَّاسِخِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْبَدِيْهِةِ وَالرُّوِيَّةِ . أَوَّلُ الصَّوَابِ « الْعَقْلُ » مَكَانَ « الْحِسِّ » مَعَ بَقَاءِ كَلِمَةِ « أَكْثَرُ » .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « الْعَقْلُ » مَكَانَ « الْحِسِّ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِيهِمْ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

الناس في أوّل كلامهم يَقْصِدُونَ النَّثْرَ ، وإنما يتعرضون للنَّظْمِ في الثاني بداعية عارضة ، وسبب باعث ، وأمر معين .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أَنَّ الكُتُبَ القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرُّسُل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منشورة مبسوطة ، مُتَبَايِنَةٌ الأوزان ، متباعدة الأبنية ، مختلفة التصاريف ، لا تنقاد للوزن^(١) ، ولا تدخل في الأعاريض ؛ هذا^(٢) أمر لا يجوز أن يُقابله ما يدحضه ، أو يُعترض عليه بما يُخَرِّضُهُ^(٣) .

قال : ومن شَرَفِهِ أيضاً أن الوحدة فيه أظهر ، وأثرها فيه أشهر ، والتكلف منه أبعد ، وهو إلى الصفاء أقرب ، ولا توجد الوحدة غالباً على شيء إلا كان ذلك دليلاً على حُسْنِ ذلك الشيء وبَقَائِهِ ، وبَهَائِهِ ونَقَائِهِ .

قال : ومن فضيلة النَّثْرِ أيضاً كما أنه إلهي بالوحدة ، كذلك هو طبيعي بالبداة ، والبداة في الطبيعيات وحدة ، كما أن الوحدة في الإلهيات بداة ، وهذا كلامٌ خطير .

قال : ألا تَرَى أن الإنسان لا يَنْطَلِقُ في أوّل حاله من لَدُنْ طِفْلُوَّتِهِ إلى زمانٍ مَدِيدٍ إلا بالمشور المتبدّد ، والتميسور المتردّد ؛ ولا يُبْلِغُهُمْ إلا ذاك ، ولا يُبَغِّقُهُمْ إلا بذاك ؛ وليس كذلك المنظوم ، لأنه صناعى ؛ ألا تَرَى أنه داخل في حِصَارِ العروض وأَسْرِ الوزن وتقييد التأليف ، مع تَوَقُّي الكسْر ، واحتمال أصناف الزحاف ، لأنه لما هَبَطَتْ دَرَجَتُهُ عن تلك الرِّبْوَةِ العالية ، دخلته الآفة من كل ناحية .

(١) في كلتا النسختين « للذوق » ؛ وهو تحريف .

(٢) عبارة ب « وهذا الفن » .

(٣) يخرضه ، أى يفسده . وفي ب « يرحضه » ؛ وهو تحريف .

قال : فإن قيل : إن النظم قد سبق العروض بالذوق ، والذوق طباعى ؛ قيل فى الجواب : الذوق وإن كان طباعياً فإنه مخدوم الفكر ، والفكر مفتاح الصنائع البشرية ، كما أن الإلهام مستخدم للفكر ، والإلهام مفتاح الأمور الإلهية . قال : ومن شرف النثر أيضاً أنه مبرأ من التكلف ، مُنزه عن الضرورة ، غنى عن الاعتذار والافتقار^(١) ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتكرير ، وما هو أكثر من هذا مما هو مدون فى كتب القوافى والعروض لأربابها الذين استنفدوا غايتهم فيها .

وقال عيسى الوزير : النثر من قبل العقل ، والنظم من قبل الحس ، وللدخول النظم فى طي الحس دخلت إليه الآفة ، وغلبت عليه الضرورة ، واحتيج إلى الإغضاء عما لا يجوز مثله فى الأصل الذى هو النثر .

وقال ابن طرارة — وكان من فصحاء أهل العصر بالعراق — : النثر كالحررة ، والنظم كالأمة ، والأمة قد تكون أحسن وجهاً ، وأدث شمائل ، وأحلى حركات ؛ إلا أنها لا توصف بكرم جوهر الحررة ولا بشرف عرقها وعتي نفسها وفضل حياتها .

وقال : ولشرف النثر قال الله تعالى فى التنزيل : (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا) ولم يقل : لُؤْلُؤًا مَّنْظُومًا ؛ ونجوم السماء منتثرة وإن كان انتشارها على نظام ، إلا أن نظامها فى حد^(٢) العقل ، وانتثارها فى حد^(٣) الحس ، ”لأن الحكمة إذا غطيت نفسها^(٣) كانت الغلبة للصورة القائمة بالقدرة“ .

(١) فى كلمتا اللسغتين : « والاعتقاد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصول « فى بلد » فى كلا الموضعين ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٣) فى كلا الأصلين « فطنت » ؛ وهو تحريف . وورد بعد قوله « بالقدرة » قوله

« أبلغ » وهى زيادة من الناسخ لا مقتضى لها .

وقال أحمد بن محمد كاتب رُكن الدولة : الكلام المنشور أشبه بالوشى ، والمنظوم [أشبه] بالنثر الخطّ ، والوشى يروق ما لا يروق غيره .
ويقال : كفاً في نثر فلان ، ولا يقال : [كفاً] في نظام فلان .

وقال ابن هندو الكاتب : إذا نظرت في النظم والنثر على أَسْتِعَابِ أحوالهما وشرائطهما ، والأطلاع على هَوَادِيهِمَا وتَوَالِيهِمَا كان أن المنظوم فيه نثر من وجه ، والمنثور فيه نظم من وجه ، ولولا أنهما يَسْتَهْمَانِ هذا النعت لما اختلفا ولا اختلفا .

وقال ابن كعب الأنصارى : من شَرَفِ النثر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق إلا به أمراً ونهيّاً ، ومستخبراً ومخبراً ، وهادياً ووَاعِظاً ، وغاضباً وراضياً ، وما سلب النظم إلا لهبُوطُهُ عن دَرَجَةِ النثر ، ولا نُزْهَ عنه إلا لما فيه من النقص ، ولو تساوى لَنُطِقَ بهما ^(١) ، ولما اختلفا خُصَّ بأشرفهما الذى هو أجولُ في جميع المواضع ، وأَجَلَبُ لكل ما يطلبُ من المنافع .
فهذا قليل من كثير نما يكون تبصرةً لباعى هذا الشأن ، ولَمَنْ يَتَوَخَّى حديثه عند كلِّ إنسان .

- (٤) وأما ما يُفَضَّلُ به النظمُ على النثر فأشياء سمعتها من هؤلاء العلماء الذين كانت سماء علمهم درورا ، وبحر أدبهم متلاطيا ، وروض فضيلهم مزدهرا ، وشمس حكمتهم طالعة ، ونار بلاغتهم مُشْتَعِلَةٌ ، وأنا آتٍ على ما يحضرنى من ذلك ، منسوباً إليهم ، ونحسوباً لهم ، ليكون حقهم به مقضياً ، وذِكْرُهم على مر الزمان طرياً .

قال السلاوى : من فضائل النظم أن صار [لنا] صناعة برأسها ، وتكلم

(١) في كلتا النسختين « عنهما » .

الناس في قوافيها ، وتوسَّعوا في تصاريدها وأعاريفها ، وتصرَّفوا في مجورها ،
 وأطلعوا على عجائب ما أُسْتُخِرَ فيها من آثار الطبيعة الشريفة ، وشواهد
 القدرة الصادقة ؛ وما هكذا النثر ، فإنه قَصُرَ عن هذه الذروة الشاخنة ، والقلة
 العالية ؛ فصار بذلك بذلةً لكافة الناطقين من الخاصة والعامة والنساء والصبيان .
 وقال أيضاً : من فضائل النظم أنه لا يُغنى ولا يُحْدَى [إلا بحمده] ولا يؤهل
 لِلْعَنِّ الطَّنْطَنَةِ^(١) ، ولا يُحَلَّى بالإيقاع الصحيح غيره ، لأن الطَّنْطَنَات والنَقَرَات ،
 والحركات والسكنات لا تتناسب إلا بعد اشتغال الوزن والنظم عليها ، ولو [كان]
 مُفِلٌ [هذا] بالنثر كان منقوصاً ، كما لو لم يُفْعَلْ هذا بالنظم لكان محسوساً ؛
 والغناء معروفُ الشَّرَف ، عجيبُ الأثر ، عزيز [القدَّر] ، ظاهر النفع في معاينة
 الروح ، ومُناغاةِ العقل ، وتنبية النفس ، وأجتلاب [الطَّرَب] وتفريج
 السُّكْر ؛ وإثارة الهِزَّة ، وإعادة العِزَّة ، وإذكاء العهد ، وإظهار النَجْدَة ،
 وأكتساب السَّلَوة ؛ وما لا يُحصى عَدَدُهُ .

ويقال : ما أحسن هذه الرسالة لو كان فيها بيتٌ من الشعر ، ولا يقال :
 ما أحسن هذا الشعر لو كان فيه شيءٌ من النثر ، لأن صورة المنظوم مخفوفة ،
 وصورة المتنور ضائعة .

وقال ابنُ نباتة : من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحُجَج
 لا تُؤخَذُ إلا منه ، أعني [أن] العلماء والحُكَمَاءَ والفُتُحَاءَ والنحويين واللغويين
 يقولون : « قال الشاعر » ؛ و « هذا كثيرٌ في الشعر » ، و « الشعر قد أتى به » ،
 فلي هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة .

وقال الخالغ : للشُعراء حَلْبَة ، وليس للبلغاء حَلْبَة ، وإذا تَنَبَّهت جوائزُ

(١) الطنطنة : حكاية صوت الطنبور وشبهه .

الشُّعراء التي وَصَلَتْ إليهم من الخُلَفاء وولاءِ المُهود والأمراء والوُلاةِ في مقاماتهم المؤرَّخة ، ومجالسهم الفاخرة ، وأنديتهم المشهورة ، وجذبتها خارجةً عن الحُصر ، بعيدةً من الإحصاء ؛ وإذا تَتَبَعْتَ هذه الحالَ لأصحاب النثر لم تجد شيئاً من ذلك ؛ والناس يقولون : ما أكلَ هذا البليغَ لو قرَضَ الشعرُ ! ولا يقولون : ما أشعرَ هذا الشاعرَ لو قَدَّرَ على النثر ! وهذا لِنَفْيِ النّاظمِ عن النَّاثِرِ ، وفَقْرِ النَّاثِرِ إلى النّاظمِ ؛ وقد قدَّمَ الناسُ أبا عليَّ البصيرَ على أبي القيناء ، لأنَّ أبا عليَّ جَمَعَ بين الفَضيلتين ، وضربَ بالسَّيفَيْنِ^(١) في الحومتين ، وفازَ بالقُدْحينِ المُعلَّيْنِ^(٢) في المكاينِ .

وقال لنا الأنصاريُّ : سمعتُ ابنَ ثوابَةَ الكاتب يقول : لو تصفَّحنا [ما صارَ إلى] أصحاب النثر من كُتّاب البلاغة ، والخطباء الذين ذَبُّوا عن الدَّولة ، وتكلَّموا في صنوف أحوالها وفنون ما جَرى الليلُ والنهارُ به ؛ [ثمَّ] فِتَقَ به الرِّثقَ ، ورَتَّقَ به الفَتقَ ، وأَصْلَحَ به الفاسدَ ، ولمْ به الشَّقَّ ، وقُرَّبَ به البعيدَ ، وُبَعَّدَ به القريبَ ، وَحَقَّقَ به [الحقَّ] ، وأَبْطَلَ به [الباطلَ] ، لكان يوفِّي على كلِّ ما صارَ إلى جميع من قال الشُّعرَ ولالك القصيدَ ، ولَهَجَ بالقريضَ ، واستباحَ بالترسُّمة ؛ ووَقَفَ مَوْقِفَ المَظْلومِ ، وأنصَرَفَ انصرافَ المحرومِ ؛ وأين مَنْ يَفْتَخِرُ بالقريضَ ، وَيُدِلُّ بالنَّظْمِ ، وَيُبَاهِي بالبديهة ، من وزير الخليفة ، ومن صاحب السَّرِّ ، ومن ليس بين لسانه ولسان صاحبه واسطة ، ولا بين أُذُنِهِ وأُذُنِهِ حجاب ؟ ومتى كانت الحاجةُ إلى الشُّعراء كالْحاجةِ إلى الوزراء ؟ ومتى قامَ وزير لشاعرٍ للخدمة أو للتَّكْرمة ؟ ومتى قدَّمَ شاعرٌ لوزير

(١) في كلتا النسختين ؛ « وضرب بالسَّيفين في الحرمين » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في كلتا النسختين : « المطين » ؛ وهو تحريف .

على رجاء وتأميل^(١) ! بل لا ترى شاعراً إلا قائماً بين يدي خليفة أو وزير أو أمير
باسط اليد ، ممدود الكف ، يستعطف طالباً ، ويسترحم سائلاً ؛ هذا مع الدّلة
والهوان ، والخوف من الخبيبة والحرمان ، وخطر الردّ عليه في لفظ يُمِرُّ ،
وإعراج يجرى ، واستعارة تعرض ، وكناية تعترض ، ثمّ يكون مقلّياً
مشيناً بما يظنّ به من الهجاء الذي ربما دلّاه في حومة الموت ، وقد برأ الله
تعالى بإحسانه القديم ومنه الجسم صاحب البلاغة من هذا كله ، وكفاه
مؤونة الغدير به ، والضرر فيه .

قال : وكان ابنُ ثوبان إذا جال في هذه الأكناف لا يلحقُ شأوه ، ولا
يُسقُ غبارُه ، ولا يُطعم في جوابه .

قال : وله مناظرات واسعة في هذا الباب مع جماعة من أهل زمانه ناقضوه
وعارضوه ، وكاشفوه وواجهوه ؛ فثبت لهم ، وانتصف منهم ، وأرّبى عليهم ،
ولم يُقلع عن مسالطهم^(٢) ومبالطهم إلى أن نكصوا على أعقابهم ، وراجعوا
ما هو أولى بهم .

(٦) قال أبو سليمان : المعاني للعقولة بسيطة^(٣) في محبوبحة النفس ؛ لا يحومُ
عليها شيء قبل الفكر ، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق
ألقى ذلك إلى العبارة ، والعبارة^(٤) حينئذ تتركب بين وزنٍ هو النظم للشعر ،
وبين وزنٍ هو سياقة [الحديث] ؛ وكلُّ هذا راجعٌ إلى نسبةٍ صحيحة أو فاسدة ،

(١) في كلتا النسخين « على وجه وتأميل » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في ١ « مصالبتهم » ، وفي ب « مصالحتهم » ؛ وما أثبتناه هو أنسب بسياق العبارة .
والمسالطة معروفة . والمبالطة : المجادلة والمنازلة .

(٣) بسيطة ، أي مبسطة .

(٤) في ١ : « إلى السائدة والفائرة » ؛ وهو تحريف .

وصورة حسناء أو قبيحة ، وتأليف مقبول أو ممجوج ، وذوق خلو أو مر^(١) وطريق سهل أو وعر ، واقتضاب مفضل أو مردود ، واحتجاج قاطع أو مقطوع ، وبرهان مسنن أو مظلم ، ومتناول بعيد أو قريب ، ومسموع مألوف أو غريب .

قال : فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفتنا فللنثر فضيلته [التي] لا تُنكر ، وللنظم شرفه [الذي] لا يُجحد ولا يُستَر ، لأن مناقب النثر في مقابلة مناقب النظم ، ومناقب النظم في مقابلة مناقب النثر ؛ والذي لا بد منه فيهما السلامة والدقة ، وتجنب العويص ، وما يحتاج إلى التأويل والتخلص .

(٧) وقد قال بعض العرب : خير الكلام ما لم يُحتج معه إلى كلام .
ووقف أعرابي^٢ على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فارتعج ، وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أبا العرب ؟
قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا مما ليس من كلامنا .

وقال أعرابي آخر :

ما زال أخذهم في النحو يعجني^(٢) حتى سمعت كلام الزنج والرؤم .
وقال أبو سليمان : نحو العرب فطرة ، ونحونا فطنة ؛ فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا ، [أو كانت فطنتنا لهم] مع فطرتهم .

وقال : لما تميزت الأشياء في الأصول ، تلاقت ببعض التشابه في الفروع ، ولما تباينت الأشياء بالطبائع ، تألفت بالمشاكلة في الصنائع ، فصارت من

(١) في ١ : « أو كره » .

(٢) في كلتا النسخين : « يعجني » ؛ وسياق البيت يقتضي ما أثبتنا .

حيث اُفترقت مُجْتَمِعَةٌ ، ومن حيثُ أُجْتَمِعتْ مُفْتَرِقَةٌ ، لتكون قُدْرَةُ اللَّهِ — عَنْـ
وَجَلَّ — آتِيَةً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وحِكْمَتُهُ موجودةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، ومَشِئَتُهُ نافذةٌ
فِي كُلِّ شَيْءٍ .

وقد أُنشِدَ بعضُ الأعرابِ ما يَقْتَضِي هذا المكانُ رَسْمَهُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ
لِمَا نَحْنُ فِيهِ فِي ذِكْرِهِ ووصفه .

قال :

تَأْسِيسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا	مَا ذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ
مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا وَضَعُوا	إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً فِيهِ يَكُونُ لَهَا
وَذَاكَ نَصَبٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ	قَالُوا لَحْنَتْ وَهَذَا الْحَرْفُ مُنْتَعَفِضٌ
وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالَ الْقُرْبُ وَالْوَجَعُ	وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَاجْتَهَدُوا
نَارُ الْجَوْسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ	إِنِّي نَشَأْتُ بِأَرْضٍ لَا تُشْبِ بِهَا
لَكِنْ بِهَا الْهَيْقُ وَالسَّيْدَانُ وَالصَّدْعُ ^(١)	وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخَنَزِيرُ سَاحَتَهَا
مَا تَمَرِّفُونَ وَمَا لَمْ تَمَرِّفُوا فَدَعُوا	مَا كُلُّ قَوْلِي مَعْرُوفٌ لَكُمْ فَخَذُوا
وَأَخْرَيْنَ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طَبِعُوا	كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ أَحْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ
وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً	وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً

فهذا هذا .

(٨) وقال أبو سليمان : البلاغة ضروب : فمنها بلاغة الشعر [ومنها بلاغة الخطابة] ^(٢)

(١) الهَيْقُ : العظيم ، وهو ذِكْرُ التَّعَامِ ، والسَّيْدَانُ : القَتَابُ ، الواحدُ سَيْدٌ بِكسر السين ،
والصَّدْعُ من الوَعُولِ والطَّيَاءِ وَحَرُّ الْوَحْشِ وَالْإِيلُ : الشَّابُّ الْفَتَى .

(٢) لم ترد هذه التكملة في كلتا النسخين ؛ وقد أثبتناها لما سيأتى بعد من الحديث عنها
عند تفصيل هذه الأنواع .

[ومنها بلاغة النثر ، ومنها بلاغة المثل ، ومنها بلاغة العقل] ، ومنها بلاغة البديهة ، ومنها بلاغة التأويل .

قال : فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوهُ مقبولا ، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً ، واللفظ من الغريب بريثاً ، والكناية لطيفة ، والتصريح احتجاجاً ، والمؤانسة موجودة ، والمواءمة ^(١) ظاهرة .

وأما بلاغة الخطابة ^(٢) فأن يكون اللفظ قريباً ^(٣) ، والإشارة فيها غالبية ، والسجع عليها مستولياً ، والوهم في أضعافها ساجحاً ، وتكون فقرها قصاراً ، ويكون ركابها شوارداً إبل .

وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً ^(٤) ، والمعنى مشهوراً ، والتهذيب مستعملاً ، والتأليف سهلاً ، والمراد سليماً ، والرواقع عالياً ، والحواشي رقيقة ، والصفائح مصقولة ، والأمثلة خفيفة المأخذ ، والهوادي متصلة ، والأعجاز مفصلة ^(٥) .

وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضياً ، والحذف محتملاً ، والصورة محضوطة ، والمرعى لطيفاً ، والتلويح كافياً ، والإشارة مغنيية ، والعبارة سائرة ^(٦) .
وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن ، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع

(١) ف ب : والمرامة ، وفي أ : والمراقبة ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٢) في كلتا النسختين « الكتابة » ؛ وهو تحريف ، لما فيه من التكرار ، لأنه سيتكلم فيما بعد عن بلاغة النثر .

(٣) في كلتا النسختين : « غريباً » بالعين ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

(٤) في كلا الأصلين : « متبدلاً » ؛ وهو تحريف .

(٥) في أ « مقضاة » ؛ وهو تحريف .

(٦) ف ب « سافرة » .

اللفظ ، وتقنية الحروف ، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب ، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السنين^(١) ، والمرمى يتلقى بالوهم لحسن الترتيب .

وأما بلاغة البديهة فإن يكون أنحياش^(٢) اللفظ للفظ في وزن أنحياش^(٣) المعنى للمعنى ، وهناك يقع التعجب للسامع ، لأنه يهجم بفهمه على ما لا يُظن أنه يظهر به كمن يعثر بأموله ، على غفلة^(٤) من تأميله ، والبديهة قدرة روحانية ، في جبلة بشرية ، كما أن الرؤية صورة بشرية ، في جبلة^(٥) روحانية .

وأما بلاغة التأويل فهي [التي] تُخرج لعموضها إلى التدبر والتصمغ ، وهذان فيدان من المسوع وجوهاً مختلفة كثيرة نافعة ، وبهذه البلاغة يُتسع في أسرار [معاني] الدين والدنيا ، وهي [التي] تأولها العلماء بالاستنباط من كلام الله عز وجل وكلام رسوله — صلى الله عليه وسلم — في الحرام والحلال ، والحظر والإباحة ، والأمر والنهي ، وغير ذلك مما يكثر ؛ وبها تفاضلوا ، وعليها تجادلوا^(٥) ، وفيها تنافسوا ، ومنها استملوا ، وبها اشتغلوا ؛ ولقد فقدت هذه البلاغة لفقْد الروح كله ، وبطل الاستنباط أوله وآخره ، وجَوَلان النفس واعتصار الفكر إنما يكونان بهذا النمط في أعماق هذا الفن ؛

(١) وردت هذه الكلمة في ا مهمة الحروف من النقط ، وفي ب « السبب » ؛ وهو غير واضح المعنى ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والسنن : الطريق .

(٢) في ب : « اختلاس » ، ولم ندين معناه ؛ ولعله محرف عما أثبتنا .

(٣) في ا ، ب « عقله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، وفي (ا) أيضاً قبل هذه الكلمة قوله : « كمن يعبر بقوله » ، وهو تحريف كذلك .

(٤) في كلتا النسختين « في حلية » ، وهو تصحيف .

(٥) في ب « يحاولوا » ؛ وهو تحريف .

وها هنا تَنَثَّلُ^(١) الفوائد ، وتكثرُ العجائب ، وتَتَلَاخَقُ الخواطر ، وتَتَلَاخَقُ^(٢) المهيم ، ومن أَجْلِهَا يُسْتَعَانُ بِقُوَى^(٣) البلاغاتِ المتقدمة بالصِّفَاتِ المُمَثِّلَةِ^(٤) ، حتى تكون مُعِينَةً ورافدةً في إثارة المعنى المدفون ، وإثارة المرادِ المخزون .
 وأمثلة^(٥) هذه الأبواب موجودة في الكتب ، ولولا ذلك لَرَسَمْتُ في هذا المكان لكل فنٍّ مثلاً وَشَكَّلْتُ شكلاً ، ولو فعلتُ ذلك لَكُنْتُ مُكْرَرًا لما قد سبقَ إليه ، ومتكلفًا ما قد لُقِّنَ من قَبْلِ . على أَنَّ الزُّهْدَ في هذا الشأن قد وَضَعَ^(٦) عَنَّا وعن غيرنا مَوْوَنَةَ الخَوْضِ فيه ، والتعني به ، والتوفُّر عليه ، وتقديمه على ما هو أهمُّ^(٧) منه ، أَغْنَى طَلَبَ القوتِ الذي ليس إليه سبيل إلا يَبِيعَ الدين ، وإخلاصِ المروءة ، وإراقةِ ماء الوجه ، وكَدِّ البدن ، [وتَجَرُّعِ الأُسى ، ومُقاساةِ الحُرقة ، ومَضِّ الحِرمان] ، والصَّبْرِ على ألوانٍ وألوان ؛ وأَلْفِهِ المُسْتَعَانَ .

وقد كان هذا البابُ يُتَنَافَسُ فيه أَوَّانَ كان للخلافةِ بِهِجَّةٌ ، وللنيابة عنها بَهَاءٌ ، وللديانةِ مُعْتَقِدٌ^(٨) ، وللمروءةِ عاشقٌ ، وللخيرِ مُنْتَهِزٌ ، وللصدقِ مُؤَثِّرٌ ، وللأدبِ شُرَاةٌ^(٩) ، وللبيانِ سُوْقٌ ، وللصَّوابِ طالبٌ ، وفي العلمِ رَاغِبٌ ؛ فأما

(١) في أ « تتقابل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في ب « توقي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في أ المشتملة ؛ وهو تحريف .

(٤) يظهر أن هذا وما بعده من كلام المؤلف لا من تنمة كلام أبي سليمان .

(٥) في أ « رصع » ؛ وهو تحريف .

(٦) في أ « أعم » ؛ وهو تحريف .

(٧) في ب « مسد » ؛ وهو تحريف .

(٨) في كلتا النسختين « شارة » ؛ وهو تحريف .

[اليوم] واليدُ عنه ^(١) مقبوضة ، والدَّيْلُ دُونَهُ مشمَّرٌ ، والمَتَحَلَّى بِجَمَالِهِ مَطْرُودٌ ،
والمُبَاهَى بِشَرِّهِ مُبْتَدٍ ، فَمَا يُصْنَعُ بِهِ ، وَلِلَّهِ أَمْرٌ هُوَ بِاللَّهِ .

(١) وقال ابنُ دُأْبٍ : قال لي [ابن] موسى : اجتمعنا عند عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ
فقال : أَيُّ الآدَابِ أَغْلَبُ عَلَى النَّاسِ ؟ فقلنا فَا كَثَرْنَا فِي كُلِّ نَوْعٍ ؛ فقال
عبدُ الملكِ : مَا أَلْأَنَاسُ إِلَى شَيْءٍ أَخْرَجُ مِنْهُمْ إِلَى إِقَامَةِ أَلْسِنَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَعَلَّوْنَ
الْقَوْلَ ، وَيَتَعَلَّطُونَ الْبَيَانَ ، وَيَتَهَادَوْنَ الْحُكْمَ ، وَيَسْتَخْرِجُونَ غَوَامِضَ الْعِلْمِ
مِنْ بَجَائِبِهَا ^(٢) ؛ وَيَجْمَعُونَ مَا تَفَرَّقَ مِنْهَا ؛ إِنَّ الْكَلَامَ فَارِقٌ لِلْحُكْمِ بَيْنَ
الْخُصُومِ ، وَضِيَاءٌ يَجْلُو ظُلْمَ الْأَغَالِيطِ ، وَحَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِمْ إِلَى مَوَادِّ ^(٣)
الْأَغْذِيَةِ .

وقد قال زهير :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

فقلنا : لَمْ يَقُلْهُ زُهَيْرٌ ، إِنَّمَا قَالَ زِيَادُ الْأَنْجَمِ ؛ فقال : لا ، قاله من هو
أَعْظَمُ نَجْرَةً وَأَنْطَقَ لِسَانًا مِنْهُ ^(٤) .

وقال أبو العِيناء : سمعتُ العَبَّاسَ بنَ الْحَسَنِ الْقَلَوِيَّ يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ
[فقال] : كَلَامُهُ سَمِخٌ ^(٥) سَهْلٌ ، كَأَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ

(١) عنه ، أَي عَنْ هَذَا الْبَابِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ ، وَهُوَ التَّأْوِيلُ .

(٢) قِادِجُهَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) قِادِجُ مَوَارِدِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) قِادِجُ قَوْلِهِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) قِادِجُ شَيْخٍ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

سبب ؛ كأنما هو تُخَفَّة^(١) قادم ، ودواء مريض ، وواسطة قلادة .
 ورأيتُ أبا إسحاق الصابي وهو : يَجَب من فَضْلٍ قرأه من كتاب وَرَدَ
 عليه ، وهو : أشعر قلبك يأسَ مجاوز^(٢) السبيل ، مقصّر عن الشوط .
 وقال ابنُ ذَكْوَان : سمعتُ إبراهيمَ بنَ العباس^(٣) الشُّوْلِيَّ يقول : مامعتُ
 كلاماً مُخَدَّنَا أَجْزَلَ في رِقَّة ، ولا أَصْعَبَ في سُهولة ، ولا أَبْلَغَ في إيجاز ، من
 قَوْلِ العباسِ بنِ الأخفَف :

تَعَالَى نُجَدَّدُ دَارِسَ الْعَهْدِ بَيْنَنَا كِلَانًا عَلَى طُولِ الْجَفَاءِ مَلُومٌ
 أَنَاكِسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبْلَ الصَّفَاءِ ظَلُومٌ
 وفي الجملة ، أحسنُ الكلامِ مَارَقَ لَفْظُهُ ، وَلَطَفَ مَعْنَاهُ ، وتَلَاوُها رَوْنَقُهُ ،
 وقامت صورتهُ بينَ نظمٍ كأنه نثر ، ونثرٍ كأنه نظم ، يُطْمِعُ مشهودُهُ بالسَّمْعِ ،
 وَيَمْتَنِعُ مقصودُهُ على الطَّبْعِ ؛ حتَّى إذا رامَهُ مُرْيِغٌ^(٤) حَلَقَ ، وإذا حَلَقَ^(٥)
 أَسَفٌ ، أعنى يَتَبَعْدُ على المُحَاوِلِ بعُنفٍ ، وَيَقْرُبُ من المُتَنَاوِلِ بلُطْفٍ .

وما رأيتُ أَحَدًا تَنَاهَى في وَصْفِ الثَّرِ بِجميع ما فيه وعليه غيرَ قُدَّامَةِ
 ابنِ جَعْفَرٍ في المَنْزِلَةِ الثَّالِثَةِ من كتابه ؛ قال لنا عليُّ بنُ عيسى الوزير : عرضَ
 عليَّ قُدَّامَةُ كتابه سنةَ عشرين وثلاثمائة ؛ واختبرتهُ^(٦) فوجدتهُ قد بالغَ وأَحْسَنَ ،
 وتفرَّدَ في وَصْفِ فنونِ البلاغةِ في المَنْزِلَةِ الثَّالِثَةِ بما لم يشركه فيه أحدٌ من

(١) في « حقه » .

(٢) في ب « مجاوزاً للشك مقصراً عن القنوط » ؛ وهو تحريف .

(٣) في ب « ابنُ ذَكْوَان » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

(٤) في ا « مرغف » ؛ وهو تصحيف . والمرغف : الطالب .

(٥) إذا حلق ، أى المرغف .

(٦) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مهملة الحروف من النقط .

طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبي والمُعيب المجتنب . ولقد
شاكه^(١) فيه الخليل بن أحمد في وضع العروض ؛ ولكنني وجدته حين اللفظ ،
رَكِيكَ البلاغة في وصف البلاغة ، حتى كأن ما يصفه ليس ما يعرفه ،
وكان ما يدل به غير ما يدل عليه . والعرب تقول : [فلان] يدل
ولا يدل ، حكاه ابن الأعرابي ، وهذا لا يكون إلا من غزارة العلم ، وحسن
التصور ، وتوارد المعنى ، وتقدير الطبع ، وتصرف^(٢) القرينة . قال : ولولا
أن الأمر على ما ذكرت لكان ذلك الطريق الذي سلكه والفن الذي
ملكه ، والكنز الذي هجم عليه ، والنمط الذي ظفر به ؛ قد برز في
أحسن معرض ، وتحلى باللفظ كلام ، وماس في أطول ذيل ، وسفر عن
أحسن وجه ، وطلع من أقرب نفق ، وخلق في أبعد أفق .

وابن الراعي يقول كثيراً — وهو شيخ من جلة العلماء ، وله سهم واف
في زمرة البلغاء — : ما أحسن معونة الكلمات القصار ، المشتعلة على الحكم
الكبار ، لمن كانت بلاغته في صناعته بالقلم واللسان ، فإنها توافيه عند الحاجة ،
وتستضجب أخواتها على سهولة ؛ وهكذا مصاريع أبيات الشعر ؛ فإنها تختلط
بالنثر متقطعة وموزونة ، ومنثرة ومنضودة .

قال [لى] ابن عبيد الكاتب : بلغني [هذا الوصف] عن هذا الشيخ ؛
فبلوته بالتتبع فوجدته على ما قال ؛ وما أشبه ما ذكره إلا بالضرورة^(٤) العدة

(١) في (١) « سأل » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلا الأصلين « وتصور » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « وقد برز » والواو زيادة من الناسخ كما هو ظاهر .

(٤) الصرة : كيس الدرام والدنانير ؛ والذي في كلا الأصلين « الجرة » ؛ وهو تحريف

لا يستقيم به الكلام .

عند الإنسان ، لما يحتاجُ إليه في الوقت المهم والأمر المُلِمُّ ؛ فهذا هذا .
فقال — أدام الله دولته ، وكبت أعداءه — : قدّم هذا الباب [فقد
أتى]^(١) على ما لم أظن أنه يؤتَى عليه ويُهتدى إليه — إذا شئت ؛ وأنصرفتُ .

الليلة السادسة والعشرون

ثم قال : وما أمثلةُ الكلماتِ القصارِ التي أوَمَّا إليها ذلك الشيخ ؟
(١) فكان [من] الجواب : إنَّ هذا الباب واسع ، نحو قول القائل : ما خاب من
أستخار ، ولا نديم من أستشار . كلُّ غريزٍ دَخَلَ تحتَ القدرة فهو ذليل .
غَنِمَ من أدبته الحكمة ، وأحكمتَه التجربة . التضامن رائدُ التباين . المرة
ما عاشَ في تجريب .

الدهرُ [يومٌ ويومٌ] والعيشُ عَذْلٌ ولَوْمٌ

* وأكثرُ أسبابِ النَّجاحِ مع الياسِ *

من لم يُقدِّمه حَزَمٌ آخرَه عَجَز . كم مستدرجٌ بالإحسان إليه ، ومُعْتَرٍ
باليُسْرِ^(٢) عليه . الحربُ^(٣) مَثْلَفَةُ العباد^(٤) مُذْهِبَةُ الطَّارِفِ والتَّلَادِ .

* ليس المُقِلُّ عن الزَّمانِ براعى *

من ضاق صدرُه اتَّسعَ لسانه .

* وحسبُك داءٌ أن تصحَّ وتسلم *

(١) هذه التكملة لم ترد في كلا الأصلين ، وسياق الكلام يقتضى إثباتها .

(٢) في كلتا النسختين « بالبسر » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) « الحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (١) العيال ؛ وهو تحريف .

العِيَالُ سُوسُ الْمَالِ . الْمَوْتُ الْقَادِحُ خَيْرٌ مِنَ الزُّمَى الْقَاضِحِ . احذروا
فَقَادَ النَّعَمَ ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ مُرْدُودٌ . خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ
سَمَاعِهِ . الْكَرِيمُ لَا يَلِينُ عَلَى قَسَرٍ ، وَلَا يُقْتَسَرُ عَلَى يُسَرٍ . مَا أَدْرَكَ النَّعَامُ
ثَارًا ، وَلَا نَحَا عَارًا .

* وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ *

* إِنَّ الْمَطَامِعَ فَقْرٌ وَالْغِنَى الْيَأْسُ *

* وَالْأَمْرُ تَحْقِيقُهُ وَقَدْ يَنْمَى *

* [رُبَّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ *

* ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِحِيلَةِ الْأَقْوَامِ]

* وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ *

* وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَانَ لَمْ يُفْعَلْ *

مَنْ عُرِفَ بِالْحِكْمَةِ لَاحِظَتُهُ الْعَيُونُ بِالْهَيْبَةِ . الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ ، إِنَّ
الْمُقْدِرَةَ ^(١) تُذْهِبُ الْحَفِيزَةَ . مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ . زِيَادَةُ
لِسَانٍ عَلَى عَقْلِ خُدْعَةٌ ، وَزِيَادَةُ عَقْلِ عَلَى مَنَظِقٍ هُجْنَةٌ .

* وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْفُضُ *

مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ ، أُعْطِيَ عَدُوَّهُ مُنَاهُ .

* عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهِبُ الْأَحْقَادُ *

إِنْ حَذَرَ صَرَاعَاتِ الْبَغْيِ وَفَلَتَاتِ الْمَزَاحِ .

(١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ لِلْبِيدَائِي ، وَالَّذِي فِي الْأَمْثُولِ « الْظَنَّةُ تَذْهِبُ الْخ » ، وَهُوَ

تَنْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

* ومن يسأل الصُّلوكَ أين مَذَاهِبُهُ *

« المرءُ يَعِجُزُ لا المَحَالَةَ »

ذُلُّ الطالبِ يَقْدِرُ حاجَتِهِ ، إذا أزدَحَمَ الجوابَ خَفِيَ الصَّوابُ . الكريمُ للكريمِ مُجِلٌّ . موتٌ في قُوَّةٍ وعِزٍّ خَيْرٌ من حَيَاةٍ في ذُلٍّ وعِجْزٍ . عدلُ السلطانِ خَيْرٌ مِنْ خِصْبِ الزمانِ . من تَوَقَّى سَلَمٌ ، ومن تَهَوَّزَ نَدَمٌ ، من أَسْرَعَ إلى الناسِ بما يَكْرَهُونَ ، قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ . الضُّرُّ (١) خَيْرٌ من الفَاقَةِ ، عَمَى صامتٌ خَيْرٌ من عَمَى ناطقٍ . رَبُّمَا سَوَّدَ السَّالُ غَيْرَ السَّيِّدِ ، وَقَوَّى غَيْرَ الْأَيْدِ . وهل يَدْفَعُ رَيْبَ اللَّيْتَةِ الْحَيْلُ .

* الموتُ حَتْمٌ في رِقَابِ العبادِ *

كَفَى بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ عُذْرًا ، وَبِرَجَاءِ الْعَفْوِ شَافِعًا . قَلِيلٌ يُوعَى ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُنْسَى ، لَيْسَ عَلَى طُولِ الْخِلْدَمِ (٢) نَدَمٌ ، وَمِنْ وَرَاءِ الْمُرءِ مَا لَمْ يَقْلَمْ . مَرُوءَتَانِ ظَاهِرَتَانِ : الرَّأْسَةُ (٣) وَالْفَصَاحَةُ . مِنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ . لَا تَكْلَفْ مَا كَفَيْتَ ، وَلَا تُضَيِّعْ مَا وَلَيْتَ . احْتَمِلْ مِنْ أَدَلِّ عَلَيْكَ ، وَأَقْبَلْ مِمَّنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

* إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ *

* إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى مَا نَابَهُمْ صَبْرٌ *

لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْأَخْتِلَافُ . لَا عُذْرَ فِي عُذْرٍ . لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ

(١) في كلتا النسختين « الصبر » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الحياة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « الرياش » .

سُرْعَةُ الْعَدْلِ . أَقْبَحُ عَمَلِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِنْتِقَامُ . شَرُّهُ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يُتَمَنَّى لَهُ الْمَوْتُ . مِنْ جَاعٍ جَشِيعٍ . الْمَسْكِينَةُ فِي الْحَرْبِ أَبْلَغُ مِنَ التَّجْدَةِ . لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ، مَا أَصْلَحَ مَثْوَاكَ . مِنْ أَحَبِّ أَنْ يَطَاعَ ، لَا يَسْأَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ ، إِذَا غَلِبَتْكَ نَفْسُكَ بِمَا تَفُنُّ ، فَأَغْلِبْهَا بِمَا تَسْتَيْقِنُ . الرَّدُّ الْجَمِيلُ أَحْسَنُ مِنَ الْمَطْلِ الطَّوِيلِ . الْقَبْرِ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتَوْبَتُهُ أَعْتِزَارُهُ . صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ ، تَوْرَثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ ، لَا كَثِيرٌ مَعَ تَبْذِيرٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ تَقْدِيرٍ . مِنْ صَانَ لِسَانَهُ نَجَا مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .

- * وَلَرَبَّمَا نَفَعَ الْفَتَى كَذِبُهُ *
- * فَمَنْ يَمْدِدُ إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ *
- * إِذَا فَرَعَ الْفَوَادُ فَلَا رُقَادُ *
- * مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ *
- * إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ *
- * إِنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ *
- * إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَّعٌ *

لَا تَبْهَلْ عَلَى أَمَةٍ ، وَلَا تُفَشِّ سِرَّكَ إِلَى أُمَّةٍ . إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ . فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . قَدْ خَاطَرَ مَنْ أَسْتَفَنَى بِرَأْيِهِ . عَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ . الْحَقُّ ظِلٌّ ظَلِيلٌ . الْمُدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ . مُعْدِمٌ وَصُولٌ خَيْرٌ مِنْ مُكْثَرٍ جَافٍ . مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبُورَةُ . مَنْ نَالَ اسْتِطَالَ . فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمٌ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ . الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ النِّقْمَةِ . اللَّبُّ مِصْبَاحُ الْعِلْمِ . مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ ، لَمْ يَأْمَنْ السَّكَبَةُ . إِزَالَةُ الرِّوَاسِي ، أَيْسَرُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ . قَارِبُ النَّاسِ فِي عَقُولِهِمْ ،

تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ، وَتَرْتَعُ فِي حَدَاثَتِهِمْ . عَاشِرُ أَخَاكَ بِالْحُسْنَى . الْحَسَدُ أَهْلَكَ
الْجَسَدَ . خَذْ عَلَى خَلَائِقِكَ مِيثَاقَ الصَّبْرِ . خَيْرُ مَا رُمْتَ مَا يُنَالُ .

* كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي *

[قد يُدِيرُكَ الْمَتَأَنَّى بِعِضِّ حَاجَتِهِ وقد يكون مع المستعجل الزَّلَلُ]
غَمُّ الْفَقِيرِ لَا يَكْشِفُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . خِفَّةُ الظَّهْرِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ . أَصُولُ
الْأَسْقَامِ مِنْ فُضُولِ الطَّعَامِ . طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ . مِنْ عِزِّ النَّفْسِ إِثَارُ
الْقِنَاعَةِ . التَّوَاضُّعُ بِالْفَنَى أَجْمَلُ ، وَالْكِبَرُ بِالْفَقْرِ أَسْمَجُ . مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ
لَمْ يَزَلْ يَخْذُولَا . مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا آتَاهُ طَالَ عَثْبُهُ عَلَى الدَّهْرِ .
عُجْبُ الْقَرْمِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ . الْعِجْزُ وَالْقَوَانِي يُنْتِجَانِ الْفَاقَةَ . إِنْ
صَبِرْتَ صَبَرَ الْأَحْرَارُ ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَ الْأَعْمَارِ . الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ يَنْمُو . مَعَاشَرَةُ
الْإِخْوَانِ تَجْلُو الْبَصَرَ ، وَتَطْرُدُ الْفِكَرَ . لَا تُوحِشُكَ الْغُرْبَةُ مَا أُنِيتَ بِالْكَفَايَةِ ،
فَإِنَّ الْفَقْرَ أَوْحَشُ مِنَ الْغُرْبَةِ . الْغَنَى أُنْسٌ فِي [غَيْرِ] ^(١) الْوَطَنِ . الْغَنَى فِي الْغُرْبَةِ
مَوْصُولُ ، وَالْفَقِيرُ فِي الْأَهْلِ مَضْرُومُ . أَوْحِشُ قَرِينِكَ إِذَا كَانَ فِي إِيجَاشِهِ
أُنْسُكَ . إِذَا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ أَهْلِ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أَعَسَّرْتَ فَأَنْتَ غَرِيبٌ فِي قَوْمِكَ .
مِنْ أَخْلَاقِ الصَّبْيَانِ ، الْإِفْ الْأَوْطَانِ ، وَالْحَنِينُ إِلَى الْإِخْوَانِ . مَنْ لَمْ يَأْنَفْ ،
لَمْ يَشْرُفْ . خَيْرُ الْمَوَدَّةِ مَا لَمْ تَكُنْ حِذَارَ عَادِيَةٍ ، وَلَا رَجَاءَ فَائِدَةٍ . مَنْ حَمَلَ
الْأُمُورَ عَلَى الْقَضَاءِ اسْتَرَاخَ فِي الْإِتْبَالِ وَالْإِدْبَارِ حَتَّى يَنْتَهِيَا . لَوْ أَسْتَحْسَنَ
النَّاسُ مَا أَمَرَ بِهِ الْعَقْلُ اسْتَقْبَحُوا مَا نَهَى عَنْهُ الْعَقْلُ - أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى الْجَوَابِ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها ، ويقوى ذلك الكلمتان
الساوقة واللاحقة .

من لا يَغضب . الكلامُ في وقت السكوت عي ، والسكوتُ في وقت الكلام
خَرَس . ألمٌ يَهْدِمُ البدنَ ، وينغصُ العيشَ ، ويقربُ الأجلَ . الموتُ رقيبٌ
غيرُ غافل . المرءُ نهَبُ الحوادث . إذا تَمَّ العقلُ نقصَ الكلام . هَبْ ما أنكرت
لما عرفت ، وأغفر ما أغضبك لما أَرْضاك . التَّيَّاسُ إحدى الرَّاغِبِينَ . المَطْلُ
أحدُ العذابين . السَّكْطُ مرٌّ ، ولا يتجرَّعه إلا حُرٌّ . الرأى لا يصلحُ إلا بالشرِّكة ،
والملكُ لا يصلحُ إلا بالتفرُّد . من كَبُرَ عنصرُهُ ، حَسُنَ محضَرُهُ .

* وَلَرُبَّ مُطْمَعَةٍ ^(١) تَعُودُ رِيَا حَا *

* وَالْحَدُّ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَمَانِ *

* وَلَكِنْ نَكَءُ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ *

من أزهَرَ بقول ، حَقِيقٌ أَنْ يُشْمَرَ بِفِعْلٍ . السَّلَامُ أَرْخَى للبال ، وأبقى
لنُفُوسِ الرِّجَالِ . حَسْبُكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ غَيْبَكَ مِنْ رُشْدِكَ . التسويفُ
بطاعة الله أَعْتَرَارٌ ، وحياة المرء كالشيء المَعَارِ ^(٢) . من بَدَّلَ بعضَ عنايته لك ،
فاجعل جميعَ شُكْرِكَ له .

* وَلِلْحَرِّ مِنْ مَالِ الْكَرِيمِ نَصِيبٌ *

اليومَ فَعَلَ ، وَغَدًا ثَوَابٌ .

الْخَيْرُ مَخْتَارُ شَيْءِ الْمَطْلَبِ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ كَرِيهِهِ مُجْتَنَبُ

رُبَّ سَكُوتٍ مِنْ كَلَامٍ أَبْلَغُ وَرُبَّ قَوْلٍ مِنْ عَمُودٍ ^(٣) أَدْمَغُ

مَنْ سَلَّمَ النَّاسُ عَلَى ^(٤) لِسَانِهِ أَصْبَحَ مَنْصُورًا عَلَى سُلْطَانِهِ

(١) في (١) « مطمعة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « المعتاد » ؛ وهو تحريف .

(٣) يريد بالسود : القى يضرب به في الحرب .

(٤) على هنا بمعنى من .

من القليل يُجْتَمَعُ الكثيرُ رُبَّ صَغِيرٍ قَدَرُهُ كَبِيرُ
 من باع ما يَفْقَى بما يَبْقَى غَنِمَ وَأَثَرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَى نَدَمٌ
 قد يُحَرِّمُ الرَّاجِي وَيُعْطِي الْقَانِطَ وَيُبْعِدُ الْأَدْنَى وَيُدْنِي الشَّاحِطَ
 من لَمْ يُنْكَ الْبِرَّ^(١) فِي حَيَاتِهِ لَمْ تَبْسُكْ عَيْنُكَ عَلَى وَفَاتِهِ
 الْمَالُ مَا تُنْفِقُ لَا مَا تَجْمَعُ وَالزَّرْعُ مَا تَحْصُدُ لَا مَا تَزْرَعُ
 يَارُبَّ هَزَلٍ كَانَ مِنْهُ الْجِدُّ وَرُبَّ مَزْحٍ كَانَ مِنْهُ الْحَقْدُ
 الْبَحْرُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْفُرَاتِ

فقال — أدام الله أيامه — هذا فنٌّ مُوفٍ على الغاية .

الليلة السابعة والعشرون

وقال — أدام الله أيامه — في ليلة أخرى : كنت أحبُّ أن أسمعَ كلانا^(١)
 في كُنْهِ الْأَتْفَاقِ^(٢) وحقيقته ، فإنه مما يحَارُّ الْعَقْلُ فِيهِ ، وَيَزِلُّ حَزْمُ الْجَازِمِ مَعَهُ ،
 وَأَحَبُّ أَيْضًا أَنْ أَسْمَعَ حَدِيثًا غَرِيبًا فِيهِ ؛ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنْ الرِّوَايَةُ فِي هَذَا
 الْبَابِ أَكْثَرُ وَأَفْشَى مِنَ الْأُطْلَاعِ عَلَى سِرِّهِ ، وَالظُّفَرُ بِمَكْنُونِهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ
 مَا يَتَعَلَّقُ بِالرِّوَايَةِ . قُلْتُ : حَكَى لَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ أَنَّ ثِيوْدُسِيُوسَ^(٣)
 مَلَكَ يُونَانَ كَتَبَ إِلَى كُنْتَسُ^(٤) الشَّاعِرِ أَنْ يَزُوْدَهُ^(٥) بِمَا عِنْدَهُ مِنْ [كَتَبَ]

(١) فِي (١) « مَنْ لَمْ يَبْكِيكَ لَكُنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيدُ بِالْأَتْفَاقِ الْأُمُورَ الَّتِي تَحْدُثُ بِالصَّدَاقَةِ .

(٣) فِي (١) « قَوْمُودُوس » ، وَفِي ب « تُوْدُورَس » ؛ وَالصُّوْبُ مَا أُثْبِتَتْهُ قَلْبًا عَنْ

كُتُبِ الْتَارِيخِ . (٤) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « إِيْنَسُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « أَنْ يَزُوْرَهُ » بِالرَّاءِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

فلسفية ؛ فجمع ماله في عَيْيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وارتحل قاصداً نحوَه ، فلقى في تلك
البادية قوماً من قطاع الطريق ، فطَمَعُوا في ماله ومهْوا بِقَتْلِهِ ، فَنَاشَدَهُمُ اللهُ
أَلَّا يَقْتُلُوهُ وَأَن يَأْخُذُوا مَالَهُ وَيُحْلُوهُ ، فَأَبَوْا ، فَتَحَيَّرَ وَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا يَلْتَمِسُ
مُعِينًا وَنَاسِرًا فَلَمْ يَجِدْ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَمَدَّ طَرْفَهُ فِي الْهَوَاءِ ، فَرَأَى
كَرَّاكِيَّ تَطِيرُ فِي الْجَوِّ مُحَلَّاتَةً ، فَصَاحَ : أَيُّهَا الْكَرَّاكِيُّ الطَّائِرَةُ ، قَدْ أُعْجِزَنِي
لِلْمَعِينِ وَالنَّاسِرِ ، فَكُونِي الطَّالِبَةَ بَدَمِي ، وَالْآخِذَةَ بِثَأْرِي . فَضَحَكَ اللُّصُوصُ ،
وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَذَا أَنْقَضَ النَّاسَ عَقْلًا ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ لَا جُنَاحَ فِي
قَتْلِهِ ؛ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَأَخَذُوا مَالَهُ وَأُقْتَسَمُوهُ وَعَادُوا إِلَى أَمَاكِنِهِمْ ؛ فَلَمَّا اتَّصَلَ
الْحَدِيثُ بِأَهْلِ مَدِينَتِهِ حَزَنُوا وَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَتَبِعُوا أَثَرَ قَاتِلِهِ وَاجْتَهَدُوا فَلَمْ يُبْغِثُوا
شَيْئًا وَلَمْ يَقْبُوا عَلَى شَيْءٍ ؛ وَحَضَرَ الْيُونَانِيُّونَ وَأَهْلُ مَدِينَتِهِ إِلَى هَيْكَلِهِمْ لِقِرَاءَةِ
التَّسَابِيحِ وَالذَّاكِرَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِظَةِ ، وَحَضَرَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ وَأَوْبٍ ، وَجَاءَ
الْقَتْلَةُ وَأَخْتَلَطُوا بِالْجَمْعِ ، وَجَلَسُوا عِنْدَ بَعْضِ أُسَاطِينِ^(١) الْهَيْكَلِ ، فَهَمُّ عَلَى ذَلِكَ
إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ كَرَّاكِيٌّ تَتَنَاضَعِي وَتَصِيحُ ، فَرَفَعَ اللُّصُوصُ أَعْيُنَهُمْ وَوَجَّهَهُمْ إِلَى
الْهَوَاءِ يَنْظُرُونَ مَا فِيهِ فَإِذَا كَرَّاكِيٌّ تَصِيحُ وَتَطِيرُ ، وَتَسَدُّ الْجَوَّ ؛ فَتَضَاحَكُوا ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : هَؤُلَاءِ طَالِبُو دَمِ كُنُتْسِ الْجَاهِلِ — عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِهْزَاءِ —
نَسْمَعُ كَلَامَهُمْ بَعْضُ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ فَأَخَذَهُمْ وَشَدَّ عَلَيْهِمْ ،
وَطَالَبَهُمْ فَأَقْرَأُوا بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُمْ ؛ فَكَانَتِ الْكَرَّاكِيُّ الْمَطَالِبَةُ بِدَمِهِ ، لَوْ كَانُوا
يَتَقُولُونَ أَنَّ الطَّالِبَ لَهُمُ بِالْمُرْصَادِ .

وقال لنا أبو سليمان : إِنْ كُنُتْسُ وَإِنْ كَانَ خَاطِبُ الْكَرَّاكِيِّ فَإِنَّهُ أَشَارَ
بِهِ إِلَى رَبِّ الْكَرَّاكِيِّ وَخَالِقِهَا ، وَلَمْ يُطِلَّ اللهُ دَمَهُ وَلَا سَدَّ عَنْهُ بَابَ إِجَابَتِهِ ؛

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أُسَاطِيرُ » ؛ وَمَوْجُودٌ فِيهِ .

فسبحانه كيف يهَيِّئ الأسباب ، ويفتتح الأبواب ، ويرفعُ الحجابَ بعد الحجاب .
فقال : هذا عَجَب :

قلْتُ : قال لنا أبو سليمان : كلُّ ما جُهِل سبُّهُ من ناحية الحسنِ بالعادة ،
ومن ناحية الطبيعة بالإمكان ، ومن ناحية النفس بالتهيئة ، ومن ناحية العقل
بالتجوير ، ومن ناحية الإله بالتوفيق — فهو متعجوبٌ منه ، معجوزٌ عنه ، مسلمٌ
لن له القدرةُ المحيطة ، والمشيئةُ النافذة ، والحكمةُ البالغة ، والإحسانُ السابق .
ولقد حكى أبو الحسن الفَرَضِيُّ في أمر الاتفاق شيئاً ظريفاً عن بعض إخوانه (٢)
قال : خرجنا إلى بعض المتنزهات ومعنا جرٌّ^(١) نصيدُ به السَّمَانِي ، وكُنَّا جماعة ،
فقال حدثٌ كان معنا — وكان أصغرَنا سناً — : أتم تصيدون بجرٍّ^(١) ، وأنا
أصيدُ بيدي ؛ يقول ذلك على جهة المزح ؛ فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثارَ
سَمَانِي ، فأسرع إليه ونحن لا نعلم أنه أخذ شيئاً ، فقلنا له على طريق العبث :
إحذر الخنزير — من غير أن نكون رأينا خنزيراً — فالتفت فرعاً وفرَّ^(٣)
مؤملياً ، فاتفق له أن رأى خنزيراً منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مُسرِّعاً هارباً من
الخنزير والسَّمَانِي بيده وقد صاده .

وكنْتُ في البادية في صَفَر سنة أربع وخمسين منصرفاً من الحج ومعي^(٣)
جماعةٌ من الصوفية ، فلَحِقْنَا جُهْدٌ من عَوَزِ الْقُوَّةِ وتَعَذُّرٌ ما يُمَسِّكُ الرُّوحَ في

(١) الجرّ : الحبل . وفي نسخة : « بحر » ، وهو الحبل الذي يجرُّ به أيضا .

(٢) وردت هذه السبابة في كلا الأصلين مهملّة أكثر حروفها من النقط ، وما أثبتناه
هو أقرب الوجوه إلى ما في الأصول من الرسم وما يقتضيه السياق من الكلام .

(٣) في الأصل : « وبقى » ؛ وهو تحريف .

حديث طويل — إلا أَنَا وَصَلْنَا مِنْ زُبَالَةٍ^(١) — بالحيلة اللطيفة مِنَّا ، والصَّنْعُ الجميل من اللَّهِ تعالى — إلى شيء من الدقيق ؛ فانتعشتْ أَنْفُسُنَا بِهِ ، وَغَنِمْنَاهُ ، وَرَأَيْنَاهُ نَفْحَةً مِنْ نَفَحَاتِ اللَّهِ تعالى الكريم ؛ فجعلناه زَادَنَا ، وَسِرْرَنَا ؛ فلما بَلَّغْنَا المنزَلَ قَطَعْنَا لِمُنَازِسِ ذَلِكَ الدقيق ، وَلَقَطْنَا البَعَرَ وَدُقَاقَ الحَطَبِ ، فلما أَجْمَعْنَا على العَجْنِ وَالْمَلِكِ^(٢) لم نَجِدِ الحُرَاقَ^(٣) — وَكَانَ عِنْدَنَا أَنَّهُ مَعْنَا ، وَأَنَّنَا قَدْ اسْتَظْهَرْنَاهُ^(٤) — فدخلتْنَا حَيْرَةٌ شديدة ، وَرَكِبْنَا غَمًّا غَالِبًا ، وَسَفَفْنَا مِنْ ذَلِكَ الدقيق شيئًا ، فما سَاغَ وَلَا قَبِلَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، وَبِتْنَا لَيْلَتَنَا طَاوِينَ سَاهِرِينَ ، قَدْ عَلَانَا السَّكَمُ ، وَمَلَسْنَا الرُّجُومَ والأسف ؛ فقال بعضُنَا : هَذَا لَمَّا وَجَدْنَا الدقيق ١٩ وَأَصْبَحْنَا وَرُكْبَنَا قَدْ اسْتَرْخَتْ ، وَعَيُونُنَا قَدْ غَارَتْ ، وَأَحَدُنَا لَا يَحْدُثُ صَاحِبُهُ غَمًّا وَكَرَبًا ؛ وَهَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ قَبْلُ بِزِيَادَةِ حَسْرَةٍ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الدقيق ؛ وقال صَاحِبُنَا لَنَا : نَرْمِي بِجِرَابِ الدقيق [حَتَّى نُلْقِي حِمْلَهُ وَنُقَلِّهِ فِي طَوْلِ هَذَا الطَّرِيقِ] ؛ فقلنا : لَيْسَ هَذَا بِصَوَابٍ ، وَمَا يَضُرُّنَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَا ، فَلَعَلَّنَا أَنْ نَرَى رُكْبَنَا أَوْ نَلْقَى حَطَبًا . وَكَانَتْ الْبَادِيَةُ خَالِيَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِرُغْبِ لَحِقِ قَوْمًا مِنْ بَنِي كَلَابٍ مِنْ جِهَةِ أَعْدَائِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ يَحْتَازُ بِهَا [فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ] غَرِيبٌ . وَبَقِينَا كَذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، وَنَحْنُ نُلَاحِظُ^(٥) وَنُجَاهِدُ فِي الْمَشْيِ ؛ فَلَمَّا كَانَ الْقَضْرُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ أَسِيرُ أَمَامَ الْقَوْمِ أَجْرَهُمْ^(٦) وَأَسْأَلُهُمْ ،

(١) زُبَالَةٌ : بلد بالطريق من الكوفة إلى مكة .

(٢) الْمَلِكُ : إتمام العجن .

(٣) الحُرَاقُ : ما تقع فيه النار عند اقتلاعها من خرق ونحوها .

(٤) قَدْ اسْتَظْهَرْنَاهُ ، أى حملناه معنا فوق أظهرنا .

(٥) فِي كَلْمَا النسختين « نَراجِف » ؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٦) فِي كَلْمَا النسختين « أَجْرَتُمْ » ؛ وهو تحريف .

وكنْتُ كالخاطب^(١) لهم : « إذا عَثَرْنَا بِحُرَاقٍ^(٢) وظَفِرْنَا بِفَتِيلَةٍ » ؛ فَوَجَدُوا خِرْقَةً مَلْفُوفَةً فِيهَا حُرَاقٌ ، فَهَلَّلُوا وَكَبَّرُوا ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ فَقُلْتُ كَالْتَمَعَجَّبُ : مَا الْخَبَرُ ؟ قَالُوا : الْبُشْرَى ؛ قُلْتُ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ خِرْقَةٌ مُلِثْتُ حُرَاقًا ، فَلَا تَسْلُ عَمَّا دَهَانَا مِنَ الْفَرَحِ وَالِاسْتِثْشَارِ ؛ وَثَابَ إِلَيْنَا مِنَ الشَّرُّورِ وَالِارْتِيَاكِ ، وَزَالَ عَنَّا مِنَ الْأَنْخِرَالِ وَالْأُنْكَسَارِ ، وَقَعَدْنَا فِي مَكَانِنَا ذَلِكَ ، وَلَقَطْنَا الْبَحْرَ ، وَأَثَرْنَا الْوُتُودَ ، وَأَجَجْنَا نَارًا عَظِيمَةً ، وَمَلَكْنَا^(٣) الدَّقِيقَ كُلَّهُ مَلَكََةً وَاحِدَةً وَكَانَ أَرْبَعِينَ رِطْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِلَاغِنَا إِلَى الْقَادِسِيَّةِ ؛ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهَا تَلَقَّانَا بَشَرٌ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا لَنَا : كَيْفَ سَلِمْتُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ مَعَ الْعَوَزِ وَالْخُوفِ ؟ قُلْنَا : لَعَلَّ اللَّهَ يُقَرِّبُ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيَسْهِّلُ كُلَّ شَدِيدٍ ، وَيَصْنَعُ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَتَمَجَّبَ الْقَوِيُّ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَجِدُ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيُنْكِرُ هَذَا الْفَضْلَ ، وَيَرْجِعُ إِلَى دِينٍ وَثِيقٍ أَوْ وَاهٍ (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) .
وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَازُونَ الزَّنْجَانِيُّ الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ قَالَ : اصْطَلَحَ رَجُلَانِ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسَافِرَيْنِ : مَجُوسِيٌّ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، وَالْآخَرُ يَهُودِيٌّ مِنْ أَرْضِ جَبِّ^(٤) ؛ وَكَانَ الْمَجُوسِيُّ رَاكِبًا بَغْلَةً لَهُ عَلَيْهَا سَفْرَةٌ^(٥) مِنْ الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَسِيرُ مَرْفُوعًا وَادِّعًا ، وَالْيَهُودِيُّ يَمْشِي بِلا زَادٍ وَلَا نَفَقَةٍ ؛ فَبَيْنَا هَا يَتَحَادَّثَانِ إِذْ قَالَ الْمَجُوسِيُّ لِلْيَهُودِيِّ : مَا مَذْهَبُكَ وَعَقِيدَتُكَ

(١) في (ب) « كالحاجب » .

(٢) في كلتا النسختين « نحن » ؛ وفيه تحريف ونقص ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في الأصل : « ومللنا ... ملة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين « حى » بالهملة ، وهو تصحيف . وحى : مدينة بناحية أصبهان تسمى

الآن شهرستان ، وكان لليهود محلة في طرفها ، فلما خربت حى بقيت محلتهم ، وهى اليهودية .

(٥) في كلتا النسختين : « في سفره » ؛ وهو تحريف .

يا فلان ؟ قال اليهودي : أعتقد أن في هذه السماء إلها هو إله بني إسرائيل ، وأنا أعبدُه وأقدسُه وأضرع إليه ، وأطلبُ فضلَ ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل ، مع صحة البدن ، والسلامة من كل آفة ، والنصرة على عدوي ، وأسأله الخير لنفسى ولمن يوافقنى في دينى ومذهبي ، فلا أعباُ بمن يخالفنى ، بل أعتقد أن من يخالفنى دمه لى يحل ، وحرام على نصرته ونصيحته والرحمة به . ثم قال للجوسى : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتى وما أشتمل عليه ضيىرى ، فخبزنى أنت أيضا عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال الجوسى : أما عقيدتى ورأى فهو أنى أريد الخير لنفسى وأبناء جنسى ، ولا أريد لاحد من عباد الله سوءا ، ولا أتمنى له ضررا ، لا لثوائفى ، ولا لخالفى . فقال اليهودي : وإن ظلمك وتمدى عليك ؟ قال : نعم ، لأنى أعلم أن في هذه السماء إلها خيرا عالما حكما لا تخفى عليه خافية من شىء ، وهو يجزى الحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته . فقال اليهودي : يا فلان ، لست أراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك . قال الجوسى : كيف ذاك ؟ قال : لأنى من أبناء جنسك ، وبشر مثلك ، وترانى أمشى جائعا نصيبا مجهودا ، وأنت راكب وادع مرفقه شعبان . فقال : صدقت ، وماذا تبغى ؟ قال : أطمنى من زادك ، وأحلنى ساعة ، فقد كالت وضعت . قال : نعم وكرامة . فنزل ومد من سفرته وأطعمه وأشبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة يحدثه ؛ فلما ملك اليهودي البغلة وعلم أن الجوسى قد أعيا ، حرّك البغلة وسبته ، وجعل الجوسى يمشى ولا يلحقه ، فناداه : يا فلان ، قف لى وأنزل ، فقد انحسرت وأنتهزت . فقال اليهودي : ألم أخبرك عن مذهبي وخبزتى عن مذهبك ، ونصرته وحقيقته ؟ فانا أريد أيضا أن أحقق مذهبى ، وأنصر رأى وأعتقداى . وجعل يحرك البغلة ، والجوسى يتفقوه على ظلم وينادى : قف

وَيَضُئِبُ^(١) مَا هَذَا وَصَفُهُ أَنْ يُتْرَكَ وَيُرْفَضَ وَيُزَالَ . فَرَحِمَهُ الْجُوسَى ، وَحَمَلَهُ
مَعَهُ حَتَّى وَافَى الْمَدِينَةَ ، وَسَلَّمَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مُحَطَّمًا مُوجِعًا ، وَحَدَّثَ النَّاسَ بِحَدِيثِهِ
وَقِصَّتِهِ ، فَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنْ شَأْنِهِمَا زَمَانًا [طويلا] .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِلْجُوسَى [بَعْدُ] : كَيْفَ رَحِمْتَهُ بَعْدَ خِيَانَتِهِ لَكَ ،
وَبَعْدَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ الْجُوسَى : اِعْتَذَرَ بِحَالِهِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا ، وَدَأَبَ عُثْمَرَهُ
فِي اعْتِقَادِهَا ، وَسَمِعَى لَهَا وَأَعْتَادَهَا ؛ وَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا شَدِيدُ الزَّوَالِ عَنْهُ ، وَصَدَّقْتُهُ
وَرَحِمْتَهُ ، وَهَذَا بَنَى شُكْرَهُ عَلَى صُنْعِ اللَّهِ بِي حِينَ دَعَوْتُهُ عِنْدَ مَا ذَهَانِي مِنْهُ ،
وَبِالرَّحْمَةِ الْأُولَى أَعَانَنِي رَبِّي ، وَبِالرَّحْمَةِ الثَّانِيَةِ شَكَرْتُهُ عَلَى مَا صَنَعَ بِي .

هَذَا كُلُّهُ سَرْدَنَاهُ اسَبَبَ الْأَمْرِ الَّذِي يَبْدُو مِنْ غَيْرِ جَنَانٍ ، وَالْعَارِضِ الَّذِي
يَبْزُزُ مِنْ غَيْرِ تَوْهَمٍ .

وَأَبُو سَلِيمَانَ يَقُولُ : الْأُمُورُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْحُدُودِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْقُوَى النَّفْسِيَّةِ
وَالْبَسَائِطِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْغَرَائِبِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ فَبِالْوَاجِبِ ، مَا كَانَ هَاهُنَا مَأْلُوفٌ لَهُ نِسْبَةٌ
إِلَى الطَّبِيعَةِ ، وَنَادِرٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى النَّفْسِ ، وَبَدِيعٌ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْعَقْلِ ، وَغَرِيبٌ
لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى الْإِلَهِ ؛ وَالْفَلَتَاتُ فِي الْأَحْوَالِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، أَغْنَى مَا يَتَخَلَّلُ
هَذِهِ التَّرَائِبِ .

فَقَالَ [لَهُ] الْبُخَارِيُّ : أَيْقَالَ لِمَا يَصْدُرُ عَنِ الْإِلَهِ فَلْتَةٌ ؟ قَالَ : بِحَسَبِ
مَصِيرِهِ إِلَيْنَا ، وَوَصُولِهِ إِلَى عَالَمِنَا ، لَا بِحَسَبِ صُدُورِهِ عَنِ الْبَارِي ، فَلَيْسَ هُنَاكَ
هَذَا وَ[لَا] مَا يُشَبِّهُهُ ، لِأَنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ لَحِقَتْ الْمَرْكَبَاتِ ، مِنَ الْأَوَائِلِ

(١) فِي (١) وَيَعْقَبُ ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

المُزْدَوِجات^(١)، والثَوَانِي المَكْرَرَات، والثَوَالِث المُحَقَّقَات، والرَّوَابِعُ المَتَمَّمَات،
والخَوَاسِ المَدْبَرَات، والسَّوَادِسُ المَضَاعِفَات، والسَّوَابِعُ الظَّاهِرَات، والثَوَامِنُ
المُعْقَبَات، والتَّوَاسِعُ العَالِيَات، والعَوَاشِرُ الكَامِلَات؛ وما بَعْدَ العَوَاشِرِ دَاخِلٌ
فِي المَكْرَرَات.

قال له البخاريّ مستزيذاً: أكان^(٢) التَّوْفِيقُ مِنَ الاتِّفَاقِ؟ فقال: هما
يتَوَحَّدَانِ مِنْ وَجْهِ، وَيَقْتَرِفَانِ مِنْ وَجْهِ؛ فَوَجْهُهُ تَوَحُّدُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ وَلِيدُ
التَّوْفِيقِ، وَالتَّوْفِيقُ غَايَةُ الاتِّفَاقِ؛ وَوَجْهُهُ ائْتِرَاقُهُمَا أَنَّ الاتِّفَاقَ يَبْزُزُ إِلَى الْحَسَنِ،
وَأَحْبَابِهِ يَشْتَرِكُونَ فِي التَّعَجُّبِ مِنْهُ، وَالِاسْتِطْرَافِ لَهُ؛ وَالتَّوْفِيقُ يُسْتَرُّ عَنْ
الْحَسَنِ؛ وَلِهَذَا لَا تُسَلِّكُ^(٣) مَسَالِكُهُ. وَأَمَّا الْوَفَاقُ وَالْمُوَافَقَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالاتِّفَاقُ
فَتَلَابِسَةُ الْمَعْنَى؛ وَلَسَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى مَسَافَةٌ مُحْصَلَةٌ^(٤) حُسِبَ هَذَا
فِي حَيْزِ هَذَا، وَعُدَّ هَذَا فِي مُجْلَةٍ هَذَا.

وقال — أَبْقَاهُ اللَّهُ وَأَدَامَ أَيْامَهُ — : مَا الْيُمْنُ وَالْبَرَكَةُ؟ وَالْفَالُ وَالطَّيْرَةُ^(٥)
وَأَضْدَادُهَا؟

فكان الجواب: إِنَّ الْيُمْنَ عِبَارَةٌ عَنْ شَيْءٍ يَبْشُرُ بِهِ [وَيُبْتَنَى] ^(٥) وَيُرَادُ؛
وَيَقَالُ: فَلَانٌ مَيِّمُونَ النَّاصِيَةِ، وَمَيْسُورُ النَّاصِيَةِ؛ أَيْ هُوَ سَبَبُ ظَاهِرٍ فِي نَيْلِ
مَأْمُولٍ وَإِدْرَاكِ مَحْبُوبٍ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْيَمِينِ، وَهُوَ الْقُوَّةُ؛ وَلِذَلِكَ يَقَالُ لِلْيَسَارِ:
شِمَالٌ، لِأَنَّهَا أَوْضَعُ مِنْهَا، وَتُسَمَّى أَيْضاً: الشُّؤْمَى. وَيَقَالُ: يُمْنٌ فَلَانٌ عَلَيْهِمْ،

(١) لعله « التوحيّدات ».

(٢) فِي (١) « فَإِنَّ التَّوْفِيقَ »؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ. وَهَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ لَمْ تَرُدْ فِي الْأَصُولِ.

(٣) الَّتِي فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « فَلِهَذَا لَا يَسْأَلُ مَالِكُهُ ».

(٤) فِي (١) « خَاصَّةً ».

(٥) فِي (١) « مَا يَرَادُ وَيُبْتَنَى ».

يا لهذا وأحلى ، ولا تتركنى فى هذا الموضع فإكفى السميعُ وأموت ضياعاً ،
وأزحى كما رحمتك . واليهودى لا يلوى على ندائه وأستغاثته ، حتى غابَ
عن بصره ؛ فلما ينس المجوسى منه وأشقى على الملكة ، ذكرَ اعتقاده
وما وصف به ربه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهى قد علمت أنى اعتقدتُ
مذهباً ونصرتُه ، ووصفتك بما أنت أهلُه ، وقد سمعت وعلمت ، فحق عند
هذا الباغى على ما مجدتك به ، ليعلم حقيقة ما قلت . فما مشى المجوسى إلا
قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة ، وأندقت عنقه ، وهى واقفة ناحية
منه تنتظر صاحبها ؛ فلما أدرك المجوسى بغلته ركبها ومضى لسبيله ، وترك
اليهودى مُعالجاً لكرب الموت ؛ فناداه اليهودى : يا فلان ، إرحنى واحلى
ولا تتركنى فى هذه البرية أهلك جوعاً وعطشاً ، وانصُرْ مذهبك ، وحق
اعتقادك . قال المجوسى : قد فعلت ذلك مرّتين ، ولكنك لم تفهم ما قلت لك
ولم تغفل ما وصفت . فقال اليهودى : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى وصفت لك
مذهبي فلم تصدقنى فى قولى ، حتى حققتَه بفعلى ، وذاك أنى قلت : إن فى هذه
السماء إلهماً خيراً عادلاً لا يخفى عليه شيء ، وهو وليُّ جزاء المحسن^(١) بإحسانه ،
والمسيء بإساءته . قال اليهودى : قد فهمت ما قلت ، وعلمت ما وصفت . قال
المجوسى : فما الذى منعك من أن تتعظ بما سمعت ؟ قال اليهودى : اعتقادُ
نشأت عليه ، ومذهبُ تربيت به ، وصار مألوفاً مُعتاداً كالجيلة بطول الدأب
فيه ، وأستعمال أبينته^(٢) ، اقتداءً بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل ديني
[ومن أهل] مذهبى ، وقد صار ذلك كالأسِّ الثابت ، والأصل النابت ؛

(١) عبارة (١) جزاء المحسنين ويكافئ السيئين .

(٢) أبينته ، أى أصوله التى أبى عليها . وفى (١) « بنته » ؛ وهو تعريف .

وَشَوْمٌ ، وهو ميمونٌ ومشومٌ ؛ جُعِلَ الفِعْلُ على طريقِ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ ،
لأنَّه شيءٌ موصولٌ به من غيرِ إرادته واختيارِهِ . وإنما نزعوا إلى قولهم : فلان
مشومٌ ليكون الفعل واقعاً به — أعنى للسكره — وإلا فهو شائمٌ في الأصل .
ويقال : شائمٌ فلانٌ قومه ، وكذلك يَمَنَّهُمْ ؛ وكأنَّهما قوتان علويتان تصحبان
مزاجين مختلفين ، وإذا أُعتيدَ منهما هذان العَرَضان اللذان يصدران عن
هاتين القوتين العلويتين ، قيل : فلان [كذا] ، وفلان كذا .

وأما البركة فهي التمام والزيادة والرفع ، من حيث لا يوجد ^(١) بالحس
ظاهراً مكشوقاً يُشار إليه ، فإذا عُهدَ من الشيء هذا المعنى خافياً عن الحس
قيل : هذه بركة ، واشتقاقها من البروك ، وهو اللزوم والسعة ؛ ومن ذلك :
البركة . والبركة يوصف بها كلُّ شيء ، وليس لضدّها اسمٌ مشهور ، لذلك
يقال : قليلُ البركة .

وأما القائلُ ففسَّرَ بأنَّه جَرَّيان الذِّكْر الجليل على اللسان مغزولاً عن
القصد ، إيماناً من القائل ، وإيماناً من السامع . وقد سَمِعَ النبيُّ — صلى الله عليه
وسلم — لما نزل المدينة على أبي أيوب الأنصاري — أبا أيوب يقول لغلام
له : ياسالم يا غانم . فقال لأبي بكر : « سَلِمْتَ لَنَا الدَّارُ في غُنى إن شاء الله » . وهذا
مشهورٌ بين النَّاسِ .

وضدُّه الطَّيِّرةُ والإشعار ^(٢) . ويُروى أَنَّهُ نَهَى عن الطَّيِّرة ، وكان

(١) لا يوجد ، أى التمام وما عطف عليه .

(٢) لم نجد في راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا من ذكر الإشعار بهذا المعنى
الذي أراده المؤلف هنا . غير أن المراد به يتضح مما نقلناه عن اللسان في الحاشية الآتية رقم ٣
من صفحة ١٦٤ من قصة عمر مع راي الجمار وتطير الرجل الهبي بما حدث ، فانظرها ثم .

يُحِبُّ الْقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ لَهَا عِلَلٌ رَاتِبَةٌ ، وَلَا أَسْبَابٌ مُوجِبَةٌ ،
وَلَا أَوَائِلُ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَلِهَذَا كُرِهَ الْإِفْرَاطُ فِي التَّطْيِيرِ وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الْقَالَ ،
لَأَنَّهُمَا أَسْرَانُ يَصْحَانُ وَيَبْطُلَانِ ، وَالْأَقْلُ مِنْهُمَا لَا يَمِيزُ مِنَ الْأَكْثَرِ ؛ وَلِلْمَزَاجِ
مِنَ الْإِنْسَانِ فِيهِمَا أَثَرٌ غَالِبٌ ، وَالْعَادَةُ أَيْضًا تُعِينُ ، وَالْوَلُوعُ يَزِيدُ ، وَالتَّحَفُّظُ مِمَّا
هَذَا شَأْنُهُ شَدِيدٌ . وَلَقَدْ غَلَبَ هَذَا حَتَّى قِيلَ : فَلَانٌ مَدَوَّرُ السَّكَبِ ، وَفَلَانٌ
مَشْتُومٌ ؛ وَحَتَّى تَعْدَى هَذَا إِلَى الدَّابَّةِ وَالِدَارِ وَالتَّعْبُدِ ؛ وَكُلُّ هَذَا ظَهَرَ فِي هَذِهِ
الدَّارِ حَتَّى لَا يَكُونَ الْعَبْدُ طُمَأْنِينَةً إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا سُكُونٌ إِلَّا مَعَ اللَّهِ ، وَلَا
مَطْلُوبٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ؛ وَلِهَذَا — عَزَّ وَجَلَّ — يُطْلَعُ الْخَوْفُ مِنْ ثَنِيَّةِ الْأَمْنِ ،
وَيَسُوقُ الْأَمْنُ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَوْفِ ، وَيَبْعَثُ النَّصْرَ وَقَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ ، وَيَأْتِي
بِالْفَرَجِ وَقَدْ أَشْتَدَّ الْبَأْسُ . وَأَفْعَالُ اللَّهِ تَعَالَى خَفِيَّةُ الْمَطَالِيعِ ، جَلِيَّةُ الْمَوَاقِعِ ،
مَطْلُوبَةُ الْمَنَافِعِ ؛ لِأَنَّهُ تَسْرِي بَيْنَ الْغَيْبِ الْإِلَهِيِّ ، وَالْعَيَانِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَكُلُّ ذَلِكَ
لِيَصِحَّ التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَاللِّيَازُ بِهِ ، وَيَعْرَجَ عَلَى كَنَفِ مُلْكِهِ ،
وَيَتَّبِعُوا مَعَانِ^(١) خُلْدِهِ ، وَيُنَالُوا مَا عِنْدَهُ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ .

قَالَ الْوَزِيرُ — كَبِتَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ ، وَبَلَغَهُ مُنَاهُ — : هَذَا كَلَامٌ لَيْسَ عَلَيْهِ
كَلَامٌ ، أَرَى الثُّعَاسَ يَخْطُبُ إِلَى عَيْنِي حَاجَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتَ فَأَجْعَلْ لِي قِرَاءَةً مِنْ
هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ حَدِيثِ الطَّيِّرَةِ وَالْقَالَ وَالْأَتْفَاقِ .

الليلة الثامنة والعشرون

وَعُدْتُ لَيْلَةً أُخْرَى وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْفَنِّ .

منها : عَقَدَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِسَعِيدِ بْنِ عَمْرِو الْجُرَشِيِّ أَيَّامَ التَّرْكِ ، فَقَالَ (١)

(١) المان : المنزل .

سعيد : يا فَتَحُ ، يا نَصْرُ ، خُذَا اللّوَاءَ . فقال هشام : أَعْمَدًا قَلْتَ هَذَا ؟ قال : لا ، ولكنهما غلاماى دَعَوْتُهُمَا . قال هشام : هو الْفَتَحُ وَالنَّصْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وكان ذلك كذاكَ .

وكان عمرُ بنُ الخطّاب — رضى الله عنه — يَغْرِضُ ، فَرَّ بِهِ حَيَّةُ بنُ نَكَّاز ، فقال : لا حاجة لنا فى هذا ، هذا حَيَّةُ وأبوه يَنْكُزُ^(١) .

ورمى رجلُ الجَمَارِ ، فأصابَ صَلَعةَ عمرَ بِمَحْصَاةٍ فَشَجَّهَ . فقال رجل : أَشْعِرْتَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) لا يقوم عمر هذا المَقَامَ أَبَدًا . فكان ذلك كذلك^(٣) .

وخرج رجل ينظر الحسن بن على — صلوات الله عليه — فلقى رجلاً ، فقال له : ما أَسْمُكَ ؟ قال : عِقَال . قال : إِبْنُ مَنْ ؟ قال إِبْنُ عَقِيل . قال : مِنْ بَنِي مَنْ ؟ قال : من بَنِي عُقَيْل . قال عَقَلْتَهُ عَقَلَكِ اللَّهُ .

(٢) هذا الجزء أيُّهَا الشَّيْخُ — أَبَقَاكَ اللَّهُ مَا تَمَتَّيْتُ الْبَقَاءَ — هو الجزء الثانى ،

والثالثُ يَتْلُوهُ ، وَالظَّنُّ الْجَلِيلُ بَكَ ، يَعِدُّنَا بِالْحَسَنِ مِنْكَ ، وقد علمتَ الْفَرَضُ فى جمع هذا كَلَّةٍ والتعب فيه ، وأرجو ألاَّ يَحْبِيبَ الْأَمَلُ ، ولا يَبُورَ الْعَمَلُ ،

(١) يَنْكُزُ ، من النَكَزِ ، وهو لسع الحية بأُتْفَها ، ومنه أخذ اسم هذا الرجل « نَكَاز » كما أن النَكَازَ نوع من أخبث الحيات .

(٢) فى (١) « أَمِ الْمُؤْمِنِ » ؛ وهو تحريف .

(٣) وردت هذه الفصّة فى اللسان مادة شعر ونصّها : « أن رجلاً رمى الجمرات فأصاب صلته بمحجر فسأل الدم فقال رجل أشعر أمير المؤمنين . ونادى رجل آخر يا خليفة ، وهو اسم رجل ، فقال رجل من بني لهب : ليقتلن أمير المؤمنين . فرجع فقتل فى تلك السنة . ولهب قبيلة من اليمن فيهم عيافة وزجر . وتشاءم هذا اللهيب بقول الرجل : أشعر أمير المؤمنين فقال : ليقتلن ، وكان مراد الرجل أنه اعلم بسلان الدم عليه من الشجة كما يشعر الهدى إذا سيق للنحر . وذهب به اللهيب إلى القتل ، لأن العرب كانت تقول للسلوك إذا قتلوا : أشعروا وتقول لسوقة الناس : قتلوا . ولا قال الرجل : أشعر أمير المؤمنين جعله اللهيب قتلاً فيما توجه له من علم العيافة وإن كان مراد الرجل أنه دى كما يدى الهدى إذا أشعر . وحقت طيرته ، لأن عمر رضى الله عنه لما صدر من الحج قتل « والإشعار : الإدماء بطن أو روى أو وجع بمحديدة . اهـ »

وإن كان ذلك لا يخلو من بعض الخلل والزلل . فإذا أخذت بحكم الفضل الذي هو عادتك وديدتك مع الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، فاز قذحي ، وصدق نوثي ، وصح زجري وقالي . حرس الله نفسك ، وصان نعمتك ، وكبت كل عدو لك .

الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

بسم الله الرحمن الرحيم

- (١) أيها الشيخ وصل الله قولك بالصواب ، وفعلك بالتوفيق ، وجعل أحوالك كلها منظومةً بالصلاح ، راجعةً إلى حميد العاقبة ، متألفةً بشوارد الشُّرور ، ووفرَ حظَّك من المدح والثناء ، فإنهما أَلَدُّ مِنَ الشَّهْدِ والسُّلْوَى ، ومدَّ في عمرك لكسب الخير ، وأستدامة النعمة بالشكر ؛ وجعل تلذذك باصطناع المعروف ، وعرفك عواقب الإحسان إلى المُستَحِقِّ وغير المستحق ، حتى تكلف بيت الجليل ، وتشفَّعَ بنشر الأيادي ، وحتى تجدَ طعم الثناء ، وتطربَ عليه طربَ النَّشْوَانِ على بديع الفناء . لا طرب^(١) البرداني على غناء علوة جارية (٢) ابن علويه في درب السلق^(٢) إذا رفعت عقيرتها فغنت بأبيات السُّرُوي^(٣) :

بالورد في وجنتيك من لطمك ومن سقاك المدام لم ظلمك ؟
[خلأك لا تستفيق من سُكْرِ توسعُ شتماً وجفوة خدَمك]
مُعقَّبَ الصُّدُغِ قد ثملتَ فما يمنعُ من لثم عاشيقك فلك ؟

(١) في (١) « ولا طرب » .

(٢) في كلتا النسخين « السلق » ، والياء زيادة من الناسخ . ودرب السلق محلة يخداد .

(٣) في ب « السُّرُوي » بالمعجمة .

[تَجَرُّ فَضْلَ الْإِزَارِ مُنْخَرِقَ النَّفْلَيْنِ قَدْ لَوَّثَ الثَّرَى قَدَمَكَ
أَظْلَى مِنْ حَيْرَةٍ وَمِنْ دَهْشٍ أَقُولُ لِمَا رَأَيْتُ مَبْتَسِمَكَ]
بِاللهِ يَا أَقْحَوَانَ مَضْحَكَهِ عَلَى قَضِيبِ الْعَقِيقِ مَنْ نَظَّمَكَ ؟
وَلَا طَرَبَ ابْنُ فَهْمٍ ^(١) الصُّوفِيُّ عَلَى غَنَاءِ « نِهَايَةِ » جَارِيَةِ ابْنِ الْغَنِيِّ إِذَا
انْدَفَعَتْ بِشَدُوهَا ^(٢) :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأَ بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ
وَدَعَّيْتُهُ وَبَوْدَى لَوْ يُوَدُّعُنِي صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْى لَا أُودَّعُهُ
فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا ضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَتَمَرَّغَ فِي التُّرَابِ وَهَاجَ
وَأَزْبَدَ ، وَتَمَرَّغَ ^(٣) شَعْرَهُ ؛ وَهَاتِ ^(٤) مِنْ رِجَالِكَ مَنْ يَضْبُطُهُ وَيَمْسِكُهُ ،
وَمَنْ يَجْسُرُ عَلَى الدُّنُومِ ، فَإِنَّهُ يَعْصُ بِنَابِهِ ، وَيَنْخِمِشُ بِظُفْرِهِ ، وَيُرْكَلُ بِرِجْلِهِ
وَيَخْرَقُ الرِّقْعَةَ قِطْعَةً قِطْعَةً ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ [فِي سَاعَةٍ] ، وَيَخْرُجُ فِي
الْعَبَاءَةِ ^(٥) [كَأَنَّهُ] عَبْدُ الرَّازِقِ الْجَنُّونِ صَاحِبُ الْكَيْلِ فِي جِيرَانِكَ بِيَابِ الطَّاقِ .
وَلَا طَرَبَ ابْنُ غِيلَانَ الْبَزَازِ عَلَى تَرْجِيَعَاتِ « بَلَّوْرَ » جَارِيَةِ ابْنِ الْيَزِيدِ
الْمَوْلُفِ بَيْنَ الْأَكْبَادِ الْحَرَقَةِ ، وَالْمُحْسِنِ إِلَى الْقُلُوبِ الْمُتَصَدِّعَةِ وَالْعَيُونِ الْبَاكِیَةِ
إِذَا غَنَّتْ .

(١) فِي لِسَانَةِ « ابْنِ قَتْمِ » .

(٢) فِي (١) « لَتَشْدُوهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « وَتَعْرِفُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي .

(ب) مَطْمُوسَتِ الْحُرُوفِ تَتَعَذَّرُ قِرَاءَتُهُمَا .

(٤) فِي (١) « وَهَابُ وَجَالِكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ كَمَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) غَيْرِ

وَاضِحَةٍ .

(٥) فِي (١) « الْحَكَايَةُ » وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةً الْحُرُوفِ فِي « ب » ، وَلَعَلَّ

صَوَابُ الْكَلِمَةِ مَا أَثْبَتْنَا بِدَلِيلٍ مَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ « وَيَخْرَقُ الرِّقْعَةَ » الْح .

أعطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ ما دُمْتَ تُعَذِّرُ بالشَّبَابِ
وَأَنْتُمْ بِأَيَّامِ الصَّبِيِّ وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي

فإنه إذا سمع هذا منها أنقلبت سحاليق عينيّه ، وسقطَ مَشْشَا عليه ، وهاتِ
الكَافُور وماء الورد ، وَمَنْ يقرأ في أذنه آيةَ الكُرْمِيِّ والمعوذتين ، ويرُقّ في
بَهِتًا شَراهِيا^(١) .

ولا طربَ أَبِي الوَزيز الصوفي [القاطن] في دار القطن^(٢) عند جامع المدينة على
« قَلَمِ القُضِييَةِ »^(٣) إذا تَنَاقَأتْ^(٤) في استهلالها ، وتضاجرت^(٥) على ضَجَرَتِها ،
وتذكَرتْ شجوها الذي قد أضناها وأنضأها ، وسلبها منها^(٦) وأنساها إياها^(٧) .
ثم أندفعتْ وغنّتْ بصوتها المعروف [بها] .

أقولُ لها والصَّبِيحُ قد لاحَ نورُهُ كما لاحَ ضَوْؤُهُ البَارِقُ المتألّقي
شَبِيهَكَ قد وَاثَى وُحان^(٨) افتراقنا فهل لك في صَوْتِ رِطْلٍ مُرَوِّقٍ

(١) هيا شراها كلمة عبرانية معناها يأسى ياقيوم كما في الصباح وفي القاموس مادة شره .
أشهر إهيا بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها الأزل الذي لم يزل والناس يظنون ويقولون
أهيا شراها وهو خطأ على ما يزعمه أحبار اليهود .
(٢) في كلتا النسختين القطن ؟ والذي وجدناه في محلات بغداد دار القطن لا القطن ،
والإيه ينسب البارقطي .

(٣) القضيية نسبة إلى القضيبي الذي توقع به .
(٤) في (١) «تتاوت» وفي ب «تبارت» ، وهو تحريف في كلتا النسختين ، والصواب
ما أثبتنا كما يدل عليه الكلام الآتي بعد ، وتناوأت أي تناقلت وتظاهرت بالإعياء والتعب من
نساء بالجل ينوء .

(٥) وتضاجرت على ضجرتها أي تظاهرت بالضجر زيادة على ما فيها منه ، وفي كلتا
النسختين وتماطرت مكان قوله وتضاجرت وهو تحريف لا معنى له . وفي (١) على صخرتها ،
وهو تحريف أيضاً .

(٦) سلبها منها نظير قول المؤلف في وصف بعض الفطمان المقتنين (س ١٧٥ سطر ٣
من هذا الجزء) «يسرقك منك» .

(٧) أنساها إياها أي أنساها نفسها . (٨) في ب «وحار» ؛ وهو تحريف .

أورجاء لمنتظر ، أو حزنٍ على حالٍ ، وهذه أحوالٌ معروفة ، والناسُ [منها] على جديلة^(١) معهودة .

ولا طرب ابن غسان البصري المتطّيب إذا سمع ابن الرقاء يُغنى :
وحياة من أهوى فاني لم أكن أبدا لأخلف كاذباً بحياته
لأخالفن عواذلي في لذتي ولأسعدن أخى على لذاته
وابن غسان هذا مليح الأدب ، وهو الذي يقول في ابن نصر العامل
— وقد عاجله من علة فلم يتفقده ولم يقض حقه — :

هَبِ الشعراءَ تُعْطِيهِمْ رِقَاعاً مُزَوَّرَةً كَلَاماً عن كلام
فَلِمَ صِلَةُ الطَّيِّبِ تَكُونُ زُوراً وَقَدْ أَهْدَى الشِّفَاءَ مِنَ السَّقَامِ
عَجِبْتُ لِمَنْ نَمَتَهُ^(٢) أَرْضُ لُؤْمٍ وَبُخْلِ لِمَ يُعَدُّ مِنَ الْكِرَامِ
أُسْبِتَ إِلَى السَّاجَةِ لَا شَيْءَ سِوَى نُقْصَانِ لُؤْمِكَ فِي اللَّثَامِ

عنى بها أنه من أصهبان^(٣) ، وكان آخر حديث ابن غسان ما عرفته^(٤) ،
فإنه غرق^(٥) نفسه في كِرْدَابِ^(٦) كلواذى ، وذلك لأسباب تجمعت عليه من صفَر
اليد ، وسوء الحال ، وجربٍ أكل بدنه ، وعشقٍ أحرَقَ كبده على غلام
(الأميدى الخلاوى) بباب الطاق ، وحيرة عَزَبَ معها عقله ، وخذله رأيه ، ومَلَكه
حينه ، ونَسَأَلُ الله حسنَ العُقْبَى بِدَرْكِ المُنَى ، وليس للإنسان من أمره شيء ،

(١) الجديلة : الطريقة . (٢) في (١) « نموت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يشير إلى شهرة أهل أصهبان بالبخل .

(٤) في ب « علته » .

(٥) في (١) « عرف » ؛ وهو تصحيف .

(٦) في (١) كردان بالنون ؛ وهو تحريف . والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء
وهي وسط البحر وبلجة التي يدوم عليها الموج . وهي بالميم ، ولعل العرب كانوا ينطقونها بالكاف

قالت حياتي في الذي قد ذكرته وإن كنت قد نَفَّصْتَهُ بالتفريق
ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قضائه في الكرخ وِرْدَائِهِ الْمُحَسَّنَى، وكميهِ
الْمُعْذَرِينَ^(١) ووجنتيه المتخلجَتَيْنِ^(٢)، وكلامه الفخْم، وإطراقه الدائم؛ فإنه يَغْمِزُ
بالحاجب إذا رأى مِرْطَا^(٣)، وأمل أن يُقْبَلَ خِذَا وَفُرْطَا^(٤)؛ على غناء شُفْلَةٍ :
لا بد للشقاق من ذكر الوطن واليأس والسَّلْوَةِ من بُعد الحزن
وقيامته^(٥) تقوم إذا سمعها ترجع في لحنها

لو أن ما تبتليني^(٦) الحادثات به يلتقى على الماء لم يُشْرَب من السكدر
فهناك ترى شَيْبَةً قد أبتلت بالدموع، وفؤاداً قد نَزَا^(٧) إلى اللهاء، مع
أسفٍ قد ثَقَب القلب، وأوْهَن الرُّوح، وجاب الصَّخْر^(٨)، وأذاب الحديد،
وهناك ترى والله أحداق الحاضرين باهتة، ودموعهم متحدرة، وشبهتهم قد علا
رَحْمَةٌ لَهُ، ورقَّة عليه، ومساعدة لحاله، وهذه صُورَةٌ [إذا] أَسْتَوَلَتْ على أهل مجلس
وَجَدَتْ لها عَدْوَى لا تُمَلِّك، وغاية لا تُدْرِك، لأنه قلما يخلو إنسان من صبوة
أو صباية، أو حسرة على فائت، أو فكري في مُتَمَتَّى، أو خوف من قَطيعَة،

(١) كنا في كلتا النسخين ولعله من التقدير في الثوب، أي الزيادة والفضل؛ وهو
دخيل كما يظهر لنا إذ لم نجد في أي لدينا من كتب اللغة، غير أن ذلك مستعمل في بعض بلاد مصر
ويطلقون عليه الفساد بفتح الفاء أي الزيادة أو لعل صوابه: «المفزين» بالزاي المشددة،
أي المشغوفين فإن شق الكمين لا يزال معروفاً حتى اليوم في أقبية أهل العلم والقضاء.
(٢) التخلجان، أي للضطربان المرتشتان ويكون ذلك من الضعف وكبر السن.
(٣) الرط من ملايس النساء معروف. وفي كلتا النسخين «شرطا»؛ وهو تحريف
إذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٤) في كلتا النسخين «وفرطا» بالفاء؛ وهو تصحيف.
(٥) في (أ) و«قيامه يقوم». ووردت هذه البارة في «ب» غير واضحة الحروف.
(٦) في (أ) «تتأني»؛ وهو تحريف.
(٧) في (أ) «نزل»؛ وهو تحريف.
(٨) جاب الصخر: قطعه.

وما هو آئض^(١) إليه فهو مملوك عليه ، يُصَرِّقُهُ فيما يُصَرِّقُ فَيُظَنُّ أَنَّهُ أَتَى مِنْ قِبَلِهِ ،
ولعمري مَنْ غُلِّطَ غَلِطَ ، ومن غُولِطَ غَالِطٌ ، والكلام فى هذا غاش^(٢) والإغراقُ
فيه مُوسوسٌ ، والإعراض^(٣) عنه أَجْلَبُ للأنس ، وما أحسنَ ما قال القائل :
إذا استَغْفَيْتُ مِنْ أَسْرِ اللَّيَالَى تُصَرِّقُنِي فَأُسْرِى فِى خَلَاصِى^(٤)
ولولا طَيْش^(٥) القَلَمِ وَتَسَحُّبُ الْخَاطِرِ ، وَشُرُودُ الرَّأْيِ ، مَا عَثَرْتُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ
وَلَا عَلِقْتُ بِهَذَا الْحَبْلِ ، نَم .

وَلَا طَرَبَ ابْنُ نُبَاتَةَ الشَّاعِرِ عَلَى صَوْتِ الْخَاطِفِ إِذَا غَنَّتْ .
تَلْتَهِبُ الْكَفُّ مِنْ تَلْهِبِهَا وَتَحْشُرُ الْعَيْنُ إِنْ تَقَصَّاهَا
كَأَنَّ نَارًا بِهَا مَحْرُومَةٌ^(٦) تَهَابُهَا^(٧) مَرَّةً وَتَغْشَاهَا
نَاخِذَهَا تَارَةً وَتَأْخُذُنَا فَتَحْنُ فُرْسَانَهَا وَصَرَاعَهَا
وَلَا طَرَبَ ابْنُ الْعَوْدَى^(٨) إِذَا سَمِعَ غَنَاءَ تَرْفٍ^(٩) الصَّابِئَةِ فِى صَوْتِهَا ، عِنْدَ
نَشَاطِهَا وَمَرَجِّهَا ، وَهَوَاهَا حَاضِرٍ ، وَطَرَفُهَا إِلَيْهِ نَازِرٍ :

(١) آئض ، أى راجع .
(٢) فى (١) « حاش » بالحاء والشين المعجمة ؛ وفى « ب » حاس بالحاء والسين المهملة ؛
ولم نجد لواحدة منهما معنى يناسب السياق ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٣) فى كلتا النسختين : « والإفراج » ؛ وهو تحريف .
(٤) ورد هذا البيت فى (١) هكذا :
إذا استعقب رقى من ليالى تصرقي فأسرني فى خلاصى
وفيه تحريف ظاهر .

(٥) فى (١) « طفس » ؛ وهو تحريف .
(٦) حرث النار : حركها . وفى كلتا النسختين « محرشة » بالشين ؛ وهو تصحيف .
(٧) فى (١) « شهابها » ؛ وهو تحريف .
(٨) لعله نسبة إلى العود من بنى أسد . والثنى فى كلتا النسختين ابن العودى بالهمزة
المهملة ، ولم نجد هذه النسبة فى راجعناه من كتب الأنساب .
(٩) ن (١) « عرفت » ؛ وما أثبتناه عن « ب » وهو الأرجح أن يكون من أسمائهن .

لَبَّ الهوى كلما دَعَاكَ ولاح في الحبِّ من لحَاكَ
 مَن لَامَ في الحبِّ أَوْنَهَا فزده في غَيْبِكَ أَنُهَاكَ
 إِن لم تكن في الهوى كذاكَ نال^(١) لذاته سِوَاكَ
 ولا طَرَبَ المعلمُ غلامَ الحُصْرَى شيخَ الصُّوفِيَةِ إِذا سمعَ ابنَ بُهلولٍ يَغْنَى في
 رَحْبَةِ المسجدِ بعدَ الجمعةِ وقد خَفَّ الزحَامُ :

وقال لي العَذُولُ تَسَلَّ عنها فقلتُ له : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟
 هِيَ النَفْسُ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا فَكَيْفَ أَزُولُ عَنْهَا وَأُحُولُ ؟
 ولا طَرَبَ ابْنُ الغَازِي عَلَى جَارِيَةِ العَمَى^(٢) فِي مَجْلِسِهَا الْغَاصِّ بِبَنَاءِ النَّاسِ
 بَيْنَ السُّورَيْنِ^(٣)

يَلْعَى ، وَلَوْ أَرْقَهُ مِيعَادُ أَوْ رَاعَهُ الْإِعْرَاضُ وَالْإِبْعَادُ
 أَوْ هَرَّهَ الْأَعْدَاءُ وَالْحُسَادُ أَوْ سَلَقَتْهُ الْأَلْسُنُ الْحِدَادُ
 مَا^(٤) لَامَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فُؤَادُ

ولا طَرَبَ ابْنُ صُبَيْرٍ^(٥) الْقَاضِي قَبْلَ الْقَضَاءِ عَلَى غَنَاءِ دَرَّةٍ جَارِيَةِ أَبِي بَكْرٍ
 الْجَرَّاحِيِّ فِي دَرْبِ الزَّعْفَرَانِيِّ الَّتِي لَا تَقْعُدُ فِي السَّنَةِ إِلَّا فِي رَجَبٍ ، إِذَا غَنَتْ :
 لَسْتُ أَتَى تِلْكَ الزِّيَارَةَ لَمَّا طَرَقْتُنَا وَأَقْبَلْتُ تَتَشَّى
 طَرَقْتُ ظَبِيَّةَ الرُّصَافَةِ لَيْلًا فَهِيَ أَحْلَى مِنْ جَسَّ عُودًا وَغَنَّى

(١) في كلتا النسختين : « فَإِنْ بَدَاكَ » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) في كلتا النسختين « عَمَى » بدون ألف ولا م ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا ، والعَمَى نسبة إلى العم بطن من تميم .

(٣) بين السورين : محلة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالها وأعمرها وقد وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بعد قوله « العَمَى » . واللائق إثباتها في هذا الموضع .

(٤) في « ب » « من لام » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا ضبط هذا الاسم بالمبارة في شرح القاموس .

كم ليالٍ بِنْتنا نَلَدُ ونَلْهُو ونُسْقَى شرابنا ونُفْنَى
 هجرتنا فما إليها سَبِيلٌ غيرَ أنا نقولُ : كانت وكُنّا
 وإذا بلغت « كانت وكُنّا » رأيتَ الجَنِبَ مَشْقُوقًا ، والدَّيْلَ مَحْرُوقًا ،
 والذَّمَّعَ مُنْهَمَلًا ، والبالَ مُنْخَذِلًا ، ومكتومَ السَّرِّ في الهوى باديا ، ودليلَ العِشْقِ على
 صاحبه مُناديا .

ولا طربَ ابنَ حَجَّاجِ الشاعرِ على غناءِ قِنْوَةِ البَصْرِيةِ ، وهى جارتُه (١)
 وعَشِيقَتُه ، وله معها أحاديثٌ ، ومع زوجها أعاجيبٌ ؛ وهناك مكائِداتٌ ، ورُمى
 ومُعايرَاتٌ ، وإنشاءَ نِكاتٍ ؛ إذا أنشَدَتْ :

يا لَيْتَنِي أَحْيَا بَقْرِيَهُمُو فَإِذَا فَقَدْتُهُمُ أَنْقَضَى عُمرِي
 ثُمَّ ثَنَّتْ بِصَوْتِهَا (٢) الْآخِرَ :

هَيْبَنِي أَمْرًا إِمَّا بَرِيئًا ظَلَمْتِهِ وَإِمَّا مُسِيئًا تَابَ بَعْدُ فَأَعْتَبَا
 فَكُنْتُ كَذِي دَاءٍ تَبَغَّى لِدَاءِهِ طَيِّبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَلَّبَا

ولا طربَ ابنَ معروفَ قاضِي القِضاةِ على غِناءِ عُلَيَّةِ إِذَا رَجَعْتَ لِحَنِهَا فِي
 حَلْقِهَا الْحَلُو (٣) الشَّجِي بِشعرِ ابنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

أُنِيرِي مَكَانَ الْبَدْرِ إِنْ أَفَلَ الْبَدْرُ وَقَوِي مَقَامَ الشَّمْسِ مَا أَسْتَأَخَرَ الْفَجْرُ
 فَعِيكَ مِنَ الشَّمْسِ الْمُتِيرَةِ نُورُهَا وَلَيْسَ لَهَا مِنْكَ الْحَاجِرُ وَالْثَغْرُ (٤)
 ولا طَرَبَ ابنَ إِسْحاقَ الطَّبْرِيَّ على صَوْتِ [دُرَّة] البَصْرِيَّةِ إِذَا غَنَّتْ :

(١) في (١) جارتُه ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) صَوْتِهَا .

(٣) هنا كلمة مطبوعة في (١) قبل هذه الكلمة .

(٤) في (١) « والثغر » .

يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مُقْتَبِسٌ نَارًا
قامَ ببابِ الدارِ مِنْ زَهْوِهِ ما ضَرَّه لو دَخَلَ الدارا
لو دَخَلَ الدارَ فَكَلَّمْتُهُ بِحَاجَتِي ما دَخَلَ الثَّارا
نَفْسِي فِدَاهُ الْيَوْمَ مِنْ زَائِرٍ ما حَلَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ سَارَا

ولا طَرَبَ ابْنَ الْأَزْرَقِ الْجَرَجَرَائِيَّ عَلَى غِنَاءِ سُندُسَ جَارِيَةِ ابْنِ يَوْسُفَ
صَاحِبِ دِيْوَانِ السَّوَادِ إِذَا تَشَاجَعَتْ وَتَدَلَّلَتْ ، وَتَقَنَّطَتْ ^(١) وَتَقَنَّطَتْ ، وَتَكَسَّرَتْ
وَتَبَسَّرَتْ ، وَقَالَتْ : أَنَا وَاللَّهِ كَسَلَانَةٌ مَشْغُولَةٌ الْقَلْبَ بَيْنَ أَحْلَامٍ أَرَاهَا رَدِيشَةً ،
وَبَحَّتْ ^(٢) إِذَا أَسْتَوَى التَّوَى ، [وَأَمَلٍ] إِذَا ظَهَرَ عَثَرٌ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

مَجْلِسُ صَبَّيْنِ عَمِيدَيْنِ لَيْسَا مِنَ الْحُبِّ بِمُجْلَوَيْنِ
قَدْ صَيَّرَا رُوحَهُمَا وَاحِدًا وَاقْتَسَمَاهُ بَيْنَ جِسْمَيْنِ
تَنَازَعَا ^(٣) كَأَسَا عَلَى لَذَّةٍ قَدْ مَزَجَاهَا بَيْنَ دَمْعَيْنِ
الْكَأْسُ لَا تَحْسُنُ إِلَّا إِذَا أَدْرَتْهَا بَيْنَ مُحِبِّينِ

ولا طَرَبَ ابْنَ سَمْعُونَ [الصُّوفِيَّ] عَلَى ابْنِ ^(٤) بَهْلُولٍ إِذَا أَخَذَ الْقَضِيبَ وَأَوْقَعَ ^(٥)
بَيْنَانَهُ الرَّخْصَ ، ثُمَّ زَلَزَلَ الدُّنْيَا بِصَوْتِهِ النَّاعِمِ ، وَغَنَّتِ الرَّخِيمَةُ ، وَإِشَارَتُهُ الْخَالِبَةُ ،
وَحَرَكَتُهُ الْمَدْغَدُغَةُ ^(٦) ، وَظَرْفُهُ الْبَارِعُ ، وَدِمَائَتُهُ الْحُلُوءَةُ ، وَغَنَّى :

- (١) تَقَنَّطَتْ ، أَيْ تَلَوَتْ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « وَتَقَبَّلَتْ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
سِيَاقُ مَا هُنَا ، وَلَعَلَّ صَوَابَهُ مَا أَتَيْنَاهُ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ : « وَتَقَنَّطَتْ » أَيْ تَنَتَّ فِي مَشِيَّتِهَا .
(٢) فِي (١) « وَنَجِيبٌ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْمُوسَةٌ فِي (١) .
(٤) عَلَى ابْنِ بَهْلُولٍ ، أَيْ عَلَى غِنَاءِ ابْنِ بَهْلُولٍ .
(٥) فِي (١) « وَرَفَعٌ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٦) الدَّغْدَغَةُ وَالزَّغْزَغَةُ كِلَا اللَّفْظَيْنِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَقَدْ اسْتَعَارَهَا هُنَا لِمَا يَلِيزُ ذَلِكَ مِنْ
مَعْنَى الْحَفَّةِ وَالسَّرُورِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ .

ولو طابَ لي غَرَسٌ لطابتْ ثمارُهُ ولو صحَّ لي غَيْبٌ لصَحَّتْ شهادتي
تَزَهَّدْتُ في الدنيا وإني لراغِبٌ أرى رَغْبَتِي ممزوجةً بزهادتي
أيا نفسٍ ما الدنيا بأهلٍ لِحُبِّها دَعِيها لأقوامٍ عليها تَعَادَتِ
ولا طرب ابن حَيَوِيَّه^(١) على غلام^(٢) الأمراء إذا غَنَّى :

قد أشهدُ الشاربَ المَعْدَل^(٣) لا معسوفُهُ مُنْكَرٌ ولا حَصْرُ
في فِتْنَةٍ لَيْسَ المَازِرِ لا يَنْسَوْنَ^(٤) أَخْلَافَهُمْ^(٥) إذا سَكروا
وغلامُ الأمراء هو الذي يقول فيه القائل :

أبو العباس قد حَجَّ وقد عاد وقد غَنَّى
وقد مَلَقَ عَنَّا^(٦) فهذا هُمُ كما كُنَّا

وأصحابنا يَسْتَمْلَعُونَ قوله (هُمُ) هاهنا ، وَيَرَوْنَهُ من العيِّ الفصيح .
'ولا طَرَبَ أبى سُلَيْمَانَ المنطقيُّ إذا سَمِعَ غِناءَ هَذَا العَيِّ الموصليِّ النابغ الذي
قد قَتَلَ الناسَ ومَلَأَ الدنيا عِيَارَةً^(٧) وخَسَارَةً ، وافتضح به أصحابُ النسلِ والوقار ،
وأصنافُ الناسِ من الصُّغار والكبار ، بوجهه الحَسَن ، وثغره المُبْتَسِم ، وحديثه
السَّاحِر ، وطَرَفه القاتِر ، وقَدَّهُ المَدِيد^(٨) ، وَلَقِظَه الحُلُو ، ودَلَّهُ الخُلُوب ، وتمنَّعه

(١) في (١) « حيوية » بالميم ، وهو تحريف .

(٢) على غلام ، أى على غناء غلام .

(٣) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين بالبدال المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٤) ورد هذا البيت في (١) أكثر حروفه مهملة من النقط .

(٥) في (ب) « أحلامهم » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) العَنَّا طيل كان يلقه الخنثون وأصحاب الغناء في أعناقهم . والذي في (أ) « وقد عائق غبارا » .

(٧) العيارة : تخلية المرء نفسه وهوأها لا يردعها ولا يزرعها .

(٨) في (١) المدير ؛ وهو تصحيف .

المطيع، وإطاعه الممتنع^(١) وتشكيكه في الوصل والهجر، وخلطه الإباء بالإجابة، ووقفه بين لا ونعم . إن صرّخت له كنى ، وإن كُنيت له صرّح ؛ يسرقك منك ، ويردك عليك ، يعرفك منكراً لك ، وينكرُكَ عارفاً بك ؛ خاله حالات ، وهدايته ضلالات ، وهو فتنة الخاضر والبادي ، ومُنْيَة^(٢) السائق والهادي ؛ في صوته الذي هو من قلائده :

عرفت الذي بي فلا تلحنى فليس أخو الجهل كالعالم
وكنْتُ أخوفهُ بالدُّعا^(٣) وأخشى عليه من المائم
فلو كنتُ أبصرتُ مثلاً له إذا لمتُ نفسي مع اللائم
فلما أقامَ على ظلمه تركتُ الدُّعاءَ على الظالم

ولا طَرَبَ أبى عَبْدِ الله البَصْرِيَّ على إيقاع ابن العَصْبِيِّ إذا أوقعَ بقضيبه
وغنى بصوته :

أَنَسِيتَ الوَصْلَ إِذْ بَدَأْنَا بنا على مَرَقَدٍ وَرَدِ
وَاعْتَنَقْنَا كَوَاشِحَ وَانْتَهَضْنَا نَظْمَ عَقْدِ
وَتَعَطَّفْنَا كَفُضْنَيْنِ قَدَّانَا^(٤) كَقَدَّ

وبسبب^(٥) هذا ونظائره عابه^(٦) الواسطيُّ ، وقدَحَ في دينه ، وألصقَ به الرِّيْبَةَ^(٧) ، وأستحلَّ في عِرْضِهِ الغِيْبَةَ ، ولقَّبه بالمنفّر عن المذهب ، وقاطع الطريق على المُسْتَرَشِد .

(١) في كلتا النسخين «المتع» بالتاء ؛ وهو تصحيف ، وما أثبتناه هو مقتضى سياق الكلام .

(٢) في (١) وفنة ؛ وهو تبديل من الناسخ لتكرره مع ما قبله .

(٣) كذا في «ب» . والذي في (١) ولست أخوفه باللقا ؛ والمعنى عليه غير مستقيم .

(٤) في (١) «قعدا» ؛ وهو تحريف . (٥) في (١) وليست ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) «بناية» ؛ وهو تصحيف . (٧) في (١) «الزينة» ؛ وهو تصحيف .

ولا طَرَبَ ابن الورَّاقِ على رَوْعَةٍ^(١) جارية ابن الرُّمَيْيِّ في الرِّصَافَةِ
إِذَا غَنَّتْ :

وَحَقٌّ مَحَلٌّ ذِكْرُكَ مِنْ لِسَانِي وَقَلْبِي حِينَ أَخْلُو بِالْأَمَانِي
لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَغْبِطُ كُلَّ عَيْنٍ تَعَايَنُهَا فَتَسْعَدُ بِالْعِيَانِ

ولا طَرَبَ السُّنْدَوَانِي^(٢) على ابن الكَرْخِي إِذَا غَنَّى :

هَجَرْتَنِي ثُمَّ لَا كَلِمَتِي أَبْدَأُ إِنْ كُنْتُ خُفْتُكَ فِي حَالٍ مِنْ الْحَالِ
فَلَا أَنْجَيْتُ نَجِيًّا فِي خِيَانَتِكَ وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهُ^(٣) عَلَيَّ بِالِ
فَسَوْغِنِي الثَّمَنِي كَمَا أُعِيشَ بِهَا ثُمَّ أَحْبَسِي الْبَذْلَ مَا أَطْلَقْتَ آمَالِي
أَوْ أَبْعَثِي تَلْفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلِي إِلَى مِنْكَ بِإِحْسَانٍ وَإِجَالِ

ولا طَرَبَ الحَرِيرِيُّ الشَّاهِدَ على خَلِيَّةٍ جارية أَبِي عَائِذِ الكَرْخِي « إِذَا
أَخَذَتْ فِي مَزَارِهَا »^(٤) ، وَاشْتَعَلَتْ بِنَارِهَا وَغَنَّتْ :

قَالَتْ مُبَلِّغَتُهُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا^(٥) سُبْحَانَ خَالِقِنَا مَا كَانَ أَوْفَاكَ
وَعَدْتَنَا مَوْعِدًا ثَابِتًا^(٦) لَنَا عَجَلًا وَقَدْ مَضَى الْحَوْلُ عَنَّا مَا رَأَيْنَاكَ
إِنْ كُنْتَ ذَا غَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا مَرَضٍ أَوْ كُنْتَ ذَا خُلَّةٍ أُخْرَى عَدْرُنَاكَ
وَلَا طَرَبَ أَبِي سَعِيدِ الصَّائِغِ على جَارِيَتِهِ ظُلُومٌ إِذَا قَلَبَتْ لِحْنَهَا إِلَى حَلْقِهَا
وَاسْتَنْزَلَتْهُ^(٧) مِنَ الرَّأْسِ ، ثُمَّ أَوْقَعَتْ فَعَنَّتْ :

(١) في (ب) زوعة ؛ وهو تحريف . وروعة من أسماءهن .

(٢) في (أ) السنودي . وفي (ب) : « السودي » . ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعناه من كتب الأنساب ولعل الصواب ما أثبتناه والسندياني نسبة إلى السندية وهي قرية
بنوحي بغداد (٣) في (أ) مني ؛ وهو تحريف .

(٤) كذا وردت هذه العبارة التي بين هاتين العلامتين في كلا الأصلين ؛ ولم تتبين معنا
ولعله تحريف صوابه « إذا خلعت من عذارها » .

(٥) كذا في ب والذي في (أ) أكبرها ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) يفتاننا ؛ وفي (أ) فتأتنا ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٧) عبارة « أ » واسترسلت من الرأس .

فِيَالِكِ نَظْرَةً أَوَدَّتْ بِعَقْلِي وَغَادَرَ سَهْمَهَا مِنِّي جَرِيحَا
 فَلَيْتَ مَلِيكَتِي جَادَتْ بِأُخْرَى وَأَعْلَمَ أَنَّهَا تَنفِكَ الْقُرُوحَا
 فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ بِهَا شِفَاؤِي وَإِنَّمَا أَنْ أَمُوتَ فَأَسْتَرِيحَا
 وَلَا طَرِبَ الزُّخْرَى^(١) عَلَى خَلُوبٍ جَارِيَةٍ أَبِي أَيُّوبَ الْقَطَّانِ إِذَا أَهَلَّتْ
 وَأَسْتَهَلَّتْ ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

إِذَا أَرَدْتُ سُلوًا كَانَ نَاصِرَكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ
 فَأَكْثَرُوا وَأَوَقَلُّوا مِنْ إِسَاءَتِكُمْ^(٢) فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدَرِ
 وَضَعْتُ خَدِي لِأَدْنَى مَنْ يُطِيفُ بِكُمْ حَتَّى احْتَقَرْتُ وَمَا مِثْلِي بِمَحْتَقَرٍ
 وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ شَيْخُنَا إِذَا سَمِعَ هَذَا جُنَّ وَاسْتَغَاثَ ، وَشَقَّ الْجَنِيبَ
 وَحَوْلَقَ^(٣) وَقَالَ : يَا قَوْمُ أَمَا تَرَوْنَ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، مَا يَكْفِيهِ أَنْ يَفْجُرَ
 حَتَّى يَكْفُرَ ؟ مَتَى كَانَتِ الْقَبَائِحُ وَالْفَضَائِحُ وَالْعُيُوبُ وَالذُّنُوبُ^(٤) مَحْمُولَةً عَلَى
 الْقَدَرِ ؟ وَمَتَى قَدَّرَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَقَدَّنَهِيَ عَنْهَا ، وَلَوْ قَدَّرَهَا كَانَ قَدَرُ رَضَى
 بِهَا ، وَلَوْ رَضَى بِهَا لَمَّا عَاقَبَ عَلَيْهَا ، لَعَنَ اللَّهُ الْغَزَلَ إِذَا شِيبَ بِمِجَانَةٍ ، وَالْمِجَانَةَ
 إِذَا قُرِنَتْ بِمَا يَقْدَحُ فِي الدِّيَانَةِ . وَرَأَيْتُ أَبَا صَالِحٍ الْهَاشِمِيَّ يَقُولُ لَهُ : هَوِّنْ عَلَيْكَ
 يَا شَيْخَ ، فَلَيْسَ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَا تَنْظُنُّ ، الْقَدَرُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَتَعَلَّقُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَجْرِي بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ سِرُّ اللَّهِ الْمَكْتُومُ ، كَالْعِلْمِ^(٥) الَّذِي يَحِيطُ

(١) كَذَا فِي (ب) وَالَّذِي فِي (أ) الزُّنْدَرِيُّ . ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ نَجِدْ هَذِهِ النِّسْبَةَ
 فِيهِ رَاجِعًا مِنْ كُتُبِ الْأَنْسَابِ

(٢) فِي (أ) « مِنْ أَسَى بِكُمْ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) حَوْلَقَ ، أَيُّ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالْفِعْلِ .

(٤) فِي (أ) « مِنَ الذُّنُوبِ » .

(٥) هَذِهِ الْكَافُ سَاقِطَةٌ مِنْ (أ) .

بكل شيء ؛ وكل ما جاز أن يحيط به علم جاز أن يجرى به قدر ، وإذا جاز هذا جاز أن ينشره خبر ، وما هذا التضيق والتحارج في هذا المكان ، والشاعر يهزل ويجد ؛ ويقرب ويبعد ، ويصيب ويخطئ ، ولا يؤاخذ بما يؤاخذ به الرجل الديان ، والعالم ذو البيان .

ولا طرب ابن التهدي على جارية بنت خاقان المشهورة بقولة إذا غنت :
 أروع^(١) حين يأتي الرسول وأكمد^(٢) حين لا يأتي الرسول
 أو ملكم^(٣) وقد أثقت أني إلى تكذيب آمل أول
 ولا طرب أبي طاهر بن المقنى^(٤) المدل على علوان^(٥) غلام ابن عرس فإنه
 إذا حضر وألقى إزاره ، وحل أزواره ، وقال لأهل المجلس : اقترحوا وأسفتحوا
 فإني ولدكم بل عبداً لكم لأخدمكم^(٦) بغنائى ، وأتقرب إليكم بولائى ، وأساعدكم^(٧)
 على رخصى وغلائى ؛ من أرادنى مرةً أرذته مرات ، ومن أحببني رياء أحببته
 إخلاصاً ، ومن بلغني بلغت به ؛ لم أنجل عليكم بمحسني^(٨) وطرقي ، ولم أنفس^(٩)
 بهما عليكم ، وإنما خلقت لكم ، ولم أغاضبكم^(١٠) وأنا آملكم غدا إذا بقل^(١١)

(١) في كلتا اللسختين « أودع » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وأكره » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) ابن النبي ، وهو تحريف ؛ إذ لم نجد هذه النسبة فيما راجعناه من معجمات النسب .

(٤) في (١) « علون » ، وهو تحريف .

(٥) في (١) « لقدمكم » وفي ب « أفديكم » وما أثبتناه هو ما كتبه المصحح في ب في

حاشية الصفحة .

(٦) في (١) « وأشاعركم » ، وهو تحريف .

(٧) في (١) « تجسى » ، وهو تحريف .

(٨) أنفس بهما عليكم ، أى أضن .

(٩) في ب « أعاصيك » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٠) في (١) « بقل » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف . وبقل وجه السلام ، أى

خرجت لحيته .

وَجَنِي ، وَتَدَلَّى سِبَالِي ، وَوَلَّى جَمَالِي ، وَتَكَسَّرَ خَدْيِي ، وَقَعَّوَجَ قَدْيِي ، مَا أَصْنَعُ ؟
 حَاجَتِي وَاللَّهِ إِلَيْكُمْ غَدَا أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِكُمْ إِلَى الْيَوْمِ ، لَعَنَ اللَّهُ سُوءَ الْخَلْقِ ، وَعُسْرَ
 الطَّبَاعِ ، وَقَلَّةَ الرِّعَايَةِ ، وَأَسْتَحْسَنَ الْغَدْرِ . فَيَمُرُّ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا يَبْقَى مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَيَنْبِضُ عِرْقُهُ ، وَيَهْشُ فُؤَادُهُ ، [وَيَذُ كُوطْمَعُهُ]
 وَيَفْسِكُهُ قَلْبُهُ ، وَيَتَحَرَّكُ سَاكِئُهُ ، وَيَتَدَغْدَغُ رُوحُهُ ^(١) ، وَيُومِي إِلَى بَقُولَتِهِ ،
 وَيَعْمِزُهُ بَطْرَفُهُ ، وَيَخْصُهُ بِتَحِيَّةٍ ، وَيَعِدُّهُ بِعَطِيَّةٍ ، وَيُقَابِلُهُ بِمَدْحَةٍ ، وَيَضْمَنُ لَهُ
 مَنَحَةً ، وَيَعُوِّدُهُ بِلِسَانِهِ ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَى أَقْرَانِهِ ، وَيَرَاهُ وَاحِدَ أَهْلِ زَمَانِهِ ؛ يَهْرَى
 ابْنُ الْمُتَقَنِّي وَقَدْ طَارَ فِي الْجَوِّ ، وَخَلَقَ فِي الشُّكَاكِ ^(٢) ، وَلَقَطَ بِأَنَامِلِهِ التُّجُومَ ؛
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بَفَرَحِ الْهَشَاشَةِ ^(٣) ، وَمَرَحِ الْبَشَاشَةِ ^(٤) ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرُونَ
 اخْتِيَارِي ^(٥) ، وَأَيْنَ فَرَاسَتِي مِنْ فَرَاسَةِ غَيْرِي ، أَيْ اللَّهُ لِي إِلَّا مَا يَزِينُنِي ،
 وَلَا يَشِينُنِي ، وَيَزِيدُنِي فِي جَمَالِي ، وَلَا يَنْقُصُنِي مِنْ حَالِي ؛ وَيُقِرُّ عَيْنِي وَلُجِّي ، وَيَقْصِمُ
 ظَهْرَ عَدُوِّي ؛ هَاتِ يَا غَلَامُ ذَلِكَ الثَّوبَ الدِّيْقِي ^(٦) ، وَذَلِكَ الْبُرْدَ الشُّطْوِي ^(٧) ،
 وَذَلِكَ الْفَرُوجَ ^(٨) ، وَتِلْكَ الشُّكَّةَ ^(٩) ، وَتِلْكَ الْمَطْيِيَّةَ ، وَابْتَخُورَ الْمَذْخَرَ فِي
 الْحَقَّةِ ^(١٠) ، وَهَاتِ الدِّيْنَارَ الَّذِي فِيهِ مِائَةٌ مِثْقَالٍ أَهْدَاهُ لَنَا أُمْسُ أَبُو الْعَلَاءِ الصَّيْرَفِيُّ

- (١) الدغدغة والزغزغة كلاهما بمعنى واحد ، والمراد هنا انبساط الروح وهشاشته .
 (٢) الشكاك : الجو . وفي (١) الشكاك بالشين المعجمة وفي ب « السكال » باللام في آخره
 وهو تحريف في كلتا النسختين .
 (٣) في (١) « السياسة » مكان « الهشاشة » ، وهو تحريف .
 (٤) في (١) « أخباري » ، وهو تصحيف .
 (٥) الدِّيْقِي من دق الثياب ، منسوب إلى قرية بمصر كان ينسج فيها اسمها ديق .
 (٦) الشطوي نسبة إلى شطا قرية بمصر كانت تنسج فيها هذه الثياب .
 (٧) الفروج قباء فيه شق من خلفه .
 (٨) في « ب » « الشكة » ، وهو تحريف ، والسك : ضرب من الطيب معروف ، ولد
 ذكره صاحب نهاية الأرب في الجزء الثاني عشر الطبعة الأولى وذكر كيفية عمله وتوسع
 في ذلك فأنظره . (٩) في (١) « مع الحققة » وقوله « مع » خطأ من الناسخ .

فإنه يكفيه لنفقة أسبوع ؛ ما أحسن سِكَته ، وأخلى نَفْسه ! ما رأيتُ في حُسْنِ
 أَسْتِدَارَتِهِ شَيْهاً^(١) ، وَصَجِّلْ لَنَا يَا غَلامُ ما أَدْرَكَ عِنْدَ الطَّبَّاخِ ، من الدَّجَاجِ
 والقِرَاحِ ؛ والبوارِدِ^(٢) والجُوزِيَّاتِ^(٣) وتَرايِنِ المائدة ؛ وَصِلْ ذلك بِشراءِ أَقْراطٍ^(٤)
 وَجُبْنِ^(٥) وَزَيْتُونٍ من عند كَبَلِ^(٦) البَقَالِ في الكَرَنخِ ، وقِطائِفِ حَبَشِ ، وفالوُدْجِ
 عُمَرُ ، وفَقَّاعِ^(٧) زُرَيْقِ ، ومُحَلَّطِ^(٨) خُراسانِ من عِنْدِ أَبِي زُنْبُورِ ، ولو كُنَّا نَشْرَبُ
 لَقُلْنَا : وشَرابِ صَرِيفِينَ^(٩) مِنْ عِنْدِ ابْنِ سُوَيْرٍ^(١٠) ، وَلَكِنْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُخْضِرَ
 بِسَبِّكُمْ وَمَنْ أَجْلِكُمْ فَلَيْسَ فِي الْفُتُوَّةِ أَنْ أَمْنَعَكُمْ مِنْ أَرِيكُمْ^(١١) . بِ : بِ ثِقَلِ رُوحِي
 وَقِلَّةِ مُسَاعِدَتِي ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّهَادَةَ ، فَقَدْ حَجَبْتَنِي عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ وَإِرَادَةٍ ؛
 وَمَا أَعْرِفُ فِي الْقَدَالَةِ ، إِلَّا قَوْتَ الطَّلَبَةِ^(١٢) وَالْعُلَّالَةِ .

وما أَحْسَنَ ما قَالَ مَنْ قال :

ما القَيْشُ إِلَّا فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ فَإِنْ تَوَلَّى فُجْنُونَ الْمُدَامِ
 هَذَا كُلُّهُ يَمُرُّ وما هو أَشْجَى مِنْهُ وَأَرْقُ ، وَأَعْجَبُ وَأَظْرَفُ ، ثُمَّ يَنْدَبِعُ
 عَلْوَانٌ وَيَغْنَى فِي أَيْبَاتِ بَشَّارِ :

(١) في كلتا النسختين « شَيْهاً » .

(٢) في ب « والنواد » . ولعل المراد بالبوارِد ما يؤكل من الأطعمة بارداً .

(٣) الجوزيات أنواع من الأطعمة تصنع من الجوز . وفي كلتا النسختين والجوزيات ،
 وهو تحريف . (٤) في كلتا النسختين « قِراط » ، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق ،
 ولعل صوابه ما أثبتناه ، والأقراط جمع قرط بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهو نوع من الكراث
 يقال له كراث المائدة . (٥) في (١) و « خبز » ، وهو تحريف .

(٦) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين ولم نثني وجه الصواب فيه بعد طول
 المراجعة والبحث . (٧) الفقاع ، شراب يتخذ من الشعير .

(٨) محلط خراسان طعام يصنع من أنواع شتى .

(٩) صريفين : من قرى بغداد تنسب إليها الخمر . (١٠) لذا ورد هذا الاسم

في كلتا النسختين . (١١) في ب « من قدسكم » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(١٢) في كلتا النسختين « الطينة » ، وهو تحريف .

ألا يا قومُ خلّوني وشاني فلستُ بتاركِ حُبِّ الغواني
 نهوني يا عبيدةً عن هواكم فلم أقبلْ مقالةً من نهائي
 فإن لم تُسعِفْ فَعِدِي وَمَنِّي خداعاً لا أموتُ على بيانٍ^(١)
 ولا طرب أبي سعيد الرقيّ على غناء مذكورة إذا اندفعت وغنت :
 سررتُ بهجرتك لما علمتُ بأنّ لقلبك فيه سروراً
 ولولا سرورك ما سرتني ولا كان قلبي عليه صبوراً
 ولكن أرى كل ما ساءني إذا كان يرضيك سهلاً يسيراً
 ولا طرب ابن مَيَّاس على غناء حَبَّابة جارية أبي تمام إذا غنت :
 صدَدْنَا كَأَنَّا لَا مودَّةَ بَيْنَنَا على أنّ طَرْفَ العين لا بُدَّ فاضِحُ
 ومدَّ إلينا الكاشِحون عُيونَهُمْ فلم يَبْدُ مقاً ما حوته الجوانحُ
 وصاحفتُ من لاقيتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوى مِنِّي لَن لا^(٢) أَصَافِحُ
 وجَبَّابةٌ هذه كانت تنوح أيضاً ، وكانت في النوح واحدة لا أخت لها ،
 والناسُ بالعراق تهالكوا على نوحها ، ولولا أني أكره ذِكْرَهُ لَرَقَعْتُ الحديثَ
 به . وقدِمَ مِن شاش^(٣) خُرَّاسانَ أبو مُسْلِمٍ — وكان في مرتبة الأُمراء —
 فاشتراها بثلاثين ألفَ درهمٍ معزّية^(٤) ، وخرج بها إلى المشرق ، فقيل : إنها لم
 تعيش به إلا دونَ سنٍّ لكمدٍ لحِقَها ، وهوى لها ببغداد ماتت منه .

(١) بيان بكسر الباء : مصدر بابنه أي فارقه ، أي لا أموت على قطيعة وفرقة .

(٢) عبارة (١) : « مني لم أصافح » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسختين : « ساس » . بمهملتين ؛ وهو تصحيف . والشاش بمعجمتين :

قرية بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون .

(٤) في (١) : « حرية » ؛ وفي (ب) : « غزيرة » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين

لأن لم نجد ذلك فيما راجعناه من الكتب المؤلفة في النقود ، ولعل صوابه ما أثبتنا . والمعزّة
 نسبة إلى معز الدولة البويهی .

ورأيتُ لها أختاً يُقال لها صَبَابَةٌ ، وكانت في العُسن والجمال فَوْقَهَا ، وفي الصَّنعة والحِذْق دونها ، وزَلَزْتُ هذه بغدادَ في وَقْتِهَا ، ولم يَكُنْ للنَّاسِ غيرُ حديثِها ، لنوادرِها ، وحاضِرِ جوابِها ، وحِدَّةِ مزاجِها ، وسُرْعَةِ حركِتها ، بغير طيش ولا إفراط ، وهذه شمائلُ إذا اتَّفَقَتْ في الجَواري الصانعاتِ المُحسِناتِ خَلْبَنَ العقول ، وَخَلَّسْنَ القلوب ، [وَسَعَّرْنَ الصُّدُورَ] ، وَعَجَّلْنَ بِمُشَاقَقَتِنَا إِلَى القُبُورِ . ولا طَرَبَ الكِنَانِي المَقْرئُ الشَّيخُ الصالحُ على غِناءِ هذه ^(١) في صَوْتِهَا ^(٢) المعروفِ بها :

مهودُ الصَّبَى هاجَتْ لِي اليَوْمَ لَوْعَةٌ وَذَكَرُ سُلَيْمَى حِينَ لَا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
بأَرْضِهَا كَانَ الْهَوَى غَيْرَ عَازِبٍ لَدَيْنَا وَغَضُّ ^(٣) الْعَيْشِ مُهْتَصِرٌ نَفَرُ
كَأَنَّ لَمْ نَعِشْ يَوْمًا بِأَجْرَاعِ بَيْشَقَرٍ بِأَرْضِهَا أَنْشَأَ ^(٤) شَيْبَتُنَا الدَّهْرُ
يَلِي إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَأَيُّ جَمِيعٍ لَا يَفَرِّقُهُ الدَّهْرُ
ولا طَرَبَ غلامُ بابا على جارية [أَيْ] طَلْحَةَ الشَّاهِدِ ^(٥) فِي سُوقِ ^(٦)
الْعَطَشِ إِذَا غَنَّتْ :

لَيْتَ شِعْرِي بِكَ هَلْ تَه لَمْ أُنِّ لَكَ عَانِي
فَلَقَدْ أَسْرَرْتُهُ مِنْ لَكَ وَأَطْلَعْتُ الْأُمَانِي
وَتَوَهَّمْتُكَ فِي نَفْ سِي فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَأَجْتَمَعْنَا وَأَفْتَرَقْنَا بِالْأُمَانِي فِي مَكَانٍ

(١) هذه ، أي صَبَابَةُ السَّابِقِ ذَكَرَهَا .

(٢) فِي (ب) : « وَضَرَبَهَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) فِي (أ) : « وَغَضِنَ » .

(٤) فِي (أ) : « أَلَسَا » ؛ وَهُوَ تَصْخِيفٌ . وَأَنْشَأَ ، أَيْ أَنْشَأَ بِالْهَمْزِ .

(٥) عِبَارَةٌ (أ) : « السَّاهِيْنِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) سُوقُ الْعَطَشِ : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ كَانَتْ يَبْدَدُ بِالْجَانِبِ الْمَرْقِيِّ بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَنَهْرِ الْمَعْلَى ،

وَلَيْلٍ : إِنْ سُوقُ الْعَطَشِ كَانَتْ بَيْنَ بَابِ الصَّبَاسِيَةِ وَالرِّصَافَةِ .

ولو ذُكِرَتْ هذه الأطراب من المستمعين ، والأغاني من الرجال والصبيان والجواري والعرائر — لطال وأمل ، وزاحمت كل من صنّف كتاباً في الأغاني والألحان ، وعهدى ^(١) بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة .

وقد أحصينا — ونحن جماعة في الكرنج — أربعائة وستين جارية في الجانبين ^(٢) ، ومائة وعشرين حُرّة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البُدُور ، يجمعون بين الحِذْق والحُسن والظُّرف والعِشرة ، هذا سوى مَنْ كُنَّا لَا نَظْفَرُ به ولا نَصِلُ إليه لِعِزَّتِهِ وَحَرَسِهِ وَرُتْبَائِهِ ، وسوى مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ مِنْ لَا يَتَظَاهَرُ بِالْفَنَاءِ وَالضَّرْبِ إِلَّا إِذَا نَشِطَ فِي وَقْتٍ ، أَوْ ثَمِلَ فِي حَالٍ ، وَخَلَعَ الْمِذَارَ فِي هَوًى قَدْ حَالَفَهُ وَأَضْنَاهُ ، وَتَرْتَمَّ وَأَوْقَعَ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ ، وَصَدَّدَ أَنْفَاسَهُ ، وَأَطْرَبَ جُلَّاسَهُ ، وَأَسْتَكْتَمَهُمْ حَالَهُ ، وَكَشَفَ عَنْهُمْ حِجَابَهُ ، وَأَدْعَى الثِّقَةَ بِهِمْ ، وَالِاسْتِنَامَةَ إِلَى حِفَاطِهِمْ .

ثم إني أرجعُ إلى مُنْقَطَعِ الْكَلَامِ فِي الصَّفْحَةِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الثَّلَاثِ ^(٣) وَأَصِلُهُ بِالْأَعْدَاءِ الَّذِي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهُ نِيكَ ، وَيَحَقِّقَهُ لَكَ وَبِكَ ، وَأَقُولُ : وَأَبْقَاكَ لِي خَاصَّةً ، فَقَدْ تَعَصَّبْتَ لِي غَائِبًا وَشَاهِدًا ، وَتَعَمَّتَ ^(٤) بِسَبَبِي سِرًّا وَجَهْرًا ، وَبَدَأْتَ بِالْتَفَضُّلِ ، وَعُدَّتَ بِالْإِفْضَالِ ، وَتَظَاهَرْتَ بِالْفَضْلِ ؛ فَإِنْ أُسْتَزِدْتُكَ فَلَنَّهُمْ ^(٥) الَّذِي قَلَمَا يَخْلُو ^(٥) مِنْهُ بَشَرٌ ، وَإِنْ تَظَلَّمْتُ فَلِلدَّالَةِ الَّتِي تَغْلَطُ بِهَا

(١) في كلتا النسخين « فلمهدى » واللام زيادة من الناسخ .

(٢) في (١) : « الحلتين » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « وتعمت بسنّي » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين . والمراد بتعمت وتعصبت واحد ، إذ أن مأخذ اللفظين من العصابة والعمامة اللتين كانتا تلبسان في الحرب يعلم بهما الفارس نفسه بين الأقران . فتجوز في معنيهما واستعملتا في انتصار المرء لصديقه ودفاعه عنه في الحرب وفي غيرها . (٤) في نسخة : « فللمره » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) في (ب) : « يخلص » . والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الْعَدَمُ^(١) ، وإن خاشنت^(٢) فَلَيْثَمَ بِحُسْنِ الْإِجَابِ^(٣) ، وإن غالطت^(٤) فَلِعَلَّمَنِي بِغَالِبِ الْجِلْمِ وَفَرَطِ الْأَحْتِمَالِ ، وما أَفْتَرَقَ الْكَرْمُ وَالتَّنَافُلُ قَطَّ ، وما أَفْتَرَقَ الْمَجْدُ وَالْكَيْسُ قَطَّ ، وليس إِلَّا أَنْ يَظْلَمَ السَّيِّدُ نَفْسَهُ لِعَبْدِهِ فِي الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ وَغَيْرِ اللَّازِمَةِ ، وَيُعْرِضَ عَنِ الْحِجَّةِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ؛ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : الْحَقُّ مَرَّةً ، وَأَنَا أَقُولُ : السُّؤْدُودُ مَرَّةً ، وَالرَّئِيسَةُ ثَقِيلَةٌ ، وَالتَّزْوُلُ تَحْتَ الْغَبَنِ شَدِيدٌ ؛ لَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُنْبِتُ الْعِزِّ ، وَدَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْأَصْلِ ، وَبَابٌ إِلَى أُكْتِسَابِ الْحَدِّ ، وَإِشَادَةِ الذِّكْرِ ، وَإِبْعَادِ الصَّيْتِ ؛ وَمُكْرِمُ النَّفْسِ بِإِهَانَةِ الْمَالِ وَبَذْلِ الْجَاهِ وَإِثَارِ^(٥) التَّوَاضُّعِ أَرْبَحُ تِجَارَةً ، وَأَحْمَى حَرِيمًا ، وَأَعَزُّ نَاصِرًا مِنْ مُهِنِ النَّفْسِ بِصِيَانَةِ الْمَالِ وَحُبْسِ الْجَاهِ وَأَسْتِعْمَالِ التَّكْبَرِ ؛ هَذَا مَا لَا يَشْكُ فِيهِ أَحَدٌ وَإِنْ أَبَاهُ طِبَاعُهُ ، وَلَمْ يُسَاعِدْهُ اخْتِيَارُهُ ، وَكَانَ فِي طَبِئِهِ نَيْبَسٌ ، وَفِي مَنِيَّتِهِ شَوْكٌ ، وَفِي عِرْقِهِ خَوَرٌ ، وَفِي خُلُقِهِ تَبْهٌ .

وقد رأيتُ نَاسًا مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ عَابُوا مَذْهَبَ الرَّجُلِ الَّذِي مَا كَسَ فِي شَيْءٍ تَافَهُ يَسِيرَ اشْتِرَاهُ ، قِيلَ لَهُ : أَنْتَ تَهَبُّ أَضْعَافَ هَذَا ، [فَمَا هَذَا لِلْكَاسِ] ؟ قَالَ : هَذَا عَقْلِي أَبْجَلُ بِهِ ، وَتِلْكَ مُرُوءَتِي أَجُودُ بِهَا .
وَأَكْثَرُ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَتَوَرَّعُوا فِي التَّجَارِبِ ، وَلَا أَنْجَدُوا^(٦) فِي الْحَقَائِقِ ، يَرَوْنَ هَذَا حِكْمَةً تَامَّةً ، وَفَضِيلَةً شَرِيفَةً .

(١) في (١) : « يغلط بها الحزم » . ولهذا العبارة معنى غير مستبعد ، غير أن ما أثبتناه في صلب الكتاب أظهر وأصح .
(٢) في (١) : « حاسبت » . وفي (ب) : « حاشيت » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين إذ لا معنى لكلا اللفظين يناسب السياق . ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٣) الإيجاب (بهمز جيم) : الإجابة .
(٤) في كلتا النسختين : « غالطت » بالطاء المهملة ؛ وهو تصحيف .
(٥) في (١) : « وإثيان » . (٦) في (١) : « ولا اتحدوا » ؛ ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف بتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

فَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا : لَا تَتِمُّ الْمُرُوءَةُ وَصَاحِبُهَا
يَنْظُرُ فِي الدَّقِيقِ الْخَفِيرِ ، وَيُعِيدُ الْقَوْلَ وَيُبَدِّلُهُ فِي الشَّيْءِ النَّزَرِ^(١) الَّذِي
لَا مَرَدَّ لَهُ ظَاهِرٌ ، وَلَا جَدْوَى حَاضِرَةٌ .

وَذَكَرُوا أَيْضًا أَنَّ الْعَقْلَ أَشْرَفُ مِنْ أَنْ يُذَالَ^(٢) فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ ،
وَيُسْتَعْدَمُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، قَالُوا : هَذَا وَمَا هُوَ فِي بَابِهِ بِالْكَيْسِ أَشْبَهَ ،
وَالْكَيْسُ يُحْمَدُ فِي الصَّبَّيَّانِ ، وَهُوَ مِنْ مَبَادِي اللَّوْمِ ، وَمَوَائِحِ صَدِّ الْخُلُقِ ،
وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَقَدْ يَتَغَابَى الْمَرْءُ عَنْ عُظْمِ مَالِهِ وَمِنْ تَحْتِ بُرْدَيْهِ الْمَغِيرَةُ أَوْ عَمْرُو^(٣)
وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ : هُوَ كَيْسٌ .

هَذَا وَاللَّهُ الصَّدِّيقُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ بِمَكَّةَ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : مَا أَكَيْسَ هَذَا
الْقَطَّ^(٤) ١٩

قَالُوا : وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ لِلشَّيْخِ الْمَجْرَّبِ وَالْحَكِيمِ الْبَلِيغِ وَالْأَصِيلِ فِي الشَّرَفِ
وَالْمَشْهُورِ بِالزَّمَانَةِ^(٥) وَالسَّكِينَةِ : كَيْسٌ . وَالْكَيْسُ هُوَ حَذَّةُ الْحِسِّ فِي طَلَبِ
الْمَثَالَةِ وَدَفْعِ الْكَرْهِيةِ وَبُلُوغِ^(٦) الشَّهْوَةِ . وَالْحِسُّ بَعِيدٌ مِنَ الْعَقْلِ ، وَالْعَالِي
فِي الْحِسِّ كَأَنَّهُ يَرْتَقِي فِي وَادِي الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا تُنْطِقُ لَهُ^(٧) ، وَالْعَالِي فِي الْعَقْلِ

(١) فِي (١) : « الْمُرْدَد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « يُذَال » بِالْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) يُرِيدُ الْمَغِيرَةَ بَنَ شُعْبَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاسِ ؛ وَيُشِيرُ إِلَى مَا كَانَا يَسْرِفَانِ بِهِ مِنَ الدَّهَاءِ
وَالدَّكَاةِ . وَفِي (١) : ابْنُ عَمْرٍو ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : الْفَطْ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (١) : بِالرَّمَايَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَفِي (ب) : بِالْبَيَانَةِ ؛ وَمَا أُبْتِغَاهُ أَلْسَبَ

بِقَوْلِهِ بَعْدَ : وَالسَّكِينَةِ . (٦) فِي (ب) : وَاتَّبَاعٌ .

(٧) فِي (١) : الَّذِي يُنْطِقُ لَهُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

كَأَنَّهُ مَطْمَئِنٌّ فِي وَادِي الْمَلِكِ الَّذِي لَا حِسَّ لَهُ ، وَالْمَلِكُ لَمْ يَعْدَمَ الْحِسَّ لِنَقْصِهِ ، وَلَكِنْ لِكَمَالِهِ ، لِأَنَّهُ غَفَى عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْحَارَّ لَمْ يَنْدَمِ الْعَقْلُ لِكَمَالِهِ ، وَلَكِنْ لِنَقْصِهِ [وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْحَارِّ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا جُبِلَ عَلَى مَا هُوَ لَهُ وَبِهِ كَامِلٌ فِي نَقْصِهِ ، أَيْ هُوَ كَامِلٌ بِمَا هُوَ بِهِ حَارٌّ وَنَاقِصٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ إِنْسَانًا] ؛ وَلَمَّا لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَارًّا حَفِظَ عَلَيْهِ مَا هُوَ بِهِ إِنْسَانٌ ، وَدُرِّجَ إِلَى كَمَالِ الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ بِهِ شَبِيهِ ؛ وَهَذَا التَّدْرِيجُ طَرِيقُهُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ [الْجَيِّدِ] وَالتَّوْفِيقِ السَّابِقِ .

وَبَعْدَتْ — جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ — عَنْ مَنَهِجِ الْقَوْلِ وَسَنَنِ^(١) الْحَدِيثِ ، وَأَطْلَعْتُ دَاعِيَةَ الْوَسْوَاسِ ، وَذَهَبْتُ مَعَ سَائِحِ الْوَهْمِ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ » .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَثَلِ كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبِينُنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التَّعْطِيِّ الْأَبَاطِحِ
فَارْجِعْ [وَأَقُولُ] :

قَدْ أَوْصَلْتُ إِلَيْكَ الْجَزَائِنَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ عَلَى يَدِ غَلَامِكَ فَاتَّقِ ؛ وَهَذَا الْجُزْءُ — وَهُوَ الثَّلَاثُ — قَدْ وَاللَّهِ نَفَثْتُ^(٢) فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنْ جِدَرٍ وَهَزَلٍ ، وَغَثٍّ وَسَمِينٍ ، وَشَاحِبٍ وَنَضِيرٍ ، وَكُكَاهَةٍ وَطَيْبٍ ، وَأَدَبٍ وَاحْتِجَاجٍ ، وَأَعْتَدَارٍ وَأَعْتِلَالٍ وَأُسْتِدْلَالٍ ، وَأَشْيَاءَ مِنْ طَرِيفِ^(٣) الْمَمَالِحَةِ عَلَى مَا رُسِمَ لِي ،

(١) فِي (١) : « عَنْ سَنَنِ » ؛ وَقَوْلُهُ : « عَنْ » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا .

(٢) فِي (١) : « بِقِيَّتِ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٣) فِي نَسْخَةِ : « مِنْ حَدِيثِ » .

وطلِّبَ مِنِّي ؛ ولأنَّه آخِرُ الْكِتَابِ خَتَمْتُهُ بِرِسَالَةٍ وَصَلْتُهَا بِكَلَامٍ فِي خَاصِّ
أَمْرِي سَتَقِفُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَأْنِفُ نَظْرًا فِي حَالِي ، يَكُونُ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ —
كَطْفِئِ بِكَ ، وَرَجَائِي فِيكَ ؛ وَفِيهِ بَعْضُ الرَّبْدَةِ^(١) لَمْ أَخْرِجْ مِنْهُ إِلَى كُفْرَانٍ
لِنِعْمَةٍ ، وَلَا جَحْدٍ لِإِحْسَانٍ ، وَلَا سَتْرٍ لِيَدٍ ، وَلَا إِنكَارٍ لِمَعْرُوفٍ ، وَلَا شَكَّ
فِي عِنَايَةٍ ؛ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى مَذْهَبِ الْمَدِلِّ الْمَقِلِّ الَّذِي يَبْتَغِيهِ إِقْلَالُهُ عَلَى
تَجَاوُزِ قُدْرِهِ بِالذَّلَّةِ ، وَيَرْيَعُ^(٢) بِهِ إِذْ لَالَهُ عَنْ حُسْنِ أَذْيِهِ بِفَرْطِ الثَّقَةِ ؛ وَرُبَّ وَائِقٍ
خَجِلٍ ؛ وَبِاللَّهِ التَّعَاذُ مِنْ ذَلِكَ ، وَفِي الْحَالِينِ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ لَا يَخْلُو مِنْ
وَلَاءٍ صَحِيحٍ الْمُتَعَتِّبِ ، وَعَقِيدَةٍ كَسْبِيكَةِ الذَّهَبِ ؛ وَأَنْتَ بِكَرَمِ^(٣) طِبَاعِكَ ،
وَسَعَةِ بَاعِكَ ، تَجَبَّرُ نَفْسِي ، وَتَأْسُو مَا غَتَّ^(٤) مِنْ جِرَاحِي ، وَأَمَاتَ أَهْتَامِي ؛
وَمَنْ كَانَ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِ مَشْهُكُورًا ، وَتَعْذِيرُكَ^(٥) عِنْدَهُ مَسْتُورًا ، لَخَلِيقٌ
أَنْ يَكُونَ عَلَى بَالِكَ خَاطِرًا ، وَبِلِسَانِكَ مَذْكَورًا ، وَالسَّلَامُ .

وَمَا أَنَا أَخْذُ فِي نَشْرِ مَا جَرَى عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا مَا أَقْتَضَى مِنَ الزِّيَادَةِ
فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَالشَّرْحِ وَالتَّكْشِيفِ .

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ ، لِيَكُونَ خَطِّكَ
مِنَ الْكَرَمِ وَالْمَجْدِ مَوْفُورًا ، وَنَصِيبِي مِنْ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي وَجَذْبِكَ بِيَاغِي

(١) فِي (١) : « الْفَرْدَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيعُ ، أَيْ يَرْجِعُ . وَفِي (١) : « وَرَفَعَ » ؛ وَلَا سَمْعِي لَهُ يَنَاسِبُ السِّيَاقُ .

(٣) فِي (١) : « تَكَثَّرَ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « مَا غَبَّ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَغَتَّ الْجَرْحُ ، أَيْ سَالَ غَثِيثُهُ ، وَهُوَ

مُدَّتُهُ وَتَوَحَّجَهُ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ . وَوَرَدَتْ فِي (ب) :

« وَتَعْذِيرُكَ » . وَمَا أَتْبَعْتَاهُ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . وَالتَّعْذِيرُ : التَّصْغِيرُ .

وإِنَّا ذَكَرَكَ إِنبَاءَ مَنْ أَسْرَى تَامًا ، فَظَنَّنِي وَاعِدُ بِأَنَّكَ تَبْلُغُنِي مَا آمَلُهُ فِيكَ
وَتَتَجَاوَزُهُ وَتَتَطَاوَلُ إِلَى مَا فَوْقَهُ ، لِأَزْدَادٍ عَجَبًا مِمَّا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَفْرَدَكَ
فِيهِ ؛ وَأَتَحَدَّثُ عَلَى مَرَّةٍ الْآيَاتِ بِغَرِيبِهِ ، وَأُحِثُّ كُلَّ مَنْ أَرَاهُ بَعْدَكَ عَلَى
سُكُوكِ طَرِيقِكَ فِي الْخَيْرِ ، وَلِزُومِ مَنَاجِكَ فِي الْجَمِيلِ ، وَالَّذِينَ نَوَّهَ بِذَهَبِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، وَأَكَايِدِ أَصْحَابِنَا بِتَعْدَادٍ ؛ وَأَقُولُ [لَهِمْ] : هَلْ كَانَ فِي حُسْبَانِكُمْ أَنْ
يَطْلُعَ عَلَيْكُمْ مِنَ الشَّرَفِ مَنْ يَزِيدُ ^(١) ظَرْفَهُ عَلَى ظَرْفِكُمْ ، « وَيَتَعَدُّ ^(٢) بِعِلْمِهِ عَلَى
عِلْمِكُمْ » ، وَيُبْرِزُ هَذَا التَّبَرُّيزَ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَفْخَرُونَ ^(٣) بِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ ، فَأَنَاظِرُهُمْ
فِيكَ وَبِسَبَبِكَ ^(٤) ، لَا مُنَاطَرَةَ الْحَنَابِلِيِّينَ مَعَ الطَّبَرِيِّينَ ؛ وَأَتَعْصَبُ لَكَ ،
لَا تَعْصَبُ الْمُفْضَلِيِّينَ ^(٥) وَالْبَرْغَوِيِّينَ ^(٦) ؛ وَأُجَادِلُ مَنْ أَجْلِكَ ، لَا جَدَلِ
الزَّيْدِيِّينَ ^(٧) مَعَ الْإِمَامِيِّينَ ^(٨) ؛ وَأَدْعِي فِي فُضَائِكَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ دَعْوَى أَتَوَّى
مِنْ دَعْوَى الشَّيْعِيِّينَ ؛ وَأَضْرِبُ فِي ذَلِكَ كُلِّ مَثَلٍ ، وَأُسْتَعِينُ بِكُلِّ سَتَجَعٍ ،

(١) فِي (١) : « يَرْتَدُّ طَرَفُهُ عَلَى طَرَفِكُمْ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ .
(٢) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّبَاةُ الَّتِي بَيْنَ هَاتَيْنِ الْعَلَامَتَيْنِ فِي (١) وَالْمَعْنَى عَلَيْهَا مُسْتَقِيمٌ .
وَالَّذِي فِي (ب) : « وَيَتَعَدُّ بِعِلْمِهِ عَلَى عِلْمِكُمْ » ؛ وَفِي قَوْلِهِ : « وَيَتَعَدُّ » بِالْقَافِ وَالْهَاءِ تَصْغِيفٌ
ظَاهِرٌ صَوَابُهُ : « وَيَتَعَدُّ » . (٣) فِي (ب) : « يَخْزُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٤) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَبِسَبَبِكَ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) الْمُفْضَلِيُّونَ فِرْقَةٌ تَنْسَبُ إِلَى الْمُفْضَلِ بْنِ عَمْرٍو مِنَ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ يَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ بَعْدَ
مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى . وَالْمُفْضَلِيُّونَ أَيْضًا فِرْقَةٌ أُخْرَى تَنْسَبُ إِلَى الْمُفْضَلِ
الصَّبْرِيِّ ، وَهَذَا قَدْ قَالُوا : إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ لَهُ ؛ فَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ . وَالْبَرْغَوِيُّونَ فِرْقَةٌ مِنَ التَّجَارِيَةِ
أَحْبَابُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ التَّجَارِ وَالْبَرْغَوِيَّةِ هَذِهِ تَنْسَبُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى الْمَلْقَبِ بِبَرْغوثٍ . وَالْقَوْلُ
فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ وَالْمَرْغُوشِيِّينَ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَحْنَا أَنْظَرُ (الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ) (وَحَبِثَةُ
الْأَكْرُوَانِ) (وَمُسَالَمُ الدِّينِ) .

(٦) الزَّيْدِيُّونَ أَحْبَابُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ تَقُولُ :
إِنَّ الْإِمَامَةَ لِلْأَوْلَادِ فَاطِمَةُ لَا يَشَارِكُهَا فِيهَا أَحَدٌ وَلَا يَسُوغُونَ لِمَامَةِ غَيْرِهِمْ . وَالْإِمَامِيَّةُ فِرْقَةٌ مِنَ
الشَّيْعَةِ تَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَةَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصًا وَتَصَرُّعًا وَإِشَارَةً
إِلَيْهِ بِالْعَيْنِ .

وَأَرْوَى كُلَّ خَبَرٍ ، وَأَنْشَدُ كُلَّ بَيْتٍ ، وَأَعْبُرُ كُلَّ رُؤْيَا ، وَأَقِيمُ كُلَّ بَرْهَانٍ ،
وَأُسْتَشْهِدُ كُلَّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، وَأَتَأَرَّلُ كُلَّ مُشْكِلٍ وَغَامِضٍ ، وَأُضِيفُ إِلَيْكَ
الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ ، وَالْمُعْجِزَةَ بَعْدَ الْمُعْجِزَةِ ، وَأَنْصَلْتُ^(١) لِكُلِّ ضَرْبَةٍ ، وَأَدْعِي كُلَّ
غَرِيبَةٍ ؛ هَذَا وَلَا أَخْطِئُ كَلَامِي بِالْهَزْلِ ، وَلَا أَشِينُ دَعْوَايَ بِالْمَحَالِ ، وَلَا أَبْعِدُ
الشَّاهِدَ ، وَلَا أَتَمَلَّقُ بِالْمُسْتَعْجِمِ ، وَلَا أَجْنَحُ إِلَى التَّلْفِيْقِ وَالتَّلْزِيْقِ ؛ وَكَيْفَ
لَا أَفْعَلُ هَذَا وَلِي فِي قَوْلِ الْحَقِّ فِيكَ مَنَدُوحَةٌ ، وَفِي تَقْدِيمِ الصَّدَقِ عَلَى غَيْرِهِ
كُفَايَةٌ ، وَفِي نَشْرِ الْمَطْوِيِّ مِنْ فَضْلِكَ بَلَاغٌ ؟ وَإِنَّمَا يَمِيلُ إِلَى الْكَذِبِ مَنْ قَعَدَ
بِهِ الصَّدَقُ ، وَيَتَيَمَّمُ بِالصَّعِيدِ مَنْ فَاتَهُ الْمَاءُ ، وَيَحْلُمُ بِالْمَنَى مَنْ عَدِمَ الْمُنْتَقَى
فِي الْيَقْظَةِ ؛ فَأَمَّا أَنْتَ وَقَدْ أَلْبَسَكَ اللَّهُ رِدَاءَ الْفَضْلِ ، وَأَطْلَمَكَ مِنْ مَنَبَتِ
كَرِيمٍ ، وَدَرَجَتِكَ مِنْ بَيْتِ ضَخْمٍ ، وَآتَاكَ الْحِكْمَةَ ، وَفَتَقَ لِسَانَكَ بِالْبَيَانِ ،
وَأَتَرَعَ^(٢) صَدْرَكَ بِالْعِلْمِ ، وَخَلَطَ أَخْلَاقَكَ بِالْإِمَانَةِ ، وَشَهَرَكَ بِالْكَرَمِ ، وَخَفَّفَ
عَلَيْكَ التَّهَوُّضَ بِكُلِّ مَا يُكْسِبُكَ الشُّكْرَ مِنَ الْقَرِيبِ وَالتَّبْعِيدِ ، وَبِكُلِّ
مَا يَدْخِرُكَ الْأَجَرَ عِنْدَ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ ، حَتَّى صِرْتَ كَهْنًا لِأَبْنَاءِ الرَّجَاءِ ،
وَمَقَرَّعًا لِبَنَى الْأَمَالِ ؛ فَبَابُكَ مَغْنًى مَزُورٌ ، وَفِنَاؤُكَ مُنْتَابٌ وَخِوَانُكَ^(٣)
مُخْضَرٌ ، وَعِلْمُكَ مُعْتَبَسٌ ، وَجَاهُكَ مَبْذُولٌ ، وَضَيْفُكَ مُحَدَّثٌ ، وَكُتُبُكَ
مُسْتَعَارَةٌ ، وَغَدَاؤُكَ حَاضِرٌ ، وَعَشَاؤُكَ مُعَجَّلٌ ، وَوَجْهُكَ مَبْسُوطٌ ، وَعَفْوُكَ
مَعْمُودٌ ، وَجِدُّكَ مَشْكُورٌ ، وَكُلُّ أَمْرٍ قَائِمٌ عَلَى النِّهَايَةِ ، وَبَالِغٌ الْغَايَةِ ، وَاللَّهُ
يَزِيدُكَ وَيَزِيدُنَا بِكَ ، وَلَا يَبْتَلِينَا بِقَدْرِ مَا أَلْفَنَاهُ مِنْكَ ، بِمَنَّةِ وَجُودِهِ .

(١) فِي (١) : « وَأَنْصَلِبُ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « وَدَع » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) : « وَجَوَابُكَ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

الليلة التاسعة والعشرون

(١) قال الوزير — أَعَزَّ اللهُ نَصْرَهُ ^(١) ، وَأَطَابَ ذِكْرَهُ ، وَأَطَارَ صَيْتَهُ — ليلة : أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) ، فَإِنَّ هَذَا الْإِيْمَازَ لَمْ يُعْهَدْ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ .

فكان من الجواب : إِنَّ الإشارةَ في «الأوّل» إلى ما بدأ اللهُ به مِنْ الإبداع [والتصوير] ، والإبراز والتكوير ؛ والإشارةَ في «الآخر» إلى المصيرِ إليه في ^(٢) العاقبة على ما يجب في الحكمة من الإنشاء والتّصريف ، والإيناع والتعريف ، والمداية والتوقيف . وقد بان بالاعتبار ^(٣) الصحيح أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا كَانَ مُحَجِّبًا عَنْ الْأَبْصَارِ ، ظَهَرَتْ آثَارُهُ فِي صَفَحَاتِ الْعَالَمِ وَأَجْزَائِهِ ، وَحَوَاشِيهِ وَأَثْنَائِهِ ^(٤) ، حَتَّى يَكُونَ لِسَانُ الْآثَارِ دَاعِيًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ طَرِيقًا إِلَى ^(٥) قَصْدِهِ ، وَقَصْدُهُ سَبِيلًا لِلْمَسْكَنَةِ عِنْدَهُ وَالْحُظُوءَةِ لَدَيْهِ . عَلَى أَنَّهُ فِي أَحْتِجَابِهِ بَارِزٌ ، كَمَا أَنَّهُ فِي بُرُوزِهِ مُحْتَجِبٌ ؛ وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ الْحِجَابَ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَسَنِ ، وَالْبُرُوزَ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقْلِ ، [فَإِذَا طُلِبَ مِنْ جِهَةِ الْحَسَنِ وَجِدَ مُحْجُوبًا ، وَإِذَا لُحِظَ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ وَجِدَ بَارِزًا ، وَهَاتَانِ الْجِهَتَانِ لَيْسَتَا لَهُ تَعَالَى ، وَلَكِنَّمَا الْإِنْسَانُ الَّذِي لَهُ الْحَسَنُ وَالْعَقْلُ ، فَصَارَ بِهِمَا كَالْمُنَظَرِ مِنْ مَسْكَنَيْنِ ؛ وَمَنْ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ مَسْكَنَيْنِ كَانَتْ نِسْبَتُهُ إِلَى الْمُنْظُورِ إِلَيْهِ مَفْرُوقَةً .

(١) في (١) : « رَهْطُهُ » .

(٢) في (١) : « والعاقبة » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) : « الاعتبار » يسقط الباء ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « وأثباته » ؛ وهو تصحيف .

(٥) في (١) : « في » مكان « إلى » ؛ وهو تحريف .

وإنما شقّ هذا الأمرُ على أكثر الناس وأختلفوا فيه ، لأنهم راموا تحقيقَ ما لا يُحسُّ بالحسِّ ، ولو رامُوا ذاك بالعقل المحضِ بغيرِ شوبٍ من الحسِّ ، لكان المرؤم يسبقُ الرّائم ، والمطلوبُ يلوحُ قبالةَ الطالبِ من غيرِ شكٍّ [لايس ، ولا ريبٌ مُحِش ، لأنه ليس في العقل والمقول شكٌّ] ، وإنما الرّيبُ والشكُّ والظنُّ والتَّوَهُّمُ كلّها من علائق الحسِّ وتوابعِ الخلقة ، ولولا هذه العوارضُ لَمَّا أُغْبِرَتْ وَجْهَ العقل ، ولا عَلَاهُ شُحُوبٌ ، ولَبَقِيَ على نَفْسِهِ وَجْهٌ (١) وَحُسْنُهُ وَبَهْجَتُهُ . وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَفِيزٌ (٢) هَذِهِ الْأَعْرَاضِ فِي الْأَوَّلِ ، صَارَ مَفِيزٌ (٣) هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي الثَّانِي ، فَاسْتَمَارَ مِنَ الْعَقْلِ نُورُهُ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ الْجَسْمِيَّةِ جَهْلًا مِنْهُ وَخَطَأً ، وَاسْتَمَارَ مِنْ ظِلَامِ الْحِسِّ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ عَجْزًا مِنْهُ وَنَقْصًا ، وَلَوْ وُفِّقَ لَوَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى مَكَانِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْ الْوَضِيعَ إِلَى مَحَلِّ الرَّفِيعِ ، وَلَمْ يَضَعْ الرَّفِيعَ فِي مَوْضِعِ الْوَضِيعِ . فَلَمَّا بَلَغَ الْحَدِيثَ هَذَا الْحَدَّ ، عَجِبَ الْوَزِيرُ وَقَالَ : مَا أَعَذَبَ هَذَا الْمُورِدُ ! وَمَا أَعْجَبَ هَذَا الْمُبْشِدُ ! وَمَا أَبْعَدَ هَذَا الْمُقْصِدُ ! وَمَا أَرَى لِمُصْطَفٍ (٤) مِنَ الْمُوحِدِينَ يُتَصَرَّفًا فِي هَذَا النَّوْعِ إِلَّا لِهَذِهِ الْعِصَابَةِ الْكَرِيمَةِ الْخُصُوصَةِ بِالْيَقْظَةِ (٥) .

(٢) وسأل عن جُشَمٍ في أسمِ الرَّجُلِ ما مَعْنَاهُ ؟
فكان من الجواب : إن أبا سعيد السَّيرافيَّ الإمامَ ذَكَرَ عن ابنِ الأَعرابيِّ أَنَّهُ يَقَالُ : « رَجُلٌ عَظِيمُ الْجُشَمِ » ، يَعْنِي وَسَطُهُ ، وَمِنْهُ مُسَمًّى جُشَمٌ .

(١) في (١) : « وكاله » .

(٢) مفيض بفتح الميم في الموضعين أي موضع فيض هذه الأعراض وتلك الأحوال .

(٣) في (١) : « لصف » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) : « بالثقة » .

وقال : ما الحِمْحِم ؟ وما الحِمْخِم ^(١) ؟ فقيل أما الحِمْحِمُ فَيَبْقَلُ يَهْبِجُ فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ وَيَنْبِتُ فَيُؤْكَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ وَأما الحِمْخِمُ فَيَبْقَلُ آخِرُ خَيْثٍ مُنْتِنِ الرَّيْحِ ^(٢) .

وقال : فَأَرَهُ الْمِسْكُ ، أَتَقُولُهَا بِالْهَمْزِ ؟

فكان من الجواب : حكاه ابن الأعرابي بالهمز .

قال : عَارِضًا الرَّجُلُ مَا يُعْنَى بِهِمَا ؟

قيل : قال أبو سعيد السَّيرافي : هَا شَعْرُ خَدَّيْهِ ، وَلَوْ قُلْتُ [لِأَمْرَدَ] :
إِمْسَخْ عَارِضِيكَ كَانَ خَطَأً .

وقال : سَمِعْتُ الْيَوْمَ فِي كَلَامِ ابْنِ عُبَيْدٍ : لَايْثَه ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ : لَاوْثَه
مِنَ الْوُثْ [لَوْثَ] الْعَامَةِ .

فقيل : بَلْ يَقَالُ : لَايْثَه إِذَا تَشَبَّهَ بِاللَّيْثِ .

وقال : مَا الشَّاكِدُ ؟

فقيل : الْمُعْطَى مِنْ غَيْرِ مَكَافَأَةٍ .

قال : أَوْتَهْمِزُ الْكَلِمَةُ ^(٣) ؟

(١) كذا ذكر المؤلف في تفسير هذين اللفظين . وقال أبو حنيفة : الحمحم والحمخم واحد . وقال ابن البيطار في الحمخم بالحاء المعجمة . هو اسم عربي لنبات شكله شكل الأنجيرة السوداء إلا أنه أشد خضرة منها وأغصانه حمر كأغصانها إلا أنها أصلب . ومناجه الوديان والمسائل وعليه شوك دقيق لصاق بكل ما يعلق به من ثوب أو غيره ولا يؤذى اللامس وكثيراً ما تثبت هذه النبتة بظاهر القاهرة تحت الجبل الأحمر في مسيل هناك بالقرب من قلعة الجبل . وذكر في الحمحم بالمهملتين . أنه هو النبات المعروف بلسان الثور عند أهل الشام وديار بكر . وقال في التعريف بلسان الثور لأنه نبات خشن أسود ، يشبه في شكله ألسنة البقر . وذكر في الحمحم أنه معهم ينطقونه بضم المهملتين . وفي نسخة : « ما الجمجم » يجمعين مكان الحمحم بماءين مهملتين . والجمجم يجمعين عروق تشبه في شكلها ومقدارها عروق الجزر البري المسمى عند أهل الشام الشفاقل . (٢) يريد بالكلمة : المكافأة .

فقيل : إني لو لم أهزل لكان مُفاعلةً من كَفَيْتُ .

قال : والثانية^(١) ؟ تكونُ من كَفَأْتُ الإِنَاءَ .. فما معناه ؟

قيل : قال أبو سعيد : كأنَّه قلبَ الحالِ إليه بالمِثْلِ .

قال : الذَّوْدُ ، ما قَدَّرَ عَدَدَهُ من الإِبِلِ ؟ فكان من الجواب : أن ابن الأعرابي قال : الذَّوْدُ ما بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إلى العَشْرَةِ . وإذا بَلَغَتِ العَشْرِينَ أو قَارَبَتْ فهي قِطْعَةٌ وَصَبَّةٌ وَفِرْقَةٌ وَصِرْمَةٌ حتى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ والأَرْبَعِينَ . ثم هي حُدْرَةٌ وَعَسْكَرَةٌ وَعَجْرَمَةٌ حتى تَبْلُغَ مائةَ . ثم هُنَيْدَةٌ . فإذا بلغت مائتين فهي خِطَرٌ^(٢) . وكذلك الثَّلَاثُمِائَةُ . فإذا بلغت أربعمائة فهي عَرْجٌ إلى الألف ، والجماعةُ عُرُوجٌ . فإذا كَثُرَتْ عن الأربعين والخمسين فَبَلَغَتْ مائةً وَزَادَتْ فهي جُرْجُورٌ ، وإنما سُمِّيَتْ جُرْجُورًا لَجَرَّاجِرِها وَأَصْوَاتِها . وقد تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ بعضَ هذا فتَجْعَلُهُ في بعض .

وقال : ما الفرقُ بَيْنَ الْقَبْصِ وَالْقَبْضِ ؟ فُقِيلَ : الْقَبْصُ لَعَدِيدٍ مَا كَانَ قَلِيلًا أو كَثِيرًا ؛ قال ابنُ الأعرابي : وَأَنشَدَنِي الْعَامِرِيُّ لِابْنِ مَيَّادَةَ

عَطَاؤُكُمْ قَبْصٌ وَيَحْفَنُ غَيْرُكُمْ وَلِلْحَفْنِ أَغْنَى لِلْفَقِيرِ مِنَ الْقَبْصِ

وقال : الْقَبْصُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضُ بِالْكَفِّ ، وَالْحَفْنُ بِالْكَفِّ وَالرَّاحَةُ إِلَى فَوْقِ مَفْتُوحَةٍ قَلِيلًا . هذا لَفْظُهُ .

وقال : الإِلْ الذي هو الْعَهْدُ هل يُجْمَعُ ؟ فُقِيلَ : حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي

(١) ورد في كلتا النسختين قوله فقيل بعد قوله والثانية ؛ وهي زيادة من الناسخ لا مقتضى لها هنا .

(٢) في (أ) « حظرة » . وفي (ب) « حطم » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .

تَجْمَعُهُ ، فَقَالَ : إِيَّاكَ وَأَوَّلُ (١) .

وَقَالَ : آمَمَ الرَّجُلُ مَاذَا ؟ فَقِيلَ : هَذَا عَلَى وَجْهِهِ ؛ يُقَالُ : آمَمَ الرَّجُلُ يَوْمُهُ أَوْ أَمَّا مِنَ الْعَطَشِ ؛ وَيُقَالُ آمَمَ الرَّجُلُ يَوْمُهُ إِيَّامًا (٢) ، وَهُوَ الدُّخَانُ . وَآمَمَ الرَّجُلُ يَتِيمٌ إِذَا بَقِيَ بغيرِ حَلِيلَةٍ ، وَالْأَيْمُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ .

قَالَ : هَذَا نَمَطٌ مُفِيدٌ ، وَيَجِبُ أَنْ يُجْمَعَ مِنْهُ جُزْءٌ أَوْ جُزْآنِ لِيَسْهَلَ عَلَى الطَّرْفِ التَّجَالُ فِيهِ ، فَإِنَّ الْكُتُبَ الطَّوَالَ مُشْتَمِلَةً ، وَإِذَا تَدَاخَلَ اللَّطِيفُ بِالْكَثِيفِ وَمَا رَقَّ بِمَا غُلِظَ تَبَيَّنَتِ النَّفْسُ ، وَدَبَّ التَّكَلُّمُ (٣) وَالْإِنْسَانُ كَسَلُهُ مِنْ طِينِهِ ، وَنَشَاطُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالطَّيْنُ أَغْلَبُ مِنَ النَّفْسِ .

فَكَانَ الْجَوَابُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأَمْرِ الْمَشْرِفِ .

قَالَ : هَاتِ حَدِيثًا يَكُونُ مَقْطَعًا لِلْوَدَاعِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ قَدْ عَبَسَ وَجْهَهُ ، وَجَنَحَ كَاهِلُهُ ، وَأَهْدَى إِلَى الْقَيْنِ سِنَّةَ تَسْرِيقِ الذَّهْنِ وَتَسْبِي الرَّأْيِ .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّهُ مَرَّةٌ فِي الْيَوْمِ حَدِيثٌ يُضَارِعُ مَا جَرَى مِنْذُ لَيْلٍ فِي فُسَادِ النَّاسِ وَخَوَلِ الزَّمَانِ ، وَمَا دَهَمَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فِي حَدِيثِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ الْعُمُودُ وَالذَّلَامَةُ فِي عِمَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وَقَدْ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْهُ ، وَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ الدَّاءَ فِي هَذَا قَدِيمٌ ، وَالْوَجَعُ فِيهِ أَلِيمٌ .

(١) لَمْ نَجِدِ الْأَوَّلَ جَمًّا لِلْإِلَّهِ بِمَعْنَى الْمَهْدِ فِيهَا رَاجِعًا مِنْ كَتَبَ الْفَتْةَ وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ لِإِلَّهِ كَمَا هُنَا وَآلِل .

(٢) الْإِيَّامُ بِالْيَاءِ بِمَعْنَى الدُّخَانِ أَصْلُهُ الْوَاوُ ، ثُمَّ قَلَبْتُ الْوَاوَ يَاءً كَمَا فِي كَتَبَ الْفَتْةَ .

(٣) فِي (١) « وَرَثَ الْحَالِ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

قال: فهات فتشيبك^(١) قد رَغَبَ شديداً، غَرَامُكَ^(٢) قد بَثَّ^(٣) جديداً.
فكان [من ذلك] الحديث أن محمد بن سلام قال فيما حَدَّثَنَا به أبو السائب
القاضي عُتْبَةُ بنُ عُبَيْدٍ الله قال: حَدَّثَنَا السَّكْرِيُّ أبو سعيد قال: قال محمد بن
سلام: سمعتُ يونسَ يقول: فَكَّرْتُ في أَمْرٍ فَأُسمِعُوهُ. قلنا: هاتِه. قال: كلُّ
من أصبح على وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أُمِتْنَا^(٤) هذه؛ والسلطان ومن
يُطِيفُ به هَلَكى إلا قليلاً، فإذا قَطَعَتْ هذه الطَّبَقَةُ حتى تبلغ الشَّامُ
فأَكَلَةُ رَبِّاً وَبَاغِيَةً وَشَرِبَةُ خُمِرٍ وَبَاعَتْهَا إِلَّا قليلاً، فإذا خَلَفَتْ هذا الرَّمْلَ حتى
تَأْتِيَ رَمْلَ يَثْرِينَ وَأَعْلَامَ الرُّومِ فلا غَسَلَ من جَنَابَةٍ، ولا إِسْبَاغَ وَضوءٍ،
ولا إِيْتِمَامَ صَلَاةٍ، ولا عِلْمَ مُحَدُّودٍ ما أنزل الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم
إِلَّا قليلاً؛ فإذا صِرَتْ إلى الأمصار فأصحابُ هذه الكراسي ليس منهم إلا ذئبٌ
مُسْتَعْرِ^(٥) بَذَنِيهِ، يَحْتَلِكُ^(٦) عن دينارك وِدْرَهَمِكَ، يَكْذِبُ، وَيَبْغِضُ في الميزان،
ويطغف في السَّكِيالِ، إلا قليلاً؛ فإذا صِرَتْ إلى أصحاب الغلات الذين كَفَوْا
التَّوَنُونَ وأنعمَ عليهم [وَجَدْتَهُمْ] يُفْسِي أحدهم سكراناً وَيُضْبِحُ مخموراً، إلا
قليلاً، ومعى والله منهم^(٧) قَطِيعٌ في الدار، فإذا صِرَتْ إلى قومٍ لم يُنْعَمَ عليهم بما أنعم

(١) في (ب) « فتشيبك »؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً.

(٢) في كلنا النسختين: « وغرابك » بالباء؛ وهو تحريف.

(٣) قد بَثَّ جديداً، أى بَثَّ غراماً جديداً في نفسه. والذي في (أ): « نَبَّ ».
ووردت هذه الكلمة في (ب) مهلة الحروف من النقط. والصواب ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٤) يريد بالأمة هنا أهل طبقته كما يدل على ذلك سياق القصة.

(٥) مستعر أى يطلب غرة الناس وغفلتهم.

(٦) في (أ) « يحيلك »؛ وهو تصحيف.

(٧) في (أ) « فيهم »؛ وهو تحريف.

على هؤلاء ، وهم يشتهون ما يشتهى هؤلاء ، موحدٌ لصن ، وآخر طرار^(١) ،
وآخر مستقف^(٢) إلا قليلا ، فإذا صرّت إلى أصحاب هذه السواري^(٣) ، فهذا
يشهد على هذا بالكفر ، وهذا يبرأ من هذا ، والله لئن لم يعفنا الله برحمته
إنها للفضيحة .

فقال الوزير : لقد شرّدت النوم عن عيني ، وملأت قلبي عجباً ، فإن الأمر
لكما قال ، فإذا كان هذا قوله في عصره ، وشجرة الدين على نصارة أغصانها
وحُضرة أوراقها ، وينع ثمارها ، فما قوله — تُرى — فينا لو لحقنا ، وأدرك
زماننا ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

الليلة الثلاثون^(١)

وقال الوزير — [أدام الله أيامه] — : سراويل يُذَكّرُ أم يُؤنث ،
(١) وَيُصَرِّفُ أم لا ؟

فكان الجواب : أن علي بن عيسى حدثنا عن شيخه ابن السراج قال :
سألت المبرد فقلت : إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يُصنَع [به] في الصِّرفِ

(١) في كلتا النسختين « طراز » بالزاي المعجمة في آخره ؛ وهو تصحيف صوابه ما أجبنا
والطرار بمهملتين هو الذي يشق كَمَك ويستل ما فيه ، وهو المعروف عندنا بالنشال .

(٢) يقال : استقفاه إذا جاء من خلفه وضربه بالعصا على قفاه ويشير إلى هؤلاء الذين
يقفون في الطرق المنقطعة حتى إذا مر بهم من يظنون معه مالا ضربه من خلفه بالعصا على قفاه
حتى يفقد الحس والشعور فيستلون ما معه ويهربون ؛ أولئك صوابه مستخف بالخاء .

(٣) يريد سواري المسجد وعمده . ويريد بأصحابها العلماء الذين يجلسون إلى جانبها
يقرأون العلم على الناس .

(٤) يلاحظ أنه لم يرد في كلتا النسختين ما يشير إلى أنه ابتداء ليلة جديدة بعد الكلام
السابق لهذا العنوان . وقد رأينا أن الكلام الآتي بعد انما وقع في ليلة جديدة غير السابقة
بدليل قوله فيما تقدم : « هات حديثنا يكون مقطعا لوداع » الخ .

في مثل شَعْرُهُ^(١) هَرَامِيل [وهذه] سَرَاوِيل وما أَشْبَهه ، فقال : أَلِحِقْهُ بِالْجَمْعِ فَاْمَنْعَهُ الصَّرْفَ ، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ وَشَبِيهُهُ .

قال : وَسَأَلْتُ أَحَدَ بَنِي يَحْيَى عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنَا سَلَمَةُ عَنْ الْقَرَاءِ قَالَ : أَلِحِقْهُ بِأَحَدٍ فَاْمَنْعَهُ الصَّرْفَ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَأَصْرِفْهُ فِي النَّكِرَةِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ فَرَقٌ .

وسأل فقال : ما واحد المناخيب والمناجيب وما حُكُمُهُما ؟

فكان من الجواب : واحد المناخيب مُنْخَاب ، يُمدح به ويُذَمُّ ، فإذا كان مَدْحًا فهو مأخوذ من النَّخْبِ^(٢) ، وهو الأختيار ، وإذا كان ذَمًّا فهو مأخوذ من النَّخْبَةِ ، وهي الأُست . قال : وهكذا المنجَابُ يكون مَدْحًا وَذَمًّا ، فإذا كان مَدْحًا فهو مأخوذ من الأنتجاب ، وهو الأختيار ، وإذا كان ذَمًّا فهو مأخوذ من النَّجَبِ ، وهو قِشْرُ الشَّجَرِ .

قال : ما معنى قولهم : امرأة عَرُوبٌ ؟

فكان من الجواب أن مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ قَالَ — عَلَى مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو سَعِيدٍ وَابْنُ السَّرَاجِ عَنْهُ — إِنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ ، وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا ؛ وَهِيَ الْفَاسِدَةُ ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : عَرَبَتْ مَعِدَتُهُ إِذَا فَسَدَتْ .

وقال : الضَّهْنِيَاءُ يُمَكَّدُ وَيُقَصَّرُ ؟

فكان من الجواب أن ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : الَّذِي حَصَلَتْهُ عَنِ الْأَعْرَابِ

(١) في (ب) « صيغة » ؛ وهو تحريف . ويقال : شعره هراميل ، إذا سقط .

(٢) في الأصل : من النخبة ، وهي الاختيار ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما في كتب اللغة إذ النخبة من القوم الجماعة المختارة ، لا نفس الاختيار .

أَنَّ الضَّهْيَاءَ الْمَمْدُودَةَ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ ^(١) ، وَأَنَّ الْمَقْصُورَةَ هِيَ الْيَاسْمِينُ ^(٢) ،
وَجَمْعُ الْأَوَّلِ ضَهْنٌ وَجَمْعُ الْمَقْصُورِ ضَهَايَا ^(٣) .

قال : ما معنى المندلي المطير ؟

فكان من الجواب : أن ابن الأعرابي قال : هو مقلوب المطري ^(٤)

وقال : أَنشِدْنِي غَزْلاً ، فَأَنشَدْتُهُ مَا حَضَرَ فِي الْوَقْتِ لِأَعْرَابِي : (٢)

أَمْرٌ مُجْتَنِبًا عَنْ يَتِّتِ سَلَمَى وَلَمْ أَلِمَّ بِهِ وَبِهِ الْغَلِيلُ
أَمْرٌ مُجْتَنِبًا وَهَوَايَ فِيهِ وَطَرَفِي عَنْهُ مُنْكَسِرٌ كَلِيلُ
وَقَلْبِي فِيهِ مُقْتَتِلٌ فَهَنْ لِي إِلَى قَلْبِي وَقَاتِلِهِ سَبِيلُ

وقال : أتحفظ الأبيات التي فيها : (٣)

نَكْفِيهِ فَلَذَةُ كِبْدٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْنِي شُرْبَهُ الْعُمَرُ
فَأَنشَدَهُ ابْنُ نُبَاتَةَ ، وَذَلِكَ لِأَنِّي قُلْتُ : مَا أَحْفَظُ إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ شَاهِدًا ،
وهو لأَعشى باهلة يزني المنتشر ^(٥) :

(١) وأيضا التي لا يبرز لها ثدى .

(٢) لم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة أن الضهيا مقصورا هو الياسمين كما ذكر المؤلف هنا . والذي في اللسان أن الضهيا شجر من العضاء ، له برم وعلفة ، كثير الشوك ، وعلفته هراء شديدة الحرارة ، وورقه كورق السم .

(٣) في كلنا النسخين « ضها » ؛ وهو تحريف إذ لم نجد هذا الجمع لضهيا المقصور فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والصواب ما أثبتنا كما تقتضيه القواعد الصرفية فإن ما آخره ألف تأنيث مقصورة وكان على هذا الوزن يجمع على فعال يفتح اللام وفعالي بكسرها ، كجبل وذفرى .

(٤) في الأصل « إلى المطري » . وقوله : « إلى » زيادة من الناسخ إذ المطري هو المقلوب إلى مطير ، فالمطير مقلوب إليه ، والمطري هو الذي صُيِّرَ بالصناعة طريا . والمندلي : المود من الطيب يتبخر به فعنى المندلي المطير المود الرطب .

(٥) المنتصر ، هو ابن وهب بن سلمة الباهلي . قال الأمدى : وهو أخو الأعشى لأمه . ورويت هذه القصيدة للدمعاء أخت المنتصر ، وقد ذكرها صاحب خزنة الأدب ، وعدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتا فيها ؛ وفي شعر أعشى باهلة المطبوع في أوروبا ستة وأربعون بيتا . وقصة المنتصر هذا أنه كان قد خرج مع غلمة من قومه يريد حج ذي الحليفة -- وهو الكعبة ==

إِنِّي أَتَقْنَى لِسَانٍ لَا أَسْرُ بِهَا مِنْ عَلْوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخْرٌ^(١)
فَيْتٌ مَرْتَعًا لِلْفَجْمِ أَرْقُبُهُ حَيْرَانٌ ذَا حَذَرٍ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
وَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ^(٢) وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ (تَثْلِيثٍ) مُفْتِمِرٌ^(٣)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يُلَوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ دُونَنَا (مُضَرٌ)
نَعَيْتُ^(٤) مِنْ لَا تُغِبُّ الْحَيَّ جَفْنَتُهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَا نَوَاهَا الْمَطَرُ
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ شَرٌّ يَكْذُرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ
طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٍ^(٥) بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(٦)
لَا تُنْكِرُ الْبَازِلُ الْكُومَاءَ ضَرْبَتَهُ بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أُجْلُوذَ السَّفَرُ^(٧)

البيانة — وكان بنو نقيل بن عمرو بن كلاب أعداء له ، وقد رأوا عجزه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم . فسار النشتر ، حتى إذا كان بهضب النباع أنذر بنو نقيل بن الحارث بن كعب بالنتقم ، وكان المنتقم قد أسر رجلا من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن أمعاء بن زنياع ، فسأله المنتقم أن يفدى نفسه ، فأبى عليه هند ففقط أعلمته ثم سأله فأبى ففقط منه أخرى ، وقد أمّنه القوم ووضع سلاحه ، فقال هند بن أمعاء : أتؤمنون مقطعا (بتشديد الطاء مكسورة) ؟ ولهمي لا أوّنه . ثم قتله وقتل غلمته . انتهى ملخصا من خزنة الأدب .
(١) اللسان : الرسالة ، وجمعه ألسن . أنا اللسان بمعنى الجارحة فجمعه ألسنة . وعلو روى بتثنية الواو ، يريد أعلى نجد كما في خزنة الأدب . وفي شعر أعمى باهلة المطبوع في أوروبا : « لا كذب » مكان قوله : « لا عجب » .

(٢) في رواية : « فلهم » مكان قوله : « جمعهم » . ومفتيمر ، أي زائر . يقال : اعتمر إذا قصد مكانا بعينه زائرا له . وتثليث : موضع بالحجاز قرب مكة ، كما في ياقوت .

(٣) في كلتا النسختين : « يعين من لا يعين » ؟ وهو تصحييف . والتصويب عن شعر أعمى باهلة المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . ولا تغب الحى جفنته ، أي أنه دائم الإطعام لقومه لا تنيب عنهم جفنته ، وهي القصعة في زمن الجذب وقلة الأمطار . والنوء : سقوط نجم في الغرب عند الغيخ وطلوع نجم آخر يقابله في المشرق ، وكانت العرب تنسب الأمطار والرياح والحرب والبرد إلى الأنواء فيقولون : مطرنا بنوء كذا .

(٤) العزاء : الشدة والجهد . ومنصلت بالقوم ، أي منجرد مشمر .

(٥) في كلتا النسختين : « المطر » ؟ وهو تبديل من الناسخ لا معنى له في هذا البيت . والتصويب عن ديوان أعمى باهلة المطبوع في أوروبا وخزنة الأدب . والبازل من النوق : التي =

وتَفَزَعُ^(١) الشَّوْلُ منه حين تُبْصِرُهُ حتى تُقْطِعَ في أعناقها الجِرَزُ
لا يَصْغُبُ الأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَزْ كَبُهُ وكلَّ أَمْرٍ سَوَى الفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ
يَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلِذَا نِ أَلَمْ بها مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شُرْبُهُ الْفُغْرُ^(٢)
لا يَتَأَرَى^(٣) لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ^(٤) عَلَى شَرْسُوهِ الصَّفَرُ
لا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبِ^(٥) وَلَا يَزَالُ^(٦) أَمَامَ الْقَوْمِ يَغْتَفِرُ
مَهْمَنْ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقُ عَنْهُ الْقَمِيصُ بِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
عِشْنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ فَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّمْحُ ذُو النِّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ
لَا تَأْمَنُ النَّاسُ ثُمْسَاهُ وَمُضْبَحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٧) وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يُنْتَظَرُ
إِنَّمَا يُصِيبُكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَعِرُ

== دخلت في السنة التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة . واجلوز السفر ، أى طال واستد .
وفي رواية : « إذا ما اخروط » ؛ وهو بعناه .

(١) يقول إن النياق تفزع منه مخافة أن يعقرها وتحبس جررها في أعناقها حتى تنقطع .
والجرر جمع جررة (بالكسر) ، وهى ما يجتره البعير معروف . وفي رواية : « قد تحكظم
البزل منه من مخافته » حتى تقطع ... الخ .

(٢) الحزة : القطعة من اللحم تقطع طولاً . والفليزان : جمع فليزة ، وهى القطعة من
الكبد واللحم . والفغر : أصفر الأقداح . يقول : لأنه يكتفى بالقليل من طعامه وشرابه لإثارة
لغيره على نفسه ، وكانت العرب كثيراً ما تتمدح بذلك .

(٣) لا يتأرى ، أى لا يتحسس ولا يتمكث .

(٤) ورد في كلا الأصلين هذان الشطران اللذان تحت هذا الرقم كل منهما مكان الآخر ؛
وهو خطأ من الناسخ صوابه ما أثبتنا قلا عن المصادر التى بين أيدينا . والفرسوف : طرف
الضلع . والصفر زعموا أنها دوية مثل الحية تكون في البطن تغترى من به شدة جوع . وفي
كلا النسخين : « ولا يراه » مكان قوله : « ولا يزال » ؛ وهو تحريف . ويقتصر ، أى
يقتنى ويتبع .

(٥) في رواية : « ألم به » مكان قوله : « ومن وصب » . يصفه بالصبر على السبر .

(٦) في رواية : « من كل فج وإن لم يفر » الخ .

لَوْ لَمْ تَخْنَهُ نُفَيْلٌ^(١) وَهِيَ خَائِنَةٌ أَلَمْ بِالْقَوْمِ وَزِدْ مِنْهُ أَوْ صَدَرَ
وَرَادُ حَرْبٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا يُضِيءُ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرِ^(٢)
إِنَّمَا سَلَكَتْ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنَاكَ اللَّهُ مُنْتَشِرٌ
مَنْ لَيْسَ فِيهِ إِذَا قَاوَلْتَهُ رَهَقٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَاسَرْتَهُ عُسْرٌ^(٣)

الليلة الواحدة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةَ حَدِيثُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ وَالْحَزْمِ وَالتَّيَقُّظِ وَقِلَّةِ الْأَسْتِهَانَةِ بِالْخَفْصِ ،
فَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ الْكَاتِبُ : أَنَا أَسْتَحْسِنُ كَلَامًا جَرَى أَيَّامَ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، وَذَلِكَ
أَنْ عَلَى بَنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى حَرْبِ طَاهِرٍ [بَنِ الْحُسَيْنِ] مِنْ بَغْدَادَ ،
سَأَلَ قَوْمًا وَرَدُّوهُ مِنَ الرَّيِّ عَنْ طَاهِرٍ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ مُجِدٌّ^(٤) . فَقَالَ : وَمَا طَاهِرٌ ؟ إِنَّمَا
هُوَ شَوْكَةٌ مِنْ أَغْصَانِي ، وَشَرَارَةٌ مِنْ نَارِي ؛ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ مَا يَنْفَعُكُمْ
وَبَيْنَ أَنْ يَنْقُصَ أَتْقَاصَ الشَّجَرِ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَهُ عُبُورُنَا
عَقَبَةَ هَمْدَانَ ، لِأَنَّ السَّخَالَ لَا تَقْوَى عَلَى النَّطَاحِ ، وَالتَّعَالِبَ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى
إِقْدَاءِ الْأَسُودِ ، فَإِنْ يُقِيمَ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ يَكُنْ أَوَّلَ مَعْرُضٍ لَطْفَاتِ الشَّيُوفِ
وَأَسَنَّةِ الرَّمَاكِ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ [لِعَلِيٍّ] بَنِ عَيْسَى : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ الْعَسَاكِرَ
لَا تُسَاسُ بِالتَّوَانِي ، وَالْحُرُوبَ لَا تُدَبَّرُ بِالْأَغْتِرَارِ ، وَإِنَّ الشَّرَارَةَ الْخَفِيَّةَ رَجْمًا

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَوْ لَمْ تَجِبْهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي رِوَايَةٍ : « لَا سَتَرَ بِهِ » *
وَرَدَ يَلُمُ بِهَذَا النَّاسَ أَوْ صَدَرَ . وَيُرِيدُ نَفِيلَ بْنَ مَعْرُوفٍ بْنِ كَلَابٍ .

(٢) الطُّخْيَةُ (بَضْمُ الطَّاءِ) : الظِّلَّةُ الشَّدِيدَةُ .

(٣) فِي (١) : « عَاسِرَتُهُ » . وَفِي (ب) : « عَاسِرَتُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا
النُّسخَتَيْنِ . وَمَا أُثْبِتْنَاهُ هِيَ الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي رَجَعْنَا إِلَيْهَا . وَالرَّمَقُ بِالْأَحْرَاقِ
الْكُذْبُ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي تِلْكَ الْمَصَادِرِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْقَفِيدَةِ .

(٤) فِي (١) مَحَلٌّ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

صَارَتْ ضِرَامًا، وَالنَّهْلَةَ^(١) مِنَ السَّيْلِ رَبَّمَا صَارَتْ بَحْرًا عَظِيمًا .
 فقال^(٢) : إِنَّمَا حَجَبَ عَلَى بَنِي عِيسَى عَنْ وَثِيقِ^(٣) الرَّأْيِ هَذَا الْأَسْتَحْقَارُ
 بِالْكَلَامِ ، وَالْأَقْتِدَارُ عَلَى اللَّفْظِ ، وَمَنْ صَدَّقَ فِكْرُهُ فِي طَلَبِ الرَّأْيِ النَّافِعِ ،
 قَلَّ كَلَامُهُ بِالْمَذْدَرِ [الضَّائِع] .

(٢) وقال في هذه الليلة : مَا رَأَيْتُ مِنْ بَنِي بِإِحْصَاءِ وُجُوهِ فَعِيلٍ وَمَوَاقِعِهَا^(٤) .
 فكان من الجواب : أَنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أَوْجُهٍ ، وَهِيَ أَكْثَرُ
 مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَالتَّصْفُحُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا وَزِيَادَةً . قَالَ : فَمَا أَغْرَبُ^(٥)
 مَا مَرَّ بِكَ مِنْهَا ؟ فَقِيلَ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَعَلَ . فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ غَرِيبٌ ، فَهَاتِ لَهُ
 شَاهِدًا . فَقِيلَ : يَقَالُ مَكَانٌ^(٦) دَمِثٌ وَدَمَثٌ ، وَيَقِينٌ وَيَقَنٌ ، وَرَصِيفٌ^(٧)
 وَرَصَفٌ^(٧) ؛ وَلِلْفَرَسِ الْعَتِيدِ لِلْعَدُوِّ : الْقَتْدُ ؛ وَالنَّقِيلُ^(٨) مِنَ الْعَدُوِّ : نَقْلٌ ؛
 وَالخَيْبِيطُ^(٩) مِنَ الْوَرَقِ : خَبِطٌ ؛ وَالْقَدِيمُ^(٧) : قَدَمٌ^(٧) ؛ وَالْبُتْرُ النَّزِيحُ :
 نَزَحٌ ، وَلِلْجَسَمِ الْقَعِيمِ : عَقَمٌ .

(١) في (١) والثلمة .

(٢) فقال ، أى الوزير .

(٣) في « ب » « رَيْقٌ » ؛ والمعنى يستقي عليه أيضا .

(٤) في (١) « وتواضعها » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « أمرف ما قريك منها » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٦) في الأصل : « من كان » ؛ وهو تحريف صواب ما أثبتنا كما في « ب » .

(٧) كذا ورد في كلتا النسختين هذه الكلمات الأربع التي تحت هذا الرقم ؛ ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ما يفيد أنه يقال في لفظ رصيف وقديم رصف أو قدم بالتحريك فيهما ؛ فقلنا في هذه الكلمات تحريفا لم نهتد إلى صوابه بعد البحث الطويل .

(٨) النقيط : مداومة العدو وسرعة نقل القوائم .

(٩) الخبيط : الذي يضرب من ورق الشجر حتى ينحات بدون أن يضر ذلك بأصل الشجرة وفروعها .

وقال ابن الأعرابي : القَفِيل : الشَّوْكُ^(١) اليابس ، والجمعُ قَفْلٌ^(٢) . وقال أحمد بن يحيى : هو منى بَعْدَ أى بعيد ، والبَعْدُ يكون للجمع^(٣) والواحد^(٤) .
فَعَجِبَ وقال : ينبغي أن يُعْنَى بهذه الوجوه كلها . فإن^(٥) الزيادة على مثلي الأَخْشَ ظَفَرٌ حَسَنٌ ، وأَمْتِيازٌ في الغَزارة جميل^(٦) ، وما تَقاضَلَتْ^(٧) دَرَجَاتُ العلماءِ إِلَّا بِتَصَفُّحِ الأخيرِ قولَ الأولِ وأَسْتِيلَانِهِ على ما فاتَهُ .

وسأل — أبادَ اللهُ عِداه ، وَحَقَّقْ مُناه — وقال : هل يَسْلَمُ على أهلِ النَّسَةِ ؟^(٨) وهل يُبْدَأُونُ ؟ فكان أبو البُخْتَرِيُّ الداودِيُّ حاضراً — فَحَكَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ سُئِلَ عن هذا بَعَيْنِهِ ، فقال : يُرَدُّ عليهم السلام ، ولا يَأْسَ بَأَن يُبْدَأُوا ، لقول الله عزَّ وجلَّ : (فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) .

وَحَكَى في مَغْرَضِ حديثِ أَبِي بَكْرٍ قال : كتب مجنونون إلى مجنونون : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمِظَكَ اللَّهُ ، وَأَبَقَكَ اللَّهُ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَدِجْلَةً تَطْلُمِي ، وَسُقْنُ الْمَوْصِلِ هَاهُنَا ، وَمَا يَزِدُّكَ الصَّبِيانِ إِلَّا شَرًّا ، وَلَا الْحِجَارَةُ إِلَّا كَثْرَةً ، فَأَيْتَكَ وَالْمَرْقُ فَإِنَّهُ شَرُّ طَعَامٍ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا تَبْتَ إِلَّا وَعِنْدَ رَأْسِكَ حَجَرٌ

(١) في كتب اللغة « الشجر » مكان « الشوك »

(٢) يلاحظ أن قفلا ليس تجما لقفيل ، بل هو جمع قفلة بفتح القاف .

(٣) نظيره في الجمع خدم جمع خادِم .

(٤) شاهده قول النابغة في مدح النعمان :

تذاك تلبقى النعمان إن له فضلا على الناس في الأدنى وفي البعد

بالتحريك . وفي رواية : « والبعد » بضمين .

(٥) في (١) « قال » ؛ وهو تحريف .

(٦) في (١) : « فامتاز في الغرارة جميل » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث

صوابه ما أمبنتنا .

(٧) في (١) « تعاظمت » .

(٨) يلاحظ أن هنا كلاما ساقطا من كلتا النسختين كما يظهر لنا إذ لم يقدم ذكر

لأبي بكر هنا ولا حديث عنه .

أَوْحَجَرَان ، فَإِنَّ الْأَخْبَرَ^(١) يَقُول : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) .
[وَكُتِبْتُ إِلَيْكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً خَلْتُ مِنْ عَاشُورَاءَ سَنَةَ الْكِنَاءِ] «
قال : وَكُتِبَ مَجْنُونٌ آخَرُ : « أَبْقَاكَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَسُوءِ الْحِسَابِ ، وَتَقْدِيرِكَ
نَفْسِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

قال : وَكُتِبَ [مَجْنُونٌ] آخَرُ إِلَى مَجْنُونٍ مِثْلِهِ : وَهَبَ اللَّهُ لِي جَمِيعَ الْمَكَارِهِ
فِيكَ ، كِتَابِي إِلَيْكَ مِنَ الْكُفُوفَةِ حَقًّا حَقًّا حَقًّا ، أَقْلَامِي تَحْطُّ ، وَالْمَوْتُ عِنْدَنَا
كَثِيرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ سَلِيمٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْبَبْتُ^(٢) لِيَعْرِفَهُ إِعْلَامُكُمْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
فَضَحِكَ — أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّهُ — حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَقَالَ : مَا أَلْذَى يَبْتَغِي بَنَا
هَذَا الْأَسْطِرَافَ إِذَا تَمَعْنَا بِحَدِيثِ الْمَجَانِينِ ؟

فَقَالَ ابْنُ زُرْعَةَ : لِأَنَّ الْمَجْنُونَ مُشَارِكٌ لِلْعَاقِلِ فِي الْجِنْسِ ، فَإِذَا كَانَ مِنَ
الْعَاقِلِ مَا يُحْسَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَجْنُونِ كَرَّةَ ذَلِكَ لَهُ ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَجْنُونِ
مَا يُعْتَدُّ مِنَ الْعَاقِلِ تُعْجَبُ مِنْهُ ، وَالْعَقْلُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِقَدْرِ
ذَلِكَ يَتَفَاضَلُونَ التَّفَاضُلَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى حَصْرِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجَنُونَ بَيْنَ أَهْلِهِ
ذُو عَرَضٍ وَاسِعٍ ، وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ التَّفَاوُتَ الَّذِي لَا مَطْمَعَ فِي تَحْصِيلِهِ ؛
وَكَمَا أَنَّهُ^(٣) يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْعَاقِلِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْمَجْنُونِ كَذَلِكَ
يَبْدُرُ^(٤) مِنَ الْمَجْنُونِ بَعْضُ مَا لَا يُتَوَقَّعُ إِلَّا مِنَ الْعَاقِلِ ، وَلَا يُعْتَدُّ بِذَلِكَ وَلَا
بِهَذَا ، أَعْنَى أَنَّ الْعَاقِلَ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ لَا يُرْسَى مَجْنُونًا ، وَالْمَجْنُونُ بِذَلِكَ الْمَقْدَارِ

(١) فِي ب « لَأَنَّ اللَّهَ » .

(٢) فِي (أ) « اجْتَنِبَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (أ) : « وَكَأَنَّهُ إِذَا » . وَقَوْلُهُ : « إِذَا » زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ لَا مَعْنَى لَهَا فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ .

(٤) فِي (أ) : « يَنْدُرُ » بِالنُّونِ فِي كَلَامِ الْمُوضِعِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لا يسمّى عاقلاً ، وإنما أجتَمَعَا في النادر القليل ، لأجتماعهما في الجنس الذي يَمُمُّهُما ، والنوع الذي يَفْصَلُهُما ، وفي الجملة الإنسان بما هو به حيوانٌ سَبْعٌ وحارٌ ، وبما هو [به] نَفْسٌ إنسانٌ ، وبما هو به عاقلٌ نَبِيٌّ وَمَلَكٌ ؛ وهذه الأعراض — وإنْ تَدَاخَلَتْ لانتظامها في طينة واحدة — فإنَّها تَتَمَيَّزُ بقوة العقل في الصورة الخلوطة إما مفارقةً ، وإما مُوَاصَلَةً . ومَرَّةً^(١) له في هذا الموضع كلامٌ بليغٌ تامٌّ مكشوفٌ .

كل الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي
 حسب تميزتنا والمجد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ويليه الجزء
 الثالث من هذا الكتاب وأوله : « ثم تراهي
 الحديث إلى أمر المطعمين والطاعمين »
 الخ . نسأل الله المسونة
 وحسن التوفيق

(١) في الأصل : « ومن » بالنون ؛ وهو تحريف

فهرست الأعلام

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدى

(١)

- | | |
|---------------------------------------|---|
| ابن بهلول — ١٧١: ٤٤، ١٧٣: ١٣ | آدم عليه السلام — ١٢٧: ١٥ |
| ابن البيطار — ١٩٢: ١٦ | الأمى الحلاوى — ١٦٩: ١٥ |
| ابن ثوبة الكاتب — ١٣٧: ٨، ١٣٨: ٨ | آمنة بنت وهب — ٨١: ١٤ |
| ابن الجلاء الزاهد — ٧٩: ١ | إبراهيم بن آدم — ١٢٦: ٩، ١٢٨: ١٢٨ |
| ابن حجاج الشاعر — ١٧٢: ٦ | |
| ابن الحساس — ٦٦: ٤٣ | إبراهيم بن الجنيد — ٦٨: ١١ |
| ابن حيوة — ١٧٤: ٤ | إبراهيم الخليل عليه السلام — ١٨: ٦٩، ٢١: ٦٩ |
| ابنة الحس — ٢٩: ٥ | ٢ |
| ابن الحلال البصرى — ٥٨: ١٦ | إبراهيم السندي — ٦٦: ١٢، ٦٧: ١١ |
| ابن الحمار وهو الحسن بن سوار — ١٤: ١٤ | إبراهيم بن العباس الصولى — ٥٤: ٤٤ |
| ٣: ٨٣، ١٦: ٣٨، ٥ | ٤: ١٤٥ |
| ابن دأب — ١٤٤: ٣ | ابن أبي طاهر — ٥٥: ١١ |
| ابن ذكوان — ١٤٥: ٤ | ابن أبي العوجاء — ٢٠: ١٣ |
| ابن الراوندى — ٢٠: ١٤ | ابن الأثير — ٧٨: ٨ |
| ابن الرضى — ١٧٦: ١ | ابن الأزرق الجرجاني — ١٧٤: ٥ |
| ابن الرفاء — ١٦٩: ٣ | ابن إسحاق الطبري — ١٧٢: ١٧ |
| ابن زرة — ١٤: ١٦، ٣٨: ٥، ٢٠٤: ٢٠٤ | ابن أسيد القاضى — ٦٥: ١١ |
| ٨ | ابن الأهرابي — ١٠٤: ١٣، ١٤٦: ٥٥ |
| ابن السراج — ١٩٦: ١٢ | ١٩١: ١٧، ١٩٢: ٥، ٥ |
| ابن السبك الواعظ — ٦٤: ٢٠، ١٢٠: ١٢٠ | ١٩٣: ١٧، ١٩٧: ١٧، ١٧: ١٧ |
| ١٨: ١٢٧، ١٣: ١٢٦، ١٠ | ١٩٨: ٤٤، ٢٠٢: ١٣ |
| ابن ميمون الصوفى — ١٧٣: ١٣ | ابن الأنبارى — ١٠١: ٥ |
| ابن سورين — ١٨٠: ٦ | |
| ابن سيرين — ٥٦: ١ | |
| ابن صالح — ٩٥: ١ | |

ابن ميادة — ١٣:١٩٣
 ابن مياس — ٨:١٨١
 ابن نبة — ١٦:١٣٦ ، ١٧:١٧٠ ، ١١:١٩٨
 ابن نصر العامل — ٦:١٦٩
 ابن هندو الكاتب — ٤:١٣٥
 ابن الوراق — ١:١٧٦
 ابن اليزيدي — ١٤:١٦٦
 ابن يعقوب — ١٦:٥٨
 ابن يوسف — ١٠:٢٦
 ابن يوسف صاحب ديوان السواد — ١٧٣:١٧٣
 أبو أحمد المهرجاني — ١:٥
 أبو الأسود — ١:١١٤
 أبو إسحاق الصابي — ٢:١٤٥
 أبو أمانة — ١٤:٩٦
 أبو أيوب الأنصاري — ١٤:١٦٢
 أبو أيوب القطان — ٤:١٧٧
 أبو البختری النادوي — ٦:٢٠٣
 أبو بشر — ١٨:٣٥
 أبو بكر — ٩:٢٠٣
 أبو بكر الجراحي — ١٣:١٧١
 أبو بكر بن خزم — ٩٤:٧٢
 أبو بكر الصديق — ١٧:١٠٠
 أبو تمام — ٨:١٨١
 أبو تمام النيسابوري — ١٠:١٥
 أبو الجارود = زياد بن أبي زياد
 أبو جعفر المنصور — ٦:٣٤
 أبو الحارث = شبة
 أبو الحسن البصري — ١٣:٥٣
 أبو الحسن الجراحي — ٢:١٦٨
 أبو الحسن الماصري — ٨٤:٦ ، ٨٦:٨٦
 ٤:٨٨، ٢٠
 أبو الحسن = علي بن هارون الزنجاني القاضي

ابن صبر القاضي — ١٣:١٧١
 ابن طرارة — ١١:١٣٤
 ابن عباس رضي الله عنهما — ١٢:٦٠ ، ١:٩٥
 ابن عبيد الكاتب — ١٦:١٤٦ ، ٩:٢٠٢ ، ٧:٢٠١ ، ١٩:١٩٢
 ابن عتبة — ١٨:٩٨
 ابن عرس — ٨:١٧٨
 ابن المصبي — ١٠:١٧٥
 ابن عقيل — ٩:١٦٤
 ابن علوية — ١٤:١٦٥
 ابن عمر — ١٩:٩٨
 ابن العميد = أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد
 ابن العميد = أبو الفضل الكاتب
 ابن العوذى — ١١:١٧٠
 ابن الغازي (الطبيب) — ٨:١٧١
 ابن غسان البصري — ٣:١٦٩
 ابن غيلان البراز — ١٣:١٦٦
 ابن الفرات — ١١:٥٤
 ابن فهم الصوفي — ٤:١٦٦
 ابن الكرخي — ٥:١٧٦
 ابن كعب الأنصاري — ٨:١٣٥
 ابن الكلبي — ٨:٧٤
 ابن المبارك — ٩:١٢٢ ، ٩:٦٦
 ابن المرائي — ١١:١٤٦
 ابن مسعود — ٩:١١٩ ، ٩:٢٠٢
 ابن معروف — ١٣:١٧٢
 ابن المنفي — ٤:١٦٦
 ابن المقفع — ١٦:٢٣
 ابن مكرم — ٤:١٢٩
 ابن مكرم — ١٣:٥٤
 ابن منظور — ٢١:٦٠
 ابن موسى — ٣:١٤٤

١٠٥ : ١٣٩ ، ١٤ : ١٣٨ ، ١
 ١٥٣ : ١٨ : ١٤٣ ، ١٧ : ١٤٠
 ٣ : ١٥٥ ، ١٩ : ١٥٤ ، ١٤
 ١١ : ١٧٤ ، ١١ : ١٦٠
 أبو صالح الهاشمي — ١٤ : ١٧٧
 أبو طاهر : ١٤ : ٥٣
 أبو طاهر = سليمان بن أبي سعيد الحسن
 ابن بهرام الجنابي
 أبو طاهر بن القتيبي العدل — ٨ : ١٧٨ ،
 ٨ : ١٧٩
 أبو طلحة الشاهد — ١٢ : ١٨٢
 أبو الطيب — ٧ : ٣٩
 أبو مائد الكرخي = صالح بن علي
 أبو العالية — ١٣ : ١٢٨
 أبو العباس (غلام الأمراء المتقي) —
 ٧٥٤ : ١٧٤
 أبو العباس البخاري (تلميذ أبي سليمان النطق)
 ١٥ : ١٩ ، ١٦ : ١٠ ، ١٤ : ٦
 ١٦ : ١٦٠ ، ٩ : ٢١ ، ١٦ : ٢٠
 ٥ : ١٦١
 أبو عبد الله البصري — ١٠ : ١٧٥
 أبو عبد الله المرزباني — ٩ : ١٧٧
 أبو عبيدة — ١١ : ١٠١
 أبو العلاء الصيرفي — ١٤ : ١٧٩
 أبو علي البصير — ٦ : ١٣٧
 أبو علي الجبائي — ١٨ : ٧٧
 أبو حمارة = حمزة بن عبد المطلب
 أبو حمارة (قاضي الكوفة) : ٥٦ :
 ١٩
 أبو عمرو بن حفص بن المنيرة — ١٠ : ١
 ١٤
 أبو عمرو الشيباني — ٣ : ١٠٥
 أبو حمزة صاحب شرطة المختار بن عبيد —
 ١١٧ : ٥٣

أبو الحسن الفرضي — ٧ : ١٥٥
 أبو الحسين = أحمد بن يحيى بن إسحاق
 الراوندي
 أبو حنيفة الإمام — ٤ : ١٢٣
 أبو حنيفة القفوي — ١٥ : ١٩٢
 أبو حيان التوحيدى — ٦ : ٢٠٥
 أبو الخير بن يعيش — ٦ : ١٤
 أبو الرداء — ٥ : ٩٨
 أبو ذر الغفاري — ١٢٨ ، ١٠٩ : ٩٦ ،
 ٤ : ١٣٠ ، ١٦٥ : ١٥
 أبو زكرياء الصيمري — ٣ : ٨٤
 أبو زنبور — ٥ : ١٨٠
 أبو زيد البلخي — ٢٠ : ٣٨ ، ٥ : ١٤
 أبو السائب القاضي = عتبة بن عبيد
 أبو سعيد — ١٣ : ١٩٧ ، ٣ : ١٩٣
 أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي
 ٢٦ : ٧٧
 أبو سعيد الرقي — ٤ : ١٨١
 أبو سعيد الكري — ٣ : ١٩٥
 أبو سعيد السيرافي — ١٩١ : ١٢ : ٢ :
 ٧ : ١٩٢ ، ١٧
 أبو سعيد الصائغ — ١٥ : ١٧٦
 أبو سفيان صخر بن حرب — ١٦ : ٧٣ ،
 ١٦ : ٧٥
 أبو سليمان المقدسي = محمد بن معفر
 البستي
 أبو سليمان النطق = محمد بن بهرام
 السجستاني — ٤٧ : ١٤ ، ٢ : ٦ :
 ١٨ : ٤ : ٥٥ ، ٨ : ٢٣ ، ١ : ٢٤ :
 ١٣ : ٤١ ، ١٨ : ٣٨ ، ١ : ٣٥ :
 ١ : ٤٣ ، ٥ : ٤٤ ، ٢ : ٤٥ ، ٢٠ :
 ٤٦ : ٣ : ٤٧ ، ١٥ : ١ : ٢٠ :
 ٤١ : ٨٢ ، ٤ : ٨٣ ، ٩٠ :
 ١١٥ : ٩١ : ١ : ١٠٥ ، ٦ : ١١٥ :
 ١٧ : ١١٧ ، ١٦ : ١٦٢ ، ١٣٢ :

الأخفش — ١٣٩ : ١٠ : ١٦ و ٢٠٢ :
 ٣ : ٢٠٣ : ٦
 أرسطوطاليس — ١٦ : ٤١ : ٤١ :
 ١٩ : ٨٧ : ٦ : ٤٥
 أريوس — ٨ : ٣٦
 أسامة بن زيد — ١٤ : ٩٨ : ٣٠ :
 الأسدى — ٣ : ١٠٥
 أسطفانس — ١٢ : ٣٦
 أسقليوس — ٩ : ٤٥
 الإسكندر — ٨ : ٣٣ : ١٥ : ٢٢ :
 ٧ : ٤٦ : ١ : ٣٧ : ٥ : ٣٤
 أحمدة بن أبيجر النجاشى — ١٦ : ٩٩
 الأصمى — ٩ : ٦٣ : ٤ : ٥٦
 أعشى باهلة — ١٩٨ : ١٢ : ٢٤ و ٢٢ :
 الأعمش — ٨ : ٦٩
 أفلاطون — ٢٠ : ١٥ : ١٨ : ٥ : ١٦ :
 ٢٠ : ٤٥ : ١١ : ٤٤ : ١٤ : ٣٦ : ٢٠ :
 ١٨ : ٤٦ : ١٧ : ٤٧ : ٤٧ : ١٨ :
 ٣ : ٤٩
 أم حبيبة بنت أبي سفيان — ٩ : ٧٤
 أم كلثوم زوجة صهر بن الخطاب — ٨١ :
 ٩
 الأمين (الخليفة) — ٧ : ٢٠١
 أنس بن مالك — ١٠ : ٦٩ : ١١ : ٨١ : ١٢٧ :
 ١٤
 الأنصارى — ٨ : ١٣٧
 الأنطاكى = أحمد بن عاصم
 انكساغورس — ١٠ : ٣٥
 الأوزامى — ١ : ١٢٢ : ٧ : ٦٨ :
 أوميروس — ١٥ : ٣٤

(ب)

بينة — ١٢ : ١٧٦

أبو العيناء — ١٣٧ : ١٣ : ٥٤ : ٦ :
 ١٤ : ١٤٤
 أبو فاتم الطيب — ٧ : ٢٣
 أبو الفتح بن أبي الفضل بن العميد الكاتب
 ٦ : ٣٩
 أبو فرعون الشافى — ٧٦ : ٥٣
 أبو الفضل بن العميد — ٣٩ : ١٤ : ١٥ :
 ٢٠ : ٦
 أبو مسلم الخراسانى صاحب الدعوة —
 ١٤ : ١٨١ : ١٠ : ٥٧
 أبو مسلم الخولانى — ٣ : ١٢٤
 أبو موسى الأشعرى — ٩٨ : ٢٠ : ٩٩ :
 ١
 أبو نصر = مالك بن عمارة اللخمي
 أبو النصر نفيس — ١١ : ٨٨ : ١٤ : ٨٦ :
 ١٠ : ٨٩
 أبو نواس — ٤ : ٦٠
 أبو هاشم بن أبي على الجبائى — ١٩ : ٧٧
 أبو الهذيل الملاف — ٩ : ٩٠
 أبو هريرة — ١٢ : ٩٦ : ١٧ : ٥٥ :
 ١٠ : ١١١ : ٩ : ٩٨ : ١١ : ٩٧ :
 ١١ : ١٢٩ : ١٦ : ١٢٠
 أبو الوزير الصوفى — ٦ : ١٦٧
 أبو يوسف — ١٢ : ٥٦
 أبان بن سعيد بن العاص — ١٧ : ٧٣
 أبقراط — ١٤ : ٤٧
 إبليس — ٧ : ١٢٤ : ٢٠ : ١١٩ :
 أبي بن كعب — ٢ : ٣٠
 أحمد بن حرب — ١ : ١٢٤
 أحمد بن عاصم الأنطاكى — ٤ : ١٢٧ :
 أحمد بن محمد كاتب ركن الدولة — ١٣٥ :
 ١
 أحمد بن يحيى — ١٣ : ٢٠٢ : ٣ : ١٩٧ :
 أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى — ١٤ : ٧٨

السميرى صاحب حياة الحيوان — ١٠٤: ٢٣
ديوجانس — ١٦: ٣١ ، ٧: ٣٢ ، ٣٤: ١٧
١٧ ، ١٠: ٣٦ ، ٤٤: ٥٠ و ٦ و ٩ ،
٤٥: ٣ و ٤٥: ٤٦ ، ٩: ١١ و ١٤ ،
٤٧: ١١ ، ٤٨: ٢٠

(ر)

رافع بن مكيث — ١٠٣: ١٠
الراوندى = أحمد بن يحيى بن إسحاق
رؤية بن العجاج — ٣: ٥٧
الريبع (حاجب المنصور) — ٧: ٧٦
الريبع بن خيثم — ٨: ٦٩
ربيعة بن عامر بن مالك — ٨: ٢٧
الرشيد — ٥: ١٣٠ ، ٦: ٥٨
الرقاشى — ١: ١٢٣
رقية بنت عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)
٩: ٨١
رواد = الجراح بن عبيد الله
روعة جارية ابن الرضى — ١: ١٧٦

(ز)

زرادشت — ٢٣: ٧٧
زريق (صانع فقايع يبتدأ) — ٥: ١٨
الزعفرانى (رأس الفرقة الزعفرانية) —
١٨: ٧٨
زكرياء (عليه السلام) — ٢: ١٨
زنجويه الخيال — ١٤ و ١١: ٩٠
الزهري — ٤: ١٧٧
زهير بن أبى سلمى — ١٢ و ١٠: ١٤٤
زهير بن جذيمة — ١٦ و ٦: ٢٨
زهير بن عمرو — ١٩: ١٠١
زياد بن أبى زياد أبو الجارود (رأس الفرقة

هزة الوراق — ٤: ١١
حيد بن الصيرى — ١٦: ٦٢
حية بن نكاز — ٤: ١٦٤

(خ)

الخاطف (الجارية المنفية) — ٧: ١٧٠
خالد بن أسيد — ٢٠: ٥٢
خالد بن جعفر بن كلاب — ١٨ و ٤: ٢٨
خالد بن سعيد بن العاص — ١٦: ٧٣ ،
١١: ٧٤
خالد بن صفوان — ٨: ١٢٠ ، ٣: ٢٤
خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ٥: ٢٠
خالد بن عدى الجهنى — ٧: ١٠٣
خالد السكاتب — ١٧: ٥٨
خالد بن الوليد — ١١: ١٠١ ، ١٤: ٩٢
١٤ و
الخالم — ٢٠: ١٣٦
خباب بن الأرت — ١٥: ١٠٣
خلوب (جارية أبى أيوب القطن) —
٤: ١٧٧
الخليل بن أحمد — ٢: ١٤٦

(د)

دارا — ١٧: ٢٢
الدارقطنى — ١٦: ١٦٧
داود (عليه السلام) — ١٢٧: ٢ ، ١٨: ١٢٧
٦
دباجة الخنث — ٤: ٥٩
درة البصرية (جارية أبى بكر الجراحى) —
١٧: ١٧٣ ، ١٣: ١٧١
الدعماء بنت وهب — ٢٣: ١٩٨

السندواني ١٧٦ : ٥
سولون — ١٩:٤٦
البراني = أبو سعيد

(ش)

شداد بن حكيم — ١٨:١١٩
شريك بن عبد الله القاضي — ١٢:١٠٠
و ١٤

الشعي — ١٤:٢٢، ٤:٥٨، ٢:١٢٦
شعلة (مفنية) — ٤:١٦٨
شعيب (رأس الفرقة الشيعية) — ٢١:٧٧
شعيب النبي عليه السلام — ١٥:٨٠
شقيق — ١٢١: ٤، ١٢٢: ١٤
و ١٥

الشياني = أبو عمرو
شيبة أبو الحارث وهو عبد المطلب جد
رسول الله صلى الله عليه وسلم —
١٤:٨١

(ص)

الصابي = أبو إسحاق الكاتب
صالح بن عبد القدوس — ١٣:٢٠
صالح بن علي أبو عائذ الكرخي — ١٣٢:
١٠:١٧٦، ١٤
صالح بن مسيل — ١٣:١١٩
صباية النائمة ينفاد — ١١:١٨٢
صخر بن حرب = أبو سفيان
الصولي = إبراهيم بن العباس
الصيمري = أبو زكرياء

الجارودية (— ١٢:٧٧
زياد الأبحم الشاعر — ١٢:١٤٤
زياد بن عبد الله الحارثي — ٤:٦٥
زيد بن رقاعة — ١٣:٣
زيد بن علي بن الحسين — ٢٣: ١٨٨
زيد بن عمر بن الخطاب — ٩:٨١
زيموس — ٣٧: ١٣ و ١٨، ٤٢:٣٨
و ٨

(س)

سالم — ١٥:١٦٢
السروي — ١٤:١٦٥
السري — ١٥:١٢، ٥٧
سعيد بن جبير — ٥:٥٨
سعيد بن عامر — ٨:١٠١
سعيد بن عمرو الجرضي — ١٩: ١٦٣،
١: ١٦٤
سعيد بن القشب — ١٧: ٧٣
السفاح (أبو العباس الخليفة) — ٣: ٦٣
سقراط — ١٦: ٥، ١٥: ١٨، ٣٤:
١٢، ٣٦: ١٧ و ١٩، ٤٤: ١١
٤٥: ١٤، ٤٦: ١١، ٤٧: ٦
السكري = أبو سعيد
السلامي — ٢٠: ١٣٥
سلعة — ٣: ١٩٧
سلعة بن المحبق — ١٠: ٨، ٦٤
سلمي — ٦: ١٩٨
سليمي — ٨: ١٨٢
سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي
٢٩: ٧٧
سليمان (عليه السلام) — ٢: ١٨
سندس (جارية ابن يوسف صاحب ديوان
السواد) — ١٧٣: ٥

عبد الله بن عبيد الله بن معمر التيمي —

٢١:٥٢

عبد الله بن مسعود — ٥:١٠٣

عبد المطلب جد النبي = شيبه

عبد الملك بن مروان — ١٩:٥٢ ، ٧٠:

٦٥ ، ١٤٤:٣٥

عبيدة — ٢: ١٨١

عبيد الله بن جحش — ٨:٧٤

عبيد الله بن معمر التيمي — ٢١:٥٢

عتاب بن أسيد — ١٦:٧٣

عتبة بن عبيد أبو السائب القاضى — ١٠٠:

١١ ، ١٩٥:٣٢

عتبة بن النضر السلمي — ١٢: ٨٠

عثمان بن أبي العاص — ١:٤٤

هروة بن الزبير — ٤:٧٠

عزير — ١١:١٢١

عطاء السندی — ٩:٦٧

عقال بن عقيل — ٩:١٦٤

عقبة السلمي — ١٢: ١٠٢

عقبة بن عامر الجهني — ١: ١٠١

علوان الثقفي (غلام ابن هرس) — ١٧٨:

٨ ، ١٨٠:١٣

علوة (جارية ابن علوية) — ١٣: ١٦٥ ،

٥: ١٧٨

عليه (جارية مقنية) — ١٣: ١٧٢

علي بن أبي طالب — ٣١: ١٣ ، ٦٣:

١٤ ، ٧٥: ٦٥ ، ٧٧: ١٣ ،

٨١: ٩ ، ٩٥: ٢٥ ، ٦٥: ١٨٨ ،

٦

علي بن الحسن — ٥: ٣٠

علي بن عيسى بن ماهان العائذ — ٢٠: ١

١٤

علي بن عيسى الوزير — ١٤٥: ١٠٠: ٥٤

١٤ ، ١٩٦: ١٢

(ط)

طالوت — ١٧: ٣٣

طاهر بن الحسين — ٨: ٢٠١

الطبري — ١: ٧٨

طيا ثاوس — ٥: ٣٧

(ظ)

ظلم — ٨: ١٤٥

ظلم جارية أبي سعيد الصائغ — ١٧٦:

١٥

(ع)

العاص بن وائل — ١٣: ٩٥

عاصم بن مالك — ٨: ٢٧

العاصمى — ١٣: ١٩٣

العاصمى = أبو الحسن

عائشة رضى الله عنها — ٥: ٦٦

العباس بن الأخنف — ١٤٥: ٦ ، ١٧٧:

١٠

العباس بن الحسن الملوى — ١٤: ١٤٤

العباس الصولى — ٤: ١٤٥ ، ٤: ٥٤

العباس بن عبد المطلب — ٥: ٧٥

عبد الحميد بن عبد العزيز — ١٠: ١٢٨

عبد الحميد الكاتب — ١: ٦٣

عبد الرحمن بن عوف — ١٦ و ١٤: ٩٢

عبد الرحمن بن مدين — ١٣: ٦٤

عبد الرازق المجنون صاحب الكيل يباب

الطلاق — ١٢: ١٦٦

عبد الله بن الجوشن النطفاني — ١١: ٢٨

عبد الله بن خالد بن أسيد — ٢٠: ٥٢

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم —
 ١٠: ٨١، ١٠: ٩٦
 فائق الغلام — ١٠: ٨١، ١٠: ١٨٦
 فتح — ١٠: ١٦٤
 الفتح بن خافان — ٧: ٥٢
 الفرضي = أبو الحسن
 فضيل بن عياض — ٣: ١٢٢، ٣: ١٢٨
 ١٨
 فيثاغورس — ٧: ٤٥، ١: ٣٢

(ق)

قابوس صاحب جرجان — ١٦: ١١٧
 قاسم بن محمد — ١٠: ١٢٦
 قبيصة بن ذؤيب — ٤: ٧٠
 قبيصة بن الحفارق — ١٠: ١٠١، ١٦: ١٩١
 ٥: ١٠٢
 قدامة بن جعفر — ١٤٥، ١٣: ١٥
 القمقاع بن عمرو — ٤: ٧٥
 قلم القضيبيبة اللثنية — ٧: ١٦٧
 قنوة البصرية — ٦: ١٧٢

(ك)

كبل البقال — ٤: ١٨٠
 كسرى أبو شروان — ٨: ٢٤
 الكلبي — ١١: ٢٨
 الكنانة المفري — ٦: ١٨٢
 كنتس صوابه (لأبقوس) الشاعر الإفريقي —
 ١٥: ١٥٣، ١٥: ١٥٤، ١٩

علي بن المهدي الطبري — ١٨: ٣٥
 علي بن موسى الرضا — ١٧: ٧٧
 علي بن هارون الزنجاني القاضي — ١٥: ٤
 ١٣: ١٥٧
 عمر بن أبي ربيعة — ١٤: ١٧٢
 عمر بن الخطاب — ٩: ٦٤، ١٠: ٦٦،
 ٦: ٧٢، ٨: ٨١، ١١: ٩٥، ١٣
 ١٠: ١٠١، ١٧: ١٠٠، ١٣
 ٢١: ١٦٢، ١٦٤: ٧٦
 عمرو بن الإطناية — ١٢: ٢٧
 عمرو بن العاص — ١: ٧٤، ١: ٢٧
 ١١: ٩٥، ١٢: ١٣، ١٨٥: ٨
 ١٨
 عمر بن عبد العزيز — ٧: ٢٠٣
 العمى — ٨: ١٧١
 عنان جارية الناطقي — ٤: ٦٠
 عيسى المسيح عليه السلام — ٩: ١٠
 ١٨: ٢٠، ١٥: ٤٤، ٣: ٦٩
 ١٥: ٩٩، ١٨: ١٢٣، ١٢٧: ١٥
 ١٥
 عيسى الوزير — ٨: ١٣٤

(غ)

غالوس — ٨: ٣٧
 غاتم — ١٥: ١٦٢
 الغريب الخنث — ١٢: ٥٧
 الغراب (ماجني) — ١٥: ٥٩
 غلام الأسراء = أبو العباس
 غلام يابا — ١٢: ١٨٢

(ف)

فاطمة بنت الحسين — ٧٢: ٥٠، ١٨

محمد النبي صلى الله عليه وسلم — ٦:٩

١٨:٢، ٢٦:١٧، ٢٩:١٢ و ١٤

و ١٥، ٣٠:١ و ٢٥ و ٧ و ٨ و ١٠

و ١٢ و ١٣، ٥٤:١٧، ٦٦:٥

و ١٩، ٧٤:٢ و ١٠، ٧٧:١٣،

٧٨:٦، ٧٩:١٥، ٨٠:١٢،

و ١٤، ٨١:١١ و ١٣، ٩٢:

١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٧، ٩٣:

و ٣ و ٤ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥، ٩٤:

و ١ و ٣ و ٨ و ١٠ و ١٨، ٩٥:

و ٤ و ٩ و ١٦، ٩٦:١ و ٢ و ٩ و ١٢ و ١٦

و ٩٧:١٩، ٩٨:١٢ و ١٥، ٩٩:

و ٥ و ٦ و ١١ و ١٣ و ١٦ و ١٨ و ١٩،

١٠٠:٢، ١٠١:١ و ٥ و ٨ و ١٢

و ١٣ و ١٨، ١٠٢:١ و ٥ و ١١

و ١٢ و ١٤، ١٠٣:٣ و ٤ و ٥

و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦، ١٢٢:

و ٥ و ٦ و ١٢٣:١٢ و ١٥ و ١٩،

١٢٩:٣، ١٣٥:٨، ١٤٢:

١١، ١٦٢:١٣، ١٨٨:٢٥،

١٩٥:٩، ٢٠٥:٨

محمد بن تحرير — ٨:٦٥

محمد بن واسع — ٢٠:١٢٠

محمد بن يحيى البرمكي — ٦:٥٨

محمد بن يزيد المبرد — ١٩٦:١٣، ١٩٧:

١٣

المختار بن عبيد — ٧:٥٣ و ١١

الدائني — ٤:٦٨

مذكورة جارية مفقودة — ١٨١:٤

مرثية — ١١:٥٥

مرداويج الجليل — ١١:١٥

المرزباني = أبو عبد الله

مروان بن الحكم — ١٦:٧٤

(م)

مالك بن دينار — ١٢٠:١٥، ١٢١:

٩:١٢٣، ٢

مالك بن عبادة النافقي — ١٠٣:٥

مالك بن حمارة النعمي — ٣:٧٠ و ١٥،

٢٠:٧١

مانع — ٤:٥٧

ماني — ٢٤:٧٢

الأمون (الخليفة) — ٧:٢٠١

اللبرد = محمد بن يزيد

التوكل (الخليفة) — ٨:٥٢

بجاهد — ٨:٦٨

محرز — ٥:٥٧

محمد بن أسلم — ١٢٤:٥

محمد بن بهرام = أبو سليمان المنطقي

محمد بن الحسن الجرجاني — ٢:٥٢

محمد بن الحسين النجار (رأس الفرقة النجارية)

صوابه الحسين بن محمد النجار

محمد بن زكرياء — ٦:٢٣

محمد بن سلام — ١٩٥:٣ و ٢

محمد بن العباس المنقري — ١٢:١٠٠

محمد بن عيسى الملقب بدير غوث رأس الفرقة

البرغوثية — ٢٠:١٨٨

محمد بن القاسم — ١٨:١٢٦

محمد بن المرزبان — ١١:١٠٠

محمد بن مسلمة — ١٢ و ١١:٩٥

محمد بن مضر البسقي أبو سليمان المقدسي —

١٥:٤، ١١:١٦، ١٦:١٦ —

٣١:٧

محمد بن المنكدر — ٣:١٣٠

محمد بن موسى —

١٦:١١٩، ١٧ و ١٤ و ١٣

ميمون بن مهران — ٤:٥٤

ميمون بن ميمون — ٤:٦٩

(ن)

النابغة — ١٦:٢٠٣، ١٧:١١٣

نافرة بن صبي — ١٠:١٠١

الناطق — ٣:٨١، ٤:٦٠

نافع — ١٩:٩٨

نجاح الكاتب — ١٨:٦٥

النجاحي أصحمة بن أبيجر — ١٠:٧٤،

١٧:٣، ١٥ و ١٦ و ١٧:٩٩، ١٤

و ١٦

نصر — ١:١٦٤

نصير — ٩:٧٧

نضلة — ١٠:٥٨، ٩:٥٤

النظام — ١٢ و ٩:٩٠

النعمان بن بشير — ١١٣:٥٠، ١٠٢:١١٣ :

١٧

النعمان بن المنذر — ١٦:٢٠٣

نهاية (جارية) — ٤:١٦٦

النوشجاني — ٧:١٤

التيسابوري = أبو تمام

(هـ)

هشام — ٢:٥٦

هشام بن سالم — ١٢:١٠٤

هشام بن عبد الملك — ١٦٣:١٤، ٦٤:١٦٣ :

١٩، ١٦٤:١٦ و ٢٠١

هند بن أساء بن زنياع — ١١:١٩٩

هوميروس — ٤:٤٦ :

مزدك — ٢٤:٧٧

مزهد — ١٤:٥٥

مسكويه — ٣:٣٩، ٩:٢

مسلم (المحدث) — ٢٣:١٠٢

المسيح عليه السلام = عيسى

مشمشة الخنت — ٦٥:٥٤

مصعب بن الزبير — ١٩:٥٢

مطر بن أبي القيث — ١٣:٢٠

مطرف بن محمد وزير مرداويج — ١٥ :

١١

معاوية بن أبي سفيان — ٦٤:١٥، ٦٣:

١٨ و ١٧:٧٤، ١

منز الدولة البويهي — ٢٣:١٨١

المعلم غلام الحصري — ٤:١٧١

معمر — ١٢:١٢٠

المنيرة — ١٢:١٠٠

المنيرة بن شعبة — ١٨ و ٨:١٨٥

المفضل الصيرفي — ١٨:١٨٨

المفضل بن عمرو — ١٧:١٨٨

المقتاد بن الأسود — ٢:٩٥

المقدس = محمد بن معمر اليسق

أبو سليمان

المنقصر بن وهب — ١٩٨:١٢ و ٢٢

٢٣ و ٢٥، ٢٠١:٣

المنصور = أبو جعفر الخليفة

منصور بن مهران — ١٥:١٢٩

منقاريوس — ١٧ و ١٣:٣٧ و ١٥

المهاجر بن أبي أمية الخزومي — ١٨:٧٣

المهدي الخليفة — ٤:٦٥، ١٠ و ٨:٣٤

المهرجاني = أبو أحمد

مهلهل بن ربيعة — ١٦:٥٣

موسى بن جعفر الصادق — ١٦:٧٧،

١٨:١٨٨

موسى النبي عليه السلام — ٨٠:٢، ١٨:

يحيى بن أبي يعلى — ١٦٧٢:٢٠٦
 يحيى بن زكريا عليه السلام — ١٨ : ٢
 يحيى بن عدى النصراني — ١٨ : ٦ ، ٣٨ : ١٣
 يحيى بن علي — ١٤ : ٢٠١
 يحيى بن معاذ — ١٢٣ : ٢ ، ١٢٥ :
 ١٦ ، ١٢٦ : ١١ ، ١٢٧ : ١
 يعقوب بن الليث — ٦ : ٦٦
 يوسف بن يعقوب : ٦٣ : ١٣

(و)

الواسطي — ١٥ : ١٧٥
 واشق الأشجعي — ١١ : ١٠٢
 وهب (هو ابن بنيه) — ١٠ : ١٣٠
 وهيب بن الورد — ١٠ : ١٢٣

(ي)

ياقوت الحموي — ٢ : ١٨ و ٢٠ ، ٢٩ :
 ١٨ — ١٩٩ : ١٩

« تم فهرست الأعلام »

فهرست أسماء الأماكن

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

يسقى — ٢١:٤	(١)	الأبلة — ٨:٦٤
بين السورين — ٩:١٧١		الأبواء — ١٥:٨١
(ت)		أحد — ١٥:٩٢
تبراك — ١٩:١٥٢		الأحشاء — ٩:٧٨
تثليث — ٣:١٩٩		أدى — ٤:٢٩
ترباع — ١٦:٢		أرمينية — ٧:٩٨
تغشار — ٢٠:١٩٥		أسفران — ١٨:٥
(ج)		الإسكندرية — ٧:٥٧
جرجان — ١٦:١١٧		أصبهان — ١٢:١٦٩، ٢١:١٥٧
جرش — ١٨:٧٣	(ب)	
الجفرة — ١٩:١١٥		باب الفاسية — ٢٣:١٨٢
جنازة — ١٢:٧٨، ٢٧:٧٧		باب الطاق — ١٢:١٦٦، ٣:٢٦
جى — ١٥:١٥٧		البحرين — ١٧:٧٣، ٢٧:٧٧، ٧٨:١٠
(ح)		بدر — ٢:٩٥
الحجاز — ١٩:١٩٩، ١٢:٧١		البصرة — ١٣:٤، ١٠:٥٠، ٦٥:١٠
حجر — ١٧:٥٣		١٥:١٦٩، ١٣
الحديبية — ١٠:١٠٣		بغداد — ٢٠:١٧٦، ١٨:٣٥، ٢٢:١٨٢، ١٦:١٨١، ٢٣:١٨٠
الحرم — ٩:٧٨		٨:٢٠١، ٥:١٨٨
حنين — ١٥:١٠٢، ١٠:٩٣		بيت الله الحرام — ٢٩:٧٧

السندية — ١٩ : ١٧٦
سوق العطش — ١٨٢ : ١٢ و ٢٢
سوق عكاظ — ١٦ : ٢٨

(ش)

شاش خراسان — ١٤ : ١٨١
الشام — ٧٢ : ١٦ ، ٨١ : ١٩٢ ، ٢٠
شطا — ٢١ : ١٧٩
شهرستان — ٢٢ : ١٥٧

(ص)

الصراة — ٢١ و ١٤ : ٥٩
صريفين — ٦ : ١٨٠
صفين — ١٥ : ٦٣
صنعاء — ١٦ : ٧٣
الصين — ١٧ : ١٠٨

(ط)

الطائف — ٢ : ٧٤

(ع)

العراق — ٣٤ : ٧ ، ٤٨ : ١٧ ،
٢١ : ٥٩ ، ٧١ : ١٢ ، ٧٢ : ٢٠ ،
١١ : ١٣٤
عقبة همدان — ١٢ : ٢٠١
عمان — ١ : ٧٤

(ف)

فدك — ٢٩ : ٤ ، ٩٣ : ١ و ١٨

(خ)

خراسان — ١٥ : ٦ ، ٦٤ : ١٣ ،
١٨٠ : ٥
خير — ١٨ : ٩٣

(د)

دار القطن — ٦ : ١٦٧
دار الكتب المصرية — ٢٢ : ٦٤
ديق — ٢٠ : ١٧٩
دجلة — ١٠ : ٢٠٣
درب الزعفراني — ١٤ : ١٧١
درب السلق — ١٤ : ١٦٥
الدهناء — ٢١ : ٢
ديار بكر — ٢٠ : ١٩٢

(ذ)

ذو الخصلة (الكعبة البمانية) — ٢٥ : ١٩٨

(ر)

الرصافة — ٢٣ : ١٨٢ ، ١٥ : ١٧٦
الري — ٢٢ : ٤ ، ٢٣ : ٧ ، ٣٩ : ٦ ،
١٨ : ٧٨ ، ١٤ : ١٥٧ ، ٢٠ : ٩

(ز)

زبالة — ١٥٦ : ١٧ و ١

(س)

سجستان — ١٥ : ٤٨

مطرق — ١٢٩ و ١٢٩
 المغرب — ١٥:٢٢
 مكة — ١٦:٧٣ ، ٢٩:٧٧ ، ١:٧٩ ،
 ١٩:١٩٩ ، ١٧:١٥٦ ، ١٦:٨١
 مهرجان — ١٨:٥
 مهرجان قذق — ١٨:٥
 منى — ١٢: ١٨٦
 الموصل — ١١: ٢٠٣

(ن)

نجد — ١٦: ١٩٩
 نجران — ١٧: ٧٣
 نهر الملى — ٢٢: ١٨٢
 نيسابور — ١٥: ١٥

(هـ)

هضبة النياح — ١٠: ١٩٩
 الهند — ١: ١٠٨ ، ١٢: ٦٣

(و)

الوراقين — ٥: ١١

(ي)

يبرين — ٨: ١٩٥
 الجامعة — ١٨: ٢٩
 الين ١١: ٦٣ و ١٢
 اليهودية ٢٢: ١٥٧

(ق)

القادسية — ٧: ١٥٧
 القاهرة — ١٩: ١٩٢
 قزوين — ٨: ١٦
 القطيف — ٩: ٧٨
 قف النخلتين — ٦: ٣٠
 قلعة الجبل — ١٩: ١٩٢

(ك)

الكرخ — ٦: ١٦٦ ، ١٠: ٥٨ ،
 ٤: ١٨٣ ، ٢: ١٦٨
 ٢٠: ١٧١
 الكعبة — ٩: ٧٨
 الكعبة اليمانية = ذو الخليفة
 كلواذى — ١٣: ١٦٩
 الكوفة — ١٩: ٥٦ ، ٥٤: ٥٠ ،
 ١٣: ١٠٠ ، ٢٣: ٦٤

(م)

ما وراء النهر — ٢٠: ١٨١
 المدينة — ١١: ٩٤ ، ١٥: ٨١ ، ٤: ٧٢
 ٦: ١٦٧ ، ١٤: ١٦٢ ، ١٦: ١٧٨
 المرند — ١٧: ٥٨
 صرو — ١٤: ٧٨
 المفرق — ١٦: ٢٢
 مصر — ٢١: ٢٠ ، ١٧٩ ، ١٣: ٦٣

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي

بنو عدى بن النجار — ١٦: ٨١
بنو عقيل — ١٠: ١٦٤
بنو العنبر — ١٩: ٢
بنو فهر — ٢: ١٠٢
بنو كلاب — ١٤: ١٥٦
بنو لُحَب — ١٩: ١٦٤
بنو مروان — ٧: ٧٣
بنو نفيل بن عمرو بن كلاب — ٩: ١٩٩
١٧: ٢٠١
بنو هاشم — ٥: ٧٤ ، ٦: ٧٣
البهسية — ١٩: ٧٧

(ت)

تيم — ١٩: ١٧١

(ج)

الجارودية — ١٢: ٧٧
الجباية — ١٨: ٧٧
الجبيرة — ٢١: ٧٨
جشم — ١٨: ١٩١
جهينة — ٢٠: ٢٧

(١)

آل أبي طالب — ٣: ٧٣
آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم —
٨: ٢٠٥ ، ١٣: ٧٦ ، ٣١: ٧٦
الإباضية — ٢٦: ٧٨
الائتاء عصرية — ١٥: ٧٧
أشجع — ١٠: ١٠٢
الأشجعية — ١٠: ٧٧
الأشعرية — ١٨: ٧٧
الإماميون — ١٧ و ١٠: ١٨٨
الأنصار — ٣٠: ١١ و ١٥ ،
٥: ٩٩
أهل الذمة — ٥: ٢٠٣
أهل السنة — ١٦: ٧٨ ، ٢٢ و ٢٠: ٧٧

(ب)

البرغوثيون — ٩: ١٨٨
بنو إسرائيل — ١٣: ١٢٤
بنو أمية — ١٨ و ٧: ٧٣
بنو تغلب — ١٤: ٦٣
بنو الحارث بن كعب — ١١: ١٩٩
بنو عامر — ١٥ و ١٠: ٩٤
بنو عبد مناف — ٢: ١٠٢

الشيعة — ٩ : ١٢ ، ١٥ : ١٠ ، ٧٧ :
١٧ و ١١ : ١٨٨ ، ٨

(ص)

الصائبون — ١٤ : ٥
صحية رسول الله صلى الله عليه وسلم —
١٣ : ٧٧
الصدق — ٧٤ : ١
الصوفية — ١٥٥ : ١٦ ، ١٧١ : ٤

(ط)

الطبريون — ١٨٨ : ٨
طلى* — ٢٨ : ٢ ، ٢٩ : ٤

(ظ)

الظاهرية — ٧٨ : ٢٤

(ع)

العجم — ٧٦ : ١٣ و ٦
العرب — ٢٧ : ١٠ و ١٤ ، ٧٧ : ٢٧ ،
٩٤ : ١٨ ، ١١٣ : ٤ و ١٧ ،
١٣٩ : ٩ و ١١ ، ١٤٦ : ٤ ،
١٦٤ : ٢٢
العم — ١٧١ : ١٩
العوذ — ١٧٠ : ٢٣

(ف)

الفرس — ٧٧ : ٢٣
للفلاسفة — ٩ : ١٣ ، ١١ : ٨ ،
٧٧ : ٢٣

(ح)

الحارثية — ٧٨ : ٢٦
الحكاماء — ٢٧ : ٤ ، ٦٤ : ١٢ ،
١١٣ : ٩ ، ١١٧ : ٧ ، ١٣٦ :
١٧
الحنبلية — ١٨٨ : ٨

(خ)

الخازمية — ٧٧ : ٢٢
الخواريج — ٩ : ١٣ ، ٧٧ : ٢١

(ر)

الرافضية — ٧٨ : ٢
الراوندية — ٧٨ : ١٤
الروم — ١٣٩ : ١٤

(ز)

الزعفرانية — ٧٨ : ١٨
الزنادقة — ٧٧ : ٢٣
الفرنج — ١٣٩ : ١٤
الزيدية — ١٥ : ٦ ، ٧٧ : ١٢ ، ١٨٨ :
١٠

(س)

السنّة — ٩ : ١٣

(ش)

الشيعية — ٧٧ : ٢١

المتزلة — ١٢:٩ ، ٧٨ : ١٥ ، ٧٨ : ٢٧
المتزلة البصرية — ٧٧ : ١٩
المفضلون — ١٨٨ : ٩
المهابة — ٥٠ : ١٠

(ن)

الناجون — ١٦ : ٧
التجارية — ٧٨ : ١٦ و ١٨ و ٢٥ ،
١٨٨ : ١٩
التحويون — ١٣٦ : ١٧
النصاري — ٩ : ١٠ ، ٥٩ : ٧٨ ، ٤ : ٧٨
التصيرية — ٧٧ : ٨
نفيل بن عمرو بن كلاب = بنو نفيل

(هـ)

المهريون — ١٦ : ٧
هوازن — ٢٨ : ٥

(ي)

اليهود — ٧٨ : ٣ ، ١٦٧ : ١٤
يوكان — ٨ : ٢ ، ١٨ : ١٠ ، ٦١ : ٢٢ ،
٩ : ١٥٣ ، ١٥ : ١٥٤ ، ١٠ : ١٥٤

(ق)

القدرية — ٧٨ : ١٧ و ١٩
القرامطة — ٧٧ : ٢٣
قريش — ٦٦ : ١٢ ، ٧١ : ٧ ، ٧٤ : ١٠

القطبية — ٧٧ : ١٥

(ك)

كننة — ٧٤ : ١

(ل)

اللقويون — ١٣٦ : ١٧
لهب = بنو لهب

(م)

المجوس — ٩ : ١٠ ، ٣٣ : ٣ ، ٧٨ : ٤
للرجة — ٩ : ١٢
المستدركة — ٧٨ : ٢٥
المسلمون — ٧٨ : ٣
مضر — ١٩٩ : ٤

فهرست أسماء الكتب

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(ر)

رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء —
٩ : ١٣ ، ٩ : ٥
السبأ والعالم — ٨٧ : ١٠ و ١٩

(ش)

شرح القاموس = تاج العروس
شعر أعشى باهلة — ١٩٨ : ٢٤ ، ١٩٩ :
١٦

(ع)

عقد الجمان — ٧٧ : ٢٥
المقد الفريد — ٩٥ : ١٩ و ٢٠ و ٢٣ ،
١٩ : ٩٦

(ق)

القاموس المحيط — ١٩ : ٦٤ ، ٨١ : ١٧

(ل)

لسان العرب — ٢٩ : ١٨ و ١٩ ، ١٦٢ :
٢٠ ، ١٦٤ : ١٧ ، ١٩٨ : ١٥

(١٥)

(١)

أخبار أبي نواس — ٦٠ : ٢١
الإصابة في تجريد المصحابة — ٦٤ : ١٨
الألفاظ الفارسية المخرجة — ٨٥ : ١٩
الامتناع والمؤانسة — ٢٠٥ : ٦

(ب)

بلوغ الأرب — ٢٨ : ١١

(ت)

تاج العروس ٧٨ : ١٢ ، ١٧١ : ٢٣

(ح)

حياة الحيوان — ١٠٤ : ١٥ و ٢٣ ،
١٨ : ١٠٥

(خ)

خبيئة الأكوام — ١٨٨ : ٢١
خزانة الأدب — ١٩٨ : ٢٣ ، ١٩٩ :
١٦

و ١٩٠ ، ١١٠ : ٢٣	(م)
الملل والنحل — ١٨٨ : ٢١	مجمع الأمثال — ١٤٨ : ١٩
(ن)	المصباح المنير — ١٦٧ : ١٢
نهاية الأرب — ١٧٩ : ٢٤	معالم الدين — ١٨٨ : ٢٢
النواميس لأفلاطون ٢٠ : ٢٠	معجم البلدان — ٧٨ : ١٢
	مفردات ابن البيطار — ١٠٨ : ١٦

فهرست قوافی الایات

الواردة فی الجزء الثانی من کتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبی حیان التوحیدی

۱۵ : ۵۳	أبا عبد الإله	الفلادة			
۱۲ : ۱۷۵	أنسیت	وردر			
۶ : ۱۵۳	یا رب	الحقد			
۱۸ : ۱۱۳	وأسكنت	بفاهدر			
۵ : ۶۵	أنا	بعیدر			
(ب)					
۱ : ۱۶۷	بالشباب	أعط			
۱۱ : ۱۷۲	فأعتبا	هیبی			
۲۵ : ۱۰۵	الکرب	أ کذب			
۱۳ : ۶۲	جانب	ولیس لنا			
۱۶ : ۱۵۲	مجنب	الحیر			
(ر)					
۵ : ۲۸	بل کیف	أحراراً			
۱ : ۱۷۳	یا ذا الذی	ناراً			
۱۵ : ۱۷۲	أیرى	الفجر			
۱ : ۱۹۹	إلى أننى	سنخر			
۷ : ۱۶۸	لو أن	الکدر			
۶ : ۱۷۷	إذا أردت	بمنتصر			
۵ : ۱۷۴	قد أشهد	حصراً			
۸ : ۱۸۲	عهود العبا	الذکر			
۸ : ۱۸۵	وقد يتفانى	أو عمر			
۹ : ۱۷۲	یا لیکنی	عمری			
۱۰ : ۱۹۸	یکفیه	القدر			
۱۳ : ۲۸	شفیت	وظاهر			
۱ : ۲۸	رأیت	وصدور			
۱۷ : ۵۳	فلولا	بالذکور			
۵ : ۱۸۱	سرت	سروراً			
۱ : ۱۵۳	من القلیل	کبیر			
۱۲ : ۲۷	وساهی	کثیر			
۲ : ۱۱۴	لمرک	شریره			
(ت)					
۴ : ۱۵۳	وفاته	من			
۴ : ۱۶۹	بجیاته	وحیاته			
۱ : ۱۷۴	شهادتی	ولو طاب			
۷ : ۵۳	حجرتی	أنا			
۸ : ۶۰	قوتاً	زووجوا			
۵ : ۶۰	یموتا	لو			
(ح)					
۱۲ : ۱۸۶	ماسح	ولما قضینا			
۹ : ۱۸۱	قاضح	صددنا			
۱ : ۱۷۷	جریحاً	فیالک			
(د)					
۱۰ : ۱۷۱	والاباد	بلحی			

٤ : ١٥١	الزلزل	قد يدرك
٦ : ١٧٨	الرسول	أروخ
٦ : ١٧١	ما تقول	وقال لي
٩ : ٢٨	وعقول	وما فكت
٦ : ١٩٨	القليل	أمر

(م)

١١ : ١٨٠	المدام	ما العيش
١١ : ٥٠	بالطعام	أصبحت
١٥ : ٥٦	بسلام	لست مني
٨ : ١٦٩	كلام	هب الشعراء
١١ : ١٤٤	والدم	لسان الفقى
٢ : ١٥٣	ندم	من باع
٦ : ١٧٥	كالعالم	صرفت
١٤ : ١٣٩	والروم	ما زال
٧ : ١٤٥	ملوم	تعالى
١٠ : ١٤٧	ولوم	الدهر

(ن)

١٤ : ١٨٢	لك عانى	ليت شعري
٣ : ١٧٦	بالأمانى	وحق
١ : ١٨١	القوائى	ألا يا قوم
٤ : ١٠٥	نمباناً	إن كنت
١٨ : ١٥٢	سلطانة	من سلم
١٥ : ١٧١	تثنى	لست ألسى
٩ : ٥٦	إذن	إن أباموسى
٥ : ١٦٨	الحران	لا بد
٨ : ١٧٤	غنى	أبو المباس
٩ : ١٧٣	بخلون	يجلس

(هـ)

٨ : ١٧٠	تقصاها	تذهب
---------	--------	------

(س)

٧ : ٢٧	القابس	لاح
--------	--------	-----

(ص)

٤ : ١٧٠	خلاصى	إذا
١٤ : ١٩٣	القبص	عطاؤكم

(ط)

٣ : ١٥٣	الشاحط	لدى يجرم
---------	--------	----------

(ع)

٧ : ١٤٠	ابتدعوا	ماذا لقيت
٥ : ١٥٣	ما تزعمه	المال
٦ : ١٦٦	مطلعه	أستودع

(غ)

١٧ : ١٥٢	أدفع	رب سكوت
----------	------	---------

(ق)

٢٠ : ٥٨	من عشفوا	أحرم
١٠ : ١٦٧	الثنائى	أقول لها

(ك)

١ : ١٧١	لحاكا	لب الهوى
١٢ : ١٧٦	أوقاكا	فالت
١٥ : ١٦٥	ظلمك	بالورد

(ل)

٦ : ١٧٦	الحال	هجرنى
---------	-------	-------

فهرست أنصاف الايات

الواردة في الجزء الثاني من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

١١ : ١٥٠	ما العلمُ	الصنبرُ
٥ : ١٤٨	ومن يبكِ	اعتنرُ
٨ : ١٤٨	رُمةٌ	صغيرُ
٩ : ١٥٠	فنُ	الأميرُ

(ب)		
٨ : ١٥٠	كذبه	ولربما
١٥ : ١٤٩	المطبُ	إن الشجاعةُ
١ : ١٤٩	مذاهبه	ومن يسأل
١٤ : ١٥٢	نصيبُ	والبحرُ

(ت)		
٧ : ١٥٣	الفراتُ	البحرُ

(ح)		
٧ : ١٥٢	رياحا	ولربما

(د)		
٩ : ١٤٩	المبادُ	الموتُ
١٤ : ١٤٨	الأحقادُ	عند
١٠ : ١٥٠	رُقادُ	إذا فزع

(هـ)		
٣ : ١٥١	كل امرئُ	سأى
٩ : ١٥٢	ولكنَّ	أوجعُ
١٤ : ١٥٠	إن الشفيقُ	مولعُ

(و)		
١٢ : ١٥٠	ذو المالِ	إن الكريمُ
٢ : ١٤٩	لا الحالةُ	المرءُ

(ز)		
١٦ : ١٤٩	صبرُ	إن الكرامُ

٧ : ١٤٨	والأمرُ	ينمى	١٣ : ١٥٠	الأجل	لأنّ الفرار
١٠ : ١٤٨	وقد يستجهلُ	الحليمُ	١١ : ١٤٨	يُفعل	وإذا مضى
	(ن)			(م)	
٨ : ١٥٢	والحمدُ	بأتمنٍ	٩ : ١٤٨	الأقوامِ	ذَهَبَ
			١٦ : ١٤٧	وتلما	وحسبك

استدراك

اطلع الأستاذ المرحوم محمد كرد علي على الجزء الثاني من الإمتاع والمؤانسة بعد طبعه ، فأرسل إلينا بالملاحظات الآتية . وقد أثبتناها في ثانيا الكتاب ، وثبتها هنا ليعرف القارى أنها من تصويبه .

صفحة	الأصل	التصويب
٥	المعوفى	المعوفى (كذا يرى حضرته)
١٤	العصائبون	العصائبون
١٤	ابن الخنثار	ابن خنثار
٢٠	الحصرى	الصيمرى
٢٤	باستقامنا	باستقامتنا
٣٠	حقى ترغو	حقى ترغو
٣١	شباط	شباط
٣٢	الأمراض والأغراض	الأمراض والأغراض
٤٠	بالرفق والخرق	بالرفق والخرق
٤٨	وما سوس	وما سوس
٤٨	الدولة مقبلة	والدولة مقبلة
٥٥	مزيد	مزبد (كحدث)
١٠٥	أجبن من صفر	أجبن من صفر

صفحة	الأصل	التصويب
١١٧	أطفأ نائرتها	أطفأ نائرتها
١٣٥	بالنير المخطط	بالنير المخطط
١٤٦	غير ما	غير ما
١٥٥	أبو الحسن القرضى	القرضى ؟
١٧١	بين السورين	بين السورين
١٧٩	قراستى من قراصة	قراستى من قراصة

هذا إلى ملاحظات أخرى له أوردناها في مكانها ؟

كِتَابُ

الْمَشْرِعُ وَالْمَوَانِسَةُ

تأليف

أبي حيان التوحيدي

وهو مجموع مسامرات في فنون شتى
حاضر بها الوزير إبا عبد الله العارض في نحو أربعين ليلة

الجزء الثالث

صححه وضبطه وشرح غريبه
أحمد أمين و أحمد الزين

 دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بقية الليلة الحادية والثلاثين في آخر الجزء الثاني »

ثم تَرَأَى الحديث إلى أَمْرِ الْمُطْعِمِينَ وَالطَّاعِمِينَ ^(١) ، وَالَّذِينَ يَهْشُونَ ^(٢) عِنْدَ ^(٣) الْمَائِدَةِ ، وَالَّذِينَ يَغْبِسُونَ ^(٤) وَيَجْمُونَ وَيُطْرِقُونَ ، وَالَّذِينَ يَصْنَعُونَ ^(٥) وَيَلْقَطُونَ ، وَيَضْجَرُونَ وَيَتَنَاظَلُونَ .

قال : أحبُّ أن أسمعَ في هذا أكثرَ ما فيه ، ويمرُّ بي أحبه ، فإنَّ في معرفة هذا الباب تهذيباً وإيقاظاً كثيراً .

فكان من الجواب : إنَّ الناس قديماً وحديثاً قد خاصوا في هذا الفنَّ خصوصاً بصيداً ، وما وقفوا منه عند حدٍّ ، لأنَّ الحديث عن الأخلاق المختلفة بالأمزجة ^(٥) المتباينة ، والطبائع المتناقضة لا يكاد ينتجى إلى غاية يكون فيها شفاء للمستمع للسنن [و] لا لراوية المفيد .

قال : قبل كل شيء أعلمونا ^(٦) يا أصحابنا : الحثُّ على الأكل أحسن ، أم الإمساك حتى يكون من الأكل ما يكون ؟

فكان [من] الجواب : أن هذه المسئلة بعينها جرَّت بالأسى بالرأى عند

(١) في (١) بالطاعمين ، والباء معرفة من الواو كما هو ظاهر من السياق .

(٢) في (١) يمشون ، وهو تحريف .

(٣) في (١) « يمشون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) « ينجون » .

(٥) في كلتا النسخين بالأمزجة ؛ وهو تحريف .

(٦) في (ب) « إعلموا » ؛ وهو تحريف .

ابن عبّاد فتَنُوبَ الكلامُ فيها ، وأفضى [إلى] أن الأولى الحثُّ ، والثانية البسْطُ والطلاقة ولينُ اللفظ وقيلة التحديق وإنجاء الطرف مع [اللطف] والذمّة ، من غير دلالةٍ على تكلفٍ في ذلك فاضح^(١) ولا إمساك^(٢) عنه قادح .
وحكى ابن عبّاد في هذا الموضع أن بعض السلف قال : الطعامُ أهونُ من أن يُحِثَّ على تناوله .

وقال الحسن بن عليّ : الطعامُ أجلُّ من أن لا يُحِثَّ على تناوله . ومذهبُ الحسنِ أحسنُ .

قال : ولقد حضرتُ موائدِ ناسٍ لا أُظنُّ بهم البخلَ فلم يُحِثُّوني ولم يَبْسُطُونِي قَبِيضِي ذلك ، وكان أقباضِي كان بِمَعُونَتِهِمْ ، وإن لم يكن يارادتهم .
قال الوزير : هذه فائدة من هذا الرجل الذي يُتهادى قوله ، وتتراوى أخباره^(٣) .

ثم حكيتُ له أن أسماءَ بنَ حارِجَةَ قال : ما صنعتُ طعاماً قطّ فدَعَوْتُ عليه نفرًا إلّا كانوا آمنًا علىَّ مِنِّي عليهم . فقال : زدنا من هذا الضرب ما كان ، قلتُ : لو أُذِنَ لي في بجمه كان أوّلِي ؛ قال : لك^(٤) ذلك فَا يَصْرُفُنا^(٥) .
أن تُطْرِبَ آذَاننا بما تَهْوَى نفوسنا .

فكان من الجواب أن الجاحظ قد أتى على جمهرة هذا الباب إلّا ما شذَّ عنه

(١) في (١) ناصح ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « الإمساك » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) في (١) ويترأى اختياره .

(٤) في (١) « إلى » ؛ وهو تحريف .

(٥) في (١) « ينصرنا » ؛ وهو تحريف .

مِمَّا لَمْ يَقَعْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَالِمَ - وَإِنْ كَانَ بَارِعًا - لَيْسَ بِمُجُوزٍ أَنْ يُظَنَّ [به] أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ بَابٍ ، أَوْ بِالْبَابِ الْوَاحِدِ إِلَى آخِرِهِ ؛ عَلَى أَنَّهُ حَدَّثَ مِنْ عَهْدِ الْجَاحِظِ إِلَى وَاقِعِنَا هَذَا أُمُورٌ وَأُمُورٌ ، وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، وَغَرَائِبُ وَعَجَائِبُ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَكْتَسِبُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ عَادَةً جَدِيدَةً ، وَخَلِيقَةً غَيْرَ مَعْهُودَةٍ ، وَبَذَّةَ هَذِهِ اللَّيْنِ ^(١) هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي فِيهِ تَنْفَقِدُ شَرِيعَةٌ ، وَتُظَاهِرُ نَبْوَةٌ ، وَتَنْشُو أَحْكَامٌ ، وَتَسْتَقَرُّ سُنَنٌ ، وَتُؤَلَّفُ أَحْوَالٌ ^(٢) بَعْدَ فُطَامٍ شَدِيدٍ ، وَتَلَكُّوْ رَاقِعٌ ؛ ثُمَّ عَلَى أَسْتِنَانِ ذَلِكَ يَكُونُ مَا يَكُونُ .

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : مَنْ ضَافَ الْبَخِيلَ صَامَتِ دَابَّتُهُ ، وَاسْتَقْفَى عَنِ الْكَثِيفِ ، وَأَمِنَ التُّخْمَةَ .

وَقَالَ حَامِدٌ ^(٣) الْفَافُ الْمَرْهَدُ ^(٤) : لِلرَّائِي إِذَا ضَافَ إِنْسَانًا حَدَّثَهُ بِسَخَاوَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِذَا ضَافَهُ إِنْسَانٌ حَدَّثَهُ بِزُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ .

وَقَالَ مَالِكٌ ^(٥) بْنُ دِينَارٍ : دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ مَسِيرِينَ فَقَالَ : مَا أَذْرِي مَا أَطْعِمُكُمْ ؟ ثُمَّ قَدَّمَ ^(٦) إِلَيْنَا شُهْدَةً .

وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ خَيْثَمَةُ يَصْنَعُ الْخَبِيصَ ثُمَّ يَقُولُ : كُلُّوا فَوَاللَّهِ مَا صُنِعَ إِلَّا مِنْ أَجْلِكُمْ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَزِيُّ ^(٧) : أَحَقُّ النَّاسِ بِلَطْفَةِ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ

(١) فِي (١) « وَبَذَّرَهُ اللَّيْنُ » . وَفِي (ب) « وَبَذَّرَ هَذِهِ اللَّيْنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَتَا اللَّيْنَيْنِ وَمَا أَثْبَتْنَاهُ هُوَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ . (٢) فِي (ب) « أَحْكَامٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (٣) كَذَا فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ ؛ وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ٦٩ مَنْسُوبَةً إِلَى حَاتِمٍ ، أَيْ حَاتِمِ الْأَصَمِّ .

(٤) فِي (ب) « الزَّاهِدُ » ؛ (٥) فِي (١) « خَالِدٌ » ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (ب) « أَخْرَجَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٧) فِي (١) « الْمَرْءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ذَهَبَ بآخر معه ، وأحَقَّهُم بِلَطَمَتَيْنِ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : اجْلِسْ هَاهُنَا قَالَ : بَلْ هَاهُنَا ؛ وَأَحَقُّ النَّاسِ ثَلَاثَ لَطَمَاتٍ مَنْ إِذَا قِيلَ لَهُ : كُلْ ، قَالَ : مَا بَالُ صَاحِبِ الْبَيْتِ لَا يَأْكُلُ مَعَنَا .

وقال إبراهيم بن الجُنَيْد^(١) : كَانَ يَقَالُ : أَرِيعَ لَا يَنْتَبِي لِشَرِيفٍ أَنْ يَأْتَفَ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا : قِيَامُهُ مِنْ مَجْلِسِهِ لِأَبِيهِ ، وَخِدْمَتُهُ لِلْعَالِمِ يَقَعْلُمُ مِنْهُ ، وَالسُّوَالُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ مِنْهُ هُوَ أَهْلُهُ مِنْهُ ، وَخِدْمَتُهُ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لَهُ .

وقال حاتم الأصم : كَانَ يَقَالُ الْمَجَلَّةُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا فِي خَمْسٍ ، فَإِنَّهَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِطْعَامُ الضَّيْفِ إِذَا حَلَّ ، وَتَجْهِيْزُ الْمَيْتِ إِذَا مَاتَ ، وَتَرْوِيْجُ الْبَكْرِ إِذَا أَدْرَكَتْ ، وَقَضَاءُ الدِّينِ إِذَا حَلَّ وَوَجَبَ ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفَنَائِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِنْ شَاءَ أَخَذَ ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ » .

وجاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفي يدها قَدَحٌ ، فَسَأَلَتْ عَسَلًا وَقَالَتْ : زَوْجِي مَرِيضٌ ؛ فَأَمَرَ لَهَا بِرَاوِيَةِ عَسَلٍ^(٢) ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْحَرِثِ : إِنَّمَا نَسْأَلُ قَدَحًا . قَالَ : سَأَلْتُ عَلَى قَدْرِهَا وَنُعْطِيهَا عَلَى قَدْرِنَا .

خَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : نَزَلَ بِنَا ضَيْفٌ الْيَوْمَ فَقَالَ : اتَّخَذُوا لِي فَاوْذَجًا ؛ فَسَرْنَا ذَلِكَ مِنْهُ

(١) في (١) « ابن المنيل » ، وهو تصحيف . وقد سبق كلامه هنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب صفحة ٦٨ سطر ١١ .

(٢) هذه الكلمة في (١) لم يظهر منها إلا بعض حروفها وفي (ب) مطبوسة كلها .

وقال الحسنُ في الرجل يدخلُ بيتَ أخيه فيرى السَّلةَ فيها الفاكهةُ :
لا بأسَ أن يأكلَ مِنْ غيرِ أن يَسْتَأْذِنَهُ .

وقال ابنُ عمر : أَهْدَيْتَ لرجلٍ من أصحابِ النبي - صلى الله عليه وعلى آله -
شاةً فقال : أخى فلانٌ أخوجُ إليها ، وَبَعَثَ بها إليه ، فلم يَرْكَبْ^(١) يَبِيعُ بها
واحدٌ بعد واحدٍ حتى تداولها تسعةُ أيَّامٍ ، وَرَجَعَتْ إلى الأولِ ، فنزلت
الآيةُ : (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

قال أبو سعيد الخُدْرِيُّ : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له
ظَهْرٌ فَلْيَمْدُ على من لا ظَهْرَ له ؛ ومن كان له زادٌ فَلْيَعُدْ على من لا زادَ له ،
حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ مِنَّا في الفضلِ^(٢) » .

وسئِلَ ابنُ عمرَ . ما حقُّ المُسلمِ على المُسلمِ ؟ قال : ألا يَشْبَعَ وَيَجْمُوعُ ،
وَألا يَلْبَسَ وَيَعْرِى ، وَأَن يُوَاسِيَهُ بِلَبِيسِهِ وَصَفَرَانِهِ .
وكان ابنُ أبي بَكْرَةَ يُنْفِقُ على جيرانِهِ أربعينَ داراً سِوَى سائرِ نَفَقَاتِهِ ،
وكان يَبْتَغِ إليهم بالأضاحيِّ والكسوة في الأعياد ، وكان يَعْتَقُ في كلِّ يومٍ
عيدٍ مائةً مملوكٍ .

وكان حمادُ بنُ أبي سُلَيْمانٍ يُفِطِرُ كلَّ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانٍ خمسينَ إنساناً ،
وإذا كان يومَ الفِطْرِ كَسَّاهُمْ ثَوْباً ثَوْباً وَأَعْطَاهُمْ مائةً مائةً .

وقال الشاعر :

أَرَاكَ تَوَمَّلَ حُسْنَ الثَّنَاءِ ولم يَرْزُقِ اللهُ ذاكَ البَخِيلَا

(١) سياق السلام يفيد أن الثاني قال مثل ما قال الأول وبعث بالشاة إلى أخ ثالث ،
وحذف ذلك العلم به .

(٢) يريد بالفضل هنا : ما فضل من المال وزاد .

وكيف يسود أخو بطنة^(١) يَمُنُّ كثيراً ويُعطى قليلاً

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تجافوا عن ذنب السخى ، فإن الله يأخذُ بيده كلما عثر » .

وقال عليه السلام : « من أدّى الزكاة ، وقرى الضيف ، وآوى^(٢) في النائية ، فقد وقى شح نفسه » .

وقالت أمّ البينين أخت عمر بن عبد العزيز : أفه للبخل ، لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان سراجاً ما أضاءت به .

وقال الأصمعي : قال بعض العرب : ليست الفتوة الفسق ولا الفجور ، ولا شرب الخمر ، وإنما الفتوة طمأنينة موضوع ، وصنيع مصنوع ، ومكان مرفوع ، ولسان مغسول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأدى مكفوف .

وقال أبو حازم المدني : أسعد الناس بالخلق الحسن صاحبه ، نفسه منه في راحة ، ثم زوجته ، ثم ولده ، حتى إن فرسه ليصهل إذا سمع صوته ، وكلبه يشترير بذنبه إذا رآه ، وقطه يدخل [تحت] مائدته ، وإن التبيء الخلق لأشقى الناس ، نفسه منه في بلاء ، ثم زوجته ، ثم ولده ، ثم خدمه ، وإنه ليدخل وهم في سرور فينفرون فرقا منه ، وإن دابته لنحيد عنه إذا رآه ، مما ترى منه ، وكلبه ينزو على الجدار ، وقطه يفر منه .

وكان على باب ابن كيسان مكتوب : ادخل وكنل .

(١) هذه الكلمة مطموسة في (١) ولم يظهر منها في (ب) غير النون ؛ وما أمثاله هو المناسب للسياق .

(٢) في (١) وأدى ؛ وهو تحريف .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول فى بكائها [على النبى صلى الله عليه وسلم] :
بأبى مَنْ لَمْ يَنْمَ عَلَى الْوَتِيرِ ، وَلَمْ يَشْبَعِ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ وِعَاءً مِثْلُ شَرِّهِ مِنْ
بَطْنٍ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاجْعَلُوا ثُلُثًا لِلطَّعَامِ ، وَثُلُثًا لِلشَّرَابِ ، وَثُلُثًا لِلرَّيْحِ » .
قال الشاعر :

لِيسُوا يُبَاكُونَ إِذَا أَصْبَحُوا شَبَعَى بِطَانًا حَقَّ مَنْ ضَيَّعُوا^(١)
وَلَا يُبَاكُونَ بِمَوَلَانَا وَالْكَلْبُ فِي أُمُومِهِ يَرْتَعِ
وَحَكَى لَنَا أَبُو بَكْرٍ أَخَذَ بِنُورِ إِبْرَاهِيمَ بِمَرْجَانٍ [إِمَامُ الدُّنْيَا] قَالَ : رَأَيْتُ
أَبَا خَلِيفَةَ الْمَفْضَلِ^(٢) بِنَ الْحَبَابِ ، وَقَدْ دُعِيَ إِلَى وَلِيَّةٍ فَرَأَى الصُّحُفَ تَوْصَعُ
وَتُرْفَعُ ، فَقَالَ : أَلِإِحْسَنِ وَالْمَنْظَرِ دُعَيْنَا ، أَمْ لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ؟ فَقِيلَ : بَلِ
لِلْأَكْلِ وَالْمَخْبَرِ ، قَالَ : فَاتْرَكُوا الصَّخْفَةَ يُبْلَغُ قَعْرُهَا .

وكان سليمان بن قُتَيْبَةَ ضَخَّمَ الْخِيَوَانَ ، كَثِيرَ الطَّعَامِ ، وَافَرَ الرِّغِيفِ ،
وَكَانَ مُعْجَبًا بِإِجَادَةِ الْأَلْوَانِ ، وَأَتَّخَذَ الْبِدَائِعَ وَالطَّرَائِفَ وَالْغَرَائِبَ عَلَى مَائِدَتِهِ ؛
وَكَانَتْ لَهُ ضُرُوبٌ مِنَ الْخَلُوعِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِهِ ، وَكَانَ خُبْرُهُ الَّذِى يُوضَعُ عَلَى
الْمَائِدَةِ الرِّغِيفُ مِنْ مَكُوكٍ^(٣) دَقِيقٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو فَرَعُونَ الْعَدَوِيُّ :

مَا النَّاسُ إِلَّا نَبِطٌ وَخُوزَانُ^(٤) كَكَهْمَسِ أَوْ عَمَرَ بْنِ عِمْرَانَ

(١) فى (١) « صنعوا » ؟ وهو تصحيف .

(٢) فى (١) المفضل بن الحبان ؟ وهو تحريف .

(٣) المكوك : من مكايل العراق ، وهو صاع ونصف أو هو ثلاث كيلجات والكيلجة
منا وسبعة أثمان منا ، والمنا رطلان .

(٤) لعله يريد بالخوزان : أهل خوزستان ، وهم — فيما يقال — ألام الناس وأسقطهم
نفوساً .

صَاقَ^(١) جِرَابِي مِنْ رَغِيفِ سَلْمَانَ^(٢) أُمُّ حَمَارٍ فِي حِرٍّ أُمُّ قَعَطَانٍ
وَأَبْرُ بَقْلٍ فِي أَسْتٍ أُمُّ عَدْنَانَ
(٣)

وَعَشِيقَ رَجُلٍ جَارِيَةٍ رُومِيَّةٍ كَانَتْ لِقَوْمِ ذَوِي يَسَارٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، عِنْدِي الْيَوْمَ أَصْحَابِي ، وَقَدْ اشْتَهَيْتُ سَكْبَاجَةً^(٤) بَقْرِيَّةً
فَأَحِبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يُمْمِنُنَا وَيَكْفِينَا مِنْهَا ، وَدَسْتَجَةً^(٥) مِنْ نَبِيذٍ لِنَتَغَدَّى
وَنَشْرَبَ عَلَى ذِكْرِكَ ، فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ بِمَا طَلَّبَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا
يَوْمًا آخَرَ : فِدَتُكَ نَفْسِي ، لِإِخْوَانِي مَجْتَمِعُونَ عِنْدِي ، وَقَدْ أَشْتَهَيْتُ قَلِيلَةً جَزْوَورِيَّةً
فَوَجَّهِيَ بِهَا إِلَيَّ وَمَا يَكْفِينَا مِنَ النَّبِيذِ وَالنَّقْلِ ، لِيَعْرِفُوا مَنَزَلَتِي عِنْدَكَ ، فَوَجَّهَتْ
إِلَيْهِ بِكُلِّ مَا سَأَلَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا آخَرَ : جُمِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنَا
وَأَصْحَابِي رَهْوسًا سَمَانًا ، فَأَحِبُّ أَنْ تَوْجَّهِيَ إِلَيْنَا بِمَا يَكْفِينَا ، وَمِنْ النَّبِيذِ
بِمَا يُرْوِينَا ؛ فَكَتَبَتْ الْجَارِيَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ ،
وَحُبُّكَ هَذَا مَا تَجَاوَزَ الْمِلَّةَ . وَكَتَبَتْ أَسْفَلَ الرُّقْعَةَ :

عَذِيرِي مِنْ حَبِيبٍ^(٦) جَا عَنَا فِي زَمَنِ الشَّدَّةِ

(١) فِي (١) سَارٍ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) سَلْمَانٌ ، أَيْ سَلْيَانٌ ؛ وَهِيَ لَفَةٌ فِيهِ .

(٣) وَرَدَ مَوْضِعُ هَذِهِ النُّقْطِ فِي (١) وَحَدَّثَنَا كَلَامُ هَذَا نَحْوِهِ : أَنْزَلَ بِقَوْمِ قَهْرَةَ صَامٍ
وَلَمْ يَأْتُوهُ بِهِ وَلَكِنْ دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : أَذْهَبَ مَا مِنْهُ وَكَأَنَّهُ يَذِمُّ أُمَّ مَبُوءًا :

إِذَا دَعَيْتُ بِمَا فِي الْبَيْتِ قَالَتْ نَحْنُ مِنَ الْجِدَالِ وَمَا حَيْثُ

وَلَا يَنْقُضُ مَا فِي هَذَا كَلِمَةً مِنَ التَّحْرِيفِ الْكَثِيرِ وَقَدْ بَحَثْنَا عَنْهُ فِي غَتَّافِ الْمَصَادِرِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا
فَلَمْ نَجِدْهُ . (٤) السَّكْبَاجَةُ : مَرْقٌ يُصْنَعُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْخَلِّ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ السَّكْمَةُ فِي (١) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ ، وَفِي (ب) « دَسَجَةٌ » ؛
وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا . وَالدَّسْتَجَةُ : لَأَنَاءٌ كَبِيرٌ مِنْ زُبَايَاجِ فَارْسِيَّتِهِ دَسْتُهُ .

(٦) فِي (١) « حَيْثُ » ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

وكان الحُبُّ في القلبِ فصارَ الحُبُّ في المَعْدَةِ
وقال جرير: ^(١)

ولا يَذْبَحُونَ الشاةَ إلا بِمَيْسِرٍ ^(٢) كثيرٌ تَفاجيها لِثَامٌ قُدُورُها

وقالت عادية ^(٣) بنتُ فَرْعَةَ الزَّيْيرَةِ في ابْنِها دَوْسُ :

تَشْبُهُ ^(٤) دَوْسُ نَفراً كَرَامَا

كَانُوا الذُّرَى وَالْأَنْفَ وَالسَّنَامَا

كَانُوا لِمَنْ خَالَطَهُمْ إِذَا مَا

كَالَسْتُمْ لَنَا مَسْغَبَلِ الطَّعَامَا

يقال سَغَبَلَ رَأْسَهُ [بِالذُّهْنِ] وَسَفَسَفَهُ ^(٥) وَرَوَّاهُ وَأَمْرُهُ ^(٦) .

قال الواقدي : قيل لِأُمِّ أَيُّوبَ : أَيُّ الطَّعَامِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَدْ عَرَفْتُمْ ذَلِكَ بِمَقَامِهِ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَأَيْتُهُ أَمَرَ بِطَعَامٍ

(١) البيت لسان بن ذهل يهجو جريراً وقبلة :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها
إذا نزع يوماً كليب وسومت تقاعس في ظهر الأتات مغيرها
رأيت كليباً يعرف القوم ريحها إذا اسود بين الأملحين جعورها
ولا يذبحون الشاة الخ ...

انظر الجزء الأول من ديوان جرير ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية .

(٢) في (١) « بمئزر » ؟ وفي (ب) « بمئسر » بالنون وهو تحريف في كلتا النسختين
والنصوب عن ديوان جرير ج ١ ص ١٣٤ طبع المطبعة العلمية . يريد أن ذبح الشاة عندهم أمر
ذو بال لا يفعلونه إلا بواسطة قدام الميسر التي يشترك فيها الجميع وتفرق بينهم كل نصيبه كما
يذبح الجزور في زمن الجذب والتعط .

(٣) كذا ورد هذا الاسم في كلتا النسختين .

(٤) في (١) « أسنه » ؟ وهو تصحيف .

(٥) في (ب) « وسعسه » بمهملتين ؟ والمعنى واحد .

(٦) كذا في (ب) وكتب اللفظ والذي في (١) « وأمرغه » بالثين المسبحة .

يُصَنِّعُ لَهُ بِعَيْنَيْهِ ، وَلَا رَأْيَانَهُ أَتَى بِطَعَامٍ فَمَا بِهِ قَطُّ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّهُ تَعَشَّى عِنْدَهُ لَيْلَةً مِنْ قِصَّةِ أَرْسَلَهَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ [فِيهَا] طَفَيْشَلُ ^(١) فَرَأَيْتُهُ يَنْهَكَ تِلْكَ الْقِصَّةَ ^(٢) مَا لَمْ يَنْهَكَ غَيْرَهَا ، فَرَجَعَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي ، فَكُنَّا نَعْمَلُهَا لَهُ . وَكُنَّا نَعْمَلُ لَهُ الْمَرِيضَةَ ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ، وَكَانَ يَحْضُرُ عَشَاءَهُ ^(٣) مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةٍ إِلَى عَشْرَةٍ كَمَا يَكُونُ الطَّعَامُ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ .

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ يَفْعَلُ لَهُ هَرِيصَةً لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهَا ؛ أَجَاءَتْ قِصَّةُ أَسْعَدَ أَمْ لَا ؟ فَيَقَالُ نَعَمْ ، فَيَقُولُ : هَلْ نَوَّهَ ؛ فَنَعْرِفُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تُعْجِبُهُ

قَدِمَ صُهَيْبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَنَحْوُهُ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رُطْبٌ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِ كُثْلُومُ بْنُ الْهَذَمِ ^(٤) أَمْتَاتُ جَرَّادِينَ ^(٥) وَصُهَيْبٌ قَدْ رَمَدَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَصَابَتْهُ سَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَوَقَعَ فِي الرُّطْبِ ؛ قَالَ صُهَيْبٌ : فَجَعَلْتُ أَكُلُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَى إِلَى صُهَيْبٍ يَأْكُلُ الرُّطْبَ وَهُوَ رَمَدٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ الرُّطْبَ وَأَنْتَ رَمَدٌ ؟ » فَقَالَ صُهَيْبٌ : أَنَا أَكُلُ بِشَقِّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ ، فَتَبَسَّمَ [رَسُولُ اللَّهِ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) الطفَيْشَلُ : نَوْعٌ مِنَ الرُّقِّ .

(٢) فِي (١) الْقَدْرُ ؛ وَهُوَ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) « عِنْدَهُ » .

(٤) فِي (١) « ابْنُ مَبْرُومٍ » ؛ وَفِي (ب) ابْنُ الْمَرْمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَاتِنَا النَّاسِخِ وَالنَّصِيبِ عَنْ كِتَابِ الْفَنَاءِ وَمَعِجَاتِ الْأَعْلَامِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا .

(٥) فِي (١) حَرَّادِينَ ؛ وَفِي (ب) حَرَّادِينَ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَاتِنَا النَّاسِخِ وَالنَّصِيبِ عَنْ كِتَابِ الْفَنَاءِ وَكِتَابِ الْحَدِيثِ ، وَأَمَّ جَرَّادِينَ : نَوْعٌ مِنَ الرُّطْبِ كَبَارٌ ، وَسَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ نَخْلَةٌ يَجْتَمِعُ تَحْتَهَا الْجَرَّادَانِ لِلْحَلَاوَةِ ثَمَرُهُ . وَأَمَّ جَرَّادِينَ آخَرُ نَخْلَةٌ بِالْمَجَازِ إِدْرَاكًا ، وَهِيَ أُمُّ جَرَّادِينَ رَطْبًا ، فَإِذَا جَفَتْ فَهِيَ السَّكْبِسُ .

وقال الأغشى :

لو أطمعوا المَنَّ والسَّلوَى مَكَانَهُمْ ما أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا

وقال الكُمَيْت :

وما اسْتَنْزَلْتُ فِي غَيْرِنَا قِدْرُ جَارِنَا وَلَا تُفَيِّتُ إِلَّا بِنَا حِينَ تُنْصَبُ
يقول إذا جاورنا جارتنا لم نُكَلِّفْهُ أَنْ يَطْبُخَ مِنْ عِنْدِهِ ، ويكون ما يَطْبُخُهُ
مِنْ عِنْدِنَا عَمَّا نَعْطِيهِ مِنَ اللَّحْمِ لِيَنْصَبَ ^(١) قِدْرَهُ . ويقال للحَيْسِ ^(٢) سَوِيطة ^(٣) .
وقال : الرَّغِيْفَةُ ^(٤) لَبَنٌ يَطْبُخُ . وقال : هي العصيدة ، ثم الحريرة ^(٥) . ثم
النَّجِيرَةُ ^(٦) ، ثم الحَسُو ^(٧) . واللُّوْقَةُ : الرُّطْبُ بِالسَّمنِ ^(٨) ، والسَّليقة : الدَّرَّةُ
تُدَقُّ وتُصَلِّحُ بِاللَّبَنِ ، والرَّصِيعة ^(٩) : البُرُّ يَدُقُّ بِالْفِهْرِ وَيُبَلُّ وَيَطْبُخُ بِشَيْءٍ مِنَ
السَّمنِ ، والوجيئة : التَّمَرُ يُوجَأُ ثُمَّ يُؤْكَلُ بِاللَّبَنِ .

وقال أعرابي : ليس من الألبان أخلى من لبن الخَلْفَةِ ^(١٠) .

(١) في (ب) « ينضب » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيسجن شديداً ثم يخرج منه نواه .

(٣) السويطة : من السوط وهو الخلط ؛ وفي (أ) « الصريطة » ؛ وهو تحريف .

(٤) في اللسان أن « الرغبة » : حسو من الزبد ؛ وقيل : لبن يفل ويذر عليه دقيق .

(٥) في اللسان أن « الحريرة » دقيق يطبخ بلبن أو دسم

(٦) في اللسان : أن النجيرة لبن وطحين يخلطان ؛ وقيل : هي لبن حليب عليه سمن .

وقيل : هي ماء وطحين يطبخ . والنجيرة : بين الحسو وبين العصيدة . والذي في كلتا النسختين
« النجيرة » ؛ وهو تصحيف .

(٧) الحسو : طعام يعمل من الدقيق والماء .

(٨) وقيل : إن اللوقة الزبدة .

(٩) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مضطربة الحروف في رسمها . وقد قلبناها

على عدة وجوه ، وهذا الذي أثبتناه هو ما وجدناه في كتب اللغة بالمعنى الذي ذكره
للؤلف هنا .

(١٠) الخلفة : الخاض من النياق .

والتَّخِيْسَةُ وَالْمَطْيِبَةُ يُخْلَطُ لَبَنُ إِبِلٍ بِلَبَنٍ غَنَمٍ^(١) .

وقال أعرابي : الحمد لله الذي أغنانا باللبن عما سواه . ويقال أكل خبراً قفاراً وعفراً وعفيراً : لا شيء معه^(٢) وعليه القفار والدمار وسوء الدار^(٣) ؛ وأكل خبراً جببياً^(٤) أى قطييراً^(٥) يابساً . وجاء بتمر فضٍ^(٦) وفصاً وفذٍ وحثٍ^(٧) : لا يلزق بفضه بعض .

قال أبو الحسن الطوسي : أخبرني هشام قال : دخل على فرج الرُّخَّجِيّ وقد تغذبت وأتكتأت ، فقال : يا أبا عبدالله : إنما تُخَسِّنُ الأكل والاشكاء . [قال] : فتركت [الأكل] عنده أياماً ، وبلغه ذلك ، فبعث إلى : إن كنت لا تأكل طعاماً فليس لنا فيك حاجة . قال : « فأكلت »^(٨) شيئاً ثم أتيتُهُ فلم يفتقد مما كان .

(١) في كتب اللغة أن « التخيصة » و « المطيبة » لبن الماعز يخلط بلبن الضأن ، لا لبن إبل كما هنا .

(٢) عبارة التووين « لا آدم معه » .

(٣) في (١) « وشواء النار » .

(٤) وردت هذه الكلمة في كلتا النسختين مصحفة الحروف يحتاج إصلاحها إلى بحث في كتب اللغة . وهذا الذى أثبتناه هو ما وجدناه في تلك الكتب بالملحق المذكور هنا ، وهو الجزء اليابس .

(٥) « القطير » هو الذى أجعل قبل أن يجتم .

(٦) كذا في كتب اللغة ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كلتا النسختين مصحفتي الحروف يحتاج إصلاحهما إلى تعليلهما على عدة وجوه .

(٧) في كلتا النسختين ، « وقد وحاء حب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين ، وما أثبتناه من كتب اللغة .

(٨) وردت هذه العبارة التى بين هاتين الملامتين في كلتا النسختين مضطربة الحروف ، تتمذر قراءتها ، والسياق يقتضى إثباتها على هذا الوجه .

قال أبو الحسن : أخبرني القراء قال : العرب تسمى السَّكْبَاجَةَ^(١) الصَّفَصَةَ . وأنشد :

أبو مالكٍ يَمْتَادُنَا فِي الظَّهَائِرِ يَجُوهُ فَيَلْقَى رَحْلَهُ عِنْدَ عَامِرٍ^(٢)
أبو مالك : الجوع ، هكذا تقول العرب وَيَجِيءُ^(٣) وَيَجُوهُ لفتان .
وقال الآخر :

رَأَيْتُ الْغَوَانِي إِذْ نَزَلَتْ جَفَوْنِي أَبَا مَالِكٍ إِنِّي أَظُنُّكَ دَائِبًا^(٤)
أبو مالك ها هنا الشَّيْب .

قال أبو الحسن : أخبرني الثَّوْرِيُّ^(٥) عن أبي عُبَيْدَةَ في الحديث الذي يَرْوَى عن عمر بن الخطاب أنه رأى في رَوْثٍ فَرَسِهِ حَبَّةَ شَعِيرٍ ، فقال : لأَجْعَلَنَّ^(٦) لك في غَرَزِ^(٧) النَّقِيعِ ما يَشْغُلُكَ عن شَعِيرِ الْمُسْلِمِينَ . قال : والنقيع موضع بالمدينة أُنْحَاهُ عمر [بن الخطاب] لخليل المسلمين ، خِلاف النقيع بالباء .
قال الطُّوسِيُّ : العرب تقول : « أَيْدَى الرِّجَالِ أَعْنَاكُهَا » أي مَنْ كَانَ أَطْوَلَ يَدًا عَلَى الْمَادَّةِ تَنَاوَلَ فَأَكَلَ ، الهاء تَرْجِعُ عَلَى الْإِبِلِ ، أي أَيْدَى الرِّجَالِ أَعْنَاكُ الْإِبِلِ ، أي مَنْ طَالَ نَالَ .

قال الأصمعي : سألت بعض الأَكَلَةَ فِيمَنْ كَانَ يُقَدِّمُ عَلَى مُيَسَّرِي

(١) السَّكْبَاجَةُ : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٢) عامر : من أسماء الخبز ، ويسمى أيضاً جابراً وعامراً . والذي في الأصل : بجو مكان « بجوه » ويجي وبجو في التفسير بعد ؟ وهو تحريف ، والتصويب عن اللسان . وفي كتاب ما يقول عليه « يلم فيلق » . وجابر مكان « عامر » .

(٣) في كلتا النسختين « دانيا » ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن اللسان وما يقول عليه وروايته في كلا الكتابين : أبا مالك إن الغواني هجرني أبا مالك الخ

(٤) في (ب) التوزي ؛ والثوري ؛ كلاهما معروف .

(٥) في (١) لأجعلنك . (٦) الفرز بالتحريك : نبات يشبه الثمام ينبت على

شواطئ الأنهار ، وفي كلتا النسختين عزيز ؛ وهو تصحيف .

الناس كيف تصنع إذا جهدتك الكفة — والعرب تقول : « إذا كنت بطناً فعدك زمناً — قال : أخذ يوماً حاراً وأعصره وأشرب ماءه ، فاختلف^(١) عنه مراراً ، فلا ألث أن يلحق بطنى [يظهرى] فاشتوى الطعام .

قال ابن الأعرابي : قال النكلابي : هو يندف الطعام إذا أكله بيده ، ويلقم الحسو ، واللقم بالشفة ، والدنف : الأكل باليد . وقال الزبيرى : يندف^(٢) .

وأشد ابن الأعرابي :

ويطل ضيف بني عبادة فيهم متضمراً و بطوهم كتم
أى متملئة . والتضمير : الهزال والتعانة ، كالنخل المصمر ، أى الذى قد
ذوت^(٣) جذوعه . قال الشنوبذى فى قول الله تعالى^(٤) : (قل هل ننبئكم
بالأخسرين أعمالاً [الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا]) . قال : الذين يثردون
وياً كل غيرهم . قال أبو الحسن : كانت لى أبنه تجلس معى على المائدة فيثرب
كنفاً كأنها طلمة ، فى ذرايع كأنها ججارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة
إلا خصتني بها ، فزوجتها ، وصار يجلس معى على المائدة ابن لى ، فيثرب لى
كنفاً كأنها كرفانة^(٥) ، فى ذرايع كأنها كربة^(٦) ، فوالله إن^(٧) تسبق

(١) يقال : اختلف إلى الحلاء ، إذا أصابه إسهال فتردد إليه .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة نقصا وقع من الناسخ .

(٣) فى (أ) « وقت » بالواو ؛ وهو تحريف ، ولعل صوابه « رقت » بالراء مع تشديد
الفاف . وفى (ب) « ذرت » بالدال المهملة والراء ؛ وهو تحريف أيضاً ، ولعل صوابه ما أثبتنا ،
كما يقتضيه سياق الكلام . (٤) فى (ب) فى قوله عز وجل .

(٥) السكرانة : أصول السكرب التى تنقى فى جذع النخلة بعد قطع السف .

(٦) الكربة بالتحريك : أصول السف الفلاظ العراض التى تقطع منها .

(٧) إن تسبق ، أى ما تسبق ؛ فإن هنا نافية .

عني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها .

وقال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرتُ إذا بَلَغْتَنِي نَأَقِي أَنْ
أَنْحَرَهَا وَأَكُلَ مِنْ كَبِدِهَا . قال : « بَلَسَا جَارِيَتَهَا » .

أَضَلَّ أعرابيٌ بَعِيرًا لَهُ ، فَطَلَبَهُ ، فَرَأَى عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بُحْتِيًّا ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :
هَذَا بَعِيرِي ، فَقَالَ : إِنَّكَ أَضَلَلْتَ بَعِيرًا وَهَذَا بُحْتِي . فَقَالَ : لَمَّا أَكَلَّ عَلَفَ
الْأَمِيرُ تَبَخَّخْتُ . فَضَحِكَ مِنْهُ وَتَرَكَه [يَعِيدُ قَوْلَهُ وَيُحِبُّهُ] .

السَّكْدَنَةُ : غِلْظُ اللَّحْمِ وَتَرَاكُمُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ هِشَامٍ لِسَالِمٍ — وَقَدْ رَأَى
فَأُجِيبَهُ جِسْمَهُ — : مَا رَأَيْتُ ذَا كِدْنَةٍ أَحْسَنَ مِنْكَ ، فَمَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ
وَالزَّيْتُ . قَالَ : أَمَا تَأْجِهْ ^(١) ؟ قَالَ : إِذَا أَجِئْتُهُ تَرَكَتُهُ حَتَّى أَشْتَهِيَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ
وَقَدْ أَصَابَ فِي جِسْمِهِ بَرَصًا . فَقَالَ لِقَعْنَى ^(٢) الْأَحْوَلُ بَعِينَهُ ، فَمَا خَرَجَ هِشَامٌ مِنَ
الْمَدِينَةِ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ .

وقال عبد الأعلى القاص ^(٣) : الْفَقِيرُ مَرَقَتُهُ سِلْقَةٌ ، وَغِدَاؤُهُ ^(٤) عُلْقَةٌ ^(٥) ،
وْخُبْزَتُهُ فِلْقَةٌ ^(٥) ، وَتَمَكَّنَتْهُ شِلْقَةٌ ، أَيْ كَثِيرَةُ الشُّوَلِ ^(٦) .

قال رجاء بن سلمة : الْأَكْلُ فِي الشُّوقِ سَحَاقَةٌ .

قيل لَدُوَيْبِ بْنِ عَمْرٍو : إِنَّكَ مُفْلِسٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى قُرْصٍ وَلَا جُمُجٍ ^(٧)

(١) أَجَمَ الطَّعَامُ : مَلَهُ .

(٢) لَقَعَهُ بِعَيْنِهِ ، أَيْ أَصَابَهُ بِهَا .

(٣) فِي ب « الْقَاضِي » بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةُ ؛ وَفِي (أ) الْعَاسُ بِالْعَيْنِ الْهَمْلَةُ .

(٤) فِي (أ) « وَرِدَاؤُهُ » ، وَفِي ب « وَغِدَاؤُهُ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) الْفَلْقَةُ : مَا يَتْبَلَّغُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ . وَالْفِلْقَةُ : الْقِطْعَةُ ، كَالْفَلْدَةِ .

(٦) فِي كَتَبِ الْقِنَةِ أَنَّ الشَّلْقَةَ شَيْءٌ عَلَى خَلْقَةِ السِّمَكِ صَغِيرٌ لَهُ رِجْلَانِ عِنْدَ ذَنْبِهِ كَهَيْئَةِ

الضَّفْدَعِ ، وَيَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ ، وَلَمْلَهُ الْمَعْرُوفُ عِنْدَنَا بِأَبِي جَلْتِيو .

(٧) الْجَمْعُ بَيْنَ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْمِيمِ : مَا يَمْلَأُ جَمْعَ السِّكْفِ ، أَيْ قَبْضَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ .

وقال مهلهل :

إنا لنضربُ بالسيوفِ رؤوسَهُمُ ضربَ القُدَّارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ
القُدَّارُ : الجزار . والقُدَّارُ : الملكُ أيضاً . والقُدَّامُ : رؤساء الجيوش ، والواحد قادم .

وقال معن^(١) بن أوس يصف هدير قدير :

إذا التَّطَلَّعتْ^(٢) أمواجُها فكأنها عواندُ دُهمٍ في المَحَلَّةِ قُيِّلُ
إذا ما أُنْتَحَاها الرُّمْلونُ^(٣) رأيتها لَوْشَكَ قِرَاها وهي بالجزلِ تُشْمَلُ
سمعتُ لها لَفْطاً^(٤) إذا ما تَنَطَّلَمَطَتْ كهذرِ الجمالِ رُزْماً حينَ تَجْفَلُ

وقال آخر :

إذا كانَ قَصْدُ العِرْقِ والعِرْقُ ناضِبٌ وكَشَطُ سَنَامِ الحَيِّ عَيْشاً^(٥) وَمَقْماً

(١) كذا في (ب) ، والذي في (أ) « بكر » . وقد ورد هذا الشعر في ديوان معن بن أوس الطبوع في ليليج سنة ١٩٠٣ من قصيدة يمدح بها سعيد بن العاص ؛ وأولها :

إليك سعيد الحسير جابت مطبق فروج الفياق وهي عوجاء مهبل

(٢) يريد بالنظام الأمواج هنا اضطراب ما في القدر عند غليانها . ويريد بقوله « عواند دهم » خيلا سوداً حديثا التناج . شبه القدرور بنك الحبل التي معها أولادها . وقيل : من القائلة . ويروى « عواتب » مكان قوله « عواند » ، وهي التي تعنى على ثلاث قوائم وعقرت رابعتها . شبه القدر بها ، لأنها توضع على أثنائي ثلاث .

(٣) الرملون : الذين فقدت أزوادهم . والجزل : الحطب الفليظ . والذي في كلتا النسختين : « إذا ما استطاعها الموتدون » ؛ وهو تحريف .

(٤) اللفظ (يفتح أوله وتسكين ثانيه) : اللفظ بفتحهما معا ، وهو نثيش القدر . وفي كلتا النسختين : « لفظا » ؛ وهو تحريف . والتصويب والتفسير عن ديوان معن بن أوس الطبوع في ليليج . وتنطلمط ، أي صوت في غليانها . والرزم من الإبل : التي تخرج أصواتها من حلقها لا تفتح بها أفواهها ، كما ورد ذلك في التفسير للكتوب على هذا البيت في شعر معن بن أوس . وفي كلتا النسختين : « تحفل » بالهاء المهملة مكان « تحفل » بالميم ؛ وهو تصحيف .

(٥) في رواية : « زادا ومطما » . وكانت العرب في الجذب تشق أسنة الإبل وهي حية وتأخذ ما فيها من الشعير وتأكله .

ولا حَفَّالَةً^(١)، وَبَيْتِكَ عَامِرٌ^(٢) بالفأر .

قال علي بن عيسى : الطلاق الثلاث البَيِّتَةُ إن كان يَمْنَعُهُمْ^(٣) مِنَ التَّحَوُّلِ عنه إلا أنهم يَسْرِقُونَ أطعمة الناس يأكلونها في بيته لِأَمْنِهِمْ فِيهِ ، لأنه لَا مَرَّةً هُنَاكَ وَلَا أَحَدٌ يَأْخُذُ شَيْئًا وَلَا يُؤْذُونَ ، وَإِنْ لَمْ لِمَسْقَاةً مملوءةً ماءً كَلَّا جَفَّتْ سَكِبَ لَمْ فِيهَا مَاءٌ .

جَمَلَ الْخَبَرِ عَنِ الْفَأْرِ عَلَى التَّلَحُّحِ ، كَالْخَبَرِ عَنْ قَوْمٍ مُعْقَلَاءَ .
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ وَسَخَّرَ لَهُ بَرَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .
وقال آخر :

كَأَنَّ صَوْتَ سَحَبِيهَا^(٤) الْمُتَمَتِّحِ سَعَالُ شَيْخٍ مِنْ بَنِي الْجَلَّاحِ
يقول من بعد السَّعَالِ أَح-

قال الأصمعي : الرَّجِيمُ : الشَّوَاءُ يُسَخَّنُ ثَانِيَةً . وَالنَّقِيمَةُ مَا يُحْمَرُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَسَّمُ وَالْجَمْعُ نَقَائِعُ . وقال : أَنَشَدَنِي عِيسَى بْنُ عَمْرِو لِمَعَاوِيَةَ بْنِ صَعْصَعَةَ :

مِثْلُ الذَّرَى لُحِبْتَ عَرَائِكُهَا^(٥) لَحَبَ الشَّفَارِ^(٦) نَقَائِعَ النَّهْبِ

(١) الحَفَّالَةُ : الحَفَّالَةُ ، أَوْ عَكَرَ الدَّهْنِ ؟ أَوْ مَارِقٌ مِنْ رَغْوَةِ اللَّبَنِ ؟ كُلٌّ مِنْ هَذِهِ الْمَعْنَى الثَّلَاثَةُ تَصِحُّ لِإِرَادَتِهِ هُنَا . وَفِي (١) « وَلَا سَقَاةً » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٢) سَيَأْتِي مَا يُقِيدُ تَعْلِيلَ كَوْنِ بَيْتِهِ عَامِرًا بِالْفَأْرِ مَعَ خُلُوهُ مِنَ الْعَامَامِ .
(٣) « يَمْنَعُهُمْ » ، الضَّمِيرُ يَمُودُ عَلَى الْفَتْرَةِ .

(٤) سَحَبُهَا ، أَيْ سَحَبَ الْبَكْرَةِ الَّتِي يَسْتَقِي بِهَا مِنَ الْبَثْرِ . وَفِي (ب) « شَحْبُهَا » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ . « وَالْمَتَّاحُ » مِنْ امْتِنَاحِ الْمَاءِ إِذَا أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَثْرِ .
(٥) لَحِبْتُ مَرَاتِكُهَا ، أَيْ أَهْزَلْتُ أَسْنَمَتَهَا ، جَمْعُ مَرِيكَةٍ .

(٦) لَحَبَ الشَّفَارِ الْحَبُّ : الْحَبُّ فِي هَذَا الشَّطْرِ يَعْنِي الْقَطْعَ ، أَيْ كَمَا تَقَطُّعُ الشَّفَارُ ، أَيْ « السَّكَائِنُ » — لَحْمُ النَّيَاقِ الْعَظِيمَةِ ، أَوْ لَحْمُ الشَّفَارِ بِالسَّيْنِ الْهَمْلَةِ مَكَانَ الشَّيْنِ ، أَيْ كَمَا يَهْزُلُ السَّفَرُ تِلْكَ النَّيَاقِ بِمَشَقَّتِهِ فَيَذْهَبُ بِمَا فِيهَا مِنْ لَحْمٍ وَشَحْمٍ .

وكان عتيق^(١) القِدَّ خيرَ شِوانهم وصارَ غَبْوقُ الخُودِ ماءً مُحَمَّماً
عَقَرْتُ لَهُم دُهْمًا مَقَاحِيْدَ^(٢) جِلَّةَ وعادت بَقايا البركِ نَهْباً مُقَسَّماً
قال^(٣) : وإذا كان القَحْطُ فصدوا الإبل وعالجوا ذلك الدَّم بشيء من
العلاج لما كما يصنع الترك ، فإنها تجعله في المُضْران ، ثم تشويه أو تطبخه ،
فيؤكل كما تؤكل السقائيق^(٤) وما أشبه ذلك .

وأما قوله : « والمِرْقِ ناضِبٌ » فإنما يعنى قَلَّةُ الدَّم لِمزال البعير ، وكذلك
جميع الحيوان ، وأكثر ما يكون دماً إذا كان بين اللَّهْزُول والسَّمين .
وقالت أُم هِشام السَّلُولِيَّة : ما ذَكَرَ النَّاسُ مذكوراً خيراً من الإبل
وأَجْدَى^(٥) هلى أَحَدٍ بِخَيْرٍ ؛ هكذا روى .

وقال الأندلسي : إِنْ سَحَلْتُ أَتَقَلْتُ ، وَإِنْ بَشَتُ أَبَدْتُ ، وَإِنْ حَلَبْتُ
أَرَوْتُ ، وَإِنْ نُحِرْتُ أَشْبَعْتُ .

قال أبو الحسن الهيثمي ، عن عبد العزيز بن يسار قال : قدمتُ بِأُجْمَيْرِ^(٦)
مُخمسَ سَفَائِفَ^(٧) دَقِيق ، وذلك في زمن مصعب وهو مُعَسِّكٌ بها فَلَقَيْتَنِي

(١) عتيق القد ، أى القديم من الجلد ، وكانت العرب تشويه وتأسله إذا أجدبت .
ويغير بالشرط الثانى إلى قلة اللبن حتى إن الخود (وهن الشواب الحسان الناضجات) لا يجدن
اللبن يشتقن به أى يشربنه فى المساء ، فهن يعبرن الماء الحارَّ السخن . يقال : حَسَمَ الماء إذا
سخنه . وفى الأصل « الجود » بالجيم مكان « الخود » بالخاء ؛ وهو تصحيف .

(٢) المفاجيد من النياق : العظيمة الأستمة . والجلَّة : العظيمة منها . والبرك : الإبل الباركة .
(٣) قال ، أى من روى عنه المؤلف ؛ وأمله الأصمى ؛ إذ هو أقرب مذكور .
(٤) لم نجد هذا النوع من الطعام فيما راجعناه من الكتب . (٥) فى (أ) التى ورد
فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) : وإجاءه ؛ وهو تحريف ؛ ولعلَّ سواه ما أثبتنا .

(٦) بِأُجْمَيْرِ : موضع دون تكريت من أرض الموصل كان يمسك فيه مصعب
ابن الزبير . والقى فى (١) الوارد فيها هذه القصة وحدها دون (ب) بأحز وهو تحريف
سواه ما أثبتنا نقلاً عن كتب التاريخ ومعجم البلدان لياقوت . (٧) السفائف : جمع
سفيقة ؛ وهى النسيجة من الخوص نحو الزنبيل . وفى الأصل « سقائيق » ؛ وهو تصحيف .

عِكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعٍ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : بَكِمُ أَخَذَتْهَا ؟ قُلْتُ بِتَسْمِينَ الْفَأَا . قَالَ : فَإِنِّي أُعْطِيكَ مِائَةَ وَخَمْسِينَ الْفَأَا عَلَى أَنْ تُؤَخِّرَنِي . فَدَفَعْتُهُنَّ إِلَيْهِ ، وَمَا فِي الْمُسْكَرِ يَوْمَئِذٍ دَقِيقٌ . قَالَ : فَجَاءَ بَنُو تَيْمٍ اللَّهِ فَأَخَذُوا ذَلِكَ الدَّقِيقَ ، فَجَلَّ كُلُّ قَوْمٍ يَتَمَجِّحُونَ عَلَى حِيَالِهِمْ ، ثُمَّ جَاءُوا إِلَى رَهْوَةٍ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ فَخَفَرُوهَا ، ثُمَّ جَعَلُوا فِيهَا الْحَشِيشَ ، ثُمَّ طَرَحُوا ذَلِكَ الْمَجْبِينَ فِيهَا ، ثُمَّ أَقْبَلُوا فَأَخَذُوا فَرَسًا وَدِيقًا ^(٢) . . . ^(٣) فَخَلَوْا عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا وَهُوَ ^(٤) يَنْتَبِهِمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْحَفِيرَةِ ، فَدَفَعُوا الْفَرَسَ الْوَدِيقَ فِيهَا ، وَتَبِعَهَا الْفَرَسَ ، وَتَنَادَى الْقَرِيقَانِ : إِنَّ فَرَسَ حَوْشِبٍ وَقَعَ فِي حَفِيرَةِ عِكْرَمَةَ فَمَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا بِالْمَعْدِ . قَالَ : فَغَلَبَهُ عِكْرَمَةُ .

قال شاعر :

لَا أَشْتُمُ الضَّئِيفَ إِلَّا أَنْ أَقُولَ لَهُ : أَبَاتَكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ عَمَّارٍ
أَبَاتَكَ ^(٥) اللَّهُ فِي آيَاتِ مُعْتَمِرٍ ^(٦) عَنْ الْمَكَارِمِ لَا عَفْوَ وَلَا قَارِي
جَلَدِ النَّدَى زَاهِدٍ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ ^(٧) كَأَنَّمَا ^(٧) ضَيْفُهُ فِي مَلَّةِ النَّارِ

(١) الرهوة : المكان المنخفض من الأرض .

(٢) الوديق : من الوداق بكسر الواو ، وهو شهوة الفحل .

(٣) يظهر لنا أن موضع هذه النقطة كلام ساقط من الأصل يفيد أنهم أقبلوا إلى فرس آخر ذكر لرجل منهم يسمى حوشبا ، فخلوا عنه الخ ما هنا ، وذلك أخذنا من قوله فيما يأتي بعد : فدفعوا الفرس الوديق فيها وتبعها الفرس الخ القصة .

(٤) وهو ، أي فرس آخر ذكر ، ولم يذكر في الكلام ؛ فدل عليه تقصا كما نبهنا على ذلك في الحاشية التي قبل هذه .

(٥) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) : « أباتك » في كلا الموضعين وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة .

(٦) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « معتمر » ، ولم ننبين له معنى يناسب السياق . والصواب ما أثبتنا . والمعتز : المتعشى بعيداً .

(٧) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « كأنهم ضيفه » ؛ وهو تحريف . وسياق الشعر يقتضي ما أثبتنا . وملة النار : موضعها .

وقال آخر :

وهو إذا قيل له : وَبِهَا كُلُّ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَعِجِلٌ

وهو إذا قيل له : وَبِهَا^(١) قُلْ فَإِنَّهُ أَخْسَجُ بِهِ أَنْ يَفْكَكُلْ

[قيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : لا حدَّ له ، ولو أراد الله أن يؤكل
بحدٍّ لَبَيِّنَ كما بَيَّنَّ جميعَ الحدود . وكيف يكون للأكل حدٌّ ، والأَكَلَةُ
تختلفُ الطبائعُ والمزاجُ والعارضُ والمادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حدِّ الشَّبَعِ
حقى يأكل مَنْ شاء على ما شاء كما شاء] .

وقيل لَصُوفِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : ما نشطَ على أداء الفرائض ، ونَبِطَ
عن إقامة التَّوَاتُلِ .

وقيل لِمُتَكَلِّمٍ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : حدُّه أن يجلبَ النوم ، ويضجرَ
القَوْمُ ، ويبعثَ عَلَى اللَّوْمِ .

وقيل لِمُطَنِّبِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يُؤْكَلَ على أنه آخِرُ الزَّادِ ،
وَيُؤْتَى عَلَى الْجِلِّ وَالْدَّقِّ .

وقيل لأَعْرَابِي : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَمَا عِنْدَكُمْ يا حاضرة فلا أَدْرِي ؛ وأما
عِنْدَنَا في الباديةِ فَمَا وَجَدَتِ الْعَيْنُ ، وَاِمْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْيَدُ ، وَذَارَ عَلَيْهِ الضَّرْسُ
وَأَسَاغَهُ الْخَلْقُ ، وَانْتَفَحَ بِهِ الْبَطْنُ ، وَاسْتَدَارَتْ عَلَيْهِ الْحَوَايَا ، وَاسْتَفَاتَتْ مِنْهُ
الْمَعِدَةُ ، وَتَقَوَّسَتْ مِنْهُ الْأَضْلَاعُ ، وَأَلْتَوَتْ عَلَيْهِ الْمَصَارِينُ ، وَخِيفَ مِنْهُ الْمَوْتُ .
وقيل لطبيب : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما عدَّلَ الطبيعة ، وحَفِظَ المِزَاجَ
وَأَبْقَى شَهْوَةً لَهَا بَعْدَ .

(١) « وبها فل » ، بالفاء ، أى إذا فُودى باسمه لفظاً مُمَوِّزٌ قَبِيلٌ : يا فلان ، نَسُكِلُ
عَنِ النَّدَاءِ وَتَنْكُتُ . وفي الأصل : « قل » ، بالقاف ... وَيَنْكُلُ . وهو تصحيف في كلتا
الكلمتين . والتصويب عن اللسان . وبها : كلمة حض واستحاث .

وقيل لقصار : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنْ تَثْبَ إلى الجَفَنَةِ كأنَّكَ مِرْحَانٌ
وتأْكُلُ وأنتَ غَضْبَانٌ ، وتَمْنَعُ كأنَّكَ شَيْطَانٌ ، وتَبْلَعُ كأنَّكَ هَيْمَانٌ ، وتَدَعُ
وأنتَ سَكْرَانٌ ، وتَسْتَلْقِي كأنَّكَ أَوَانٌ^(١) .

وقيل لحَمَّال : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنْ تأْكُلَ ما رَأَيْتَ بَعْشَرٍ يَدِيكَ
غَيْرَ عَائِفٍ وَلَا مُتَعَزِّزٍ ، وَلَا كَارِهِ وَلَا مُتَعَزِّزٍ .

وقيل لمَلَّاح : ما حدُّ الشَّبَعِ^(٢) ؟ قال : حدُّ الشُّكْرِ . قيل^(٣) : فما حدُّ
الشُّكْرِ ؟ قال : أَلَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَا الطُّولَ مِنَ الْقَرَضِ ،
وَلَا النَّافِلَةَ مِنَ الْقَرَضِ ، مِنْ شِدَّةِ النَّهْسِ وَالْكَسْرِ وَالْقَطْعِ وَالْقَرَضِ . قيل له
فإنَّ السُّكْرَ عَرَمٌ ، فَلِمَ جَعَلْتَ الشَّبَعِ مِثْلَهُ ؟ قال : صَدَقْتُمْ ، هُمَا سُكْرَانٌ : أَحَدُهُ
الشُّكْرَيْنِ مَوْصُوفٌ بِالْعَيْبِ وَالْخُسَارِ ، وَالْآخَرُ مَعْرُوفٌ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ .
قيل [له] : أَمَا تَخَافُ الْهَيْضَةَ ؟ قال : إِنَّمَا تُصِيبُ الْهَيْضَةُ مَنْ لَا يَسْتَعِي اللَّهَ عِنْدَ
أَكْلِهِ ، وَلَا يَشْكُرُهُ عَلَى النِّعْمَةِ فِيهِ . فَأَمَّا مِنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ فَإِنَّهُ يَهْفُضُ
وَيَسْتَفْرِي وَيَقْرُمُ إِلَى الزِّيَادَةِ .

وقيل لبُخَيْل : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الشَّبَعُ حَرَامٌ كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا أَسَلَّ اللَّهُ
مِنَ الْأَكْلِ مَا نَفَى الْخَوِي ، وَسَكَّنَ الصُّدَاعَ ، وَأَمْسَكَ الرَّمَقَ ، وَحَالَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الرَّحِّ ، وَهَلَكَ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا بِالشَّبَعِ وَالتَّضَلُّعِ
وَالْبِطْنَةِ وَالْأَحْتِشَاءِ ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ إِمَامٌ لَوَكَّلَ بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ مَنْ
يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ عَادَةَ الصَّحَةِ ، وَحَالَةَ الْعَدَالَةِ ، حَتَّى يَزُولَ اتِّعَادُهُ ، وَيَفْشُو الْخَيْرُ .

(١) الأوان : المعدل (بكسر الدين) ، كالأون (يسكون الواو) .

(٢) في (ب) : « الأكل » . مكان « الشبع » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) كذا في (ب) وهو ألسب . والذي في (أ) : « قال » .

وقيل لجُنْدِيٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما شدَّ العضدَ ، وأُحْصِيَ الظَّهْرَ ، وأدْرَ
الوَرِيدَ ، وزادَ في الشَّجَاعَةِ .

وقيل لزاهد : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : ما لم يَعْلَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ
وَقِيَامِ اللَّيْلِ . وإذا شكَا إليك جَانِعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لِإِحْسَاسِكَ بِهِ .
وقيل لمدنيٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ فقال : لا عهد لي به ، فكيف أصِفُ
ما لا أعرف ؟

وقيل ليعنيٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن يُحْشَى حتى يُخْشَى .
وقيل لتركيٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أن تأكلَ حتى تَدْنُوَ من الموت .
وقيل لسيميويه ^(١) القاصِّ : مَنْ أَفْضَلُ الشَّهَدَاءِ ؟ قال : من ماتَ بِالثَّخَمَةِ ،
وَدُفِنَ عَلَى الْهَيْضَةِ .

قيل لسمرقنديٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : إذا جَعَفَتِ عَيْنَاكَ ، وَبَكِمَ
لِسَانُكَ ، وَقَلَّتْ حَرَكَتُكَ ، وَأَرْجَحَصَ بَدَنُكَ ، وَزَالَ عَقْلُكَ ، فَأَنْتَ
فِي أَوَائِلِ الشَّبَعِ . قيل له : إذا كانَ هذا أَوَّلُهُ ، فما آخِرُهُ ؟ قال : أنْ
تَنْشَقَّ نِصْفَيْنِ .

قيل لمنديٍّ : ما حدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : المسئلة عن هذا كالمُحال ، لأنَّ الشَّبَعِ
من الأَرَزُّ النَّقَى الأبيض ، الكِبَارُ الحَبِّ ، المطبُوخُ بِاللَّبَنِ الحَلِيبِ ، المَعْرُوفُ
على الجِامِ البُؤْر ، المَدُوفِ ^(٢) بالسُّكَّرِ القَانِقِ ، مُخَالَفٌ لِلشَّبَعِ مِنَ السَّمَكِ
المَمْلُوحِ وَخَبْزِ الذَّرَّةِ ، وعلى هذا يَخْتَلَفُ الأَمْرُ فِي الشَّبَعِ . فقليل له : فدَعْ

(١) كذا ورد هذا الاسم في الأصول ؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من الكتب .

(٢) المدوف : المخلوط . وفي كلتا النسختين : « المدفون » ؛ وهو تحريف .

هذا ، إلى متى يَنْبَغِي أن يأكلَ الإنسان ؟ قال : إلى أن يقع له أنه إن أراد لُقْمَةً زَهَقَتْ نَفْسُهُ إلى القار .

قيل لمُكَارٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : والله ما أَدْرِي ، ولكنَّ أَحِبُّ أنْ آكلَ ما مَشَى حِمَارِي مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَى الْمَنْزِلِ .

قيل لِحَمَّالٍ : ما حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أنا أَوَاصِلُ الْأَكْلِ فَمَا أَعْرِفُ الْحَدَّ ، ولو كُنْتُ أَتَمُّ لَوَصَفْتُ الْحَالَ فِيهِ ، أعْنَى أَنِّي سَاعَةً أَلْتُ^(١) الدَّقِيقَ ، [وسَاعَةً أَمَلُ اللَّيْلَةَ ، وسَاعَةً أَفْرُدُ ، وسَاعَةً آكُلُ] وسَاعَةً أَشْرَبُ لَبَنَ اللَّقَاحِ ؛ فليس لي فَرَاغٌ فَأَدْرِي أَنِي بَلَنْتُ مِنَ الشَّبَعِ ، إِلَّا أَنَّنِي أَعْلَمُ فِي الْجُمْلَةِ أَنَّ الْجُوعَ عَذَابٌ وَأَنَّ الْأَكْلَ رَحْمَةٌ ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ ، كَانَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ ، وَاللَّهُ عَنْهُ^(٢) أَرْضَى .

قال الوزير : لَمَّا بَغَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنَ الْجُزْءِ — وَكُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ — : مَا أَحْسَنَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قُلْتُ : بَقِيَ مِنْهَا جُزْءٌ آخَرٌ^(٣) . قال : دَفَعُهُ لِلَّيْلَةِ أُخْرَى وَهَاتِ مُلْحَعَةَ الْوَدَاعِ . قُلْتُ : قِيلَ لَصُوفِي فِي جَامِعِ الْمَدِينَةِ : مَا تَشْتَهِي ؟ قال : مَائِدَةً رَوْحَاءَ^(٤) عَلَيْهَا جَفْنَةٌ رَحَاءَ^(٥) ، فِيهَا ثَرِيدَةٌ صَفْرَاءُ ، وَقِدْرٌ حَمْرَاءُ بِيضَاءُ .

قال^(٥) : أُبَيِّتُ^(٦) الْآنَ [أَلَا] تَوَدُّعَ [إِلَّا] بِمِثْلِ مَا تَقَدَّمَ ؟ وَانصَرَفْتُ .

(١) فِي (ب) : « أَجْن » .

(٢) فِي (ب) : « عَنِ الْعَبْدِ » .

(٣) فِي (ب) : « وَاحِدٌ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « آخِرٌ » .

(٤) يُقَالُ : جَفَنَ رَوْحَاءٌ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مَرِيضَةً ؛ وَالرَّحَاءُ كَذَلِكَ .

(٥) قال ، أَيُّ الْوَزِيرِ .

(٦) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ تَتَعَدَّرُ قِرَاءَتُهَا ، وَالسِّيَاقُ

يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

الليلة الثانية والثلاثون

(١) ثم حضرتُ قَرَأْتُ ما بَقِيَ من هذا الفن .

قال رجلٌ من فزارة^(١) :

تَنْبَحُ أحياناً وأحياناً تَهَرُّ وتَمَطِّي^(٢) ساعةً وتَقْدِرُ
تَعْدُو على الضَّيْفِ^(٣) بعودٍ مُنْكَسِرٍ بِسَقَطٍ عنها نَوْبُها وتَأْتِرُ
لو نُعِرَتْ في بيتها عَشْرُ جُرُزٍ لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَعِينٍ تَمْتَدِرُ
بِحَلَفٍ سَحٍّ^(٤) ودَمْعٍ مُنْهَرٍ يَفِرُّ مَنْ قَاتَلَهَا^(٥) وَلَا تَفِرُّ
المُقْدِرُ : المنهيُّ للسَّيِّئِ .

وقال أبو دلامة الأَسَدِيُّ^(٦) :

(١) ورد بعض هذا الرجز في المحاسن والأضداد ومجموعة المعاني ولسان العرب . وبعض ما ورد في هذه الكتب لم يرد هنا ، كما أن بعض ما ورد هنا لم يرد هناك ، وهذا ما ورد في اللسان ، وهو ما لم يذكر هنا :

أم حوار سننوها غير أسد صهلقي الصوت بعينها الصبر
سائلة أسداغها لا تفتخر الخ .

(٢) في كلتا النسختين : « وتمطر » ؛ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في اللسان : « على الدُّب » .

(٤) سج ، أي كثير متتابع ، كما في كتاب إصلاح النطق لابن السكيت المحفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١ لغة . وفي مجموعة المعاني وكتاب المحاسن والأضداد : « سبيح » ، وهو يستقيم على الإضافة لا على الوصف . والذي في الأصل : « سبيح » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « نفر » ، بالناء ... « ولا نفر » ؛ وهو تصحيف في كلتا النسختين .

(٦) في (١) الوارد فيها هذا الكلام وحدها : « الأساى » ؛ ولم نجد هذه النسبة لأبي دلامة فيها راجعاً من الكتب . والذي وجدناه أن أبا دلامة كان مولى لبني أسد ، فلعل الصواب ما أثبتنا .

قد يُشْبِع الضيف الذى لا يَشْبَعُ مِنْ الهَيْبِدِ وَالْجِرَادِ تَسَعُ^(١)
ثم يقول أرضوا بهذا أو دَعُوا

وقال آخر :

حتى إذا أضغى تَدْرَى^(٢) واكْتَحَلَ جَارَتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَفَتَحَ
دَرَقَ الْأُنُوقَيْنِ^(٣) الْقَرْنِيَّ وَالْجَمْلَ

وقال آخر :

[إذا^(٤) أَتَوْهُ بِطَعامٍ وَأَكَلَ] بات يُعْشَى وَحْدَهُ أَلْفَى جَمْلَ

وقال أبو النجْم :

[تُدْنِي مِنَ الْجَدُولِ^(٥) مِثْلَ الْجَدُولِ] أَجُوفَ فِي غَلَصَمَةِ^(٦) كَالْمِرْجَلِ

(١) الهيبدة : حب الخنظل . والجراد : ذكور الضباب ، الواحد حردون بالبدال المهملة أو القفال المعجمة . وتسع ، أى تتسع لأكله مهما كثر .

(٢) كذا ورد هذا الشعر فى كتاب الحيوان للجاحظ ، وتدرى ، أى تعشط . والدرى واللدرة : الشط . والقى فى (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدها : « لجادته » مكان قوله : « لجارتيه » ؟ وهو تحريف . وتل ، أى راث .

(٣) الأنوق : لفظ يطلق على كل ما يأكل المفردة من الرخم وغيرها ، قاله الجاحظ فى كتاب الحيوان وذكر هذا الشعر شاهدا على ذلك . والقرنى : دوية كالخنساء وأعظم منها يسير طويلة القوائم . وقد فسر القنويون الأنوق أيضا بأنه الطير الذى يبيض فى الهواء ولا يستقيم معناه هنا .

(٤) هذا الشعر ساقط من الأصل ، وقد أميّنناه عن الحيوان للجاحظ لتمام المعنى به . ويشير بقوله : « بات يعشى » الخ إلى أنه كثير البراز ، فيقول . إنه إذا أكل تعشى مما يخرج منه ألفا جملا ، لأن الجملة تقتات بالبراز . قاله الجاحظ .

(٥) هذا الشعر ساقط من الأصل ؟ ولا يتم المعنى بدونه . ويشير إلى سعة فها ، فيشبهه بالجدول الذى يشرب منه .

(٦) الغلصمة : متصل الخلقوم بالخلق . . وقيل هى اللحم الذى بين الرأس والعنق .

تَسْمَعُ الْمَاءَ كَصَوْتِ الْمِسْحَلِ^(١) بَيْنَ وَرِيدَيْهَا^(٢) وَبَيْنَ الْجَحْفَلِ
يُلْقِيهِ^(٣) مِنْ طَرَفِ أَتْنَاهَا مِنْ عِلٍ قَذَفُهَا جَوْفٍ وَشَذِقٍ أَهْدَلِ^(٤)
كَأَنَّ صَوْتَ جَرِّعِهَا الْمُسْتَمْعِلِ جَفْدَلَةٌ دَهْدَهَتْهَا^(٥) فِي جَنْدَلِ
وقال آخر :

يَقُولُ لِلطَّامِ الْمَطْرَى^(٦) فِي الْعَمَلِ ضَهَبٌ^(٧) لَنَا إِنْ الشَّوَاءُ لَا يُمَلِّ
بِالشَّخْمِ إِمَّا قَدْ أَجْنَاهُ^(٨) يَخَلُّ عَجَلٌ لَنَا مِنْ ذَا وَالْحَقُّ بِالْبَدَلِ
وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

أَعْدَدْتُ لِلضَّيْفِ وَالرَّفِيقِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ وَالصَّدِيقِ
وَالْعِيَالِ الدَّرْدَقِ^(٩) اللَّصُوقِ حَرَاءٍ مِنْ مَغْزِ أَبِي سَمْرُوقِ
تَلَحُّسُ خَدَّ الْحَالِبِ الرَّفِيقِ بَلَيْنِ الْمَسِّ قَلِيلِ الرَّيْقِ

(١) الضمير في « تسمع » للمخاطب . والمسحل : المبرد .

(٢) كذا في أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي . والقى في الأصل : « مديديها » ؛ وهو تحريف . ويريد بالجحفل : شفتها .

(٣) في الأصل : « يلقيه » ؛ وهو تحريف سواء ما أثبتنا قلا عن أرجوزة أبي النجم اللشورية في مجلة الجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٨ م . ويلقيه ، أى يلقى الماء ، وقاعله قوله بعد : « قذف » .

(٤) الأهدل : المسترني .

(٥) دهدهتها ، أى دحرجتها .

(٦) الطرى : الطامى الذى يخلط الطعام بالأناويه . وطرى الطعام : إذا خلطه بالتوابل .

(٧) ذهب ، أى اشو شيئا غير كامل النضج ، يريد الاستمجال . والتضبيب أيضا : شئ الأعم على المجارة المهمة .

(٨) أجناه ، أى ملناه .

(٩) الدردق : الصبيان الصغار . والذى في الأصل : « الدردق » ؛ وهو تحريف .

كَأَنَّ صَوْتَ شُعْطِهَا الْفَتِيْقِ فَحَبِيْحٌ^(١) ضَبٌّ حَرِبٍ حَنِيقِ
فِي جُحْرِ صَاقٍ أَشَدَّ الضِّيقِ

وأنشد أيضاً :

هَلْ لَكَ فِي مِقْرَةٍ قَلِيلٍ نِي^(٢) وَشَكْوَةٍ بَارِدَةٍ النَّيْسِ^(٣)
تُخْرِجُ^(٤) لَحْمَ الرَّجُلِ الضَّوِيِّ حَتَّى تَرَاهُ نَاهِيْدَ الثَّدْيِ

وأنشد ابن حبيب :

نَيْمٌ لَقُوحٌ^(٥) الصَّبِيَّةِ الْأَصَاغِرِ شَرُّهُمْ مِنْ حَلَبٍ وَحَازِرٍ^(٦)
حَتَّى يَرْوَحُوا سَقَطَ الْمَآزِرِ وَضَعُ الْفِقَاحِ^(٧) نُشْزِرُ الْغَوَامِرِ

وأنشد الأيمى :

كَأَنَّ فِيهِ حِرَابًا شُرْعًا زُرْقًا تَقُضُ^(٨) الْبَدَنَ الْمُدْرَعًا
لَوْعَضَ رُكْنًا وَصَفًا تَصَدَّعًا

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها : « بمنح » ؛ وهو تحريف ، سواءه ما أثبتنا نقلا عن كتب اللغة . والفحيح : صوت الضب .

(٢) المقرّة : الإناء الذي يُقَرَّى فيه . والقيل : اللبن الذي يشرب نصف النهار وقت القائلة . وقد ورد هذا الشطر في الأصل هكذا : « هل لك في المعرى بقيل نى » ؛ ولا يخفى ما فيه من تصحيف .

(٣) الشكوة : وعاء من آدم يتخذ اللبن والماء . والنسي : اللبن الحليب يصب عليه الماء .

(٤) « تخرج لحم الرجل الضوى » ، أى تسمن المهزول الضامى .

(٥) اللقوح : الناقة الحلوب .

(٦) الحازر : اللبن الحامض .

(٧) الوضع : جمع أوضع وهو قليل لحم الوركين والإليتين ، والأوضع والأرسح واحد .

(٨) تقض : تكسر .

وقال محمد بن بشر :

لَقَلَّ عَارًا^(١) إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مَجْهُودِي
فَضْلُ الْمَقِلِّ إِذَا أُعْطِيَ مُصْطَبِرًا وَمُكْتَرٍ فِي الْغَنَى سَيِّانٍ فِي الْجُودِ
لَا يَعْدُمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْئَلُهُ إِمَّا تَوَالِي وَإِمَّا حُسْنُ مَرْدُودِي
قال الأعرابي : نِعَمَ الْغَدَاءِ السَّوِيْقُ ، إِنْ أَكَلْتَهُ عَلَى الْجُوعِ عَصَمَ ، وَإِنْ
أَكَلْتَهُ عَلَى الشَّيْعِ هَضَمَ .

وقال اللوامي^(٢) — وَكَانَ زَوَّارًا لِإِخْوَانِهِ فِي مَنَازِلِهِمْ — : الْمُبُوسُ بُوسٌ ،
وَالْبَشْرُ بَشْرٌ ، وَالْحَاجَةُ تَقْتَضِي الْحِيلَةَ ، وَالْحِيلَةُ تَشْتَدُّ الطَّبِيعَةَ .

ورأيت الحبيلوني^(٣) يُنشد [ابن آدم — وَكَانَ مُوسِرًا بِخَيْلٍ] — :
وَمَا لِأَمْرِي طَوْلُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يُعَلِّدُهُ حُسْنُ الثَّنَاءِ فَيُخَلِّدُ
فَلَا تَدْخِرْ زَادًا فَتُصْبِحَ مُلْجَأً إِلَيْهِ وَكُلُّهُ الْيَوْمَ يُخْلِفُهُ الْغَدُ
وَحَكِّي لَنَا ابْنَ أَسَادَةٍ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا — يَعْنِي بِأَصْفِيَّانَ — رَجُلٌ
أَعْمَى يَطُوفُ وَيَسْأَلُ ، فَأَعْطَاهُ مَرْثَةً لِنَسَانٍ رَغِيْفًا ، فَدَعَا لَهُ وَقَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَزَاكَ خَيْرًا ، وَرَدَّ غُرْبَتَكَ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَلَمْ
ذَكَرْتَ الْغُرْبَةَ [فِي دُعَاؤِكَ ، وَمَا عَلِمْتُكَ بِالْغُرْبَةِ ؟] فَقَالَ : الْآنَ لِي هَاهُنَا
عَشْرُونَ سَنَةً مَا نَاوَأَنِي أَحَدٌ رَغِيْفًا صَحِيحًا .

(١) كذا في ديوان الحماسة . واقتضى في (١) الوارد فيها هذا الشعر وحدهما : « لقد
غلوا » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ولا الوزن .

(٢) في (١) العراق ، ولم تقف على العراق هذا الموصوف بما ذكر . واقتضى أثبتناه من
(ب) ؟ وإن كنا لم نجد هذه النسبة فيها راجعنا من كتب الأنساب ومجبات الأعلام ، إلا أنه
ورد ذكره كثيرا فيما ساق .

(٣) كذا في (ب) . واقتضى في (١) : « الحبيلوني » ؟ ولم نجد هاتين النسبتين فيما
راجعنا من كتب الأنساب ومجبات الأعلام التي بين أيدينا .

وقال آخر :

بُرِّى جَارُهُمْ فِيهِمْ نَحِيفًا وَضَيْفُهُمْ يَجُوعُ وَقَدْ بَاتُوا مِلَاءَ الْمَذَاخِرِ^(١)

وقال السَّكَرَوِيُّ :

وَلَا يَسْتَوِي الْأَثْنَانِ^(٢) لِّلضَّيْفِ : آئِسٌ كَرِيمٌ ، وَزَاوٍ بَيْنَ هَيْفَتَيْهِ قَاطِبُ

وَأَنشَد :

طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضَى فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَفَادِيًا^(٣)

وَأَنشَد آخَر :

يُمَانٌ وَلَا يَمُونُ وَكَانَ شَيْعًا شَدِيدَ الْقَتْمِ هِلَقَامًا بَطِينًا^(٤)

العرب تقول : إِذَا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ^(٥) لَحَسَتِ الْجَلِيلَةُ .

قال ابنُ سَلَامٍ : كَانَ يُخْبَرُ فِي مَطْبَخِ سُلَيْمَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتِّانَةَ كُرٍّ^(٦) حِنْطَةٍ ، وَيُذْبَحُ لَهُ فِي كُلِّ غَدَاةٍ سِتَّةُ آلَافِ تَوْرٍ وَعِشْرُونَ شَاةً ، وَكَانَ يُطْعَمُ النَّاسَ وَيُجْلِسُ عَلَى مَائِدَتِهِ بِجَانِبِهِ^(٧) الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَبْنَاءَ

(١) المذاخير : الأجواف .

(٢) في الأصل : « الإثاء » مكان قوله : « الاثنان » ؛ وهو تحريف .

(٣) فوزى فضى ، أى أنهم مشتركون في طعامهم لا يختص به واحد دون رفاقه . ويريد بالشرط الثانى أنهم ليس لأحد سرٌّ دون أصحابه . وفي الأصل موسى فضى مكان فوزى فضى ؛ وهو تحريف ؛ والتصويب عن اللسان .

(٤) الهلقام : عظيم القم . والبطين : عظيم البطن .

(٥) يريدون بالدقيقة : النعم . وبالجليلة : الإبل . وهذا مثل يقال إذا قل العشب . وذلك لأن الشاة إذا قدرت على أكل العشب القصير القليل وشبت منه فإن الناقة لا تقدر على أكله لقصره وقلة فتلحسه . يضرب للفقر يخدم الغنى . وعبرة الأصل : « إذا شمت لحست الحلية » ؛ وفيه تقص وتحرif ظاهريان ؛ والتصويب عن البيان والتبيين وغيره .

(٦) السَّكَرُ : ستون قفيزا ، وهو ستة أوقار حار ، وقيل : أربون أردبا .

(٧) في الأصل « بجاجته » ؛ وهو تحريف .

السَّيْلُ ، ويقول لِنَفْسِهِ : مِسْكِينٌ بَيْنَ مَسَاكِينٍ .

ولما وَرَدَ نِيَامَةً رَأَى الْحَرَمَ وَذَبَحَ لِابْنَتِ طُولِ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافٍ نَاقَةٍ وَخَمْسَةَ آلَافٍ ثَوْرٍ وَعَشْرِينَ أَلْفَ شَاةٍ . وقال لمن حَضَرَ : إِنَّ هَذَا الْمَسْكَانَ سَيُخْرِجُ مِنْهُ نَبِيٌّ صِدِّقُهُ كَذَا وَكَذَا .

وقال أعرابيٌّ :

وَإِذَا خَشِيتَ مِنَ الْفَوَارِ لَجَاجَةً قَاضِرِبٌ عَلَيْهِ بِجُرْعَةٍ مِنْ رَائِبٍ
وَرَوَى هَشِيمٌ أَنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ : مِنْ كَرَمِ الرَّزَاءِ أَنْ
يَطِيبَ زَادَهُ فِي السَّفَرِ .

وقال ابن الأعرابي : يقال : جاء فلانٌ ولقد لَفَطَ^(١) رِبَاطَهُ مِنَ
الْجُوعِ وَالْمَطَشِ .

وأنشد :

رَبَّ الْجُوعِ فِي أَوْنِيهِ^(٢) حَتَّى كَانَتْهُ جَنِيبٌ بِهِ إِنَّ الْجَنِيبَ جَنِيبٌ
أَي جَاعَ حَتَّى كَانَتْهُ يَمْشِي فِي جَانِبٍ مُتَعَقِّفًا^(٣) .

وقال أيضاً : إِنَّ مِنْ شُؤْمِ الضَّيْفِ أَنْ يَغِيبَ عَنْ عَشَاءِ الْحَقِّ ، أَيْ
لَا يُذَرِّكَ ، فَيُرِيدُ إِذَا جَاءَهُمْ أَنْ يَتَكَلَّفُوا لَهُ عَشَاءَهُ عَلَى حِدَةٍ .

(١) يريد أن جلته قد ضمرت فاسترخى رباطه حتى صار له صوت ، فشبه ذلك الصوت باللفظ .

(٢) الأونان : الحاصرتان . وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

وبال الجوع في أرنبه حتى كأنه حبيب يدان إلى حبيب

وفيه تحريف ظاهر . والتصويب عن إصلاح المنطق لابن السكيت ولسان العرب .

(٣) متعقفاً ، أى معوجاً .

وأنشد :

حَيَّاكَ رَبُّكَ وَأَصْطَبَحْتَ ثَرِيدَةً وإدامتها رُزُّ وَأَنْتَ تَدَبَّلُ
والثَّمة والقمة إذا جُمَعَا من الثريد والمصائد يقال لهما دُبْلَةٌ ، ومنه سميت
الدُّبَيْلَةُ ، وهى الورم الذى يخرج بالناس . وأنشد :
أقول لما ابتَرَكَوا جُنُوحًا بقِصَّةٍ قد طُفِّعَتْ تَطْفِيعًا
دَبَّلُ أبا الجوزاء أو تَطْفِيعًا^(١)

وقال الفرزدق :

وَدَبَّلْتُ أَمْثَالَ الْأَثافي كَأَنَّهَا رُدُوسُ أَعَادٍ قُطِعَتْ يَوْمَ تَجْمَعُ
وقال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطيبوا
الطعام فإنه أنقى للشُّخْطِ ، وأجلبُ للشُّكْرِ ، وأزقى للعاجِبِ » .
قال بشار .

يَفْعُشُ إِذَا نَالَ الطَّعَامَ بِذِكْرِكُمْ وَيَشْرِقُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ حِينَ يَشْرَبُ
للسُّعُور : الجائع . قال هيمان بن قُحافة :
* لَأَقَى صَاحِقًا بَطْنًا مَسْمُورًا *

وقال شاعر :

* بَمَشَى مِنَ الْبِطْنَةِ مَشَى الْأَبْرَحِ^(٢) *

(١) فى الأصل : « دبل أما الجوز أو بطيخا » ؛ وفيه تصحيف ظاهر . والتصحيح
عن الخمس .

(٢) فى (١) الذى ورد فيها هذا الكلام وحدها دون (ب) « الأبرح » ... « النرح »
بالنون والماء ؛ وهو تصحيف فى كلتا السكتين ؛ والصواب ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة

البَزَخُ : دخول البطن وخروج الثَّغَةِ أَتَقَلَّ الشَّرَّةُ .

وقال آخر :

أَغْرُهُ كَصَبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَّقَى شَذَى^(١) الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهُ
شَدَاهُ^(٢) : طَيِّبُهُ .

وقال أعرابي : بَنُو فُلَانٍ لَا يَبْزِرُونَ^(٣) وَلَا يَقْدُرُونَ .

وقال الثوري : بَطَلْنُوا غَدَاءَكُمْ بِشَرْبَةٍ .

[وقال الشاعر^(٤)]:

لَا يَسْتَوِي الصَّوْتَانِ حِينَ تَجَاوَبَا صَوْتُ الْكَرِيبِ^(٥) وَصَوْتُ ذِيْبٍ مُقْفِرِ
الْكَرِيبِ : الشَّوْبِقُ^(٥) وَهُوَ الْمَخْوَرُ وَالْمِسْطَحُ .

وقال الشاعر :

إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَا بِشَاشَةٍ لَهُ بِوَجْهِهِ كَالدَّانَائِرِ : مَرْحَبًا
وَأَهْلًا فَلَا تَمْنُوعَ خَيْرَ تَرْيَدِهِ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى هُنْدَانًا أَنْ نُؤْوِيَا
قال الشعبي : اسْتَسْقَيْتُ كُلِّي خِرَانٍ فُتَيْبَةً ، فقال : مَا أَسْقَيْكَ ؟ فقلت :
الْمَيْنُ الْوُجْدُ ، الْقَزِيرُ الْفَقْدُ ، فقال : يَا غَلَامَ ، اسْقِهِ الْمَاءَ .

(١) ورد هاتان الكلمتان اثنان تحت هذا الرقم في الأصل بالغاف وهو تحريف :

(٢) لا يَزِرُونَ ، من بَزَرَتِ الْفِدْرُ إِذَا رَمَتْ فِيهَا الْبَزْرَ ، وهو التَّابِلُ . ولا يَقْدُرُونَ ، من الْقَدْرُ بِفَتْحِ الْغَافِ ، وهو الطَّيْبُخُ فِي الْقَدْرِ .

(٣) لم ترد هذه العبارة في الأصل .

(٤) في الأصل : « الْكَرِيبُ » بالثاء ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن إصلاح المنطوق . وفي الأصل : « مَقْر » ؛ وهو تصحيف أيضا . والتصحيح عن إصلاح المنطوق كذلك .

(٥) في الأصل : « السَّوْبِقُ » ؛ وهو تحريف . والتصويب عن إصلاح المنطوق . والشَّوْبِقُ : هو الحَشْبَةُ الَّتِي يَسْطُ عَلَيْهَا الْحَبَّازُ الْحَبْزَ .

مرَّ مِسْكِينٌ بِأَبِي الْأَسْوَدِ لَيْلًا وَهُوَ يَنَادِي : أَنَا جَائِعٌ ! فَأَدْخَلَهُ وَأَطْعَمَهُ
 حَتَّى شَبِعَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاتَّبِعْهُ غُلَامًا وَقَالَ لَهُ : إِنْ
 تَمَعْنَتْهُ يَسْأَلُ فَارُدُّهُ إِلَيَّ . فَلَمَّا جَلَّوْزَهُ لِلْمِسْكِينِ سَأَلَ كِبَادَتَهُ ، فَتَشَبَّثَ بِهِ الْغُلَامُ
 وَرَدَّهُ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ . فَقَالَ : أَلَمْ تَشْبِعْ ؟ فَقَالَ : بَلَى . قَالَ : فَمَا سُؤْأُكَ ؟ ثُمَّ
 أَمَرَ بِهِ نَعِيسٌ فِي بَيْتٍ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ ، وَقَالَ : لَا تَرُدُّعَ مَسْلَمًا سَاطِرَ الْإِلَاقَةِ
 وَلَا تَكْذِبْ . فَلَمَّا أَصْبَحَ خَلَّى سَبِيلَهُ ، وَقَالَ : لَوْ أَطْعَمْنَا الشُّؤَالَ حَيْرَنَا مِثْلَهُمْ .
 وَسَمِعَ دَابَّةً لَهُ تَعْتَلِفُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَرَاكَ تَسْهَرِينَ فِي مَالِي
 وَالنَّاسُ رَنِيَامٌ ، وَاللَّهُ لَا تُصَيِّحِينَ عِنْدِي . وَبَاعَهَا .

وَأَبُو الْأَسْوَدِ يُعَدُّ فِي الشُّعْرَاءِ وَالتَّابِعِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْبُخْلَاءِ وَالْمَقَالِيعِ
 وَالنَّحْوِيِّينَ وَالْقَضَاءِ وَالْعُرْجَ وَالْمُعَلِّمِينَ .

وقال الشاعر :

أَنْفِقْ أَبَا عَمْرٍو وَلَا تَعْدِرَا وَكُلْ مِنَ الْمَالِ وَأَطِمْ مَنْ عَرَا
 لَا يَنْفَعُ الدَّرْهَمُ إِلَّا مُدِيرَا

كَانَ مُسْلِمٌ بَنَ قَتِيْبَةً لَا يَجْلِسُ لِحَوَائِجِ النَّاسِ حَتَّى يَشْبَعَ مِنَ الطَّعَامِ الطَّيِّبِ ،
 وَيَرَوِي مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ، وَيَقُولُ : إِنْ الْجَائِعَ ضَيَّقَ الصَّدْرُ ، فَقَبِرُ النَّفْسِ ،
 وَالشُّبْعَانُ وَاسِعُ الصَّدْرِ ، غَفِيَ النَّفْسِ .

وقال أعرابي :

هَلَكْتُ هَرِيْثَةً^(١) وَهَلَكْتُ جُوعًا وَخَرَقَ مِنْدَدِي شَوْكُ الْقَعَادِ

(١) هريثة ، أى بردا . يقال قرء (بكسر القاف) فيها هريثة ، أى يصيب الناس
 منها ضرر وموت كثير . والهريثة : وقت اشتداد البرد ، كما فى اللسان .

وَحَبَّةٌ حَنْظَلٌ وَلُبَابُ قَطِينٍ وَتَنُومٌ يَنْظُمُ بَطْنَ وَادِيٍّ^(١)
وقال الفرزدق :

وإن أبا الكَرِّ شَاءَ^(٢) ليس يسارقٍ ولكنَّه ما يَسْرِقُ القَوْمُ يا كل
ولديك الجن :

إذا لم يكن في البيتِ مِلْحٌ مُطَيَّبٌ وَخَلٌّ وَزَيْتٌ حَوْلَ حُبٍّ^(٣) دَقِيقٍ
فرأسُ ابنِ أُمِّي في حِرَامٍ [ابن] خالتي ورأسُ عدوِّي في حِرِّ أُمِّ صديقي
وقال آخر :

وما جيرةٌ إلَّا كَلِيبُ بنُ وائِلٍ لِيَالِي تَعْمَى عِرَّةٌ مَنِيَتِ البَقْلُ
وقال مستعر بن مَكْدَمٍ لِرَقِبة بن مَصْلَةَ : أراك طُفَيْلِيًّا . قال : يا أبا محمد ،
كلُّ مَنْ تَرَى طُفَيْلِيًّا إلَّا أَنَّهُمْ يَتَكَاثَمُونَ .
وقال شاعر :

قَوْمٌ إِذَا آنَسُوا ضَيْفًا فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا دَمَ الرَّأْسِ صَبْؤُهُ عَلَى البابِ
قال الفصيح : الرأس الرئيس .

اشتدَّ بأبي فرعونَ الشاعِريُّ الحالُ فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة :
يا قاضيَ البصرةِ ذا الوجهِ الأعزَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ما مَضَى وما غَبَرَ
هَذَا زَمَانٌ وَشَيْئًا قَدْ حَضَرَ إِنَّ أبا عَمْرَةَ^(٤) فِي بَيْتِي أُنْجَحَرَ
يَضْرِبُ بِالذَّفِّ وَإِن شَاءَ زَمَرُ فَاطْرُدْهُ عَنِّي بِدَقِيقٍ يُنْتَظَرُ
فأجابه إلى ما سأل .

(١) التَنُوم : شجر له حب كحب الخروع . وينظم بطن وادي ، أى يملؤه ويصمه .
(٢) كذا في (١) وديوان الفرزدق . والذى في (ب) : « أبا العراء » ؛ وهو خطأ
من النسخ . (٣) الحُبّ بضم الحاء : الجرة ؛ ولعلهم كانوا يضعون الدقيق في الجرار .
(٤) أبو عمرة : كنية الجوع .

ويقال : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَلْفَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى مِنْ سَعَةِ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ ، وَآثَرَ مِنْ قِلَّةٍ . فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا أَبْقَى أَحَدًا إِلَّا سَأَلَهُ .

وقال ابن حبيب : يقال أُنْحَقُّ مِنَ الضَّبْعِ ، وذلك أنها وَجَدَتْ تَوْدِيَةً^(١)
فِي غَدِيرٍ ، فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَقُولُ : « يَا حَبْذَا طَعْمُ اللَّبَنِ » حَتَّى انشَقَّ بَطْنُهَا
فَمَاتَتْ . وَالتَّوْدِيَةُ : الْعَوْدُ يُشَدُّ عَلَى رَأْسِ الْخِلْفِ^(٢) لثَلَاثَ يَرَضَعُ الْقَصِيرُ أُمَّهُ .
دَعَا رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ^(٣) تُكْسِبُ الزِّيَارَةَ وَإِنْ لَمْ تُسْعِدْ ، وَلَعَلَّ
تَقْصِيرًا أَنْفَعُ فِيمَا أَحَبُّ بَلُوغَهُ مِنْ بَرِّكَ^(٤) . فَقَالَ صَاحِبُهُ : حَرَصْتُ عَلَى كِرَامَتِي
يَكْفِيكَ مَوْزُونَةُ التَّكْلِيفِ لِي .

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : لَوْ كُنْتَ خَلِيفَةً كَيْفَ كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : كُنْتُ
أُسْتَكْفِي^(٥) شَرِيفَ كُلِّ قَوْمٍ نَاحِيَتَهُ ، ثُمَّ أَخْلُو بِالْمَطْبِخِ فَأَمُرُ الطَّاهَةَ
فَيُعْطَمُونَ^(٦) الثَّرِيدَ وَيُكْتَرُونَ^(٧) الْعُرَاقَ ، فَأَبْدَأُ فَأَكُلُ لُقْمًا ، ثُمَّ آذَنُ
لِلنَّاسِ ، فَأَيُّ ضِيَاعٍ^(٨) يَكُونُ بَعْدَ هَذَا ؟ !

(١) فِي الْأَصْلِ : « بَوْدَقَةٌ » بِالْبَاءِ وَالْقَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا قَلًا عَنْ
كُتُبِ الْقَلَمَةِ . وَعِبَارَةٌ بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ : تَزْعُمُ الْأَعْرَابُ أَنَّ أَبَا الضَّبَاعِ وَجَدَ تَوْدِيَةً فِي غَدِيرٍ ...
الْخَ مَا هُنَا .

(٢) الْخِلْفُ : الضَّرْعُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْخِلْفُ » بِالْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
(٣) هَذِهِ : إِشَارَةٌ إِلَى دَعْوَتِهِ لِإِيَّاهُ . أَيْ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ تَكْسِبُ زِيَارَتَكَ لِي وَإِنْ لَمْ
تُسْعِدْ ، أَيْ تُعْنَسَ عَلَى قَضَاءِ الْحَقِّ كُلِّهِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَكْتَرُ » مَكَانَ « تَكْسِبُ » . وَهُوَ
تَحْرِيفٌ . وَلَعَلَّ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدًا هَذَا السَّكَّامُ : « تَرَكْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٥) فِي (١) : « اسْتَلَقَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٦) فِي (١) : « فَيُعْطَمُونَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
(٧) الْعُرَاقُ (بِالضَّمِّ) : جَمْعُ عُرْقٍ (بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ) ، وَهُوَ الظُّلْمُ الَّذِي أَخَذَ أَكْثَرُ
مَا عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ وَبَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ .
(٨) فِي كِلَا النُّسخَتَيْنِ : « صَنَاعٌ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وقال أعرابي لأبن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم^(١)
 بوسام ، ولا بدت^(٢) لكم نار ، ولا طولبت^(٣) بشار .
 وقيل لأعرابي : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال :
 لأننا نمرى جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده .
 وقال طيفلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم ، فإنك
 تكون بها مؤانسا لصاحبك ، ومسيغا للقيمتك ، ومقبلا على شأنك .
 وقيل لأعرابي : أي شيء أحد ؟ قال : كبد جائعة ، تُلقي إلى أمعاء ضالعة^(٤)
 وقيل لآخر : أي شيء أحد ؟ قال ضر من جائع ، يُلقي [إلى] معي ضالع^(٥)
 وقال آخر :

أحب أن أضطاد صبيبا سحبلأ^(٦) وورلا يرتاد رملأ أرملأ
 قالت سلتيمي لا أحب الجوزلا ولا أحب السمكات ما كلا
 الجوزل : فرخ الحنم . والورل : دابة^(٧) . أرمل : صفة للورل . وإذا كان
 كذلك^(٨) كان أشمن له ، وهو^(٩) . يسفد فيهرل .

(١) في (١) : « ولا أجسامكم » ؟ وهو تحريف .

(٢) كنتنا في (ب) . والذي في (١) : « نيرت » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) يريد بالضالعة هنا القوة على احتمال ما يلقي إليها ، وكذلك الضالع الآتي بعد .
 والذي وجدناه في كتب اللغة أنه الضليح ، من الضلعة ، وهي القوة . ولم نجد الضالع بهذا
 المعنى . والذي في كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي الفاي ص ٢٢ أن المحفوظ : ضر من جائع
 يقذف في معي جائع ، وهذا هو الصحيح .

(٤) السحبل : العظيم السن من الضباب . والورل دابة تشبه الضب وأعظم منه يسير .
 والأرمل : الذي لا زوج له . ويقال ذلك في الذكر على التشبيه . قاله في اللسان مستعمداً
 بهذا البيت ، وروايته فيه : « رمى الربيع والشتاء أرملأ » مكان قوله : « وورلا يرتاد » .

(٥) في (١) : « بيت » ؟ وهو تحريف ، وقد سبق التعريف بهذه الدابة في الحاشية
 التي قبل هذه . (٦) كذلك ، أي أنه أرمل لا زوج له .

(٧) في الأصل : « مري » ؟ وهو تحريف ، والسياق يقتضي ما أثبتنا .

ويقال : أَفْبَحُّ هَزِيلَيْنِ : المرأة والفَرَس ، وأطيبُ غَتْرٍ أَكْلَ غَتِّ الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أَكَلَ السَّعْدَانُ^(١) ، وأطيب الغنم لبناً ما أَكَلَ الْحَرْبُثُ^(٢) .

ويقال : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءُ مَرْوَبٍ ، وهو القى يُسْقَى منه قبل أن يُتَخَضَّ وتُخْرَجَ زُبْدَتُهُ .

ويقال : سَقَانَا ظَلِيمَةً وَطَبِيهِ^(٣) ، وقد ظَلَمْتُ أَوْطَبَ^(٤) الْقَوْمِ .

وقال الشاعر :

وصاحب^(٥) صِدْقٍ لَمْ تَنْلُنِي شَكَاتُهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظَلَمِي لَهُ عَامِدًا أَجْرُ
يعنى وَطَبَ لَبَن .

وكان^(٦) الحسنُ البصريُّ إذا طَبَخَ اللحمَ قال : هَلَكُوا إِلَى طَعَامِ الْأَحْرَارِ .
قال سفيانُ الثوريُّ : إِنِّي لَأَلْقِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ لِي مَرْحَبًا فَيَلِينُ لَهُ قَلْبِي ،
فكَيْفَ بَعْنُ أَطَأَ بِسَاطِهِ ، وآكَلُ قُرَيْدَهُ ، وَأَزْدَرِدُ عَصِيدَهُ ؟ .

حكى أبو زيد : قد^(٧) هَجَأَ غَرَثِي^(٨) : إِذَا ذَهَبَ ، وقد أَهْجَأَ طَعَامُكُمْ
غَرَثِي : إِذَا قَطَعَهُ . قال الشاعر :

(١) السعدان : نبت تشبه شوكته حلة الثدي ، وهو من أفضل مراعى الإبل ،
ويقال في المثل : « مرعى ولا كالسعدان » .

(٢) الحربث : نبت منبسط له ورق رقيق طيب الرائحة يزبل بخر النعم .

(٣) في الأصل : « وطبي » ؛ وهو تحريف .

(٤) في الأصل : « طيبة » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في الحيوان ، ولم ينسبه كاهنا .

(٦) في (١) : « وقال » ؛ وهو تبديل من الناسخ .

(٧) في (١) : « قال » ؛ وهو تحريف . (٨) الثرت : الجروح .

والشراب تملؤا ، إذا شَبِغَتْ منهما وامتَلأت . ويقال : لَفَأَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم
لَفَاءً ^(١) إذا جَلَفَتْ ^(١) اللحمَ عن العظم . وَالْفَيْئَةُ ^(٢) هي البَضْعَةُ التي لا عَظْمَ فيها
نحو النَّخْضَةِ ^(٢) والهَيْرَةِ والوَدْرَةِ ^(٢) .

وَأُنْشَدَ يعقوب :

سَقَى ^(٣) اللهُ الفَضَا وَخُبُوتَ قَوْمٍ متى كانت تكون لم ديارا
أَناسٌ لَا يُنَادِي ^(٤) الضَّيْفُ فِيهِمْ وَلَا يَقْرُونَ آيَةَ صِفَارَا
قال الأصمعي : قال ابن هُبَيْرَةَ : تَعْجِيلُ الغَدَاءِ يَزِيدُ في المَرْوَةِ ، وَيَطْيِبُ
الْمَسْكَنَةَ ، وَيُعِينُ على قَضَاءِ الْحَاجَةِ .

قال بعض العرب : أَطْيَبَ مَضْفَةٌ أَكَلَهَا النَّاسُ مَتَّيْحَاتِيَّةً مُصَلَّبَةً ^(٥) .
ويقال : آكَلُ الدَّوَابِّ ، بَرْدُؤَنَةٌ رَغُوثٌ وهي التي يَرْضَعُهَا وَلَدُهَا ^(٦) .
قال أبو الحارث حميد : ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَشَبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ قَدْرِ
سُقِيَّتِ اللَّبَنِ كَثِيرَةِ الشُّكْرِ .

(١) في الأصل : « لَفَأَتْ ... لَفَاءً إِذَا جَلَتْ » ؛ وهو تحريف في هذه الكلمات الثلاث .
(٢) في الأصل : « وَالْفَيْئَةُ ... البَضْعَةُ ... والودنة » ؛ وهو تحريف في هذه
الكلمات الثلاث .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر : سل الله ؛ وهو تحريف لا يستقيم به
المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا . ولم نجد هذين البيتين فيما راجعناه من الكتب . والخبوت :

جمع خبت ، وهو المطمئن من الأرض .

(٤) لا ينادي الخ ، أي أنهم لا يكلفون الضيف مؤونة السؤال .

(٥) الصيحاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المنغ . والصلب : الذي خلط
بالصلب ، وهو الودك ، وهو مثل يضرب للتلائين المتوافقين . وفي الأصل : « مقلية »
بالقاف والياء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلا عن مجمع الأمثال .

(٦) يلاحظ أن تفسير البرذونة الرغوث بهذا المعنى المذكور هنا غير صحيح ، إذ البرذونة
لا ولد لها . والرغوث من البراذين هي التي لا تكاد ترفع رأسها من الملق . أما التي يرضعها
ولها فهي الرغوث من الشياه . فلعل في الكلام نقصا ، وتكملته : « والشاة الرغوث
هي التي ... الخ » .

فَأَخْرَاهُمْ^(١) رَبِّي وَذَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطَعْتَهُمْ مِنْ مَعْلَمٍ غَيْرِ مُهْجِي^(٢)
قال : ويقال بَأَزَتْ^(٣) مُبُورَةً فَأَنَا أَبَارُهَا ، إِذَا حَفَرْتَ حَفِيرَةً يَطْبِخُ فِيهَا
وَهِيَ الْإِرَّةَ . ويقال : أَرَتْ إِرَةً فَأَنَا أَثْرُهَا وَأَرَا .

وقال حسان :

تَخَالُ قُدُورَ الصَّادِ^(٤) حَوْلَ يُبُوتَا قَنَابِلَ دُهُمَا فِي الْمَبَاءَةِ صَيِّمَا
قال أبو عبيدة : كان الأصمعي بخيلا ، وكان يجتمع أحاديث البخلاء ويوصي
بها ولده . وَيَتَعَدَّثُ بِهَا .

وكان أبو عبيدة إذا ذُكر الأصمعي أنشد :

عَظُمُ الطَّعَامِ بِعَيْنِهِ فَكَانَتْهُ هُوَ نَفْسُهُ لِلْأَكْلَيْنِ طَعَامُ
ويقال : أَسَأَزْتُ ، إِذَا أَبْقَيْتَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَوْ غَيْرِهَا ، وَالْأَسْمُ الشُّؤْرُ
وَجَمَاعَتُهُ الْأَسَارُ . ويقال : فَأَذَتْ^(٥) الْخُبْزَةَ فِي الْمَلَّةِ^(٦) أَفَادُهَا^(٥) إِذَا خَبَزَتْهَا
فِيهَا . وَالْمَقَادُ^(٥) : الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخَبَزُ بِهَا وَيُسَوَّى . ويقال : تَمَلَّتْ مِنْ الْأَكْلِ

(١) في الأصل : « فَأَجْزَاهُمْ » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل . « مَهْجِي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « فَأَرَتْ ثُورَةً فَأَنَا أَثَارُهَا » ؛ وهو تصحيف في الكلمات الثلاث .

(٤) الصاد : النحاس ، وقيل نوع منه . وفي الأصل : « الضَّان » ؛ وهو تحريف .
والقنابل : طوائف الخيل ، الواحد قنبل وزان جعفر وقنبلة . وفي الأصل : « قَنَادِيل » ؛ وهو
تحريف . وفي ديوان حسان : « فِي الْحَقَّةِ » ، والمعنى عليه يستقيم ؛ وفي الأصل « فِي الْمَلَّةِ »
والظاهر أن هذا اللفظ محرف عما أثبتنا نقلا عن محاضرات الأدباء . وقبل هذا البيت :

إِذَا اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَمَحَلَتْ كَأَنَّ عَلَيْهَا ثُوبَ عَصَبٍ مَسْهِمَا

وفي ديوان حسان : « حَسِبْتُ قُدُورَ » مكان قوله : « تَخَالُ » .

(٥) في الأصل : « فَأَذَتْ ... وَأَفَادُهَا .. وَالْمَقَادُ » ؛ وهو تحريف في هذه

الكلمات الثلاث .

(٦) الملة : موضع النار .

وقال الشاعر :

وإني لأستعجى رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً
ضم^(١) عثمان بن رواح^(٢) السَّفرُ ورفيقاً له ، فقال له الرفيق : امض إلى
الشوق فأشتر لنا لحماً . قال : والله ما أقدر . قال : فضى الرفيق واشترى اللحم
ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطبخها الرفيق .
ثم قال : قم الآن فائرُد . قال : والله إني لأعجزُ عن ذلك . فترد الرفيق . ثم
قال : [قم] الآن فكل . فقال : والله لقد استعجيتُ من كثرة خلافي عليك ،
ولولا ذلك ما فعلت .

قال يونس : أتيتُ ابن سيرين فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول : قولي
إنه نائم . فقلت : معي خبيص . فقال : مكانك^(٣) حتى أخرج إليك .

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، والشم إذا شبع .
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رَوَاهُ جابرُ بنُ عبد الله : هلاكُ الرجل
أن يَحْتَقِرَ ما في بَيْتِهِ أن يقدِّمه إلى ضَيْفِهِ ، وهلاكُ الضيف أن يَحْتَقِرَ
ما قَدَّم^(٤) إليه .

وقال الشاعر :

يا ذاهباً في داره جاثياً^(٥) بفَيْرٍ معنَى وبِلَا فائدة
قد جُنَّ أضيافُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ المائدة

(١) في إحدى النسختين : « صم » ؟ وهو تصحيف .
(٢) في (ب) : « ابن دراج » وهو تصحيف . (٣) في (أ) : « فراكبك »
(٤) في الأصل : « وائدم » مكان قوله : « ما قدم » ؟ وهو تحريف .
(٥) في الأصل : « خائباً » يعني « ؟ » وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

وقال ابن بذر:

ونحن نبذل عند القحط ما أكلوا من السديف إذا لم يؤسر القزع^(١)
وننحر الكوم^(٢) غبطا^(٣) في أرومتنا للنازلين إذا ما استنزلوا شبعوا

وقال آخر:

أطعمني بيضاً وناولني من بعد ما ذقت فقدم قدحا
وقال أي الأصوات تسئلني^(٤)؟ يزيد، إني أراك مقترنا
قلت صوت المنلى وجردة^(٥) إن خاب ذا الأقرح أو صلحا
فتطب الوجه وأنثني غصبا^(٦) وكان سكران طافحا فصحا
قلت: إني مزحت، قال: كذا رأيت حرا بمثل ذا مزحا؟
قال ابن حبيب: كان الرجل إذا اشتد عليه الشتاء تنحى ونزل وحده
للأبنزل به ضيف فيكون صقعا مستحبا .

وهذا ضد قول زهير:

بسط البيوت لكي تكون مطية من حيث توضع جفنة استرقد
فإذا كان الشتاء انحاز الناس من الجذب والجهد، وإذا أخصبوا أغاروا
للثأر لا للسؤال .

(١) السديف: لحم السنام . والقزع بالقاف: السحاب . وفي الأصل: «الفرع» بالقاف .

(٢) الكوم واحد كوما بفتح الكاف؛ وهي الناقة العظيمة السنام .

(٣) في الأصل: «غبطا»؛ وهو تصحيف .

(٤) في الأصل: «فاسلني» يريد؛ وهو تحريف .

(٥) الجردة: الرغبة، فارسية . وفي الأصل: «خودة»؛ وهو تحريف .

(٦) في الأصل: «حصنا»؛ وهو تحريف .

وقال الشاعر في عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس :

ففي السنةِ الجَذْبَاءِ أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَخُلُوا وَشَعْمًا تَامِكًا^(١) وَسَنَامًا
وقال مجاهدٌ في قول الله عزَّ وجلَّ : (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا) ، أى طعامًا ،
يقال : أَتَّكْنَا عند فلانٍ ، أى طَعِمْنَا .

ذكر الأعمشى أن أعرابيًّا خرَّج في سَفَرٍ ومعه جماعة ، فأرْمَلَ^(٢) بعضهم
من الزاد ، وحَفَرَ وقتَ الغَدَاءِ وجعل بعضهم ينتظر بَعْضًا بالغَداءِ ، فلَمَّا أَبْطَأَ
ذلك عليهم تَمَدَّ بعضهم إلى زَادِهِ فالتقاه بين يَدَيِ الْقَوْمِ ، فأَقْبَلُوا يَأْكُلُونَ ،
وجلس صاحبُ الزَادِ بَعِيدًا لِلتَّوْفِيرِ^(٣) عليهم ، فصاح به أعرابي : يَا سُودَدَاهُ !
وهل شَرَفٌ أَفْضَلُ من إطعامِ الطعامِ والإيثارِ به في وقتِ الحاجةِ إليه ؟ لقد
آثَرْتَ في مَخْمَصَةٍ ويومِ مَسْغَبَةٍ ، وتفرَّدْتَ بِمَكْرَمَةٍ قَعْدَ^(٤) عنها مَنْ أَرَى من
نُظْرَانِكَ ، فلا زَالَتْ نِعْمُ اللَّهِ عليك غَادِيَةً وَرَائِحَةً .

وفي مثله يقول حاتم الطائي :

أَكْفُ يَدَيَّ مِنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمُ إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْجِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَيَّ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَفْرَعَا
قال : الْمَخْمَصَةُ : الْمَجَاعَةُ . وَالنَّخْمَص : الْجُوعُ .

قال شاعرٌ يَدُّمُ رجلاً :

يَرَى النِّخْمَصَ تَعْذِيبًا وَإِنْ يَلْقَى شَبْعَةً يَبِيتُ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ^(٥) الْهَمِّ مُبْهِمًا

(١) التامك : الكثير العظيم . (٢) أرمل من الزاد : فرغ ما عنده منه .

(٣) في الأصل : « يمدُّ القوفر » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين لا معنى له ، ولعل

الصواب ما أثبتنا . (٤) في الأصل : « فقد » ؛ وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من شدة » ؛ وهو خطأ من الناسخ . والبيت لحاتم الطائي .

وقال المرقش الأكبر :

إِنْ يُخْصِيُوا يَغْنَوْا بِمُخْصِبِهِمْ أَوْ يُجْدِبُوا فَجُدُوبِهِمْ أَلَمْ
[وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ ^(١) إِلَى آخِرِهِ] : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرَوِّىَ ظِلْمًا أَخِيكَ
بِقُرْبِكَ ، وَتُبَرِّدَ عَلَيْهِ بِطَلْمَتِكَ ، وَتَوْنِسَ وَخَشَتَهُ بِأَنْسِكَ ، وَتَجْلُوَ غِشَاءَ
نَظِيرِهِ بِوَجْهِكَ ، وَتَزَيِّنَ مَجْلِسَهُ بِجَمَالِ حُضُورِكَ ، وَتَجْمَلَ عَدَاؤُكَ عِنْدَهُ فِي
مَنْزِلِكَ الَّذِي هُوَ فِيهِ سَاكِنٌ ، وَتَمُتَّ لَهُ السُّرُورَ بِكَ بِأَقَى يَوْمِكَ ، مُؤَثِّرًا لَهُ
عَلَى شِفَاكَ ، فَعَلْتَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .

وقال الشاعر :

وَكَأَنَّ هَذَرَ دِمَانِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَفَطُ الْقَيْلِ ^(٢) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
قَالَ بَعْضُ الْمُخْطَبَاءِ ^(٣) : الْعَجَبُ مِنْ ذِي جِدَّةٍ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ يَطْوِي جَارُهُ
جَوْعًا وَقِرًا ، وَأَفْرُخُهُ شُعْتُ جُرْدٍ مِنَ الرَّيشِ ، وَهُوَ مِنْبُطَانٌ مَحْتَشٍ مِنْ حُلُوهِ
وَحَامِضِهِ ، مُكْتَنٌّ فِي كِنِّهِ وَدِفْنُهُ ، مَزِينٌ لَهُ شَهْوَةٌ عَنْ أَدَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ لَجَارُهُ
وَقَرِيبُهُ وَذِي خُلَّةٍ بِطَرِيهِ ^(٤) رَفِيهِ كَيْفَ يَأْمَنُ سُلْبًا مَفَاجِئًا ؟ أَمَا لَوْ وَجَّهَ بَعْضَ
فَضْلِهِ إِلَى ذِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كَانَ مُسْتَدِيمًا لِمَا أُولَى ، مُسْتَزِيدًا مِمَّا أُوتَى .

قال الشاعر ^(٥) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مَسْرُورٍ بِلِ سِرِّبَالٍ تَحُلِ أَعْسَرَ

(١) في (١) : « كاتب » ثم ذكر الكتاب .

(٢) في الأصل : « القليل » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (ب) : « الحكماء » .

(٤) في (ب) : « وذى خلة يطور به » ؛ وهو تحريف .

(٥) هو العلوى صاحب الزنج ، كما في مجموعة المغانى .

أوتما إلى الكونماء هذا طارق^١ فحزنتني الأعداء إن لم تنحري
[وفي هذه الأبيات ما يستحسن^(١) :

كَمْ قَدْ وَلَدْتُمْ مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ دَائِمِ الْأَطَافِرِ أَوْ غَمَامٍ مُمْطِرٍ
سَدِكتُ^(٢) أَنَامِلُهُ بِقَائِمٍ مَرْهَفٍ وَبَنَشْرٍ عَائِدَةٍ وَذِرْوَةٍ مِنْبَرٍ
يَلْتَقِي السِّيفُ بِوَجْهِهِ وَبَنَحْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتِهِ مَقَامَ الْإِمْفَقِرِ
ويقول الطَّرفُ : اصْطَبِرْ لَشَبَابِ الْقَنَا قَعَرْتُ رُكْنِ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعْقَرِ
وقال آخَرُ :

وقال وَقَدَّمُ^(٣) كَشَكِيَّةَ فَكُلَّ شَيْعًا إِنَّمَا فِي النِّهَايَةِ
تَطْفِي الرُّرَارَ وَتَنِي الخُمَارَ وَمَا بَقْدَهَا فِي النَّهَايَةِ غَايَةِ
وَلَا تَتَوَقَّعْ أَخِيرًا بِجِيحِكَ فَنِي أَوَّلِ الْمُسْتَطَابِ الْكِفَايَةِ
وقال آخَرُ :

كَأَنَّمَا فَوْهُ إِذَا تَمَدَّدَا لِلْقَمِ أَخْلَاقُ جِرَابٍ أَسْوَدَا
كَأَنَّهُ مُخْتَرِصٌ^(٤) قَدْ جَوَّدَا جَانِي جِرَادٍ فِي وِعَاءٍ مِثْلَدَا^(٥)

(١) وردت هذه النكلة في (ب) مطبوسة الحروف تنمذر قراءتها ، فهبل من النقط ما ظهر منها ؛ وقد أثبتناها هكذا أخذنا من السياق . وبعضها عن مجموعة الماني .

(٢) سَدِكتُ أَنَامِلُهُ إلخ ، أى أولعت بقائم السيف ، يقال : سَدِكتُ بالشيء ، إذا أولع به وسفنت يده في عمله .

(٣) في الأصل : « وقد قدم القوم » ؛ وهو تحريف ، كما أن قوله : « للقوم » زيادة من الناسخ لا يستقيم بها وزن البيت .

(٤) المختَرِصُ الذى يضع في خرسه (بكسر الخاء) أى جرابه ما يريد . وفي (أ) التى ورد فيها هذا الشعر وحدها دون (ب) مختَرِصٌ ؛ وهو تصحيف . كما أن فيها : « هناء » مكان « كأنه » ولا معنى له أيضا .

(٥) أورد في اللسان هذا الشطر ، مادة « قلد » شاهدا على أن المثلد (بكسر الميم) الرجل المجمع .

وصاحب صاحبت غير أبعداً تراه بين الحرّبتين مُسنّداً^(١)
الحرّبة : الفرارة .

وقال جابر بن قبيصة : ما رأيت أحلم جليسا ، ولا أفضّل^(٢) رفيقا ،
ولا أشبه سريرة بقلانية ، من زياد .

وقال جابر أيضا : شهدت قوما رأيتهم بعثني ، فما رأيت أقرأ لكتاب
الله ، ولا أفقه في دين الله ، من عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وما رأيت رجلا
أعطى من صلب ماله في غير ولاته ، من طلحة بن عبيد الله . وما رأيت رجلا
أسود من معاوية . وما رأيت رجلا أنصع^(٣) ظرفا ، ولا أخضر جوابا ،
ولا أكثر صوابا ، من عمرو بن العاص . وما رأيت رجلا العروة عنده أنفع
منها عند غيره ، من المنيرة بن شعبة .

ويقال : ما كان الطعام مريثا ولقد مرأ ، وما كان الرجل مريثا وقد مرؤ .
وقال لنا القطان أبو منصور رئيس أهل قزوين : الرجل من أرض أردبيل
إذا دخل بلدًا يسأل فيقول : كيف الخبز والمبرز^(٤) ، ولا يسأل عن غيرها .
ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال : يأخذ الخبز والمبرز يأكل ويسلح^(٥) إلى الصباح .
قال الشاعر :

وما تُفَسِّنَا الأيامُ لا نُنْسَ جُوعَنَا بدارٍ يَفِي بَلَدٍ وَطُولِ التَّلَدِّ

(١) أورد في اللسان هذين الشطرين مادة (حرب) . والذي في الأصل :

وصاحب صاحب عيرا يعيدا تراه بين الحرّبتين النخ

ولا يخفى ما في ذلك من تحريف .

(٢) في الأصل : « أغضب » .

(٣) في (١) : « أبيض طرف » ؛ وأمل صوابه ما أثبتنا .

(٤) المبرز : المطلق للطن .

(٥) في كلتا النسختين : « يسرج » بالسين ؛ وهو تحريف .

ظَلَمْنَا كَانَا بَيْنَهُمْ أَهْلُ مَا نَمُرُ عَلَى مَيِّتٍ مُسْتَوْدَعٍ بَطْنٍ مَلْعَدٍ
يُحَدِّثُ بَعْضُ بَعْضُنَا عَنْ مُصَابِهِ وَيَأْمُرُ بَعْضُ بَعْضُنَا بِالْتَجَلُّدِ
وقال آخر :

دَعُونِي فَإِنِّي قَدْ تَقَدَّيْتُ أَنَا فَإِنْ مَسَّ كُنْفِي خُبْرَ كَمْ فَاقْطَعُوا يَدَيَّ
وقال آخر يَصِفُ دَارَ قَوْمٍ :

الْجُوعُ دَاخِلُهَا وَاللَّوْحُ^(١) خَارِجُهَا وَلَيْسَ يَقْرُبُهَا خُبْرٌ وَلَا مَاءٌ
قال الملالى : أتى رجل أبا هريرة فقال : إنني كنتُ صائما فدخلتُ بيتَ
أبي فوجدتُ طعاما ، فنسيتُ فأكلتُ . قال : الله أطعمَكَ . قال : ثم دخلتُ
بيتا آخر فوجدتُ أهله قد حلبوا لقمحتهم فسمَوْنِي ، فنسيتُ فشربتُ . فقال :
يَا بُنَيَّ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَلَّمَا اعْتَدْتَ الصِّيَامَ .

وقال الشاعر :

وَجَدْتُ وَعْدَكَ زُورًا فِي مَزْوَرَةٍ^(٢) ذَكَرْتُ مَبْعَدَنَا إِحْكَامَ طَاهِيهَا^(٣)
فَلَا شَفَى اللَّهُ مَنْ يَرْجُو الشِّفَاءَ بِهَا وَلَا عَلَتْ كَفُّ مُلْقَى كَفِّهِ فِيهَا
فَأُخْبِسُ رَسُولَكَ عَنِّي أَنْ يَجِيءَ بِهَا فَقَدْ حَبَسْتُ رَسُولِي عَنْ تَقَاضِيهَا
قال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ عن أبيه : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ،

(١) اللوح : العطش . والذي في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الشعر « والنوح »
وما أثبتناه هو المناسب لقوله بعد : « ولا ماء » .
(٢) المزورة : مِرْقَةٌ تعمل بغير لحم يصفونها للمرضى .
(٣) في الأصل : « ظاهيها » ؛ وهو تحريف .

وَأَنْتَ الْجَنَّةُ الْغَرَاءُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفِزَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وقال آخر :

وَأَحْمَرُ مُبَيِّضُ الزَّجَاجِ كَأَنَّهُ رِداءُ عَرُوسٍ مُشْرَبٌ بِمَخْلُوقِ
لَهُ فِي الْحَشَا بَرْدُ الْوِصَالِ وَمُطْمَئِنٌّ^(١) وَإِنْ كَانَ يَلْقَاهُ بِلَوْنٍ حَرِيقِ
كَأَنَّ بَيَاضَ الْوُزْرِ^(٢) فِي جَنَابَتِهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ فِي سَمَاءِ عَقِيقِ

قال يونس : أشدُّ طعامٍ غُمرًا ما كان مِنَّ عامٍ إلى عامٍ ، وهو اللَّبَأُ الَّذِي لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي الْوِلَادَةِ كُلِّ عامٍ وَإِنْ كَانَ مُزِيدًا .

حكى يونس : التَّنَافِيطُ^(٣) ، أَنْ يُنْزَعَ شَعْرُ الْجِلْدِ^(٤) ، نَمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ نَمَّ يُوْكَلُ ، وَذَلِكَ فِي الْجَذَبِ .

وقال الشاعر :

جَاوَزْتُ شَيْبَانَ فَأَحْلَوْلَى جِوَارُهُمْ إِنَّ الْكِرَامَ خِيَارُ النَّاسِ لِلجَارِ
وَكَتَبَ ابْنُ دِينَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : وَكَثِيبَتَ تَفَضُّلاً مِنْكَ تَعْتَذِرُ مِنْ تَأْخِرِكَ
عَنْ قَضَاءِ حَقِّ زِيَارَتِي بِمُصَوِّرِ يَدَيْكَ عَنْ بَرٍّ يُشْبِهُنِي وَيُشْبِهُكَ ؛ فَأَمَّا مَا يُشْبِهُنِي
فِي هَذَا الْوَقْتِ فَرَغِيفٌ وَسُكَّرٌ جَدُّ كَأَمْنٍ حَرِيفٍ يَنْقُبُ اللِّسَانَ بِمِرَافِقَتِهِ .
وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْبَقَلِ إِذَا أَنْشَدَ : * أُرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي * يَقُولُ :

(١) فِي (ب) : « وَطِيه » .

(٢) فِي (أ) : « الْوَنُ » بِالْوَوْنِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ تَعْتَذِرُ قِرَاءَتِهَا . وَنَدَّ أَهْبَتْنَاهَا هَكَذَا نَقْلًا عَنْ كُتُبِ الْفَنِّ بِمَدِّ تَقْلِيلِهَا عَلَى عِدَّةٍ وَجُوهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْخَلْد » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

لو شهدتُ قاتله لقلت : كلبُ الحارس يقوم مقامك . هذه قصة في حضور ما يشبهني ، فأما ما يشبهك فتمتدّر كما قيل :

• ومطلبٌ مثلي إن أردتَ عسير^(١) •

وقال رجل لمبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أعددتُ في كِنَاتِي سَهْمًا غيرَكَ . فقال : لا تُعدني في كِنَاتِيكَ فوالله لو قتُ فيها لطلتُها ، ولو جلستُ فيها لحرقتها . ولئن أنظرتَ بي ما يشبهك طال الانتظار ، والمائةُ تتمثل^(٢) — على خساسةٍ لفظها — : « إذا أردتَ ألا تزوجَ أبنتكَ فنالِ بَهْرُها » . وأملِي فيكَ على الأحوال بعيد ، وثلثي فيكَ جميل ، ولستُ أخشى فيما لي عندك القوتَ فأعجله ، • وهل يُلقمُ الكلبُ إلا الحجرَ • .

العربُ تقول : لثيمٌ جبان^(٣) .

وقال أعرابي : لا يكنْ بطنُ أحدكم عليه مفرمًا ، ليكسره بالتَّيْمَرَةِ والكسيرةِ والبُقَيْلَةِ والمُلَيْكَةِ .

قال ابنُ الأعرابي : الفرزدقُ ، الرّغيفُ الواسع .

قيلَ لأبنِ القُرَيْبَةِ^(٤) : تكلم . فقال : « لا أحبُّ الخبزَ إلا يابسا » . أراد لا أحبُّ أن أتكلَّ إلا بعد الأرتشاء .

وروى أبو عُبَيْدَةَ في تفسيرِ بَيْتِ الأعشى في ديوانه :

(١) في (١) : « عزيز » .

(٢) في (١) : تقول .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في الأصل ، والظاهر أن لها بقية سقطت من النسخ .

(٤) في الأصل : « ابن القرم » .

(١) [إذا ما هم جلسوا بالعشي] فأحلام عاد وأيدى هضم قال : شبههم بأنسال عاد ، وهم ثمانية ذؤ وأحلام وسؤد : مالك — وهو سيد الثمانية — وعمار وطقيل (٢) ، وشمر ، وقرزعة (٣) ، وحممة ، ونثض (٤) ، ودقيف ؛ وهم الذين بعث لثمان بن عاد جارية بئس من البن ، فقال لها : إيتي الحى فأدفعيه إلى سيدهم لا تسألى عنه . فأتت الجارية الحى ، فرأتهم مختلفين بين عامل ولاعب ، وثمانية على رؤوسهم الطير وقاراً ؛ ورأت جارية من الحى ، فأخبرتها بما قال لثمان ؛ قالت : هؤلاء سادة الحى ، وسأصيف لك كل واحد منهم ، فأدفعى المس إلى من شئت أما هذا فعمار ، أخاخذ وذار (٥) ، لا تحمده له نار ، المعشبات عقار (المعشبة : التى تسمن على شجر قديم) ، وأما هذا فحممة ، غداؤه كل يوم ناقة سنمة (٦) ، وبقرة شحمة ، وشاة (٧) كدمة . وأما هذا فقرزعة (٨) ، إذا لقي جائماً أشبعه ، وإذا لقي قرناً جعجه (٩) وقد خاب جيش لا يغزومه . وأما هذا فطقيل ، غصبه حين يغضب ويل ، وريضاء حين يرضى سئيل ، ولم تحمّل مثله على ظهرها إبل ولا خيل ، وأما هذا فشمر ،

- (١) لم يرد هذا الشطر الذى بين مرابين فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن شعر الأعشى للبطوح فى أوربا . وفى الأصل : « وأنشد » مكان قوله : « وأيدى » ؛ وهو تحريف . وهضم بضمتين : جمع هضوم ، وهو الجواد المتلاف .
 (٢) فى الأصل : « وثمبل » ؛ وهو تحريف .
 (٣) كذا ورد هذا الاسم فى كلا الموضعين اللذين تحت هذا الرقم فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد من نص على تصحيحه بالبارقة .
 (٤) كذا ورد هذا الاسم فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام هنا وفى صفحة ٥٠ سطر ٣ . ولم نجد من نص على تصحيحه فيما راجعناه من المظان .
 (٥) وذره : أهلكه .
 (٦) فى الأصل : « شبة » ؛ وهو تحريف .
 (٧) فى الأصل : « وسماه » ؛ وهو تحريف . والشاة الكدمة : الغليظة السمينة .
 (٨) جعجه : نحره .

ليس في أهله بالشحيح اتقتر، ولا المُسْرِف البَطِر، ولا يَخْدَع الحَيَّ إذا أُوْتِمِر^(١).
 وأما هذا فدُفِيف، قارى الضَّيْف، ومُعِيدُ السَّيْف، ومُعِيل^(٢) الشَّتَاء والصَّيْفِ
 وأما هذا فنَفِضٌ، أَصْنَتَ الحَيَّ فَرِض، فَعَدَلَ مَرَضَهُ عِنْدَهُمْ إِنْشَاءَهُمْ
 (أى قَحَطَهُمْ)، فقاموا^(٣) عليه فأَوْسَعَهُمْ دَقِيقًا وَلَحْمًا غَرِيضًا، وَمِسْكًَا
 رَمِيضًا^(٤)، وكسَاهُمْ ثِيَابًا بَيْضًا؛ وأما هذا فَصَالِك، حَامِيَتُنَا^(٥) إذا غَزَوْنَا،
 وَمُطِمْ وَلِدَانِنَا إذا شَتَوْنَا^(٦)، ودافعُ كُلِّ كَرِيهَةٍ إذا عَدَّتْ عَلَيْنَا. فدَفَعَتِ
 الْمُسَّ إِلَى مَالِكٍ، فَكَانَ سَيِّدَهُمْ.

بَشَّرَتْ أَسْرَاءَ زَوْجِهَا بَأَنْ أَبْنَاهَا مِنْهُ قَدْ اتَّقَرَّ^(٧)، قَالَ: أَتُبَشِّرُ بِنِيتِي بَعْدُ
 ائْتَلِيزْ؛ اذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ.

قال الشاعر:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا زَيْنٍ بَكْرَ بْنَ نَطَاحٍ يَفْلَسِينِ
 كَأَنَّمَا الْأَكِلُ مِنْ خُبْزِهِ يَقْلَعُ مِنْهُ شَحْمَةَ الْعَيْنِ
 وَأَنْشَدَ غَلِيمٌ مِنْ بَنِي دُيُورٍ^(٨) :
 يَا بَنَ الْكَرَامِ حَسْبًا وَنَاثِلًا حَقًّا أَقُولُ لَا أَقُولُ بِاطِلًا

- (١) أُوْتِمِر: استشير.
 (٢) يُعَال: أعال الرجل أهله، إذا كفاهم ومانهم، كما لهم.
 (٣) قاموا عليه، أى قاموا بخدمته وما يصلحه في مرضه.
 (٤) الرَّمِيض: الحاد، يريد هنا حدة الراحة. والذي في الأصل: « رفيضا »؛
 ولعله محرف عما أُنْبِتْنَا. أو لعله: « فضيضا »، أى متفتتا متكسرا.
 (٥) حَامِيَتُنَا الخ، أى أنه يحمى بيوت الحمى من المفيرين إذا خرج الرجال للغزو.
 (٦) في الأصل: « سنونا »؛ وهو تحريف.
 (٧) اتقتر الغلام واتقتر: نبت ثفره.
 (٨) في الأصل: « دينار »؛ وهو تحريف.

إليك أشكو الدهر والزلازلا وكل عام نفتح الحماثلا^(١)
التفتيح : القشر ، أى قشروا حماثل سيوفهم فباعوها لشدة زمانهم .
وأنشد :

سلا أم عباد إذا ريح أعصفت وجلل أطراف الرعان قمامها^(٢)
وجئت بقايا الطرقي إلا نصية^(٣) يصد الأشافي^(٤) والمواصي سنامها
وهم إلى الليل منزل رقيقة ترامت بهم طغياه^(٥) داج ظلامها
تكاد الصبا تهتزهم من ثيابهم شديدا بأرباط الرجال اعتصامها
لقد علمت أني مفيد ومتلف ومطعم أيام يحب طعامها
وقال آخر :

إن بني غاضرة الكراما إن يقيم الضيف بهم أعواما
يكن قراء اللحم والسناما أو يضح الدهر لم غلاما
يكن ظريفا وجهه كراما

وقال سماعة بن أشول :

رأت إبلا لأبني عبيد تمنعت من الحق لم تورك بحق إياها^(٦)

(١) فى الأصل : « الحلائلا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « قيامها » ؛ وهو تحريف . وأطراف الرعان ، يريد أطراف الجبال .

(٣) فى الأصل : « قصية » بالفاء والصاد . وهو تصحيف .

(٤) الأشافي : الثاقب ، وأحدته لشي بكسر الهزة وسكون الشين والفاء المفتوحة .
وفى الأصل : « نعد السلافى » وهو تحريف . يقول : إن سنامها لم يبق فيه ما تخرجه
الأشافي ولا المواصي : جمع موسى .

(٥) الطغياه : الظلمة الشديدة .

(٦) كذا ورد هذا الشطر فى (١) التى ورد فيها وحدها هذا الكلام ؛ ولم نجد فيها
راجعا من السكتب .

فَقَالَتْ أَلَا تَعْدُو لِقَاحُكَ هَكَذَا فَقُلْتُ أَبْتُ ضَيْفَانُهَا وَعِيَالُهَا
فَمَا حَلَبْتَ إِلَّا الثَّلَاثَةَ^(١) وَالثَّنَى وَلَا قِيلْتُ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالُهَا
وَأَنْشَدَ أَبُو الْجَرَّاحِ :

أَرَى الْخِلَانَ قَدْ صَرَمُوا وَصَالِي وَأَضْحَوْا لَا سَلَامَ وَلَا كَلَامَ
وَمَا أَذْنَبْتُ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ سِوَى خَفٍّ^(٢) الْمَنَاجِحِ وَالسَّوَامِ
وَقَالَ آخِرُ :

خِرْقٌ إِذَا وَقَعَ^(٣) الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا لَمْ يَطْوِ دُونَ دَقِيقِهِ ذُو الْمِرْوَدِ
حَتَّى تَوُوبَ بِهِ قَلِيلًا^(٤) حَمْدَ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وَقَالَ آخِرُ :

تَزَوَّدْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ^(٥) غَادِيَا إِلَيْكَ وَنَحْوِ^(٥) النَّاسِ لَا أَنْزَوْدُ
أَرَانِي إِذَا مَا جِئْتُ أَطْلُبُ نَائِلًا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِكَ كَأَنَّكَ أَرَمْدُ

(١) الثلاثة بضم الثاء ، أى الثلاثة بفتحها ؛ يريد أنها لم تحلب إلا الثلاثة من الآنية أو الاثنين . وقيل بضم القاف وتشديد الياء المكسورة : ذكره ثعلب هكذا ؛ ورواها بعضهم قيلت بفتح القاف من القيل بمعنى اللبن الذى يغرب وقت الغائلة (السان) (مادة ثلث) .
(٢) خف المنائح ، أى خففتها ، مصدر خَفَفَ ؛ يريد قلّة للنائح ، جمع منيحة ، وهى الناقة الممنوحة للاتباع بوبرها وولدها ولبنها . وفى الأصل « جف » بالجم ؛ وهو تحريف .
(٣) فى الأصل : « رنغ المطى من الرحا » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين . ويريد تَوَانِي الطَّايَا وتخاذلها عن المشى من طول السفر وشدة ما أصاب حوافرها من المشى . يصف بمدحها بالكرم فى هذه الحال ، وأنه خرق أى كرم متغرق فى المعروف وأن ذا مزوده (أى صاحب زاده القيم عليه) لم يُخَفِّرْ دقيقه ولم يُغْنِهْ ، بل يبذله للمرلين من الرفاق .
(٤) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ناقصا ؛ ولم تنف عليه فيما راجعناه من الكتب .
(٥) فى الأصول : « نحول » مكان « نحوك » و « حق » مكان « ونحو » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

ويقال : أزواد^(١) الركب من قریش أبو أمية بن المغيرة ، والأسود^(٢)
ابن الطلب بن أسد بن عبد العزى ، ومُساوِرُ بن أبي عمرو بن أمية عم عتبة
كانوا إذا سافروا خرج معهم الناس فلم يتخذوا زاداً ، ولم يؤقدوا نارا
كانوا يكفونهم .

وقال الشاعر :

وبالهدوِ جود^(٣) لا يزال كأنه رُكَّامٌ بأطرافِ الإِكامِ يَمُورُ

وقال آخر :

والناسُ إن شِيعَتِ بَطُونُهُمْ ففترم^(٤) من ذاك لا يشبعُ

وقال آخر :

دُورٌ تحاكي الجنانَ حُسناً لكن سكاكنها خِساسُ

متى أرى الجندَ ساكنيها وفي دهايلِها يَدَّاسُ

وقال آخر :

لولا مخافةُ ضغني عن ذوى رحى وحالُ مُعتصمٍ بي من ذوى عَدَمِ

وحاجةُ الأَخِ^(٥) تَبْدُو لي فَأُنْجِحُها لم أُنْ في عملٍ كَفَى على قَلَمي

وقال آخر :

وأوثرُ ضيبي حين لا يُوجد القَرى بـُـقوتى أَحبُّوه وأزهدُ طاوِيا

(١) في الأصل : « ازدار الراكب » ؛ وهو تصحيف في كلتا الكلمتين .

(٢) في شرح القاموس « زمة بن الأسود » .

(٣) في الأصل : « جوع » ؛ وهو تحريف ، إذ ليس من المعروف تشبيه الجوع
بالسحاب المتراكم ، وإنما يشبه بذلك الجود .

(٤) في الأصل : « ففترتهم في » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « لاح » ، وهو تصحيف .

وما أَسْتَكْثَرَتْ نَفْسِي لِإِذْلٍ وَجْهِهِ تَوَالًا وَإِنْ كَانَ النَّوَالُ حَيَاتِيَا
وقال المبرد : البَطْنُ : الذى لَا يَهْمُهُ إِلَّا بَطْنُهُ . والرَّغِيبُ : الشَّدِيدُ
الأكل . والمعْهُومُ : الذى تَمْتَلِي بَطْنُهُ وَلَا تَنْتَهَى نَفْسُهُ .

وأنشد ابن الأعرابي :

وإنَّ قَرَى أَهْلِ النَّبَاجِ أَرَانِي وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ الرِّيثِ فَهُوَ قَلِيلُ
إِذَا صَدَّ مَثْنُورٌ^(١) وَأَعْرَضَ مَعْرَضُ فَيَوْمٌ عَلَى أَهْلِ النَّبَاجِ طَوِيلُ
وقال آخر :

يَمِينُكَ^(٢) فِيهَا الْخِصْبُ وَالنَّاسُ جُوعٌ وَقَدْ شَمِلَتْهُمْ حَرَجَفٌ^(٣) وَدَبُورُ
وقال آخر :

أَلْقَتْ قَوَائِمَهَا خَسًا^(٤) وَتَرَنَّتْ طَرَبًا كَمَا يَتَرَنُّ السَّكْرَانُ
يَعْنِي قِدْرًا . وقَوَائِمُهَا ، يَعْنِي الْأَثَافِي . وَخَسًا : فَرَدَ .
وَأَنْشَدَ :

بِئْسَ غِذَاءُ الْعَرَبِ الْمَرْمُوعُ^(٥) حَوَابَةٌ تَنْقُضُ بِالضُّلُوعِ
الرَّمَاعُ^(٦) : دَاءٌ . وَحَوَابَةٌ : دَلْوٌ كَبِيرَةٌ . وَالْحَوْبُ وَالْخَوْبُ : الْإِنِّمُ .

(١) المثغور : الذى سقطت أسنانه لا يقدر على الأكل

(٢) فى الأصل : « عينك » ؛ وهو تحريف .

(٣) الحرجف : الريح الشديدة ، وكنتى بالحرجف والدبور عن الجذب ، وفى الأصل :
« وقد شملهم حرجف ودبور » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « قرأعها حسا » وهو تحريف فى كلنا الكلمتين ؛ والتصحيح عن
كتب الفقه .

(٥) فى الأصل : « العرب المرفوع * خوانه » الخ البيت ؛ وهو تحريف كما ترى .

(٦) عبارة الأصل : الرضاع وخوانه داء كثيرة ؛ وهو تحريف فى جميع هذه الألفاظ
وقد ذكر اللغويون أن الرماع داء فى البطن يصفر منه الوجه . وَتَنْقُضُ الضُّلُوعُ ، أى تسمع
الاضلاع نقيضا ، أى صوتا من ثقل تلك العلو .

والحبيبة : الحال . والحَوْبَاءُ : النفس ^(١) .

العَرَبُ يَقُولُ : مَا لَا تَبْنَ ^(٢) مَعَهُ وَلَا غَيْرَهُ . خَبِرُ قَفَّارٍ : لَا أَدَمَ مَعَهُ . وَسَوِيقٌ جافٌّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَلْتَ بِسَمْنٍ وَلَا زَيْتٍ . وَحَفْظَلٌ مُبَسَّلٌ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْكَلَ وَحْدَهُ .

قال الراجز :

بُسُ الطَعَامُ الحَفْظَلُ المُبَسَّلُ يَجْعُ مِنْهُ كِبْدَى وَأَكْسَلُ ^(٣)
وَيَبْجَعُ أَيْضًا .

وقال أبو الجراح : المُبَسَّلُ يُحْرِقُ الكَيْدَ . والمُبَسَّلُ ^(٤) : أَنْ يُؤْكَلَ بَتَمْرٍ ^(٥) أَوْ غَيْرِهِ ، يُقَالُ بَكَّلُوهُ ^(٦) لَنَا ، أَيْ اخْلَطُوهُ . قَالَ : وَعِنْدَنَا طَعَامٌ يُقَالُ لَهُ : الخَوْلَعُ وَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ الحَفْظَلُ فَيُنْفَعَ مَرَاتٍ حَتَّى تَخْرُجَ مَرَارَتُهُ ، ثُمَّ يُخْلَطَ مَعَهُ تَمْرٌ وَدَقِيقٌ ، فَيَكُونُ طَعَامًا طَيِّبًا .

وقال : الخَلِيطَةُ والنَّخِيسَةُ والقَطِيبَةُ : أَنْ يُحْلَبَ لَبَنُ الضَّأْنِ عَلَى لَبَنِ الْمَغْزَى ، وَلِلْمَغْزَى عَلَى لَبَنِ الضَّأْنِ ، أَوْ حَلَبَ الثَّوْقِ عَلَى لَبَنِ الْقَنْمِ .
قال :

• اسْقَى ^(٧) وَأَبْرَدَ غَلِيلِي •

-
- (١) يلاحظ أن استطراد المؤلف هنا يذكر الحوب لا مناسبة له ، فإن الحوابة في البيت إنما هي من مادة « حَاب » ، والحوب الذي ذكره من مادة (حوب) .
(٢) يريد بالبن ما يعم أنواع الملف .
(٣) في الأصل : « وَأَبْسَل » ؛ وهو تحريف .
(٤) ورد هاتان الكلمتان اللتان تحت هذا الرقم في الأصل بالبدال مكان الباء ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتب اللغة . يقال : بَكَلَهُ : إِذَا خَلَطَهُ .
(٥) في الأصل : « مَرَا وَغَيْرِهِ » ؛ وهو تحريف .
(٦) لم ترد في الأصل بقية هذا البيت ؛ ولم نجده فيها واجنائه من الكتب .

صَلَّى الرَّجُلُ : سَمِنَ بَعْدَ هُزَالٍ .

قِيلَ لَطْفِيلُ الْعَرَّائِسِ : كَمْ أَثْنَيْنِ فِي أَثْنَيْنِ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةٌ أَرْغِفَةٌ .

وقيل له : حُكِيَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ نَحْنُ الْعَرَبُ أَقْرَى النَّاسِ لِلضَّيْفِ ،

فَقَالَ : إِنَّ هَذَا النَّصَبَ عَلَى الْمَذْحِ .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

مَنْ كُلُّ جِلْفٍ ^(١) لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا جَمْدٌ يُرَى مِنْهُ التَّصْنُغُ رَيْثًا ^(٢)
لَمْ يَتَجَشَّأْ مِنْ طَعَامِهِ بَشْمًا ^(٣)
وَلَمْ يَبْتَ مِنْ فَتْرَةٍ مُوصِمًا ^(٤) يَغْمِزُ صُدُغَيْهِ وَيَشْكُو الْأَعْظَمَا
إِذَا أَجَاعَ بَطْنُهُ تَحْزَمًا ^(٥) لَمْ يَشْرَبِ الْمَاءَ وَلَمْ يَحْشَ الظَّلَا
يَكْفِيهِ مِنْ قَارِصَةٍ ^(٦) مَا يَمَّا

(١) فِي الْأَسْلِ حَلْفٌ بِالْحَاءِ لِلْمَهْلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ . وَقَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ مُصَرِّمًا ، لِأَنَّهُ أَنْ يَفْسُرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَمَلِّيًا ، مَا أَخُوذُ مِنَ الصَّرْمِ بِكَسْرِ الصَّادِ وَهُوَ الْخَلْفُ الَّذِي لَهُ فَعْلٌ . وَإِنَّمَا أَنْ يَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا مَالٍ مَا أَخُوذُ مِنَ الصَّرْمَةِ بِكَسْرِ الصَّادِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي عِدَّةِهَا .

(٢) رَيْثًا ، أَيْ يَتَصْنَعُ رَيْثًا يَنَالُ بَيْتَهُ . وَفِي الْأَسْلِ رَيْثًا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) وَرَدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْنَا فِيهِ هَذِهِ لِلنَّقْطِ شَطْرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةِ مَهْلٌ أَكْثَرَ حُرُوفَهُ مِنَ النَّقْطِ وَمَطْمُوسٌ بِضَمِّهَا ، وَلَمْ نَهْتِدْ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ ، كَمَا أَنَّا لَمْ نَهْتِدْ عَلَى الْأَرْجُوزَةِ فِي الْمَوَاقِفِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا ؛ وَهِيَ هَذِهِ الشُّرْطُ كَمَا فِي الْأَسْلِ :

* وَلَمْ يَرْحَنَّا غَرْمَانَا أَدْمًا *

(٤) يُقَالُ وَصَمْتُهُ الْحَمَى بِتَشْدِيدِ الصَّادِ إِذَا جَمَلَتْ فِي جَسَدِهِ فَتَرَةً . وَيُقَالُ وَصَمْتُهُ التَّسْبُ إِذَا فَتَرَ جَسَدَهُ وَأَكْسَلَهُ . وَفِي الْأَسْلِ : « فَتْرَةٌ » بِالْغَافِ ؛ وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الشَّعْرُ : إِذَا أَجَاعَ قِبْطَةٌ تَحْذَمًا . وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ . وَسِيَاقُ الشَّعْرِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٦) الْقَارِصَةُ : الطَّائِفَةُ مِنَ الْإِبِلِ الْحَامِضِ الَّذِي يَحْدَى الْإِنْسَانُ بِحَرَافَتِهِ .

وَحَلَّةٌ^(١) مِنْهُ إِذَا مَا أُعْيِمَا أَصَابَ مِنْهُ مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا
لَا يَفْقِرُ الشَّارِفَ إِلَّا نُحْرِمَا^(٢) وَلَا يَغَافُ^(٣) بَصَلًا وَسَلْجَمًا
يَوْمًا وَلَمْ يَفْقِرْ لِطَيْخٍ فَمَا فَهُوَ صَاحِبٌ لَا يَخَافُ سَمًا
أَسْوَدَ كَالْحَرَاثِ^(٤) يُدْعَى شَجَمًا^(٥) مِنْ طُولِ مَا تَأْتِمَا
لَمْ يَيْلِ^(٦) يَوْمًا سَوْرَةً مِنَ الْعَمَى وَلَمْ يَحُجَّ الْمَسْجِدَ الْمُسَكَّرَمَا
وَلَمْ يَزُرْ حَظِيمَهُ وَزَمَزَمَا وَلَا تَرَاهُ يَطْلُبُ التَّفْهِمًا
لَوْ لَمْ يُرَبِّ^(٨) مُسْلِمًا مَا أَسْلَمَا مَا عَبَدَ أَثْنَانِ جَمِيعًا صَنَمًا
عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجَالِ مَقْنَمًا إِذَا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى الْعَصَمَا هِرَاوَتَيْنِ^(٩) نَبْهَةً وَسَلَمًا
يَتْرُكُ^(١٠) مَا رَامَ رُفَاتًا رِمَا وَإِنْ رَأَى إِمْرَةً^(١١) تَزْعَمَا
لَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا وَإِنْ تَزْعَمَا وَإِنْ قَرَأَ عَهْدًا لَهُ مُنْعَمًا
هَانَ عَلَيْهِ شَقٌّ مَا قَدَرَقَمَا وَأَنْ يَدُقَّ طِيْلَفَهُ لِلْخُفْمَا

(١) وحلة منه ، أى من اللبن ، واحدة الحُلَّة ، معروف ، أى الطائفة منه . والحلَّة قد يكون من اللبن كما فى كتب اللغة .

(٢) فى الأصل : لا يعرف الشارف المحترما ؛ وفيه تحريف كما ترى ، وسياق الشعر يقتضى ما أثبتنا . والشارف : المسنة من الإبل ، أى لا يعرف الناقة إلا فى الحج حين يجب عليه عقربها .

(٣) فى الأصل : « ولا يأنف » ؛ وهو تحريف .

(٤) الحرث : حديدة تحرك بها النار .

(٥) الشجيم من الحيات : الشديد الفليظ . وفى الأصل : سجعما بالسين المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٦) الصصحح : الشديد المجتحم الألواح .

(٧) فى الأصل : « يبك » بالكاف ؛ وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « يرث » بالثاء المثناة ، وهو تصحيف .

(٩) فى الأصل : « لهاؤه بيعة » وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين .

(١٠) فى الأصل : « ينزل » ؛ وهو تحريف .

(١١) الإمرة : الضميف الرأى القى يوافق كلامى ما يريد ولا رأى له

صَمَصَانُهُ مَاضٍ إِذَا مَا صَمَمَا إِذَا أَعْرَثَتْهُ عِزَّةٌ^(١) ثُمَّ أَتَمَمَى
فِي قَرْوَةٍ الْحَيِّ إِذَا مَا يَمَمَا ظَلَّ بَرَى حُكْمًا عَلَيْهِ مُبَرَمًا^(٢)
أَنْ يَظْلِمَ النَّاسَ وَأَلَا يُظْلَمَا

وقال آخر :

مَا كَانَ يُنْكَرُ فِي نَدَى مُجَاشِعٍ أَكَلِ الْخَزِيرِ وَلَا ارْتِضَاعُ الْقَيْشَلِ^(٣)
وقال آخر :

بِلَادُ كَأَنَّ الْجُوعَ يَطْلُبُ أَهْلَهَا
بَدْخِلِ^(٤) إِذَا مَا الضَّيْفُ صَرَّتْ جَنَادِبُهُ^(٥)

وقال آخر :

كَرِيَهُ لَا يُطْعِمُ الْكَرِيَا^(٦) بِاللَّيْلِ إِلَّا جِرْجَرًا مَقْلِيًا
مُحْتَرَقًا نِصْفًا وَنِصْفًا نِيًّا
وقال الأصمعي : قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَرَادٍ — وَذَمَّ قَوْمًا — : وَاللَّهِ مَا أَتَمَّ آلُ

(١) في الأصل : « غرة » ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل : « منها » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) الوارد فيها وحدها هذا الشعر « عزي » مكان « ندى » ، وحرير مكان خزير ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن النقائص ؛ والبيت لجرير . والخزير : لحم يقطع صفاراً ويلقى في الماء فإذا أميت طبخاً ذر عليه الدقيق .

(٤) في الأصل : « بدخل » ؛ وهو تصحيف .

(٥) صرير الجندب مثل يضرب للأمر يشتد حتى يلقى صاحبه . والأصل فيه أن الجندب إذا رمض في شدة الحر لم يقر في الأرض ، وطار فتسمع لرجليه صريراً . والجندب طائر أصفر من الصدى يكون في البراري .

(٦) إذا أكربت لساناً بغيرك أو أكرأك بغيره فكل منكما كرى صاحبه ، قاله في اللسان وأنشد هذا الرجز . والجرجر : الفول بلغة أهل العراق ؛ أو هو نبت . والذي في الأصل « كدنة » مكان قوله « كرية » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بعد تقليب هذه الكلمة على عدة وجوه .

فَلَا تَقْصِمَكُمْ ، وَلَا أَتَمَّ آلُ رَيْفٍ فَبَا كَلُون . فقيل : لوزِدْتَ ؟ فقال : ما بَعْدَ هذا شيء .

قال : وما أشبه هذا الجواب بقول عقيل بن علفة^(١) حين قيل له : لم لا تطيلُ الهجاء ؟ قال : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ .

وقيل لابن^(٢) عُمر : لودَعَوْتَ الله بدَعَوَات ؟ فقال : اللهم عَافِنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا . فقيل له : لوزِدْتَنَا ؟ فقال : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِسْهَابِ .

قال شاعر :

إِذَا أَغْلَقْتُ الْبَابَ الْكَرِيمُ مِنَ الْفَرَى فليس على باب الْفَرَزْدَقِ حَاجِبُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا أَغْبَرَ مِنْ بَرْدِ الشَّتَاءِ الْكَوَاكِبُ
قال : وكلَّ لَحْمٍ وَخُبْزٍ أَنْضَجَ دَفِينًا فَهُوَ مَلِيلٌ ، وما كان في تَنُورٍ فَهُوَ
شِوَاءٌ ؛ وما كان في قِدْرٍِ فَهُوَ حَمِيلٌ^(٣) .

قال الأحنفُ لعمر بن الخطاب : إِنْ إِيْخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ
نَزَلُوا فِي مَقَلَةٍ^(٤) الْجَلِّ وَحَوْلَاءِ النَّاقَةِ مِنْ أَنْهَارٍ مَتَفَجِّرَةٍ ، وَثِمَارٍ مَتَدَلِّيةٍ ، وَنَزَلْنَا

(١) كذا في (ب) والذي في (١) : « ابن علفمة » .

(٢) في (ب) « لأبي عمرو » .

(٣) كذا في الأصل ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه بالمعنى المذكور « قدير » أى مطبوخ في القدر ؛ ولعل قوله جميل بالحاء للهمة مصنف عن جميل بالجيم ؛ وهو الشعر المذاب ، فيكون هنا كلام سقط من الناسخ قبل هذه الكلمة المصحفة التي نحن بصددناها .

(٤) مقلة الجمل وحولاء الناقة يتنثل بهما في الحصب والنعمة ، فيقال : هم في مثل حدقة البعير ، وذلك أن حدقة البعير أخصب ما فيه ، لأن بها يعرفون مقدار سمته ، وفيها يبقى آخر النقي ، وهو منخ العظم . ويقال صاروا في حولاء الناقة إذا صاروا في خصب ؛ وإذا وصفت الأرض قبل كأنها حولاء الناقة ، لأن ماء الحولاء أشد ماء خضرة . والحولاء : الماء الذي يخرج على رأس الولد إذا ولد ، وليس في الكلام فعلاء بالكسر ممدودا إلا حولاء =

بَسِخَةٍ نَشَاشَةٍ^(١) يَأْتِينَا مَاؤُنَا فِي مِثْلِ حَلْقُومٍ^(٢) النَّعَامَةُ أَوْ مَرَىءِ الْحَمَلِ ، فَإِذَا
أَنْ تَشُقَّ لَنَا نَهْرًا ، وَإِذَا أَنْ تَرْفَعُنَا إِلَيْكَ .

قال جابر : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ بِاتِّخَاذِ النَّعَمِ ،
وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ .

وَالْعَرَبُ تَقُولُ : أَكْرِمُوا الْإِبِلَ إِلَّا فِي بَيْتٍ يُبْنَى ، أَوْ دَمٍ يُفْسَدَى ،
أَوْ عَرَبٍ يَنْزَوِجُ ، أَوْ حَمَلٍ سَحَالَةٍ .

وَقَالَ مُنَاوِيَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا تَجَارَتُكَ ؟ قَالَ : أبيع الإبل ، قال : أما علمت
أَنْ أَفْوَاهَهَا حَرْبٌ^(٣) ، وَجُلُودَهَا جَرَبٌ ، وَبَعْرُهَا حَطَبٌ ، وَتَأْكُلُ الذَّهَبَ .

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : الْإِبِلُ لِلْبُعْدِ ، وَالْبَعَالُ لِلثَّقَلِ ، وَالْبِرَازِيزُ لِلْجَمَالِ
وَالدَّعَّةُ ، وَالْحَمِيرُ لِلْعَوَاشِجِ ، وَالْخَيْلُ لِلْكَرِّ وَالْفَرِّ .

وقال آخر :

يَقْذِفَنَّ فِي الْأَعْنَاقِ وَالْقَلَامِ^(٤) قَذْفَ الْجَلَامِيدِ بِكَفِّ الرَّاجِمِ -
يُرِيدُ بِالْأَعْنَاقِ الْحُلُوقَ .

== وعنباء وسيراء . وقيل : الحولاء : غلاف أخضر كأنه دلو عظيمة مملوءة ماء وتنفق حين تقع
على الأرض وهو قائد السلي ، أى يخرج قبله ؟ ويقال أيضا هم في مثل حولاء السلي . انظر
ما يعول عليه للسعي ولسان العرب .

(١) نشاشة ، أى نزاذة بالماء لا يجف ثراها ، ولا يبت حرهاها .

(٢) حلقوم النعامة ومرىء الحمل : مثلان في قلة ما يأتيهم من الماء وضيق مسايله إليهم .

(٣) حرب ، أى ذات حرب ، وهو والكلب واحد وزنا ومعنى ؟ وجلودها جرب

أى ذات جرب .

(٤) القلام : جمع غلصمة ، وهى رأس الحلقوم . يريد أن هذه الإبل تقذف الطعام .

في حلقومها وأعناقها قذف الحجارة . يصفها بقوة القذف قذف الطعام . والذى في الأصل :

« يقدمن » مكان « يقذفن » ؛ وهو تحريف .

وقال آخر :

تَفَارُ إِذَا مَا الزَّوْعُ أَبْدَى عَنِ الْبُرَى وَتَقْرَى عَمِيْطَ اللَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ^(١)

وقال آخر :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا نَاقَ^(٢) مُصْرَمَةٌ تَرْغَى الْقَلَاءَ وَلَا قَعْبٌ مِنَ اللَّبَنِ

وقال أبو الصلت :

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ^(٣) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالَا

وَوَصَفَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْهَجَارَ فَقَالَ : لَا يَوْجَدُ الْأَكْثَبُ إِلَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالشُّلْطَانِ وَمُدَبَّرِيهِ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّا لَا نَعْدَمُ مِنْ أَحَدِهِمْ خُلُقًا دَقِيقًا وَدِينًا رَقِيقًا ، وَحِرْصًا مُسْرِفًا ، وَأَدَبًا مُخْتَلَفًا ، وَدَنَاءَةً مَقْلُومَةً ، وَمُرُوءَةً مَقْدُومَةً وَإِلْفَاءَ الْإِنْفِ^(٤) ، وَتُجَازِئَةً عَلَى الطَّفِيفِ ، يَبْلُغُ أَحَدُهُمْ غَايَةَ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فِي عِلْقٍ^(٥) وَاحِدٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، إِذَا اشْتَرَاهُ مِنْهُ أَوْ بَاعَهُ إِيَّاهُ ، إِنْ بَايَعَكَ مُرَاجَعَةً^(٦) وَخَبَرَ بِالْأَمْنَانِ ، قَوَّى الْأَيْمَانَ عَلَى الْبُهْتَانِ ، وَإِنْ قَلَّدَتْهُ

(١) البيت لذى الرمة ، والبرى : الخلاخيل ، والماء الجامس : الجامد . يقولون إنهم يطارون على النساء إذا اشتد الفزع ، وكشف الرعب عن سيقانهن فأبدى من خلاخيلهن ، فهم إذ ذاك يحمونهن ويكفينهن ما يفزعهن ؛ ثم يقول في الشطر الثاني إنهم كرام ، إذا اشتد البرد وجد الماء يقرون أضيافهم عبيط اللحم ؛ وفي رواية سديف ؛ وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا : يطار إذا ما الزرع أبدى عن الترى وتقري الخ وفيه تصحيف في بعض كلماته كما ترى ؛ والتصويب عن ديوان ذى الرمة وغيره .

(٢) الناق : جمع ناقة . وفي (١) التي ورد فيها وحدها هذا البيت : « لا ناب » بإلواء ؛ وهو تحريف ، إذ الناب الواحدة — وهي للسنة من الإبل — لا تكون مصرمة ، أى بالغة صرمة ؛ وهي عدة من الإبل تبلغ الأربعين .

(٣) القعب : القدح الضخم . (٤) القفيف : الصديق .

(٥) العلق : النفيس من اللئاع .

(٦) يريد بالمراجة هنا أن يقول المشتري للبائع : أربحك في هذه السلعة كذا فوق

ما اشتريتها به من الثمن أو أن يقول البائع للمشتري ذلك .

الْوَزْنَ أَعْنَتَ لِسَانَ الْمِيزَانِ ، لِأَخَذَ بُرْجَحَانٍ أَوْ يُعْطَى بِنُقْصَانٍ ؛ وَإِنْ كَانَ لَكَ قَبْلَهُ حَقٌّ لَوَاهُ مُحْتَجًّا فِي ذَلِكَ بِسُنَّةِ الشُّوْقِيِّينَ ، يَرْضَى لَكَ مَا لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِتَقْدِيرٍ وَيُعْطِيكَ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ فِي الْمُبَايَعَةِ مِثْلَ مَا لَهُ ؛ إِنْ اسْتَنْصَحْتَهُ غَشَاكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ كَذَّبَكَ ، وَإِنْ صَدَّقْتَهُ خَرَبَكَ مُتَمَرِّدُهُمْ صَاعِقَةً عَلَى الْمَاعَمِلِينَ ، وَصَاحِبُ تَمَنِّيهِمْ نِقْمَةً عَلَى الْمُسْتَرْسِلِينَ ^(١) ؛ قَدْ تَعَاظَوْا الْفُسْكَرَ حَتَّى عُرِفَ ، وَتَنَا كَرُوا الْمَعْرُوفَ حَتَّى نُسِيَ ، يَتَمَسَّكُونَ مِنَ الْمَلَّةِ بِمَا أَصْلَحَ الْبِضَائِعَ ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهَا كُلَّمَا عَادَتْ بِالْوَضَائِعِ ^(٢) ؛ يُسْرِءُ أَحَدُهُمْ بِحِيلَةٍ يُرْزِقُهَا ^(٣) لِسَلَامَةٍ يَنْفَعُهَا ، وَغِيْلَةٍ لِمُسْلِمٍ يَخْمِيهِ الْإِسْلَامَ ، فَإِذَا أَحْكَمَ حِيلَتَهُ وَغِيْلَتَهُ غَدًا قَادِرًا عَلَى خَرْبِهِ ، فَفَرَّ وَضَرَّ ، وَأَبَّ إِلَى مَنْزِلِهِ [بِحِطَامٍ قَدْ جَمَعَهُ مَقْتَبِعًا بِمَا أَبَاحَ مِنْ دِينِهِ] وَاتَّهَكَ مِنْ حُرْمَةِ أَخِيهِ ، يَعُدُّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ حَذَقًا بِالتَّكْسَبِ ، وَرِفْقًا بِالْمَطْلَبِ ، وَعِلْمًا بِالتَّجَارَةِ ، وَتَقَدُّمًا فِي الصَّنَاعَةِ .

(٣) فَلَمَّا بَلَغْتُ قِرَاءَتِي هَذَا الْمَوْضِعَ قَالَ الْوَزِيرُ : إِنْ كَانَ هَذَا الْوَاصِفُ عَنَى الْعَامَّةَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ دَخَلَ فِي وَصْفِهِ الْخَاصَّةَ أَيْضًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَلَا أَرَى هَذِهِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا شَائِعَةً فِي أَصْنَافِ النَّاسِ مِنَ الْجُنْدِ وَالْكَتَّابِ وَالْقُنَّاءِ ^(٤) وَالصَّالِحِينَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ لَقَدْ سَالَ الزَّمَانُ إِلَى أَمْرٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ النَّعْتُ ، وَلَا تَسْتَوْعِبُهُ الْأَخْبَارُ ، وَمَا عَجَبِي إِلَّا مِنْ الزَّيَادَةِ عَلَى مَرِّ السَّاعَاتِ ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلَّهُ كَانَ يُرْجَى بَعْضُ مَا قَدْ وَقَعَ الْيَأْسُ مِنْهُ ؛ وَأَعْتَرَضَ الْقُنُوطُ دُونَهُ .

(١) السمت : هيئة أهل الخير وطريقتهم . والمسترسلون : من استرسل إليه إذا انبسط إليه واستأنس ثقة به وانسكلا على ما بينهما من ودٍّ وصلة . وفي الأصل : المترسلين ، وهو مجرّف . (٢) الوضائع : الخسائر . (٣) في (١) « يزورها » بتشديد الواو ؛ وهو وإن صح به المعنى إلا أنه لا يستقيم به السبع . (٤) القنّاء : الدهاقين ورؤساء القرى ، الواحد قنّاء .

فقال ابن زُرعة وكان حاضراً : هذا لأن الزمان من قبل كان ذا لبوس من الدُّبْنِ رائع ، وذا يدٍ من السَّيَاسة بسيطة ، فأخْلَقَ اللُّبُوسُ [وَبَلَى ، بل تَمَزَّقَ] وَفَنِيَ ، وضعت اليدُ بل شَلَّتْ وقُطِعَتْ ، ولا سبيلَ إلى سياسة دينية لأسباب لا تنفك إلا بطل فلَكِيَّة ، وأمور سماوية ، فحينئذ يكون انقيادُ الأمور الجالحة^(١) لها ، في مُقابلة حِران الأمور الجالحة^(٢) عنها ، وذلك مُنتظر في وَقْتِهِ ، وتَمَنَّى ذلك قبل إتيانه وسواسُ النَّفْسِ ، وخَوَرُ الطَّبَاعِ ، والناس أهدافٌ لأغراض الزمان ومُتَلَبِّونَ بمحادث الدهور^(٣) ، ولا فَكَاكَ لِمَنْ مِنَ السَّكَاكِه ، ولا أُعْتِلَاقَ لِمَنْ بِالْهَبَابِ [إِلَّا] بالدواعي والصوارف التي لا سبيلَ لِمَنْ إلى تحويل هذه إلى هذه ، ولا إلى تبديل هذه بهذه ، واختيارُهم للتوجه إلى محبوبهم أو الإعراضِ عن مكروهم ضعیفٌ طفيف ، ولولا ذلك لكانت الحَسَرَاتُ تزول في وَقْتِ ما يُراد^(٤) ، والنَّبْطَةُ تُمَلِّكُ^(٥) بإدراك ما يُتَمَنَّى ، وهذا شَأْنٌ مُحْكَمٌ بِهِ بِقُوَّةِ النَّفْسِ ، غَيْرُ مُسْتَقْبِظٍ إِلَيْهِ^(٦) بِقُوَّةِ الْحِسِّ .

فقال الوزير : أحسنت يا أبا عليٍّ في هذا الوصف ، « وَإِنَّ نَفْسَكَ^(٧) لَيَكْدُكُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ » ، ولو كان البالُ ظافراً بِنِعْمَةٍ ، والصَّدْرُ فارغاً من كُرْبَةٍ ، لَكُنَّا نَبْلُغُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ مِبْلَغاً نَشْفِي بِهِ غَلِيلَنَا [قَائِلِينَ] وَنُشْفِي بِهِ مُسْتَمْعِينَ ،

(١) ورد هذان اللفظان في كلتا النسختين كل منهما مكان الآخر ، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما ترى .

(٢) في (ب) « الأمور » .

(٣) كذا في (ب) والذي في (١) « في فوت الإيراد » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (ب) « تدرك » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في كلتا النسختين : « عليه » وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٦) كذا ورد هذا الكلام القى بين هاتين العلامتين في (ب) والذي في (١) « وأن تهبه كيدك على أعز من ذلك » ؛ وفي هذا الكلام تحريف كما ترى لا يفهم له معنى .

ولكنني قاعدٌ معكم وكأني غائب ، بل أنا غائبٌ من غير كاف التشبيه ، والله ما أملكُ تصرُّفي ولا فِكْري في أمْري ، أرى واحداً في قتلِ حَبَل^(١) ، وآخر في حَنْزِ بُر ، وآخر في نَضْبِ فَنَح ، وآخر في دَسِّ حَيْلَةٍ ، وآخر في تَقْبِيحِ حَسَن ، وآخر في شَحْذِ حَدِيد ، وآخر في تَمْزِيقِ عِرْض ، وآخر في اخْتِلَاقِ كَذِب ، وآخر في صَدْعِ مُلْتَحِم ، وآخر في حَلِّ عَقْد ، وآخر في نَفْثِ سِجَر ، وناري مع صاحبي رَمَاد ، وريحه على عاصِفة ، ونَسِيْمِي بَيْتِي وَبَيْنَهُ سَمُوم ، ونَصِيْبِي مِنْهُمُوم [وَعُمُوم] ، وإني أحدثُكم بشيءٍ تَعْلَمُونَ [به] صِدْقِي في شَكْوَاي ، وتَقْبَلُونَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي^(٢) تَحْتَ بَلَوَاي ، ولولا أنني أُلْقِي بالحديث لَهَبًا قَدْ تَفَرَّطَ صَدْرِي بِهِ نَارًا ، وَأَحْتَشَى فَوَادِي مِنْهُ أَوَارًا ؛ لما تَعَدَّدْتُ بِهِ ، ولو اسْتَطَعْتُ طَيْهَهُ لَمَا نَبَسْتُ بِحَرْفٍ مِنْهُ ، ولكن كِتَابِي للحديث أَنْقَبُ لِحِجَابِ الْقَلْبِ مِنَ الْقَتْلَةِ لِسُورِ الْقَصْرِ .

دَخَلْتُ مِنْذُ أَيَّامِ فَوْصَلَتِ^(٣) إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَالَ لِي قَدْ أَعَدْتُ الْخِلْعَةَ فَالْبَسْهَا عَلَى الطَّائِرِ الْأَسْمَدِ ، فَقُلْتُ أَفْعَلْ ، وَفِي تَذَكُّرِي^(٤) أَشْيَاءٌ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِهَا وَعَرْضِهَا .

فَقَالَ : هَاتِ ، فَقُلْتُ : يُتَقَدَّمُ^(٥) بِكَذَا وَكَذَا ، وَيُفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : عِنْدِي جَمِيعُ ذَلِكَ ، أَمْضِ هَذَا كُلَّهُ ، وَأَصْنَعْ فِيهِ مَا تَرَى ، وَمَا فَوْقَ يَدِكَ يَدٌ ، وَلَا عَلَيْكَ لِأَحَدٍ اعْتِرَاضٌ ؛ فَانْقَلَبْتُ عَنِ الْمَجْلِسِ إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْحُجْرَةِ ، وَفِيهَا تَحَدَّرَتْ دُمُوعِي ، وَعَلَا شَهيقِي ، وَتَوَالَى نَشيجِي ، حَتَّى كِدْتُ أَفْتَضِحَ

(١) وردت هذه العبارة في كلتا النسختين مهمل بعض حروفها من النقط تتمذر قراءتها .

(٢) في كلتا النسختين « نفسحي » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « فدخلت » . (٤) في (أ) « وفي فكري » .

(٥) يتقدم بكذا ، أي يؤص به .

فَدَنَا مَنِي بَعْضُ خَدَمِي مِنْ ثِقَاتِي ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ النَّاسُ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ
بُرُوزَكَ بِالْحِلْمَةِ الْمُبَارَكَةِ وَالتَّشْرِيفِ الْمَيُّمُونِ ، وَأَنْتَ فِي نُوحٍ وَنَدَمٍ ؟؟ قُلْتُ :
تَنَحَّ عَنِّي سَاعَةً حَتَّى أَطْفِئَ نَارَ صَدْرِي ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْعَارِضُ لِأَنِّي كُنْتُ
عَرَضْتُ عَلَى صَاحِبِي تَذْكَرَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَشْيَاءَ مُخْتَلِفَةٍ ، فَأَمَضَاهَا كُلَّهَا ، وَلَمْ
يُنَظِرْنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا زَادَنِي شَيْئًا فِيهَا ، وَلَا نَظَرَ نِي عَلَيْهَا ، وَلَعَلِّي قَدْ بَلَوْتُهُ
بِهَا ، وَأَخْفَيْتُ مَغْزَايَ فِي ضَمْنِهَا ، فَخُيِّلَ إِلَيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ أَنَّ غَيْرِي يَقِفُ
مَوْقِفِي ، فيَقُولُ فِي قَوْلِي مَزْخَرَفًا ، وَيَنْسِبُ إِلَيَّ أَسْرًا مَوْثِقًا ، فَيَمْضِي ذَلِكَ
أَيْضًا كَمَا أَمَضَاهُ لِي ، فَوَجَدْتُنِي ^(١) بِهَذَا الْفِكْرِ الَّذِي قَدْ فَتَقَى لِي ^(٢) هَذَا
النُّوعَ مِنَ الْأَمْرِ كَرَأْفَةٍ عَلَى صَفْحَةِ مَاءٍ ، أَوْ كَقَابِضٍ فِي جَوْءٍ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هَوَاءٍ ؛
أَوْ كَمَنْ يَنْفُخُ فِي غَيْرِ قَنَاجِمٍ ، أَوْ يَلْعَبُ فِي قَيْدٍ ^(٣) ، وَلَقَدْ صَدَّقَ الْأَوَّلُ حَيْثُ قَالَ :

وَإِنْ أَسْرًا دُنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمْسْتَفْسِكَ مِنْهَا بِجَبَلٍ غُرُورٍ

غَيْرَ أَنِّي أَذْكَرُ لَكُمْ مَا عَنِّي ^(٤) مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

اعْلَمُوا أَنِّي ظَنَنْتُ أَنَّ مَا نَظَّمَهُ ^(٥) الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَأَصْلَحَهُ ، وَبَنَاهُ
وَوَقَّعَهُ ، وَنَسَجَهُ وَنَوَقَّهُ ^(٦) لَا يَسْتَحِيلُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا خَمْسِينَ سَنَةً ؛ وَأَنَّ

(١) فِي (ب) « فَوَجَدْتُهُ » ؛ وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا كَمَا فِي (١) .

(٢) فِي (١) « فِي » .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « فِي مَد » ؛ وَظَاهِرُ أَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنْسَابُ مَا هُنَا ؛ وَلَعَلَّهُ عَرَفَ
عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (ب) : « مَا عَرَفِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) : « مَا يَظْهَرُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) : « وَقَوْفُهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُحُ أَنَّ (١) وَحَدِّثَهَا هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ

فِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَالَّتِي قَبْلَهَا .

الحال تدوم على ذلك المنهاج ، وتستمر على ذلك السَّيَّاح ، ونكون قد أخذنا بطريق من السَّعادة ، وبلغنا لأنفسنا بعض ما كنا نسلط عليه التَّمَنَّى من الإرادة فنَجْمَعُ بين علو المرتبة ، وشرَفِ الرِّياسة ، وتَبِيلِ اللَّذَّةِ ، وإدراك السرور ، وأصطناع العُرف ، وكسبِ الثَّناء ، ونَشْرِ الذِّكْرِ ، وبعْدِ الصَّيِّت ، فماد ذلك كله بالضد ، وحال إلى الخلاف ، ووقف على الفكرِ المُضني ، والخوفِ المُقْلِق ، واليأسِ الحَيِّ ، والرجاء الميت ؛ وما أَحْسَنَ ما قال القائل :

أَطْمَعَنِي ^(١) الدُّنْيَا فَلَمَّا جَنَّتْهَا مُسْتَسْقِيَا مَطَرَتْ عَلَى مَصَائِبِهَا
فقال له ابن زُرعة : إنَّ الأمورَ كلها بيدِ الله ، ولا يُسْتَنْجَزُ الخَيْرُ إلَّا منه ، ولا يُسْتَدْفَعُ الشرُّ إلَّا به ، فسله بجميل الصَّنْعِ [وحسن التَّيَّةِ] وأتو الخِير ، وبُثَّ الإحسان ، وكلَّ أعداءك إلى ربِّك الذي إذا عَرَفَ صِدْقَكَ وتَوَكَّلَكَ عليه فَلَلَّ حَدَمَ ، وعَفَرَ حَدَمَ ، وسَبَّحَ النُّفُورَاتِ إلى جَمْرِهِمْ حتى يُعْطِفُهَا ، وسلط الأَرْضَةَ على أبدانهم حتى تَقْرِضُهَا ، وشَغَلَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وخَالَفَ بين كَلِمَتِهِمْ ، وصَدَّعَ شَمْلَ جَمِيعِهِمْ ، وَرَدَّهم إِلَيْكَ صَاغِرِينَ ضَارِعِينَ ، وَعَرَضَهُمْ عَلَيْكَ خَاضِعِينَ ، وما ذلك على الله بَعِزِيزٌ ، وإنَّ اللهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ على السَّيِّئِينَ .

قال : والله لقد وَجَدْتُ رَوْحاً ^(٢) كثيراً بما قُلْتُ لَكُمْ وما سَمِعْتُ مِنْكُمْ ، وأرجو أن الله يُعِينُ المَظْلُومَ ، وَيُهَيِّنُ الظَّالِمَ . قد تَمَطَّى اللَّيْلُ ، وتَغَوَّرَتِ النُّجُومُ ، وَحَنَّ البَدَنُ إلى التَّرَفُّهِ ؛ فإذا شِئْتُمْ ^(٣) . فَأُنْصِرَفْنَا مُتَمَجِّجِينَ .

(١) في (١) : « أطمعني » . وفي (ب) : أطمعني ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين .
والبيت المتنبي .

(٢) الروح ينتح الرأ والراحة كلاهما بمعنى واحد .

(٣) هذه الجملة أريد بها الإيدان بالانصراف .

الليلة الثالثة والثلاثون

هَذَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَالِخَةِ — وَكَانَ قَدْ اسْتَزَادَنِي — فَكُتِبَتْ (١) لَهُ هَذِهِ الْوَرَقَاتُ وَقُرَأَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ كَلَامًا كَثِيرًا عِنْدَ كُلِّ مَا مَرَّ بِمَا يَكُونُ صِلَةً لِذَلِكَ الْحَدِيثِ ، خَرَّ لَيْتُهُ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ .

قَالَ سَمَاءُ الرَّأْوِيَّةُ : عَنْ قَتَادَةَ قَالَ زِيَادُ لَغَيْلَانَ بْنِ خَرْشَةَ : أَحِبُّ أَنْ تَحْدِثَنِي عَنِ الْعَرَبِ وَجَهْدِهَا وَضَنْكِ عَيْشِهَا لِنَعْمَدَ اللَّهُ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا بِهَا . فَقَالَ غَيْلَانُ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : تَوَالَّتْ عَلَى الْعَرَبِ سِنُونَ [سَبْعٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ] حَصَّتْ (٢) كُلُّ شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ عَلَى بَكْرِ لِي فِي الْعَرَبِ ، فَكُنْتُ سَبْعًا لَا أَذُوقُ فِيهِمْ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْأَلُ بَعِيرِي مِنْ حَشَرَاتِ [الْأَرْضِ] حَتَّى دَنَوْتُ (٣) إِلَى حِوَاءِ (٤) عَظِيمٍ ، فَإِذَا بَبْنَيْتُ جَجِيشَ (٥) عَنِ الْحَيِّ ، فِلْتُ إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى امْرَأَةٍ طَوَالَةَ حَسَانَةَ (٦) ، فَقَالَتْ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ آتَرْنَاكَ بِهِ ، وَالِدَالُ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاهِيلِهِ ، جُسْ هَذِهِ الْبُيُوتَ فَأَنْظُرْ إِلَى أَعْظَمِهَا ، فَإِنْ يَكُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ فَبِهِ . فَقَعَلْتُ حَتَّى دَنَوْتُ (٧) إِلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِي صَاحِبُهُ وَقَالَ : مَنْ ؟ قُلْتُ : طَارِقُ لَيْلٍ يَلْتَمِسُ الْقِرَى . فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، فَأَجَابَهُ ، فَقَالَ : هَلْ عِنْدَكَ (مِنْ) طَعَامٍ ؟ قَالَ :

(١) فِي (ب) : « أَهْلَكْتَ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا . يُقَالُ : حَمَسَ الشَّعْرَ وَنَحَمَهُ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَلَعَتْ » . (٣) الْحِوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ .

(٤) الْجَجِيشُ : مَنْ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ جَجِيشٌ الْمَحَلُّ إِذَا نَزَلَ نَاحِيَةً عَنِ النَّاسِ وَلَمْ يَنْطَلِقْ بِهِمْ . وَبُرِيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَالْمَزَالِ عَنْ مَنَازِلِ ذَلِكَ الْحَيِّ .

(٥) طَوَالَةُ حَسَانَةَ ، أَيْ طَوِيلَةُ حَسَنَةٍ .

(٦) فِي (ب) : « دَفَعْتُ إِلَيْهِ » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

لا، قال: فوالله ما وقّر في أذني شيء كان أشدّ عليّ منه. فقال: هل عندك من شراب؟ قال: لا، ثم تأوّه وقال: قد أبقينا في ضرع فلانة^(١) شيئاً لطارقٍ إن طرّق، قال: فأت به، فأتى العطن فأبتعها، فحدثني عني أنّه شهد فتّح أصفيهان وتستر ومهرجان^(٢) فذق وگور الأهواز وفارس، وجاهد عند السلطان وكثر ماله وولده، قال: فما سمعت شيئاً قط كان ألذّ لي من شخب تلك الناقة في تلك العلبة، حتى إذا ملأها ففاضت من جوانبها وأرتفعت عليها رغوّة كجمة^(٣) الشيخ أقبل بها نخوي فبئر بعودٍ أو حَجَر، فسقطت العلبة من يده، فحدثني أنّه أصيب بأبيه وأمه [وولده] وأهل بيته، فما أصيب بمصيبة أعظم عليه من ذهاب العلبة؛ فلما رآني^(٤) كذلك ربّ البيت خرج شاهراً سيفه، فبعث الإبل ثم نظر إلى أعظماها سناماً، على ظهرها مثل رأس الرجل الصعل^(٥)، فكشف عن فوهته^(٦) ثم أوقد ناراً، وأجّتب سنامها، ودفع إلى مذبة وقال: يا عبد الله، اصطل واجتمل^(٧) فنجّلت أهوي بالبعضة إلى النار، فإذا بلغت إناها أكلتها، ثم مسخت ما في يدي من إهالتها على جلدي، وكان قد قرح^(٨) على عظمي حتى كأنه شنّ^(٩)، ثم شربت ماءً وخررت مغشياً عليّ، فما أفقت إلى السحر.

(١) فلانة: كناية عن اسم بعض نياقه. وفي (١): النلاية؛ وهو تحريف.

(٢) تستر: مدينة عظيمة بخوزستان. ومهرجان فذق: كورة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة، من نواحي الجبال. وغير هذين من البلاد المذكورة هنا معروف فلا، فتضى لتعريف به.

(٣) الجمة: مجنم شعر الرأس، وهي أكبر من الوفرة.

(٤) في (ب): «فلما رأى ذلك». (٥) الصعل: الدقيق الرأس.

(٦) فوهة الشيء: أعلاه، يريد أعلى السنام. وفي الأصول ما يشبه في الرسم كلمة عرفوها ولا فتضى لكشف عروق الناقة هنا. (٧) اجتمل الشعم: أذابه في النار.

(٨) قرح على عظمي، أي يابس من وهج الحر وبعد عهده بالماء.

(٩) الشن: المزاغة اليابسة الخلفة.

فَقَطَعَ زِيَادُ الْحَدِيثِ وَقَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنَا بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا ، فَمَنِ الْمَنْزُولُ بِهِ ^(١) . قُلْتُ : عَامِرُ ^(٢) . بَنُ الطَّقِيلِ . قَالَ : أَبُو عَلِيٍّ ؟ قُلْتُ : أَبُو عَلِيٍّ . وَاسْتَعَادَنِي الْوَزِيرُ [أَدَامَ اللَّهِ عُلُوَّهُ] هَذَا الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ وَأَكْثَرَ التَّعَجُّبِ ، وَقَالَ : صَدَقَ الْقَائِلُ فِي الْعَرَبِ : مُنِعُوا الطَّعَامَ وَأَعْطُوا الْكَلَامَ .

تَمَدَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ عِنْدَ ابْنِ مَكْرُمٍ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُرَاقًا ^(٣) ، فَلَمَّا جَسَّهُ قَالَ : قَدِرُكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبِخَتْ بِشِطْرُنَجٍ ^(٤) .

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَوْمًا قَدِيرًا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةَ الْعِظَامِ ، فَقَالَ : هَذِهِ قَدِيرٌ أَمْ قَبِيرٌ ؟ وَأَكَلَ عِنْدَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ يَوْمًا ، فَسُقِيَ ثَلَاثَ شَرَبَاتٍ بَارِدَةٍ ، ثُمَّ طَلَبَ الرَّابِعَةَ فَسُقِيَ شَرِبَةً حَارَّةً ، فَقَالَ : [لَعَلَّ] مَرَّئِلَتُكُمْ ^(٥) تَمْتَرِيهَا تُحْيِي ^(٦) الرَّبْعَ . قَالَ سَلَمَةُ : بَقِيَ أَبُو النَّمَقَامِ بِبَغْدَادَ وَكُنَّا نَأْتِيهِ وَنَسْمَعُ مِنْهُ ، فَجَاءَنَا بِحَفْنَةٍ فِيهَا جُوزَابٌ ^(٧) فَجَعَلَ أَصْحَابُنَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ أَتَانَا بِسَقُودٍ فِيهِ يَرَابِيعٌ فَسَلَّتْهَا فِي الْجَنْفَةِ ، فَلَمَّ الْقَوْمُ أَنَّهُمْ قَدْ دُهِوا ، فَجَعَلُوا يَسْتَقِيثُونَ مَا أَكَلُوا .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا] : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِي جَارَتَانِ بَأَيْتُهُمَا أَبْدَأُ ؟ قَالَ : « بَأْدُنَاهُمَا بِأَبَا مِنْكَ ^(٨) » .

(١) فِي (١) : « عَلَيْهِ » .

(٢) عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ : هُوَ ابْنُ مَالِكٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابِ الْعَامِرِيِّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لَيْدٍ .

(٣) الْعُرَاقُ : الْعِظَامُ الَّتِي أُخِذَ مَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ .

(٤) يُرِيدُ بِهَذِهِ الْعَارَةَ وَصَفَ مَا فِي الْقَدْرِ بِالْيَبْسِ وَالصَّلَابَةِ كَيَادِقِ الشَّطْرَنْجِ .

(٥) الْمَرَّئِلَةُ : جَرَّةٌ أَوْ خَافِيَةٌ خَضْرَاءُ فِي وَسْطِهَا ثَقْبٌ فِيهِ قَصْبَةٌ مِنَ الْفَضَّةِ أَوْ الرِّصَاصِ

يُشْرَبُ مِنْهَا .

(٦) حَمَى الرَّبْعِ هِيَ الَّتِي تَأْخُذُ يَوْمًا وَتَدَعِي يَوْمَيْنِ ، ثُمَّ تَجِيءُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ .

(٧) الْجُوزَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنْ سَكَّرٍ وَأَرْزٍ وَلَحْمٍ ، وَهُوَ فَارَسِيٌّ .

(٨) فِي (ب) : « إِلَيْكَ » .

وقال حكيم : يَنْبَغِي أَلَّا يُعْطَى الْبَخِيلُ أَكْثَرَ مِنْ قُوَّتِهِ ، لِيُحْكَمَ
عليه بِمَثَلٍ مَا حَكَمَ [به] على نفسه .
وقال الشاعر :

أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ قَوْصَرَةٌ^(١) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ مِرْخَةٌ^(٢) يَرْخُهَا ثُمَّ يَسَامُ الْفَخَّةُ
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَوْخَلَةٌ^(٣) يَا كُلُّ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ مَلَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ هِرْشَقَةٌ^(٤) وَنَشَقَةٌ^(٥) يَلَأُ مِنْهَا كَفَّةً
أَفْلَحَ مَنْ كَانَتْ لَهُ كِرْدِيدَةٌ^(٦) يَا كُلُّ مِنْهَا وَهُوَ ثَانٍ جِيدَةً

وقال أبو فرعون الشاشي يخاطب الحجاج :

يَا خَيْرَ رَكْبٍ سَلَكَوا طَرِيقًا وَيَمَمُوا مَكَّةَ وَالْعَقِيقَا
وَأَطْعَمُوا ذَا الْكَذَكِ وَالسَّوِيقَا وَأُلْخِشَكُنَّ^(٧) الْيَابِسَ الرَّفِيقَا

(١) القوصرة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري ؛ وينسب هذا الشعر إلى علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ . والمِرْخَةُ : زوجة الرجل لأنه يَرْخُهَا ، أى يجامعها ؛ والفَخَّةُ : نومة النداء ، وقيل نومة التعب . وفي الأصل : الفخة بالقاف ؛ وهو تصحيف .

(٣) الدوخلة : سفينة من خوص يوضع فيها التمر والربط ؛ وهي كالزبليل . والمَلَّةُ : الرمة .
(٤) في رواية : « طوبى لمن كانت » الخ ، والمِرْشَقَةُ : خرقعة ينشف بها ماء المطر من الأرض ثم تعصر في الإناء ؛ وإنما يفعل ذلك إذا قل الماء . ذكره صاحب اللسان وأورد هذا البيت شامداً عليه .

(٥) في الأصل : « ومنشر » ؛ وهو تحريف . والنشقة : خرقعة تنشف بها اليد .
(٦) الكرديدة : القطعة العظيمة من التمر . وهو ثانٍ جيده ؛ أى وهو في راحة ودعة .
(٧) الخشكنان : الخبز اليابس ، وهو المعروف عندنا بالسكوكيت . انظر المعجم الفارسي الانجليزي لاستاينجاس .

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْجُوعَ يَطْرُدُهُ رَغِيفٌ وَمِنْهُ الْكَفُّ مِنْ مَاءِ الْفُرَاتِ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الطاعم »^(١) الشاكر بمنزلة الصائم الصابر .
قَبْلَ مُزْبَدٍ^(٢) جَارِيَةٍ بَحْرَاءَ ، فقال لها : أَطْنُكُ تَحْشِيَتِ بَكْرِشَ ، أَوْ احْتَشَيْتِ
صَحْنًا^(٣) ؛ فقالت : مَا أَكَلْتُ إِلَّا خَرْدَلًا . قال : قَدْ ذَهَبَ النُّصْفُ الثَّانِي
وَبَقِيَ مَا قَبْلَهُ .

قال شاعر :

وَبَاتُوا يُعْشَوْنَ الْقَطِيعَاءَ ضَيْقَهُمْ وَعِنْدَهُمُ الْبَرْنِيُّ فِي جُلَيْ دُسْمٍ^(٤)

وقال آخر :

وَمَا أَطْعَمُونَا الْأَوْتَسْكَى^(٥) مِنْ مَمَاحِيَةٍ وَلَا مَنَعُوا الْبَرْنِيَّ إِلَّا مِنْ الْبُخْلِ
سَمِعْتُ الْحَبَّاجِيَّ يَقُولُ : كُلِّ اخْلَبَزٍ أَوْ السَّمَكِ ، فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا كَانَ
مُطِيعًا ؛ فَإِذَا نَفَيْتَ قُلْتَ : لَا تَأْكُلْ اخْلَبَزَ وَالسَّمَكِ ؛ فَإِنْ أَكَلَ أَحَدُهُمَا لَمْ
يَقْصِكَ ؛ وَإِذَا قُلْتَ : لَا تَأْكُلْ اخْلَبَزَ أَوْ السَّمَكِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدُهُمَا

(١) الطاعم ، أى ذو الطعام ، أو المعلوم .

(٢) فى كلمتا النسختين « مزيد » بالياء المثناة ؛ وهو مصحف . ومزيد بالموحدة هو صاحب النوادر المرووف .

(٣) الصحن والصحناء — وعمدان ويقصران — إدام يتخذ من السمك الصغار ؛ مشة

مصلح للعمدة

(٤) القطيعاء : التمر السهريز ، والتمر السهريز : الصغير ، وهو أردأ التمر ؛ وقيل هو البسر قبل أن يدرك ؛ والبرني نوع جيد من التمر . والجلّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . والدسم : الغلاظ .

(٥) الأوتسكى ، هو التمر السهريز ؛ وهو والقطيعاء التى تقدم شرحها فى الماشية السابقة واحد ؛ وفى المخصص « الأؤم » مكان « البخل » ؛ وفى الأصل : « الأربكى » مكان « الأوتسكى » ؛ وهو تحريف .

لأن التقدير في النفي لا تأكل أحدهما ، والتقدير في الإيجاب اثنتان هما شئت ؛
فهذه خاصية أو . السويقي : الجشيش^(١) ، لأنه رُضَّ وكُسِرَ . المجشة : رَحَى
صغيرة يُجَشُّ بها . رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الشُّبْرَمَ^(٢) عِنْدَ
أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَقَالَ : « حَارٌّ حَارٌّ » ، وَأَمَرَ بِالسَّنَا^(٣) .

وَيُقَالُ : أَكَلُ الْبَطِيخِ^(٤) ، بَخْفَرَةٍ ، أَيْ يَقْطَعُ مَاءَ الْفَسَاخِ .

وَيُقَالُ : فَلَانٌ عَظِيمُ الْمَجْرَاشِ^(٥) ، أَيْ الْوَسَطِ ، فَرَسٌ مُجَرَّشٌ^(٦) الْجَفْنَيْنِ
وَأَجْرَأَشْتِ^(٧) الْإِبِلُ ، إِذَا بَطِنَتْ ، وَإِبِلٌ مُجَرَّشَةٌ^(٨) أَيْ بَطَانٌ ؛ وَيُقَالُ :
كَثَاةٌ^(٩) قَدِيرٌكُمْ ، وَهِيَ مَا أُرْتَفَعَ مِنْهَا عِنْدَ الْعَلَى .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ أَبُو عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَيْسَ
بِمُؤْمِنٍ مَنْ بَاتَ شَبَعَانِ [رِيَّانَ] وَجَارُهُ جَانِعٌ طَاوٍ » .

قَالَ عُمَرُ : مُدْمِنُ اللَّعْمِ كَدْمِنِ الْخَمْرِ .

وَقَالَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَذُمُّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ جَبَلَةَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَشِيشُ » ؟ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) الشُّبْرَمُ : نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ كَالْعَدَسِ ، وَأَوْرَاقُهُ تُشَبِّهُ الطَّرَخُونَ . وَفِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ
عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا شَرِبَتْ الشُّبْرَمَ الْحَافِ فَقَالَ إِنَّهُ حَارٌّ حَارٌّ ، وَفَسَّرَ الشُّبْرَمُ بِأَنَّهُ حَبٌّ كَالْحَمْلِصِ يَطْبِخُ
وَيُشْرَبُ مَاءُهُ لِقُدَاوَى ، وَقِيلَ إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشَّيْخِ ، أَخْرَجَهُ الزُّنْجَنُورِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ .
(٣) السَّنَا . نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ فِي الْأَدْوِيَةِ ، لَهُ حُلٌّ لِذَا يَبْسُ وَحَرَكَتُهُ الرَّجَحُ سَمِعْتُ لَهُ زُجَلًا
الوَاحِدَةَ سَنَانًا ، وَهَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ نَبَاتٌ يُشَبِّهُ الْحَنَاءَ ، زَهْرُهُ إِلَى الزَّرْقَةِ وَحَبُّهُ مَقْرَطُجٌ إِلَى
الطُّولِ مَرِيضٌ الْأَوْرَاقُ وَأَجْوَدُهُ الْحَاجَزِيُّ ، وَيَعْرِفُ بِسَنَامَا ؛ وَقَدْ يُقَالُ لَهُ السَّنَا الْمَسْكِيُّ ؛ وَنَوْعٌ
آخَرُ يُقَالُ لَهُ السَّنَا الرَّوْسِيُّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْبَطِيخُ » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) وَرَدَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ الَّتِي تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ فِي الْأَصْلِ بِالْحَاءِ وَالسِّينِ الْمُهْمَلَتَيْنِ ؛ وَهُوَ
تَصْحِيفٌ ؛ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كُتُبِ الْفَنَةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « كَبَاةٌ » بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ عَنْ كُتُبِ الْفَنَةِ .

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرُّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ
لِلضَّارِبِينَ الْمَامَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قيل لدُبٍّ : لَمْ تَفْقِرْ رَجُلًا فِي لَيْلَةٍ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَأْكُلُ [مِنْ] عِنَبِهِ ؟ فقال :
لَا تَلْنِي ، فَإِنَّ بَيْنَ يَدَيَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَنْجَحِرُ فِيهَا فَلَا أَنْلَعُ إِلَّا بِالْهُوَاءِ .

قال ابن الأعرابي : إِذَا أَقْدَحَ ^(١) الرَّجُلُ مَرْءَةً بَعْدَ مَرْءَةٍ فَأَطَمَ لَحْمَهُ
الْمَسَاكِينَ سُمِّيَ مَتَمِّمًا ، وَبِهِ سُمِّيَ ابْنُ نُؤَيْرَةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ مَتْنِي الْأَيْدِي ^(٢) وَأَكْمُو الْجَفْنَةَ الْأَدْمَا

الْزُتْمُ ^(٣) مِنْ فُتَاتِ الطَّعَامِ ، وَيُقَالُ الثَّرْمُ أَيْضًا [مَا فَضَلَ مِنْ] ^(٤) الطَّعَامِ

فِي الْإِنَاءِ [، وَيُقَالُ : طَعَامٌ ذُو نُزُلٍ ^(٥) . وَاللَّيْحُ وَالْمُلْحُ : السَّمْنُ ، يُقَالُ :
تَمَلَّحَتِ الْجَارِيَةُ وَتَجَلَّمَتِ إِذَا سَمِنَتْ .

وقال أبو الطمحان القيني ^(٦) :

وإِنَّ لَأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بَطُونِكُمْ وَمَا كَشَطَتْ مِنْ جِلْدِ آشَمَتْ أَغْبَرَا

هَكَذَا سَمِنْتُ . وَيُقَالُ : سَمِنَ حَتَّى كَانَتْ خَرْمٌ ^(٧) ، وَالْخَرْمُ ^(٧) : الدَّنُّ

بَعِيْنُهُ . وَفِي الْمَثَلِ : « إِنَّ آخِرَ الْخَرْمِ ^(٧) لَدُرْدِي » أَيْ آخِرُ الدَّنِّ دُرْدِي .

(١) أقدح الرجل ، أي ضرب بالفداح في اليسر .

(٢) كذا ورد هنا البيت في اللسان ؛ والذي في الأصل : « متنى الأعناق » مكان قوله :
متنى الأيدي ؛ وهو تحريف . والأدم : بضمتين هو الأدم بتسكين الدال ، أي ما يؤتد به .
يقول : إنه يفوز بهذا اللحم فيطعمه المساكين .

(٣) في الأصل : الترم ؛ وهو تصحيف . والتصويب عن كتب اللغة .

(٤) لم ترد هذه العبارة في (١) النقول عنها وحدها هذا الكلام ، غير أنها تكملة يقتضيها
سياق الكلام أخذنا من كتب اللغة ؛ وواضح أن الكلام بدونها يكون ناقصاً .

(٥) ذو نزل ، أي ذو بركة .

(٦) في الأصل : « المعنى » ؛ وهو تصحيف .

(٧) في الأصل : « الحرش » ؛ وهو تصحيف في المواضع الثلاثة التي تحت هذا الرقم .

وَأُشِدَّ:

حَبْدًا الصَّنِيفُ حَبْدًا مِنْ أَوَانٍ وَزَمَانٍ يَفُوقُ كُلَّ زَمَانٍ
 زَمَنُ الخَمْرِ وَالْمَسَاوِرِ وَالْجَشَنِ^(١) وَوَرْدِ^(٢) الْخِلَافِ وَالرَّيْحَانِ
 زَمَنٌ كَانَتْ الْمَضَائِرُ^(٣) فِيهِ بُلُجُومُ الْجِدَاءِ وَالْعُحْلَانِ
 وَصُدُورُ الدَّجَاجِ بِالْخَلِّ وَالْمَرْمَى وَنَثَرِ السَّدَابِ وَالْأَنْجَذَانِ^(٤)
 وَسِمَانٍ مِنَ الْقَرَارِيحِ تُنْقَلَى بِعَصِيرِ الْأَغْنَابِ وَالرُّثْمَانِ
 وَشِوَا الرُّوزَةِ اللَّذِيذَةِ وَالْقَا رِصَ بَيْنَ الْحَلِيبِ وَالْأَلْبَانِ
 وَنَقَى السَّوِيْقِ بِالسَّكَّرِ التَّمَدِّ خُولٍ فِي الثَّلْجِ فِي الرُّجَاجِ الْيَمَانِي
 وَقِلَالٍ تُعْطَطُ مِنْ بَهَكْرَاتٍ مُرَوِيَاتٍ غَلَائِلَ الْعَطَشَانِ
 وَأَعْتَرَضَ حَدِيثُ الْعِلْمِ ، فَأَنْشَدَ ابْنُ عُثَيْدٍ الْكَاتِبُ لِسَابِقِ الزُّبَيْرِيِّ قَوْلَهُ :
 الْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ كَمَا يُجَلِّي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاتَ إِجَابَةً وَأَسَاتَ فَهْمًا

(١) الجشن : لفظ فارسي معناه مجتمعات الناس في الأعياد والولائم ونحو ذلك ، كما في المعجم الفارسي الإنجليزى لاستاينجاس . ولم نجد للمساوِر معنى يناسب السياق ، فلعله تحريف لم نهتد إلى وجه الصواب فيه . وفي الأصل : (ومن) مكان (زمن) ؛ وهو تحريف .

(٢) في الأصل « ورد » مكان (ورد) ؛ وهو تحريف .

(٣) في الأصل : « ومن كانت المضار » ؛ وفيه تحريف لا ينبغي . والمضائر : جمع مضيرة وهي لحم يطبخ باللبن المضير ، أى الحامض ، وقد يخلطون به الحليب . أما كيفية عملها فقد ذكرت في كتب الأطعمة فانظرها .

(٤) الأنجذان : نبات له أصل أغلظ من الإصبر ، وقرون كقرون اللوباء ، فيها حب كالعندس ؛ وهو فارسي معرب .

آخر :

الْعِلْمُ يُنْعِشُ أَقْوَامًا فَيَنْقَمُّهُمْ^(١) كَالْعَيْثِ بِدُرِّكَ عِيدَانَا فَيُخَيِّرُهَا
فقال الوزير : عندي في صحيفة حفظ الصبا : الْعِلْمُ سِرَاجٌ يُجَلِّي الظُّلْمَةَ ،
وَضِيَاءٌ يَكْشِفُ الْعَمَى .

الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَكْرُوهًا إِلَّا فِي اسْتِفَادَتِهِ ، وَالْحِرْصُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِهِ ، وَالْحَسَدُ
مَنْعِيٌّ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْهِ .

ثم عاد الحديث إلى المأخوذة :

(٣)

حدثني مطهر بن أحمد الكاتب عن ابن قرارة العطار قال : اجتمع ذات
يوم عندي على المسائدة أبو علي بن مقلّة وأبو عبد الله اليزيدي ، وكان ابن
مقلّة يُفضل الهريسة ، وكان اليزيدي يفضل الجوزابة ، وكان كل واحد منهما
يصف النوع الذي يقول به ويؤثره ، فقال اليزيدي : الهريسة طعام الشوقيين
والسُّقَلَة ، وليست الجوزابة بهذه الصفة ؛ فقال لي ابن مقلّة : ما أسم الجوزابة
بالفارسية ؟ فقلت : جَوَزَاب^(٢) ، فقال : ضَمَّ الكاف^(٣) . وفهمت ما أراد ،
فقلت : نسأل الله العافية ، والله لقد عافيتها نفسي ، وسكنت اليزيدي .

قال يزيد بن ربيع : الكباب طعام الصعاليك ، والماء والمالح طعام
الأعراب ، والمرأس والرءوس طعام السلاطين ، والشواه طعام الدُّعَار ، وأغل
والزيت طعام أمثالنا .

(١) ينغمهم ، أي يروهم ، وفي الأصل « ينغمهم » بالفاء ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا
أخذنا من التشبيه . (٢) ضبطنا هذا اللفظ بفتح الجيم وبالزاي بعدها لما تقتضيه النكتة
الآتية . وهذا اللفظ بالفارسية ينطق بالذال أو الزاي كما في معجم استاينجاس بمعنى الطعام الذي
يتخذ من اللحم والأرز والسكر والبندق .

(٣) أراد بالكاف هنا الكاف الفارسية وهي تنطق جيم مصرية ، ويعبر إلى لفظ جوز
بالفارسية وهو الفساء ؛ فهو ينفره من هذا الطعام بهذه النكتة .

وَحَدَّثَنِي أَبُو نُضَيْبٍ الصُّوفِيُّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَمْرِو الشَّارِئِيُّ ^(١) صَاحِبُ
الْخَلِيفَةِ : انْهَضْ بِنَا حَقَّ نَيْفَتَدَى ، فَإِنَّ عِنْدِي مَصُوصًا ^(٢) وَهَلَامًا ^(٣) وَبَقِيَّةَ
مُطَجَّجَةٍ ، وَشَيْئًا مِنَ الْبَازَنْجَانِ الْبُورَانِيِّ الْبَائِتِ الْحَمَرِّ . قُلْتُ : هَذِهِ كُلُّهَا تَزَايِينُ
الْمَائِدَةِ ، فَأَيْنَ الْأَذَمُ ؟

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ يُكْثِرُ أَكْلَ الْجُذَابِ
وَلَا يُؤْثَرُ عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَكَانَ يَقُولُ : يَشُدُّ الْعَصْدَيْنِ ، وَيَقْوَى السَّاعِدَيْنِ ، وَيَجْلُو
النَّظِيرَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي سَمْعِ الْأَذْنَيْنِ ، وَيَحْمَرُّ الْوَجْنَتَيْنِ ، وَيَزِيدُ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ
طَعَامُ شَعْيٍ ، فَأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟

وَبَلَغَ الْمَنْصُورَ وَصْفُهُ هَذَا ، فَقَالَ : بِحَقِّ مَا وَصَفَهُ ، وَلَا نَقْبَلُ أَكْلَهُ .
وَقَالَ وَكَيْعُ بْنُ الْجِرَّاحِ : التَّمْتِينُ ^(٤) عَلَى الْمَائِدَةِ خَيْرٌ مِنْ زِيَادَةِ لَوْنَيْنِ ،
وَكَأَلُ الْمَائِدَةِ كَثْرَةُ الْخُلْبِزِ ، وَالسَّمِيدُ الْأَبْيَضُ أَحْلَى مِنَ الْأَصْفَرِ .

وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يُحِبُّ ^(٥) الْجُذَابَ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا مِّنْ [يَحْضُر] عِنْدَهُ
يَعِيبُ الْجُذَابَ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنْ ثَبَتَ عِنْدِي هَذَا تَوَقَّفْتُ عَنْ شَهَادَتِهِ ، وَحَكَمْتُ
عَلَيْهِ بِضَمْفِ الْحَسِّ وَقَلَّةِ التَّمْيِيزِ ، فَبَلَغَ الرَّجُلَ ذَلِكَ ، فَأَحْتَرَسَ ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى
يَوْمًا : مَا قَوْلُكَ فِي الْجُذَابِ ؟ فَقَالَ : أَشْرَفَ مَا أَكَلِ وَأَطْيَبُهُ ، سَهْلٌ لِلدَّخْلِ ،
لَذِيذٌ لِلطَّعْمِ ، حَيِّدٌ الْغِذَا ، قَلِيلُ الْأَذَى . قَالَ : أَصَبْتَ ، هَكَذَا أُرِيدُكَ .
أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ قَالَ : مَا مِنْ دَاخِلٍ إِلَّا وَلَهُ حَيْرَةٌ ، فَأَبْدَهُ

(١) كَذَا فِي (ب) : وَالْقِي فِي (١) : « ابْنُ أَبِي حَمْرَةَ الشَّرَائِي » .

(٢) الْمَصُوصُ : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَطْبَخُ وَيَنْقَعُ فِي الْمَلْحِ ؛ وَيَكُونُ مِنْ لَحْمِ الطَّيْرِ خَاصَّةً .

(٣) الْهَلَامُ كَنْزَاب : طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ يَجْلِبُ بِجِلْدِهِ ؛ وَقِيلَ مَرَقُ السَّكْبَاجِ الْبَرْدُ الْمَصْفَى

(٤) التَّمْتِينُ : تَهْوِيَةُ الطَّعَامِ بِالْأَفَاوِيهِ .

مِنَ الدَّهْنِ .

(٥) فِي (١) : « يُوْثَرُ » .

بالسلام ، وما من مدْعُوٍّ إلا وله حِشْمَةٌ ، فابدؤوه باليمين ^(١) .

قال سخدان : قلتُ لجاريةٍ آرَدْتُ شراءَها — وكانت ناعمة البدنِ رَطْبَةً شَطْبَةً ^(٢) غَضَّةٌ بَضَّةٌ — : ما كان غِذاؤُك عند مولاي ؟ قالت : المَبْطَنُ . قلتُ : وما المَبْطَنُ ؟ قالت : الأرزُ الرِّيانُ مِنَ اللَّبَنِ ، بالفألِودَجِ الرِّيانِ من العسلِ ، والخبِيصَةُ الرِّيانَةُ مِنَ الدَّهْنِ والسكرِ والزَّعفرانِ . قلتُ : حقٌّ لكِ .

وقال ابنُ الجصاصِ الصُّوفِيّ : دَخَلْتُ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ رَوْحِ الْأَهْوَازِيِّ قَالَ : ما تقولُ في صَحْفَةٍ أَرْزِي مَطْبُوحٌ ، فيها نَهْرٌ مِنْ سَمْنٍ ، على حافتيها كُتُبَانُ مِنَ الشَّكْرِ التَّمْخُولِ ، فدمَعَتْ عَيْنِي ، فقال : مالك ؟ قلتُ : أبكي شَوْقًا إِلَيْهِ ، جعلنا الله وإِيَّاكَ مِنَ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ بِالْفَوَاصِ وَالرَّدَّادَتَيْنِ . فقال لي : ما الفَوَاصِ [والرَّدَّادَتانِ] ^(٣) ؟ قلتُ : الفَوَاصِ الْإِبْهَامُ ، والرَّدَّادَتانِ : السَّبَابَةُ وَالْوُسْطَى . فقال : أحسنتَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ .

شَكَرَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ الْجُوعَ فَقَالَ : أَكْذَكَ وَأَنْتَ تَنْتُ نَتْ ^(٤) الْحَمِيَتْ ؟
أَيُّ تَرْتَمِشٍ كَمَا يَرْتَمِشُ الزُّقَّ .
وقال ابنُ سَكْرَةَ :

أَطْلَعَنِي فِي خَرُوفِكُمْ خَرَفِي فِجِثْتُ مُسْتَفْجِلًا وَلَمْ أَفِ
وَجِثْتُ أَرْجُو أَطْرَافَهُ فَعَدَّتْ فِي طَرَفِي وَالسَّيَّاتُ ^(٥) فِي طَرَفِي

(١) في (١) : « بالتمييز » ؛ وهو تحريف .

(٢) الشطبة : الجارية الحسناء الغضة ؛ وقيل الطويلة .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في الأصل ؛ والسياق يقتضيها أخذنا من الجواب .

(٤) في الأصل : « تمت مت » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلائعاً للصادر التي بين أيدينا ، ونصه فيها ؛ وفي حديث سمر أنه جاءه رجل فقال له : هلكت . فقال له : أهلك وأنت تنث كما ينث الحميت ؟ .

(٥) في الأصل : « والشمال » ؛ وهو تحريف . والنصوب عن ينيمة الدهر .

وَحَذَّرُونِي مِنْ ذِكْرِ رُزَّتِهِ يَا حَرَّ صَدْرِي لَهَا وَيَا لَهْفِي
عَائِنَتُهُ وَالَّذِي يُفَصِّلُهُ وَالْقَلْبُ مِنِّي عَلَى شَفَا جُرْفٍ
مَا حَلَّ بِي مِنْكَ عِنْدَ مُنْصَرَفِي مَا كُنْتُ إِلَّا فَرِيَسَةً التَّلَفِ
ويقال : القانع غني وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .
قيل لإبراهيم الخليل - عليه السلام - : بأي شيء ألتخذك الله خليلاً ؟
قال : بأني ما خيَّرتُ بين أمرين إلا اخترتُ الذي لله ، وما أهتممتُ لما
تكفل لي به ، وما تغدَّيتُ وما تعشيتُ إلا مع ضيف .

وأعترض حديث فقال : أنشدني بَيْتِي ابن غسان البصريُّ في حديث
بختيَّار ، يعني عزَّ الدولة ، فأنشدته :

أَقَامَ عَلَى الْأَهْوَايِ سِتِّينَ لَيْلَةً يَدْبُرُ أَمْرَ الْمَلِكِ حَتَّى تَدْمُرَا
يَدْبُرُ أَمْرًا كَانَ أَوَّلُهُ عَمَى وَأَوَسَطُهُ نُكْلًا وَآخِرُهُ خَرًا
فقال : ما أعجبَ الأمورَ التي تأتي بها الدهُورُ ! عُدْ إلى قِرَاءَتِكَ ،
فعمدتُ وقرأتُ .

رُوي في الحديث : لا تأكلوا ذِرْوَةَ الثَّرِيدِ ، فإن البركة فيها .
وقال أعرابي : اللَّبَنُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَمَلِكُ الْمَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ ،
وَالْمَرْقَةُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ ، وَالبَلاغَةُ أَحَدُ السَّبْقَيْنِ ^(١) وَالنَّمْيُ أَحَدُ الشُّكْرَيْنِ ^(٢)
أراد مُزِيدَ أَضْحِيَّةٍ فَلَمْ يَحِدِّثْهَا ، فَأَخَذَ دِيكًا لِيَضْحَى بِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ جِيرَانَهُ
شَاءَ شَاءَ حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهُ سِتْعُ شَيْءٍ ، فَقَالَ دِيكِي أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِسْعَاقٍ
لأنه فُدى بِكَبْشٍ ، وَدِيكِي بِسَبْعَةٍ .

(١) في الأصل : الشيعين ؟ وهو تحريف ؟ والسياق يقتضي ما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « السلوين » ؛ وهو تحريف لا معنى له .

الْكُتْلُ : اللَّحْمُ ^(١) ، وَالْعَيْمَةُ ^(٢) : شَهْوَةُ اللَّبَنِ ، وَالْقَرَمُ : شَهْوَةُ اللَّحْمِ .
 وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ أَكْلِ
 الْبَلَسِ » . قيل : هو التين .

وقال أعرابي :

يَمُنُّ عَلَى التَّزْوِيجِ شَيْخِي وَفِي التَّزْوِيجِ لِي هَمٌّ وَشُغْلُ
 وَكُنْتُ مِنَ الْهُمومِ رَخِيَّ بِالِ فَحَلَّ مِنَ الْهُمومِ عَلَى ثِقَلُ
 فَقُلْتُ لَهُ : مَنَنْتَ بِغَيْرِ مَنْ وَمَالَكَ بِالَّذِي أَسَدَيْتَ فَضْلُ
 أَغْزَابِ الْعَشِيرَةِ لَوْ عَلِمْتُمْ بِحَالِي حِينَ لِي بَيْتٌ وَأَهْلُ
 عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ فِي حَالٍ عَيْشٍ رَخِيَّ مَالَهُ يَا قَوْمُ عَذْلُ
 قال إسحاق الموصلي : أُمِّلِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِالْكُوفَةِ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَرِهَ السَّمَرَ إِلَّا فِي الْفَقْهِ ، يَرِيدُ كَثْرَةَ السَّمَرِ إِلَّا فِي الْفَقْهِ .
 قيل لبسرة الرأس ^(٣) : مَا أَكْثَرُ مَا أَكَلْتُ ؟ قَالَ : مَائَةٌ رَغِيفٍ بِكَتْلَجَةٍ
 مِلْحٍ ؛ فَقِيلَ هَذَا أَكَلْتُكَ فِي بَيْتِكَ ؟ قَالَ : آكُلُ فِي بَيْتِي رَغِيفَيْنِ ، وَأَحْتَشِي ^(٤)
 إِلَى اللَّيْلِ فِشْلَ الْخَيْلِ .

تَنَاوَلَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ تَفَاحَةً فَأَكَلَهَا ، فَقِيلَ : وَيَحْكُ ، تَأْكُلُ
 التَّحِيَّاتِ ؟ فَقَالَ : وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ .

يَقَالُ : الطَّعْمَةُ : السَّكْنَبُ . وَيَقَالُ : جَثْتُ بِالطَّعْمَةِ . وَالطَّعْمُ : الْعَطَامُ :

(١) الكتل : اللحم ، أى القطع منه ، الواحدة كتلة ، وفي الأصل « الكبل » بالباء ؛
 وهو تصحيف .

(٢) وردت هذه الكلمة في الأصل مضطربة الحروف تتمذر قراءتها ، وما أُمِتْنَاهُ

من كتب اللفظة . (٣) في (ب) : « التراس » .

(٤) في كلتا النسختين : « وَأَحْبَشَا » ؛ وهو تحريف .

وَالطَّم : الذُّوق . وهذه الأرضُ طُعْمَةٌ لَكَ وطُعْمَةٌ .

قال إسحاق : كنت يوما عند أحمد بن يوسف الكاتب ، فدخل أحمد بن أبي خالد الكاتبُ ونحن في الغناء ، فقال : والله ما أُجِدُّ شيئاَ مما أنتم فيه . قال إسحاق : فهانَ عليَّ وخفَّ في عيني ، فقلت له كالستهزيُّ به ، جُعِلْتُ فداك ، قَصَدْتَ إلى أَرْقَى شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ وَأَلْيَنِهِ حُلَى الْأُذُنِ وَالْقَلْبِ ، وَأَظْهَرِهِ لِلشُّرُورِ وَالْفَرَحِ ، وَأَنْفَاهُ لِلْهَمِّ وَالْحُزْنِ ، وَمَالِي لِلْجَوَارِحِ مِنْهُ مَوْؤَنَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّمَا يَتَرَعُّ السَّمْعُ وَهُوَ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ ، فَتَطَرَّبُ لَهُ النَّفْسُ ، فَذَمُّهُ ؟ ! ولكنه كان يقال : لَا يَجْتَمِعُ فِي رَجُلٍ شَهْوَةٌ كُلُّ لَذَّةٍ ، وَبَعْدُ ، فَإِنَّ شَهْوَةَ كُلِّ رَجُلٍ عَلَى قَدَرِ تَرَكِيهِ وَمِزَاجِهِ . قال : أَجَلٌ ، أَمَا أَنَا فَالطَّعَامُ الرِّيقُ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَاءِ . فقلت : إِي وَاللَّهِ وَلِحْمُ الْبَقَرِ وَالْجَوَامِيسِ وَالتِّيُوسِ الْجَبَلِيَّةِ بِالْبَازِنِجَانِ الْمُبَرَّرِ أَيْضًا تُقَدِّمُهُ ؟ فقال : [الْغِنَاءُ ^(١)] مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، وَقَدْ كَرِهَهُ قَوْمٌ . قلتُ فَأَلْخُتَلَفَ ^(٢) فِيهِ أَطْلَقَهُ لَنَا حَتَّى تُجِيبُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ ، أَعْلَمْتَ — جُعِلْتُ فداك — أَنَّ الْأَوَائِلَ كَانَتْ تَقُولُ : مَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ [عَلَى] حَقِيقَتِهِ مَاتَ . فقال : اللَّهُمَّ لَا تُسَمِّعْنَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِذَا فَنِمْتُ . فَاسْتَظَرَفْتُهُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ ، وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشَغِلَ مِنْ ذَمِّ الْغِنَاءِ .

قال سعيد بن أبي عروثة : نَزَلَ الْحِجَّاجُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَقَالَ لِلْحَاجِبِ : اُنْظُرْ أَعْرَابِيًّا يَتَقَدَّمُ مَعِيَ ، وَأَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَنَزَلَ الْحَاجِبُ إِلَى أَعْرَابِيٍّ بَيْنَ شَمَلَيْنِ ، فَقَالَ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ : إِذَنْ فَتَقَدَّمْ مَعِيَ . فقال : إِنَّهُ دَعَانِي مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ فَأَجَبْتُهُ . قال : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : اللهُ عَزَّ

(١) لم ترد هذه الكلمة في كلتا النسختين ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) في كلتا النسختين : « فالاختلاف » ؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

وَجَلَّ دَعَانِي إِلَى الصَّوْمِ فَصُمْتُ ، قَالَ : أَيْ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، صُمْتُهُ لِيَوْمٍ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ حَرًّا . قَالَ : فَأَنْطِرِ وَصُمْ غَدًا . قَالَ : إِنْ صُمَمْتُ لِيَ الْبَقَاءِ إِلَى غَدٍ . قَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ . قَالَ : فَكَيْفَ تَسْأَلُنِي عَاجِلًا بِأَجَلٍ لَا تَقْدُرُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ طَعَامٌ طَيِّبٌ . قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تُطَيِّبْهُ وَلَا الْخَبَازَ ؛ وَلَكِنْ الْعَافِيَةَ طَيَّبْتَهُ ، وَلَمْ يُفَطِّرْ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ .

قال أعرابي : هَذَا الطَّعَامُ مَطْيَبَةٌ لِلنَّفْسِ ، نَحْسَنَةُ لِلْجِسْمِ .

قال أبو حاتم : حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو طَلِيَةَ الْجَرْمَازِيُّ ^(١) : قَالَ أَعْرَابِيٌّ : ضِفْتُ رَجُلًا فَأَتَانَا بُخْبَزٌ مِنْ بُرٍّ كَأَنَّهُ مَنَاقِيرُ النَّفْرَانِ ^(٢) ، وَأَتَانَا بِبَهْمٍ كَأَعْنَاقِ الْوَرْلَانِ ^(٣) ، يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ .

وقال آخر : ونظر إلى رَجُلٍ يَأْكُلُ بِالْعَيْنِ وَالْقَمِ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالرَّجْلِ : لَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمَّا ذَكَرَهُ ، وَلَوْ طَلَعَ وَلَدُهُ الْغَائِبُ عَلَيْهِ مَا عَرَفَهُ :

يَلْتَقِبُ بِالْخَمْسَةِ فِي قَصْمَةٍ لِيَتَبَّ أَخِي الشُّطْرَنْجِ بِالشَّاهِ

قال ابن الأعرابي : كَانَ الْمُحَسِّنُ الضُّبِّيُّ ^(١) شَرِّهَا عَلَى الطُّعْمِ ، وَكَانَ دِيمَاً ، فَقَالَ لَهُ زِيَادُ ذَاتِ يَوْمٍ : كَمْ عِيَالُكَ ؟ قَالَ : تِسْعُ بَنَاتٍ . قَالَ : فَأَيْنَ مِنْهُنَّ مِنْكَ . فَقَالَ : أَنَا أَحْسَنُ مِنْهُنَّ وَهِنَّ آكَلْنَ مِنِّْي ؛ فَضَحِكَ . وَقَالَ : جَازَ ^(٢) مَا سَأَلْتَ لَهْنًا . وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ [فَقَالَ] :

(١) في الأصل : « الجرماري » ؛ وهو تصحيف .

(٢) النفران : جمع نفر يضم ففتح ، وهو فرخ المصفور أو طائر يعبهه .

(٣) الورلان : جمع ورل بالتحريك ، وهو دابة شبيهة بالضب .

(٤) في (١) المحقق مكان : المحسن ، وفي ب « الألسي » مكان الضبي ؛ وهو تحريف .

(٥) جاز ما سألت ، أي فقد أمرنا به . ومنه قولهم : السرور توقيع جائز ، أي نافذ

مانس ؛ وفي كلتا النسخين : « جاء » .

إذا كنت مُرْتَادَ الرَّجَالِ لِنَفْسِهِمْ فَنَادِ^(١) زِيَادًا أَوْ أَخَا زِيَادٍ
يُحِبُّكَ اسْرُوءُ يُعْطَى عَلَى الْحَدِّ مَالَهُ إذا ضَنَّ بِالْمَرْوِفِ كُلُّ جَوَادٍ
وقال سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ :

نَمَّةٌ أَطْلِمَ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ أَهْلَ اللَّحْلَةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادِي^(٢)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَ اغْتِرَابُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مُنْفِدٌ زَادِي
وقال السَّفَّاحُ بْنُ بَكْرٍ :

وَالسَّالِي الشَّيْزِيُّ^(٣) لِأَضْيَافِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يَخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا وَهُمْ مِنْهُ رِوَالُ شِبَاعٍ
أَوْرَدَ أَعْرَابِيٌّ إِلَيْهِ ، فَأَبَى أَهْلُ لَلَاءِ أَنْ يُحِيزُوهُ ، وَقَالُوا : إِبْلُكَ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ
أَوْرَدْتَ فَشَرَطْنَا أَنْ تَقِفَ بَعِيدًا عَنِ الْمَاءِ وَتَسْقَى مَا جَاءَكَ مِنْهَا ، وَلَا تُحَاجِزُ^(٤)
بِهَا ؛ قَالَ : أَقْبَلُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

رُبَّ طَبِيعٍ مَرَجَلٍ مُلْهَوِّجٍ يَسْلُتُهُ الْقَوْمُ وَلَمَّا يَنْضَجِ
حُشٌّ بِشَيْءٍ مِنْ ضِرَامِ الْعَرَانِجِ^(٥)
فَأَنْقَضَتْ الْإِبِلُ كُلُّهَا عَلَى الْمَاءِ فَشَرِبَتْ .

قال الشاعر :

شَرِبُ النَّيْدِ عَلَى الطَّعَامِ قَلِيلُهُ^(٦) فِيهِ الشَّيْءُ فَهَلْ وَصِيحَةُ الْأَبْدَانِ

(١) في (١) : « فبادر » . (٢) الجادى : طالب الجدوى .
(٣) الشَّيْزِيُّ بكسر الشين وفتح الزاى خشب أسود تصنع منه الفصاع . ويريد هنا
نفس الفصاع ؛ وأعضاء الحوض ما شد حوله من البناء . وفي الأصل : « السرى » مكان قوله :
« الشَّيْزِيُّ » ؛ وهو تصحيف . (٤) المحاجة : المانسة .
(٥) حش النار : أوقدها ، والمرفج ضرب من النبات سهل سريع الاتقاد وهو من شجر
الصبغ وهو لين أغبر إلى الخضرة له ثمرة خشنة كالحسك وزهره أصفر ولهبه شديد الحمرة
(٦) في الأصل : « بلية » ؛ وهو تحريف .

وإذا شَرِبْتَ كَثِيرَهُ فَكَثِيرُهُ مُرْجٌ عَلَيْكَ رُكَّابَ الشَّيْطَانِ
فَتَكُونُ بَيْنَ الضَّاحِكِينَ كَبُومَةٍ غَمِيَاءَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْغُرَبَانِ
فَأَحْذَرْ بِمِثْلِكَ أَنْ تُنْزَى كَجَنِينَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ تُقَادُ بِالْأُرْسَانِ
قال حمزة المصنف في بعض كتبه : قال النبي صلى الله عليه وسلم لسلطان
الفراسي : أَنْ اتَّخِذْ لَنَا سُورًا ، أَى طَعَامًا كَطَعَامِ الْوَلِيمَةِ ، وَهِيَ فَارَسِيَّةٌ .
قال شيخنا أبو سعيد السِّيرافي : أَخْطَأَ هَذَا لِلنَّوْءِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ سَلَّمَ أَنْ تَخْذَ لَنَا خَنْدَقًا يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، لِأَنَّهُ حَصَّ^(١) عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّفْظِ .

وقال جَعْفَرُ بْنُ الْمُوسَى فِي وَصْفِ عَصِيدَةٍ :

وَمَاءٌ عَصِيدَةٌ حَمْرَاءُ تَحْكِي إِذَا أَبْصَرْتَهَا مَاءُ الْخَلْقِ^(٢)
تَزِلُّ عَنْ الْأَهَاءِ تَمُرُّ سَهْلًا وَتَجْرِي فِي الْعِظَامِ وَفِي الْعُرُقِ
قال الحسن بن سهل : أَشْيَاءُ تَذْهَبُ هَبَاءً ، دِينَ بِلَا عَقْلٍ ، وَمَالٌ بِلَا بَذَلٍ
وَعِشْقٌ بِلَا وَصْلٍ . فقال حميد : بَقِيَ عَلَيْهِ مَائِدَةٌ بِلَا نَقْلِ^(٣) ، وَلَعَسَةَ بِلَا فَضْلٍ .
فيل لصوفي : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : الْمَوْتُ .
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : آكُلُ حَتَّى يَقَعَ عَلَى الشُّبَاتِ فَأَنَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَتَتَجَاوَى أَطْرَافِي عَنْ الْأَرْضِ .
وقيل لآخر : مَا حَدُّ الشَّبَعِ ؟ قال : أَنْ أُدْخِلَ إصْبَعِي فِي حَلْقِي فَيَصِلَ
إِلَى الطَّعَامِ .

(١) في الأصل : « خمس » ؛ وهو تصحيف .

(٢) في الأصول « تحلي » مكان « تحكي » و « الخلق » مكان « الخلق » ؛ وهو

تعريف . والخلق : ضرب من الطيب قوامه الزعفران

(٣) النقل : ما ينتقل به على الطعام .

قال يعقوب : أصبحتُ خالفا : لا أشتهى الطعام . وخُلوف البطنِ تَغْيَرُهُ .
ويقال : تَغَسَّنِي بَطْنِي ، وهو النَّفْس ، ورجل مَتَغُوس .
ويقال : غَمَزَنِي ^(١) بَطْنِي وَمَا كَفَى .

والعامة تقول : كلُّ ما في القَدْرِ تُخْرِجُهُ المِغْرَقَةُ ، ورجل مُقَرَضِبٌ ^(٢)
وقَرَضِبٌ ^(٣) وقَرَضَابٌ ^(٤) إذا كان أكوَّلا ، وكذلك السَّيْفُ وَاللَّصُّ ، قال الشاعر :
وليس يَرُدُّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا كُلُّ مَا ضَى الْقَزَائِمُ
ومَرَّ ابْنُ عَاصِرٍ عَلَى عَاصِرِ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَهُوَ يَأْكُلُ بَقْلًا بِمِلْحٍ ، فقال :
لقد رَضِيتَ بِالْيَسِيرِ . فقال : أَرْضَى مِنِّي بِالْيَسِيرِ مَنْ رَضِيَ بِالذُّنْيَا عَوْضًا
عَنِ الْآخِرَةِ .

(٤) قال عبد الملك بن مروان : لَا تَسْتَأْكَنَّ إِلَّا عَرَضًا ، وَلَا تَأْكُلَنَّ إِلَّا عَضًا
وَلَا تَشْرَبَنَّ إِلَّا مَضًا ، وَلَا تَرْكَبَنَّ إِلَّا نَصًا ^(٥) ، وَلَا تَقْعِدَنَّ إِلَّا وَصًا .

ويقال : مَا قَرَّاحٌ ؛ وَخُبُرٌ قَفَّارٌ : لَا أَدَمَ مَعَهُ ، وَسَوِيْقٌ جَافٌ ، وَلَبَنٌ
صَرِيحٌ : لَمْ يَخَالِطْهُ شَيْءٌ .

وقال سعيد بن سَلَمَةَ : شَيْثَانٌ لَا تَشْبَعُ مِنْهُمَا بَيْغَدَادٌ : السَّمَكُ وَالرَّطَبُ .

قال أعرابي : أَكَلْتُ « فَرَسِيكَةً » ^(٥) وَطَلَى خَوْخَةً ، فَجَاءَ غَلَامٌ حَزَوْرٌ ^(٦)
فَنَظَرَ حُرَّتِي ^(٧) .

(١) في الأصل : « عمرن » بالعين والراء المهملتين ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : قرضب وقرضب ؛ وما أئبتهاه عن كتب اللغة .

(٣) النس : الارتفاع . (٤) في الأصل : « يمدن » مكان « يمدن » ؛ وهو

تحريف . وما أئبتهاه هو اللام اللوس ، وهو الإحكام في العمل .

(٥) في الأصل : (الفرشلة) بالشين المعجمة واللام ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ والتصحيح

والضبط عن المحمسن . (٦) الحزور : الغلام الذي اشتد وقوى وخدم .

(٧) في الأصل : « حديقي » بالذال ؛ وهو تحريف .

الْفَرَسِيكَةِ : الْخَوْخَةُ الْمَقْدَدَةُ . وَالْخَوْخَةُ : الْقَبِيصُ الْأَخْضَرُ بَطْنٌ بِقَرَوٍ .
وَالْحُرَّةُ^(١) : الْأُذُنُ .

قِيلَ لِحَانِمِ الْأَصْمِ : بِمِ رُزِقَتِ الْحِكْمَةُ ؟ قَالَ : بِمَخْلَاوَةِ الْبَطْنِ ، وَسَخَاوَةِ
النَّفْسِ ، وَمَكَابِدَةِ اللَّيْلِ .

وَقَالَ شَقِيقُ الْبَلْخِي : الْعِبَادَةُ حِرَاقَةٌ ، وَحَابُوتُهَا الْغُلُوءُ ، وَأَلَتْهَا الْجُوعُ .
قَالَ لُثْمَانُ : إِذَا أَمْتَلَأْتَ الْمِدَّةَ نَامَتِ الْفِكْرَةُ ، وَخَرِسَتِ الْحِكْمَةُ ،
وَقَعَدَتِ الْأَعْضَاءُ عَنِ الْعِبَادَةِ .

وَقَالَ عَمْرٌ : لَوْلَا الْقِيَامَةُ لَشَارَكْنَاكُمْ فِي لَيْلٍ عَيْشِكُمْ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ : أَقِيلْ طَعَامَكَ تَحْمَدُ مَنَامَكَ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَادٍ : الشَّبَعُ يُكْنَى بِالْكَفْرِ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : الْجُوعُ يُكْنَى بِالرَّحْمَةِ .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ :

تَحْيِيرُ مِثْنٍ خَيْفَةٌ أَنْ أَضْيِفَهَا كَمَا أَنْحَازَتِ الْأَقْمَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
وَذَكَرَ الْمُهَلَّبُ اللَّحْمَ [فَقَالَ] إِذَا التَّقَى الْوَارِدُ وَالْغَائِبُ فَتَوَقَّعِ الْفَسَادَ .

الليلة الرابعة والثلاثون

وَقَالَ الْوَزِيرُ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي : قَدْ وَاللَّهِ ضَاقَ^(٢) صَدْرِي بِالْفَيْظِ لِمَا يَبْلُغُنِي^(١)

عَنِ الْعَامَّةِ مِنْ خَوْضِهَا فِي حَدِيثِنَا ، وَذَكَرَهَا أُمُورُنَا ، وَتَثْبِيحُهَا لِأَسْرَارِنَا ، وَتَنْقِيحُهَا
عَنِ مَسْكُونِ أَحْوَالِنَا^(٣) ، وَمَكْتُومِ شَأْنِنَا ، وَمَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهَا ، وَإِنِّي لَأُثْمُ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَدِيدَةُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « فَانْسَ » . (٣) فِي (ب) : « أَخْبَارُنَا » .

الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيد وأزجل وتنكيل شديد ، لعل ذلك يطرح
 الهيبة ويخسب المادة ، ويقطع هذه المادة ، لحامهم الله ، ما لم لا يقبلون على
 شؤونهم المهمة ، ومعايشهم النافعة ، وفرائضهم الواجبة ؟ ولم يقبلون عما ليس
 لهم ، ويرجعون بما لا يجدي عليهم ، ولو حققوا ما يقولون ما كان لهم فيه عائدة
 ولا فائدة ؛ وإني لأعجب من لهجهم^(١) وشنفهم بهذا الخلق حتى كأنه من
 الفرائض المحتومة ، والوظائف الملزومة ؛ وقد تكرّر منا الزجر ، وشاع الوعيد ،
 وفشا الإنكار بين الصغار والكبار ، ولقد تعاين على هذا الأمر وأغلقت دوايني
 بابه ، وتسكّنت على حجابيه ، والله المستعان .

قلت : أيها الوزير ، عندي في هذا^(٢) جوابان : أحدهما ما سمعت من شيخنا
 أبي سليمان ، وهو من تفوّق في الفضل والحكمة والتجربة وعجبة هذه الدولة^(٣)
 والشفقة عليها من كل هبة ودبة ؛ والآخر مما سمعته من شيخ صوفي ، و
 الجوابين قائدان عظيمتان ، ولكن الجملة خشناء ، وفيها بعض الغلظة ، والحق
 مرّ ، ومن توخى الحق احتمل مرارته .

قال : فاذا كرّ الجوابين وإن كانا غليظين ، فليس يذنبع بالدواء إلا
 بالصبر على بشاعته ، وصدود الطبع عن كراهته .

قلت : أنا أبو سليمان ، فإنه قال في هذه الأيام : ليس ينبغي لمن كان الله
 عز وجل جملة سائس الناس : عامتهم وخاصتهم ، وعالمهم وجاهلهم . وضعيفهم
 وقويهم ، وراجحهم وشاثلهم ، أن يضجر مما يبلغه عنهم أو عن واحد منهم
 لأسباب كثيرة ، منها : أن عقله فوق عقولهم ، وحلمه أفضل من حلوهم ،

(١) في (ب) : « بمهم » . (٢) في (ب) : « لهذا » .

(٣) في (١) : « هذه المقالة » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

وَصَبَّرَهُ أَنْتُمْ مِنْ صَبْرِهِمْ ؛ ومنها أَنَّهُمْ إِنَّمَا جُعِلُوا تَحْتَ قُدْرَتِهِ ، وَيَنْطَلِقُوا بِتَدْبِيرِهِ ، رَاخِطُوا بِتَضَرُّفِهِمْ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، لِيَقُومَ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى جَهْلِ جَاهِلِهِمْ ، وَيَكُونَ عِمَادُ حَالِهِ مَعَهُمُ الرَّفْقَ بِهِمْ ، وَالْقِيَامَ بِمَصَالِحِهِمْ ، ومنها أَنَّ التَّلَاقَ الَّذِي بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ قُوَّةٌ ، لِأَنَّهَا إِلَهِيَّةٌ ، وَهِيَ أَوْشَجُ مِنَ الرَّجْمِ الَّذِي تَكُونُ بَيْنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ ، وَالْمَلِكِ وَالْمَلَكِ كَبِيرٌ ، كَمَا أَنَّ الْوَالِدَ مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْوَالِدِ فِي سِيَاسَةِ وَلَدِهِ مِنَ الرَّفْقِ بِهِ ، وَالْحُسْنُ عَلَيْهِ ، وَالرَّفْقَةُ لَهُ ، وَاجْتِلَابُ الْمُنْفَعَةِ إِلَيْهِ ، أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْوَلَدِ فِي طَاعَةِ وَالِدِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلَدَ غَرَضٌ ، وَقَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْكُونِ ، وَجَاهِلٌ بِالْحَالِ ، وَعَارٍ مِنَ التَّجَرُّبَةِ ، كَذَلِكَ الرَّعِيَّةُ الشَّيْبَةُ بِالْوَلَدِ ، وَكَذَلِكَ لِلْمَلِكِ الشَّيْبَةُ بِالْوَالِدِ ؛ وَمَا يَزِيدُ هَذَا الْمَقْنَى كَشْفًا ، وَيُكْسِبُهُ لُطْفًا ، أَنَّ الْمَلِكَ لَا يَكُونُ مَلِكًا إِلَّا بِالرَّعِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ لَا تَكُونُ رَعِيَّةً إِلَّا بِالْمَلِكِ ، وَهَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَضَايِفَةِ ، وَالْأَسْمَاءِ الْمُتَنَاصِفَةِ ؛ وَبِسَبَبِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْمُحْكِمَةِ وَالْوُضْعَةِ الْوَشَّيْجَةِ ، مَا لَهَجَتِ الْعَامَّةُ بِتَعَرُّفِ حَالِ سَائِسِهَا ، وَالنَّظَرِ فِي أَمْرِهَا ، وَالْمَالِكِ لِمَامِهَا ، حَتَّى تَكُونَ عَلَى بَيَانٍ مِنْ رَقَاةِ عَيْشِهَا ، وَطَيْبِ حَيَاتِهَا ، وَذُرُورِ مَوَارِدِهَا ، بِالْأَمْنِ^(١) الْفَاشِي بَيْنَهَا ، وَالْعَدْلِ الْفَائِضِ عَلَيْهَا ، وَالْخَيْرِ الْمَجْلُوبِ إِلَيْهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى نِظَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَمُنْدُوبٌ إِلَيْهِ أَيْضًا فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ .

قَالَ : وَلَوْ قَالَتِ الرَّعِيَّةُ لِسُلْطَانِهَا : لَمْ لَا نَخْوَضُ فِي حَدِيثِكَ ، وَلَا نَبْحَثُ عَنْ غَيْبِ أَمْرِكَ ، وَلَمْ لَا نَسْأَلُ عَنْ دِينِكَ وَنَحْلَتِكَ وَعَادَتِكَ وَسِيرَتِكَ ؟ وَلَمْ لَا نَقِفُ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَمَصَالِحِنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ ، وَخَيْرَاتُنَا مُتَوَقَّعَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِالْأَمْنِ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

من جهتك ، وسررتنا ملحوظة^(١) بتدبيرك ، ومساءتنا مصروفة باهتمامك ، وتظلمنا مزفوع بعزك ، ورفاهيتنا حاصلة بحسن نظرك وجميل اعتقادك ، وشائع رحمتك ، وبلغ اجتهادك ، ما كان جواب سلطانها وسائسها ؟ أما كان عليه أن يعلم أن الرعية مصيبة في دعواها التي بها استطلت ، بلى والله ، الحق مغترف به وإن شغب الشاغب ، وأعنت المغنت .

قال : لو قالت الرعية أيضاً : ولم لا تبحث عن أمرك ؟ ولم لا تسمع كل غث وسمين منا ! وقد ملكت نواصيتنا ، وسكنت ديارنا ، وصاдрتنا على^(٢) أموالنا ، وحلت بيننا وبين ضياعنا ، وفاسدتنا مواريتنا ، وأنسيتنا رفاغة^(٣) العيش ، وعليب الحياة ، وطمانينة القلب ، فطرقتنا نخوة ، ومساكتنا منزلة^(٤) ، وضياعنا مقطعة ، ونعمنا منلوبة ، وحریمنا مستباح ، وتقذنا زائف ، وخراجنا مضاعف ، ومعاملتنا سيئة ، وجنديتنا متفطرس ، وشرطيها منحرف ، ومساجدنا خربة ، ورؤوفها منتهبة ، ومارستاناتنا خاوية ، وأعداؤنا مستكلبة ، وعيوننا سخينة ، وصدورنا مقيظة ، [وبلغتنا متصلة] ، وفرحنا معدوم ؛ ما كان الجواب أيضاً عما قالت وعما لم تقل ، هيبة لك ، وخوفاً على أنفسها من سطوتك وصوتك ؟

وحكى لنا في عرض هذا الكلام أنه رُفِعَ إلى الخليفة المفتضد أن طاقة من الناس يجتمعون [بباب الطاق ويجلسون] في دكان شيخ تبان ، ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنون من الأحاديث ، وفيهم قوم سراة

(١) في (ب) : « ملحقة » ؟ وهو تحريف . (٢) في (أ) : « من أموالنا » .

(٣) في (ب) : « رفاغة » بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف ؛ ورفاغة العيش : خفضه ولينه .

(٤) في (ب) : « ومنازلنا مسكونة » .

وثَنَاءٌ^(١) وأهلُ بيوتاتٍ سوى من يَسْتَرِقِ السَّمْعَ مِنْهُمْ مِنْ خَاصَّةِ النَّاسِ ، وقد تَفَاقَمَ فَسَادُهُمْ وإِفْسَادُهُمْ ، فلَمَّا عَرَفَ الخَلِيفَةُ ذَلِكَ ضَاقَ ذَرْعًا ، وَحَرَجَ صَدْرًا ، وَأَمْتَلَأَ غَيْظًا ، وَدَعَا بِمُبِينِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَرَمَى بِالرَّفِيعَةِ^(٢) إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَنْظِرْ فِيهَا وَتَفَهَّمْهَا . ففعل ، وشاهدَ مِنْ تَرْبُودٍ^(٣) وَجْهَ الْمُعْتَصِدِ مَا أَرَعَجَ سَاكِنَ صَدْرِهِ ، وَشَرَّدَ آفَافَ صَبْرِهِ ، وَقَالَ : قد فَهَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : تَتَقَدَّمُ بِأَخَذِهِمْ وَصَلْبِ بَعْضِهِمْ وَإِحْرَاقِ بَعْضِهِمْ وَتَتَرَقِّقُ بَعْضِهِمْ ، فَإِنَّ الْعُقُوبَةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ ، كَانَ الْهَوْلُ أَشَدَّ ، وَالْهَيْبَةُ أَفْشَا ، وَالزَّجْرُ أَنْجَعُ ، وَالْعَامَّةُ أَخَوْفُ . فَقَالَ لِلْمُعْتَصِدِ — وَكَانَ أَعْقَلَ مِنَ الْوَزِيرِ — : وَاللَّهِ لَقَدْ بَرَدَتْ لَهَيْبَ غَضَبِي^(٤) بِقَوْرَتِكَ هَذِهِ ، وَنَقَلْتَنِي إِلَى الْإِلَيْنِ بَعْدَ الْغِلْظَةِ ، وَحَمَلْتُ عَلَى الرَّفْقِ ، مِنْ سَيْئِ أَشْرَتِ بِالْخَرْقِ ، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَجِيزُ هَذَا فِي دِينِكَ وَهَدْيِكَ وَمُرُوءَتِكَ ، وَلَوْ أَمَرْتُكَ بِبَعْضِ مَا رَأَيْتَ بِعَقْلِكَ وَحَزَمِكَ لَكُنَّ مِنْ حُسْنِ الْمُوَازَنَةِ وَمَبْدُولِ النَّصِيحَةِ وَالنَّظَرِ لِلرَّعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الْجَاهِلَةِ أَنْ تَسْأَلَنِي^(٥) الْكَفَّ عَنِ الْجَهْلِ ، وَتَتَبَعَنِي عَلَى الْحِلْمِ ، وَتُحَبِّبَ إِلَيَّ الصَّنْعَ وَتُرَغِّبَنِي فِي فَضْلِ الْإِغْضَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ سَاءَنِي جَهْلُكَ بِحُدُودِ الْعِقَابِ وَبِمَا تُقَابِلُ بِهِ هَذِهِ الْجُرَافُ ، وَبِمَا يَكُونُ كُفًّا لِلذُّنُوبِ ، وَلَقَدْ عَصَيْتَ اللَّهَ بِهَذَا الرَّأْيِ وَدَلَلْتَ عَلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَقِلَّةِ الرَّحْمَةِ وَبُيُوسِ الطَّيْنَةِ وَرِقَّةِ الدِّيَانَةِ ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ وَدِيعةُ اللَّهِ عِنْدَ سُلْطَانِهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ يُسَائِلُهَا عَنْهَا كَيْفَ سُسَّتْهَا ؟ وَلَعَلَّ

(١) الثناء : الدهاقين والرؤساء .

(٢) الرفعة : الرقعة المرفوعة .

(٣) في كلتا النسختين : « من يريد » ؟ وهو تصحيف .

(٤) في (ب) : « لهيب غيظي بقسوتك » ؟ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

(٥) في (١) : « على » ، ولم يظهر منها في (ب) إلا نون وياء ، وسائرهما مطبوس .

لَا يَسْأَلُهَا عَنْهُ ، وَإِنْ سَأَلَهَا فَلْيُؤْكَدِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ أَلَا تَذَرِي أَنْ أَحَدًا مِنَ
الرَّعِيَّةِ لَا يَقُولُ مَا يَقُولُ إِلَّا لَظْمَ لَحِقِهِ أَوْ لِحَقِّ جَارِهِ ^(١) ، وَدَاهِيَةَ نَالَتِهِ أَوْ نَالَتِ
صَاحِبَهَا لَهُ ؟ وَكَيْفَ نَقُولُ لَهُمْ : كُونُوا صَالِحِينَ أَتَقِيَاءَ مُتَقَبِّلِينَ عَلَى مَعَاشِكُمْ ، غَيْرَ
خَائِضِينَ فِي حَدِيثِنَا ، وَلَا سَائِلِينَ عَنْ أَمْرِنَا ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي كَلَامِهَا : غَلَبْنَا
السُّلْطَانَ فَلَيْسَ فَرَوْقَتَنَا ، وَأَكَلْ خُضْرَتَنَا ، وَحَقَّقَ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْمَالِكِ مَعْرُوفَ ،
وَإِنَّمَا يُخْتَمَلُ السَّيِّدُ عَلَى صُرُوفِ تَكَالُفِهِ ، وَمَسْكَرِهِ تَصَارُيفِهِ ، إِذَا كَانَ الْعَيْشُ فِي
كُفَيْهِ رَافِقًا ، وَالْأَمَلُ فِيهِ قَوِيًّا ، وَالصَّدْرُ عَلَيْهِ بَارِدًا ، وَالْقَلْبُ مَعَهُ مَتَا كَفَا ،
أَتُظَنُّ أَنْ الْعَمَلُ بِالْجَهْلِ يَنْفَعُ ، وَالْمُذَرُّ بِهِ يَسَعُ ، لَا وَاللَّهِ مَا الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ ،
وَلَا الصَّوَابُ مَا ذَكَرْتَ ، وَجَنَّةُ صَاحِبِكَ وَابْسُكُنْ ذَاخِرَةً وَرِيقِي ، وَمَعْرُوفًا
بِخَيْرٍ وَصِدْقِي ، حَتَّى يَعْرِفَ حَالَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَيَقِفَ عَلَى شَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي
مَعَاشِهِ ، وَقَدَّرِ مَا هُوَ مُتَقَلِّبٌ فِيهِ وَمُنْقَلِبٌ إِلَيْهِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِعَمَلٍ فَعَلَّقَهُ
بِهِ ، وَمَنْ كَانَ سَيِّئِ الْحَالِ فَصَلَّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يُعِيدُ نَضْرَةَ حَالِهِ ، وَيُفِيدُهُ
طَمَأْنِينَةً بِهِ ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ هَذَا الرَّهْطِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ مَكْنِيٌّ ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُهُ إِلَى
دُكَّانِ هَذَا التَّيْبَانِ الْبَطَرُ وَالزُّهْوُ ، فَأَدْعُ بِهِ ، وَأَنْصَحْهُ ، وَلَا طِفْهَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ
لَكَ ظَنَّاكَ مَسْمُوعًا ، وَكَلَامَكَ مَرْفُوعًا ؛ وَمَتَى وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كُنْهِ ذَلِكَ
مِنْكَ لَمْ تَجِدْكَ إِلَّا فِي عَرَصَةِ الْمَقَابِرِ ، فَاسْتَأْنِفْ لِنَفْسِكَ سِيرَةً تَسْلُمُ بِهَا مِنْ ^(٢)
سُلْطَانِكَ ، وَتُحَمَّدُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِخْوَانِكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ عِظَةً لِعَبْرِكَ
بَعْدَ مَا كَانَ غَيْرُكَ عِظَةً لَكَ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالْبَجَرِ رِوَاةُ الْأُولَى خَالَفَتْ لِسِيرَةَ
الثَّلَاثِي ، لَسَكَانَ هَذَا الَّذِي تَسْمَعُهُ مَا تَرَاهُ ، وَمَا تَرَاهُ تَوَدُّ أَنَّكَ لَوْ سَمِعْتَهُ قَبْلَ أَنْ

(١) فِي كَلَامِ اللَّسْخِينِ : « حَارَةٌ » بِالْهَاءِ ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) : « عَلَى » مَكَانَ « مِنْ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

تراه . فإنَّكَ يا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ بَأَلْتِ فِي الْمُتَوْبَةِ ، وَمَلَكَتَ طَرَفِي
لِلْمَصْلَحَةِ ، وَقُمْتَ عَلَى سِوَاءِ السِّيَاسَةِ ، وَنَجَوْتَ مِنَ الْعَوْبِ وَالْمَأْتَمِ فِي الْعَاقِبَةِ .
قال : وفارقَ الوزيرُ حَضْرَةَ [الخليفة] ، وعَمِلَ بِمَا أَسْرَبَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ
الْأَعْلَى ، فَعَادَتِ الْحَالُ تَرَفَّ بِالسَّلَامَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْعَاقِبَةِ الْيَقِينَةِ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَى الشَّيْخِ
التَّبَّانِ بَرَفْعِ حَالٍ مِنْ يَقَعْدُ عِنْدَهُ حَتَّى يُوَاسِيَ إِنْ كَانَ مُحْتَاجًا ، وَيُصَرِّفَ إِنْ
كَانَ مُتَعَطِّلًا ، وَيُنْصَحَ إِنْ كَانَ مُتَعَمِّلًا .

فقال الوزير : مَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنْ الْخَطْبَ فِي مِثْلِ هَذَا
يَبْلُغُ هَذَا الْقَدْرَ ؛ فَهَاتِ الْجَوَابَ الْآخَرَ الَّذِي حَقَّظْتَهُ عَنِ الصُّوفِيِّ . فقلتُ : إِنْ
كَانَ هَذَا كَاقِيَا فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ .

فقال : هَكَذَا هُوَ ، وَإِنْ فِيمَا مَرَّ لِكِفَايَةِ ، وَمَا يَزِيدُ عَلَى الْكِفَايَةِ ، وَلَكِنْ
الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَالزِّيَادَةُ مِنَ الْعَمَلِ جَالِبَةٌ
الْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ ، وَالْإِنْتِفَاعَ بِالْعِلْمِ دَائِلٌ عَلَى سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ ، وَسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ
مَشْهُومَةٌ عَلَى اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ وَالْتِمَاسِ الْعَمَلِ ، حَتَّى يَكُونَ بِأَحَدِهِمَا زَارِعًا ، وَبِالْآخَرِ
حَاصِدًا ، وَبِأَحَدِهِمَا تَاجِرًا ، وَبِالْآخَرِ رَاجِعًا .

فَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ وَقُلْتُ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ : كَفْتُ
بَنِيْسَابُورَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَقَدْ أَشْتَعَلَتْ خُرَاسَانَ بِالْفِتْنَةِ ، وَتَبَلَّغَتْ دَوْلَةُ
آلِ سَامَانَ بِالْجُورِ وَطُولِ الْمُدَّةِ ، فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ الْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ^(١) ،
وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَقْعَلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ [آلِ] سَامَانَ نِيْسَابُورَ
بِعِدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَخْرَةٍ ، وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ ، وَغَلَا السُّفْرُ ،

(١) قايين : بلد قريب من طبرس ، بين نيسابور وأصبهان ؛ وهي فُرْضَةُ خُرَاسَانَ .

وَأَخِيفَتِ الشُّبُلُ ، وَكَثُرَ الْإِرْجَافُ ، وَسَاءَتِ الظُّنُونُ ، وَضَجَّتِ الْعَائِمَةُ ، وَالتَّسَّسَ
الرَّأْيُ ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ ، وَنَبَّحَ كَلْبُ كَلْبٍ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَارَ كُلُّ أَسَدٍ
مِنْ كُلِّ أُنْجَمَةٍ ، وَضَبَّحَ كُلُّ ثَغْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ .

قال : وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دَوِيرَةٍ ^(١) الصُّوْقِيَّةِ لَا تَبْرَحُهَا ، فَتَارَةً
نَقْرَأُ ، وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْدِي ، وَالْجُوعُ يُقْتَلُ عَمَلَهُ ، وَنَحْنُ
فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَالْوَارِدُ مِنْ جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا السَّكَنِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى
السَّيَاحَةِ لِأَسْدَادِ الطَّرِيقِ ، وَتَخَطُّفِ النَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ الْخَوْفِ ، وَغَلْبَةِ
الرَّغْبِ ، وَكَانَ الْبَلَدُ يَتَقَدُّ نَارًا بِالشُّوَالِ وَالتَّعْرِفِ وَالْإِرْجَافِ بِالصَّدْقِ
وَالْكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْمَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ ؛ فَصَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبَلَتْ سَرَائِرُنَا ^(٢)
وَأَسْتَوَى عَلَيْنَا الْوَسْوَاسُ ، وَقَلْنَا لَيْلَةً : مَا تَرَوْنَ يَا صِغَابَنَا ^(٣) [مَا] دَفَعْنَا إِلَيْهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، كَأَنَّا وَاللَّهِ أَصْحَابُ نَعْمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ
عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالتَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وَايَةٍ زَيْدٍ ، وَعُزْلٍ عَمْرٍو ، وَهَلَاكِ بَكْرٍ ،
وَنَجَاةٍ بَشَرٍ ، نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَسِيرَةِ ، وَلِهَذِهِ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ،
بِكُسْرَةٍ يَابِسَةٍ ، وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ الْعَائِقَةِ مِنْ بَلَايَا
طُلَّابِ الدُّنْيَا . فَا هَذَا [الَّذِي] يَفْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا
نَاقَةٌ وَلَا بَجَلٌ ، وَلَا حَظٌّ وَلَا أَمَلٌ ، قَوْمُوا بِنَاغِدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكَرِيَاءَ الزَّاهِدَ ،
وَنُظِلَّ نَهَارَنَا عِنْدَهُ لَاهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ ؛ فَاتَّفَقَ
رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَمَدَدُونَا ^(٤) وَصَرْنَا إِلَى أَبِي زَكَرِيَاءَ الزَّاهِدِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا رَحَّبَ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَتَرَةٍ » مَكَانَ « دَوِيرَةٍ » . وَالتَّوَرَةُ : مَا تَرَى بِالْأَعْمَدَةِ مِنَ الْبُيُوتِ .

(٢) فِي (ب) : « أَقْسَنَا » . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « بِأَصْحَابِنَا دَفَعْنَا » ؛ وَفِي

(ب) بَيْنَ قَوْلِهِ « بِأَصْحَابِنَا » وَقَوْلِهِ « دَفَعْنَا » فَرَاغٌ يَسَعُ كَلِمَةً ؛ وَلَعَلَّ صَوَابَ الْعِبَارَةِ مَا أَثْبَتْنَا

إِذْ هُوَ مُقْتَضَى السِّيَاقِ . (٤) فِي (ب) : « فَسَرْنَا » مَكَانَ قَوْلِهِ « فَمَدَدُونَا » .

بنا ، وفَرِحَ بِزِيَارَتِنَا ، وقال : ما أَشوقني إليكم^(١) ، وما أَلْهَفني^(٢) عليكم ! الحمد لله الذي جَمَعني وإياكم في مَقَامٍ واحد ، حَدَّثوني ما الذي سَمِعْتُمْ ، وماذَا بَلَّغْتُمْ من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السُّلاطين ؟ فَرَجُّوا عني ؛ وقولوا لي ما عِنْدَكُمْ ، فلا تَكْتُموني شيئاً فإني والله سَرَعِي في هذه الأَيَّام إلا ما أنصل بمحذيتهم ، وأَقَرَّنَ بِمُخْبِرِهِمْ ، فلما ورد عَلَيْنَا من هذا الزَّاهِد العابد ما وَرَدَ ، دُهِشْنَا وأَسْتَوَّ حَشْنَا ، وقلنا في أنفسنا انظروا من أي شيء هَرَبْنَا^(٣) ، وبأي شيء عَلِقْنَا ، وبأي دَاهِيَةٍ دُهِينَا . قال : فَخَفَّفْنَا الحديثَ وَأَنَسَلْنَا ، فلما خَرَجْنَا قلنا : أَرَأَيْتُمْ ما بَلَيْنَا بِهِ ، وما وَقَعْنَا عليه ؟ (إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْبَلَاءِ الْمُبِينِ) . ميلوا بنا إلى أبي عمرو الزَّاهِد فله فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ وَعِلْمٌ وَتَفَرُّدٌ فِي مَوْمَعَتِهِ حتى نُقِيمَ عِنْدَهُ إلى آخر النهار ، قد نبأ بنا المكانُ الأول ، وبَطَلَ قَصْدُنَا فيما عَزَمْنَا عليه من العَمَلِ ، فشيئنا إلى أبي عمرو الزَّاهِد وأَسْتَأْذَنَّا ، فَأَذِنَ لَنَا ، وَوَصَّلَنَا إِلَيْهِ فَسُرَّ بِمُحْضُورِنَا ، وَهَشَّ لِرُؤْيَيْنَا ، وَأُبْتَهَجَ بِقَصْدِنَا ، وَأَعْظَمَ زِيَارَتَنَا ، ثم قال : يا أصحابنا ما عِنْدَكُمْ مِنْ حَدِيثِ النَّاسِ ؟ فَقَدْ وَالله طَالَ عَطَشِي إلى شيء أَسْمَعُهُ ، ولم يَدْخُلْ عَلَى الْيَوْمِ أَحَدٌ فَأَسْتَجَبِرَهُ ، وَإِنَّ أُذُنِي لَدَى الْبَابِ لِأَسْمَعَ قَرْعَةً أَوْ أَعْرِفَ حَادِثَةً ، فهاتوا ما مَعَكُمْ وما عِنْدَكُمْ ، وَقُصُّوا عَلَيَّ الْقِصَّةَ بِقَصِّهَا وَنَصِّهَا ، وَدَعُوا التَّوَرِيَّةَ وَالْكِنَايَةَ ، وَأَذْكُرُوا الْفَتْحَ وَالتَّيْمِينَ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ هَكَذَا يَطِيبُ ، وَلَوْلا الْعَظْمُ مَا طَابَ الْأَحْمُ ، وَلَوْلا النَّوَى مَا حَلَا التَّمْرُ ، وَلَوْلا الْقَشْرُ لَمْ يَوْجِدِ اللَّبَ ، فَعَجَبْنَا مِنْ هَذَا الزَّاهِدِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ عَجَبِنَا مِنَ الزَّاهِدِ الْأَوَّلِ ، وَخَاطَفَنَاهُ الْحَدِيثَ ،

(١) في (ب) : « إلى زيارتكم » . (٢) في (ب) : « والهنى » .

(٣) ورد في (١) من هذه الكلمة باء ونون بعدها ألف . وفي (ب) لم يظهر منها

إلا هاء ونون وألف ؛ والسياق يقتضي ما أنبتنا .

وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَرَجْنَا ، وَأَقْبَلَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ أَظْرَفَ مِنْ أَمْرِنَا
وَأَغْرَبَ مِنْ شَأْنِنَا ؟ انْظُرُوا مِنْ أَيْ شَيْءٍ كَانَ تَعْرِيمُنَا (إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُجَاب)
وَتَلَدَدُنَا وَتَبَلَدُنَا وَفَلْنَا يَا أَصْحَابِنَا : أَنْظِلُّوا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الضَّرِيرِ ، وَإِنْ كَانَ
مَضْرِبُهُ ^(١) بَعِيدًا فَإِنَّا لَا نَجِدُ سَكُونَنَا إِلَّا مَعَهُ ، وَلَا نَنْظُرُ بِضَالَّتِنَا إِلَّا عِنْدَهُ ،
لِزُهْدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوَحُّدِهِ وَشَقْلِهِ بِنَفْسِهِ مَعَ زَمَانَتِهِ فِي بَصَرِهِ ، وَوَرَعِهِ ، وَقَلَّةِ
فِكْرِهِ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ؛ وَطَوِينَا الْأَرْضَ إِلَيْهِ ، وَدَخْلُنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا حَوَالَيْهِ
فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَمَّا سَمِعَ بَنَا أَقْبَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنَا يَلْسُهُ بِيَدِهِ رِيَّحًا بِهِ ،
وَيَذْعُو لَهُ وَيَقْرُبُ ، فَلَمَّا أَتَيْنَاهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا [وَقَالَ] : أَمِنَ السَّمَاءُ نَزْلًا عَلَيَّ ؟ وَاللَّهِ
لَسَكَّانِي قَدْ وَجَدْتُ بَكُمْ مَأْمُولِي ، وَأَخْرَزْتُ غَايَةَ سُؤْلِي ، قُولُوا لِي غَيْرَ مُخْتَشِمِينَ :
مَا عِنْدَكُمْ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ؟ وَمَا عَزَمَ [عَلَيْهِ] هَذَا الْوَارِدُ ؟ وَمَا يُقَالُ فِي أَمْرِ
ذَلِكَ الْهَارِبِ إِلَى قَائِينَ ، وَمَا الشَّائِعُ مِنَ الْأَخْبَارِ ؟ وَمَا الَّذِي يَتَهَمَسُ بِهِ نَاسٌ
دُونَ نَاسٍ ؟ وَمَا يَقَعُ فِي هَوَاجِسِكُمْ وَيَسْتَبِقُ إِلَى نَفُوسِكُمْ ^(٢) ؟ فَإِنَّكُمْ بُرُودُ الْأَفَاقِ ،
وَجَوَالَةُ الْأَرْضِ ، وَأَقَامَةُ الْكَلَامِ ، وَيَقْسَاطُ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَفْطَارِ مَا يَتَعَذَّرُ عَلَى
عِظَاءِ الْمُلُوكِ وَكِبَرَاءِ النَّاسِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الْإِنْسَانِ مَا أَنْتَسَى الْأَوَّلَ
وَالثَّانِي ، وَمَا زَادَ فِي عَجَبِنَا أَنَّا كُنَّا نَعُدُّهُ فِي طَبَقَةٍ فَوْقَ طَبَقَاتِ جَمِيعِ النَّاسِ
فَخَفَقْنَا الْحَدِيثَ مَعَهُ ، وَوَدَّعْنَاهُ ، وَخَلَسْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، وَطَفَعْنَا نَتْلَاوُمُ عَلَى زِيَارَتِنَا
لَهُوَلَاءِ الْقَوْمِ لِمَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ ، وَظَهَرَ لَنَا مِنْ حَالِهِمْ ، وَازْدَرَيْنَاهُمْ ، وَأَتَقَلَّبْنَا مَتَوَجِّهِينَ
إِلَى دُورِنَا الَّتِي عَدَدْنَا مِنْهَا مُسْتَطَرِّقِينَ كَالَّذِينَ ، فَلَقِينَا فِي الطَّرِيقِ شَيْخًا مِنْ
الْحُكَمَاءِ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْعَاصِمِيُّ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ قَدْ شَحَنَهُ بِعِلْمِنَا

(١) يريد بمضربه بيته ، مستعار من مضرب الخيام .
(٢) في (ب) : « إلى قلوبكم » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضاً .

وإشارتنا ، وكان من الجَوَّالين الَّذِينَ نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ وَأَطْلَعُوا عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ؛ فقال لنا : مَنْ أَيْنَ دَرَجَتُكُمْ ؛ وَمَنْ قَصَدْتُمْ . فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مَسْجِدٍ ، وَعَصَبْنَا حَوَّلَهُ ، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِ قِصَّتَنَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَلَمْ نَحْذِفْ مِنْهَا حَرْفًا . فقال لنا : فِي طَلْيِ هَذِهِ الْحَالِ الطَّارِئَةِ غَيْبٌ لَا تَقْفُونُ عَلَيْهِ ، وَمِيراثٌ لَا تَهْتَدُونَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا غَرَّكُمْ فُلْتُسُكُمْ بِالزَّهَادِ ، وَقَلْتُمْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ [عَنْهُمْ كَالْخَيْرِ] عَنْ الْعَامَّةِ ، لِأَنَّهُمْ الْخَاصَّةُ ، وَمِنْ الْخَاصَّةِ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ ، لِأَنَّهُمْ بِاللَّهِ يُلَوِّذُونَ ، وَإِيَّاهُ يَعْبُدُونَ ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَتِمُّ السَّكُونُ ، وَبِهِ يَتِمُّ الْكُونُ .

قلنا له : فَإِنْ رَأَيْتَ يَا مُعَلِّمُ الْخَيْرِ أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذَا الْعِطَاءَ ، وَتَرْفَعَ لَذَا السَّتْرَ ، وَتَعْرِفْنَا مِنْهُ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ هَذَا الْغَيْبِ ، لِنَكُونَ شَاكِرِينَ ، نَكُونَ مِنَ الْمُشْكُورِينَ . فقال : نَعَمْ ، أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا تَلْمِزُ بِحَدِيثِ كِبَرَائِهَا مَا سَمِعَتْهُمَا تَرْجُو مِنْ رِخَاءِ الْعَيْشِ وَطَيْبِ الْحَيَاةِ وَسَعَةِ الْمَالِ وَدُرُورِ الْمَنَافِعِ وَأَتِّصَالِ جَلَبِ وَنَفَاقِ السُّوقِ وَتَضَاعُفِ الرِّبْحِ ؛ فَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْعَارِفَةُ بِاللَّهِ ، الْعَامِلَةُ لِلَّهِ ، فَإِنَّهَا مُوَلَّوَةٌ أَيْضًا بِحَدِيثِ الْأَمْرَاءِ ، وَالْجَبَّارَةِ الْعِظَاءِ ، لَتَقِفَ عَلَى تَصَارِيفِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَجَرَائِنِ أَحْكَامِهِ عَلَيْهِمْ ، وَنُفُوذِ مَشِئَتِهِ فِي تَحَابُّهِمْ وَمَسْكَارِهِمْ فِي حَالِ النُّعْمَةِ ^(١) عَلَيْهِمْ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ ، أَلَا تَرَوْنَهُ قَالَ جَلَّ ثَنَاهُ : (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) ، وَبِهَذَا الْأَعْتِبَارِ يَسْتَنْبِطُونَ خَوَافِي حِكْمَتِهِ ، وَيَطْلَعُونَ عَلَى تَتَابُعِ نِعْمَتِهِ وَغَرَائِبِ نِعْمَتِهِ ، وَهَاهُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ سِوَى مُلْكِ اللَّهِ زَائِلٌ ، وَكُلُّ نَعِيمٍ غَيْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ حَائِلٌ ،

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « النُّعْمَةُ » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

وَيَصِيرُ هَذَا كُلُّهُ سَبَبًا قَوِيًّا لَمْ فِي الضَّرْعِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْيَاذِ بِاللَّهِ ، وَالْخُشُوعِ
 اللَّهُ ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَيَنْبَغِيثُونَ بِهِ مِنْ حِرَانِ الْإِبَاءِ ، إِلَى أَنْتِيَادِ الْإِجَابَةِ ،
 وَيَنْتَبَهُونَ مِنْ رَقْدَةِ النِّقَلَةِ ، وَيَكْتَبِحِلُونَ بِالْيَقْظَةِ مِنْ سِنَةِ السَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ ،
 وَيَجِدُّونَ فِي أَخْذِ الْعِتَادِ ، وَكِتْسَابِ الزَادِ إِلَى الْمَادِ ، وَيَعْمَلُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنْ
 هَذَا الْمَكَانِ الْخَرِجِ بِالسَّكَارَةِ ، الْخُفُوفِ بِالرَّزَايَا ، الَّذِي لَمْ يُفْلِحْ فِيهِ أَحَدٌ
 إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَدَمَهُ وَتَلَمَّه ، وَهَرَبَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ عَنْهُ إِلَى مَحَلٍّ لَا دَاءَ فِيهِ وَلَا غَائِلَةٌ ؛
 سَاكِنُهُ خَالِدٌ ، وَمَقِينُهُ مُطْمَئِنٌّ ، وَالْفَائِزُ بِهِ مَقَمٌ ، وَالْوَاصِلُ إِلَيْهِ مَكْرَمٌ ، وَبَيْنَ
 الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَفِي غَيْرِهَا فَرْقٌ بَضِيحٌ لِمَنْ رَفَعَ اللَّهُ طَرَفَهُ إِلَيْهِ ،
 وَفَتَحَ بَابَ السَّرِّ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ يَتَشَابَهُ الرَّجُلَانِ فِي فِعْلٍ ، وَأَحَدُهُمَا مَذْمُومٌ ،
 وَالْآخَرُ عَمُودٌ ، وَقَدْ رَأَيْنَا مُصَلِّيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ ،
 وَآخَرَ إِلَى جَانِبِهِ أَيْضًا يَصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَقَلْبُهُ فِي طَرَفٍ^(١) مَا فِي كَرِّ الْآخِرِ ، فَلَا تَنْظُرُوا
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَصَلُّوا بِنَظَرِكُمْ إِلَى بَاطِنِهِ ، فَإِنَّ الْبَاطِنَ
 إِذَا وَاطَأَ الظَّاهِرَ كَانَ تَوَحُّدًا ، وَإِذَا خَالَفَهُ إِلَى الْحَقِّ كَانَ وَحْدَةً ، وَإِذَا خَالَفَهُ
 إِلَى الْبَاطِلِ كَانَ ضَلَالَةً ، وَهَذِهِ الْمَقَامَاتُ مُرْتَبَةٌ لِأَصْعَابِهَا ، وَمَوْقُوفَةٌ عَلَى أَرْبَابِهَا ؛
 لَيْسَ لِمُغِيرِ أَهْلِهَا فِيهَا نَفْسٌ ، وَلَا لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا مِنْهَا قَبَسٌ .

قال الشيخ الصوفي : فوالله ما زال ذلك الحكيم يَحْشُو آدَانَنَا بِهِنِهِ
 وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَيَمْلَأُ صُدُورَنَا بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى سُرِرْنَا^(٢) وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى مُتَمَشِّتَانَا وَقَدْ
 اسْتَفْهَدْنَا عَلَى يَأْسٍ مِمَّا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لَوْ تَمَنَّيْنَاهَا بِالْفُرْمِ الثَّقِيلِ وَالسَّحَى الطَوِيلِ
 لَكَانَ الرَّجْحُ مَعْنَا ، وَالزِّيَادَةُ فِي أَيْدِينَا .

(١) الطر : الاستئلال .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « سَدَدْنَا » .

فلما سمع الوزيرُ هذا عَجَبَ وقال : لا أدري : أكلامُ أبي سُلَيْمَانَ في ذلك الاحتجاجِ أبلغُ ، أم الحكايةُ عن الْمُغْتَضِدِ أَشَقَى ، أم روايةُ الشيخِ الصوفيِّ أَطْرَفُ ، وما عَلِمْتُ أَنَّ في البَحْثِ عن سِرِّ الإِرْجَافِ هذه اللطيفةَ الخَفِيَّةَ ، وهذه الحجَّةَ الجليلةَ ، وكُنْتُ أرى أَنَّ الصُّوفِيَّةَ لَا يَرْتَجِعُونَ إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَصِيبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَهْذُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَأَنْ بِنَاءُ أَسْرَمٍ عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَالْجَهْلِ .

فقلتُ : لو جُمِعَ كَلَامُ أَتَمَّتْهُمُ وَأَعْلَامُهُمْ لَزَادَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ وَرَقَةٍ عَنْ تَقَفٍ^(١) عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْبِقَاعِ الْمُتَقَارِبَةِ ، سِوَى مَا عِنْدَ قَوْمٍ آخَرِينَ لَا نَسْتَعِينُ بِهِمْ ، وَلَا يَبْلُغُنَا خَبَرُهُمْ . قال : فَأَذْكُرُ لِي جَمَاعَةً مِنْهُمْ . قلتُ : الْجَنْتِيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْعَالِمُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْحَاسِي ، وَرُوَيْثُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُرَّازِ ، وَعَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْمَكِّي ، وَأَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ ، وَالْفَتْحُ الْمَوْصِلِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى وَهُوَ يَقُولُ : إِلَى مَتَى تُرَدِّدُنِي فِي سِكَكِ الْمَوْصِلِ ، أَمَا أَنَّ لَلْحَبِيبِ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ ؟ فَاتَ بَعْدُ جُمُعَةٍ .

فقال : هَذَا عَجَبٌ . وَلَقَدْ مَرَّ فِي هَذَا الْقَنْ مَا كَانَ فَوْقَ حُسْبَانِي وَأَكْثَرُ مِمَّا كَانَ^(٢) فِي ظَنِّي ، وَكَمْ مِنْ شَيْءٍ خَفِيَ يُطْلَعُ مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ كَبِيرٍ .

وقال : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ؛ فَأَنشَدْتُهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

رَجَعْتُ عَلَى السَّفِيهِ بِفَضْلِ خَلِيٍّ وَكَانَ تَحَلَّى عَنْهُ لِحْجَامًا
وَطَنَ بِي السَّافَاةَ فَلَمْ يَجِدْنِي أَسَافُهُ وَقَلْتُ لَهُ : سَلَامًا

(١) عَنْ تَقَفٍ ، أَيْ مَرُوءَةٍ مِنْ تَقَفٍ ، وَفِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ عَلَى مَا تَقَفٍ ، وَقَوْلُهُ عَلَى هَذَا لَا مَقْصِدَ لَهُ .

(٢) فِي (ب) : « وَأَكْثَرُ مِمَّا دَارَ فِي خَلْدِي » ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

فَقَامَ يَجْرُ رَجُلَيْهِ ذَلِيلًا وَقَدْ كَسَبَ اللَّذَّةَ وَاللَّمَامَا
وَفَضْلُ الْحِلْمِ أَبْلَغُ فِي سَفِيهِ وَأُخْرَى أَنْ يُقَالَ بِهِ أَنْتِقَامَا

(٣) قال : ما أعجب آخر العرب ، تأمرُ بالحلم مرةً ، والصبر والكظم مرةً ، وتَحُثُّ بعد ذلك على الاتصاف وأخذ النار ، وتَذمُّ السَّعَةَ وقَمَعَ القُدُورِ ! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق ؛ أعني أنها رُبَّمَا حَضَّتْ عَلَى الْقَاعَةِ والصَّبْرِ والِرِّضَا بالميسُور ، ورُبَّمَا خَالَفَتْ هَذَا ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرُ أَنْ ذَلِكَ فَسَالَةٌ وَنُقْصَانُ هِمَّةٍ وَلِينُ عَرِيكَةٍ وَمَهَانَةٌ نَفْسٍ ؛ وكذلك أَيْضًا تَحُثُّ عَلَى الْبَسَاتَةِ^(١) وَالْإِقْدَامِ وَالْاِتِّصَارِ وَالْحَمِيَّةِ وَالْجَسَارَةِ ؛ ورُبَّمَا عَدَلَتْ^(٢) إِلَى أَضْدَادِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا وَالْفَرَائِبِ وَالْأَحْوَالِ ؛ فِي أَوْقَاتٍ يَحْسُنُ فِيهَا بَعْضُهَا ، وَيَقْبَحُ بَعْضُهَا ، وَيُعَذَّرُ صَاحِبُهَا فِي بَعْضِهَا ، وَيُلَامُ فِي بَعْضِهَا ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبَائِعَ مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْقَرَائِرَ^(٣) مُتَعَادِيَةٌ ، فَهَذَا يَمْدَحُ الْبُخْلَ فِي عَرَضِ الْحَزَمِ ، وَهَذَا يَمْدَحُ^(٤) الْأَقْتِسَادَ فِي جُمْلَةِ الْأَحْتِيَاظِ ، وَهَذَا يَذَمُّ الشَّجَاعَةَ فِي عَرَضِ طَلَبِ السَّلَامَةِ ؛ وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ يَحْسُنُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَسْكَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ، بَلْ لِسُكُلٍ ذَلِكَ وَقْتُ وَحِينٌ وَأَوَانٌ .

قال : وَلَعَمْرِي إِنَّ الْقِيَامَ بِحَقَائِقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحُدُودِهَا صَعْبٌ ، لِأَنَّهَا لَا تَوْجِدُ إِلَّا مُتَلَابِسَةً وَمُتَدَاخِلَةً ، وَتَخْلِيصُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِحَدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ وَوُزْنِهِ مِمَّا يَقُوتُ ذَرْعَ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ الْمُنَّةِ ، الْمُنْتَهَرِ الطَّيْنَةِ .

قال : وَمِنْهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَالَ لِلْإِسْكَندَرِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرِذْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ ،

(١) فِي (١) : « الْقِسَالَةُ » ؛ وَفِي (ب) : الْفَسَالَةُ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٢) فِي (ب) : « عَدَلَتْ » .

(٣) فِي (١) : « وَالْقَرَائِنِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « يَمْدَحُ » ؛ وَهُوَ تَكَرُّارٌ مَعَ مَا سَبَقَ .

ولا تُرِدْ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ» ؛ ولو قَلَبَ عَلَيْهِ قَالِبٌ فَقَالَ : لا ، «وَلَسَكِنْ أَرِذْ رِجَالَكَ لِحَيَاتِكَ ، وَلَا تُرِدْ حَيَاتَكَ لِرِجَالِكَ» ، لَكَانَ الْفَضْلُ وَقِيعًا ، وَالذَّغْوَى قَائِمَةً .
وَكَانَ يُحْكِي عَنْ أَعْرَابِيٍّ حَدِيثٌ مُضْحِكٌ : قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُضَلَّابَ فِي مَضَلَّةِ الْأُمَّةِ ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ^(١) أَنْ تُضَلَّابَ الْأُمَّةُ فِي مَضَلَّتِي .

قَالَ : وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ فِي ظَاهِرِهِمْ بِالصُّوَرِ وَالْخُلَى حَتَّى يُعْرِفَ بِهَا زَيْدٌ مِنْ عَمْرٍو ، وَبَكْرٌ مِنْ خَالِدٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَذَا مَطْبُوعًا عَلَى الشَّحِّ وَإِنْ مَدَحَ الْجُودَ ، وَهَذَا مُجْبُولًا عَلَى الْجُبْنِ وَإِنْ تَشَبَّعَ لِلشَّجَاعَةِ ؛ وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَكْثُرُوا وَلَا يَخْتَلِفُوا^(٢) ، وَلَيْسَ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُضَيَّعَ الْجِنْسُ وَالْقَوَاعِدُ وَلَا يَأْتَلِفُوا ؛ وَكُلُّ مَا أَسَاغَتْهُ الْحِكْمَةُ أَبْرَزَتْهُ الْقُدْرَةُ ، وَكُلُّ مَا جَادَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ شَهِدَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ فَسَبِيحَانِ مَنْ لَهُ هَذَا التَّدْيِيرُ اللَّطِيفُ ، وَهَذَا الْعِزُّ الْغَالِبُ ، وَهَذَا السَّرُّ الْخَافِي ، وَهَذِهِ الْعَلَانِيَةُ الْبَادِيَةُ ، وَهَذَا الْفِعْلُ الْمُخْتَلِمُ ، وَهَذَا النَّفْتُ الْمُسْتَفْظَمُ .

وَحَكَيْتُ أَيْضًا فِي شَيْءٍ جَرَى ، قَالَ حَكِيمٌ فَارِسِيٌّ : قَدْ جَرَّ بَنَاءُ الْمُلُوكِ ، فَإِذَا مَلَكَ السَّمَحُ الْجَوَادُ جَادَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَإِذَا مَلَكَ الْبَخِيلُ بَخِلَتْ عَلَيْنَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : هَذَا إِذَا صَحَّ فَهُوَ شَاهِدُ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ الْمُتَّصِلِ بِالْمَلِكِ السَّمْحِ ، وَنُضُوبِهِ عَنِ الْمَلِكِ الْبَخِيلِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ إِلَهُ بَشَرِيٍّ .
وَقَالَ مَرَّةً : مَا التَّمَنَّى ؟ — وَقَدْ كَانَ جَرَى مَا أَفْتَضَى السُّؤَالَ عَنْهُ — .

(١) فِي (ب) : « أُرِيدُ » .

(٢) رَوَايَةُ (ب) : « وَلَا يَخْتَلِفُوا فِي بَاطِنِهِمْ حَتَّى يَكُونَ مَطْبُوعًا » ؛ وَفِيهَا تَكَرُّارُ ظَاهِرٍ .

فقلتُ : أَخْفِظْ نَهْيًا لِبَقْضِ الْحُكْماءِ : إِنَّ التَّمَنَّى فَضْلُ حَرَكَةِ النَّفْسِ . فقال :
جَوَابُ رَشِيقٍ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا إِلَى الْبَسْطِ .

فقال : هَاتِ مِنْ حَدِيثِ يُونَانَ شَيْئًا آخَرَ ، فقلتُ : قال أَرِسْطُوطَالِيْسُ :
لَوْ كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَبْلُغَ غَايَتَهُ كُنَّا قَدْ بَدَأْنَا الْعِلْمَ بِنَقِيضِهِ ، وَلَكِنَّا نَطْلُبُهُ
لِنَنْقُصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ ، وَتَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْعِلْمِ .

قال : حَدَّثَنِي بِشَيْءٍ فِيهِ جَوَابُ حَاضِرٍ ، وَلِلْبَدِيَّةِ فِيهِ تَوْقُذٌ ظَاهِرٌ . (٦)

فَحَدَّثْتُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الزُّهْرِيَّ فَسَأَلَهُ أَنْ يَحْدِثَهُ وَيَرْوِيَ لَهُ ؛ فَأَبَى عَلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ الْمِيثَاقَ عَلَى الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ
إِثْمَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يُعَلِّمُوا ؛ فَقَالَ : صَدَقْتَ ، وَحَدَّثَهُ :

وَحَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو حَامِدٍ الْمَرْوَزِيُّ ؛ قَالَ : وَقَفَ سَائِلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْأُنْكَادِ عَلَيْنَا فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ فِي الْمَجْلِسِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِيُّ ، وَابْنُ
مَعْرُوفٍ ، وَأَبُو تَمَامِ الزَّيْنَبِيِّ ، فَسَأَلَ وَالْحَجَّ ؛ فَقُلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ — وَقَدْ
ضَجَرْتُ مِنْ إلْحَاحِهِ وَصَفَاقَةِ وَجْهِهِ — : يَا هَذَا : نَزَلَتْ بِوَائِدٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ .
قَالَ : صَدَقْتَ ، وَلَكِنْ يُنْجَبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ . فَضَحِكَ الْجَمَاعَةُ ،
وَوَهَبْنَا لَهُ دَرَاهِمَ .

وَمِنَ الْجَوَابِ الْحَاضِرِ الْمُسْكِتِ الَّذِي خَرَّ الْكَبِدَ وَنَقَبَ الْفَوَادِ (١) مَا جَرَى
لِأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَتِّيِّ (٢) مَعَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ لِلْبَتِّيِّ (٣) :
أَنْتَ وَاللَّهِ شَتَمَتهُ وَلَكِنَّا مَسْمُومَةٌ . فَقَالَ الْبَتِّيُّ (٢) عَلَى النَّفْسِ : لَكِنَّا أَهْلُهَا
الشَّرِيفِ شَتَمَتهُ مَسْمُومَةٌ ، عَطُرَتْ (٣) الْأَرْضُ بِهَا ، وَسَارَتْ الْبُرْدُ بِذِكْرِهَا .

(١) فِي (ب) : « الْقَلْبِ » . (٢) فِي (ب) : « الْبَتِّيِّ » .

(٣) فِي لِسْخَةِ « فَطُنْتُ » ؛ وَفِي لِسْخَةِ أُخْرَى « وَطُنْتُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلِمَتَا

النَّسَخَتَيْنِ ؛ وَسِيَاكُ الْكَلَامِ يَحْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

وقال نصر بن سيار بخراسان لأعرابي : هل أُنخِمتَ قط . قال : أما من طعامك وطعام أبيك فلا . فيقال : إنَّ نصرًا حمًّا من هذا الجواب أيَّامًا ؛ وقال : لئِتي خَرِشتُ ولم أفهْ بسؤالِ هذا الشَّيطان .

وجرى حديثُ الذُّكُورِ والإناثِ ، فقال الوزير ، قد شَرَّفَ اللهُ الإناثَ (٧) بتقديم ذِكْرِهِنَّ في قوله عزَّ وجلَّ : (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) فقلت : في هذا نظر ؛ فقال : ما هو : قلتُ قدَّم الإناثَ — كما قلتُ — وَلَكِن نَكَرَ ، وأخَّرَ الذُّكُورَ وَلَكِن عَرَفَ ، والتَّعْرِيفُ بالتَّأخيرِ أَشْرَفُ مِنَ التَّكْرِيرِ بالتَّقديمِ . ثم قال : هذا حَسَنٌ . قلتُ : ولم يترك هذا أيضًا حتَّى قال : (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) فجمَعَ الجِنْسَيْنِ بالتَّكثيرِ مع تقديم الذُّكُورِ ، فقال : هذا مُستَوْفَى .

وقال : ما مَعْنَى كَأْسٍ أَنْفٍ ؟ فكان من الجواب أن يعقوب قال : يقال كَأْسٌ أَنْفٌ ، أى لم يُشْرَبْ منها قَبْلَ ذَلِكَ ؛ وكذلك يقال : رَوْضَةٌ أَنْفٌ ، إِذَا لم يكن رَعَاهَا أَحَدٌ .

وقال لَمِيْطُ :

إِنَّ الشَّوَاءَ وَالنَّشِيلَ وَالرَّغْفَ وَالْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءَ وَالْكَأْسَ الْأَنْفَ

لِلطَّاعِنِينَ الْخَيْلَ وَالْخَيْلُ قُطِفَ

قال : ما النَّشِيلُ ؟ فَإِنَّ الشَّوَاءَ وَالرَّغْفَ مَعْرُوفَانِ . قلتُ : ما ضَمَّتْهُ الْقِدْرُ مِنَ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ يُنْشَلُ وَيُغْرَفُ ؛ فقال : هذا بَابٌ إِنَّ أَلْحَقْنَا عَلَيْهِ جَوْعٌ .

- (٩) قال : مَا تَحْفَظُ فِي حَدِيثِ الْأَكْلِ ؟ قلتُ : الْأَكْلُ وَالذَّمُّ^(١) .
- وَمِنْ مَلِيحِهِ مَا حَضَرَ نِي . قيل لَجَمِيزٌ^(٢) : مَا تَشْتَهِي ؟ قال : بَسِيسٌ مَقْلِيٌّ
بَيْنَ غَلِيَانِ قُدُورٍ ، عَلَى رَاحَةِ شِوَاءٍ ، بِمَجْنَبِ خَبِيبِص . فَضَحَكَ — أَضْحَكَ
اللَّهُ سِنَهُ بِالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ . وَأَنْتِظَامُ الْأَحْوَالِ وَأَسَاقِي الْأُمُورِ — . وقال : هَاتِ
حَدِيثًا نَخْرُجُ بِهِ مِمَّا كُنَّا فِيهِ . فقلتُ : كَتَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رُسْتَمَ
صَاحِبِ الْأَعَاجِمِ : إِسْلَامُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِكُمْ ؛ وَقِتَالُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
صُلْحِكُمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُسْتَمَ : أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْعَسَلِ فَقَالَ : مَنْ
يُوصِلُنِي إِلَيْهِ بِدَرَاهِمَيْنِ ، فَإِذَا نَشِبَ فِيهِ قَالَ : مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ، وَأَنْتَ
طَامِعٌ ، وَالطَّمْعُ سِرْدِيكَ . فَأَجَابَهُ سَعْدٌ : أَنْتُمْ قَوْمٌ تَحَادُّونَ اللَّهَ وَتُعَانِدُونِ
أَنْفُسَكُمْ ، لِأَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَحُولَ لِلَّهِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ
أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ حُكَمَاؤُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ ، وَأَنْتُمْ دَائِمًا تَذْفَعُونَ
الْقَضَاءَ بِمُحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ ،
وَلَوْ نَظَرْتُمْ لَأَبْصَرْتُمْ ، وَلَوْ أَبْصَرْتُمْ لَسَلِمْتُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، وَلَمَّا
كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ ، وَالْآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعَنَا [صَارَتْ]
رِيحُنَا عَلَيْكُمْ ، فَأَنْجُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَاعْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ ، وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحَرِّ السَّلَاحِ
وَأَلَمِ الْجِرَاحِ ، [وَخِزْيٌ^(٣) الْإِفْضَاح] ، وَالسَّلَامُ .
- كَتَبَ حَدِيثُهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — إِنَّ الْعَرَبَ

(١) يشير بهذه العبارة إلى قولهم في اللث : «أكلوا ذمًا» في الشيء يؤكل وينم ؛ ذكره صاحب المقد ، ولم يرد في كتب الأمثال الأخرى .

(٢) في الأصل : « حير » بالحاء والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا قلا عن عيون الأخبار وغيره .

(٣) في (١) : « والصابي » مكان هذه الزيادة المنقولة عن (ب) .

قَدْ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهَا وَلَحُومُهَا . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : إِرْتَدَّ لِقَرَبٍ مَنَزِلًا
مَرَّاحًا . فَأَرْتَادَ لَمْ الْكُوفَةَ ، وَهِيَ بُقْعَةٌ حَضْبَاءُ ، وَرَمَلَةٌ حُمْرَاءُ ، فَقَالَ سَعْدُ :
اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاءِ وَمَا أَظْلَلَتْ ، وَالْأَرْضِ وَمَا أَفْلَتَ ، وَالرَّيْحِ وَمَا ذَرَّتْ ، بَارِكْ
لَنَا فِي هَذِهِ الْكُوفَةِ .

وَسَمِعَ عُمَرُ مُنْشِدًا يُنْشِدُ :

مَا سَأَسْنَا مِثْلَكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ أَبَرَّ بِالْأَفْصَى وَبِالْأَصْحَابِ

بعد النبي صاحب الكتاب

فَنَحَسَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ وَبَيْتُكَ .

قَالَ عُمَرُ وَهُوَ بِمَكَّةَ : لَقَدْ كُنْتُ أَرْغَى إِلَيْكَ الْخَطَّابِ بِهَذَا الْوَادِي
فِي مُدْرَعَةٍ صُوفٍ ، وَكَانَ فُظًّا يُتَعَبُّى إِذَا عَمِلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي إِذَا أَقْصَرْتُ ، وَقَدْ
أَمْسَيْتُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا يَبْقَى مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَائِئُهُ يَبْقَى إِلَهُهُ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ هُرْمُزُ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالْخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانُ إِذْ تَسْرَى الرِّيحُ بِهِ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ فِيمَا كَلَّفُوا مُعْبَدُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ
حَوْضُ هُنَالِكَ مَوْزُودٌ بِكَذِبِ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِنَا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُ الدَّوَابِّ الْحَدِيدُ الْقَوَادِ ، الصَّحِيحُ الْأَوْتَادُ .

وَقَالَ عُمَرُ : كَانَتْ الْقَرْبُ أَشَدَّ فِي جَزِيرَتِهَا يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَلَمَّا

جَمَعَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ لَمْ يَقُمْ لَمْ يَمُتْ .

رَأَى رُسْتَمَ فِي النَّوْمِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَخَذَ سِلَاحَ فَارِسَ
وَحَتَمَ عَلَيْهِ وَدَقَعَهُ إِلَى عَمْرٍ ، فَارْتَاعَ رُسْتَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيَقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ .
وَقَالَ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا ، فَأَنَشِدْتُهُ لِبَعْضِ آلِ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَسْتُ بِمَذْعِينِ يَوْمًا مُطْعِمًا إِلَى مَنْ لَسْتُ آمَنُ أَنْ يَجُورَا
وَلَكِنِّي مَتَى مَا أَخْشَى مِنْهُ أَحَالِفُ صَارِمًا عَضْبًا تَوُورَا
وَأَنْزِلُ كُلَّ رَايِيَةٍ بَرَّاحٍ أَكُونُ عَلَى الْأَمِيرِ بِهَا أَمِيرَا
وَأَنَشِدَنِي لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِ ، وَلَقَدْ تُسَلِّلُ بِهِ :

إِنِّي لَمِنْ تَبَعَةِ صُمٍّ مَكَاسِرُهَا إِذَا تَقَادَحَتِ الْقَصَبَاتُ^(١) وَالْعُشُرُ
وَلَا أَلِينُ لَنَفِيرٍ اتْلَقَ أَتْبَعُهُ حَقِي يَلِينُ لِنِزْمِ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ
وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْمَأْمُونُ قَالَ : قَلِيلُ السَّعَةِ يَمْحُوكَثِيرُ الْحِلْمِ ، وَأَذْنَى الْأَتْبَاعِ
يُخْرِجُ مِنْ فَضْلِ الْأَغْنَاءِ ، وَكَانَ طَالِبُ الْمَعْرُوفِ الْعُذْرَةُ^(٢) عِنْدَ الْأَمْتِنَاعِ ،
وَالشُّكْرُ عِنْدَ الْأَصْطِنَاعِ ، وَكَانَ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ تَعْجِيلُ الْمَوْعُودِ ، وَالْإِسْعَافُ
بِالْمَوْجُودِ .

(١) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الشعر دون (ب) هكذا :
إِلَى مَنْ نَعَى صُمٌّ بِهِ كَاسِرُهَا أَوْ أَيْنَا رَحِبَ الْمُضْبَةِ وَالْقَشْرِ
وهو كما ترى مملوء بالتصعيف والتحرير في جميع كلماته تقريباً ؛ وقد بحثنا عن هذا الشعر في
المصادر التي بين أيدينا فلم نجد غير البيت الثاني ؛ وهو منسوب في مجموعة المعاني إلى عبد الله
ابن الزبير الأسدي ولم نجد في ترجمته ؛ وقد قلنا جميع كلمات هذا البيت على جميع ما تحتمله
من الوجوه حتى استقام وزنه ومعناه على هذا الوجه الذي أنبتنا . والنبع : شجرة تتخذ منه
أجود الرماح . وصم : مكاسرها ، أي صلبة . ويقال : تقادح الشجر إذا كان رخوا ، ففي
حركته الريح حك بعضه بعضاً فأورى نارا فإذا أريد الانتفاع به في إلقاء النار بعد لم يور .
والقصبة : جماعة القصب . والمعر : شجرة تتخذ منه الزناد .
(٢) في (١) : القدرة ؛ وهو تحريف .

قال : مَنْ أَفْضَلُ هَؤُلَاءِ ؟ يَفْنَى بَنَى الْعَبَّاسَ . فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَنْصُورَ أَفْضَلُهُمْ ^(١) ، وَالْمَأْمُونُ [أَمْجَدُهُمْ] ، وَالْمُعْتَصِمُ أَمْجَدُهُمْ ، وَالْمُعْتَصِدُ أَفْضَدُهُمْ .
قال : كَذَلِكَ هُوَ . وَقَالَ : فَالْبَاقُونَ ؟ [قُلْتُ] لَيْسَ ^(٢) فِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤَخِّدُ بِالذِّكْرِ ، لِأَنَّهُ فِي نَقْصِهِ وَزِيَادَتِهِ مُشَاكِلٌ لْغَيْرِهِ . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرْكٌ .

الليلة الخامسة والثلاثون

- وقال ليلة : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْإِخْتِيَارِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ أَنَّ كُلَّ ^(١) مُرَادٍ يُخْتَارُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مُخْتَارٍ مُرَادًا ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُخْتَارُ شُرْبُ الدَّوَاءِ الْكَرْبِيِّهْ وَمُضْرَبُ الْوَلَدِ التَّجِيبِ وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَيُخْتَارُ طَرْحُ مَتَاعِهِ فِي الْبَحْرِ [إِذَا أُلْجِيَ] ^(٢) وَهُوَ لَا يَرِيدُ ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَا أَنْفَعَالَيْنِ فَأَحَدُهُمَا — وَهُوَ الْإِخْتِيَارُ — لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنْ جَوَلَانٍ وَتَنْقِيرٍ وَتَمْيِيزٍ ، وَالْآخَرُ — وَهُوَ الْإِرَادَةُ — يَفْجَأُ وَيَنْفَتُ ^(٣) وَرَبَّمَا سَحَلَ عَلَى طَلَبِ الْمُرَادِ بِالْكَرْهِ الشَّدِيدِ ؛ وَفِي عُرْضِ الْإِخْتِيَارِ سَعَةٌ لِلتَّمَكُّنِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي عُرْضِ الْإِرَادَةِ . وَالْقَرْبُ تَسْتَعْمَلُ الْإِرَاقَةَ فِي مَوْضِعِ الْإِرَادَةِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ رَاغٍ يَرُوعُ ، وَالثَّانِي مِنْ رَادٍّ يَرُودُ ، وَالْهَمْزَةُ تُجْتَلِبَةُ لِقَعْدَى .
قال : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُبَّةِ وَالشَّهْوَةِ ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ الشَّهْوَةَ أَلْصَقُ ^(٤) بِالطَّبِيعَةِ ، وَالْحُبَّةُ أَصْدَرُ عَنِ النَّفْسِ ^(٥) الْفَاضِلَةِ ، وَهِيَ أَنْفَعَالَانِ ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَ

(١) فِي (١) : « أُنْقَرِمُ » وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا فِي (ب) غَيْرُ الْمَاءِ وَالْمِيمِ ؛ وَسَاطَرُهَا

مَطْمُوسٌ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَصُوبْ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْتَضِيهِ السَّجْعُ .

(٢) الَّتِي فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيَلَاظُ أَنَّ كَلِمَةَ « فِيهِمْ » غَيْرُ

مَوْجُودَةٌ فِي (ب) ، وَقَدْ أَثْبَتْنَاهَا أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ فِي (١) : « أَشْرَفُهُمْ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « أَحَبُّ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَثَبْتُ » ، وَفِي (ب) وَثَبْتُ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (١) : « الطَّبِيعَةُ » مَكَانَ « النَّفْسِ » .

الْأَنْفَعَاتَيْنِ أَشَدُّ تَأَثُّراً ، وَهُوَ أَنْفَعَالُ الشَّهْوَةِ ، وَأَنَّهُ ^(١) يُقَالُ : شَهِيَ وَأَشْهَى ^(٢) ،
وَيُقَالُ فِي الْآخَرِ : حَبَّ وَأَحَبَّ ، وَيَتَدَاخَلَانِ كَثِيرًا بِالْأَسْتِمَالِ ، لِأَنَّ اللَّفْظَ جَارِيَةً
عَلَى التَّوَسُّعِ ، كَمَا هِيَ جَارِيَةٌ عَلَى التَّضْيِيقِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّضْيِيقِ فُزِعَ إِلَى التَّحْدِيدِ
وَالْتَّشْدِيدِ ، وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّوَسُّعِ جُرِيَ عَلَى الْأَقْدَارِ وَالْإِخْتِيَارِ ^(٣) ، وَفِي عُرْضِ
هَذَيْنِ بَلَاءٍ آخَرَ ، لِأَنَّهُ بَيْنَ الْإِبْجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَبَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالنَّصْرِيحِ ،
وَبَيْنَ الْإِبْجَازِ ^(٤) وَالْإِطْنَابِ . فَقَالَ : هَذَا بَابٌ .

(٣) ثُمَّ نَاولَتْنِي رَقْعَةً بِمُخْطَطَةٍ فِيهَا مَطَالِبُ نَفْسِي تَأْتِي عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ : بَاحِثٌ
عَنْهَا أَبَا سَلَامَانَ وَأَبَا الْخَيْرِ وَمَنْ تَعَلَّمَ أَنْ فِي مُجَارَاتِهِ فَائِدَةٌ مِنْ عَالِمٍ كَبِيرٍ ، وَمُتَعَلِّمٌ
صَغِيرٌ ، فَقَدْ يُوجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ بَعْضُ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ الْغَنِيِّ ، وَلَا تَحْقِرْ أَحَدًا فَاهً
بِكَلِمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ أَطَافَ بِجَانِبٍ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَوْ حَكَّمَ بِجَالٍ مِنَ الْفَضْلِ ؛
فَالنَّفُوسُ مُعَادِنٌ ، وَحَصَّلَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَحَرَّرَهُ فِي شَيْءٍ وَجِئْتُ بِهِ ، وَكَانَ فِي الرَّقْعَةِ :

مَا النَّفْسُ ؟ وَمَا كَالِهَا ؟ وَمَا الَّذِي أَسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ وَبَأَى شَيْءٌ
يَأْتِيَتْ الرُّوحَ ؟ وَمَا الرُّوحُ ؟ وَمَا صِفَتُهُ ؟ وَمَا مَنَفَعَتُهُ ؟ وَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ
النَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا أَوْ هُمًا ؟ وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ
الْإِنْسَانُ فِيهِ هَاهُنَا ؟ وَمَا الْإِنْسَانُ ؟ وَمَا حَدُّهُ ؟ وَهَلِ الْحَدُّ هُوَ الْحَقِيقَةُ ، أَمْ بَيْنَهُمَا
بَوْنٌ ؟ وَمَا الطَّبِيعَةُ ؟ وَهَلَّا أَغْنَى الرُّوحُ عَنِ النَّفْسِ ، أَوْ هَلَّا أَغْنَتْ النَّفْسُ عَنِ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لِأَنَّهُ » وَالتَّعْلِيلُ هُنَا لَا مُقْتَضَى لَهُ ؟ وَلِمَلَّ سَوَابِ الْعِبَارَةِ
مَا أَثْبَتْنَا . (٢) لَمْ نَجِدْ فِي كُتُبِ اللَّفْظِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَشْهَى بِمَعْنَى شَهَى ، أَيْ اشْتَهَى
كَمَا يُقَالُ فِيهِ كَلَامُهُ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ أَشْهَاءَ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ مَا يَشْتَهَى ، لَا بِمَعْنَى اشْتَهَى .
(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَالْإِسْتِحْقَارُ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا .
(٤) فِي (١) : الْأَبْجَازُ وَالْإِطْنَابُ ، وَفِي (ب) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَطْبُوسَةً بِالْحُرُوفِ
تَعْتَذِرُ قِرَاءَتَهَا ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا أَخْذًا مِنَ الرَّسْمِ الْوَارِدِ فِي النَّسخِ .

الروح ؟ وهَلَا كَفَتِ الطَّبِيعَةُ ؟ وما العقل ؟ وما أُنْحَاؤُهُ ؟ وما صَدِيقُهُ ؟ وهل يُثَقِّلُ الْعَقْلُ ؟ وهل تَتَنَفَّسُ النَّفْسُ ؟ وما مَرَّ تَبْتُهُ (أَعْنَى الْعَقْلَ) عند الإله ؟ وهل يَفْعَلُ ؟ وهل يَفْعَلُ ^(١) ؟ وإن كان يفعل ويفعل ^(٢) فَيَسْطُ الْفِعْلُ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ قِسْطِ الْأَنْفَعَالِ ؟ وما الْمَعَادُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ ؟ أهو للإنسان ؟ أم لِنَفْسِهِ ؟ أم لَهَا ؟ وما الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَنْفُسِ ، أَعْنَى نَفْسَ عَمْرُو وَزَيْدٍ وَبَكْرٍ وَخَالِدٍ ؟ ثم ما الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْفُسِ أَصْنَافٍ ^(٣) الْحَيَوَانَ ؟ وهل الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ؟ فقد علمت أنه يقال له : حَيٌّ ، وهل فيه حَيَاةٌ ؟ وعلى أَيْ وَجْهِ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ وَالْمَلَكُ حَيٌّ وَالْإِنْسَانُ حَيٌّ وَالْفَرَسُ حَيٌّ ؟ وهل يقال : الطَّبِيعَةُ حَيَّةٌ ، وَالنَّفْسُ حَيَّةٌ ، الْعَقْلُ حَيٌّ ؟ فَإِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي ، وَجَائِمٌ فِي صَدْرِي ، وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي ؛ وما أَحَبُّ أَنْ أَبْرَحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّيْتُهُ ^(٤) فِي هَذِهِ الرَّقْعَةِ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِضَهَا عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ فَأَفْعَلْ ، وَلَكِنْ لَا تَدْعَ خَطِيئَةً عِنْدَهُ ، بَلْ انْسَخْهُ لَهُ ، وَحَصِّلْ مَا يُجِيبُكَ بِهِ ، وَيَصْدَعُ لَكَ بِحَقِيقَتِهِ ، وَلِيَخْصُهُ ، وَزِيْنَهُ بِلَفْظِكَ السَّهْلِ ، وَإِفْصَاحِكَ الْبَيِّنِ ، وَإِنْ وَجَبَ أَنْ تُبَاحِثَ غَيْرَهُ فَأَفْعَلْ ؛ فهذا هذا ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُوعُ فِيهِ إِلَى السُّكُتِ الْمَوْضُوعَةِ مِنْ أَجْلِهِ كَافِيًا ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ الْبَحْثِ عَنْهُ بِاللِّسَانِ ، وَأَخَذِ الْجَوَابِ عَنْهُ بِالْبَيَانِ ، وَالْكِتَابُ مَوَاتٌ ، وَنَصِيبُ النَّازِلِ فِيهِ مَتَزَوِّرٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاكِرَةُ وَالْمُنَاطَرَةُ وَالْمُؤَانَاةُ ^(٥) ، فَإِنْ مَا يُنَالُ مِنْ هَذِهِ أَعْصَى وَأَطْرَأَ ، وَأَهْنَأُ وَأَمْرَأَ ،

(١) فِي (١) : « يَفْعَلُ » مَكَانَ « يَفْعَلُ » فِي كَلَا الْمَوْضُوعِينَ الَّذِينَ تَحْتَ هَذَا الرَّقْمِ ،

وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٢) فِي (ب) : « أَصْحَابُ » مَكَانَ قَوْلِهِ « أَصْنَافُ » ، وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٣) فِي (ب) : « نَثَرَتْ » ، وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٤) فِي لِسَانَةِ « وَالْمُؤَانَاةُ » .

للبدن . وعلى هذا ؛ ولعلَّ آخَرِينَ يقولون في تَخْدِيدِهَا وَنَعْمِهَا أَقْوَالًا آخَرَ ، لَأَنَّ
لِللَّحُوظِ^(١) بَسِيطَ ، وَالْمَذْرُوكَ بَعِيدَ ، وَالنَّاطِرِينَ كَثِيرُونَ ، وَالْبَاحِثِينَ مُخْتَلِفُونَ ،
وَالكثْرَةُ فَاتِحَةُ الْأَخْتِلَافِ ، وَالْأَخْتِلَافُ جَالِبٌ لِلْحَيْرَةِ ، وَالْحَيْرَةُ خَافِقَةٌ
لِلْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ ضَعِيفُ الْأَسْرِ^(٢) ، مَحْدُودُ الْجُمْلَةِ ، مَحْصُورُ التَّفْصِيلِ ،
مَقْصُورُ السَّعْيِ ، مَمْلُوكُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ، غِشَاوُهُ كَثِيفٌ ، وَبَاعُهُ قَصِيرٌ ، وَفَاتِقُهُ^(٣)
أَكْثَرُ مِنْ مَذْرَكِهِ ، وَدَعْوَاهُ أَحْضَرُ مِنْ بُرْهَانِهِ ، وَخَطْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِ ،
وَسُؤَالُهُ أَظْهَرُ مِنْ جَوَابِهِ ، فَعَلَى هَذَا كُلِّهِ الْأَعْتَرَا فِ بَهِ — أَعْنَى بِالنَّفْسِ
وَبِوُجُودِهَا — أَسهلُ مِنَ التَّفَحُّصِ عَنْ كُنْهَيْهَا وَبُرْهَانِهَا .

قال : وَإِنَّمَا صَعِبَ هَذَا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ
النَّفْسَ إِلَّا بِالنَّفْسِ ، وَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا
فَالْأَمْرُ أَنْ كُلَّ مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ أَضْفَى ، وَنُورُهُ أَشْعَى ، وَنَظَرُهُ أَعْلَى ، وَفِكْرُهُ
أَتْقَبَ ، وَلَحْظُهُ أَبْعَدَ ، كَانَ مِنَ الشُّكِّ أَنْجَى ، وَمِنَ الشُّبْهِهَةِ أَنْأَى ، وَإِلَى الْيَقِينِ
أَقْرَبَ ؛ وَالْإِنْسَانُ ذُو أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، مِنْ جُمْلَتِهَا نَفْسُهُ ، فَلِكثْرَتِهَا مَا هُوَ بِهِ
كَثِيرٌ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِ مَا هُوَ بِهِ وَاحِدٌ ، أَى إِنْسَانٍ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ هَذَا
النَّمْتُ حَقًّا ، وَهَذَا الْمَقُولُ صِدْقًا ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ فِي مُرَكَّبٍ ، وَالنَّفْسُ مَبْسُوطَةٌ ،
وَإِنَّمَا فِيهِ جُزْءٌ يَسِيرٌ وَنَصِيبٌ قَلِيلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَسِيطِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ بِجُزْءٍ مِنْهَا كُلَّهَا
وَبَقِيلٍ مِنْهَا بِجَمِيعِهَا^(٤) ؛ هَذَا مَتَمِّدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا ، وَبَعِيدٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا ؛

(١) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ : « الْمُخْلُوطُ » . . . وَ « الْمَذْكُورُ » ؛ وَفِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ تَصْغِيرُ
وَقَلْبٌ ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) الْأَسْرُ : الْقُوَّةُ . وَفِي (ب) : « الْأَسْ » بِضَمِّ الِهْمْزَةِ وَتَشْدِيدِ السَّيْنِ ؛ وَالْمَعْنَى يَسْتَعِيمُ
عَلَيْهِ أَيْضًا . (٣) فِي كَلَامِ الْأَسْلِينَ « وَقَلَّتْهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ مَعْدُومِ .
حُرُوفُهَا . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وأجعل هذه الخدمة مقدمة على كل مهمتهم لك ، فأني ناظرُك ، طامعاً في الجواب
المُنقذ الشافي .

فعرضتها كما رسم على أبي سليمان وقرأتها [عليه] ، وتمهلْتُ في إيرادها
بخصرته ، فلما فهمها ووقف عليها تعجب وقال : هذه مسائل المتحكيين^(١) ،
وطلبات المديئين ، واقتراحات المقتدرين ، ومُنية الأولين والآخرين .

قلت : هو كما قلت أيها الشيخ ، ولا بد من جواب يُعرض عليه يأتي
على بعض مآرب النفس ، وإن لم يأت على قاصية ما في المطلوب ، فقال كلاماً كثيراً
واسعاً أنا أحسب أنه على وجهه من طريق المعنى ، وإن انحرفت عن أعيان لفظه ،
وأشباب نظمه ، فإن ذلك لم يكن إملأ ولا نسخاً ، واجتهد أن ألزم متن
المُرَاد ، وتبنت المقصود — إن شاء الله — [عز وجل] .

(٤) قال : أما قوله : ما النفس ، فإن التحديد يُغوز ، والرسم لا يشفي ، والوصف
مقصر عن الغاية ، لأنها ليس لها جنس ولا فصل فينشأ الحدُّ بهما [ومنهما] ؛
والأسم الشائع — أعني النفس — أخلص إلى المطلوب ، وأخضر للمقصود من
التحديد ، ولهذا ما اختلف الناس قديماً وحديثاً في حدِّها ؛ فقال قائل : النفس
مزاج الأركان . وقال قائل : النفس تألف الأسطوانات ؛ وقال قائل : النفس
عرض^(٢) محرك^(٣) بذاته . وقال قائل : النفس هوائية . وقال قائل : النفس
روح حارة . وقال قائل : النفس طبيعة دائمة الحركة . وقال قائل : النفس
تمام لجسم طبيعي ذي حياة . وقال قائل : النفس جوهر ليس بجسم محرك^(٤)

(١) في كلا الأصلين : « المتحكين » ؛ وهو تحريف .

(٢) في كلتا النسختين « عدد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٣) في (ب) : « متحرك » .

وَيَكْفِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّفْسَ قُوَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَاسْطَةُ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ الْمُعْصَرَفَةِ لِلْأَسْطَقُسَاتِ وَالْعُنَاصِرِ الْمُتَهَيَّئَةِ ، وَبَيْنَ الْعَقْلِ الْغَيْرِ لَهَا ، الطَّالِعِ عَلَيْهَا ، الشَّائِعِ فِيهَا ، الْحَاطِطِ بِهَا ؛ وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو طَبِيعَةٍ لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي بَدَنِهِ [كَذَلِكَ هُوَ ذُو نَفْسٍ ، لَأَنَارِهَا الظَّاهِرَةِ فِي آرَائِهِ] وَأَبْجَائِهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَآرِيهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو عَقْلِ لِمَيَّزِهِ وَتَصْنِغِهِ ، وَأَخْتِبَارِهِ وَفَحْصِهِ وَأَسْتِنْبَاطِهِ ، وَيَقْيِينِهِ وَشَكِّهِ ، وَعِلْمِهِ وَظَنِّهِ ^(١) ، وَفَهْمِهِ وَرَوِيَّتِهِ وَبَدِيهِتِهِ وَذِكْرِهِ ، وَذِهْنِهِ وَحِفْظِهِ وَفِكْرِهِ ، وَحِكْمَتِهِ وَنِقْتَتِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ ؛ وَكَذَلِكَ هُوَ ذُو اعْتِرَافٍ بِالْأَحَدِ ^(٢) الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى جَنَدِهِ ، وَالْبَرَاءِ مِنْ هَوِيَّتِهِ ، وَكَيْفَ يَجِدُ أَنْزَلَ الْجَحْدُ ، أَوْ يُحْسِنُ بِالنَّسَةِ مِنَ الشَّكِّ ؟ وَسِنْخُهُ يَنْبُو عَنْ ذَلِكَ ، وَفِطْرَتُهُ تَأْبَاهُ ، وَلِهَذَا الثَّبُوءُ وَالْإِبَاءُ ^(٣) يَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَيَطْلُبُ الْقَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَيَلْتَمِسُ الْخَيْرَ مِنْ لَدُنْهِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ السَّلْسِلَةِ الْوَثِيقَةِ الَّتِي لَا يَفْصِمُهَا شَيْءٌ لَا فِي زَمَانٍ وَلَا فِي مَكَانٍ ، وَلَا فِي يَفْظَةٍ وَلَا فِي مَنْأَمٍ ؛ فَهَذَا هَذَا ؟ وَفِيهِ مَقْنَعٌ .

وَأَمَّا فِعْلُ النَّفْسِ ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِثَارَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَظَانِّهِ ؛ وَأَسْتَخْلَاصُهُ مِنَ الْعَقْلِ بِشَهَادَتِهِ ، مَعَ إِفَاضَاتِهَا لَهَا أُخَرَ ، وَإِنَالَاتِهَا مِنْهَا جَلِيلَةً عِنْدَ الْإِنْسَانِ ، بِهَا يَنْتَالُ مَا يَسْكُمُلُ بِهِ ، وَبِكَمَالِهِ يَجِدُ السَّعَادَةَ ، وَبَسْعَادَتِهِ يَنْجُو مِنْ شِقْوَتِهِ .

(٥) وَأَمَّا قَوْلُهُ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَإِنَّهَا أَفَادَتْ وَمَا اسْتَفَادَتْ ، إِلَّا أَنْ تُجْعَلَ إِفَادَتُهَا لِلْقَابِلِ مِنْهَا اسْتِفَادَةً لَهَا ؛ وَفِي هَذَا تَجَوُّزُ ظَاهِرٍ ، وَلَا يَقَالُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ عَلَى بَسِيطِ الْأَرْضِ وَالْعَالَمِ : مَا الَّذِي اسْتَفَادَتْ . وَلَكِنْ

(١) فِي (ب) : « وَفَطْنَتِهِ » .

(٢) فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ « بِالْحَدِّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسِيَّاتُ الْكَلَامِ الْآتِي يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

وَرِيدُ بِالْأَحَدِ : أَهْلُ تَمَالٍ .

(٣) فِي (أ) : « الْبَنُونُ وَالْآبَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كَلَامِ الْفُظْلَيْنِ .

يقال : ما الذى أفادت : فِعْلَمَ حِينَئِذٍ بِالْعِيَانِ أَنَّهَا أَفَادَتْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، صَوْرًا
مُخْتَلِفَةً ، وَمَنَافِعَ جَمَّةً بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ ؛ وَأَمَّا الْقَصْدُ الثَّانِي فَأَضْدَادُ هَذِهِ ، وَهَذَا
الْقَصْدُ مَفْرُوضٌ بِاللَّفْظِ لِيَكُونَ مُعِينًا عَلَى تَبْلِيغِ الْحِكْمَةِ إِلَى أَهْلِهَا .

- (٦) وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ بَايَنْتَ النَّفْسُ الرُّوحَ فَهُوَ ظَاهِرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ
جِسْمٌ يَضْعُفُ وَيَقْوَى ، وَيَصْلُحُ وَيَفْسُدُ ، وَهُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَدَنِ وَالنَّفْسِ ،
وَبِهِ تُفِيضُ النَّفْسُ قُوَاهَا عَلَى الْبَدَنِ ، وَقَدْ يُحْسُ وَيَتَحَرَّكُ ، وَيَلْذُ وَيَتَأَلَمُ ؛
وَالنَّفْسُ شَيْءٌ بَسِيطٌ عَلَى الرُّتْبَةِ ، بَعِيدٌ عَنِ الْفَسَادِ ، مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَسْتِحَالَةِ .

وَأَمَّا الْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ جِسْمًا [فَلِلْبَسَاطَةِ الَّتِي وَجَدَتْ لِلنَّفْسِ وَلَمْ تَوْجِدْ
لِلْجِسْمِ ، وَبَيَانُ هَذَا أَنَّ كُلَّ نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى الْجِسْمِ نُزِّهَتْ عَنْهُ النَّفْسُ ، وَكُلَّ
نَعْتٍ أُطْلِقَ عَلَى النَّفْسِ نَبَا عَنْهُ الْجِسْمُ ؛ فَذَلِكَ كَانَ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَتَتْ
مَذَاكَرَةٌ فِي النَّفْسِ مِنْذُ لَيَالٍ بِشَرْحٍ مُغْنٍ ، وَبَيَانٍ تَامٍ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ
أُحْوِجُ إِلَى الْإِلْهَامِ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا بَطُلَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ
جِسْمًا] فَهِيَ بِالْأَلَّا تَكُونَ عَرَضًا أَتَمَّنُ وَأَخْلَقُ ، لِأَنَّهُ لَا قَوَامَ لِلْعَرَضِ بِنَفْسِهِ .

- (٧) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَبَقَّى ؟ فَكَيْفَ لَا تَبَقَّى وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
ضِدٌّ ، وَلَا يَدْبُ إِلَيْهَا فَسَادٌ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلَى ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَبَلَّى
وَيَفْسُدُ وَيَخْلَقُ وَيَبْطُلُ وَيَمُوتُ وَيَقْدُ ، لِأَنَّهُ يَفَارِقُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَفَارِقُ
مَاذَا حَتَّى تَكُونَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِهِ ؟ وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَتْ لَعَمْرِي
تَمُوتُ وَتَبَلَّى ، فَأَمَّا وَالْإِنْسَانُ بِهَا كَانَ حَيًّا وَجَبَ الْأَلَّا يَكُونَ حُكْمُهَا
حُكْمَ الْإِنْسَانِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : أَوْهَا ، فَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّفْسَ مَتَى لَمْ تَكُنْ جِسْمًا ، وَلَا عَرَضًا عَلَى
حِدَةٍ أَنَّهُ لَا تَكُونَ أَيْضًا بِنَفْسٍ ، لِأَنَّ الْبَيِّنُونَ الَّتِي مَنَعَتْ فِي الْأَوَّلِ هِيَ

الَّتِي تَمْنَعُ فِي الثَّانِي ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ وَالْعَرَضُ كَالْخَلِّ وَالشُّكْرِ حَتَّى إِذَا جُمِعَ
بَيْنَهُمَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ آخَرُ ، لِأَنَّ الْجِسْمَ وَالْجِسْمَ إِذَا اخْتَلَطَا كَانَ مِنْهُمَا شَيْءٌ مَا ،
لَهُ قَوَامٌ مَا ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْقَوَامَ مُسْتَلٌّ مِنْهُمَا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْبَسِيطُ وَغَيْرُ
الْبَسِيطِ ، فَهَذَا هَذَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَنْفَى ^(١) ، فَقَدْ بَانَ أَنَّهَا تَنْبَقِي وَلَا تَنْفَى ، وَلَيْسَ يَطْرَأُ عَلَيْهَا
مَا يُفْنِيهَا ، لِبَسَاطَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ التَّرَكِيبِ الْعَجِيبِ [الْمُرْعَضِ] لِلتَّحْلُلِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلْ تَعْلَمُ مَا كَانَ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَاهُنَا ، فَإِنَّ هَذَا بَعِيدٌ مِنَ الْحَقِّ
لِأَنَّهَا قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَعْدِنِ الْكَرَامَةِ وَجَنَّةِ الْخُلْدِ ، فَلَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى عِلْمِ الْعَالَمِ
الشَّقْلِيِّ الَّذِي لَا تَنْبَأُ لَهُ وَلَا صُورَةٌ ، لَمَلَكَةِ الْحَيُولَةِ عَلَيْهِ ، وَتَذَكُّرِ الْحَيُولَةِ
حَيُولَةٍ ، وَذَلِكَ دَلِيلُ النِّقْصِ ، وَأَعْتَرَضُ الْأَلَمَ ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا نُقِلَ ^(٢) مِنْ
كَرْبٍ حَبْسٍ ضَيِّقٍ إِلَى رَوْضٍ بُسْتَانٍ نَاضِرٍ بِهَيْجٍ مُوْنِقٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ مَا كَانَ فِيهِ
فِي حَالِ مَا هُوَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ مُؤْذِيًا لِنَفْسِهِ ، وَكَارِبًا لِقَلْبِهِ ، وَقَادِحًا فِي رَوْحِهِ ،
وَأَخِذًا مِنْ حُبُورِهِ وَغَبْطَتِهِ ، وَمُدْخِلًا لِلتَّنْفِيسِ عَلَيْهِ فِي نَشْوَتِهِ .

(٨) وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَمَا الْإِنْسَانُ ، فَالْإِنْسَانُ هُوَ الشَّيْءُ الْمَنْظُومُ بِتَدْيِيرِ الطَّبِيعَةِ لِلْمَادَّةِ
الْمَخْصُوصَةِ بِالصُّورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْمُوَيَّدُ بِنُورِ الْعَقْلِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ ؛ وَهَذَا وَصْفٌ
يَأْتِي عَلَى الْقَوْلِ الشَّائِعِ عَنِ الْأَوَّلِينَ إِنَّهُ حَقٌّ نَاطِقٌ مَائِتٌ [أَيْ حَقٌّ] مِنْ قِبَلِ
الْحَيِّ وَالْحَرَكَةِ ، نَاطِقٌ مِنْ قِبَلِ الْفِكْرِ وَالْتِمِيزِ ، مَائِتٌ مِنْ قِبَلِ السَّيْلَانِ
وَالْأَسْتِحَالَةِ ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ حَقٌّ شَرِيكُ الْحَيَوَانِ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ ، وَمِنْ
حَيْثُ هُوَ مَائِتٌ هُوَ شَرِيكُ مَا يَتَبَدَّلُ وَيَتَحَلَّلُ ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ هُوَ

(١) فِي الْأَسْوَءِ : « وَهَلْ تَبْقَى » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِذَلِكَ سَبَقَ هَذَا السُّؤَالُ .

(٢) فِي (ب) : « نَجَا » .

إنسان عاقلٌ حَصيفٌ ، ومن حيث يبلغ إلى مُشاكهة التَّلَكِ بقوة الاختيار البَشَرِيّ ، والنور الإلهي ، — أعني يُنَعَتُ^(١) في حياته هذه التي وَهَبَتْ له بدءاً ، بصحة العقيدة وملاحِ العمل وصدق القول — هو مَلَكٌ ، فإن لم يكن مَلَكاً فهو جامع لصفاته ، ومالكٌ لِجَلَّتِيته ، ولما كان جنسه مشتملاً على التفاضلات الطويل العريض ، كان نوعه مشتملاً على التفاوت الطويل العريض ؛ ومن كان نوعه كذلك كانت آحاده كذلك ، وكما أن الجنس يرتقي إلى نوعٍ كامل ، كذلك النوع يرتقي إلى شخص كامل .

وأما قوله : هل الحدّ هو الحقيقة ، أو بينهما بَوْنٌ ، فإن الحدّ راجعٌ إلى (٩) واضعيه ومُتَقَصِّيه^(٢) بدلالة أنه يَضُمُّه وَيَفْصَلُهُ^(٣) ، ويُخَلِّصُهُ وَيُسَوِّيه وَيُضِلُّهُ . فأما الحقيقة فهي الشيء وبها هوَ ما هوَ ، حدّه صاحبه أم لم يحدّه ، رَسمه قاصده أم لم يرسمه ، فلهوِظ الحقيقة عَيْنُ الشيء [وهو موضوع الحدّ ليس هو عَيْنُ الشيء] .

وأما قوله : وما الطبيعة فهي أيضاً قوة نفسية ، فإن قلتَ عقلية لم تُبعد ، (١٠) وإن قلتَ إلهية لم تُبعد ، وهي التي تسري في أثناء هذا العالم مُحرَّكةً وَسَكَنَةً ، ومُجَدِّدةً ومُبْلِيّةً ، ومُنْشِئةً ومُبيدةً ، ومُخَيِّبةً ومُمَيِّتةً ، وتصاريفها ظاهرةٌ للحسّاس ، وهي آخرُ الخُلَفاء في هذا العالم ، وهي بالموادِّ أعلَق ، والموادِّ لها أعشَق ؛ وليس لما تَرَقَّى النفس في الثاني^(٤) إلى عالمِ الرُّوح ، لأنّه لا كَوْنُ هُنَاكَ ولا فساد ، فلورَقِيَّتْ إلى هُنَاكَ لَبَقِيَّتْ عاطلة ، وليس كذلك النفس ،

(١) في (١) : « يقيني » : وفي (ب) : « يقيني » ؛ وهو تحريف في كلتا النسختين ولعل الصواب ما أثبتنا . (٢) في كلتا النسختين : « ومقتضيه » ؛ وهو تحريف لامعٍ له في هذا الموضع . (٣) في كلتا النسختين : « وبطله » . وهو تحريف . (٤) في الثاني ، أي في العالم الثاني .

فإن لها في عالمها البهجة والغبطة ، والحبور والشروع ، والدوام والخلود
والخلافة الإلهية ، وهذا هناك في مقابلة ما كان لها هاهنا من الفضائل التي لا يأتي
عليها إحصاء ، ولا يحصلها استقصاء .

(١١) وأما قوله : وهلا أغنى الروح عن النفس ، فهو يفي عنها ، ولكن في
جنس الحيوان الذي لم يكمل فيكون إنساناً . فأما في الإنسان فلا ، لأن
الإنسان بالنفس هو إنسان لا بالروح ، وإنما هو بالروح حتى تحسب .

وأما قوله : وهلا أغنت النفس عن الروح ، فإن الروح كآلة للنفس
حتى ينفذ تدبيرها بوساطته في صاحب الروح ، وليس ذلك لعجز النفس ،
ولكن لعجز ما ينفذ فيه التدبير ، وإذا حقق هذا الرمز لم يكن هناك عجز
لأنه نظام موجود على هذه الصورة ، وصورة قائمة على هذا النظام ، فليس
لأحد أن يقلل ذلك بلم ولا بكيف إلا من طريق الإفناع .

(١٢) وأما قوله : هلا كفت الطبيعة . فقد كفت في مواضعها التي لها الولاية
عليها من قبل النفس ، كما كفت النفس في الأشياء التي لها عليها الولاية من
قبل العقل ، كما كفى العقل في الأمور التي له الولاية عليها من قبل الإله ؛ وإن
كان مجموع هذا راجعاً إلى الإله ، فإنه في التفصيل محفوظ الحدود على أربابها ؛
وهذا كالكلي الذي له في بلاده جماعة فيصعدون عن رأيه ، وينتهون إلى أمره ،
ويتوحدون في كل ما يمتدونه ويحلونه ، وينقضونه ويبرمونه ، ما يرجع إلى
وفاقه ، وكل ذلك منه وله وبأمره ، وقد كفاه أولئك القوم ذلك كله .

فإن قال قائل : فكيف تمثلت سياسة إلهية بسياسة بشرية ، وأين هذه
من تلك ؟

فالجواب أن البشر المسكين لم يجد هذه السيلسة من تلقاء نفسه ، ولا بما هو به مهين ضعيف عاجز مسكين ؛ بل بما فاض عليه من تلك القوى وتلك الصور ، فهو إذا أبرز شيئاً أبرز على مثال تلك ، لأنه قد أعطى القلب ، فقد سهل عليه أن يفرغ فيه ، وزهب له الطابع ، فهو يتخيم به ؛ وهى على ذلك فهو يجرى عليه ، وهذا سوق إلى الهوى وإن كان الانسياق^(١) بشرياً ، ونظم ربوبي وإن كان التنظيم إنسياً ؛ وفي الجملة إحدى السيلستين ، أعنى البشرية هى ظل للأخرى ، أعنى الإلهية ، والشغليات مُنْقَذَةٌ مُنْفَعِلَةٌ للملويات ، والملويات مُستَوَلِيَّاتٌ على الشغليات ، بحق العدل وما هو مقتضاها ، ولأن هذه فواعل ، أعنى الملويات ، وتلك قوايل ، أعنى المنفعلات ، ووجب ذلك لأن الصورة في الفاعل أغلب ، والهوى في القایل أغلب ، والمآل مُمَوَّصِلَان ، والسيستان مُمَعَادِلَتَان ، والسيران مُمَعَادِلَتَان ، والتدبيران مُمَعَادِلَان ، ولكن التدبير إذا نفذ في الشغلي يُسمى بشرياً ، وإذا نفذ في الملوى يُسمى إلهياً ، وإن كانا في التحقيق إلهيين ، وإنما اختلفا بحسب الشدور والوزود ، والفصول والوصول ، والشخص^(٢) والبلوغ ؛ والعادة جارية بأن يُشَبَّه الإنسان شيئاً من الأشياء بالشمس والقمر ، ولا يُشَبَّه الشمس والقمر بشيء آخر ، لأن للأعلى الثفت الأول ، وللأسفل الثفت الأرذل ؛ فهذا كما ترى .

وأما قوله : وما التقل ، وما أنعاؤه ، وما صنيعة ؟ فإن الجواب عن هذا (١٣) لو وقع^(٣) في خلد كثير ، لكان محمولاً على التخصيص ، وكذلك فيما تقدّم ؛ ولكن

(١) في كلتا النسخين : « الاشتياق » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) يريد بالشخص هنا الاحتمال ، وهو في مقابلة البلوغ .

(٣) في كلتا النسخين « أنه لو وقع » . والظاهر أن قوله « أنه » زيادة من الناسخ .

هذا مكان قد اقترح فيه الإيجاز والتقريب ، وهذان لا يكونان إلا بحذف الزوائد المفيدة ، وإلا بتفريق العلائق الموضحة . وبعد ، فاعقل أيضاً قوة إلهية [أبسط من الطبيعة ، كما أن الطبيعة قوة إلهية] أبسط من الأسطوانات ، وكما أن الأسطوانات أبسط من المركبات ؛ وعلى هذا حتى تنتهي المركبات إلى مركب في الغاية ، كما بلغت المبسوطات إلى مبسوط في النهاية ؛ فالتقى الطرفان على ما يقال له : كل ، فلم يكن بعد ذلك مطلب لا في هذا الطرف ولا في هذا الطرف ؛ والعقل هو خليفة الله ، وهو القابل للفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ؛ وإن قيل : هو نور في الغاية لم يكن ببعيد ، وإن قيل بأن اسمه مغي عن نعته لم يكن بمنكر ؛ وإنما تجزنا عن تحديد هذه البسائط لأنها حاولنا عند علمها^(١) أن تكون في صورة المركبات أو قريبة منها ، وأن تصير لنا أصناماً تمثلها ونوكل بها^(٢) ؛ ولهذا منّا تعجرف مرذود علينا ، وخطأ يلزمنا الاعتذار منه إلى كل من أحس به منّا ؛ وينبى أن نتوب إلى الله في كل وقت من وصفه بما لا يليق به ، ومن طرح الوهم على شيء قد حجبته عن معارفنا ، ورفقه عن عقولنا ، وقصرنا على حدودنا اللازمة لنا ، وأشكالنا المشتملة علينا ؛ هذا حديث العقل إذا لحظ في ذروته .

فأما إذا فحص عن آثاره في حضيضه فإنه تمييز وتخصيل وتصنع وحكم وتصويب وتخطيط ، وإجازة وإيجاب وإباحة ؛ وإياك أيها السامع أن يكون مقهورك من هذه الأسماء والأفعال والحروف أشياء متميزة فتجعل شيئاً واحداً أشياء ، ومن كثر الواحد فهو أشد خطأ ممن وحد الكثير ، لأن تكثير

(١) في كلنا النسختين : « علماتها » ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) في كلنا النسختين : « وتوكل » ؛ وهو تحريف .

الواحد انحطاطاً إلى المرّ كز ؛ وتوحيد الكثير استيلاء إلى المحيط ، بل يجب أن يكون محصولك منها شيئاً واحداً لم تصل إليه إلا بترادف هذه الكلمات ، وتصاحب هذه الصفات .

وأما انماؤه ، فعلى قدر ما يقال : فلان عاقل وفلان أغفل من فلان ، وفلان في عقله لونة^(١) ، وفلان ليس بماقل ؛ وأصحاب العقل أنصباؤهم منه مختلفة بالقلة والكثرة ، والصفاء والكدر ، والإنارة والظلمة ، واللطافة والكثافة ، والخفة والخصافة ، كما تجدهم مختلفين في الصّور والألوان والخلق بالطول والقصر ، والحسن والقبح ، والأعذار والانحراف ، والرّد والقبول ، إلا أن هذا القبيل يذكرك بالحس ، ويشهد بالعيان ، ويعاين بالحضور ، وذلك القبيل محبوب عن هذا كله ، فلم يجز أن تكون الإحاطة بتفاوت ما غاب [عنها] في وزن [الإحاطة^(٢)] بتفاوت ما حضر ، فإنهما ما تبايناً لياًتلفاً ، بل ليختلفا ، وهذا التفاوت معترف به إذا اعتبر من خارج ، وذلك أنك تجد أصحاب المال أيضاً يباينون في مقادير ما يملكون من المال ، ولا يتفقون على مقدار واحد منه عند جماعتهم ، ولا يتفقون على نوع واحد أيضاً من أعيان المال ، لأن هذا يملك الصامت ، وذلك يملك الباطق ، وهذا يمارس القرّ ، وهذا يمارس الصوف ، وهذا ينظر في الصّرف ، وهذا يبيع الحيوان ، وكل منهم صاحب مال ومباشر له ؛ وعلى هذا المثال أخذت أهل العقل في مطالبتهم ، فصار هذا يملك بعقله غير ما يملك الآخر ، أغني أن هذا ينظر في الهندسة ، وهذا في الطب ،

(١) في (١) : « لومه » ووردت هذه الكلمة في (ب) مطبوسة الحروف تعذر قراءتها ، والصواب ما أثبتنا .

(٢) لم ترد هذه التكلة في كلتا النسخين ، والسياق يقتضيها .

وهذا في النخو، وهذا في الفقه؛ والعبارة تمتنع من إشباع هذا المعنى، وحصر هذا الفن، فعلى هذا أنعأوه، وإنها لكثيرة إن لم تكن بلا نهاية.

وأما صنيعه، فهو الحكم بقبول الشيء ورده، وتحسينه وتقصيحه، إذا كان المرؤض عليه على جهته غير مموه ولا منشوش، ولا مشتبه فيه ولا ملبوس، فإن كان مموهاً اختلف حكمه، لأن العقل يرى الباطل حقاً في وقت، ويرى الحق باطلاً في وقت، معاذ الله من هذا، ذلك لجس المنقوص، والذهن الملبوس، لأن^(١) العارض مموه معروضه على العقل، فحكم له بما يستحقه، إلا أن يكون العارض لم يشعر بذلك التمويه، ولم يفتن لذلك النفس، فينثذ يهديه العقل ويرشده، ويفتح عليه، وينصح له.

وأما قوله: وهل يُعقل العقل، فإن الأولى أن يقال: العاقل يُعقل بالعقل معقوله، ألا ترى أنه يقال: السراج أضاء البيت، وينبذ أن يقال: أضاء نفسه، لأنه مضي بنفسيه، فليس به قعر إلى أن يضي نفسه، وإنما أضاء غيره.....^(٢) ولو عقل العقل لعقل بالعاقل، وهذا إذا استمر كان مردوداً، ونحن إذا قلنا: عقل العاقل معقوله، فإنما نصفه بأنه أنفعل أنفعال كمال، والعقل يرى من هذا الأنفعال ألا يتوخى أنه يعقل الإله الذي هو به ما هو، فإنه يجوز أن يضُر^(٣) به أنفعال لا تق به يكون عبارة عن شوقه^(٤) إليه، وكاله به، وأفتباسه منه، وهذا صراط حديد، والواطي عليه على خطر شديد، والوقوف

(١) وردت هنا كلمة: « لكن ». في الأصول ومي زيادة من الناسخ.

(٢) ورد موضع هذه النقط في كلتا النسخين: « إلى لأنه أضاءه »، ولا مقتضى لهذه

العبارة هنا كما يظهر لنا. (٣) في كلتا النسخين: « يضر به » بالنون مكان الراء؛

ولم ندين له معنى في هذا الموضع؛ ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعله « يضل به » باللام.

(٤) في كلتا النسخين: « سوقه » بالسين وهو تصحيف.

دونه أصدعُ بالصُّجَّة ، وأوضحُ للعُذر ، لأن الإنسان خوارٌ بالطَّبع ، وإن كان جسوراً بالنفس .

وأما قوله : وهل تتنفس النفس ، فإن أريدَ بذلك النفسُ الناميةُ (١٤) والحيوانيةُ فهو قريب ، وأما الناطقةُ فإن ذلك يبعدُ منها [لأن ذلك النفسُ استمدادُ شيء به يكون الشيء حياً] أو كالحى ؛ والناطقَةُ غَنِيَّةٌ عن ذلك .
فإن قيل : فهل تفتبسُ من العقلِ وتستفيدُ ؟ قيل : هذا لا يسى تنفساً ، وليس اللفظُ يُبعدُهُ عن الحقيقة تأويلٌ في الوضع ؛ ولا وَجْهٌ في الأَعمالِ (١٥) وإدخالُ العرويسِ في المكان الذى يُحتاج فيه إلى رفعِ اللبسِ وزوالِ الإشكالِ ، مُدَاجَاةٌ في العلمِ [وخِيَانَةٌ لِلْحِكْمَةِ] وَجِنَايَةٌ عَلَى الْمُسْتَنْصِحِ .
وأما مرتبتهُ (١٦) عند الإله فقد وضع بأنه كالشمس تطلع فتُضيءُ ، وتضىء فتبفع .

فإن قيل : فالعقلُ أينما هكذا ، قيل : العقلُ أيضاً شمسٌ أخرى ، ولكنها تطلع على النفس التى ليست حاويةً للجدارِ وسَطَحَ ، وبرٍّ وبحرٍ ، وجبلٍ وسهلٍ ، لأنه لما كان العقلُ أشرفَ من النفس — لأنه مُسْتَبْخِفٌ للنفس ، والنفسُ خَلِيفَتُهُ — كان إشراقه أَلْطَفَ ، ومنافعُهُ فى إشراقه أَشْرَفَ ، وأيضاً فإن الشمسَ بجدِّها بالحسِّ لها غروبٌ وطلوعٌ ، وتجلُّ وكُفوفٌ ، وليس كذلك العقلُ ، لأن إشراقه دائمٌ ، ونوره مُنْتَشِرٌ ، وطلوعه سَرْمَدٌ ، وكُفوفه مَقْدُومٌ ، وتجلُّيه غيرُ متوقَّفٍ (١٧) .

(١) فى (ب) : « الاحتمال » .

(٢) مرتبته ، يعنى العقل .

(٣) فى كلتا النسختين : « متوقف » بالعين ؛ وهو تحريف .

فإن قيل : نرى العقلَ يَعْزُبُ عن الإنسان في وقتٍ [وَيَثُوبُ إليه في وقتٍ] . فالجواب أن الوصف الذي كنا نَنْفَعُ^(١) به ونَصْدَعُ بَدْيَانِهِ لم يَكُنْ لعقلٍ زيد وعَمُرُو، وبَكْرٍ وخَالِدٍ ، لأن ذلك يُنْعَتُ بالطَّلوعِ والغُرُوبِ ، وبالحضورِ والغُيُوبِ ، لأنه هَاهُنَا مضافٌ ومُنْحَازٌ^(٢) ، أَوْ كَالْمُنْحَازِ ، وليس كذلك هو ، فإنه هُنَاكَ عَلَى بَهْجَتِهِ الثَامَةِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَاهِرِ ، وَمَلَكُوتِهِ الْأَفْطَحِ ، وبسِيطِهِ الْفَائِقِ^(٣) ، وَفَضَائِهِ الْعَرِيسِ .

وأما قوله : وهل يَنْفَعِلُ ، فقد مرَّ الكلامُ عليه في طَيِّ ما مرَّ ، وليس للتكرار وجهٌ ، ولا في التعليل عُذْرٌ .

وأما قوله : فَنَسْطُ الْعَمَلِ أَكْثَرُ ، أمْ قَسْطُ الْأَنْفِعَالِ ، فإن هذا يُلْحَظُ من وجهين ، إذا لَحِظَ قَبُولُهُ من قَبِيضِ الْإِلَهِ فَنَسْطُ الْأَنْفِعَالِ أَظْهَرَ ، وإذا لَحِظَ قَبِيضُهُ عَلَى النَّفْسِ فَنَسْطُ الْعَمَلِ فِيهِ أَكْثَرُ ، لأنه بِجُودِهِ عَلَى غَيْرِهِ يُشَارِكُهُ مَنْ جَادَ عَلَيْهِ بِجُودِهِ ، وَهَذَا لَطِيفٌ جِدًّا .

(١٥) وأما قوله . وما الْمَادُ ، فما أَسهَلَ مُطَالَبَةَ السَّائِلِ بهذا الْأَمْرِ الصَّعْبِ الْمَائِلِ الذي كُلُّ أَمْرٍ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، وَكُلُّ رَجَاءٍ حَائِثٌ حَوَالَهُ ، وَكُلُّ طَمَعٍ مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُقْصُورٌ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ بِهِ يَهْمُ ، وَكُلُّ مُصْرَحٍ عَنْهُ يُصْرَحُ ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهُ يَكْنَى ، وَكُلُّ مَتَرْتَمٍ بِهِ يَحْدُو ، وَكُلُّ لَحْنٍ إِلَيْهِ يُشِيرُ ، وَكُلُّ سَامِعٍ إِلَيْهِ يَطْرَبُ ، وَتَرْجِعُ فَنَقُولُ — عَلَى الْعَمَى وَالتَّبْيَانِ ، وَحَلَى الزَّحْفِ وَالْعَدَوَانِ : — إِنَّ عَوْدَ النَّفْسِ إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيلُهَا لِلْبَدَنِ إِذَا حَانَ وَقْتُ التَّخْلِيلَةِ ، إِمَّا لِأَنَّ الْبَدَنَ

(١) في (١) : « يَنْفَعُ » ؛ وفي (ب) : « نَسَعُ » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

(٢) في كلتا النسخين : « وَخَتَارٌ أَوْ كَالْمُنْحَازِ » ؛ وهو تحريف في كلا الموضعين .

(٣) في (١) : « الْغَائِبُ بِالْفَيْنِ وَالْبَاءِ » ؛ وفي (ب) : « الْغَائِبُ » بِالْفَاءِ وَالنَّاءِ ؛ ولعل

الصواب ما أثبتنا .

غير مُحْتَمِلٍ لمادة الحياة ، وإما لأن النفس قد أزمعت أمراً آخر ، ولا يتم لها ذلك إلا بتخليية هذا ؛ وإما لهما .

فإن قال قائل : فما نصيب الإنسان من عود النفس الذي هو تخلييتها للبدن وخروجها عنه ، وترك استعمالها له . فالجواب من طريق التمثيل ، والرضا بالرأى الأصوب ، والحكم الأجلّ أن يقال : لو قيل لرجلٍ من عرض الناس وافرٍ أو ناقصٍ : إنك إذا فارقت هذا العالم بقيت عينك الباصرة ، وأذنك السامعة ، هل ترى ذلك نعمة عليك ، وإحساناً إليك ، فإن عينك إذا بقيت أبصرت العالم بعدك كما كنت تبصره ، وهي معك ، بل تبصر أحسن من ذاك الإبصار ، لأنها كانت معك ترمد بسببك ، وتعشى من أجلك ، وربما عرض لها سوء تدبيرك ، أو باتفاق ردى عليك ، من عشى أو عشى وخفس وعمش وعور وآفات^(١) كثيرة ، وهي آمنة بعدك من هذه الأغراض المسكرورة ، والأحوال الداهية^(٢) ، فإننا نعلم حقاً وعياناً أنه يقول : قد رضى بل أتنى هذا ، ومن لي به ، أى إن أعطيت هذا فمن منى^(٣) أسمع وأبصر ، وإذا كنت أكره الدنيا في حياتي إذا فقدتهما فكيف لا أحب الدنيا إذا وجدتهما ، فإن كان هذا التمثيل واقعاً ، وهذا التقريب نافعاً ، والحق في تضاعيفه واضحاً ، فليكن ذلك مطرداً في بقاء نفس الإنسان التي بها كان إنساناً ، وبها كان يتم في هذا العالم ، وبها كان يعلم ويعرف ويحكم ويصيب ، ويجد لذة اللذيد من ناحية العقل والحس ، وبها كان يتنقّى البقاء والدوام والخلود ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) : «وذئوب» ؛ وهو تبديل من النسخ . ولم يرد قوله : «كثيرة» في (ب) . (٢) في كلتا النسختين : «الناهة» ؛ وهو تصحيف . (٢) في كلتا النسختين : «مثل» بالثاء واللام ، وهو تحريف صوابه ما أثبتناه كما يقتضيه السياق ، وأسمع وأبصر : وصفان للتفضيل .

وإنما أستمحال ذلك التَّعَنِّي من أجل كونه رفساده اللذين لم يكن بُدٌّ من
 أنتهاهما إلى الفناء الذي هو مفارقة النفس الجسد وتخليتها للبدن ، ونسبة
 نفس الإنسان إلى الإنسان أو كد والعاقبة من نسبة العين إليه ، ألا ترى
 أنه بالنفس إنسان ، وبالبدن حافظ لشكل [الإنسان] ؛ فإذا كان للإنسان
 في هذا التمثيل فائدة ممتنة ، وحالة محبوبة هنيئة ، أعنى في بقاء العين والأذن
 حتى يُبَصِّرَ بإحداهما هذا العالم المَحْشُور بالآفات ، ويسمع بالأخرى ما يجري
 فيه من ضروب الاستحالات ، فبالحرى أن يكون رضا ببقاء النفس في محل
 الروح والأمن ، ومقام الكرامة والسكينة على حال الخلود والطمأنينة ،
 إن هذا لعجيب ؛ وأعجب من هذا التعجب عقل لا يعلّق به ، وروح
 لا يهش لسماعه ، ونفس لا تجد خلاوته ، وصدر لا يتصدع طرباً عليه ،
 والبياح^(١) إليه ، فإن من لم يشعر بهذه الفائدة ، ولم يحمّد الله على هذه النعمة ،
 لعازب الرأى ، ضعيف العقل ، خفيف المتقال ، ردى الاختيار ، قليل
 الحصافة ، سيئ النظر ؛ حيوان خسيس ، في مسلك إنسان رئيس ؛ فقد بان — على
 مذهب التقريب — ما للمأاد المشار إليه ، وما للإنسان منه ، وما لنفسه به .

(١٦) وأما قوله : وما الفرق بين الأنفس ، أى نفس زيد وعمرو وبكر وخالد ،
 وما الفرق أيضاً بين أنفس أصناف الحيوان ، فإنما الفرق بين هذه الأنفس
 بقدر قسط كل واحد منهم منها ، وهذه الأقسام إذا اجتمعت تفاوتت ، وإذا
 تفاوتت كانت نفس باقية حية ، ونفس فانية ميتة ، ألا ترى الشمس
 كيف تطلع على هذه المواضع المختلفة بالملو والشغل ، وبالتعريج والاستقامة ،
 والأشكال الكثيرة ، فيقول كل إنسان : مشرقى أطيب من مشرق فلان ،

(١) الباح : الشوق . وفى الأصول : « وارباحا » . وهو تحريف .

وما أشبهَ هذا الكلام ، وطلوعُ الشمس على جميعها طلوعٌ واحد ، ولكنَّ حُطوطَ البقاع منها مُخْتَلِفَةٌ ؛ فليس بِمُنْكَرٍ [أن تكون] نفسُ زيدٍ أنجى مِنَ الكَدْرِ ، وأَخْلَصَ مِنَ الآفةِ ، وأَوْصَلَ إِلَى السَّعَادَةِ ؛ وَنَفْسُ بَكْرِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، وَمَرَاتِبُ هَذِهِ الْأَنْفُسِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْإِضَافَاتِ الْحَاصِلَةِ لَهَا بِأَصْحَابِهَا ، وَالْأَنْصِبَاءِ الْمَذْخُورَةِ لَهَا بِأَكِنْسَائِهَا .

فَأَمَّا أَنْفُسُ أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ كَالْفَرَسِ وَالْخِمْزِ فَإِنَّهَا أَنْفُسٌ نَافِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٍ ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ، لِأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ إِلَّا الْإِحْسَانَ وَالْحَرَكَاتِ ، لَمْ يَشِعْ فِيهَا نُورُ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ ، وَلَمْ يَنْبَثْ فِيهَا شُعَاعُ الْعَقْلِ الْكَرِيمِ ؛ فَوَجَبَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنْ تَكُونَ تَابِعَةً لِأَبْدَانِهَا ، جَارِيَةٌ عَلَى فَسَادِهَا وَبُطْلَانِهَا ، لِأَنَّ الْحِكْمَةَ أَتَتْهُ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْقِ فِي كَوْنِهَا حَشَوًا لِهَذَا الْعَالَمِ وَزِينَةً وَمَنَافِعَ وَمَبَالِغَ إِلَى غَايَاتٍ وَأَغْرَاضٍ .

- وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَهَلِ الْمَلَكُ حَيَوَانٌ ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ حَيٌّ ، وَهَذَا وَقَفْتُ (١٧) عَلَى الْأَسْمَاءِ الْجَارِيَةِ ، وَالْمَادَّاتِ الْقَائِمَةِ ، وَكَأَنَّ الْحَيَوَانَ إِنَّمَا شَاعَ فِي غَيْرِ الْمَلَكِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَسِّ وَالْحَرَكَةِ وَالْأَهْتِدَاءِ وَالتَّبَصُّرِ عَلَى مَا لَاقَى بِحَيْثُ وَنَوْعِهِ وَشَخْصِهِ ؛ [فَأَمَّا مَا يَنْزَعُهُ عَنِ الصِّفَاتِ فَلَمْ يُطْلَقْ عَلَيْهِ حَيَوَانٌ ، وَلَكِنْ يُقَالُ :] حَيٌّ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْأَسْمَاءِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ ، وَبِهَذَا التَّقْرِيبِ قِيلَ أَيْضًا لِلَّهِ : إِنَّهُ حَيٌّ ، وَأَنْتَ إِذَا حَدَّثْتَ الْحَيَّ أَوِ الْحَيَاةَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تَصِفَ اللَّهَ [جَلَّ وَعَلَا] بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .. وَفِي الْجُمْلَةِ كُلِّ مَا كَانَ أَدْخَلَ فِي الْبَسَاطَةِ كَانَ أَخْرَجَ مِنَ التَّزَكِّيِّ ، وَكُلِّ مَا كَانَ أَخْرَجَ مِنَ الْبَسَاطَةِ كَانَ أَدْخَلَ فِي التَّزَكِّيِّ .
- فَأَمَّا الْمَرْكَبُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنَ الْبَسِيطِ إِلَّا النَّصِيبُ النَّزَرُ ، وَإِلَّا طَيفُ الْخَيَالِ ، فَاسْمُهُ وَاضِحٌ وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ سَهْلَةٌ ، وَالْبَيَانُ لَهُ مُدْرِكٌ ، لِأَنَّهُ مُحَاطٌ

بحدوده في طولِه وعرضِه ومَحْفِه .

وأما المركَّبُ البسيطُ الذي ليس له من التركيب إلا النصبُ اليسير ، فاسمه غامض ، والإشارة إليه عسرة ، والعيانُ عنه مكشوف ؛ وهذا بابٌ إذا حُفِظَ فهم منه شيءٌ كثيرٌ مما يقع فيه الغلطُ من الإنسان بفكره الرديء ؛ وينفع أيضاً نفعاً بيّناً في التعلُّلِ العارض بين المتناظرين على جهة التناقص والتناصفِ

قال أبو سليمان : من حرسَ هذا الثغرَ أمينٌ من جميع الأعداء ، ومن أهمله كانت جنابته على نفسه بيده أعظمَ من جنابة مدوِّه النائر من ثغره .

وأما قوله : على أي وجهٍ يقال لله حيٌّ والمَلِكُ حيٌّ والفرسُ حيٌّ ، فقد دخل الجوابُ عنه في ضمن ما تشقَّق القول به ، وتحقَّق المعنى عليه في حديث المركَّب والبسيط ؛ ونريدُ هاهنا حرفاً يكون رديفاً لما تقدَّم ، فنقول : أمّا الإنسان فإنه يقال له : حيٌّ بسببِ الحسِّ والحركة وما يتبعهُما ممّا هو كالمُحيِّ ، وكذلك الفرسُ وما أشبهه . وأمّا المَلِكُ فلما كان ما يستحقُّه بيساطته مدوِّماً عندنا ، لم نقدرْ على شيءٍ نَصِفُه به إلا ما نَصِفُ به أنفسنا يئتنا ، ولو كنّا في عالمِ المَلِكِ حللنا كنّا ندرى بأيّ شيءٍ ينبغي أن يُنعتَ ويُسمّى ويُذكَرَ ويُحسَّ ، فإنَّ من كان منّا في بلادِ الصينِ فإنه يُسمّى الإنسانَ والفرسَ والحمارَ والبقرَ بها يتعلَّمُ أهلها بينهم ، وإذا كان هذا مُعَوِّزاً على ما ترى في المَلِكِ ، أعنى تسميته الحيّ ، ونعته بالحياة ، فالله الذي لا سبيلَ للعقل أن يدرِكهُ أو يحيطَ به أو يجده ويجدانا أولى وأحرى أن يُمسكَ عنه عجزاً وأستخذَ ، ونصاؤلاً وأستغفاه ، إلا بما وقع الإذنُ به من جهة صاحب الدين الذي هو مالِكُ أزمنة القول ومُرشدُها إلى السمادات ، وواقفها عند الخدود ، وزاجرُها

عَنِ التَّخَطُّى إِلَى مَا لَا يَجُوزُ . فَعَلَى هَذَا قَدْ وَضَحَ أَنَّ الصَّنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ أَغْوَدُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنَ التَّنْطِقِ ، لِأَنَّ الصَّنْتَ عَنِ الْمَجْهُولِ أَنْفَعُ مِنَ الْجَهْلِ بِالْمَعْلُومِ ، وَالنَّظَاهِرَ بِالْمَجْزِ فِي مَوْضِعِهِ كَالْأَسْطَلَّةِ بِالْقُدْرَةِ فِي مَوْضِعِهَا ، وَلَيْسَ لِخَلْقٍ مِنْ هَذَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ إِلَّا الْإِنِّيَّةُ وَالْهُيَوِيَّةُ ، فَأَمَا كَيْفَ وَلِمَ وَمَا هُوَ فَإِنَّهَا طَائِرَةٌ فِي الرِّيحِ كَمَا تَسْمَعُ وَتَرَى .

وَلَمَّا حَرَّرْتَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَحَمَلْتَهَا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَرَأْتَهَا عَلَيْهِ قَالَ لِي : هَذَا وَاللَّهِ جُهْدُ الْمَقِلِّ ، وَفِي غَلِيلِي بَقِيَّةٌ مِنَ اللَّهَبِ .

قُلْتُ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : سَنَقُولُ لَكَ كَلَامًا لَا يَكُونُ فِيهِ كُلُّ الرِّضَا ، فَقُلْ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ : إِنَّكَ سَأَلْتَ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ ، فَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْرِضَ عَلَيْكَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَلَوْ لَا عَجَلَةُ رَسُولِكَ فِي الْمَطَالَبَةِ ، وَإِذْلَالُهُ بِالْإِلْحَاجِ ، وَقَوْلُهُ : الْمُرَادُ التَّقْرِيبُ وَالِإِيجَازُ ، لَا التَّطْوِيلُ وَالِإِسْهَابُ ، لَسَكَانَ الدُّسُجُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْمِنْوَالِ ، وَالْعَمَلُ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَسْطَى . قَالَ : وَمِنْ الْمَعَالِمِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَازِرٌ ، وَلَا يَبْهَاطُ ، أَنَّ السَّائِلَ يَحْضُرُ عَلَى التَّائِيخِصِ الْمَفْهُومِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَرِيدُ الشَّيْءَ إِغْلَاقًا ، فَإِذَا أُمْتُثِلَ مَا يَرِيدُهُمْ قَالَ : مَا شَقَانِي الْقَوْلُ ؛ وَإِنْ زِيدَ عَلَى ذَلِكَ قَالَ : غَرِقَ الْمُرَادُ فِي حَوَاشِي التَّكْثِيرِ ؛ فَلَيْسَ لِلْعَالِمِ تَخْلُصٌ مِنْ أَسْتِزَادَةِ الْمُتَعَلِّمِ ، وَلَا عِنْدَ الْمُتَعَلِّمِ شُكْرٌ عَلَى مَبْذُولِ جُهْدِ الْعَالِمِ ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَسْتِغَاثَةُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَالْأَوَّلَى فِيهَا لَا حِيلَةَ فِيهِ الرِّضَا بِالْمَيْسُورِ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ أَطَالَ اللَّهُ أَيَّامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، وَحَرَسَ عَلَى هَذِهِ الْجَمَاعَةِ الْقَلِيلَةِ النِّعْمَةُ ، أَسْتَأْنِفْنَا نَظْرًا أَنْ بَلَّغَ مِنْ هَذَا التَّنَظَّرِ ، بَيِّنَانٍ أَشْفَى مِنْ هَذَا الْبَيِّنَانِ ، وَطَرِيقٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الوزير : والله ما قلتُ قَوْلِي ذاك ، لأنَّ هذا الكلامَ سهلٌ ، وهذا المتناولُ قريبٌ ، وهذا المرمى كَثْبٌ ، كَلًّا ، وإيًّا لأظنُّ بَلَّ أخقُّ أنه ليس في بضائع أصحابنا الذين حوَّلِي مَنْ يَدْرِكُ هذه المعاني على هذه الصِّفَةِ إذا قُرِئَتْ عليه ، فكيف من^(١) يُفزعُ^(٢) في شَرْحِها وتَهْدِيئِها إليه .

ثم تَمَطَّى وقال : وأُنْعَسَاهُ ، واضْمَغَ مُنْتَاهُ ؛ ثم فارَقَتْ المجلس .

الليلة السادسة والثلاثون

(١) وقال — دامت أيتامه — كيف تقولُ عِنْدَ مُهَلِّ الشَّهْرِ شَيْئًا آخَرَ مِنْ لَفْظِهِ ؟
فكان من الجواب : حَكَّى العالمُ : عِنْدَ هُلُولِ^(٣) الشَّهْرِ مُسْتَهَلَّهُ [وَهَلَّهُ]
وإِهْلَالِهِ وَأَسْتَهْلَالِهِ .

(٢) قال : ورأيتُ الحاتميَّ يقولُ : عَشْرُ كَلِمَاتٍ جَاءَتْ وَعَيْنُهَا عَيْنٌ وَلَا مَهَا وَآوٌ ، ولم أَوْثِرْ شَرْحَهُ لَهَا لِثِقَلِ رُوحِهِ ، وَمُقَالَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وكأنَّه لَا عِلْمَ إِلَّا عِنْدَهُ ، وَلَا فَائِدَةَ إِلَّا هِيَ مَعَهُ ، فَهَلْ فِي حِفْظِكَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قلت : لا إلهَ إِلَّا اللهُ ، اليومَ ذَكَرَ الأندلسيُّ هذه الكلماتَ وَعَدَّهَا ، وَقَدْ حَفِظْتُهَا ، فقال : هَاتِي يَا مُبَارَكُ ؛ فكان الجوابُ : مِنْهَا الْبَقْعُ ، وَهُوَ الْجِنَايَةُ ، وَالْجَعْفُ ، وَهُوَ الطَّيْنُ ، وَالْدَّعْوُ ، مَصْدَرُ دَعَا دَعَوْا ، وَالسَّعْوُ : السَّمْعُ ، وَالشَّعْوُ : هُوَ اتْتِفَاشُ الشَّعْرِ ، وَالصَّعْوُ : الرَّجُلُ الضَّعِيفُ ، وَهُوَ أَيْضًا طَائِرٌ أَصْفَرُ مِنْ الْمُصْفُورِ ، وَالْقَعْوُ : مِنَ الْبَكْرَةِ ، وَاللَّعْوُ : الْحَرِيصُ . وَالذَّئْبُ فِي بَعْضِ

(١) الظاهر أن « من » زائدة . (٢) وردت هذه الكلمة في (١) مهملة

الحروف من النقط ، ووردت في (ب) هكذا « تفرع » .

(٣) لم نجد الهلول فيما راجعناه من كتب اللغة ، ولعل صوابه « هلال » أو لعله من الألفاظ التي اغترده المؤلف بروايتها عن مشايخه .

اللغاتِ ، والمعو^(١) : الجَنَى من الرُّطْب ، والنَّعْو : الشَّقَّ في مِشْفَرِ البَعِير .

قال : هذا حَسَن ، لو أَنَّى به الحَاتِمَى لَوَى شِدْقَه ، وقال : تَنَحَّ فَقَدْ
جاء الأسد وغَلَبَ الطُّوفَانُ وخرَجَ الدَّجَالُ وطلَّعت الشمسُ من المغربِ ،
ما بالُ أُنْحَابِنَا تَغْتَرِبُهُمْ هَذِهِ الْخِيَلَاءُ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِمُ النِّقْصُ ، وَيَسْتَمْكِنُ
مِنْهُمْ الشَّيْطَانُ .

قلت : قال أبو سُلَيْمَانَ : كُلُّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حِفْظُ اللَّفْظِ وَتَضَرُّفُهُ
وَأَمِثْلَتُهُ وَأَشْكَالُهُ بَعْدَ مِنْ مَعَانِي اللَّفْظِ ؛ وَالْمَعَانِي صَوْنُ الْعَقْلِ ، وَاللَّفْظُ صَوْنُ
اللسانِ ، وَمَنْ بَعُدَ مِنَ الْمَعَانِي قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَمَنْ قَلَّ نَصِيبُهُ مِنَ
العقلِ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحَقِّقِ ، وَمَنْ كَثُرَ نَصِيبُهُ مِنَ الْحَقِّقِ خَفِيَ عَلَيْهِ
قُبْحُ الذِّكْرِ .

الليلة السابعة والثلاثون

وقال الوزير ليلةً : ما أَحْوَجَ الْجَبَانَ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ أَحَادِيثَ الشُّجْعَانِ !
وما أَشَدَّ أُنْتِفَاعَ الضَّيِّقِ النَّفْسِ بِاسْتِمَاعِ أَخْبَارِ الْكِرَامِ ، لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ فِي
الْخُلُقِ أَغْرَاضُ ، وَالْأَعْرَاضُ مِنْهَا لَا يَزِمُ وَمِنْهَا لَا صِيقُ .

قال : وكان^(٢) عيسى بن زُرْعَةَ سَرَدَ عَلَى سَنَةِ سَبْعِينَ ، لِيَالِي كَانَتْ الْأَشْغَالُ
خَفِيفَةً ، وَالسِّيَاسَةُ بِالْمَاضِي — نَوَّرَ اللَّهُ قَبْرَهُ وَضَرِيحَهُ — عَامَّةً ، وَالنَّظَرُ
بِالْحُسْنَى شَامِلًا — أَشْيَاءَ فِي الْخُلُقِ آتَى بِهَا عَلَى عَمُودٍ مَا كَانَ فِي نَفْسِي ، وَذَلِكَ

(١) في كلتا النسختين « والمو » باللام ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا نقلًا
عن كتب اللغة .

(٢) في (١) « ولو كان » ؛ وقوله « لو » زيادة من الناسخ .

أنه ذَكَرَ العقلَ والمُحَنِّقَ ، والعِلْمَ والجَهْلَ ، والحِلْمَ والسُّخْفَ ، والقناعةَ والشَّرَّ ، والحَيَاءَ والقِيَّةَ ، والرحمةَ والقسوةَ ، والأمانةَ والخِيانةَ ، والْبَيْقُظَ والغفلةَ ، والتَّقَى والفُجُورَ ، والجُرْأَةَ والجُلْبَنَ ، والتواضعَ والكِبَرُ ، والوفاءَ والغدرَ ، والنصيحةَ والغشَّ ، والصدقَ والكذبَ ، والسَّخَاءَ والبُخْلَ ، والأناةَ والبَطْلَ ، والمَدَلَ والجورَ ، والنشاطَ والكسلَ ، والنسكَ والفَتَكَ ، والحَقْدَ والصَّنْعَ ، ويُنَبِّئُ أن تَزُورَ عَيْسَى وتَذْكُرْ له هذه الجُمْلَةَ ، وتَبَعَثَهُ على إِعَادَةِ حُدُودِهَا ، وإشباعِ القولِ فيها ، مع إيجازٍ لا يكون به مَدْخَلٌ لِلِخَلَلِ ، ولا تَقْصِيرٌ عن إِيصَالِ الآخِرِ بِالْأَوَّلِ .

فلَقِيتُ عَيْسَى وعَرَفْتُهُ الْحَدِيثَ ، وَأَمَلَى مَا رَمَمْتُهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَغَرَضْتُهُ عَلَى أَبِي سَلْيَانَ ، فَرَضِيهِ بَعْضَ الرِّضَا ، وَلَمْ يَسْخَطْ كُلَّ السُّخْطِ ، وَقَالَ : تَحْدِيدُ الْأَخْلَاقِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِضَرْبٍ مِنَ الْجَوَازِ وَالتَّسَمُّحِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُتَلَابِسَةٌ تَلَابُسًا ، وَمُتَدَاخِلَةٌ تَدَاخُلًا ، وَالشَّيْءُ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ إِلَّا بِبَيِّنُونَةٍ وَاقِعَةٍ تَطْهَرُ لِلْحَسَنِ الْعَلِيفِ ، أَوْ تَتَضَيَّعُ لِلْعَقْلِ الشَّرِيفِ .

ثم قال : [ألا ترى] أن الفِكَرَ مَشُوبَ بِالرَّوِيَّةِ ، وَالظَّنَّ مَخْلُوطَ بِالْوَهْمِ ، وَالذِّكْرَ مَعْنَى التَّخَيُّلِ ، وَالبُذْيَةَ جَانِحَةً إِلَى الْحِسِّ ، وَالْأَسْتِنْبَاطَ مَوْصُوفٌ بِالْفَوْضِ ، وَمَا ^(١) هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي مَيَّزَ التَّوَاضُعَ مِنْ شَوْبِ الضَّعَةِ ، أَوْ خَلَصَ عُلُوَّ الْهِمَّةِ مِنْ شَوْبِ الْكِبَرِ ، أَوْ فَرَزَ ^(٢) عِزَّةَ النَّفْسِ مِنْ نَقْصِ الْمُعْجَبِ ، أَوْ أَبَانَ الْحِلْمَ عَنْ بَعْضِ الضَّعْفِ ؟ أَمْ هَذَا بِالْقَوْلِ رَبَّمَا مَهْلٍ وَأَنْقَادَ ، وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ رَبَّمَا عَزَّ وَأَعْتَصَصَ ، وَالْأَخْلَاقُ وَالْخِلَاقُ مُخْتَلِطَةٌ ، فَهِيَ مَا أَخْتَلَطَهُ قَوِيٌّ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَمِنْ هَذَا » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَوْ قَرَنَ » ؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

شديد، ومنها ما أخفلاطه ضعيف سهل، ومنها ما [اختلاطه] نصف بين
اللين والشدة، وهذه ينفع العلاج في بعضها، وينبئ العلاج عن بعضها؛
والحزم يقضى بالآية تهاون بما يقبل العلاج لأجل ما لا يقبل العلاج.

قال: وهذا أيضاً يختلف بحسب المزاج والمزاج، والإنسان والإنسان،
ألا ترى أنك لو رمت تحويل البخيل من القرب إلى الجود كان أشهل
عليك من تحويل البخيل من الرؤم إلى الجود، والطمع في جبان التزك أن
يتحول شجاعاً أقوى من الطمع في جبان الكرد أن يصير بطلاً.

قال: ومع هذا فوصف الأخلاق بالحدود — وإن كان على ما قدّمناه —
نافع جداً، وإضمارها في النفس مثير أبداً، فهذا هذا.

وأما ما قال أبو علي فإنه هذا. (٢)

قيل: ما الحلم؟ قال ضبط الفكر بكف الغضب.

وقال شيخنا أبو سعيد السمرائي: اعتباره من ناحية الاسم تفضيل لطبعه^(١)
وذلك أن الحلم شريك التحلم، «فكان الحلم [الذي] يمدّ فيمن يحلم^(٢)» في
عرض الحلم الذي لا يعاج عليه ولا يكثر له. قال: والتحكم نافع أيضاً،
وهو أحد من التحكم، لأن الثاني أقرب إلى الثاني، كما أن الأول أقرب
إلى الحقيقة.

وقيل لعيسى: ما العدل؟ فقال: القسط القائم على التساوي. (٣)

وحكى جالينوس قال: إن الناس أشد حُبهم لأنفسهم يظنون أن لهم
ما يحبون، فمن أجل ذلك وقعوا في المذهب؛ فينبغي أن تكون محبتك لنفسك

(١) في الأصل «لطيفة»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٢) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين مضطربة اللفظ لا يفهم المراد منها، وسياق

الكلام يقتضي ما أثبتنا، كما ورد في (ب) «هو» قبل كلمة «الذي».

حَقِيقَتِهِ ، وَبِمِثْ ذَلِكَ لَكَ إِذَا أَنْتَ صَبَّرْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يَرَى مِنْ
يَرَى أَنَّكَ عَلَيْهَا .

[وَقَالَ : الْمُعْجَبُ] يُحِبُّ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَحِقُّ لَهَا ؛ وَمَا أَحْسَنَ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُعِبَّ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ بِالْعَدْلِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّهَا جِدًّا فَيُعِيبُ
أَنْ يَجْعَلَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ ، ثُمَّ يُحِبُّهَا مِنْ بَعْدِ .

(٤) قِيلَ : فَا الْحَسَدُ ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْأَمْسِ عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ لغيرِهِ .

(٥) قِيلَ : فَا الْكَأَبُ ؟ قَالَ : إِفْرَاطُ الْحُزَنِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : الْحُزْنُ وَالْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْأَمْسُ وَالْجُرْعُ وَالْخُورُ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ
وَمِنْ تَعَامَلِي وَصَفَ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ طَالَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَحْطَ بِطَائِلٍ ، وَبِكَفَى أَنْ نَعْرِفَ
شَجَرَةَ الْتِفَاحِ مِنْ شَجَرَةِ الْمَشْمَشِ ، وَشَجَرَةَ الْكُمُزِيِّ مِنْ شَجَرَةِ السَّقَرَجَلِ ؛
فَإِنْ عَوَاقِبِ الْمَعَارِفِ نَسَكِرَاتُ ، كَمَا أَنَّ فَوَاحِ الْمَعَارِفِ جَهَالَاتُ .

(٦) قِيلَ : فَا الشَّجَاعَةُ ؟ قَالَ : الْإِقْدَامُ فِي مَوْضِعِ الْفُرْصَةِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمُورِ .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : الشَّجَاعَةُ إِذَا كَانَتْ نَظْمِيَّةً ^(١) كَانَتْ فُرْصَتُهَا تَعَامُلِي
الْحِكْمَةِ وَالِدَّوْبِ فِي بُلُوغِ الْغَايَةِ ، وَبَذَلِ الْقُوَّةِ فِي نَيْلِ الْبَغْيَةِ ؛ وَإِذَا كَانَتْ
غَضَبِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا شِفَاءُ الْغَيْظِ إِتْمَانِ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِمَامِنِ غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ ، وَإِذَا
كَانَتْ شَهْوِيَّةً كَانَتْ فُرْصَتُهَا التَّحَلِّيُ بِالْعِفَّةِ الْتَائِتَةِ ، أَعْنَى فِي الْخُلُوةِ وَالْحَفْلِ .

قَالَ لَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرُّمَّانِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ : الْعِفَّةُ وَاسِطَةٌ
بَيْنَ الْمَقَارَفَةِ وَالْعِصْمَةِ ، وَالْعِصْمَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ .

وَحَكَى عِيسَى بْنُ زُرْعَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ — عِنْدَ تَدَافُعِ الْحَدِيثِ — أَنَّ
مُورِسًا قَالَ : إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِنْ نَاسٍ يَقُولُونَ : كَانَ يَنْتَبِهُ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ

(١) نَظْمِيَّةٌ ، ي فِكْر .

على رأي واحد ، ومنهاج واحد ، وهذا ما لا يستقيم ولا يقع به نظام .
قال : وهب أن يكون الناس وكل واحد منهم مَلِكًا يَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُسْتَمَعُ
له ويُطاع ، فمن كان التأمور المؤتمر ، والمنهى المنتهى ؛ والعاقل الحصيف يعلم
أنه لا بد من التفاوت الذى به يكون التصالح ، كالعالم والمتعلم ، والآسر والمأمور
والصانع والمصنوع له .

ثم قال عيسى : من توابع الأخلاق المذمومة الغضب والكذب
والجهل والجور والدناءة .

قال أبو سليمان : أما الغضب فلا يكون مذمومًا إلا إذا أُعْمِلَ في غير أوانه ،
وعلى غير ما يَأْذَنُ الناموسُ الحقُّ به ؛ وأما الكذب ففيه أيضًا مصالح ، كأن
الصدق ربما أفضى إلى كثير من المفاسد — وإن كان الصدق قد فاز بالوصف
الأحسن ، والكذب قد وُصِفَ بالنفث الأفتيح — فكم كذب نجى من شر ،
وكم صدق أوقع في هوة ، وبقي الآن أن نعرف الصدق مع أوانه ومكانه ،
فيؤتى به أو يُنهى عنه ، وكذلك الكذب على حدِّه ومثاله .

قال : وأما الجهل والجور والدناءة فإنها أئافى الرذائل ، فيبتنى أن
يُلتفتى منها بجملة وتفصيلاً ، ولا يسلك أحدٌ إلى شيء منها [سبيلاً] فإنها أعدام ؛
— هكذا قال — ؛ والتقدم كريمة ومهزوبٌ منه ، والوجود على أنقص النعموت
أنتم وأشرف من التقدم على أزيد الصفات ، وإن كان لا زيادة في التقدم إلا من
طريق الوهم العارض ما يصح وما لا يصح .

قيل : فما العُجب ؟ قال وزن النفس بأكثر من مثقالها . (٧)

وقال أيضاً : العُجب هو النظر في النفس بعين ترى القبيح جميلاً .

ويقال : المَعْجَبُ يدَّعي أن ما يَنْبَغِي أن يُعْجَبَ منه قد حصلَ له مِنْ غَيْرِ أن يَكُونَ كَذَلِكَ ؛ فأمَّا إذا كان ذلك حاصِلًا فالمُعْجَبُ ليس بِمُعْجَبٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ الْأَسْمِ ، وإلَّا فهو في الحقيقة إحساسٌ بِالْفَضْلِ الْمَعْشُوقِ ، وشُعُورٌ بِالْكَامِلِ الْمُؤْمُوقِ ، وأَسْتِدْعَاءٌ لِرِزَاةٍ تَمَّا صَارَ بِهِ هَكَذَا ، وأَسْتِعْدَادٌ لِقَبُولِ الْفَيْضِ مِنْ مَعْدِنِهِ بِالْأَخْتِيَارِ الثَّانِي وَالْإِعْتِيَادِ الْأَوَّلِ .

(٨) قيل : فما الوفاء ؟ قال قضاؤه حَقًّا واجب ، وإيجابُ حَقٍّ غير واجب ، مع رِقَّةٍ أُنْسِيَّةٍ ، وحَفِظَةٍ مَرَعِيَّةٍ .

(٩) قيل : فما الرغبة ؟ قال : حركةٌ تكونُ مِنْ شَهْوَةٍ يُرْجَى بِهَا مَنَفَعَةٌ .
قال أبو سليمان : الرغبةُ إذا كانت نَظَاقِيَّةً كانت مَبْتَعَةً عَلَى الْبَحْثِ بِالْفَضَائِلِ ، وإذا كانت سَبْعِيَّةً أَوْ بَهِيمِيَّةً كانت مُلْهِجَةً بِمُؤَاقَعَةِ أَضْدَادِهَا^(١) مِنْ الرَّذَائِلِ .

(١٠) وقيل : ما المِهْنَةُ ؟ فقال : حركةٌ يَتَمَاطَاها الْإِنْسَانُ بِلَا حَفَظٍ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ .
قال علي بن عيسى : المِهْنَةُ صِنَاعَةٌ ، ولكنها [إلى الذلِّ أقرب ، وفي الضَّمَّةِ أَدْخَلَ ، والصَّنَاعَةُ مِهْنَةٌ ، ولكنها] تَرْتَفِعُ عَنْ تَوَابِعِ المِهْنَةِ ، وفي الصَّنَاعَاتِ مَا يَتَّصِلُ بِهِ الذَّلُّ أَيْضًا ، ولكن ذُلٌّ لَيْسَ مِنْ جِهَةِ حَقِيقَةِ الصَّنَاعَةِ ؛ ولكن مِنْ جِهَةِ الْعَرَضِ الَّذِي بَيْنَ الصَّنَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ ، والمرتبة والمرتبة .

(١١) قيل : فما العادة ؟ قال : حالٌ يأخذُ بها المرءُ نفسه مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مَسْنُونَةً يَجْرِي عَلَيْهَا تَجَرُّى مَا هُوَ مَأْلُوفٌ طَبِيعِيٌّ .

قال أبو سليمان : كَانَ هَذَا الْأَسْمَ لَيْسَ يَخْلُصُ إِلَّا لِمَنْ أُنِيَ شَيْئًا مِرَارًا ، فَأَمَّا فِي أَوَّلِ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ هَذَا النَّمْتُ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مَأْلُوفًا بِالتَّكْرَارِ ، ولهذا

(١) أَضْدَادُهَا ، أَيْ أَضْدَادُ الْفَضَائِلِ .

ما صيغت الكلمة من عاد يعود وأعتاد يعتاد .

وأما قوله : طبعي ، فقل وجبه التشبيه ، لأن الطبعي أشد رسوخاً وأثبت عرفاً ، وأبعد من الانتقاض ؛ فأما المادة فكل ذلك جائر عليها ، وغير مأثور من الوقوع فيه .

قيل : كم الحركات ؟ قال : ستة أصناف ، أولها حركة الانتقال ، وهي (١٢) ضربان : إما حركة الجسم بأكمله من مكان إلى مكان ، وإما حركة كنهه بأجزائه كالفلك والرحى ، والثاني حركة الكون ، والثالث حركة الفساد ، والرابع حركة الربوبية^(١) ، والخامس حركة التقصير والبلية ، والسادس حركة الاستحالة ، وهي ضربان : أما في الجسم فمثل اللون ، وأما في النفس فمثل الغضب والرضا ، والعلم [والجهل^(٢)] .

والثقل مكانية ، والكون والفساد جوهريان ، والاستحالة هيئية ، والنمو والاضمحلال^(٣) مكانيان .

قال الكندي : وهما حركة أخرى ، وهي حركة الإبداع ، إلا أن بينها وبين حركة الكون فرقاً ، لأن هذه لا من موضوع ، وحركة الكون من فساد جوهر قبله بمحدثه ، ولذلك قيل : إن الكون خروج من حال خسية إلى حال نفيسة .

قال أبو سليمان : حركة الإبداع عبارة بسيطة لا يجب أن يفهم^(٤) منها

(١) في كلتا النسخين : « الدنو » ، وهو تصحيف . والربو : الزيادة ، وقد أثبتنا هذه الكلمة أخذاً مما يأتي بعد في توضيح هذه الحركات ، من قوله : « ولنور » ولما أثبتنا هنا الربو بالراء والباء لفرجه من حروف الأصل . (٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد في كلتا النسخين ، والسياق يقتضي إثباتها لئلا يتحقق الاستحالة إلا بين الشيء وما يحالقه . (٣) يشير بالاضمحلال هنا إلى ما سبق من حركة التقصير والبلية ، وهي الخامسة .

(٤) في (ب) : « يظهر » مكان « يفهم » .

مَعْنَى مُرَكَّبٍ . قَالَ : وَإِنَّمَا قُلْتُ [هَذَا] لِأَنَّ اللَّفْظَ نَظِيرُ اللَّفْظِ فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ
وَلَيْسَ الْمَعْنَى نَظِيرَ الْمَعْنَى فِي أَغْلَبِ الْأَمْرِ ، وَاللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ فِي التَّرَكُّبِ
بِلُغَةِ كُلِّ أُمَّةٍ ، وَالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي الْبَسَاطَةِ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ ^(١) وَالْعَقْلُ ، وَالْعَاقِلُ
وَالْعَاقِلُ ، وَإِنَّمَا حَرَكَةُ الْإِبْدَاعِ مُشَارٌ بِهَا إِلَى مَقْوِّمِ الْأَشْيَاءِ بِلا كُلْفَةٍ فَاعِلٌ ،
وَلَا مُعَانَاةٍ صَانِعٌ ، وَإِنَّهَا بَدَتْ بِالْمُبْدِعِ مِنَ الْمُبْدِعِ لِمُبْدِعٍ لَا عَلَى أَنَّ الْبَاءَ
أَلْصَقَتْ بِهِ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ [مِنْ] فَصَّاتٌ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا عَلَى أَنَّ اللَّامَ أَضَافَتْ
إِلَيْهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَالْأَمَارَاتِ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ
بِالْإِبْدَاعِ ، فَلَمْ يَحْزُ أَنْ يُنْفَعَتْ بِهَا الْمُبْدِعُ ، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَكَانَ دَاخِلًا فِيهَا ،
وَمَوْجُودًا بِهَا ، وَهَذَا بَعِيدٌ جِدًّا . فَلَمَّا جَلَّ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ بِالْتَّحْقِيقِ فِي الْأَخْتِيَارِ
وُصِفَ بِهَا بِالْإِسْتِعَارَةِ عَلَى الْأَضْطِرَارِ ، لِأَنَّهُ لَا بَدَلًا لَنَا مِنْ أَنْ نَذْكُرَهُ وَنَصِفَهُ
وَنَدْعُوهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَقْصِدَهُ وَنَرْجُوهُ وَنَخَافَهُ وَنَعْرِفَهُ وَنَنْجُوهُ وَنَطْلُبُ مَا عِنْدَهُ
وَنُؤَاجِهُهُ وَنُكَافِيَهُ ^(٢) ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْنَا ، وَلُطْفٌ مِنْهُ بِنَا ، وَحِكْمَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا
وَالْإِلا كَانَتْ الْمِصْنَمَةُ تَلْتَبَرُ ، وَالطَّمْعُ يَنْقَطِعُ ، وَالْأَمَلُ يَضْمَعُ ، وَالرَّجَاءُ يَنْحِيبُ ،
وَالْأَرْكَانُ تَتَخَلَّخَلُ ، وَالذَّرَائِعُ تَرْتَفِعُ ، وَالْوَسَائِلُ تَمْتَنِعُ ، وَالْقَوَاعِدُ تَسِيحُ ،
وَالرَّغَبَاتُ تَسْتَقُطُ ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْمَلَاكُوتُ
تَأْتِي ذَلِكَ ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ سَلَامًا لَنَا إِلَيْهِ ، لَا حِفَائِقَ يَجُوزُ
أَنْ يُظَنَّ بِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، عَلَى سَبِيلِ ^(٣) السَّيَاحِ الْمَمْدُودِ ، وَالْمِنْهَاجِ الْمَخْدُودِ .

سَمِعْتُ كَلَامَ عِيْسَى فِي تَصْدِيفِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْفِقْرَةِ الَّتِي كَانَتْ
مَحْفُوظَةً فِي حَرَكَةِ الْإِبْدَاعِ ، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ لِقَوْمٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَيْرَةً عَارِضَةً

(١) فِي (ب) عَلَى قَدْرِ اللَّفْظِ ، وَفِيهِ تَبْدِيلٌ مِنَ النَّاسِخِ . (٢) الْمَكَالِفَةُ : الْمَوَاجِهُةُ
وَالْمُلَافَاةُ . (٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ «لَا عَلَى سَبِيلِ» الخ. وَقَوْلُهُ «لَا» زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ كَمَا يُلَوِّحُ لَنَا .

أورا كدة ، لا يَسْتَطِيعُونَ التَّفَقُّصَ عنها ، ولا يَقْدِرُونَ على البراءة منها ، للضلال الذى قد لَزِمَهُمْ ، والأصنام التى قد تَرَبَّعتْ فى نُفُوسِهِمْ ، والأمثلة التى قد خَالَطَتْ عُقُولَهُمْ ، والأفياء التى أَسْتَضَحَبُوهَا مِنْ إِحْسَانِهِمْ ؛ والقائل هذا ينبغى أن يتحرى وَيَتَلَبَّثْ حتى يَفْرَى مِنْ هذه الأشياء وَيَتَرَيَّثْ ؛ فينثذ أضْمَنُ له أن يَصِيحَّ تَوْحِيدُهُ ، وَيَتِمَّ تَجْرِيدُهُ ، وإلى التوحيد تنتهى الفلسفة بأجزائها الكثيرة ، وأبوابها المختلفة ، وطُرُقها للتشعبة .

وأنا أعوذُ بالله من صناعةٍ لا تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ ولا تدلُّ على الواحد ولا تدعو إلى عبادته ، والأعترافِ بوحْدانيته ، والقيامِ بحقوقه ، والمصير إلى كنفه ، والصبرِ على قضائه ، والتسليمِ لأمره ؛ وَوَجَدْتُ أَرْبابَ هذه الصناعات ، أغنى المهندسة والطبِّ والحسابِ والموسيقى والمنطقِ والتنجيمِ مُعْرِضِينَ عن تجسُّمِ هذه الغاياتِ ، بل وَجَدْتُهُمْ تَارِكِينَ الإِلَهَامَ بهذه الحائكات ، وهذه آفةٌ نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ منها ، والعافية من عواقبها ؛ والسلام .

قيل : ما التَّام ؟ قال : بلوغُ الشيء الحدَّ الذى ما فوقه ^(١) إفراط ، (١٣) وما دونه تقصير .

قال أبو سليمان : التَّامُ أَلْيَقُ بِالْمَحْسُوسَاتِ ، وَالْكَامِلُ أَلْيَقُ بِالْأَشْيَاءِ الْمَقُولَةِ . قال : وليست هذه الْفُتْيَا مِثْلَ جازمة ، ولا عن العربِ الْعَرَبِيَّةِ مَرْوِيَّةٌ ، ولكن إِذَا لَحَظْنَا الْمَعْنَى الْمُخْتَلِفَةَ ، طَلَبْنَا لَهَا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَعُونَةً لَنَا فِي تَعْدِيدِ الْأَشْيَاءِ أَوْ فِي وَصْفِ الْأَشْيَاءِ مِنْ ^(٢) طَرِيقِ الْإِقْنَاعِ الْكَافِ ^(٣)

(١) ما فوقه ، أى الذى فوقه . وكذلك أيضاً « وما دونه » .

(٢) ورد فى كلتا النسختين « إلا من طريق » . وقوله « إلا » زيادة من الناسخ كما يلوح لنا .

(٣) فى كلتا النسختين « الكافى » والياء زيادة من الناسخ .

للبَدَلِ والتهمة ، أو من طريق البرهان الاطّيع بالحجة ، الراجع للشبهة ، أو من طريق التقليد الجارى على السنن والمادة .

قال : ولهذا [إذا] قيل : ما أتمّ قائمته ا كان أحسن ، وإذا قيل : ما أكمل نفسه ا كان أجمل .

(١٤) قيل له : هل يتساوى الكونُ والفساد فيبقى الشيء على ماهو به ؟ فقال : أما على الحقيقة فلا ؛ ولكن^(١) على السعة ، لأنّ الكون متصل بالفساد ، إلا أنهما ينفيان في مبادئهما حتى إذا امتدّ الأنا^(٢) فصار آنا^(٣) واحداً فحينئذٍ بانّ الكون من الفساد ، وبانّ الفساد من الكون ، وهذا بالأعتبار الحسى ؛ فأما العقل فيرتفع عن هذا ، لأنه يعلم حقيقة الشيء على ماهو عليه ، ولا يقبل من الحس حكماً ، ولا يختصم إليه أبداً .

وإنما الحس عامل من عمال العقل . والعامل يجوز مرّةً ويعدل مرّةً ، فأما الذى هذا هو عامله فهو الذى يتعقبه ، فإنّ وجده جائزاً أبطل قضاءه ، وإنّ وجده عادلاً أمضى حكمه ، ومتى استشير الحس في قضايا العقل فقد وُضِعَ الشيء في غير موضعه ، ومتى استشير العقل في أحكام الحس فقد وُضِعَ الشيء في موضعه .

(١٥) قيل : فما الصورة ؟ قال : التى بها^(٣) يخرج الجوهر إلى الظهور عند اعتقاد الشورى إياه .

(١) فى (ب) : «أما» مكان «ولكن» ، وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام
إذ لا جواب لأما بعد ذلك .

(٢) فى (ب) : الأنا ... أبا واحداً ، وفى (١) : الاناءان ... «أنا واحداً» ، وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٣) فى (ب) : «لها» ، وهو تحريف .

قال أبو سليمان : هذه الفُتَيَّا جُزَافِيَّة ، الصُّورُ أَصْنَافُ : إلهِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ ، وَفَلَكِيَّةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ ، وَأَسْطَقُوسِيَّةٌ وَصَنَاعِيَّةٌ ، وَنَفْسِيَّةٌ وَلَفْظِيَّةٌ ، وَبَسِيطَةٌ وَمُرَكَّبَةٌ ، وَمُزْوَجَةٌ وَصَافِيَّةٌ ، وَيَقْطِئِيَّةٌ وَنَوْمِيَّةٌ ، وَغَائِبِيَّةٌ وَشَاهِدِيَّةٌ .

ثم اندفع فقال : أما الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ — وهى أعلاها فى الرُّتَبَةِ وَالْحَقِيقَةِ . وهى (١٦) أَبْعَدُ مِنَّا فى التَّحْصِيلِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى — فلا طَرِيقَ إِلَى وَصْفِهَا وَتَحْدِيدِهَا إِلَّا عَلَى التَّقْرِيبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبَسَاطَةَ تَغْلِبُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّهَا مَعَ ذَلِكَ تُرْسَمُ بِأَنَّ يُقَالَ : هِىَ الَّتِى تَجَلَّتْ بِالْوَحْدَةِ ، وَتَبَيَّنَتْ بِالذَّوَامِ ، وَدَامَتْ بِالْوُجُودِ .

وأما الصُّورَةُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ شَقِيقَةُ تِلْكَ ، إِلَّا أَنَّهَا دُونُهَا لَا (١٧) بِالْأَنْحِطَاطِ الْحَتَّى ، وَلَكِنْ بِالْمُرْتَبَةِ اللَّفْظِيَّةِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ فَصْلٌ إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ النَّعْتِ ، وَإِلَّا فَالْوَحْدَةُ شَائِعَةٌ وَغَالِبَةٌ وَشَامِلَةٌ ، لَكِنْ الصُّورَةُ الإلهِيَّةُ تُلَحِظُ لَحْظًا ، وَلَا يُلَفْظُ بِوَصْفِهَا لَفْظًا ، لِمُشَاكَلَتِهَا الصُّورَةَ النَّفْسِيَّةَ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ أُمْكِنَ أَنْ تُرْسَمَ فَيُقَالُ : هِىَ الَّتِى تُهْدِى إِلَى الْعَاقِلِ قَلْبًا فى الْحُكْمِ ، وَثِقَةً بِالْقَضَاءِ ، وَطُمَأْنِينَةً لِلْعَاقِبَةِ ، وَجَزْمًا بِالْأَمْرِ ، وَدُخُوضًا لِلْبَاطِلِ ، وَبَهْجَةً لِلْحَقِّ وَنُورًا لِلصِّدْقِ .

والفرقُ بَيْنَ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ وَالصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الصُّورَةَ الإلهِيَّةَ تَرِدُ عَلَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْكَ ، وَالصُّورَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَصِلُ إِلَيْكَ فَتُعْطِيكَ ، فَالْأُولَى بَقَهْرٍ وَقُدْرَةٍ ، وَالثَانِيَةُ بِرَفَقٍ وَأَطَافَةٍ ؛ وَتِلْكَ تَحْجُبُكَ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ ، وَهَذِهِ تَفْتَحُ عَلَيْكَ لِمَ وَكَيْفَ ، وَتِلْكَ لَا تُنْجِى وَلَا تُطَلِّبُ ، وَهَذِهِ يُسَمَّى إِلَيْهَا ، وَيُسْأَلُ عَنْهَا وَتُوجَدُ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الإلهِيَّةِ بَرُوقٌ تَمُرُّ ، وَأَنْوَارُ الصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ شَمُوسٌ تَسْتَدِيرُ ؛ وَتِلْكَ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ بِالْخُصُوصِيَّةِ لَا نَصِيبَ لِأَحَدٍ مِنْهَا ، وَهَذِهِ إِذَا حَصَلَتْ لَكَ فَأَنْتَ

(١) فى كلتا النسخين : «دونها بالانحطاط» بـ «لا» النافية ، والسبب فى يقتضى إثباتها .

وغيرك شرع فيها ؛ وتلك للصّون والحفظ ، وهذه للتبذل والإفاضة
 (١٨) وأما الصورة الفلكيّة فداخلة تحت الرّمس بالعرض ، ولوهر فيها أثره
 كثير ، ولأنّها مأخوذة من الجسم الأعظم صارت مشاكته مقسومة بين البسيط
 الذي لا تركيب فيه البتّة ، وبين المركب الذي لا يخلو من التركيب البتّة ؛
 ولهذا صار تأثر الفلك في المتحرّكات عنه أشدّ من تأثر الفلك عن المتحرّك
 له ، وكأنّه أول [متحرّك] متحرّك ؛ وليس هكذا ^(١) ماعلا عنه .
 والفلك بما هو جسم منقوص الصورة ، وبما هو دائم الحركة شريف
 الجواهر .

(١٩) وأما الصورة الطبيعيّة فتعلّقها بالمادّة القابلة لآثارها بحسب استعدادها لها ،
 فلذلك ما هي مخرّجة عن الدّرجة العلّيا ، وعشقها للقابل منها أشدّ من عشقها
 للمفيض عليها ، ولهذا أيضا كانت منافعتها ممزوجة ، ومضارّها بحتة ^(٢) ، وهي
 تجمع بين الحكمة والبله ، وبين الجيد والرديء ، ولو سألناها لم أنت ضارة
 نافعة ؟ لقالت : بعدت ، فلما بعدت صوّبت وصعدت .

وسمعت أبا النّفيس يقول في وصف الطّبيعة كلاما له روتني في النّفس ^(٣)
 وأنا أصل هذه الجملة به .

قال : أيتها الطّبيعة ، ما الذي أقول لك ، وبأي شيء أواخذك ، وكيف
 أوجه العتب عليك ؟ فإنك قد جمعت أمورا منكّرة ، وأحوالا عسيرة ،

(١) كذا في (ب) والذي في (أ) « وليس هذا فاعلا عنه » . ولا يخفى ما في هذه
 العبارة من التحريف .

(٢) في كلتا النسختين : « نجية » ، وهو تصحيف ، وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

(٣) في (ب) « في السمع » .

لا يبقِ نظامك فيها بأنتشارك عليها ، ولكِ بوادرُ ضارّة ، وغوايلُ خفيّة تَبْدُو
 منك ، وتُغورُ فيك ، وترجع إليك ، حتى إذا قلنا في بعضِها : إنك حكيمة ،
 قلنا في بعضِها : إنك سقيمة ، فالبه منك مخلوطٌ باليقظة ، والاستقامة فيك
 عائدةٌ بالأغوجاج ، وفيك فظائعٌ ونزائع ، وقوارعٌ وبدائع ، لأنَّ حرَّ كانك
 تسنُّ مرّةً أسننا تُعشقين عليه ، وتُحبِّين من أجله ، وتزيغُ أخرى زيفاً
 تمقّتين عليه ، وتُبغضين بسببه ، وربما كانت حرَّ كتبك نقضاً للبناء المحكم
 والصورة الرائعة ، والنظام البهيّ ، وربما كانت بناءً للسُّنْقِضِ ، وتجديداً للبالى
 وإصلاحاً للفساد ، حتى كأنك عابثةٌ بلا قصد ، عائرةٌ على عمد ، وعلى جميع
 صفاتك من الواصفين لك لم يعلم^(١) من ظنّ ، ولا رأى من تخيّل ، ولا بعدّ لفظ
 من تأويل ، ولا حال معنى عن توهم ، ولا أسفرَ حقٍّ عن باطل ، ولا تميّزَ
 بيانٍ من تمويه ، ولا وضعَ نضحٍ من غشٍّ ، ولا سلّمَ ظاهرٍ من تناقض ، ولا
 خلّت دعوى من معارض ، فلهذا وأشباهه واجهتك بخطابى ، وعرضتُ
 عليك ما فى نفسى ، فبالذى أنتِ به قائمة ، وبالذى أنتِ به موجودة ،
 وبالذى أنتِ له مُنْقَلِبة ، وإليه مُنْسَاقَة ، إلّا خبرتني عنك ، وشفيت غليلي منك ،
 ونمت لى غيبِ شأنك ، وجعلت الخبر عنك كميّانك ، وإعما ضرعتُ
 إليك هذا الضرع ، وعرضتُ عليك هذا الوجع ، لأنك جارتى وصاحبتي ،
 وليس بينى وبينك حجاب إلّا ما هو عدوّك أو منى ، أغنى بما هو منك لطف
 سحرّك ، وخفاء سيرك ، وأغنى بما هو منى ما أعجزُ عن استبائته واستيضاحه
 إلّا بقوة الإله الذى هو سببُ إحرارِ كُفك فى أفانين تبصرُ فك ، وأعجيب عدلك
 وتحيّيفك .

(١) عبارة (١) « لم نر أعلم من ظن » ، وهو تحريف .

وكان إذا بَلَغَ هذا الحدَّ وما شاكَه أَخَذَ في كَلَامِهِ كالجوابِ عَلَى طريقِ التَّأْنِيسِ والتَّسْلِيَةِ والأُسْتِرَاحَةِ ، وهذا بالواجِبِ ، لأنَّ الإنسانَ بسببِ أغراضِهِ المَجهُولَةِ ، وعَوَارِضِهِ الفَاجِئَةِ البَاطِنَةِ مِنَ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ يَفْتَقِرُ أَفْتَقَارًا شَدِيدًا إلى هَذِهِ الثَّغُوتِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ؛ وهذا كالدَّاءِ والدَّوَاءِ ! وليس لأحد أن يَتَهَكَّمَ فيقول : هَلَّا أَرْتَفَعَ الدَّاءَ أَصْلًا فَيُسْتَفْتَى عَنِ الدَّوَاءِ بِجُمْلَةٍ ، وهَلَّا وَقَعَ الدَّوَاءُ أَبَدًا عَلَى الدَّاءِ وَنَفَاةً وَصَرَفَهُ . فَإِنَّ هَذَا كَلَامٌ مَذْخُولٌ ، مِنْ عَقْلِ كَلِيلٍ ، وَلَقَدْ عَرَى إِنَّ مَنْ جَهِلَ الْقِسْمَةَ الإِلَهِيَّةَ فِي الْأَزَلِ ^(١) بِحَسَبِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ لَمِيبَ بِهِ الْوَسْوَاسُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ كَانَ أَوْلَى وَأَنْتَقَ وَأَحْكَمَ . يَا وَيْحَهُ ! مَنْ أَيْنَ يُوجِبُ هَذَا الْحُكْمُ ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يُثْبِتُ هَذَا الْقَضَاءُ ؟ وَكَيْفَ يَتَّبِقُ بِهِذَا الْوَهْمُ ؟

وكان يقول أيضًا إِنَّ الطَّبِيعَةَ تقول : أَنَا قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْبَارِي ، مُوَكَّلَةٌ بِهَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمُسَخَّرَةِ حَتَّى أَتَصَرَّفَ فِيهَا بِغَايَةِ مَا عِنْدِي مِنَ النَّفْسِ وَالتَّصَوُّيرِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ الَّذِينَ لَوْلَاهُمَا لَمْ يَكُنْ لِي أَثَرٌ فِي شَيْءٍ ، وَلَا لَشَيْءٍ أَثَرٌ مِنِّي ، وَكَانَ وَجُودِي وَعَدَمِي سَوَاءً ، وَخُضُوعِي وَغِيَابِي وَاحِدًا ، وَلَوْ بَطَلَتْ بَطَلَ بِطُلَانِي مَا أَنَا بِهِ ؛ وَهَذَا زَائِفٌ مِنَ الْقَوْلِ ، وَخَطْلٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الظَّنِّ ؛ وَلَوْ أُخْتِمِلَ إِرَادُ كُلِّ مَا كَانَ يَتَنَفَّسُ بِهِ هَذَا الشَّيْخُ فِي حَالِ نَشَاطِهِ وَأَنْقِبَاضِهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ مَرَادًا فُسِيحًا ، وَمَشْرَعًا وَاسِعًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ مُتَعَدِّرٌ لِعِجْزِي عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ ، وَلَأنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَتَقَلَّصُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا أَجُولُ فِي هَذِهِ الْأَكْنَافِ لِكَلْفِي بِالْحِكْمَةِ كَيْفَ دَارَتِ الْعِبَارَةُ بِهَا ، وَأُمَكِّنْتُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا ، لَا عَلَى التَّفَقُّصِ لَهَا وَبُلُوغِ الْغَايَةِ مِنْهَا ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ؟ وَمَنْ يُحَدِّثُ

(١) فِي (١) « الْأَوَّل » وَفِي (ب) « الْأَوَّل » ، وَهُوَ تَعْرِيفٌ .

نفسه بذلك ؟ العالم أبعدُ غَوْرًا وأعلى قُلَّةً وأثقلُ وَزْنًا وأحدُّ غَرَبًا وألطفُ
أَعْرَاضًا وأكثفُ أَجْرَامًا وأعجبُ تَرْكِيبًا وأغربُ بَسَاطَةً من أن يأتي عليه
إنسانٌ واحدٌ ، وكلُّ مَنْ^(١) كان في مَسْكِهِ ، وإن بلغ الغاية في دِقَّةِ الذَّهْنِ
وَحُسْنِ البَيَانِ وبِلاغةِ اللَّفْظِ ، وأسْتِنْبَاطِ النِّمَاضِ في حَاضِرِهِ^(٢) وَغَائِبِهِ ؛ هذا
ما لا يَقْوَاهُ العقلُ^(٣) .

وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الدَّغْوَى ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُدْهِمَنِي الشُّكْرَ عَلَى مَا فَتِّحَ
وَشَرَحَ ، وَهَدَى إِلَيْهِ وَمَفْتَحَ ، وَأُطْلِعَ عَلَيْهِ وَنَدَحَ^(٤) ، فَإِنَّ الشُّكْرَ قَرَعَ لِبَابِ
الْمَزِيدِ ، وَالْمَزِيدَ بَاعَثَ عَلَى الشُّكْرِ الْجَدِيدِ ، وَالشُّكْرُ — وَإِنْ خَلَصَ
بِالْعِرْفَانِ ، وَجَرَى بِضُرُوبِ الْبَيَانِ عَلَى اللِّسَانِ — فَإِنَّهُ يَقْصُرُ عَنْ تَوَاتُرِ النِّعْمَةِ
بَعْدَ النِّعْمَةِ ، وَتَطَاهُرِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ الْفَائِدَةِ .

وَأَمَّا الصُّورَةُ الْأُسْطُقُسِيَّةُ ، فَهِيَ لَأَمْعَةٌ لِكُلِّ ذِي حِسٍّ^(٥) بِالتَّنَاطُلِ الْمَوْجُودِ^(٢٠)
فِيهَا ، وَالتَّبَايُنِ الْآخِذِ بِتَصْيِيبِهِ مِنْهَا ، وَلَهَا أَنْقِسَامٌ إِلَى آحَادِهَا ، أَعْنَى أَنَّ صُورَةَ
الْمَاءِ مُبَايِنَةٌ لَصُورَةِ الْهَوَاءِ ، وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْأَرْضِ مُخَالَفَةٌ لَصُورَةِ النَّارِ ،
فَتَحْدِيدُهَا بِمَا يُقَرَّرُهَا مَعَ غَوْصِهَا فِي كُلِّ أُسْطُقُسٍ شَدِيدٍ ، وَاللَّفْظُ لَا يَصْنُفُ ،
وَالْمُرَادُ لَا يَنْبَازُ .

(١) في (ب) «ما» مكان «من» وفي (١) «مسئلة» مكان «مسكة» ؛ وهو تحريف في
كلا اللفظين . والمسك : الجلد . ويريد به هنا الشكل ، أى كل من أشبهه وشاكله . أو يريد
به من كان محبوبا في جسمه مقيدا بمادته .

(٢) في كلتا النسختين : « في آخره » مكان قوله : « في حاضره » ؛ وهو تحريف .
وفي (١) و « غائبه » مكان « وغائبه » الوارد في (ب) وهو ما اختلفناه ليتقابل اللفظان .

(٣) في كلتا النسختين « إلا عقل » وفي قوله « إلا » تحريف ظاهر .

(٤) ندح الشيء : وسَّمِهَ ، وفي كلتا النسختين : و « قدح » بالالف ، وهو تحريف .

(٥) في كلتا النسختين : « حسن » ، وهو تحريف .

(٢١) وَأَمَّا الصُّورَةُ الصَّنَاعِيَّةُ فَهِيَ أَتَيْنُ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَنَّهَا مَعَ غَوَصِهَا فِي مَادَّيْنِهَا بَارِزَةٌ لِلْبَصَرِ وَالسَّمْعِ وَلِجَمِيعِ الْإِحْسَاسِ ، كَصُورَةِ السَّرِيرِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْبَابِ وَالْخَاتَمِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٢٢) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّفْسِيَّةُ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعِلْمِ وَالْعَرَفَةِ وَتَوَابِعِهِمَا فِيمَا يُحَقِّقُهُمَا أَوْ يُخْذِلُهُمَا^(١) وَهِيَ شَقِيقَةُ لِلصُّورَةِ الْعَقْلِيَّةِ بِالْحَقِّ .

(٢٣) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْبَسِيطَةُ فَلَاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْبَسِيطِ مَا يَعْزِزُ رُسْمَهَا إِلَّا بِالْإِيمَاءِ إِلَيْهَا ، فَإِنْ لَحِقَ هَذَا الْإِيمَاءُ سَامِعُهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا طَمَعُ فِي عِبَارَةٍ شَافِيَةٍ عَنْهَا .

(٢٤) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ بَادِيَةٌ لِلْحِسِّ بِأَنْوَارِ الطَّبِيعَةِ فِي مَادَّيْنِهَا ، وَبَادِيَةٌ أَيْضًا لِلنَّفْسِ بِأَنْوَارِ الْعَقْلِ فِي سَيِّجِهِ عَلَيْهَا ، وَكَأَنَّ بَيْنَ الْبَسِيطِ وَالْبَسِيطِ فَرْقًا يَكَادُ الْبَسِيطُ يَكُونُ بِهِ مُرَكَّبًا ، كَذَلِكَ بَيْنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُرَكَّبِ فَرْقٌ يَكَادُ الْمُرَكَّبُ يَكُونُ بِهِ بَسِيطًا ؛ وَهَذِهِ مُجْمَلَةٌ تَفْسِيرُهَا مُعَوِّزٌ .

(٢٥) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْمُنَزَّوْجَةُ فَهِيَ أَخْتُ الصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الصَّافِيَّةُ أَخْتُ الصُّورَةِ الْبَسِيطَةِ ، وَلَيْسَ هَذَا تَمَايُزًا فِي اللَّفْظِ وَاللَّفْظِ ، إِذَا كَانَتَا مُتَصَاحِبَتَيْنِ^(٢) وَلَمْ تَكُونَا مُتَعَامِدَتَيْنِ .

(٢٦) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْيَقْظِيَّةُ فَهِيَ تَجْمُوعَةٌ مِنَ الْإِحْسَاسِ ، لَجَرَيَانِهَا^(٣) عَلَى وَجْدَانِ الْمَشَاعِرِ كُلِّهَا ، وَمَا لَهَا وَبِهَا .

(٢٧) وَأَمَّا الصُّورَةُ النَّوْمِيَّةُ فَهِيَ أَيْضًا مُتَمَيِّزَةٌ عَنْ أَخْتِهَا ، أَعْنَى الْيَقْظِيَّةِ ، لِأَنَّهَا إِغْضَاءُ عَيْنٍ وَفَتْحُ عَيْنٍ ، أَعْنَى أَنَّ النَّائِمَ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِثَالَاتِ الْإِحْسَاسِ

(١) فِي (١) « لَوْعِدَ مِنْهُمَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ : « إِذَا كَانَا مُتَصَاحِبَيْنِ » الْخِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسَخَتَيْنِ « وَجَرَيَانِهَا » بِالْوَاوِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وعَوَارِضِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَفُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ إِلَى وَجْدَانٍ شَيْءٍ آخَرَ يَجْرِي كَظِلِّ الشَّخْصِ مِنَ الشَّخْصِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَادِي الطَّبِيعَةِ أَوْماً إِلَى آثَارِ الْأَخْلَاطِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي النَّفْسِ أَوْماً إِلَى نَضْبِ التَّمَائِيلِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَادِي الْعَقْلِ صَرَاحَ بِحَقَائِقِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ إِمَّا بِالتَّقْرِيبِ وَإِمَّا بِالتَّهْذِيبِ أَعْنَى إِمَّا بِوُقُوعِهِ عَقِيبَ ذَلِكَ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ .

(٢٨) وَأَمَّا الصُّورَةُ الْغَائِبِيَّةُ وَالشَّاهِدِيَّةُ فَقَدْ أُتْصِلَ الْكَلَامُ فِي شَرْحِهَا بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ الصُّورَةِ الْيَقِظِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِيَّةِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الشَّاهِدِ مَقْصُورَةٌ عَلَى وَجْدَانٍ لِلشَّاعِرِ ، وَالْعِبَارَةُ عَنِ الْغَائِبِ مَقْصُورَةٌ عَلَى مَا تَعَلَّقَ^(١) عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَفِي الْغَائِبِ شَاهِدٌ هُوَ الْمَحْظُوظُ^(٢) مِنَ الْغَائِبِ ، وَفِي الشَّاهِدِ غَائِبٌ هُوَ الْمَبْحُوثُ عَنْهُ فِي الشَّاهِدِ ، فَالشَّاهِدُ غَائِبٌ بِوَجْهِهِ ، وَالْغَائِبُ شَاهِدٌ بِوَجْهِهِ ، حَقٌّ إِذَا اسْتَجْمَعَا لَكَ كُنْتَ بَهُمَا فِي شِعَارِهِمَا . وَالْإِلَهِيُّونَ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ هُمُ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ هَذَيْنِ النَّقِطَتَيْنِ ، وَعَلَوْا هَاتَيْنِ الذَّرْوَتَيْنِ ، فَتَوَحَّدُوا عِنْدَ ذَلِكَ بِخَصَائِصِهِمْ ، وَانْسَلَخُوا عَنْ نَقَائِصِهِمْ ، فَلَوْ قُلْتُ : مَا هَؤُلَاءِ^(٣) بِشَرٍّ كُنْتُ صَادِقًا .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ فِي وَصْفِ الْعِصَابَةِ حَيْثُ وَصَفَ فَقَالَ :

فِينَا وَفِيكَ طَبِيعَةٌ أَرْضِيَّةٌ تَهْوِي بِنَا أَبَدًا لِشَرٍّ^(٤) قَرَارٍ
لَكُنْهَا مَقْصُورَةٌ مَأْسُورَةٌ مَغْلُوبَةُ السُّلْطَانِ فِي الْأَحْرَارِ
فَجَسُومُهُمْ مِنْ أَجْلِهَا تَهْوِي بِهِمْ وَنَفُوسُهُمْ تَسْمُو سُمُومَ النَّارِ

(١) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «تَعَلَّقَ مِنْ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ

(٢) فِي (ب) لِلْوُجُودَةِ فِيهَا هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَحْدَهَا دُونَ (١) «الْمَحْظُوظُ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «هَؤُلَاءِ مَا يَبْشُرُ» ، وَفِيهِدْ

تَهْذِيبٌ وَتَأْخِيرٌ وَقَدْ نَاسَخْتُ كَمَا لَا يَخْفَى .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّرْحُ وَحْدَهَا دُونَ (ب) «لِشَرٍّ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لولا مُنَازَعَةُ الْجُسُومِ نُفُوسَهُمْ تَفَذَّتْ بِسُورَتِهَا مِنَ الْأَقْطَارِ
عَرَفُوا لِرُوحِ اللَّهِ فِيهِ فَضْلَ مَا قَدْ آثَرُوا مِنْ صَالِحِ الْأَنَارِ
فَقَنَزَهُوا وَتَسَكَّرَمُوا وَتَعَظَّمُوا عَنْ لُؤْمِ طَبْعِ الطَّيْنِ وَالْأَخْبَارِ
نَزَعُوا إِلَى الْبَحْرِ الَّذِي مِنْهُ أَتَتْ أَرْوَاحُهُمْ وَسَمَّوْا عَنْ الْأَغْوَارِ
وهذا وصفٌ بليغٌ بالإضافة إلى القوم^(١).

فأما ما وراء هذا فهناك خبرٌ ثقة^(٢) بما قرَّرَ وقال :

(٢٩) وأما الصورةُ اللَّفْظِيَّةُ فهي مَسْمُوعَةٌ بِالْآلَةِ الَّتِي هِيَ الْأُذُنُ ، فَإِنْ كَانَتْ عَجَبَاءَ
فَلَهَا حُكْمٌ ، وَإِنْ كَانَتْ نَاطِقَةً فَلَهَا حُكْمٌ ، وَعَلَى الْحَالَيْنِ فَهِيَ بَيْنَ مَرَاتِبِ ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْسِينُ الْإِفْهَامِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا تَحْقِيقُ الْإِفْهَامِ ،
وَعَلَى الْجَمِيعِ فَهِيَ مَوْقُوفَةٌ عَلَى خَاصٍّ مَالِهَا فِي بُرُوزِهَا مِنْ نَفْسِ الْقَائِلِ ، وَوُصُولِهَا
إِلَى نَفْسِ السَّامِعِ ؛ وَلِهَذَا الصُّورَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى إِذَا مَازَجَهَا اللَّحْنُ
وَالِإِبْقَاعُ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَارِ ، فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تُعْطَى أُمُورًا ظَرِيفَةً ، أَعْنَى أَنَّهَا تَلْذُّ
الْإِحْسَاسَ ، وَتُثْلِبُ الْأَنْفَاسَ ، وَتَسْتَدْعِي الْكَامِنَ وَالطَّاسَ ، وَتُرْوِّحُ الطَّبْعَ ،
وَتُنِيمُ الْبَالُ ، وَتُدَّكِرُ بِالْعَالَمِ^(٣) الْمَشُوقِ إِلَيْهِ ، الْمُتَلَهِّفِ عَلَيْهِ .

هَذَا مُنْتَهَى كَلَامِهِ عَلَى مَا عُلِقَ الْخِفْظُ ، وَلَقِنَ الذَّهْنَ ؛ وَلَوْ كَانَ مَأْخُودًا عَنْهُ
بِالْإِمْلَاءِ لَكَانَ أَقْوَمَ وَأَحْكَمَ ، وَلَكِنَّ السَّرْدَ بِاللِّسَانِ ، لَا يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْإِمْكَانِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَهَذَا هَذَا .

قال الوزير : هذا بابٌ في غاية الإيفاء والاستيفاء ، ومن يتحكَّك بالأعتراض

(١) في (١) التي ورد فيها وحدهما هذا الكلام دون (ب) «القول» مكان «القوم» ،
وهو تحريفٌ فيما يظهر لنا .

(٢) في (١) التي ورد فيها هذا الكلام وحدهما دون (ب) «حرسه» ، مكان قوله :
« خبر ثقة » وهو تحريف لا يفهم له معنى . (٣) لعله يريد بالعالم : عالم الروح .

عليه فقد صَنَى^(١) ، وأَبْدَى صَفْحَتَهُ بِالْبُهْتِ ، وَدَلَّ مِنْ عَقْلِهِ عَلَى الدَّخْلِ^(٢) ،
وَمِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَى الدَّخْلِ^(٣) ؛ لَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِهَذَا الرَّجُلِ مَقَامًا عَالِيًا ، وَلَا يَجِبُ فَإِنَّهُ
مُتَوَضِّعٌ بِهَذَا عَمَّا فَاتَهُ .

وقال : أَنَشَدَنِي فِي الْحَجْرِ شَيْئًا غَرِيبًا ، فَأَنَشَدْتُهُ :

(٣٠)

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ يَتَعُ طِرُّ حِينَ يَخْطُرُ فِي مُورِدِ
يَسْتَقِيكَ مَنْ جَفَنَ اللَّجْبِيفِ إِذَا سَقَاكَ دُمُوعَ عَسَجَدِ
حَتَّى تَغْلُنَ الشَّمْسَ تَنْدُ بَزِلُ أَوْ تَغْلُنَ الْأَرْضَ تَصْعَدُ
فَإِذَا سَقَاكَ بِعَيْنَيْهِ وَفِيهِ نَمَّ سَقَاكَ بِالْيَدِ
حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ تَعَا تِ الدَّرُّ مِنْ فَوْقِ^(٤) الزَّبْرِ جَدِ

قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ؛ هَاتِ زِيَادَةَ : فَقُلْتُ :

وَعَذْرَاءُ^(٥) تَرْغُو حِينَ يَضْرِبُهَا الْفَعْلُ كَذَا الْبِكْرِ تَنْزُو حِينَ يَفْتَقُضُهَا الْبَقْلُ
تُدِيرُ عِيُونًا فِي جُفُونٍ كَأَنَّمَا تَحَالِقُهَا بَيْضٌ وَأُحْدَاقُهَا نُجُلُ
كَأَنَّ حَبَابَ الْمَاءِ حَوْلَ إِيَّاهُمَا شَدُورُ^(٦) وَدُرٌّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلُ

(١) صَفَى : مَال .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَجَدَهَا دُونَ (ب) «الرَّجُلِ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيفُ
وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَجَدَهَا دُونَ (ب) «الْحَالِ» ؛ وَهُوَ تَصْغِيفُ ؛
وَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَجَدَهَا دُونَ (ب) هَذَا الشَّعْرَ مَا نَصَحَ :

حَيَّاكَ بِالْيَاقُوتِ فَوْقَ * قِ الدَّرِّ مِنْ تَحْتِ الزَّبْرِ جَدِ

وَهُوَ تَبْدِيلُ مِنَ النَّاسِخِ مَوَاقِفَهُ مَا أَثْبَتْنَا . إِذَا الْحَجَرُ لِلشَّبَّهِ بِالْيَاقُوتِ إِنَّمَا تَكُونُ تَحْتَ الْحَبِيبِ
لِلشَّبَّهِ بِالْدَّرِّ ؛ وَكَلَامًا فَوْقَ الْكَاسِ لِلشَّبَّهِ بِالزَّبْرِ جَدِ .

(٥) يُزِيدُ بِالْعَذْرَاءِ : الْبِكْرِ مِنَ الْحَجَرِ . وَيُرِيدُ بِالْفَعْلِ : الْمَاءَ الَّتِي تَمُزْجُ بِهِ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الشَّعْرَ وَجَدَهَا «أَنَاسًا شَدُودًا» وَهُوَ تَحْرِيفُ فِي
كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

تَوَهَّجَتْ فِي كَأْسِهَا فَكَأَتْهَا تَوَهَّجَتْ شَيْئًا لَيْسَ بِذِكْرِكَ الْعَقْلُ
إِذَا اشْتَبَكَتْ رَجُلًا مِنْ سَوْرَةِ الْكَرَى دَرَجَتْ إِلَيْهَا مِثْلَ مَا يَدْرُجُ الْعَقْلُ
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

وَكَمْ عَائِبٍ لِلْخَمْرِ لَوْ أَنَّ أُمَّه تَبُولُ مُدَامًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَبِيلُهَا
وَلآخر :

خَلِيلُ لَوْمَانِي ^(١) عَلَى الْخَمْرِ أَوْ دَعَا فَإِنْ تَجِدَا عِنْدِي عَلَى اللَّوْمِ مَطْعَمَا
وَشَبَّ ^(٢) سَنَا نَارٍ لَعَلَّ نَدِيمَنَا بَنَجْرَانِ أَنْ يَلْقَى سَنَاهَا فَيَنْبَعَا
فَمَا رَاعَنَا إِذْ أَوْقَدَتْ فَوْقَ رَبْوَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا رَاكِبَانِ قَدْ أَوْضَعَا
فَهَشَّاءَ إِلَيْنَا نِمَ قَالَا : أَلَا أُنْعِمَا مَسَاءً فَقُلْنَا : دَامَ ذَلِكَ لَنَا مَتَا
وَأَنْشَدْتُ لآخر :

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُفْنِنْ وَلَوْ سَقَوْنَا جِبَالِ شِمَامٍ ^(٣) مَا سَقَوْنِي لَفَنَنْتِ
وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الْكَأْسُ لَا تَذَرِي وَلَا الْخَمْرُ مِنْ أَى شَيْءٍ عَجَّلَ الشُّكْرُ
أَسْكَرَنِي مِنْ قَبْلِ شُرْبِي لَهَا مَنْ دَابُّهُ الْإِعْرَاضُ وَالْهَجْرُ
قُلْتُ لَهُ وَالْخَمْرُ فِي كَأْسِهِ ^(٤) كَأْنَهَا فِي كَفِّهِ بِذَرُ

(١) في (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « لوماني » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « وسنا » بالسين والنون ؛ وهو تصحيف .

(٣) شمام : جبل لباهلة له رأسان يسميان ابني شمام ؛ ويضرب بهما المثل في الاجتماع

وعدم الفرقة .

(٤) عبارة (١) التي ورد فيها هذا الشعر وحدها « في كفه » كَأْنَهَا فِي كَأْسِهِ ؛

وهو خطأ من الناسخ ؛ وسيأتي المعنى يتضح ما أثبتنا . إذ المعروف تعبيه الكأس بالبدر ،

لا تشبيه الخمر به .

أَنْتَ لَعَمْرِي الْخَيْرُ يَا سَيِّدِي لَيْسَ الَّذِي سَقَيْتَنِي الْخَمْرُ
آخِرُ :

تَرَكْتَ الْبَيْدَ لِأَهْلِ الْبَيْدِ فَجَارَ لِيَ اللَّهُ فِي تَرْكِهِ
وَقَدْ كُنْتُ قَدْماً بِهِ مُفْجَبًا أَرْوَحُ وَأَغْدُو إِلَى سَفْكِهِ^(١)

نقال : قد جَرَى هذا أيضاً على التَّام . اختتمَ مجلسنا بدُعاء الصُّوفِيَّةِ .
قلتُ : سَمِعْتُ ابْنَ سَمْعُونَ يَدْعُو فِي الْجَامِعِ فِي آخِرِ مَجْلِسِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ^(٣١)
اجْعَلْ قَوْلَنَا مَوْضُوعًا بِالْعَمَلِ ، وَعَمَلَنَا مُحَقَّقًا لِلْأَمَلِ ، وَلَا تُضَايِقْنَا فِيمَا نَتَحَوَّلُ بِهِ ،
وَنَتَقَلَّبُ لَكَ فِيهِ ، وَكَتَّفْ عَلَيْنَا بِسِتْرِكَ ، وَسَوِّغْنَا بِرِّكَ ، وَالْهِمْنَا شُكْرَكَ ،
وَخَفِّفْ عَلَيَّ أَفْوَاحِنَا ذِكْرَكَ ، وَأَخْصُصْنَا بِكَ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِذَلِكَ ؛ اللَّهُمَّ
اسْمَعْ وَأَسْتَجِبْ وَقَرِّبْ . وَأَنْصَرَفْتُ .

الليلة الثامنة والثلاثون

وَجَرَى لَيْلَةً بِمَحْضَرَةِ الْوَزِيرِ — أَعْلَى اللَّهِ كَلِمَتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْظَتَهُ ، وَوَالَى
نِعْمَتَهُ — أَحَقُّ مَنْ دُعِيَ لَهُ ، وَأَشْرَفُ مَنْ بُوِيَّ بِهِ ، وَأَكْمَلُ مَنْ شُوهِدَ
فِي عَصْرِهِ — حَدِيثُ ابْنِ يَوْسَفَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَنَائَتِهِ وَرِثَائَتِهِ ، وَعِبَارَتِهِ^(٢)
وَحَسَّاسَتِهِ .

قلتُ له : عِنْدِي حَدِيثٌ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَزِيرَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، عَافُ بِهِ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الشَّرْ «بَيْتًا» بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ مَكَانَ قَوْلِهِ «سَفْكِهِ»
وَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَعْنًى يَنْسَبُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا لِأَنَّ الْمَرْوَفَ تَشْبِيهُ الْخَمْرِ بِالْمَدَامِ الْمُسْفُوكِ ؛
وَقَدْ جَاءَ هَذَا كَثِيرًا فِي الشُّعْرِ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا السَّكَّامُ وَحْدَهُمَا دُونَ (ب) «وَعِبَارَتِهِ» بِالْبَاءِ وَالْوَحْدَةِ ؛
وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

قال : ما ذاك ؟ قلت : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ قَالَ :
 كُنْتُ فِي الصُّحْبَةِ إِلَى هَـذَانِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ ، وَكُنَّا جَمَاعَةً وَفِينَا ابْنُ حَرْبَارٍ^(١)
 أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ فِي جَنْبِهِ ابْنُ يُوسُفَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ عَصَدَ الدَّوْلَةَ — بِرَدِّ اللَّهِ
 مَضْجَعَهُ — قَالَ لِابْنِ شَاهَوِيَّةَ : سِرُّ إِلَى ابْنِ حَرْبَارٍ^(٢) وَقُلْ لَهُ : يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ
 إِلَى الْبَصْرَةِ وَإِنَّا نَجْعَلُ لَكَ فِيهَا مَعُونَةً ، فَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ عِنْدَنَا ، وَتَوَالَى تَبَرُّؤُنَا
 بِكَ ، وَتَبَرُّؤُكَ بِنَا ، وَلَيْسَ لَكَ بِحَضْرَتِنَا مَا تُحِبُّهُ وَتَقْتَرِحُهُ ، وَالسَّلَامَةُ لَكَ
 فِي بُعْدِكَ عَنَّا قَبْلَ أَنْ يُفِضَى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرِنَا . وَكَلَامًا فِي هَذَا التَّوَعُّعِ .

قال : وَنَفَذَ أَبُو بَكْرٍ وَمَعَهُ آخَرُ مِنَ الْمَجْلِسِ يَشْهَدُ التَّبْلِغَ وَالْأَدَاءَ^(٣) ،
 وَيَسْمَعُ الْجَوَابَ وَالْأَبْتِدَاءَ — عَلَى رَسْمِ كَانَ مَعَهُودًا فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ — فَلَمَّا
 ابْنُ حَرْبَارٍ^(١) وَشَافَهُهُ بِالرَّسَالَةِ عَلَى التَّامِّ ؛ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمِعَ : الْأَمْرُ لَكَ ،
 وَلَا خِلَافَ عَلَيْهِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنَّ النَّاسَ يَجْدُودُهُمْ يَنَالُونَ حُظُوظَهُمْ ، وَبِمَحْظُوظِهِمْ
 يَسْتَعْدِمُونَ جُدُودَهُمْ ؛ وَلَوْ وَفَّقْتُ مَا كَانَ هَجِيمًا ، فَقَدْ نَالَ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ مِنِّي ،
 وَبَلَغَ اللَّيِّ مَنْ أَنَا أَشْرَفُ^(٢) مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْمَقَادِيرَ غَالِبَةٌ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ عَنْهَا
 مَرْتَحِلٌ ؛ وَقَدْ قِيلَ : مَنْ سَاوَرَ الدَّهْرَ غُلِبَ ، وَلَكِنْ أَتَيْهَا الشَّيْخُ لِي حَاجَةٌ :
 أَحِبُّ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَلِكَ كَلِمَةً عَنِّي . قَالَ : هَاتِيهَا ؛ قَالَ : تَقُولُ لَهُ : أَنَا صَائِرٌ إِلَى
 مَا رَسَمْتَ ، وَمُمْتَحِلٌ مَا أَمَرْتَ ، بَعْدَ أَنْ تَقْضَى لِي وَطَرًا فِي نَفْسِي ، قَدْ تَقَطَّعَ
 عَلَيْهِ نَفْسِي ، وَذَلِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ فَيُقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَيَضَعُغَانِهِ
 مَائَتَيْنِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : إِذَا لَمْ تَبْذُلْ جَاهَكَ لِمَتْلَهْفٍ ، وَلَا عِنْدَكَ فَرَجٌ لِمَكْرُوبٍ ،

(١) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي الْأَصُولِ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى تَصْحِيحِهِ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِيهِ ابْنُ
 « حَذْقَار » فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَهْمَانِهِمْ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا هَذَا الْكَلَامُ وَحَدَّثَهَا « وَالْآرَاءُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ « أَشْف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

ولا يرثي لضعيف ، ولا عطاء لسائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرثي لمُنْتَجِع ،
ولا مأوى لضعيف ، فلم يُخاطَبُ بسيدنا ، وتُقبَلُ لك اليدُ ، ويقامُ لك إذا طَلَعْتَ ؟؟
قال ابن شاهويه : فقبِلَ أن لقيتُ الملكَ أفصحَ ^(١) له الذي كان معي مُشْرِفاً
على . فلما دَخَلْتُ الدارَ عُرِفْتُ ، فقال : على به ، فحضرتُه وابنُ يوسفَ قاعدُ
بين يديهِ على رُسمِهِ . فقال لي : هاتِ الجوابَ عما نَعَذَّتْ فيه ؛ فقلت : الجوابُ
عندك ، فقال : ما أعجَبَ هذا ! أنتَ حُمِلْتَ الرسالةَ وأطالِبُ غيرَكَ بالجوابِ ؟
قال : فلو لَوِيتُ حياءَ من ابنِ يوسفَ ، فقال : هاتِ يا هذا الحديثَ بقصَّة ، فوالله
لا أفنَعُ إلا به ، ما هذا التواني والتكاسلُ ، فكرهتُ اللجاجَ ، فسردتُه على
وجهه ، ولم أغادر منه حرفاً ، وابنُ يوسفَ يتقدَّدُ في إجابته ^(٢) ، ويتغير ^(٣) وجهه
عند كلِّ لفظَةٍ تمرُّ به ، فأقبلَ عليه الملكُ وقال : كيفَ ترى يا أبا القاسمِ
الكيسَ ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضي الحاجةَ بك ، فإذا لمَ تَقضِها كيفَ
أكون ؟ فإن الحوائجَ كلها إليك .

قال : صدَقْتُ ، أنا لا أقضي حاجةً لك ، لأنك لا تَقْصِدُ بها وجهَ الله ،
ولا تَبْنِي بها مكرُمةً ، ولا تَحْفَظُ بها مِرْوَءَةً ، وإنما تَرْتَشِي عليها ، وتُصَانِعُ
بها ، وتَجْعَلُنِي باباً من أبوابِ تجارتِكَ وأرباحِكَ ، ولو كنتَ أعلمُ أنكَ تَقْضِي
حاجةَ اللهِ أو لِمَكْرُمةٍ أو لِرَحمةٍ ورِقَّةٍ لكانَ ذلكَ مَهْلاً على ، وخفيماً عِنْدِي ،
لكنَّكَ مَعْرُوفُ المَذْهَبِ في الطَّمَعِ والحيلةِ ، وجَرُّ النارِ إلى قُرْصِكَ ، وشَرِّهِكَ
في جَمِيعِ أحوالِكَ ؛ وليس الذَّنْبُ لك ، ولكن لمن رآكَ إنساناً وأنتَ كُلبٌ .

(١) في كلا الأصلين : « ما أفصح » . و « ما » زيادة من الناسخ .

(٢) في (ب) « في ثيابه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) « يتغير » .

وَصَدَقَ — صَدَقَ اللَّهُ قَوْلَهُ — فَإِنَّهُ كَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَأَتَمَّ النَّاسِ ،
وَأَقْدَرَ النَّاسِ ، لَا مَنَظَرَ وَلَا مَخْبَرٍ .

وكانت أئمة مُفَنِّيةً مِنْ أَهْلِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُوهُ مِنْ أَسْقَاطِ النَّاسِ ، وَنَشَأَ مَعَ
أَشْكَالِهِ ، وَكَانَ فِي مَكْتَبِ^(١) الرَّبَّيْضِيِّ عَلَى أَحْوَالٍ فَاحِشَةٍ ، وَوَرَقَ زَمَانًا ، نَمَّ
إِنَّ الزَّمَانَ نَوَّهَ بِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ ، وَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ ، وَالْأَيَّامُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ؛
وَكَمَا يَسْتَقْطُ الْفَاضِلُ إِذَا عَانَدَهُ الْجَدَّةُ ، كَذَلِكَ يَرْتَفِعُ السَّاقِطُ إِذَا سَاعَدَهُ الْجَدَّةُ
فَهَذَا هَذَا ؛

فَقَالَ : مَا كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي ، وَإِنَّهُ لَمِنْ الْغَرِيبِ .
ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ خَبَرُكَ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي عَرَضَتْ وَانْتَشَرَتْ ، وَتَفَاقَمَتْ
وَتَمَاطَلَتْ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : خَبَرٌ مِنْ شَهِيدٍ أَوَّلَهَا ، وَغَرِقَ فِي وَسْطِهَا ، وَنَجَّى فِي آخِرِهَا .
قَالَ ؛ حَدَّثَنِي فَإِنَّ فِي رِوَايَتِهِ وَسَمَاعِهِ تَبَصُّرَةً وَتَعْجُّبًا ، وَزِيَادَةً فِي التَّجَرُّبَةِ .
وَقَدْ قِيلَ : تَجَارِبُ الْمُتَقَدِّمِينَ ، مَرَّاتٍ^(٢) الْمُتَأَخِّرِينَ ، كَمَا يُبْصَرُ فِيهَا مَا كَانَ ،
يُبْتَصَّرُ بِهَا فِيمَا سَيَكُونُ ، وَالشَّاعِرُ قَدْ قَالَ :

وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ بِأَوَّلِهِ نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
وَلَيْسَ مِنْ حَادِثَةٍ مَاضِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ تُعَرِّفُكَ الْخَطَأَ وَالصَّوَابَ مِنْهَا لِتَكُونَ عَلَى
أَهْتَى فِي أَخْذِكَ وَتَرْكِكَ ، وَإِقْدَامِكَ وَنُكُوكِكَ ، وَقَبْضِكَ وَبَسْطِكَ ، وَهَذَا
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى كُلُّ الْوَقَايَةِ ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِي التَّهْلُكَةِ كُلُّ الْإِلْقَاءِ .

(١) فِي (ب) «مَكْتَبٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَفِي (أ) «الرَّمْضَى» بِالْمِيمِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) «مَرَّاتٍ» ، وَفِي (ب) «مَرَّاتٍ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

كان أول هذه الحادثة الفظيعة البَشِعة التي حَيَّرَت العقول وولَّهت الأبواب ،
وسافَرَ عنها التوفيق ، وأستولى عليها الخِذلان ، وعُدِمَت فيه البصائر ، شَيْءٌ كَلَّا
شَيْءٌ ، وإذا أراد الله [تعالى ذكره] أن يُعْظِمَ صغيراً قتل ، وإذا شاء أن يُصَغِّرَ
عظماً قَدَرَ ، لَهُ الخَلْقُ والأمر ، ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، ولا رادَّ لِقَضَائِهِ ، ولا صَارِفَ
لِقُدْرِهِ ؛ وقُدْرَةُ الإنسان محدودة ، وأستطاعته مُتَنَاهِيَةٌ ، وأختيَارُهُ قَصِيرٌ ، وطَاقَتُهُ
مَعْرُوفَةٌ ؛ وكلُّ ما جاوز هذا الحَدَّ وهذا ^(١) التَّنَاهَى فهو الذي يَجْرِي على الإنسان
شاءَ أَوْ أَبِي ، كَرِهَ أَوْ رَضِيَ ، وماهُنَا يُفْرَغُ إلى الله مِنْ نازِلِ الْمَكْرُوهِ ،
وحَادِثِ الْمَحْذُورِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الرُّومَ تَهَايَجَتْ على المُسْلِمِينَ ، فَسَارَتْ إلى نَصِيبِينَ بِجَمْعٍ عَظِيمٍ
زَائِدٍ على مَا عَهِدَ على مَرَّ السَّنِينَ ، وَكَانَ هَذَا فِي آخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، خَافَ ^(٢)
النَّاسُ بِالْمَوْصِلِ وَمَا نَوَلُوا ، وَأَخَذُوا فِي الْأُنْحَادِ على رُغْبٍ قَذِيفٍ فِي قُلُوبِهِمْ ،
لِيَكُونَ سَبَباً لِمَا صَارَ إِلَيْهِ [الأمر] ؛ وَمَا جِئَ النَّاسُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ وَأُضْطَرُّوا ،
وَتَقَسَّمَ هَذَا الْمَوْجُ والأُضْطِرَابُ بَيْنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَصَارَتِ الْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ،
طَائِفَةٌ تَرَقَّى لِلَّذِينَ وَلِمَا دَهَمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَسْتَفْظِمُ ذَلِكَ فَرَقاً مِمَّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، بَعْدَ
مَا يُؤْتَى عَلَيْهِ ؛ وَطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا فِي الْعَيْثِ وَالْفَسَادِ ، وَالنَّهْبِ وَالْقَارَةِ
بِوَسَامِلَةِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وافتَرَقَتِ الْخَاصَّةُ أَيْضاً فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَاجَةً ^(٣)
لِلْإِسْلَامِ ، وَنُهَوِضَ إِلَى الْفِرَاقِ ، وَانْبِعَاثَ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ قَدْ أَضْرَبَ

(١) في (ب) ؛ « وهو » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (١) « خلق » ؛ وهو تحريف .

(٣) في (ب) « حيا » ؛ وهو تحريف .

السلطان عن هذا الحديث ، لأنهما كِه في القصف والعزف ، وإغراضه عن المصلح الدينية ، والخيرات السياسية ؛ وطائفة اختارت السكون والإقبال على ما هو أحسن لمادة الثوب والهنج ، وأقطع اشغب الشاغب ، وأقع غلاف التهم ؛ فإن الاختلاف إذا عرض خفي موضع الاتفاق ، والتبس الأمر على الصغار والكبار ؛ وبمثل هذا فتحت البلاد ، وميلت الحصون ، وأزيلت التعم ، وأريق الدماء ، وهتكت المحارم ، وأيدت الأمم ؛ ونمود بالله من غضب الله ومما قرب من [سخط] الله ؛ وإذا أراد الله أمرا كثر بواعيه ، وفرق نوابه ^(١) .

ولما اشتعلت النائرة ، واشتعلت النائرة ، صاح الناس : التغير التغير ، وإسلامه ، وأحمداه ، واصومه ، واصلاته ، واحجته ، واغزواه ، وأمره ، في أيدي الروم والطغاة . وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى الكوفة لصيد ، ولأغراض غير ذلك ؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأمثال والوجوه والأشراف والعلماء ، وكانت النتيجة ^(٢) بعد حسنة ، وللناس في ظل السلطان مبيت ومقيل ، يستعذبون ورد ، ويستسهلون صدره ، وعجوا وضجوا ، وقالوا : الله الله ، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال الفقراء ؛ وأغضبوا لله ولدينه ؛ فإن هذا الأمر إذا تفاقم تعدى ضعفاءنا إلى أقويائنا ، وبطل رأي كبرائنا في تدبير صغرائنا ؛ والجدارك واجب ، وهو الإسلام ، إن لم ندب عنه غلب الكفر ، وهو الأمن والسكون إن لم يحفظا ، فهو الخوف والبلاء وذهاب الحرث والنسل ،

(١) في كلتا النسختين : « نوابه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

ونواب الأمر : مثيرات دفينة ومظهرات خفية .

(٢) في (١) « الثقة » وفي (ب) « البقية » وفي (١) « تعد » مكان قوله « بعد » ؛

وهو تحريف .

وَفَضِيحَةُ الْوَلَدِ وَالْأَهْلِ . فَسَكَنَ الْمَشَاحِجُ مِنْهُمْ ، وَطَلَبُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَقَوَّوْا مِنْهُمْ
وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرْتَوُوا^(١) فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا اللَّهَ
ضَارِعِينَ ؛ وَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ : أَبُو تَمَّامِ الزَّيْنَبِيُّ ، وَعَمَدُ
ابْنُ صَالِحِ بْنِ شَيْبَانَ ، وَابْنُ مَعْرُوفِ الْقَاضِي ، وَابْنُ غَسَّانِ الْقَاضِي ، وَابْنُ
مُسْكِرَمَ — وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّهُودِ فِي سُوقِ^(٢) يَحْتَجِي — وَابْنُ أَيُّوبَ الْفُطَّانِ
الْعَدْلُ وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْفَقِيهَ ، وَعَلِيُّ بْنُ عَيْسَى وَالْعَوَّامِيُّ صَاحِبُ الزَّيْبَرِيِّ^(٣) ،
وَابْنُ رُبَاطٍ شَيْخُ الْكَرْنَجِ ، وَنَائِبُ الشَّيْعَةِ^(٤) وَلِسَانُ الْجَمَاعَةِ ، وَابْنُ آدَمَ
التَّاجِرِ^(٥) ، وَالشَّالُوسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ يَطُولُ ذِكْرُهُمْ ؛ وَتَشَاوَرُوا
وَتَفَاوَضُوا ، وَقَلَّبُوا الْأَمْرَ ، وَشَعَبُوا الْقَوْلَ ؛ وَصَوَّبُوا وَصَعَّدُوا ، وَفَرَّبُوا وَبَعَّدُوا^(٦)
وَالْيَأَمُّ لَمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ الْأَمِيرِ بِخَتِيبٍ إِلَى الْكَرْفَةِ وَتَلْقَاهُ
وَتُعَرِّفَهُ^(٧) مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ السَّلَامِ مِنَ الْأَهْتَامِ ؛ وَأَنَّ الْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ،
وَأَنَّ الذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ ؛ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ نَظِيرٌ
سَائِسٌ لَمْ يُفِضْ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الشَّنَاعَةِ ؛ وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعَ لِلَّهِ إِنَّمَا وَلَّاهُ
مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَقِيقُظَ فِي لَيْلِهِ ، مَتَمَكِّرًا فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا ، وَيُنْفِذَ فِي نَهَارِهِ أَمْرًا
وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِعَمْرِ أَشَدِّ الدِّينِ ، وَمَنَافِعِ الدَّانِينَ وَالْقَاصِينَ^(٨) وَإِلَّا فَلَا طَاعَةَ ؛

(١) في كلتا النسختين : « يرتوا » بالثاء وسقوط الهمز ؛ وهو تحريف .

(٢) سوق يحيى كانت في الجانب الشرق من بغداد ، كانت بين الرصافة ودار الملكة ؛

وهي منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي ؛ وهي محلة ابن حجاج الشاهر المعروف .

(٣) في (ب) « الزهرى » مكان « الزبيرى » .

(٤) في (أ) « ونائب الشيعة » وفي (ب) « باب الشيعة » . وهو تحريف في كلتا النسختين .

(٥) في (ب) « الشاهر » .

(٦) في (أ) « وقعدوا » ؛ وهو تحريف .

(٧) في (ب) « وتعلمه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٨) كذا في (ب) . والذي في (أ) « الواردين والقاصدين » ؛ وما أثبتناه أولى بالسياق .

وكلاماً على هذا الطابع ، وفي هذا النسخ ؛ فاتفق جماعة على صريمة الرأي في الحركة إلى الكوفة ، منهم أبو كعب الأنصاري ، وأبو الحسن مذرّة القوم ، وعلى ابن عيسى ، والعمامي ، وابن حسان القاضي صاحب الوقوف ، وأبو أحمد الجرجاني القاضي البليغ ، وابن سيار القاضي أبو بكر ، وأبو بكر الرازي .
وأما جمل ، فإنه ذكر ما به من وجع النقرس ، واستعفى .

وأما أبو سعيد السيرافي ، فإنه ذكر ضعفاً وسناً ، وقال : أنا ^(١) أعين في هذه النائية بإقامة رجل جليل مزاحمة العلة بالفرس والسلاح ، وقعد الجمل التغير ، وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد ، وانتظرتة ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم — وكان وافر الحظ من سوء الأدب ، قليل التبعاشي من أهل الفضل والحكمة — ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز النفاذ عنه ، والإمسك دونه ، فأذن ^(٢) لهم بين اللزب والعمّة ، فجلسوا بحضرته كما اتفق من غير ترتيب ، فقال : تكلموا .

فقال أبو الوفاء المهندس لأبي بكر الرازي : تكلم أيها الشيخ ، فإنك رضا الجماعة ، ومقتنع المصابة .

فقال أبو بكر : الحمد لله الذي لا موهبة إلا منه ، ولا بلوى إلا بقضائه ، لا مفزع إلا إليه ، ولا يسر إلا فيما يسره ، ولا مصلحة إلا فيما قدره ؛ له الحكم وإليه الأسير ، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله للبعوث ، إلى الوارث والموروث ؛ أما بعد ، فإن الله [تعالى] قد حص على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين ،

(١) في (١) « لا » ، وهو تحريف .

(٢) في (ب) « فأمر » .

والذَّبُّ عن الحرِّيم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح، والزمان المطئن؛ فكيف إذا اضطرب الجبل وانتكشت مريته، وأبرز مَصُونُهُ، وعُرِّيَ حرِّيمُهُ بالاستباحة؛ ونيل جانبه بالضم، وضعف مناره بالرغم، وقصد ركنه بالهدم، وأنت أيها^(١) المولى من وراء سُدَّة أمير المؤمنين المطيع لله، والحامل لأعباء حُمَمَانِهِ، والناهض بأثقال نوائبه وأحداثه؛ والمفرغ إليك، والمؤول عليك، فإن كان منك جدٌّ وتسميرٌ فما أقرب الفرج بما قد أظلم وأزيج، وإن كان منك تَوَانٍ وتقصيرٌ فما أصعبه من خطب؟ وما أبعدَه من شعب ١١ وقد جثناكَ نُحَقِّقُ عندك ما بَلَغَكَ من تَوَسُّط هذه الطاغية أطراف اللّوَصِيل وما والاهما، وأنَّ الناس قد جَلَوْا عن أوطانهم، وفَتِنُوا في أديانهم^(٢) وضعفوا عن حَقِيقَةِ إيمانهم؛ للرَّغْبِ الذي أَذْهَلَهُم، والخَوْفِ الذي وَهَلَهُمْ؛ وإِنَّمَا هُمْ بَيْنَ أَهْقَالٍ صِغَارٍ، ونِسَاءٍ ضِعَافٍ، وشيوخٍ قد أَخَذَ الزَّمانُ منهم، فهم أرضٌ لكلِّ واطئ، ونَهْبٌ لكلِّ يد؛ وشباب لا يَقْضُونَ لعدوِّهم لِقْلَةً سَلاحِهِمْ، وسوء تَأْتِيهِمْ^(٣) في القِرَاع والدِّفاع؛ ونحن نَسْتَلِكَ أن تَهْوِيَّ في أُمَّةٍ تَحْمِدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يَزِفُكَ عنده، ويكون لك في ذلك دُخْرٌ من مَنَافِعَتِهِ وبُخْتِيَارِ مُطَرِّقٍ.

ثم اندفع على بن عيسى فقال: أيها الأمير، إن الصغير يتدارك قبل أن يكبر، فكيف يجوز ألا يستقبل بالجدِّ والأجتهاد وهو قد عسا وكبر. والله إن^(٤) بنا إلا أن يظنَّ أهل الجبل وأذربيجان وخراسان أنه ليس لنا ذابٌّ

(١) كذا في (ب). وجملة (١) «وأنت أمير الأمير المولى ما وراء سيده»، ولا يخفى

ما فيها من اضطراب.

(٢) في (١) «ديارهم»؛ وهو تحريف.

(٣) كذا في (ب)؛ والذي في (١) بأسهم؛ وهو تحريف إذ أن سوء البأس في هذا الموضع

مما يحمد لا مما يباب. (٤) «إن» في هذا الموضع نافية بمعنى «ما».

عن حريمنا ، ولا ناصرٍ لِدِينِنَا ، ولا حافظٌ لَبَيْضَتِنَا ، ولا مُفَرِّجٌ لَكُرْبَتِنَا ،
ولا مَنْ يَهْمُهُ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِنَا ، فَاللهُ اللهُ ، لا تَجُرَّنْ عَلَيْنَا شَمَاتَتَهُمْ بِنَا ،
وَحُذْ بِأَيْدِنَا بِقُوَّتِكَ ، وَحُسْنِ نِيَّتِكَ ، وَحَمِيدِ طَوْبِكَ ، وَعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ ،
وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْوَانِكَ ، وَأَكْتُبْ قَبْلَ هَذَا إِلَى عُدَّةِ الدَّوْلَةِ بِمَا يَنْبَغُهُ عَلَى حِفْظِ
أَطْرَافِهِ ، وَحِرَاسَةِ أَكْنَافِهِ ، مَعَ اسْتِظْلَاحِ الرَّأْيِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَمُطَالَعَةِ
أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَأْيِكَ وَمَشُورَتِكَ .

ثم رفع الأنصارى رأسه وقال : ليس في تَكْرِيرِ الكلام — أطلال الله
بقاء الأمير — فائدةٌ كبيرة ، ولئن كانَ الإيجازُ في هَذَا الباب لا يَكُنِّي ،
فَالإِطْلَاقُ فِيهِ أَيْضًا لَا يُغْنِي ، وَاللهُ لَوْ نَهَضَتْ بِنَا وَنَحْنُ أَحْرَاضٌ ^(١) كَمَا تَرَى
لَا نُقَلِّبُ مَحْصَرَةً ^(٢) بَكْفٍ ، وَلَا نَزْمِي دُخْرُوجَةً ^(٣) بَيِّدٍ ، وَلَا نَعْرِفُ سِلَاحًا
إِلَّا بِالْأَسْمِ ، لَنَهَضْنَا وَمِيرْنَا تَحْتَ رَأْبَتِكَ ، وَتَصَرَّفْنَا بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ،
وَقَدَّيْنَاكَ بَارِزًا وَاحِدًا ضَنًّا بِكَ ، وَبَعَثْنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ أَحْدَانَنَا وَأَوْلَادَنَا الَّذِينَ
رَبَّيْنَاهُمْ بِنِعْمَتِكَ ، وَخَرَجْنَاهُمْ فِي أَيَّامِكَ ، وَأَذْخَرْنَاهُمْ لِلنَّوَازِلِ إِذَا قَامَتْ ،
وَالْحَوَادِثِ إِذَا تَرَامَتْ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قَلَّةٌ فَخُذْ مِنْ مُوسِرِنَا وَمَنْ لَهُ فَضْلٌ
فِي حَالِهِ ، فَإِنَّهُ يُفَرِّجُ عَنْهُ طَاعَةً لَكَ ، وَطَمَعًا فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الثَّوَابِ .

(١) في (ب) «أحراس» بالصاد ؛ وهو تصحيف . والأحراس : جمع حرس بالتحريك
وهو الكال العلي والعرف على الملائكة .

(٢) في (١) «محصرة» بالحاء المهملة ؛ وفي (ب) «محصرة» بالحاء المهملة والصاد المعجمة
وهو تصحيف في كلتا النسخين . والمحصرة : ما يتوكل عليه من عصا ونحوها .

(٣) في كلتا النسخين «محبوحة» وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يتناسب السياق ، ولعل
صوابه ما أئبنا . والدخروجة : ما يدخره الجمل من البندق ، أو لعله حادثة بالتحريك
يحال تراموا بالحدج وهو الحنظل الصغير .

وقال التَّوَّابِيُّ^(١) : والله ما مُثِّمَتِ لِلدَّوْلَةِ عِزًّا ، إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ — تعالى — قد ذَخَرَكَ لِلْمُسْلِمِينَ كَنْزًا ، وجعل لم على يَدَيْكَ وبتدبيرك راحةً وفوزًا ، ولم يُعَرِّضْكَ لِهَذِهِ الْقَادِحَةِ إِلَّا لِيُخَصِّصَكَ بِإِنْفِرَاجِهَا [عَلَى يَدِكَ] وَيُبْقِيَ لَكَ بِهَا ذِكْرًا يَطْبِقُ الْأَرْضَ وَيَبْلُغُ أُمَرَاءَ خُرَاسَانَ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ فَيُصِيبَهُمُ الْحَسَدُ عَلَى مَا هِيَ^(٢) اللَّهُ لَكَ مِنْهَا .

وَنَظَرَ بِخُتْيَارٍ إِلَى ابْنِ حَسَّانِ الْقَاضِي — وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ — فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَمَا الْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ ، وَالْمَصَاقِقُ الْأَلْبَاءُ ؛ وَإِنْ سِرَّاجِي لَا يَزِدُّهُرْفِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنْ سَحَابِي لَا تَبِلُ عَلَى بِلَالِهِمْ^(٣) : وَقَدْ قَالُوا فَأَنْعَمُوا^(٤) ، وَجَرَوْا^(٥) فَأَمَعَمُوا ، وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ أَمَامٌ ؛ لَكِنِّي أَقُولُ : مَا بَحْشَمُنَا إِلَيْكَ هَذِهِ السَّكَلُفُ إِلَّا لِتَنْظُرَ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْتَانِنَا^(٦) وَقَلَّةِ أَعْوَانِنَا^(٧) ، لِأَنَّا^(٨) رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا ، وَالْأَهْتِمَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَمُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ الدَّوْلَةِ : مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ الْبِلَادَ ، وَاقْدَأْشَرَفْتُ عَلَيْهِ ، وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَشُّمَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَمَا أُعْجِبَنِي

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « الْعِرَاقِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا أَخْلَا بِمَا سَبَقَ .

(٢) فِي (ب) « وَهَبَ » مَكَانَ قَوْلِهِ « هَيَّا » ؛ وَالْمَعْنَى بِسْتَفِيمٍ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٣) الْبِلَالُ بِكَسْرِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا : الْمَاءُ .

(٤) أَنْسَمُوا : جَوَّدُوا .

(٥) فِي (أ) « وَحَرَّرُوا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « شَأْنُنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا ، كَمَا أَنَّ فِي (أ) وَحْدَهُمَا « وَغُلُو » بِالْفَتْحِ مَكَانَ الْمَهْلَةِ ؛ وَهُوَ تَضْعِيفٌ أَيْضًا .

(٧) فِي (أ) « إِخْوَانُنَا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « لَكِنَّا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، فَإِنَّ الْأَسْتِثْنَاءَ هُنَا غَيْرُ مَفْهُومٍ .

هذا التفرُّيعُ مِنَ الصَّغِيرِ والكَبِيرِ ، وما كَانَ يَمْجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسَرَ عَلَى هَذِهِ
الْكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِالْعَيْشِ مَعَهَا ، وَلَعُمْرِي إِنَّ الْعَقْلَةَ [عَلَيْنَا] أَغْلَبَ ، وَالسُّهُوَّ
فِينَا أَغْمَلَ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ ^(١) مَنَى تَهْنِجِينَ شَدِيدَ ، وَتَوْبِيخٌ فَاحِشٌ ، وَإِنَّ
هَذَا الْجُلُوسَ لَمَّا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِالزَّائِدِ وَالنَّاقِصِ ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ ، وَإِنَّكُمْ
لَتَبْظُنُّونَ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوَلَا يَتَنَبَّيْ لِأُمُورِكُمْ ؛ كَلَّا ، وَاسْكُنْ
كَمَا تَكُونُونَ بِوَلِّيٍّ عَلَيْكُمْ ؛ هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ ؛ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
تَكُونُوا اشْتَبَاهِي كَمَا وَلَيْتُكُمْ ، وَلَوْ لَا ^(٢) أَنَّنِي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ، لَمَا جُمِلْتُ قِيَمًا
عَلَيْكُمْ ؛ وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ وَعَظُّ غَيْرِهِ ، وَتَهْنِجِينَ
سُلْطَانِهِ ؛ أَيْظُنُّ هَذَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ أَنَّنِي غَيْرُ عَالِمٍ بِغَفَاةٍ ، وَلَا عَارِفٍ
بِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ؛ يَلْقَانِي بِوَجْهِ صُلْبٍ ، وَلِسَانٍ هَذَّارٍ يُرَى
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْحَسَنُ الْبَهْرِيُّ يَعْظُ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ ، أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ
يَأْتُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ ابْنُ التَّمَاكِ يُرْهِبُ الْفُجَّارَ ؛ هَذَا قَبِيحٌ ، وَلَوْ سَكَتُ عَنْ هَذَا
لَكَانَ عِيًّا وَعَجْزًا ؛ جَزَى اللَّهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ شَيْخَنَا خَيْرًا حِينَ جَلَسَ ، وَكَذَلِكَ
أَحْسَنَ اللَّهُ عَنَّا مَكَافَاةَ أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَافِيِّ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ أَنَّ فِي مُسَاعَدَةِ تَكْمُلِ
رُشْدِنَا لَمَّا تَوَقَّفَ ؛ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ — يُرِيدُ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى — فَوَحَقَّ أَبِي
إِنِّي لِأَحِبُّ لِقَاءَكَ ، وَأَوْثَرُ قُرْبِكَ ، وَلَوْلَا مَا يَبْلُغُنِي مِنْ مُلَازِمَتِكَ لِمَجْلِسِكَ ،
وَتَذَرِيكِ لِمُخْتَلِفَتِكَ ^(٣) ، وَلَمْ أَكْتُبْكَ عَلَى كِتَابِكَ فِي الْقُرْآنِ ، لَفَلَّيْتُكَ عَلَى
ذِمَّتِكَ ، وَلَا أَسْتَكْثِرُتُ مِمَّا قَلَّ حَظِّي مِنْهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَمَا مَدْفُوعٌ

(١) فِي (١) « رَأَيْتُمُوهُ مِنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) « وَلَوْ أَنِّي » ؛ وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى .

(٣) الْمُخْتَلَفَةُ : الَّذِينَ يَتَمَلَّحُونَ مِنْهُ .

إليها ، فإنها وازعة على هوى النفس ، وطاعة الشيطان ، ومنازعة الأَكفَاء ،
وجمع المال ، وأخذه من حيث يحبُّ أولاً يحبُّ ، وتفرقته فيمن يستحقُّ
ومن لا يستحقُّ ، وإلى الله أنزع في قليل أمرى وكثيره ، إذا شئتم .

قال لي أبو الوفاء — وهو الذي شرح لي المجلس من أوّله إلى آخره — :
لقد شاهدتُ من عِزِّ الدولة في ذلك المجلس المنصور^(١) في حِجْدَه وشهامته ، وثبات
قلبه وقوّة لسانه ، مع بجمعٍ لذيذٍ ولشعةٍ حلوة .

قال : ولقد قلتُ له بعد ذلك : أيّها الأمير ، ما ظننتُ أنك إذا خلقت رِداءك
ونزعتَ حِذاءك تقول ذلك المقال ، وتَجُولُ ذلك الجال ، وتَنالُ ذلك المال ،
لقد أنصرفتَ ذلك الرَّهْطُ عَلَى هَيْبَةٍ لَكَ شَدِيدَةٍ ، ومعظمٍ بالغ ، ولقد تَدَاوَلُوا
لفظك ، وتَدَبَّعُوا مَعَانِيكَ ، وتَشَاحَوْا^(٢) عَلَى نَظْمِكَ ، وقالوا : ما يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
أَنْ يُسِيءَ ظَنَّهُ بِأَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ وَالْعِيَانِ ، وإلا بَعْدَ الشَّهَادَةِ وَالْبَيِّنَاتِ ؛
ألهذا يقال له مُتَخَلِّفٌ أَوْ نَاقِصٌ ؟ لِلَّهِ دَرَهُ مِنْ شَخْصٍ ! وَلِلَّهِ أَبُوهُ مِنْ فَتَى مِدْرَه !
ولما بَلَغَ هَذَا الْجُلُوسُ الَّذِينَ قَعَدُوا عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ — أَغْنَى عِزُّ الدَّوْلَةِ —
حَدُّوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَعَلَسُوا أَنَّ الْخَيْرَةَ كَانَتْ قَرِينَةً أَخْتِيَارَهُمْ .

قال الوزير : قرأتُ ما دَوَّنَهُ الصَّابِي أَبُو إِسْحَاقَ فِي (التَّاجِي) فما وَجَدْتُ
هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ . قلتُ : لعله لم يَقَعْ إِلَيْهِ ، أو لعله لم يَرِ الْقَطْوِيلَ بِهِ ، أو لعله لم
يَسْتَحْفَ ذِكْرَ عِزِّ الدَّوْلَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . قال : هَذَا مُمَكِّنٌ ؛ فَبَلَّ سَمِئَتَ فِي
أَيَّامِ الْفِتْنَةِ بَغْرِيَّةٌ ؟

(١) يريد بالمنصور أبا جعفر الخليفة العباسي المبروف .

(٢) تشاحوا على نظمك ، أى أن كلا منهما ضمن بما يحفظه منه على صاحبه ، وفي (ب)

« وتسايموا » ؛ وهو تحريف .

قلتُ: كلُّ ما كُتِبَ فيه [كان] غريباً بديعاً، عجيباً شديداً، حصلَ لنا
مِنَ العَيَّارِينَ قَوَادٍ^(١)، وأشهرُهم^(٢) أبو كَبْرَوَيْه، وأبو الدَّود^(٣)، وأبو الذُّباب،
وأُسودُ الزُّبْد، وأبو الأَرْضِ^(٤)، وأبو النَّوَاجِح، وشُنَّت الغارة، واتَّصل
النَّهْب، وتَوَالَى الحَرِيقُ حتى لم يَصِلْ إلَيْنَا لِلَّهِ مِنْ دِجَلَةٍ، أعْنَى الكَرْمِخ.

فَإِنْ غَرِيبٌ مَا جَرَى أَنَّ أُسودَ الزُّبْدِ كَانَ عَبْدًا يَأْوِي إِلَى قَنْطَرَةٍ^(٥) الزُّبْدِ
وَيَلْتَقِطُ النَّوَى وَيَسْتَقِيمُ مِنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْمَكَانِ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ، وَهُوَ عُرْيَانٌ
لَا يَتَوَارَى إِلَّا بِخُرْقَةٍ، وَلَا يُؤْتِيهِ لَهْ، وَلَا يُبَالِي بِهِ، وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرًا، فَلَمَّا حَلَّتِ
الْقَنْطَرَةُ^(٦) أعْنَى لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، وَقَشَا الْمَرْجُ وَالرَّجْجُ، وَرَأَى هَذَا الْأُسودُ مِنْ
هُوَ أَضْمَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ، طَلَبَ سَيْفًا وَشَعَدَهُ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ
وَسَلَبَ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِي مَسْكِ إِنْسَانٍ، وَصَبَّحَ وَجْهَهُ، وَعَذَّبَ لَقْظَهُ،
وَحَسَنَ جِسْمَهُ، وَعُشِقَ وَعَشِقَ، وَالْأَيَّامُ تَأْتِي بِالنَّرَائِبِ وَالْعَجَائِبِ، وَكَانَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ: الْمُتَعَبِّرُ كَثِيرٌ، وَالْمُتَعَبِّرُ قَلِيلٌ. فَلَمَّا دُحِيَ قَائِدًا وَأَطَاعَهُ

(١) في (١) « قول » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « وأسمائهم » .

(٣) في كلتا النسختين : « وابن الرود » بالراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا. إذ هو
المناسب لأسماء هؤلاء الذين ذكروا .

(٤) كذا في (١) والذي في (ب) « أبو الأرى » .

(٥) في كلتا النسختين : « الريد » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا قلا عن كتاب بغداد
للأستاذ لوسترانج Le Strange ؛ ولعلهم كانوا يبيعون الزبد عند هذه القنطرة فأضيفت إليه
وهي قنطرة البطريق أيضاً . وفي ياقوت : قنطرة رحي البطريق ، وهي على نهر الصراة .

(٦) في (١) : « حلف المنصورة » وفي (ب) « حلب البقرة » ؛ وهو تحريف في
كلتا النسختين .

رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ^(١) فِيهِمْ ، وَطَلَبَ الرَّأْسَةَ عَلَيْهِمْ ، صَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ ، وَجِهَاهُ لَا يُضَامُ .

فَبِمَا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ^(٢) خُلُقِهِ — مَعَ شَرِّهِ^(٣) وَلَعَنَتِهِ ، وَسَفْكِهِ لَدُنْمِ ، وَهَنَسِكِهِ لِلْحُرْمَةِ ، وَرُكُوبِهِ لِلْفَاحِشَةِ ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَى رَبِّهِ الْقَادِرِ ، وَمَالِكِهِ الْقَاهِرِ — أَنَّهُ أَشْتَدَّى جَارِيَةً كَانَتْ فِي النَّخَّاسِينَ عِنْدَ الْمُوصِلِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَبْنَاءَ جَمِيلَةٍ ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ حَاوَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ ، فَاثْمَنَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَسْكُرُهُ مِنْ مَنِيَّ ؟ قَالَتْ : أَسْكُرُكَ كَمَا أَنْتَ . فَقَالَ لَهَا : فَاثْمَنِي ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبْعَنِي ، قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أُعْطِيكَ وَأَهْبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ الْقَاضِي أَبِي الدَّقَاقِ عِنْدَ مَسْجِدِ أَبِي رَغَبَانَ^(٤) فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهَيْبَتِهِ وَسَمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَلَى كَلَامِهَا ، وَتَرَكَ مُكَافَأَتَهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا ، فَلَوْ قَتَلَهَا مَا كَانَ أَتَى مَا لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ فِي مِثْلِهَا .

قَالَ الْوَزِيرُ : هَذَا وَاللَّهِ طَرِيفٌ ، فَمَا كَانَ آخِرُ أَمْرِهِ ؟ قُلْتُ : صَارَ فِي جَانِبِ أَبِي أَحْمَدَ الْمُوسَوِيِّ وَجِهَاهُ ، ثُمَّ سِيرَ إِلَى الشَّامِ فَهَلَكَ بِهَا .

قَالَ : وَكَيْفَ سَلِمْتَ فِي هَذِهِ الْحَالَاتِ ؟ قُلْتُ : وَمَتَى سَلِمْتُ ؟ جَاءَتِ الزَّهَّابَةُ إِلَى بَيْنَ الشُّورَيْنِ^(٥) وَشَتُّوا النَّارَ وَأَكْتَسَحُوا مَا وَجَدُوا فِي مَنْزِلِي مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٍ وَأَنْثَاءٍ ، وَمَا كُنْتُ ذَخَرْتُهُ مِنْ تَرَاثِ الْعُمَرِ ؛ وَجَرَدُوا السَّكَاكِينَ

(١) فَرَّقَ فِيهِمْ ، أَيْ فَرَّقَ الْأَعْطِيَةَ فِيهِمْ .

(٢) فِي (١) « مِنْ خُلُقٍ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (١) « شَرُّهُ » ؛ وَالْمَاءُ الْأَوَّلَى زِيَادَةٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٤) مَسْجِدُ أَبِي رَغَبَانَ فِي غَرْبِ بَغْدَادَ . وَالْقَدِيُّ فِي (١) ابْنُ رَغَبَانَ بِالْعَيْنِ الْهَمْزَةُ ؛

وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) إِلَى بَيْنِ السُّورَيْنِ ، أَيْ إِلَى هَذِهِ الْمَهْلَةِ الْمَسْمُومَةِ بِهَذَا الْأَسْمِ فِي بَغْدَادَ .

على الجارية في الدار يطالبونها بالمال ، فَأُنْشِقَتْ مَرَارَتُهَا ، وَدُفِنَتْ فِي يَوْمِهَا ،
[وَأُمْسِنَتْ] وَمَا أَمْلَكَكَ مَعَ الشَّيْطَانِ فَجْرَةً ^(١) ، وَلَا مَعَ الْغُرَابِ نَقْرَةً .
أَيُّهَا الشَّيْخُ — وَقَفَّكَ اللَّهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ ، وَكَانَ لَكَ فِي كُلِّ مَقَالِكَ
وَفَعَالِكَ — إِنَّمَا نَثَرْتُ بِالْقَلَمِ مَا لَاقَيْتَهُ ؛ فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يَجْرِي بَيْنِي
وَبَيْنَ الْوَزِيرِ فَكَانَ عَلَى قَدْرِ الْحَالِ وَالْوَقْتِ [وَالْوَاجِبِ] ؛ وَالْإِتْسَاعُ يَتَّبِعُ
الْقَلَمَ مَا لَا يَتَّبِعُ اللِّسَانَ ، وَالرَّوْيَةُ ^(٢) تَتَّبِعُ الْخَطَّ مَا لَا تَتَّبِعُ الْعِبَارَةَ ، وَلَمَّا كَانَ
قَصْدِي فِيهَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ ، وَأَلْقِيهِ إِلَيْكَ ، أَنْ يَبْقَى الْحَدِيثُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ ،
لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ تَنْمِيقِ يَزْدَانُ بِهِ الْحَدِيثَ ، وَإِصْلَاحِ يَحْسُنُ مَعَهُ الْمَغْرَمَ ،
وَتَكْلُفِ يَبْلُغُ بِالْمُرَادِ الْغَايَةَ ، فَلْيَقُمْ الْعُذْرُ عِنْدَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ ، حَقِّي يَزُولُ
الْعُتْبُ ، وَيُسْتَحَقَّ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ .

الليلة التاسعة والثلاثون

(١) وقال الوزير ليلة : يعجبني الجوابُ الحاضر ، واللفظُ النادر ، والإشارةُ
الحُلُوَّةُ ، والحركةُ الرَضِيَّةُ ، والنِّعْمَةُ التُّوسُّطَةُ ، لَا نَازِلَةً إِلَى قَعْرِ الْخَلْقِ ،
وَلَا طَافِئَةً عَلَى الشَّمَةِ .

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : اقْتِرَاحُ الشَّيْءِ عَلَى الْكَمَالِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ وَجَدَانَهُ

(١) فِي (١) « نَحْوُهُ » . وَفِي (ب) « نَحْرُهُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ سِوَايَهُ
مَا أَثْبَتْنَا ، أَيْ لَا أَمْلَكَكَ مَا أَلْجَرُ بِهِ جُزْءَ وَاحِدَةٍ مَعَ الشَّيْطَانِ . وَيَشْتَبِهُونَ الْمَجْلَةَ فِي السُّجُودِ بِتَقْرِ
الْغُرَابِ ، فَيُرِيدُ بِالْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سَجْدَةً مُسْتَعِجِلَةً مَعَ الْغُرَابِ تَشْبِيهُ نَقْرَةٍ مِنْ تَقْرَاتِهِ .
وَيُرِيدُ بِالْعِبَارَتَيْنِ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ عَمَلًا خَبِيثًا وَلَا طَبِيبًا مَهْمًا قَلًا . هَذَا مَا يُلَوِّحُ لَنَا مِنْ مَعْنَى هَاتَيْنِ
الْعِبَارَتَيْنِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « وَالرَّقُّ بِهِ يَنْسَعُ الْخَطُّ مَا لَا تَسْعُ الْخ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ؛ وَسِيَاقُ
الْكَلَامِ يَقْتَضِي مَا أَثْبَتْنَا .

على ذلك صنف، لأنَّ التَّمَنَّى صَفْوُ النَّفْسِ الحِسِّيَّةِ ، وَنَيْلُ المَتَمَنَّى فِي الفُرْصَةِ^(١) المحشورة بالحيولة .

وقد قال المدائني : أحسنُ الجواب ما كان حاضراً مع إصابتِ المعنى وإيجاز اللفظِ وبلوغِ الحجة .

وقال أبو سليمان شارحاً لهذا : أما حضور الجوابِ فليكونَ الظُّفْرُ عند الحاجة ، وأما إيجاز اللفظِ فليكونَ صافياً من الخشو ، وأما بلوغُ الحجةِ فليكونَ حسناً للمعارضة .

قال : ما أحسنَ ما وشَّحَ هذه الفقرة بهذه الشذرة !

وحكى المدائني قال : قال مسلمة بن عبد الملك : ما من شيء يؤتاه العبدُ بعد الإيمان بالله أحبُّ إلىَّ من جوابٍ حاضر ، فإنَّ الجوابَ إذا تُعَقَّبَ لم يكن له وقع .

وحكى المدائني بإسناده عن عبد الرحمن بن حوشب أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الأهتم التميمي : أخبرني عن الزُّبَيْرِ قَانِ بن بَدْر ، فقال : مُطاعٌ في أدنياه ، شديدُ المعارضة ، مانعٌ لما وراء ظهره . فقال الزُّبَيْرِ قَانِ : يا رسولَ الله ، إنه ليتعلمُ مِنِّي أكثرَ مِن هذا ، ولكنه حسدني ، فقال عمرو : أما واللهِ يا رسولَ الله إنه لَزِمَ^(٢) المروءة ، ضيقُ العطن ، لثيمُ الخلال ، أنحقَّ الوالد ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الأخرى ، ولقد رَضِيتُ فقلتُ أحسنَ ما عَلِمْتُ ، وسَخِطْتُ فقلتُ أسوأ ما عَلِمْتُ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّرِّ لَحِكْمًا » .

(١) في (١) « في العرصة » ؛ وفي (ب) « في العرض » وهو تحريف فيهما .
(٢) في كلتا النسخين : « زمن » بالنون ؛ وهو تحريف ؛ وزم المروءة : قليلها .

وقال أبو سليمان : السَّحَرُ بالقول الأعمّ والرسم المفيد على أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ :
 سِحْرٌ عَقْلِيٌّ ، وهو ما بَدَرَ من الكلام المشتغل على غريب اللَّغَى في أَىِّ فنٍّ
 كان ؛ وسِحْرٌ طَبِيعِيٌّ ، وهو ما يَظْهَرُ مِنْ آثَارِ الطَّبِيعَةِ في العنَاصِرِ المُتَهَيِّئَةِ^(١)
 والموادِّ المُسْتَجِيبَةِ^(٢) ، وسِحْرٌ صِنَاعِيٌّ ، وهو ما يوجَدُ^(٣) بِخِفَّةِ الحركاتِ المباشِرَةِ ،
 وتصريفها في الوجوه الخَفِيَّةِ عن الأبصار المُحَدِّقَةِ ، وسِحْرٌ إلهِيٌّ وهو ما يَتَبَدُّو
 من الأنفُسِ الكَرِيمَةِ الطَّاهِرَةِ بِاللِّفْظِ مَرَّةً ، وبالفعلِ مَرَّةً . وعَرَضَ كُلُّ واحدٍ
 من هذه الضُّرُوبِ واسِعٌ ، وكُلُّ حِذْقٍ ومهارةٍ وبلوغٍ قَاصِيَةٍ في كُلِّ أَمْرٍ
 هو سِحْرٌ ، وصاحبُه سَاحِرٌ .

وقال المدائني : نظرَ ثابتُ بنُ عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ إلى أهل الشام فَشَتَّمَهُمْ ،
 فقال له سعيدُ بنُ عُثْمَانَ بنِ عَقَّانٍ ، أَتَشَتُّهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ فقال :
 صَدَقْتَ ، ولكنَّ المَهاجِرِينَ والأَنْصَارَ قَتَلُوا أَبَاكَ .

وقال عبدُ الملك بنُ مَرْوَانَ لثابتِ بنِ عبد الله بنِ الزُّبَيْرِ : أُبُوكَ كَانَ
 أَعْلَمَ بِكَ حِينَ شَتَمَكَ ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَدْرِي لِمَ كَانَ يَشَتُّنِي ؟
 إِنِّي نَهَيْتُهُ أَنْ يُقَاتِلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُهُ بِهِمَا ،
 وَقُلْتُ لَهُ ، أَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فَأُخْرِجُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَأَخَافُوهُ ، ثُمَّ جَاؤَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأُخْرِجَهُمْ مِنْهَا وَشَرَّدُوهُمْ .

فَمَرَّضَ بِالْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ — وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ الْمَلِكِ — وَكَانَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَفَاهُ .

(١) ورد في (ب) هذان اللفظان « التهيئة والاستجابة » مهملتا حروفهما من النقط
 تتعذر قراءتهما .

(٢) في (١) يؤخذ .

وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بينهم ، لم يروا أن يدفعوا عنه . فقال له عبد الملك : لعنك الله .

وقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية : أما والله لو كنت بمكة لعليت ، فقال معاوية : كنت أكون ابن أبي سفيان ينشق عني الأبطح ، وكنت أنت ابن خالد منزلك أجياد ، أغلاه مدرة ، وأسفله عذرة .

وقال المدائني : قال ابن الضحاك بن قيس الفهري^(١) لهشام بن عبد الملك قبل أن يمك — وهو يومئذ غلام شاب — يا بن الخلأف ، لم تطيل شعرك وقمصك ؟ قال أكره أن أكون كما قال الشاعر :

قصيرُ القميصِ فانهنَّ عندَ بديتهِ وشرَّ غراسٍ في قرينٍ مرَّ كُبا^(٢)

قال : وهذا النعمان لأبي خالد^(٣) مروان بن الحكم ، هجأ به الضحاك ابن قيس .

وحكى أيضاً ، قال : مرَّ عطاه بن ألى^(٤) صبيقي بعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعطاه على قرسي له ؛ فقال له عبد الرحمن : يا عطاه ، لو وجدت زمام زيق الحمر خاليا ما كنت تصنع به ؟ قال : كنت آتى به دور بني النجار فأعرقه فإنه ضالة من ضوالهم ، فإن عرقوه^(٥) وإلا فهو لك لم يعدك ، ولكن

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « المزى » ، وهو تحريف .

(٢) المركب : الأصل والنبت . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فركيا »

وهو تحريف لا معنى له . وفيها أيضا « فراش » مكان « غراس » ؛ وهو تحريف .

(٣) لم نجد في الكتب التي بين أيدينا أن أبا خالد كنية لمروان بن الحكم .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : قال ابن عطاه مر ابن صبي . وفي

العبارة اضطراب ظاهر لا يستقيم به للمعنى ، كما لا يخفى .

(٥) حذف الجواب هنا لعلم به وهو « فهو لهم » .

أَخْبِرْنِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ، أَوْ رُبْعَةُ أَمْ ثَابِتٌ؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. قَالَ: فَلِمَ يَنْهَيْكَ^(١) مَا فِي كِتَابَيْنِ الرَّجَالِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي أَيُّ جَدِّكَ أَكْبَرُ؟ بَلْ رُبْعَةُ أَكْبَرُ مِنْ ثَابِتٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا عَنْ قَلْبِي؟ فَقَالَ لَهَا نِسْوَةٌ مِنْ قَوْمِهَا: وَاللَّهِ يَا فَرْيَعَةُ إِنَّكَ لَجَبِيلَةٌ، فَمَا بَالُ أَرْوَاجِكَ يُطْلَقُونَكَ؟ قَالَتْ: يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَحَكَى أَيْضًا قَالَ: قَالَ أَبُو السَّفَرِ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ إِذْ رَفَعَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَبْرُ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُكَذِّبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ [خَالِدُ بْنُ] أَسِيدٍ^(٢) — وَهُوَ فِي الْقَوْمِ —: لَا بَلْ لَعَنَ اللَّهُ أَبَا قُحَافَةَ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَى الضَّيْفَ، وَلَا يَنْتَعِ الْعَصِيمَ، وَلَا يُقَاتِلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَبَقَ الْمَشْرِكُونَ فَعَمُّوهُمْ بِالسَّبِّ، وَلَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّ الْأَمْوَاتِ يُفْضِبُ الْأَحْيَاءَ؟».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ: فَذَا كَرْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَعَرَّفَهُ، فَقَالَ: فِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ عَنْكُمْ، قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَالَ خَالِدُ بْنُ أَسِيدٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا يَسُرُّنِي أَبُي فِي أَعْلَى عَلِيِّينَ وَأَنَّ أَبَا قُحَافَةَ وَلَدُهُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّ سَبَّهُمْ يُفْضِبُ الْأَحْيَاءَ».

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ: «يَنْهَيْكَ»؟ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) هَذِهِ التَّكْلِمَةُ الَّتِي بَيْنَ مَرْبَعَيْنِ لَمْ تَرِدْ فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي لَاتِبَاتَهَا إِذْ أَنَّ أَسِيدًا أَبَا خَالِدٍ لَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ.

وحكى قال : رعى عمر بن هبيرة الفزاري إلى عرام بن شخير^(١) بخاتم له
فضة — وقد زوج — فعد عليه عرام سيرا وردة إلى ابن هبيرة . أراد ابن
هبيرة قول الشاعر :

لقد زرت عيناك يا بن ملثني كما كل ضبي من اللوم أزرق
وعرض له عرام بقول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار^(٢)
وقال المدائني : وكان ابن هبيرة يسير هلال^(٣) بن مكمل الثميري ،
فقدمت بغلة الثميري بغلة ابن هبيرة . فقال : غص من بغلتك . فالتفت
إليه الثميري فقال : أصلىح الله الأمير ، إنها مكتوبة ، وإنما أراد ابن هبيرة :
ففض الطرف إنك من نمير فلا كغبا بلغت ولا كلابا^(٤)
وأراد الثميري قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريًا خلوت به على قلو صك وأكتبها بأسيار
وقال الوليد الغنبري^(٥) : مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم ،
فقال رجل منهم : أيتها الرسحاء^(٦) . فقالت المرأة : يا بني نمير ، والله ما أطلت

(١) كذا في تاريخ الطبري طبع أوروبا ، والذي في (١) التي وردت فيها وحدها
هذه القصة « شنير » بالنون ، وهو تصحيف .
(٢) أكتبها بأسيار ، أي اخزم حياها لثلا ينزى عليها .
(٣) في العقد الفريد « سنان بن مكل » . وفي نهاية الأرب أيوب بن ظبيان ، وفي
كتاب الكناية والتمريض للشمالي « شريك بن محمد » .
(٤) البيت لجرير .

(٥) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « النيدى » ، ولم نجد النيدى
هذا ضمن أسماء الرواة ، والذي وجدناه في أسمائهم الوليد الغنبري كما في تاريخ الطبري .
(٦) في نهاية الأرب مرت امرأة من العرب بمجلس من مجالس بني نمير ، وهو السب .
(٧) الرسحاء : التي خف لحم لآتيها ووركيها .

الله ولا أظنم الشاعر ، قال الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
وقال الشاعر :

فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنْغِيٍّ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

وقال : سرّ الفرزدق بن خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له خالد : يا أبا فراس ،
ما أنت الذي لما رأيته أكرهته وقطعت أيديهن ، فقال له الفرزدق : ولا أنت
الذي قالت الفتاة لأبيها فيه : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين) .

قال : ودخل يزيد بن مسلم على سليمان بن عبد الملك ، وكان مصغرًا
نحيقًا ، فقال سليمان : على رجل أجررك رسنك^(١) وسلطك على المسلمين لعنة
الله . قال : يا أمير المؤمنين إنك رأيتني والأمر عني مدير ، فلو رأيتني وهو
على مقبل لأستعظمت متى يومئذ ما استصغرت اليوم . قال : فأين الحجاج ؟
قال : يحيى يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه حيث شئت .

وقال عباد بن زياد : كنت عند عبد الملك بن مروان إذ أتاه أبو يوسف
حاجبًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه بُثينة . قال : أْبُثِينَةُ جَمِيلٌ ؟ قال : نعم ،
قال أَدْخِلْهَا ، فَدْخَلَتْ أُمْرَأَةً أَدْمَاءَ طَوِيلَةً يُعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً ، فقال له
يا أبا يوسف ألقى لها كُرْسِيًا ، فَأَلْقَاهُ لَهَا ، فقال لها عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَيْحَكَ مَا رَجَا
مِنْكَ جَمِيلٌ ، قالت : الذي رَجَتْ مِنْكَ الْأُمَةُ حِينَ وَلَّتْكَ أُمْرًا .

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : إن رَهْطًا مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلُوا عَلَى
مُعَاوِيَةَ ، فقال : يَا مَقْسَرِ الْأَنْصَارِ ، قُرَيْشٌ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْكُمْ لَهُمْ ، فَإِنْ يَكُنْ

(١) أجررك رسنك ، أى تركك وشأنك تفعل ما تشاء . والرسن المقيود تقاد به الغابة .

ذَلِكَ لِقَتْلِي أَحَدَ ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَهُمْ ؛ وَإِنْ يَكُنْ لِإِمْرَةٍ ^(١) فَوَاللَّهِ مَا جَعَلْتُمْ لِي إِلَى صَلَاتِكُمْ سَبِيلًا ؛ خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ يَوْمَ الدَّارِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَصَلَيْتُمْ بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ . فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا قَوْلُكَ « إِنْ يَكُنْ لِقَتْلِي أَحَدٌ » فَإِنْ قَتَلْنَا مُشَاهِدًا وَحَيًّا تَأْتِي ^(٢) ، وَأَمَا ذِكْرُكَ الْإِمْرَةَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا خَذَلْنَا عُثْمَانَ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي عُثْمَانَ إِلَى قَتْلَتِهِ ^(٣) ؛ وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا قَتَلْنَا أَنْصَارَهُ يَوْمَ الْجَمَلِ فَذَلِكَ مَا لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَمَا قَوْلُكَ إِنَّا صَلَّيْنَا بِالْأَمْرِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَإِنَّمَا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ لَمْ نَأْلِهِ خُبْرًا ، فَإِنْ لُفَعْنَا قُرْبَ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

ثم قام هو وأصحابه يجرُّ ثوبَهُ مُغَضَّبًا ، فقال معاوية : رُدُّوهُمْ ، فَرُدُّوهُمْ ، فَرَضَّاهُمْ حَتَّى رَضُوا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا . وَأَقْبَلَ معاوية عَلَى رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فَرَّغَ مِنْ مَنْطِقِهِ حَتَّى ضَاقَ بِي مَجْلِسِي .

قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان : دَخَلَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ بِنُ عُبَادَةَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ معاوية : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ قَلِيلًا مَعِيَ ، كَثِيرًا عَلَيَّ ، وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ جُنْدِي ^(٤) يَوْمَ

(١) في (١) التي ورد فيها وحدها دون (ب) هذا الكلام « لدهمه » ؛ وهو تحريف ؛ صوابه ما أثبتنا كما يؤخذ مما يأتي بعد في جواب الأنصار من قولهم : وأما ذكرُكِ الإمرة الخ . ويريد بالإمرة أنه لا يوليهم الأعمال .

(٢) تاتى أى إلى أن يستشهد . وفي (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة وردت تلك الكلمة مهلة الحروف من النقط . ولعل الصواب ما أثبتنا أو لعل صوابها « تاتت » .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « قلنا » ؛ وهو تحريف .

(٤) في (١) « جدى » ؛ وهو تحريف .

صَفِينِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَنَايَا تَلْظَى فِي أَسِنَّتِكُمْ ، وَهَجَوْتُ مَوْنِي ^(١) بِأَشَدِّ مِنْ وَخْزِ الْأَشْنَانِ ^(٢) حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَا حَاوَلْتُمْ مِثْلَهُ ^(٣) ، قَلِمَ : ارْزَعْ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ هِبَاهُ ، « أَبِي الْحَقِيقِ الْمِذْرَةَ » ^(٤) ، فَقَالَ قَيْسٌ : نَطْلُبُ مَا قَبْلَكَ بِالْإِسْلَامِ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ لَا سِوَاهُ ، لَا بِمَا تُمُتُّ بِهِ إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ، وَأَمَّا عِدَاؤُنَا لَكَ فَلَوْ شِئْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ ؛ وَأَمَّا هَجَاؤُنَا إِلَيْكَ فَقَوْلٌ يَزُولُ بِاطْلَهِ ، وَيَثْبُتُ حَقُّهُ ، وَأَمَّا قَتْلُنَا جُنْدَكَ يَوْمَ صَفِينٍ فَإِنَّا كُنَّا مَعَ رَجُلٍ نَرَى أَنْ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّهِ ؛ وَأَمَّا أَسْتِيقَامَةُ الْأَمْرِ لَكَ فَقَلَى كُرْهِهِ كَانَ مِنَّا ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ رَعَاهَا ؛ وَأَمَّا قَوْلُكَ « أَبِي الْحَقِيقِ الْمِذْرَةَ » ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدٌ تَخْجِزُكَ ؛ فَشَأْنُكَ . فَقَامَ مُعَاوِيَةُ فَدَخَلَ ، وَخَرَجَ قَيْسٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ : دَخَلَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ زُفَرُ : لَوْ كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ سَخَاةٌ مُصْعَبٌ وَكَانَ لِمُصْعَبٍ عِبَادَةٌ عَبْدُ اللَّهِ لَكُنَّا مَا شَاءَ الْمُتَمَتِّئُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كَانَ سَخَاةً

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « ولهجوت موني » ، وهو تحريف .

(٢) في (١) « الأنانى » بالثاء ؛ وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « مثله » بالثاء ؛ وهو تصحيف ، والتصحيح عن المقد الفريد ج ٢ ص ١٤٦ طبع بولاق .

(٤) وردت هذه العبارة في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « بأى الحقيق الفذرة » ؛ وهو تحريف كما ترى ، والتصحيح عن مجمع الأمثال . والحقيق : : الابن المحقون والميذرة : العذر . وأصله أن رجلاً نزل بقوم فاستسقام لبنا ، فاعتلوا عليه وزعموا أن لابن عندهم ، وكان الابن محقونا في وطالب عندهم ، فقال هذا المثل ؛ وهو مثل يضرب للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له . يقول : إن الابن المحقون لديهم يكذبكم في عذرهم . والذي في المقد الفريد « أبى الحبيب العنزة » .

مُعْتَبَرٌ إِلَّا لَعِبًا ، وَلَا كَانَتْ عِبَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا عَيْتًا ، وَلَكِنْ لَوْ كَانَ لِلضَّحَّاكِ
أَبْنِ قَيْسٍ مِثْلُ رِجَالِ مَرْوَانَ لَكَانَتْ قَيْسُ أَرَبَابًا بِالشَّامِ ، فَقَالَ زُفَرٌ : لَوْ كَانَتْ
لِمَرْوَانَ صُحْبَةُ الضَّحَّاكِ لَكَانَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ لَهُ مِثْلَ صُحْبَتِهِ
وَمُتَصَرِّعِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ : لَوْلَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُبْصِرُ مَرْفَعِي ^(١) لَمَا تَرَكَكَ
وَالسَّكَّامَ . فَقَالَ زُفَرٌ : إِنْ بَعَا ^(٢) عَلَى أَنْفُسِكَا وَدَعَانَا وَخَلِيفَتَنَا وَاسْتَعْبَا ذُرِّيَّوَلَكَا
عَلَى خِيَانَةِ خُرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ وَالْبَصْرَةَ .

وَقَالَ الدَّائِنِيُّ : غَابَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ عَنِ الْمَدِينَةِ حِينًا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ
قُرَيْشٍ لَمَّا رَجَعَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَيْتَ قَوْمًا يُبَغِضُونَ طَلْعَتَكَ ، وَفَارَقْتَ قَوْمًا
لَا يُحِبُّونَ رَجْعَتَكَ . قَالَ الْمَوْلَى : فَلَا أَنْتَمُ اللَّهُ مِمَّنْ قَدِمْتُ عَلَيْهِ عَيْنًا ، وَلَا
أُخْلَفَ اللَّهُ عَلَى مَنْ فَارَقْتُ بِغَيْرِهِ .

قَالَ الدَّائِنِيُّ : كَانَ مَرْثَدُ بْنُ حَوْشَبٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَرَى
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ كَلَامٌ حَتَّى تَسَابَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَبْنِي ، قَالَ :
وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْبَهُ بِكَ مِنْكَ بِأَبِيكَ ، وَلَأَنْتَ كَمَنْتَ أَغْيَرَ عَلَى أُمِّي مِنْ أَبِيكَ
عَلَى أُمِّكَ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانٌ : قَاتَلَكَ اللَّهُ ، إِنَّكَ لَا بُنَى .

وَسَابَ مَرْثَدُ أَخَاهُ ثُمَامَةَ ، فَقَالَ لَهُ ثُمَامَةُ : يَا حَلَقِي ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ مَرْثَدُ :

(١) يشير خالده بهذه العبارة إلى قول زفر بن الحارث :

وقد يثبت المرعى على دمن الترى . وتبقى حزازات النفوس كما هيا
وهذا البيت من أبيات قالها زفر حين فرّ بعد وقعة مرج راحط التي قتل فيها الضحّاك
وانتصر فيها مروان ، وكان زفر من أصحاب الضحّاك .

(٢) أربما : يخاطب خالدا وأخاه أمية .

(٣) يتهمة بداء قبيح ؛ ويقال أتان حلقية إذا تداولتها الحر فأصابها داء في رحها .
والحلاق في الأتان ألا تشبع من السفاد .

يا حَيْثُ ، أَنَسَانِي مُسَابَةَ الصَّبِيَّانِ ، فَوَافَقَ إِنَّكَ لِأَبْنِي ، وَلَقَدْ غَلَبَنِي حَوْشِبَ
عَلَى أُمِّكَ ، وَقَدْ أَتَقَعْتُهَا بِكَ ^(١) .

وَقَالَ ابْنُ عُيَاشٍ لِلْمُتَوَفَّى ^(٢) لِأَبِي شَاكِرِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : لَوْ قَصَّرْتَ
قَيْصُوكَ ، قَالَ لَهُ : مَا يَفْضُرُكَ مِنْ طُولِهِ . قَالَ : تَدَوُّسُهُ فِي الطَّيْنِ ، قَالَ وَمَا
يَنْفَعُكَ مِنْ دَوْسِهِ .

وَقَالَ : كَانَ عَلَى نَبَالَةٍ ^(٣) رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ ، مَنْ
الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كُنْتُ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ غَنِيمَةً فِي دُورِ بَاهِلَةَ بْنِ يَعْفَرَ فَأَرْحَلَ
قَوْمٌ قَتِيبةً أَثْمَمَ وَأَبْوَمَ لَوْلَا قُتَيْبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ
فَقَالَ الْبَاهِلِيُّ : مَا أَذْرِي غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ الَّذِي يَقُولُ :

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ ^(٤)
قَالَ : وَتَكَلَّمَ ابْنُ ظُلَيْيَانَ التَّيْمِيُّ يَوْمًا فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ مُسْتَمِعٍ ،

(١) يتضح من القصة أن مرثدا وثمامة أخوان لأب، وبذلك يستقيم الكلام .

(٢) كذا في تاريخ الطبري طبع أوربا . والقي في (١) التي وردت فيها وحدها هذه
القصة « للشوق » : وهو تحريف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « تأييده » مكان قوله : « يا شدة » .
و « على سجيبة » مكان قوله « على سخيبة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين صوابه ما أميتنا
تلا عن الأغاني ج ١٩ ص ٧٦ طبع بولاق . والبيت لحنداش بن زهير ، والسخيبة : طعام يتخذ
من الدقيق وهو دون المعبقة في الرقة وفوق الحساء ، وهو لقب لقريش كانت تسميه به
لكثرة اتخاذهم لهذا الطعام . وهذا البيت من أبيات أربعة وردت في الأغاني في خبر طويل
فاظفروه ثم . وما هي ذى الأبيات الثلاثة بعد هذا البيت :

إِذْ يَتَقِنَا هِشَامَ بِالْوَيْلِدِ وَلَوْ أَنَا تَقَفْنَا هَعَامَا شَالَتْ الْخَدَمُ
بَيْنَ الْأَرَاكِ وَبَيْنَ الْمَرْجِ نَبْطَحُهُمْ زُرُقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السَّمِ
فَإِنْ سَمِعْتَ بِمَيْشِ سَالِكٍ شَرَفَا وَبَطْنُ مَرْفَأَخْفُوا الْجَرَسَ وَاكْتَمَوْا

إيها أبا مَطَر^(١) ، فإن لقوم في الكلام نصيباً ، فقال : والله ما إليك جِثْتُ ، ولو أن بكر بن وائل أجمعت في بيتٍ بَقَالٍ لَأَتَيْتُهُمْ . فقال له مالك ، إنما أنت سَهْمٌ من سِهَامٍ كِنَانَتِي . فقال ابنُ ظَبْيَانَ : أنا سَهْمٌ من سِهَامٍ كِنَانَتِكَ ؟ فوالله لو قتُ فيها لَطَلَتْهَا ، ولو قعدتُ فيها لخرقَتْهَا ، وإني والله ما أراك تَنْتَهِي حَتَّى أُرْمِيكَ بِسَهْمٍ لَمْ يُرَشْ^(٢) ، تَذِلُّ به شَفَاكَ ، وَيَجِفُّ لَه رِيْقُكَ .

وقال رجلٌ للأخْنَفِ : بأيِّ شَيْءٍ سُدْتَ تَمِيماً ؟ فوالله ما أنت بأجودِمٍ ولا أشجعِهِم ولا أَجملِهِم ولا أَشرفِهِم ، قال : بخلافٍ ما أنت فيه . قال : وما خلافٌ ما أنا فيه ؟ قال : تَرْكِي ما لَا يَعْنِينِي من أُمُورِ الناسِ كما عَنَّاكَ مِنْ أُمُورِي ما لَا يَعْنِيكَ .

وَوَفَدَ عَلِيٌّ بْنُ خَالِدٍ الْهَجَمِيُّ عَلَى هِشَامٍ وَعِنْدَهُ الْأَبْرَشُ [الْكَلْبِيُّ] ، فَقَالَ لَهُ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : يَا أَخَا بَنِي الْهَجَمِ ، مَنْ الْقَائِلُ :

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرِبَةٍ بَعْمَانٍ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بِعْمَانٍ
أَلَكُمُ يَقُولُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَنَا يَقُولُهُ ، وَلَكِنَّكُمْ يَأْمَعُشَرُ كَلْبٌ تُعْبِرُونَ^(٣)
النِّسَاءَ وَتَجْزُونَ^(٤) الشَّاءَ ، وَتَكْدُرُونَ الْعَطَاءَ ، وَتَوْخِرُونَ الْعِشَاءَ ، وَتَبِيعُونَ الْمَاءَ .

(١) في (١) « إنها أبا مَطَر » ، وهو تحريف ، وقد أثبتنا هذه الكنية من الكامل للبرد . والذي في (ب) إنما ينتظر القوم .

(٢) يقال راح السهم بريشه إذا وضع عليه الريش ليكون أسرع له . ويريد هنا سهماً من القوم .

(٣) تعبرون النساء أي تتركهن ختانهن . يقال امرأة معبرة إذا طال بظرها . وفي الأصل سيرون بالياء المثناة وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسختين : « وتجرؤن » ؟ وهو تحريف ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا .

إلا من كانت أمُّه زنى بها رجلٌ مِنَّا فنَزَعَ إلينا . فقال له الثنوي : وكذلك كلُّ مَنْ [لم] يقل الشَّعرَ مِنْكُمْ ، فإنما زنى بأمِّه رجلٌ مِنَّا فَحَمَلَتْ به ، فنَزَعَ إلينا ، فَمِنْ ثَمَّ لم يقل الشعر .

وقال رجلٌ مِنَ الْعَرَبِ لرجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَجَمِ : رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَلَمْ أَرِ فِيهَا ثَنَوِيًّا . فقال له الثنوي : أَصَعِدْتَ الْغُرْفَ ؟ قال : لا . قال : فَمِنْ ثَمَّ لم تَرَهُمْ ، هُمْ فِي الْغُرْفِ .

قال ابنُ عِيَّاشٍ : ما قَطَعَنِي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ مَاجِنًا^(١) شَارِبَ خَمْرٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ عَلَى بَيَانِ الْبَيَّانِ^(٢) الَّذِي أَتَى^(٣) بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ فَأَمَرَ بِصَلْبِهِ ، فَقَالَ لِي : مَا وَقُوفُكَ هَاهُنَا يَا أَبَا الْجَرَّاحِ ؟ قُلْتُ : أَنْظِرْ لِي هَذَا الشَّقِيَّ الَّذِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَبِيٌّ ؛ قَالَ : وَمَا أَتَى بِهِ فِي نَبَوِيَّتِهِ ؟ قُلْتُ : بِتَحْلِيلِ الْخَمْرِ وَالزَّنا — وَأَنَا أَعْرِضُ بِهِ — فَقَالَ : لا ، وَاللَّهِ لَا يُقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يُبَيِّرَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

قال المدائني : ابنُ عِيَّاشٍ أَبْرَصٌ .

وقال : دَخَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ عَلَى عَمِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ — وَهُوَ يَهْزَأُ بِهِ — [أَمْسَيْتَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ الْعَشِيَّةَ جَمِيلاً فَلَوْ عَلَّقْتَ تَمِيمَةً تَنْفِي

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « مَا حَارِبًا » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَفْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ : « ابْنُ بَيَّانٍ » . وَلَمْ نَجِدْهُ فِي رَاجِعِنَا مِنَ الْكُتُبِ ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتْنَا قَلِيلًا عَنِ الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ، وَصِيَوْنَ الْأَخْبَارِ . وَبَيَّانٌ هَذَا ، هُوَ ابْنُ سَمْعَانَ التَّيْمِيِّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَفِيهِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الزَّائِفَةِ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّهُ الْمَعَارِ إِلَى بَقُولِهِ تَعَالَى : « هَذَا بَيَّانٌ لِقُلَّاسٍ » .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا وَحْدَهَا هَذِهِ الْقِصَّةُ « أَرَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي الْكُتُبِ أَنَّ الَّذِي صَلَّبَ بَيَّانًا هَذَا هُوَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا ابْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١١٩ هـ .

بها عنك العين ؟ فعرف أنه يهزأ به [فقال : أصلح الله الأمير —

أَفَنِي الشَّبَابَ الَّذِي فَارَقْتُ بِهِجَتَهُ مَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِي
لَمْ يَبْزُ كَالِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا تُخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةُ^(١) الْحَدَقِ
وقال للدائني : وَقَعَ بَيْنَ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيِّ وَبَيْنَ بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ
ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ كَلَامٌ بَيْنَ يَدَيَّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ^(٢)
وَخَالِدٌ يَوْمئِذٍ عَلَى الْعِرَاقِ — وَكَانَ مُحَامِلًا عَلَى بِلَالٍ ، وَكَانَ الْعُرْيَانُ عَلَى شَرْطَةِ
خَالِدٍ — فَقَالَ الْعُرْيَانُ لِبِلَالٍ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَبْيَضِ الرَّاحَتَيْنِ ، وَلَا مُنْتَشِرِ
الْمُنْخِرَيْنِ ، وَلَا أَرْوَحِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا مُحَدِّدِ الْأَسْنَانِ ، وَلَا جَعْدٍ قَطَطٍ ، فَقَالَ
بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ أَتَعْنِينِي^(٣) بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ كَلَامٌ يَتْلُو بَعْضُهُ
بَعْضًا . فَقَالَ بِلَالٌ : يَا عُرْيَانُ ، أُرِيدُ أَنْ تَشْتُمَ أَبَا بُرْدَةَ وَأَشْتُمَ أَبَاكَ ، وَتَشْتُمَ
أَبَا مُوسَى وَأَشْتُمَ جَدَّكَ ، هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ ، فَقَالَ الْعُرْيَانُ : إِنِّي وَاللَّهِ
مَا أَجْعَلُ أَبَا مُوسَى فِدَاءَ الْأَسْوَدِ ، وَلَا أَبَا بُرْدَةَ فِدَاءَ الْهَيْثَمِ ، فَمَتَلَى وَمَثَلَتْ
فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مِسْكِينُ الدَّارِمِيِّ^(٤) :

أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَفِيقٍ^(٥)
لَا أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي إِنِّي لَوَأْبِعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفِيقٍ

(١) في رواية : « لذعة » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « القسري » ؛ وهو تصحيف .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « استمن » ؛ وهو تحريف لاذ
لا يناسب معناه سياق الكلام .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « الدائق » ؛ وهو تحريف .

(٥) ورد هذا البيت في (١) التي ورد فيها وحدها هذان البيتان :

أَيَا مِسْكِينٍ لِمَنْ تَعْرِفُنِي وَلِمَنْ تَبَادُرُ لِي حَدَّ نَفِيقٍ

وهو تحريف ؛ والتصحيح عن الأغاني في ترجمة مسكين الدارمي .

قال للدائني : جرى بين وكيع بن الجراح وبين رجل من أصحابه كلام في معاوية واختلعا ، فقال الرجل لو كيع : ألم يتبلىك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبا سفيان ومعاوية وعتبة فقال : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ، فقال وكيع : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما عبد دموث عليه فأجمل ذلك (له أو عليه) رَحْمَةً » ؛ فقال الرجل : أفسرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن والدك فكان ذلك لها رحمة . فلم يجر إليه جواباً .
تكلّم صَفْصَعَةٌ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَمَرَّقَ ، فقال : وبهرك القول يا صَفْصَعَةٌ ؟
فقال : إن الجياد نضاجة بالماء .

هكذا قال لنا السيرافي ، وقد قرأت عليه هذه الفقرَ كلَّها ، وإنما جمعتها للوزير بعد إحصائها وروايتها .

قال علي بن عبد الله : شهدت الحجاج خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد ؟ فقال : إلى أن يكفوا عن قولهم في أبيك : إنه كان يشرب الخمر .

قال المدائني : أسرّت مزينَةُ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ — وكان قد هاجم — فقال :
مُزِينَةُ لَا يُرَى فِيهَا خَطِيبٌ وَلَا قَلْبِيحٌ يُطَافُ بِهِ خَضِيبٌ
أَنَاسٌ تَهْلِكُ الْأَخْسَابُ فِيهِمْ يَرَوْنَ التَّيْسَ يَعْدِلُهُ الْحَبِيبُ
فأتهم الخزرج يفتدونه ؛ فقالوا^(١) : نفاديه بتيس ؛ ففضبوا وقاموا ؛ فقال لهم حسان : يا إخوتي خذوا أخاكم وادفنوا إليهم أخاهم .

وقال المدائني : فرّق عُمرُ بنُ الخطّاب بين منظور بن أبان وبين امرأته —

(١) فقالوا ، أي أسروه ، وهم بنو مزينة .

وكان خَلَفَ عليها بعد أبيه — فَنَزَّوْجَهَا طَلْعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَقِيَهُ مَنظُورٌ ،
فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَجَدْتَ سُورِي ؟ فَقَالَ : كَمَا وَجَدْتَ سُورَ أَبِيكَ . فَأَفْحَمَهُ .

وَقَالَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ : بَشَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
إِلَى الْمُقَوْفِسِ مَلِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَأَتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ؛ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى
دِينِهِ ، فَمَا يَنْتَعُهُ — إِنْ كَانَ نَبِيًّا — أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَى الْبَحْرِ فَيُغْرِقَنِي
فَيَكْتَنِي مَوُوتِي وَيَأْخُذَ مُلْكِي ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَتْهُ الْيَهُودُ فَرَبَطُوهُ
فِي حَبْلٍ وَحَلَقُوا وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوْكٍ ، وَحَمَلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِي
صَلَبُوهَ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَتْبِكِي حَتَّى نَصَبُوهُ عَلَى الْخَشَبَةِ ، ثُمَّ
طَعَنُوهُ حَيًّا بِمِجْرَةٍ حَتَّى مَاتَ ؛ هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ ، فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنْجِيَهُ
وَيُهْلِكَكُمْ ؟ فَيَكْتَنِي مَوُوتَهُمْ وَيُظَاهِرُهُمْ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ ؟ وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا
حِينَ سَأَلَتْ امْرَأَةُ الْمَلِكِ الْمَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وَضَعَ
بَيْنَ يَدَيْهَا ، أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنْجِيَهُ وَيُهْلِكَ النَّاسَ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَى جُلْسَانِهِ
وَقَالَ : لَئِنْ وَاللَّهِ تَخْلِكُمْ ، وَمَا يَخْرُجُ الْحَكِيمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الْحُكَمَاءِ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : أَبْطَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنْنِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا قَبْلَهُ ^(١)
— وَهُوَ عَلَى خُرَاسَانَ — وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : زَائِلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَنِي أَسَدِ بْنِ
خُزَيْمَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ يَوْمًا فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ طَالَ أَنْتِظَارِي ،
فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنْ يَضْرِبَ لِي مَوْعِدًا أَصِيرُ إِلَيْهِ قَعْل . فَقَالَ : مَوْعِدُكَ
الْحَشَرُ ؛ فَخَرَجَ زَائِلٌ مُتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَدَخَلَ عَلَى الْجَنْنِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .

(١) مَا قَبْلَهُ ، أَيْ مَا قَبْلَ الْجَنْنِيدِ مِنَ الْمَطَاءِ .

أَرَحْنِي بِخَيْرٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا وَإِلَّا فِيمَا دَرَكِي زَامِلٍ
 قال : وَمَا قَعَلَ زَامِلٌ ؟ قال : لِحَقِّ بَاهِلِهِ . فَأَبْرَدَ الْجَنَيْدُ فِي أَثَرِهِ بَرِيدًا
 وَبَعَثَ يُعْهِدُهُ إِلَى الْكُورَةِ ^(١) الَّتِي يُدْرِكُ بِهَا ، [فَأَدْرَكَ] ^(٢) بَنِيْسَابُورَ ، فَزَلَّهَا .
 وَامْتَدَّحَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — بِشِعْرِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَيْءٍ ؛
 فَقِيلَ ^(٣) : أَتُغْطِي عَلَى كَلَامِ الشَّيْطَانِ ؟ فَقَالَ : أَتُبْتَنِي الْخَيْرَ لَنَفْسِي الشَّرِّ .

قال للدائني : أَنَى الْعَبْدَانِيَّ حَمَادَ بْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ مَلَأَ عَيْنَهُ كُحْلًا
 قَدْ ظَهَرَ مِنْ تَحَاوِيرِ عَيْنِهِ ، وَعِنْدَ حَمَادٍ جَمَاعَةٌ . فَقَالَ لَهُ حَمَادُ : كَأَنَّكَ أَسْرَاءُ
 نَفْسَاءٍ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي تُكَلِّئِي . قَالَ : عَلَى مَنْ ؟ قَالَ : عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ .
 وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ لِيَحْيَى ^(٤) : إِنَّ ابْنَتَكَ تَشْكُو تَزْوِيجَكَ وَتَزْعُمُ
 أَنَّهُ ^(٥) يَبُولُ فِي دِثَارِهِ ^(٦) . قَالَ : فَهُوَ يَبُولُ مِنْهَا فِيمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ دِثَارِهِ ^(٧) .
 وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا عَقِيلٌ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ . فَقَالَ عَقِيلٌ : هَذَا مُعَاوِيَةُ عَمَّتُهُ
 حَمَالَةُ الْحَطَبِ .

قال : وَدَخَلَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَقَارَبَ فِي خَطْوِهِ ، فَقَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ : كَبُرَتْ سِنَّكَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلَدٌ .
 قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ . قَالَ : إِنَّ فِيكَ لَبِيقِيَّةً . قَالَ : هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) بعث يعهده إلى الكورة ، أي بعث إلى الكورة التي يدرك بها يؤمنه . يقال
 أعهد إذا أمته وكفله . (٢) لم ترد هذه الكلمة في (١) التي وردت فيها وحدها
 دون (ب) هذه القصصة ؛ وسيأتي الكلام يقتضي إثباتها .

(٣) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « فقال » ؛ وهو خطأ ؛ أو لعل
 اسم الغائل قد سقط من النسخ كما يظهر لنا .

(٤) يريد يحيى بن الحكم أخا مروان . (٥) أنه أي زوجها .

(٦) في (١) التي وردت فيها وحدها دون (ب) هذه القصة « داره » ؛ في كلا الموضوعين
 وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

قال المنصور لسفيان بن معاوية المهلبي، ما أسرع الناس إلى قومك؟
قال، سفيان :

إِنَّ الْعَرَانِينَ^(١) تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةٌ وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ النَّاسِ حُسَّادًا
فقال : صدقت .

قال المدائني : حضر قوم من قريش مجلس معاوية وفيهم عمرو بن العاص
وعبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛
فقال عمرو : احمداوا الله يا معشر قريش إذ جعل وإلى أموركم من يفيض^(٢) على
الغدي ، ويتصامم عن العوزاء ، ويجر ذنبه على الخدائع . قال عبد الله بن
صفوان : لو لم يكن لهذا المشينا إليه الضراء ، ودبينا^(٣) له الخمر ، وقلبنا له ظهر
المجن ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مضر .

وقال معاوية : يا معشر قريش ، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم ؟
فقال عبد الرحمن بن الحارث : إن عمرا وذوي عمرو أفسدوك عيفا
وأفسدونا عليك ، ما كان لو أغضيت على هذه ؟ فقال : إن عمرا لي ناصح ،
قال أطمعنا^(٤) ، ثم أخذنا بمثل نصيحته ، إنك يا معاوية تضرب
عوام قريش بأياديك في خواصها كأنك ترى أن كرامها جاروك^(٥) دون لثامها ،

(١) عراني القوم : عليهم ، تشبها بعراني الأنوف .

(٢) في نسخة : « يفيض على الهدى » .

(٣) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام دون (ب) « ووهنا له الحى » مكان
« ودبينا له الخمر » ؛ وهو تحريف من الناسخ صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، يقال : مشى
إلى خصمه الضراء ودب إليه الخمر بفتح الخاء والميم إذا مشى إليه مستخفيا ليختله . والضراء :
الشجر اللثغ : والجحر : ما وارك من جرف ونحوه .

(٤) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة « منذ » ؛ وهو تحريف .

(٥) كذا في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة . وجاروك ، أى جروا معك فيها

تريد . وفي بعض الكتب جاروك . يريد أنه يعطى كرامهم خوفا منهم واتقاء لحزبهم .

وَأَيْمُ اللَّهِ : إِنَّكَ لَتَفْرَغُ^(١) مِنْ إِيَّاهُ قَعْمٌ فِي إِيَّاهُ ضَخْمٌ ، وَلَكَأَنَّكَ بِالْحَرْبِ قَدْ حُلَّ عِقَالُهَا ثُمَّ لَا تُنْظِرُكَ . فقال معاوية : يَا بَنَ أَخِي^(٢) مَا أَحْجَجَ أَهْلَكَ إِلَيْكَ . ثُمَّ أَنْشَدَ معاوية :

أَغْرَى رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ تَشَابَعُوا عَلَى سَفَهٍ ، مِتْنَا الْحَيَا وَالتَّكْرُمُ ؟
وقال للدائني : كَانَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَحْدِثُهُ —
وعنده الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسَفَ — فَقَالَ لَهُ عَمْرُوٌّ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ —
يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ — فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَعِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكْنِي ذَلِكَ الْفَاسِقُ ؟
لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ عَمْرُوٌّ : أَلَيْ تَقُولُ هَذَا لَا أَمَّ لَكَ وَأَنَا ابْنُ عَجَّازِ الْجَنَّةِ خَدِيمِجَةٍ
وَصَفِيَّةِ وَأَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، بَلْ لَا أَمَّ لَكَ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُسْتَفْرَمَةِ^(٣) بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ .
وقال : لَمَّا صَنَعَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَغْيِلَانَ الْوَاعِظِ مَا صَنَعَ ، قَالَ لَهُ
رَجُلٌ : مَا ظَلَمَكَ اللَّهُ وَلَا سَلَطَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَحِقٌّ ؛ فَقَالَ
عَقِيلَانُ : قَاتَلَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّكَ جَاهِلٌ بِأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ .

قال عمرو بن العاص : أَعْجَبْتَنِي كَلِمَةً مِنْ أُمَةٍ ؛ قُلْتُ لَهَا وَمَعَهَا طَبِيقٌ :
مَا عَلَيْهِ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : فَلِمَ غَطَّيْنَاهُ إِذَا ؟
وَقَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُعَاوِيَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ مُعَاوِيَةَ بِبَعْضِهِ ، فَقَالَ :
أَنْتَ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ظَنَّ الْحَكِيمِ كِهَانَةٌ .

(١) في (١) التي وردت فيها هذه الفصحة وحدها : « لتفرغ » ، ولم ننبين له معنى .
والصواب ما أثبتنا كما في العقد الفريد .

(٢) في الأصل : « يا براح » مكان « يا بن أخي » ، ولم نفهم له معنى . والصواب
ما أثبتنا كما في العقد الفريد . وبعد قوله « ما أحوج أهلك إليك » قوله « فلا تفجعهم بنفسك » .

(٣) المستفرمة بعجم زيب الطائف : عبارة كان عبد الملك بن مروان قد شتم بها الحجاج
في بعض كتبه إليه . وعجم الزيب : نواه . ويريد أن أمته كانت تستفرم به أي تضعه في
فرجها ليضيق .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : ما تقول في علي وعثمان وفي حرب الجمل وصيفين ؟ قال : تلك دماء كف الله يدي عنها ، فأنا أكره أن أغس لسانى فيها .

وقال : طلق أبو الخنذف امرأته أم الخنذف ، قالت له : يا أبا الخنذف طلقتنى بعد خمسين سنة ، فقال : مالك ^(١) عندي ذنب غيره .

وقال : لقي جرير الأخطل فقال : يا مالك ، ما فعلت خنازيرك ؟ قال : كثيرة في مرج أفتح ، فإن شئت قريناك منها ، ثم قال الإخطل : يا أبا خزرة ما فعلت أهازيك ؟ قال كثيرة في وادٍ أروح ، فإن شئت أنزيناك ^(٢) على بقمضا . وقال الشعبي : ذكر عمرو بن العاص عليا فقال : فيه دُعابة ، فبلغ ذلك عليا فقال : زعم أن النابغة أنى تلعباة تمرأحة ذو دُعابة أعافس وأمارس ؛ هيئات ، يمتنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب فني هذا عن هذا له واعظ وزاجر ، أما وشر القول الكذب — إنه كبعده فيخلف ، ويحدث فيكذب ، فإذا كان يوم التباس فإنه زاجر وأمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال ، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم أمته .

قال المدائني : بعث المفضل [الضبي] إلى رجل بأضحية ، ثم لقيه فقال : كيف كانت أضحيتك ؟ فقال : قليلة الدم . وأراد قول الشاعر :
ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من القوم للضبي لحما ولا دما

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « نبالك » .

(٢) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « أفريناك » بالفتح والراء ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال المدائني : مرَّ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السلام ومعه تيسٌ ، فقال له عليّ : إِنَّ أَحَدَ ثَلَاثَتِنَا أَحَقُّ . فقال عَقِيلُ : أَنَا
أَنَا وَتَيْسِي فَلَا .

وَكَلَّمَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ مُخْرَانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ . فَقَالَ لَهُ مُخْرَانُ : لَا أَكْثَرُ
اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ . فقال عَامِرُ : لَكِنْ : أَكْثَرُ اللَّهُ فِينَا مِثْلَكَ ، فقال له القوم :
يَا عَامِرُ ، يَقُولُ لَكَ حَمْرَانُ مَا لَا تَقُولُ مِثْلَهُ ؟ فقال : نَعَمْ يَكْسَحُحُونَ طُرُقَنَا ،
وَيَحْكُونَ ^(١) ثِيَابَنَا ، وَيَخْرِزُونَ خِيفَاتَنَا . فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنَّا نَرَى أَنَّكَ تَعْرِفُ
مِثْلَ هَذَا ، قَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا نَعْرِفُ مِمَّا لَا تَنْظُنُّونَ بِنَا .

وقال : مرَّ جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ عَلَى الْأَحْوَصِ وَهُوَ تَلَّى بَنَظْلًا ، فَأَذَى الْبَنَظْلُ
فَقَالَ الْأَحْوَصُ : بَنَظْلُكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ عَلَى خَمْسِ قَوَائِمٍ . قَالَ جَرِيرُ : وَالْخَامِسَةُ
أَحَبُّ إِلَيْكَ .

ومرَّ جَرِيرٌ بِالْأَحْوَصِ ^(٢) وَهُوَ يَفْسُقُ بِامْرَأَةٍ وَيُنْشِدُ :

يَقْرَأُ بَعْنِي مَا يَقْرَأُ بَعْنِيهِمَا — وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتِ
فَقَالَ لَهُ جَرِيرُ : فَإِنَّهُ يَقْرَأُ بَعْنِيهَا أَنْ تَقْعُدَ عَلَى مِثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، أَفَتَرَاكَ
تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟

فقال الوزير : مَنْ رَأَيْتَ مِنَ الْكِبَارِ ^(٣) كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الْقَنْ وَلَهُ فِيهِ
غَزَاةٌ وَأَنْبَعَاتٌ وَجَسَارَةٌ عَلَى الْإِيرَادِ . قُلْتُ : أَبْنُ عِبَادٍ عَلَى هَذَا ، وَيَبْلُغُ مِنْ قُوَّتِهِ
أَنَّهُ يَفْعَلُ ^(٤) أَشْيَاءَ شَبِيهَةً بِهَذَا الضَّرْبِ عَلَى مَنْ حَضَرَ ، فَقَالَ : الْكَذِبُ لَا خَيْرَ

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه القصة : « ويمولون » ؛ ولا ينبغي ما فيها
من تحريف ظاهر .

(٢) عبارة (ب) « ومر جرير بالأحوص وهو ينشد » ثم ذكر البيت .

(٣) في (ب) « الكتاب » . (٤) في (١) « ينقل » ؛ وهو تحريف .

فيه ، ولا حلاوة لراويه ، ولا قبول عند سامعيه .

وقال : أرسل بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة فأتاه ، فقال : أتدري لأى شيء أرسلت إليك ؟ قال : نعم ، لتصنع بى خيراً . قال : أخطأت ولكن لأى شيء بك . فقال : أما إذ قلت ذلك لقد حكمت المسئون حكماً ، فسخر أحدُهُما بالآخر . فقال الوزير : أيقال سخر به فكان الجواب أن أبا زيد حكاه ، وصاحب التصنيف قد رواه ؛ وسخر منه أيضاً كلام ، وإنما يقال هو أفصح ، لأنه فى كتاب الله عز وجل ، وإلا فكلاهما جائز .

وقال حمزة بن بيض الحنفى للفرزدق : يا أبا فراس ، أئما أحب إليك أن تسبق الخير أم يسبقك ؟ قال : ما أريد أن أسبقه ولا أن يسبقنى ، بل تكون معاً . ولكن حدثنى أئما أحب إليك : أن تدخل منزلك فتجد رجلاً على حرامك ، أو تجد ما قابضة على قدم الرجل . فأفحمة .

فلما قرأت الجزء فى ضروب الجواب المنجم . قال : ما أفتح^(١) هذا النوع من الكلام لأبواب^(٢) البدية وأبعثه لرواقد الذهن ؛ وما يتفاضل الناس عندي بشيء [أحسن^(٣)] من هذه الكلمات الفوائق الروائق ، ما أحسن ما جمعت وأتيت به .

الليلة الأربعون

وقال مرة أخرى : حدثني عن اعتقادك فى أبى تمام والبخري ، فكان (١)

(١) كلنا فى (ب) . والذي فى (أ) « ما أصح » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (ب) : « لأنواع » ؛ وهو خطأ من النسخ .

(٣) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها لم ترد فى كلتا النسختين ، والسياق يقتضيها ،

لذا لا تم العبارة بدونها .

الجواب : إن هذا الباب مُخْتَلَفٌ فيه ، ولا سبيل إلى رفعه ، وقد سَبَقَ هذا من الناس في الفِرَازِ دَقِ وجَرِيرٍ وَمِنْ قَبْلِهِمَا فِي زُهَيْرٍ وَالنَابِغَةِ حَتَّى تَكَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ ، مَعَ عُلُوِّ مَرَاتِبِهِمْ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالتَّيْيَانِ ، لَكِنْ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْدٍ التَّروُضِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ : سَأَلَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي تَمَامٍ وَابْتَحَرْتُ ؛ قُلْتُ : أَبُو تَمَامٍ يَغْلُو عُلُوًّا رَفِيعًا ، وَيَسْقُطُ سَقُوطًا قَبِيحًا ، وَابْتَحَرْتُ أَحْسَنُ الرِّجَالِ نَمَطًا ، وَأَعَذَّبُ لَغَطًا ؛ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ظَنِّي فَمَادَ ظَنِّي يَقِينَا

قُلْتُ : وَهَذَا أَيْضًا شِعْرٌ . فَقَالَ : مَا عَلِمْتُ .

فَقَالَ : هَذِهِ حِكَايَةٌ مُفِيدَةٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمُتَقَدِّمِ ، وَحُكْمٌ يُلَوِّحُ مِنَ الْإِنْصَافِ ، وَقَدْ أَغْنَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ خَوْضٍ كَثِيرٍ .

(٢) وَدَعَا ذَا ؛ مِنْ أَيْنَ دَخَلَتِ الْأَفَّةُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ حَتَّى أَفْتَرَقُوا هَذَا الْأَفْتِرَاقَ ، وَتَبَايَنُوا هَذَا التَّبَايُنَ ، وَخَرَجُوا إِلَى التَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ وَإِبَاحَةِ الدِّمِ وَالْمَالِ وَرَدِّ الشَّهَادَةِ وَإِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالْجُرْحِ وَالْقَذَعِ وَالتَّهْجُرِ وَالتَّقَاطُعِ ! فَكَانَ الْجَوَابُ : إِنَّ الْمَذَاهِبَ فُرُوعُ الْأَدْيَانِ ، وَالْأَدْيَانُ أَصُولُ الْمَذَاهِبِ ، فَإِذَا سَاغَ ^(١) الْأَخْتِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ — وَهِيَ الْأَصُولُ — فَلَمْ لَا يَسُوغُ فِي الْمَذَاهِبِ وَهِيَ الْفُرُوعُ .

فَقَالَ : وَلَا سَوَاءَ ^(٢) ، الْأَدْيَانُ اخْتَلَفَتْ بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَهِيَ أَرْبَابُ الصَّدَقِ وَالْوَحْيِ الْمَوْثُوقِ بِهِ ، وَالْآيَاتِ الدَّالَّةُ عَلَى الصَّدَقِ ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْمَذَاهِبُ . فَتَقِيلُ : هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا دَانِعٌ ^(٣) لَهُ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الْمَذَاهِبُ نَتَائِجَ

(١) فِي (ب) « شَاع » ؛ وَالْعَنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ أَيْضًا .

(٢) فِي (أ) وَلَا سِيَا ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ إِذْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) فِي (أ) « وَلَا رَاجِحٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

الآراء ، والآراء ثمرات العقول ، والعقول منافع الله للعباد ، وهذه النتائج مُتَخِلِّفَةٌ بالصِّفَاء والكَدَر ، وبالكَمال والنَّقْص ، وبالقِلَّة والكَثَرَة ، وبالمُخْلَفَاء والوَضُوح ؛ وَجَبَ أَنْ يَجْرِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى مَنَاحِجِ الْأَذْيَانِ فِي الْأَخْتِلَافِ وَالْأَفْتِرَاقِ وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ مَنُوطَةً بِالنَّبُوَّةِ ؛ وَبَعْدَ ، فَمَا دَامَ النَّاسُ عَلَى فِطْرَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَعَادَاتٍ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَمَنَاشِئَ مَحْمُودَةٍ وَمَذْمُومَةٍ ، وَمُلاحِظَاتٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَخْتِلَافِ فِي كُلِّ مَا يُخْتَارُ وَيُجْتَنَّبُ ، وَلَا يَحُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يَقَعَ الْأَتْفَاقُ فِيهَا جَرَى تَجَرَى لِلذَّاهِبِ وَالْأَذْيَانِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَتْفَاقَ لَمْ يَحْصُلْ فِي تَفْضِيلِ أُمَّةٍ عَلَى أُتَى ، وَلَا فِي تَفْضِيلِ بَلَدٍ عَلَى بَلَدٍ ، وَلَا فِي تَقْدِيمِ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا التَّمَعُّبُ وَاللَّجَاجُ وَالْهَوَى وَالْحَكُّ وَالذَّهَابُ مَعَ السَّابِقِ إِلَى النَّفْسِ ، وَالْمُوَافِقُ [لِلزَّجَاجِ] ، وَالْخَفِيفُ عَلَى الْعَبَّاعِ ، وَالْمَالِكُ لِلْقَلْبِ ، لَكَانَ كَافِيًا بِالْإِنْسَانِ كُلِّ مَبْلَغٍ .

وشيخنا أبو سليمان يقول كثيراً : إِنَّ الدِّينَ مَوْضُوعٌ عَلَى الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمُبَالَاةِ فِي التَّعْظِيمِ ^(١) ، وَلَيْسَ فِيهِ « لِمَ » وَ « لَا » وَ « كَيْفَ » إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُؤَكِّدُ أَصْلَهُ وَيَشْدُدُّ أَرْزَهُ ، وَيَنْفِي عَارِضَ الشَّوْءِ عَنْهُ ، لِأَنَّ مَا زَادَ عَلَى هَذَا يُوهِنُ [الْأَصْلَ] بِالشَّكِّ ، وَيَقْدَحُ فِي الْفَرْعِ بِالتَّهْمَةِ .

قال : وهذا لا يخص ديناً دون دين ، ولا مقالةً دون مقالة ، ولا نحلةً دون نحلة ، بل هو سائر في كل شيء في كل حال في كل زمان ، وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل ، وعكس الأمر ؛ وهذا غير مُسْتَطَاعٍ وَلَا مُمَكِّنٍ ؛ وَقَدْ قِيلَ : « إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَأَرِدْ مَا يَكُونُ » .

(١) في كلتا النسختين « والتعظيم » بالواو ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وقال لنا القاضي أبو حامد المروزي : أنا منذ أربعين سنة أجتهد مع أصحابنا البصريين في أن أصحح عندهم أن بغداد أطيبت من البصرة ، وأنا اليوم في كلابي معهم كما كنت في أول كلابي لهم ، وكذلك حالهم معي ، فهذا هذا . أنظر إلى فضل ومرعوش — وهما من سقط الناس وسفلتهم — كيف لهيج الناس بهما وبالتمصّب لهما حتى صار جميع من ببغداد إما مرهوشين وإما فضليين .

ولقد أجتاز ابن معروف وهو على قضاء القضاة بباب الطاق فتعلّق بعض هؤلاء المجان بلجام بقلبي ، وقال : أيها القاضي ، عرفنا ، أنت مرعوشي أم فضلي ، فتحيّر وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه والفتنة ، وأن التخلّص بالجواب الرفيق أجدي عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ؛ فالتفت إلى الحرّاني — وكان معه وهو من الشهود — فقال : يا أبا القاسم ، نحن في محلة من ؟ قال : في محلة مرعوش ؛ فقال ابن معروف : كذلك نحن — عافاك الله — من أصحاب محلتنا لا نختار على اختيارهم ؛ ولا نتميّز فيهم . فقال القيّار : امش أيها القاضي في ستر الله ؛ مثلك من تعصّب للحيران .

فقال الوزير — أحسن الله توفيقه — هذا كله تعصّب وهوى وتمأخض^(١) . وتكلّف . قيل : هذا وإن كان هكذا فهو داخل فيما عداه من حديث الدين والمذهب والصناعة والبلد .

قال أبو سليمان : واصلحة عامة نُهي عن المراء والجدل [في الدين] على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين^(٢) ، وهم في غاية العداوة

(١) في (١) « وتماسك » ؛ وهو تحريف .

(٢) في (ب) « الجدل » ، مكان « الدين » ؛ وهو خطأ من الناسخ .

للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الطمأنينة واليقين .
ثم حدث فقال :

اجتمع رجلان : أحدهما يقول بقول هشام ، والآخر يقول بقول الجواليقي ؛ فقال صاحب الجواليقي لصاحب هشام : صف لي ربك الذي تعبد ، فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجواليقي : أيسرك أن يكون لك ولدت بهذا الوصف ؟ قال : لا ، قال : أما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاها لو ولدك ؟ فقال صاحب هشام : إنك قد سمعت ما نقول ، صف لي أنت ربك ؛ فقال : إنه جمد قطط في أنتم القمامات وأحسن الصور والقوام . فقال صاحب هشام ^(١) : أيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطوها ؟ قال : نعم ، قال : أفا تستحي من عبادة من تحب مباضعة مثله ؟ ! وذلك لأن من أحب مباضعة فقد أوقع الشهوة عليه .

فقال : هذا من شؤم الكلام ونكد الجدل ، فلو كان هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم ^(٢) ولا ينطق به لسان .

وحكى أيضاً قال : أبتلي غلام أعجمي بوجع شديد ، فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بني أصبر وأحمد الله تعالى . فقال : ولماذا أحمده ؟ قال لأنه أبتلاك بهذا ؛ فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالتأوه أشد مما كان ، فقال له أبوه : ولم أشد جزعك ؟ فقال : كنت أظن أن غير الله أبتلاني بهذا فكنت أرجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويعصرفه عني ، فأنا إذ كان هو

(١) في (١) التي وردت فيها وحدها هذه العبارة « الجواليقي » مكان « هشام » ، وهو خطأ . من الناسخ ؛ والسياق يقتضي ما أثبتنا . وعبارة (ب) « فقال له » ثم ذكر كلامه .
(٢) في (ب) « في خاطر » ، والمعنى يستقيم عليه أيضا .

الَّذِي أَبْلَانِي بِهِ فَن أَرْجُو أَنْ يُعَافِيَنِي ! فَالآن أَشْهَدُ جَزَعِي ، وَعَظَمَتُ مُصِيبَتِي . قَالَ : وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي أَبْلَاهُ هُوَ الَّذِي أَسْتَصَلَحَتْهُ بِالْبَلَاءِ لَيَكُونُ إِذَا وَهَبَ لَهُ الْعَافِيَةَ شَاكِرًا لَهُ عَلَيْهَا بِحَسْبِ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ نَامٍ لَكَانَ لَا يَرَى مَا قَالَ وَتَوَهَّمَهُ لَازِمًا .

وَحَكَمِي أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا مِنَ التَّعَجُّمِ حَجَّ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكُفَّةِ فَطَفِقَ يَدْعُو وَيَقُولُ : يَا مَنْ خَلَقَ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَالْهَوَامَّ الْعَادِيَةَ ، وَسَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَضَرَبَهُمُ بِالْإِمَانَةِ وَالنَّعْمَى وَالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ ؛ فَوَتَّبِ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسَبَّوْهُ وَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : أَدْعُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . فَأَظْهَرَ لَمْ النَّدَامَةَ ، وَالتَّعَارُفَ ^(١) فَخَلَّوْا عَنْهُ بَعْدَ مَا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ بِهِ ، فَارْجَعَ وَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكُفَّةِ ، وَجَعَلَ يَنَادِي : يَا مَنْ لَمْ يَخْلُقِ السَّبَاعَ الضَّارِيَةَ ، وَلَا الْهَوَامَّ ، وَلَا سَلَّطَهَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَمْ يَضْرِبْ النَّاسَ بِالْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . فَوَثَبُوا [عَلَيْهِ] أَيْضًا وَقَالُوا لَهُ : لَا تَقُلْ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَقَالَ : مَا أَدْرِي كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ إِنْ قُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَتَثْبِيهُ عَلَى ؛ وَإِنْ قُلْتُ : [إِنَّ اللَّهَ] لَمْ يَخْلُقْهَا وَتَثْبِيهُ عَلَى . فَقَالُوا : هَذَا يَنْتَبِي أَنْ تَعْلَمَ بِقَلْبِكَ وَلَا تَدْعُ اللَّهَ بِهِ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَوْثِ الْكَلَامِ وَشُبُهَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا يَجُوزُ ^(٢) أَنْ يُعْتَقَدَ شَيْءٌ بِالتَّقْلِيدِ ، وَلَا بَدُّ مِنْ دَلِيلٍ ، ثُمَّ يَدَّلُّونَ وَيَخْتَلِفُونَ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَدِلَّةَ مُتَكَافِئَةٌ .

وَكَانَ ابْنُ الْبَقَالِ يَجْهَرُ بِهَذَا الْقَوْلِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً : لِمَ مِلْتَ إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي وَجَدْتُ الْأَدِلَّةَ مُتَدَافِقَةً فِي أَنْفُسِهَا ، وَرَأَيْتُ أَصْحَابَهَا

(١) عبارة (١) « وفارق مجلوا عنه » ؛ وهو تحريف . والتعارف : التقارب والمداينة .

(٢) كذا في (١) والذي في (ب) « لا يجب » . ولعلها معرفة عن « لا يجب »

بالبناء للمجهول .

يُزَخِّرُ فُونَهَا وَيُمَوِّهُونَهَا لِيُتَقَبَلَ مِنْهُمْ ، وَكَانُوا كَأَصْحَابِ الزُّيُوفِ الَّذِينَ يَغُشُّونَ
 الذَّنْدَ لِيَنْفَقَ عِنْدَهُمْ ، وَتَدُورُ الْمُخَالَطَةُ^(١) بَيْنَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا تَعْرِفُ بِأَنَّ الْحَقَّ
 حَقٌّ وَالْبَاطِلَ بَاطِلٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا يَتَّبِعِينَ^(٢) أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ . قُلْتُ :
 أَفَلَا تَنْتَبِهُنَّ لِكَيْ تَتَّقِيَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الْبَاطِلَ حَقٌّ ؟
 قَالَ : لَا أَجِبُ . إِلَى حَقٍّ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَلَا أَجِبُ . أَيْضًا إِلَى
 بَاطِلٍ أَغْرِفُهُ بِعَيْنِيهِ فَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَلَكِنْ لَمَّا أَلْتَبَسَ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ
 بِالْحَقِّ قُلْتُ : إِنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا مَتَكَافِئَةٌ ، وَإِنَّمَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى حِذْقِ الْحَازِقِ
 فِي نُصْرَتِهِ ، وَضَعْفِ الضَّعِيفِ فِي الذَّبِّ عَنْهُ . قُلْتُ فَكَيْفَ كَانَ قَدْ رَجَعْتَ عَنْ
 اعْتِرَافِكَ بِالْحَقِّ أَنَّهُ حَقٌّ ، وَبِالْبَاطِلِ أَنَّهُ بَاطِلٌ . قَالَ : مَا رَجَعْتُ . قُلْتُ
 فَكَيْفَ تَدْعِي الْحَقَّ حَقًّا جُمْلَةً وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا جُمْلَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تُتَمَيَّزَ بِالتَّفْصِيلِ .
 قَالَ : كَذَا هُوَ . قُلْتُ : فَمَا تَفْعَلُكَ^(٣) بِالْأَعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ مُتَمَيَّزٌ عَنِ الْبَاطِلِ
 فِي الْأَصْلِ ، وَأَنْتَ لَا تُتَمَيَّزُ بَيْنَهُمَا فِي التَّفْصِيلِ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا تَفْعَلُ
 مِنْهُ . قُلْتُ فَلِمَ لَا تَقُولُ : الرَّأْيُ أَنَّ أَقْفَ فَلَا أَحْكَمَ عَلَى الْأَدِلَّةِ بِالتَّكَاثُفِ ، لِأَنَّ
 الْبَاطِلَ لَا يُقَاوِمُ الْحَقَّ ، وَالْحَقَّ لَا يَتَشَبَّهُ بِالْبَاطِلِ ، إِلَى أَنْ يَفْتَتَحَ اللَّهُ بَصَرِي
 فَأَرَى الْحَقَّ حَقًّا فِي التَّفْصِيلِ ، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا عَلَى التَّحْصِيلِ ، كَمَا رَأَيْتُهُمَا فِي الْجُمْلَةِ ،
 وَأَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَصَرِي عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي غَضَّ بَصَرِي عَنْهُ فِي
 الثَّانِي ؟ قَالَ : يَنْتَبِهُنَّ أَنْ أَنْظُرَ فِيمَا قُلْتُ . فَقُلْتُ : أَنْظُرْ إِنْ كَانَ لَكَ نَظَرٌ ،
 وَلَا تَتَكَلَّفُ النَّظَرَ مَا دَامَ بِكَ عَمَى أَوْ عَشَا أَوْ رَمَدَ .

(١) كَذِبٌ فِي (١) وَالَّذِي فِي (ب) « الْعَامِلَةُ » .

(٢) فِي كَلِمَتَا النُّسَخَتَيْنِ « يَبِينُ » بِسِقُوطِ « لَا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَقْبَتَنَا كَمَا يَأْخُذُ مَا يَأْتِي بَعْدَ .

(٣) فِي (١) « تَفْعَلُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وحكى لنا أبو سليمان قال : وصف لنا بعض النصارى الجنة فقال : ليس فيها أكلٌ ولا شربٌ ولا نكاح . فسمع ذلك بعض المتكلمين فقال : ما تصف إلا الحزن والأسف والبلاء .

وقال أبو عيسى الوراق — وكان من حذاق المتكلمين — إن الأمر بما يتعلم أن الأمور لا يفتله سفيه ، وقد علم الله من الكفار أنهم لا يؤمنون ، فليس لأمرهم بالإيمان وجه في الحكمة .

قال أبو سليمان : أنظر كيف ذهب عليه الشر في هذه الحال ، من أين أتوا ، وكيف لزمهم الحجة .

وقال أبو عيسى أيضاً : الماعب الذى لا يستصلح بمقوبته من عاقبه ، ولا يستصلح به غيره ، ولا يشقى غيظه بمقوبته جائر ، لأنه قد وضع العقوبة في غير موضعها . قال : لأن الله تعالى لا يستصلح أهل النار ولا غيرهم ، ولا يشقى غيظه بمقوبتهم ، فليس للمقوبة وجه في الحكمة . هذا غرض كتابه الذى نسبته إلى الغريب المشرقي .

وقال أبو سعيد الخضرى — وكان من حذاق المتكلمين ببغداد ، وهو الذى تظاهر بالقول بشكائى الأدلة — إن كان الله عدلاً كريماً جواداً عليماً رءوفاً رحيماً فإنه سيصير جميع خلقه إلى جنته ، وذلك أنهم جميعاً على اختلافهم يجتهدون في طلب مرضاته ، فيهربون من وقع سُخطه بقدر علمهم ومبلغ عقولهم ، وإنما تركوا اتباع أمره لأنهم خدعوا ، وزين لهم الباطل باسم الحق ؛ ومثلهم في ذلك مثل رجل حمل هدية إلى ملك ، فعرض له في الطريق قوم شائهم الخداع والسكر والاستلال^(١) ، فنصبوا له رجلاً ، وسموه باسم الملك

(١) في (٢) «والاستلال» وفي (ب) «والاسترسال»؛ وهو تحريف في كلتا النسختين.

الذى كان قصده ، فسلم الهدية إليهم ؛ فالملك الذى قصده إن كان كريماً فإنه يعذره ويزيحه ويزيد في كرامته ويره حين يقف على قصته ، وهذا أولى به من أن يفضب عليه ويعاقبه .

وقال أبو سليمان : ذكروا أن رجلاً رأى قوماً يتناظرون ، فجلس إليهم فرآهم محتفين ، فأقبل على رجل منهم فقال : أتلمنني أن أقول بقولك وأنا لا أعلم أبك محق ؟ فإن قلت : نعم ، قلت لك : إن بعض جلسائك يدعوني إلى مخالفتك وأتباعه ، وليس عندي علم بالمحق منكم ؛ وإن ألزمتني أن أتبع كلكم فهذا محال ، وإن قلت : لا يلزمك أن تتبعني ولا غيري إلا بعد العلم بالمحق منكم ، لم يخل العلم بذلك من أن يكون فعلى أو فعل غيري ، فإن كان العلم فعلاً لغيري قد صرت مضطراً ، ولا أستوجب عليه حداً ولا ذماً [وإن كان الفعل لى فمن أعظم جهالة ممن يفعل ما يلزمه الأمر والنهي به ، وإن قصر صيره ذلك إلى المطب والهلاك ، مع أن هذا القول يؤدى إلى أن أكون أنا المعترض على نفسى ، لأنه إنما يلزمنى ذلك إذا علمت أنى أقدر أن أعلم وألا أعلم .

وحكى لنا أيضاً قال : سئل عندنا رجل من المتحيزين بسجستان فقيل له : [ما دليلك على صحة مقالتك ؟ فقال لا دليل ولا حجة . فقيل له] وما الذى أحوجك إلى هذا ؟ قال : لأننى رأيت الدليل لا يكون إلا من وجوه ثلاثة : إما من طريق النبوة والآيات ، فإن كان إنما يثبت من هذه الجهة فلم أشاهد شيئاً من ذلك ثبت عندى مقالته .

وإما أن يكون يثبت بالكلام والقياس فإن كان إنما يثبت بذلك فقد

رَأَيْتُنِي سَرَّةً أَخْصِمُ وَسَرَّةً أَخْصِمُ ، ورَأَيْتُنِي أَعْجِزُ عن الْحِجَّةِ فَأَجِدُهَا عند
غَيْرِي ، وَأَتَفَبَّهَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي بعد ذَلِكَ ، فَيَصِحُّ عِنْدِي مَا كَانَ
بَاطِلًا ، وَيَفْسُدُ عِنْدِي مَا كَانَ صَحِيحًا ؛ فَلَمَّا كَانَ هَذَا الوَصْفُ عَلَى مَا وَصَفْتُ
لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَقْضِيَ لشيءٍ بِصَحَّةٍ مِنْ هذه الْجَهَةِ ، وَلَا أَقْضِيَ عَلَى شيءٍ بِفَسَادٍ
لعدمِ الْحِجَّةِ .

وإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ ثَبَتَتْ بِالْأَخْبَارِ عَنِ الْكُتُبِ فَلَمْ أَجِدْ أَهْلَ مِلَّةٍ أَوْلَى
بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ إِلَى تَصْدِيقِ كُلِّهِمْ سَبِيلًا . وَكَانَ تَصْدِيقُ الْفِرْقَةِ
الوَاحِدَةِ دُونَ مَا سِوَاهَا جَوْرًا ، لِأَنَّ الْفِرْقَ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدَّعْوَى وَالْحِجَّةِ
وَالذَّبِّ وَالنُّصْرَةِ . فَقِيلَ لَهُ : فَلِمَ تَدِينُ بِدِينِكَ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى شِعَارِهِ
وَحِلْيَتِهِ ، وَهَدْيِهِ وَهَيْئَتِهِ ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ لَهُ حَرَمَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي وَلِدْتُ فِيهِ ، وَنَشَأْتُ عَلَيْهِ ،
وَتَشَرَّبْتُ حَلَاوَتَهُ ، وَأَلْفَتُ عَادَةَ أَهْلِهِ ، فَكَانَ مِثْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ دَخَلَ خَانًا
يَسْتَظِلُّ فِيهِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَالسَّمَاءُ مُصْنَحِيَّةٌ ، فَأَدْخَلَهُ صَاحِبُ الْخَانِ بَيْتًا مِنْ
الْبُيُوتِ مِنْ غَيْرِ تَخَبُّرٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِصَلَاحِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ
فَطَفَرَتْ جَوْدًا ، وَوَكَّفَ الْبَيْتُ ، فَنَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ الَّتِي فِي الْمُنْدُقِ فَرَأَاهَا
أَيْضًا تَكِيفُ ، وَرَأَى فِي صَحْنِ الدَّارِ رَدْعَةً ، فَفَكَّرَ أَنْ يُقِيمَ مَكَانَهُ وَلَا
يَنْتَقِلُ إِلَى بَيْتٍ [آخَرٍ] وَيَرْجَحُ الرَّاحَةَ ، وَلَا يُلْطِخُ رِجْلَيْهِ بِالرَّدْعَةِ وَالْوَحْلِ
الَّذَيْنِ فِي الصَّخْنِ ؛ وَمَالَ إِلَى الصَّبْرِ فِي بَيْتِهِ ، وَلِلْقَامِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ،
وَكَانَ هَذَا مِثْلِي ، وَلِدْتُ وَلَا عَقْلَ لِي ، نَحْنُ أَدْخَلْنَا أَبْوَابَ فِي هَذَا الدِّينِ مِنْ
غَيْرِ خَيْرَةٍ مِنِّي ، فَلَمَّا فَتَشْتُ عَنْهُ رَأَيْتُ سَبِيلَهُ سَبِيلَ غَيْرِهِ ، وَرَأَيْتُنِي فِي صَبْرِي

عليه أعزّ مني في تركه ، إذ كنت لا أدعه وأميل إلى غيره إلا باختيار مني
لذلك ، وأثرة له عليه ؛ ولست أجده حجة إلا وأجد لغيره عليه مثلها .

وحكى لنا ابن البقال — وكان من ذهاب الناس — قال : قال ابن
المسيب : جُمع بيني وبين عثمان بن خالد ، فقال لي : أحب أن أناظرك
في الإمامة ؛ قلت : إنك لا تناظرني ، وإنما أشير عليّ ؛ فقال : ما أقبل
ذلك ، ولا هذا موضع مشورة ، وإنما اجتمعنا للمناظرة ؛ قلت له : فإننا
قد اجتمعنا على أن أولى الناس بالإمامة أفضلهم ، وقد سبقنا القوم الذين يتنازع في
فضلهم ، وإنما يعرف فضلهم بالنقل والخبر ؛ فإن أحببت سلّمت لك ما ترويه
أنت وأهل مذهبك في صاحبك ، وتسلّم لي ما أرويه أنا وفرقتي في صاحبي ،
ثم أناظرك في أيّ الفضائل أعلى وأشرف ؛ قال : لا أريد هذا ، وذلك أني
أروى مع أصحابي أن صاحبي رجل من المسلمين يصيب ويخطئ ، ويعلم
ويجهل ؛ وأنت تقول في صاحبك : إنه معصوم من الخطأ ، عالم بما يحتاج
إليه . فكيف أَرْضَى هذه الجملة ؟ قلت : فأقبل كل شيء ترويه أنت
وأصحابك في صاحبي من خد أو دَم ، وتقبل أنت كل شيء أرويه أنا
وأصحابي في صاحبك من خد أو دَم ؛ قال : هذا أقبح من الأول ، وذلك
أنّي وأصحابي نروى أن صاحبك مؤمنٌ بخير فاضل ، وأنت وأصحابك تروون
أن صاحبي كافرٌ منافق ؛ فكيف أقبل هذا منك وأناظرك عليه ؟

قال ابن المسيب : فلم يبقَ إلا أن أقول : دَع قَوْلَكَ وقول أصحابك ،
وأقبل قولي وقول أصحابي ؛ قال : ما هو إلا ذاك ؛ قلت : هذه مشورة ، وليست
مناظرة . قال : صدقت .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ : أَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ نَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : [وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ قَالَ :] نَعَمْ ؛ قَالَ : فَلَا تُثْنِ الْأَذَانَ نَهَانَا عَنْ عِبَادَتِهِمَا مَعْقُولَانِ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَالْوَاحِدُ الَّذِي أَمَرْنَا بِعِبَادَتِهِ مَعْقُولٌ هَكَذَا ؟ وَأَشَارَ بِإصْبَعٍ وَاحِدَةٍ ؛ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَقَدْ نَهَانَا عَمَّا يُعْقَلُ وَأَمَرَنَا بِمَا لَا يُعْقَلُ ، وَهَذَا يُعْلَمُ مَا فِيهِ فَانْظُرْ حَسَنًا .

وَحَكَى لَنَا الزُّهَيْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَخْشَادِ قَالَ : تَنَازَلَرَجَ رَجُلَانِ فِي وَصْفِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ ، وَاشْتَدَّ بَيْنَهُمَا الْجِدَالُ ، فَتَرَاضِيَا بِأَوَّلٍ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِمَا وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمَا ، فَطَلَعَ أَعْرَابِيٌّ ، فَأَجْلَسَاهُ وَقَصَا قِصَّتَهُمَا ، وَوَصَفَا لَهُ مَذْهَبَيْهِمَا ؛ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ لِأَحَدِهِمَا — وَكَانَ مُشَبِّهًا — : أَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ صَيًّا ، وَقَالَ لثَانِي : وَأَمَّا أَنْتَ فَتَصِفُ عَدَمًا ، وَكَلَّا كَمَا يَقُولَانِ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ تَعْلَمَا .

وَقَالَ لَنَا الْأَنْصَارِيُّ أَبُو كَعْبٍ : قَالَ ابْنُ الطُّعْجَانِ الضَّرِيرُ الْبَصْرِيُّ — وَكَانَ يَقُولُ بِقَوْلِ جَهْمٍ — : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَسَنَاتٍ ، فَيَنْدَمُونَ عَلَى مَا قَصَرُوا فِيهِ مِنْ تَنَاوُلِ اللَّذَاتِ ، وَقَضَاءِ الْأَوْطَارِ بِالشَّهَوَاتِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْعِقَابَ ، فَنَالُوا الثَّوَابَ ؛ وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ الثَّلَاجِ قَالَ ، قَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْأَدِمِيُّ : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا سَاوِرَ فِيهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ سَاوِرٍ مَانِعٌ ، وَكُلُّ مَانِعٍ آفَةٌ ، وَلَيْسَتْ فِي الْجَنَّةِ آفَةٌ ، وَلِهَذَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ : إِنَّ الْحُورَ يُرَى مُخَّ سَاقِيهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً

سَوَى مَا تَحْتَ ذَلِكَ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ ، كَالسَّلَكِ فِي الْيَاقُوتِ ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :
الْجَنَّةُ إِذَا أُوْدِيَ مِنَ الْحَمَامِ ، إِذْ قِيلَ : بُئْسَ الْبَيْتُ الْحَمَامُ ، يُذْهِبُ الْحَيَاءَ ،
وَيُبْدِي الْعَوْرَةَ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ رَبَاطٍ السَّكُوفِيُّ — وَكَانَ رَئِيسَ الشَّيْعَةِ بِبَغْدَادَ ، وَلَمْ أَرِ
أَنْطَقَ مِنْهُ — قَالَ : قِيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
مِنْ أَيْنَ جَاءَ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : النَّاسُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُنَافِقٌ
كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ
مَا صُدِّقَ ^(١) وَلَا أُخِذَ عَنْهُ . وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
قَوْلًا أَوْ رَأَاهُ يَفْعَلُ فِعْلًا ثُمَّ غَابَ وَنُسِخَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ نُسِخَ
مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ وَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ نُسِخَ مَا قَبِلُوا مِنْهُ وَلَا أَخَذُوا
عَنْهُ وَرَجُلٌ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَوْلًا فَوَهِمَ فِيهِ ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ وَهِمٌ مَا حَدَّثَ وَلَا عَمَلَ بِهِ . وَرَجُلٌ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَهَيِّمْ ، وَشَهِدَ
وَلَمْ يَغِيبْ .

قَالَ : وَإِنَّمَا دَلَّ بِهَذَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : كَفْتُ إِذَا سُئِلْتُ أَجَبْتُ ،
وَإِذَا سَكَتُ أَبْتَدَيْتُ .

وَحَكَى لَنَا ابْنُ زُرْعَةَ النَّصْرَانِيُّ قَالَ : قِيلَ لِلْمَسِيحِ : مَا بَالُ الرَّجُلَيْنِ
يَسْمَعَانِ الْحَقَّ فَيَقْبَلُهُ أَحَدُهُمَا وَلَا يَقْبَلُهُ الْآخَرُ ؟ فَقَالَ : مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّاعِي
الَّذِي يَصُوتُ بَغْنَمِهِ فَتَأْتِيهِ هَذِهِ الشَّاةُ بِدَنَائِهِ ، وَلَا تَأْتِيهِ هَذِهِ .

قَالَ أَبُو سَلْيَانَ : هَذَا جَوَابٌ مُبْتَوَرٌ ، وَلَيْسَ لَهُ سَنَنٌ ، وَلَعَلَّ التَّرْجُمَةَ تَد

(١) كَذَا فِي (ب) . وَالْقِيَ فِي (١) : « مَا حَدَّثَ » .

حافت عليه ، والمعنى أنحرَفَ عن الغاية ؛ وليس يَجُوزُ أن يكون حال الإنسان كيف كان ، حال الشاةِ في إجابةِ الداعي وإبائها^(١) ، فإن له دَواعِيَ ومَوَانِعَ عقليةً [وحسيةً] .

فقال الوزير : هذا أيضاً بابٌ قد مضى مُستوفى ، ما الذى سمعتَ اليوم ؟ فقلتُ : رأيتُ ابنَ برمويه فى دَعْوَةٍ ، وتَرَائى الحديث فقال : رأيتُ اليومَ الوزيرَ شديدَ العُبوس ، أهو هكذا أبداً ، أم عَرَضَ له هذا عَلَى بَيْحَتِي ؟ فقال ابْنُ جَبَلَةَ : لعله كان ذاك لسبب ، وإلاَ فالْبِشْرُ غَالِبٌ عَلَى وَجْهِهِ ، والبَشاشَةُ مألوفةٌ منه . فقال ابنُ برمويه : ما أَحْسَنَ ما قال الشاعر :

أخو البِشْرِ محمودٌ عَلَى حُسْنِ بِشْرِهِ وَلَنْ يَقدَّمَ البَغْضاءُ مَنْ كان عَاسِيا
فقال على بنُ محمد — رسولُ سِجِسْتان — : ما أَدْرِى ما أَتَمُّا فيه ، ولكن يقال : ما أَرْضَى الفَضْبان ، ولا أَسْتَمَطَتِ السلطان ، ولا مَلَكَ الإِخوان ؛ ولا اسْتَلَّتِ الشَّخْفاء ، ولا رُفِعتِ البَغْضاء ؛ ولا تُوقى الحُذور ، ولا اجْتَلِبَ السرور ؛ بمثلِ البِشْرِ والْبِرِّ ، والْهَدِيَّةِ وَالْعَطِيَّةِ .

وقال الوزير : هاتِ مُلَحَّةَ المجلس^(٢) .

فكان الجواب : قال أبو هَمَّام ذاتَ يوم : لو كان النخلُ لا يَحْمِلُ بعضُهُ إلا الرُّطْبَ ، وبعضُهُ [إلا] البُشْرَ ، وبعضُهُ إلا الخِلالَ^(٣) ، وكنا مَتى

(١) كذا فى (١) . والذى فى (ب) : « وإتيانه » ؛ وهو تحريفٌ .

(٢) فى (ب) : « الدواعى » مكان قوله : « المجلس » .

(٣) الخلال بفتح الحاء : البسر إذا اخضر واستدار .

تَفَاوَلْنَا مِنَ الشَّمْرَانِ بُسْرَةً خَلَقَ اللَّهُ مَكَانَهَا بُسْرَتَيْنِ ، مَا كَانَ بِذَلِكَ بَأْسٌ .
ثم قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لَوْ كُنْتُ تَمَلَّيْتُ بَدَلَ نَوَافِرِ التَّوْبَةِ زُبْدَةً
كَانَ أَضْوَبَ .

وسأل الوزيرُ : هل يقال في النساءِ رجُلَةٌ ؟ (٣)

فكان الجواب : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَافِيُّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ فِي عَائِشَةَ
بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا] : « كَانَتْ رَجُلَةً الْعَرَبِ » ، وَإِنَّمَا
ضَاعَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ كُلِّيَّ سَرِّ الْأَيَّامِ بِغَلَبَةِ الْمُجْتَمَانِ ؛ فَقَالَ : إِنَّهَا وَاللَّهِ لَكَذَلِكَ ،
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : كَانَ يُقَالُ : لَوْ كَانَ لِأَيِّبِهَا ذَكْرٌ مِثْلُهَا لَمَا خَرَجَ
الْأَخَرُ مِنْهُ .

قال : هل تَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهَا شَيْئًا ؟ فقلتُ : لَهَا كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَالرَّوَايَةُ عَنْهَا شَائِعَةٌ فِي الْأَحْكَامِ ، وَلَقَدْ نَطَقَتْ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهَا بِمَا حُفِظَ وَأُذِيعَ ،
لَكِنِّي أَخْفَظُ لَهَا مَا قَالَتْهُ لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ :

خَرَجْتُ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ ، وَهَلَيْتُ فِيهِمْ ، فَقَالَتْ : أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ إِلَى تَسْدِيدِ الْحَقِّ وَتَأْكِيدِهِ
أَحْوَجَ مِنْكُمْ إِلَى مَا نَهَضْتُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ طَاعَةٍ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ كَلَّمَا
زَادَكُمْ اللَّهُ حِمَّةً فِي دِينِهِ ، أَزْدَدْتُمْ تَشَاؤُلًا عَنْ نُصْرَتِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاكُمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ
لَهَدَمْتُ النِّعْمَةَ أَيْسَرُ مِنْ بُنْيَانِهَا ، وَمَا الزَّيَادَةُ إِلَيْكُمْ بِالشُّكْرِ ، بِأَسْرَعَ مِنْ
زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْكُمْ بِالْكَفْرِ ؛ أَمَا لئن كَانَ فَنِيَّ أَكَلَهُ ، وَاخْتَرِمَ أَجَلُهُ ، إِنَّهُ
لِصَهْرٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَلَى آلُهُ وَسَلَمَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا عَلِمْنَا [خَلْقًا] .
تَزُوجُ أَبْلَتِي نَبِيَّ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ غَيَّرَ أَيْدِيكُمْ قَرَعَتْ صِفَاتَهُ لَوْجِدَ عِنْدَ تَلْغِي

الحربِ مَعَجَزًا^(١) ، وَلِسُيُوفِ النَّصْرِ مُتَقَلِّدًا ، وَلِسَكَنَها فِتْنَةٌ قُدِحَتْ بِأَيْدِي
الظُّلَمَةِ ؛ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ حَاطَ الْإِسْلَامَ وَأَكْغَدَهُ ، وَعَصَّدَ الدِّينَ وَأَيْدَهُ ؛ وَلَقَدْ
هَدَمَ اللَّهُ بِهِ صَيَاصِمَ أَهْلِ الشُّرْكِ ، وَوَقَّمَ^(٢) أَرْكَانَ الْكُفْرِ ؛ لِلَّهِ الْمُصِيبَةُ بِهِ ،
مَا أَفْجَعَهَا ، وَالْقَجِيحَةُ بِهِ مَا أَوْجَعَهَا ! صَدَّعَ اللَّهُ مَقْتَلَهُ صِفَاةَ الدِّينِ ، وَثَلَّثَتْ
مُصِيبَتُهُ ذِرْوَةَ الْإِسْلَامِ ، تَبًّا لِقَاتِلِهِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّلْبُسِ بِدَمِهِ ،
وَالرُّضَا بِقَتْلِهِ .

قال الوزير : مَا أَفْصَحَ لِسَانَهَا ، وَأَشْجَعَ جَنَانَهَا ، فِي ذَلِكَ الْمُحْفِلِ الَّذِي
يَتَبَلَّلُ فِيهِ كُلُّ قُتْلٍ^(٣) !

وَرَوَيْتُ أَيْضًا أَنَّهَا قَالَتْ : مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرٌ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ
الْبَأْسِ^(٤) ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَالتَّذَمُّمُ لِلجَّارِ ،
وَالْتَّذَمُّ لِلصَّاحِبِ ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَقِرَى الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّهَا نَفَثَتْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا كَانَ أَشْهَبَهَا ،
وَأَعْلَى نَظَرَهَا ، وَأَبْيَنَ جَوَابَهَا ! !

(٤) وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَسْرَاءَ تَظَلَّمَتْ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ بِخُرَاسَانَ ، فَزَبَرَها ،
وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا ؛ فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَكَ إِلَى خُرَاسَانَ لِيَنْظُرَ
هَلْ تَنَبَّأْتُ خُرَاسَانَ بِلَا عَامِلٍ أَمْ لَا ؛ فَقَالَ لَهَا مُسْلِمٌ : اسْكُتِي وَيَلَاكَ ، فَظَلَامَتُكَ
مَسْمُوعَةٌ ، وَحَاجَّتُكَ مَقْضِيَّةٌ .

(١) فِي (١) : « مَتَحَرِّكًا » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) وَقَدْ أَرْكَانَ الْكُفْرِ : كَسَرَهَا وَأَذَلَّهَا .

(٣) الْقُتْلُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ الْمَعْوَانُ .

(٤) فِي (١) : « النَّاسُ » بِالنُّونِ . وَوَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) لَا تَقُطُّ فِيهَا .

وَلَمْ يَلَمْ الصَّرَافُ مَا أَهْبَتَا .

وقال مسلم : ما وَخَزَ قَلْبِي قَطَّ شَيْءٌ مِثْلُ قَوْلِ هذه المرأة ، ولقد آليت
الْأَسْتِهِينَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَى .

وشبهه بهذا قول الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ : رَأَيْتُ فِي دَارِ الْمَأْمُونِ إِنْسَانًا
فَأَزْدَرَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : لِأَيِّ شَيْءٍ تَصْلُحُ أَنْتَ ؟ عَلَى غَيْظٍ مِنِّي وَتَفَضُّبٍ ؛ فَقَالَ :
أَنَا أَصْلُحُ لِأَنْ يُقَالَ لِي : هَلْ يَصْلُحُ مِثْلُكَ لِمَا أَنْتَ فِيهِ أَوْ لَا . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا وَقَرَّتْ كَلِمَتُهُ فِي أُذُنِي حَتَّى أَظْلَمَ عَلَى الْجَوِّ وَنَكِرْتُ نَفْسِي .

وكان عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِذَا كَانَ لَهُ خَصِيٌّ وَخِيٌّ أَمَرَ أَنْ يُحْجَبَ
عَنِ إِنْسَانِهِ ، وَقَالَ : هُوَ رَجُلٌ وَإِنْ قُطِعَ مِنْهُ مَا قُطِعَ ، وَرَبِّمَا أَجْتَزَأَتْ أَمْرًا
بِمِثْلِهَا ، وَلِلْمَعِينِ حَظُّهَا .

قال عبد الرحمن بن سعيد القرشي : كان لهشام بن عبد الملك خَصِيٌّ
يُقَالُ لَهُ خَالِدٌ ، وَكَانَ وَضِيئًا تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، مَدِيدَ الْقَامَةِ ، خَمًّا أَبْيَضَ ، فَأَسْرَ
هشامُ مَسْئَلَةً بِالْفُدُوِّ عَلَيْهِ ، فَعَدَا ، فَقِيلَ : اسْتَأْذِنْ لِأَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ،
فَأَسْتَحَفَّ وَقَالَ كَلِمَةً تَمِيمَهَا مَسْئَلَةٌ ، فَحَقَّقَهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ مَسْئَلَةٌ إِلَى هشام
لَمْ يَزَلْ يُبْدِ كُرْهَ شَيْئًا ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ حَتَّى حُطَّ عَنْ فُرْشِهِ وَجَلَسَا عَلَى الْبِساطِ
وَمَسْئَلَةٌ فِي ذَلِكَ يَرْمُقُ الْخَصِيَّ مَتَى يَمُرُّ بِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ مُغْمَمًا بِعَامَّةٍ
وَشَى ؛ فَقَالَ مَسْئَلَةٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيُّ فِتْيَانِنَا هَذَا ؟ قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
يَا أَبَا سَعْدٍ ، هَذَا خَالِدُ الْخَصِيِّ ؛ قَالَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَصَمَّةٌ مِنْ هَذَا
خَيْرٌ مِنْ جُمَاعَةِ رَجُلٍ ، فَقَلِقَ هشامٌ وَجَعَلَ يَتَصَوَّرُ حَتَّى قَامَ مَسْئَلَةٌ ، ثُمَّ أَمَرَ
بِالْخَادِمِ فَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ بَنِيهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ هشامٌ ، لَأَنِي
نَحْيِيَّتُهُ لِمَا بَلَغَكَ ، لِحَفَاءِ ، فَلَحِقَ الْخَادِمُ بِالشَّغْرِ .

(٥) وجَرَى حديثُ النَّفْسِ وأَنَّهَا كَيْفَ تَعْلَمُ الأشياءَ ، فقيل : النَّفْسُ فِي الْأَصْلِ عَلَامَةٌ ، وَالْعِلْمُ صُورَتُهَا ؛ لَكِنَّهَا لَمَّا لَابَسَتْ الْبَدَنَ ، وَصَارَ الْبَدَنُ بِهَا إِنْسَانًا ، اعْتَرَضَتْ حُجُبٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَتِهَا كَثِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ ، فَصَارَتْ تَخْرِقُ الْحُجُبَ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَتْ لِتَصِلَ إِلَى مَا لَهَا مِنْ غَيْبِهَا ، فَصَارَتْ تَعْلَمُ الْمَاضِيَ بِالْأَسْتِخْبَارِ وَالتَّمَرُّفِ وَالتَّبَحُّثِ وَالسُّئَالَةِ وَالتَّنْقِيرِ ، وَتَعْلَمُ الْآتِيَ بِالتَّائِيِ وَالتَّوَكُّفِ وَالتَّبَشِيرِ وَالْإِنْذَارِ ، وَتَعْلَمُ الْحَاضِرَ بِالتَّمَارُفِ ^(١) وَالْمُشَاهَدَةِ وَبِحَالِ الْحِسِّ ؛ وَهَذِهِ لِلْعُلُومَاتِ كُلِّهَا زَمَانِيَّةٌ ، وَلِهَذَا انْقَسَمَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْآتِيِ وَالْحَاضِرِ . فَأَمَّا مَا هُوَ فَوْقَ الزَّمَانِ فَأَنَّهَا تَعْلَمُهُ بِالمَصَادِفَةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الزَّمَانِ ، الْعَالِيَةِ عَلَى حَضَرٍ ^(٢) الدَّاهِرِ ، وَهَذِهِ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْدَانِهَا ، لِمَا لَهَا فِي غَيْبِهَا بِالْحَرَكَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا ، أَعْنَى الْحَرَكَةَ الَّتِي هِيَ فِي نَوْعِ الشُّكُونِ ، وَأَعْنَى بِهَذَا الشُّكُونِ الَّذِي هُوَ فِي نَوْعِ الْحَرَكَةِ ؛ وَلَمَّا قُدِّدَ الْأَسْمُ الْخَاصُّ بِهَذَا اللَّعْنِ ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِي الْإِخْبَارِ وَالْأَسْتِخْبَارِ إِلَّا مَا كَانَ مَأْلُوفًا بِالزَّمَانِ ، أَلْتَبَسَتْ الْعِبَارَةُ عَنْهُ بِاعْتِمَادِ الشُّكُونِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الْحَرَكَةُ ، وَاعْتِمَادِ الْحَرَكَةِ فِيمَا يُلْحَظُ مِنْهُ الشُّكُونِ ، فَصَارَ هَذَا الْجُزْءُ ^(٣) كَأَنَّهُ نَاقِضٌ وَمَنْقُوضٌ ، وَهَذَا لِيَجْذِبَ ^(٤) تَحُلَّ الْحِسِّ مِنْ نَبْذِ ^(٥) الْعَقْلِ ، وَخِصْبِ ^(٦) مَرَادِ الْعَقْلِ بِكُلِّ مَا عُلِقَ بِالْمَوْجُودِ أَلْحَقَ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَسْمُولِ وَلَا مَعْنَى لِلتَّمَارُفِ هُنَا .

(٢) فِي (ب) : « حَضَرٌ » .

(٣) فِي (ب) : « الْخَبَرُ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجُزْءُ » .

(٤) فِي (أ) : « الْجُزْءُ » مَكَانَ قَوْلِهِ : « الْجَدْبُ » .

(٥) فِي (أ) : « نَبْذٌ » . وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي (ب) مَهْمَلَةً الْحُرُوفِ مِنَ النُّقْطِ .

(٦) كَذَا فِي (ب) . وَالْقَى فِي (أ) : « وَخَصَّتْ مَوَادَّ الْعَقْلِ » ؛ وَمَا أُثْبِتَ هُوَ

مَا يَحْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

فقال الوزير : ما أغلَى نَجْدَ هذا الكلام ! وما أعمَقَ غَوْزَهُ ! وإني لأعْذِرُ كلَّ مَنْ قَابَلَ هذا المَسْمُوعَ بِالرَّدِّ ، وأَعْتَزُّ عَلَى قَائِلِهِ بِالْتَّكْبُرِ ؛ وَلَعَمْرِي إِذَا تَمَایَتِ الأشياءُ بالأسماءِ والصِّغَاتِ ، وَعَرَضَ العَجْزُ عن إِبَانَتِهَا بِحَقَائِقِ الألقابِ ، حَارَ العَقْلُ الإنْسَانِي ، وَخِیرَ الفَهْمُ الحِمْيُّ ، وَأَسْبَحَالُ المِزَاجُ البَشَرِيّ وَتَهَافَّتَ التَّرْكِيبُ الطَّيْنِيّ ، وَقَدَّرَ النَّاطِرُ في هذا الفنِّ ، والبَاحِثُ عن هذا المِسْكَنِ ، أَنَهُ حَالِمٌ ، وَأَنَّ الحِلْمَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، وَلَا جَدْوَى مِنْهُ .

وهذا كله هَكَذَا مَا دَامَ مَقِيسًا إِلَى الْأُمُورِ القَائِمَةِ^(١) بِشَهَادَةِ الإِخْسَاسِ ؛ فَأَمَّا إِذَا صَفَا النَّاطِرُ ، أَغْنَى نَاطَرَ العَقْلِ مِنْ قَدَى الحِمْيِّ ، فَإِنَّ المَطْلُوبَ يَكُونُ حَاضِرًا أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ غَيْرُهُ ظَاهِرًا مُسْتَبَاقًا ؛ وَلَيْسَتْ شَهَادَةُ العَبْدِ كَشَهَادَةِ المَوْلَى ، وَلَا نُورُ الشَّهَى كَنُورِ القَمَرِ .

قال : أَنَشِدْنِي أَيْيَاتًا غَرِيبَةً جَزَلَةً ، فَأَنَشَدْتُ [لَهْذَبَةِ التَّذْرِی] :

سَاوَى إِلَى خَيْرٍ قَدْ فَاتَنِ الصَّبَا	وصيبحَ برِيعَانِ الشَّبَابِ فَنُفِّرَا
أُمُورٌ وَالْوَانُ وَحَالٌ تَقَلَّبَتْ	بِهَا وَزَمَانٌ عُرْفُهُ قَدْ تَنَكَّرَا
أُصِيبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ سَلَى أَصَابَهُ	تَسَهَّلَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَا تَوَعَّرَا
وَأِنْ نُنْجِ مِنْ أَهْوَالٍ مَا خَافَ قَوْمُنَا	عَلَيْنَا فَإِنَّ اللَّهَ مَا شَاءَ يَسَّرَا
وَأِنْ غَالَنَّا دَهْرٌ قَدْ غَالَ قَبْلَنَا	مُلُوكَ بَنِي نَضْرٍ وَكِسْرَى وَقَيْصَرَا
وَذِي تَيْرَبٍ ^(٢) قَدْ عَابَنِي لَيْلَانِي	فَاعْيَا مَدَاهُ عَنْ مَدَايِ فَأَنْصَرَا

(١) في نسخة : « الغائبة » مكان « القائمة » .

(٢) التيرب : الحقد . والنتى في (١) : « تيرب » . وفي (ب) : « سرب » ؛

وهو تحريف في كلتا النسختين .

فَإِنْ يَكُ دَهْرٌ نَأْتِي فَأَصْـلَابِي بَرِيْبٍ فَا تُشَوِي ^(١) الحوادثُ مُعْشَرًا
فَلَسْتُ إِذَا الضَّرَاءُ نَابَتْ بِجُبَا ^(٢) وَلَا جَزَعٌ إِنْ كَانَ دَهْرٌ تَغَيَّرَا
فَقِيلَ : مَا الْجُبَا ؟ فَقَالَ : الْجَبَانُ .

قال أبو سعيد : حَكَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ فَلَانًا جُبَاً ، إِذَا تَسَكَّلَ .

فَقَالَ : مَا أَمْتَنَ هَذَا الْكَلَامَ ، وَالْطَّفَ هَذَا الْجَدُّ ، وَمَا أَبَدَهُ مِنْ تَلْفِيظِ
الضَّرُورَةِ ، وَهَجْنَةِ التَّكَلُّفِ ، لَوْلَا أَنَّ سَامِعَهُ رُبَّمَا تَطَيَّرَ بِهِ ، وَأَنْكَسَرَ عَلَيْهِ .

(٧) فَكَانَ الْجَوَابُ : قَدْ سَمِعَ فِي الْقَالِ وَالزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ وَالْأُصْحَافِ مَا إِذَا
تُحَقِّقَ لَمْ يُعْجِ حَتَّى مِثْلِ هَذَا الْأَسْتِشْمارِ ؛ وَلَعَمْرِي إِنْ لَمْذُكُورَ وَالسَّمُوعِ
إِذَا كَانَ حَسَنًا وَجَمِيلًا وَمَحْبُوبًا وَمُتَمَنَّى ، كَانَ أَخْفَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَأَخْلَطَ
بِالنَّفْسِ ، وَأَغْبَثَ بِالرُّوحِ ؛ وَكَذَلِكَ ^(٣) إِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى الضَّدِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ
أَزْوَى لِلْوَجْهِ ، وَأَكْرَبَ لِلنَّفْسِ ؛ وَلَكِنَّ الْأُمُورَ فِي الْخَلِيَاتِ وَالشُّرُورِ لَيْسَتْ
فَاشِيَةً مِنَ الطَّيْرَةِ وَالْعِيَّافَةِ ، وَلَا جَارِيَةً عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَهِيَ عَلَى
مَقَاصِدِهَا الَّتِي هِيَ غَايَاتُهَا ، وَمُتَوَجِّهَاتُهَا الَّتِي هِيَ نَهَايَاتُهَا ؛ وَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ
عَارِضَةٌ لِلنِّسَاءِ وَأَشْبَاهِ النِّسَاءِ ، وَمَنْ يَلْمِزُهُ ^(٤) ضَعِيفَةٌ ، وَمَادَّتُهُ مِنَ الْعَقْلِ
حَلِيفَةٌ ، وَعَادَتُهُ الْجَارِيَةُ سَخِيفَةٌ ؛ وَإِلَّا فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ صَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ
يَجْلِبُ الْمَحْبُوبَ وَيَكُونُ عِلَّةً لَهُ ؟ وَأَنَّ اللَّفْظَ الْخَلِيفَ يَجْلِبُ الْمَكْرُوهَ وَيَكُونُ

(١) تشوى : تخطى .

(٢) فِي (١) : « عَجَا » . وَفِي (ب) : « عَجَا » ؛ وَهُوَ تَعْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ

صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَتَضَعِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) كَانَ الْأَوَّلُ أَنْ يَقُولَ « وَلَا كَذَلِكَ » أَوْ « وَلَيْسَ كَذَلِكَ » أَوْ « وَعَكْسُ ذَلِكَ »

فَإِنَّ الْآتِيَّ بَعْدَ لَيْسَ كَالَّذِي ذَكَرَهُ قَبْلُ .

(٤) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « نَفْسُهُ » .

عِلَّةٌ لَهُ ١٩ هَذَا خَوَرٌ فِي طَبَاعِ قَائِلِهِ ، وَتَأْنِثٌ ^(١) فِي غُنْصُرٍ مُسْتَشْعِرِهِ ؛ وَلَوْ سَلَكَ الْعُلَمَاءُ وَالْبُصَرَاءُ هَذَا الطَّرِيقَ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ أَمْرٍ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى فُسَادٍ عَامٍ ؛ وَآثَرٌ ^(٢) مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَا يُعَوِّلُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ سَاءَ مِنْهُ شَيْءٌ لَا يَحْطِإُ إِلَيْهِ ، بَلْ يَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَلَى رَبِّهِ فِي مَسَرَّتِهِ وَمَسَاءَتِهِ ، أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّدِهِ بِمَحْوَلِهِ وَقُوَّتِهِ ، فِي اخْتِيَارِهِ وَتَسْكُرَتِهِ ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ رَصِينٍ ، وَهِمَةٍ ^(٣) صَاعِدَةٍ ، وَشَكِيمَةٍ شَدِيدَةٍ ، وَلَيْسَ يَوْجَدُ هَذَا عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يُصَآبُ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ .

فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ أَخَذْتَ الْمَسْئَلَةَ بِحَقِّهَا ، وَلِلتَّزْيِيدِ مِنْهَا ظَالِمٌ ، وَالزَّائِدُ عَلَيْهَا مَبْكَكٌ .

وَقَالَ أَيْضًا : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ ابْنِ فَارِسٍ أَبِي الْفَتْحِ — فَقَدْ كُنْتُ عِنْدَهُ بِقَرْمِيسِينَ ^(٤) أَيَّامًا — وَمَا وَضَحَ لَكَ مِنْ تَقْدُّمِهِ وَتَأَخُّرِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَبِضَاعَتِهِ ؟

فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : إِنَّهُ شَيْخٌ فِيهِ مَحَاسِنٌ وَمَسَاوِيٌ ، إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ جَانَ لَمَّا يُدْخَلُ بِهِ لَا لِمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ ، فَفِي ذَلِكَ أَنَّ لَهُ خَيْرَةً بِالتَّصَرُّفِ ، وَهُنَاكَ ^(٥) أَيْضًا قِسْطٌ مِنَ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِ الْمُنْدَسَةِ ، وَتَشْبِيهُ ^(٦) بِأَحْصَابِ الْبَلَاغَةِ ، وَمُذَاكِرَةٌ

(١) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ : « وَتَأْنِثٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي كِلْتَا النِّسَخَتَيْنِ : « وَآثَرٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَنْقُضِيهِ السِّيَاقُ .

(٣) عِبَارَةٌ (١) : « وَهِمَةٌ مُتَبَاعِدَةٌ » مَكَانُ قَوْلِهِ : « وَهِمَةٌ صَاعِدَةٌ » ؛ وَمَعْنَاهَا لَا يَنْسَبُ سِيَاقُ الْكَلَامِ هُنَا .

(٤) قَرْمِيسِينَ بَلَدٌ قَرِيبُ الدِّيْنُورِ بَيْنَ هَمْدَانَ وَحُلَوَانَ .

(٥) فِي (١) : « وَهَذَا » مَكَانُ « وَهُنَاكَ » ؛ وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) فِي (١) : « وَتَشْبِيهُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

في المحافل صالحة ؛ إلا أن هذا كله مرْدُودٌ بالعونة والسكر^(١) والإيهام والخسنة والكذب والغبية ؛ وقد كان قريته بقرميسين يظنُّ به خيِّراً ، ويلحظه بعينٍ ما ؛ فلما سبَّره ذمُّه وكرِهَ أن يُماجِلَه بالصِّرف لثلاثٍ يُحكَمُ على اختيارِه بالخطأ ، وعلى تصرُّفه بالهوى . وللكبراء وذوى القدرة زلاتٌ فاحشة ، وقملاتٌ موحِشة ، ولكن ليس لهم [عليها] معيِّرٌ للخوف منهم ؛ فلما تماذى قليلاً وجَّهَ ابنَ وصيفٍ حتى صرَّفه^(٢) وقبَّده [بعد ما وبَّخه وفنَّده] وها هو ذا ألقى ههنا لا يُقبلُ بقبضة^(٣) ، ولا يُلتفتُ إليه بلحظة ، ومع ذلك يظنُّ أن قعرَ الدولة إلى نظره كقعرٍ للدنفِ إلى عافيته .

وله مع طاهر بن محمد بن إبراهيم شرار^(٤) وقبَّته^(٥) ، وتنديد وشنعة . وحدثنى ابنُ أحمد أمسٍ أن ابنَ فارس شارِعٌ في أمورٍ خبيثة ، وعازِمٌ على أشياء قبيحة ، ومُضَرَّبٌ بين أقوامٍ ضمتهم الألفة ، واستحكمت بينهم الثقة ، وخلصوا^(٦) حقظةً للدولة ، وحرساً للنعمة ، وعلموا أن الله لا يغيِّرُ ما يقوم حتى يُغيِّرُوا ما بأنفسهم ، وما أخوفني على إخواننا الذين بهم عذِبَ

(١) في كلتا النسختين : « والفكر » ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « خربة » .

(٣) في كلتا النسختين : « لا يقبل قبضة » ؛ وهو تحريف في كلتا الكلمتين .

والقبضة : ما أخذ بأطراف الأصابع ، كما سبق ذلك في تفسير المؤلف لهذا اللفظ فلاحظ .
بعض القنوين في الجزء السابق من هذا الكتاب . ويريد بهذه العبارة أنه رخيص .

(٤) شرار ، أي مشاركة بتشديد الراء . وفي نسخة : « سرار » بالسين المهملة .

(٥) من معاني القبضة : المدير ، وصوت أنياب الفحل ، والحق ؛ فله يريد ما نفيد هذه المعاني من أن بينهما منازعة وملاحاة وخصومة . وفي (أ) : « وفتنة » مكان « وقبضة » .
« وتبديل » مكان « وتنديد » ؛ وهو تحريف في كلا اللفظين .

(٦) في كلتا النسختين : « وحصلوا » ؛ وهو تحريف سواه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

شُرِّبْنَا ، وَأَمِنْ سِرِّبْنَا ، كَفَانَا اللَّهُ فِيهِمْ وَكَفَانَا كُلَّ مَسْكُورِهِ .
 فقال : هو أَضْيَقُ مَبْعَرًا ، وَأَقَامَ مَنْظَرًا ، وَأَذَلَّ نَاصِرًا مِنْ ذَاكَ ؛ وَاللَّهُ لَوْ
 نَفَخْتُ عَلَيْهِ لُطَارًا ، وَلَوْ هَمَمْتُ بِهِ لَبَارَ .

وَأَمَّا مَا قُلْتُ لِي أَيُّهَا الشَّيْخُ^(١) إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ رِسَالَتَكَ إِلَى الْوَزِيرِ ،
 حَتَّى أَقِفَ عَلَى مَقَاصِدِكَ فِيهَا ، وَأَسْتَبِينَ بِرَاعَتِكَ وَتَرْتِيبِكَ^(٢) بِهَا ؛ فَأَنَا أَقْلُ
 ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَاتِ ، وَلَمْ أَكْتُبْ فِي طَوِيلِ هَذِهِ اللَّدَّةِ مَعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ
 الْعَجِيبَةِ إِلَّا رُقْعَتَيْنِ وَرِسَالَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا الرُّقْعَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ حَدِيثَ
 الْخَادِمِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ شَافَهْتُكَ بِهِ ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَتَحَوَّتْ حَدِيثَ
 ابْنِ طَاهِرٍ وَمُصَاحِبِ الرُّصَافَةِ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنِّي .

رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير

أما الرسالة الأولى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اللَّهُمَّ حَلِّئْ بِلِتُوفِيقِ ، وَأَيِّدْنِي بِالثَّنْصَرَةِ ، وَأَقْرِنْ
 مَنَاطِقِي بِالسَّدَادِ ، وَاجْعَلْ لِي مِنَ الْوَزِيرِ وَزِيرَ الْمَالِكِ عُقْبَى قَارِجَةٍ^(٣) مِنْ
 الْقَمَمِ ، وَخَاتَمَةَ مَوْصُولَةٍ بِالنَّجَاحِ ، فَإِنَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ .
 كُنْتُ وَصَلْتُ إِلَى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ ، وَفُزْتُ بِالشَّرَفِ مِنْهُ ، وَخَدِمْتُ دَوْلَتَهُ ،
 وَعَلَاءَ مَنْ صَدَرِي بِخَيْبَتِهِ ، وَمَنْ فَوَادِي بِمَحِيضَتِهِ ، وَتَصَرَّفْتُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) يريد بالشيخ أبا الوفاء المهندس .

(٢) في كلتا النسخين : « برأيك » مكان « براعتك » . وفي (١) : « وترتيبك »
 مكان « وترتيبك » .

(٣) في (١) : « نازحة » ؛ وهو تحريف .

يأذنه في شُجُونِهِ وفُتُونِهِ ، كلُّ ذلك آملاً في جَذْوَى آخِذُهَا ، وَخُطْوَةٍ أَخْطَى بها ، وَزُلْفَى أَمِيسُ معها ، وَمَثَالَةٍ أَحْسَدُ عليها ؛ فَتَقَبَّلَ ذلك كله ، وَوَعَدَ عليه خيراً ولم يَزَلْ أَهْلَهُ ، وَانْقَلَبَتْ إلى أَهْلِ مَسْرُورًا بَوَجْهِ مُسْفِرٍ ، وَحُجَّيًّا طَلَقٍ ، وَطَرَفٍ عَازِمٍ^(١) ، وَأَمَلِي قَدَسَدًا مَا بَيْنَ أَفْقِ الْعِرَاقِ إِلَى صَنْعَاءِ التَّيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ لِنَفْسٍ : هَذَا مَعَانِ الْوَزِيرِ وَمَعْمَرُهُ ، وَجَنَابُهُ وَحَضْرُهُ ، [فَانْشَرَحِي مَسْتَفْتِحَةً ، وَتَيَمَّنِي مَقْتَرِحَةً ، وَأَطْمَئِنِّي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، لَا كِدْرَةَ الشَّرْبِ ، وَلَا مَذْمُورَةَ الشَّرْبِ] ، حَصَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ وَالْعَمَانِ ، عَلَى بَعْضِ فَعَلَاتِ الزَّمَانِ ؛ وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ مِنَ الزَّمَانِ فَهُوَ بِمَثَلِهِ مَلَأَ ، وَلَهُ فَعُولٌ . وَبَقِيَتْ مَحْمُولًا بَيْنِي وَبَيْنَ إِذْكَارِهِ — قَرَنَ اللَّهُ سَاعَاتِهِ بِسَعَادَاتِهِ ، وَوَصَلَ عِزُّهُ^(٢) يَوْمَهُ بِسَعَادَةِ غَدِهِ ؛ وَغَدَهُ بِامْتِدَادِ يَدِهِ — حَيْرَانَ لَا أَرِيشَ وَلَا أُبْرَى ، ثُمَّ رَفَعْتُ نَافِظِي ، وَسَدَّدْتُ خَاطِرِي ، وَفَصَّلْتُ الْحِسَابَ لِي وَطَلَى ؛ فَوَضَّحَ الْعِذْرُ الْمَبِينُ ، الْمَارِئُ مِنْ اسْتِزَادَةِ الْمُسْتِزِيدِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ أَعْبَاءَ الْوِزَارَةِ تَوَوَّدُ^(٣) سِرَّهُ ، وَتَتَعَبُّ^(٤) بَالَهُ ، وَالْمَمْلُوكَةَ تَفْزَعُ وَلَهَى عَلَيْهِ ، وَتُلَاقِي بِجِرَانِهَا^(٥) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالِدَوْلَةَ تَسْتَمِدُّهُ التَّجْدِيرَ الثَّاقِبَ ، وَالرَّأْيَ الصَّائِبَ ، سِوَى أُمُورٍ فِي خِلَافِ ذَلِكَ لَا يَحْرَرُهَا رَسْمٌ رَاسِمٌ ، وَلَا يَقَرُّهَا قَسَمٌ قَاسِمٌ ، وَلَا يَحْوِيهَا وَهْمٌ وَاهِمٌ ، وَلَا يَفْغُوزُ بِهَا سَهْمٌ مُسَاهِمٌ ، وَهُوَ يَخْطُرُ فِي حَوَاشِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّهَا تَحْرِيفٌ إِذْ لَمْ تَتَّبِعْ مَعْنَى وَصْفِ الْغُرَفِ بِهَذَا الْوَصْفِ .

(٢) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدًا هَذَا الْكَلَامُ : « عَنْ » مَكَانَ « عِزْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدًا هَذَا الْكَلَامُ : « تَوَدَّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدًا هَذَا الْكَلَامُ : « وَتَسْتَعِينُ » مَكَانَ « وَتَتَعَبُّ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (ب) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدًا هَذَا الْكَلَامُ : « بِجِرَانِهَا » ؛ وَهُوَ تَحْصِيفٌ .

متأبطاً بواهب الأتقال ، مفتوحاً عويص الأقفال^(١) ، ساي الطرف ، فسيح
 العذر ، سائاً على العلات ، غير مُكترث بهاك وهات ، يتلقى ما أغيا من
 ذلك بالي^(٢) ، وما أشكل بالإيضاح ، وما عسر بالتدبير ، وما فسد بالإصلاح ،
 وما أرق بالعنتى ، وما خرق بالرثى ، وما خنى بالتكشيف ، وما بدأ بالتصريف ،
 وما أورد بالتعريف ، وما لبس التعريف ، حتى أجمع على هواء قاصيها ودائيا ،
 وجرى على مراده خافيا وبديها ، واستجاب لأمره أيها ومفادها ، وأتلف
 بلفظه نادرها ومفادها ؛ فلما تيقنت^(٣) ذلك كله وقتلته خبراً ، أمسكت عن
 إذكاره — نفس الله مدته — سالف عهده ، ومتقدم وعده ، عالماً بأن
 أسرهما^(٤) مرعى عنده في صدر الكرم ، ومكتوب لديه في صحيفة الحمد ،
 وثابت قبله في ديوان الحسنى .

ولكن كان ذلك الأمتان^(٥) على رغم منى^(٦) ، لأنى قتلت فى أنفائه بين
 جنبي قلباً مغرور الرجاء ، ومنزور العزاء ، على عوارض لم تسنح فى خلدي ،
 ولم أعقد على شيء منها يدى .

فالحمد لله الذى جعل معاذى إلى الوزير الكريم ، البر الرحيم ، واللثة لله
 الذى جعلنى من عفاة جوده ، وناشئة عرفه ، ووارد عده ، وفادحى زنده ،

(١) فى الأصول « الأفعال » ؛ وهو تصعيف .

(٢) فى كلتا النسخين : « بالكي » بالكاف ؛ وهو تحريف لا معنى له هنا . ولعل
 صوابه ما أميتنا .

(٣) فى الأصل « نفتت » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى كلتا النسخين : « أسرهما » ؛ والياء زيادة من الناسخ .

(٥) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصول ؛ ولا معنى للامتنان هنا ، ولعل صوابه
 الكتان أو « الإمساك » أو ما يفيد ذلك أخذاً من قوله قبل : فأمسكت عن إذكاره .

(٦) فى (١) على زعم من أبى فلبث إلى أبيابه . مكان قوله على رغم منى لأنى قتلت فى أنفائه .

وَمُقْتَبِسِي نُورِهِ ، وَمُضْطَلِّي نَارِهِ ، وَحَامِلِي نِعْمَتِهِ ، وَطَالِبِي خِدْمَتِهِ ، وَجَعَلَ خَاصَّتِي وَخَالِصَتِي مِنْ بَيْنِهِمْ رَوَايَةَ مَنَاقِبِهِ بِاللِّسَانِ الْإِبْنِ ، وَنَشَرَ فَضَائِلِهِ بِالثَّنَاءِ الْأَحْسَنِ ، وَذَكَرَ آلَانَهُ بِاللَّفْظِ الْأَفْصَحِ ، وَالْأَحْتِجَاجَ لِسَدَادِ آرَائِهِ بِالْمَعْنَى الْأَوْضَحِ ؛ فَلَا زَالَ الْوَزِيرُ — وَزِيرُ الْمَلِكِ — تَمَدُّوْحًا فِي أُلُوحَايِ الْأَرْضِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَدْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ ، وَفِي نَوَادِي الرُّؤَسَاءِ وَالْمُعْظَمَاءِ ، مَا آبَ آتِبُ^(١) ، وَغَابَ غَائِبٌ ، بِمَنَّةٍ وَلُطْفِهِ .

قَدْ نَادَيْتُ الْوَزِيرَ حَكِيمًا سَامِعًا ، وَخَيْرًا جَامِعًا ، وَهَزَزْتُ مِنْهُ صَارِمًا قَاطِعًا ، وَشِهَابًا سَاطِعًا ، وَاسْتَسْقَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ سَحَابًا هَاطِلًا ، وَنُقَاخًا^(٢) سَائِلًا ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُجَنِّبَنِي مَرَارَةَ الْخَيْبَةِ ، وَحَسْرَةَ الْإِخْفَاقِ ، وَعَذَابَ التَّسْوِيفِ ، فَقَدْ تَلَطَّفْتُ بِالسَّخْرِ الْحَلَالِ ، وَالتَّذَبُّبِ الزُّلَالِ ، جُهْدَ الْمُقِلِّ الْحِمَالِ ، وَهُوَ أَوْلَى بِمَجْدِهِ ، فِي تَدْبِيرِ عِبْدِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هَذَا آخِرُ الرِّسَالَةِ الْأُولَى .

وَحَضَرَ وَصُورُهَا إِلَيْهِ بِهَرَامٍ — لَعْنَهُ اللَّهُ — وَتَكَلَّمَ بِمَا يَشْبَهُ نَذَالَتَهُ وَخِسَّتَهُ وَتَنَنَ نَيْتَهُ ، فَا كُنْتُ أَمَّنُهُ^(٣) ؛ وَمَا أَشَدَّ إِشْفَاقِي عَلَى هَذَا الْوَزِيرِ الْخَطِيرِ مِنْ شَوْمِ نَاصِيَةِ بِهَرَامٍ ، وَغِلِّ صَدْرِهِ ، وَقَلَّةِ نَصِيحَتِهِ ، وَلَوْثِ طَبِيعِهِ ، وَخُبْثِ أَصْلِهِ ، وَسُقُوطِ فَرْعِهِ ، وَدَمَامَةِ مَنَظَرِهِ ، وَلَآمَةِ مَخْبَرِهِ ؛ حَرَسَ اللَّهُ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِ ، وَطَهَرَ الْبِلَادَ مِنْ عُرِّهِ وَضُرِّهِ .

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي كَانَتْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْدَ اسْتِثْذَانِي إِيَّاهُ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَغَلَبَ غَالِبٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٢) وَرَدَ هَذَا الْقَفْظُ بِالْيَاءِ وَالْفَاءِ ؛ وَلَعَلَّ صَوَابُهُ مَا أَتَيْنَا .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « أَمَّلَهُ » بِاللَّامِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَا

في مخاطبة بالكاف ، حتى يجرى الكلام على سنن الاسترسال ، ولا يُعثر في طريق الكتابة بما يُزاحم عليه من اللفظ واللفظ ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أيها الوزير . جعل الله أقدار دهرِكَ جاريةً على تحكّم أمالك ، ووَصَلَ توفيقه بمبايغ مُرادِكَ في أقوالِكَ وأفعالِكَ ، ومكّنكَ من نواصي أعدائك ، وثبّت أواخِي دَوْلَتِكَ على ما في نفوس أوليائك .

يُحبُّ على كلِّ من آتاه الله رأيًا نافيًا ، ونصْحًا حاضرًا ، وتنبأ نافعًا ، أن يخدمَكَ مُتحرِّيًا لرُسوخ دعائم المُلْكَةِ بِسياسَتِكَ وريادَتِكَ^(١) ، قاضيًا بذلك حقَّ الله عليه في تقويَتِكَ وحياطَتِكَ . وإني أرى على بابِكَ جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول إليك لما تُجنُّ صدورهم من النصائح النافعة ، والبلاغات الجديّة ، والدلالات المفيدة ، ويرون أنهم إذا أمَلُوا لذلك فقد قَضَوْا حَقَّكَ ، وأدّوا ما وَجَبَ عليهم من حُرْمَتِكَ ، وبلغوا بذلك مُرادهم من تَفَضُّلِكَ وأصْطِناعِكَ ، وتقديمِكَ وتكريمِكَ ؛ والحجاب قد حَالَ بينهم وبينكَ ، ولكلِّ منهم وسيلة شافعة ، وخدمةٌ للخيراتِ جامعةٌ ؛ منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفاية وأمانة ، ونباهة ولباقة ؛ ومنهم مَنْ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ الْجَلِيلِ ، ولِرَتَقِ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ ؛ ومنهم مَنْ يُبْتِغُ إِذَا نَادَمَ ، وَيَشْكُرُ إِذَا أَصْطَنِعَ ، وَيَبْذُلُ الْمَجْهُودَ إِذَا رُفِعَ ؛ ومنهم مَنْ يَنْظُمُ الدُّرَّ إِذَا مَدَحَ ، وَيُضْحِكُ الثَّغَرَ إِذَا مَزَحَ ؛ ومنهم مَنْ قَمَدَ بِهِ الدَّهْرُ لِسْنَهُ الْعَالِيَةَ ، وَجَلَّابِيَهُ الْبَالِيَةَ ، فَهُوَ مَوْضِعُ الْأَجْرِ الْمَذْخُورِ ، وَنَاطِقُ الشُّكْرِ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ؛ ومنهم طائفةٌ أُخْرَى قَدْ عَكَّفُوا فِي بُيُوتِهِمْ

(١) في كلتا النسختين : « وزيادتكَ » بالزاي المعجمة ؛ وهو تصحيف .

عَلَى مَا يَفْنِيهِمْ مِنْ أحوال أَنفُسِهِمْ ، فِي تَزْجِيَةِ عَيْشِهِمْ ، وَعِمَارَةِ آخِرَتِهِمْ ،
وَمَعَ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ خِصَاصَةِ مُرْسَةٍ ، وَمُؤْنٍ غَلِيظَةٍ ، وَحَاجَاتٍ مَتَوَالِيَةٍ ؛
وَلَمْ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَالتَّجَرُّبَةُ ، وَلَوْ وَتَقُوا بِأَنَّهُمْ إِذَا عَرَضُوا أَنفُسَهُمْ
عَلَيْكَ ، وَجَهَّزُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّضَلُّلِ إِلَيْكَ حَظَلُوا مِنْكَ ، وَأَعْتَزُّوا
بِكَ ، لَخَضَرُوا بِأَبْكَ ، وَجَشِمُوا الْمَشَقَّةَ إِلَيْكَ ؛ لَكِنَّ الْيَأْسَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَضَمَقَتْ مُتْنُهُمْ ، وَعُكِّسَ أَمَلُهُمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ سَفَا التَّرَابِ ، أَخَفُّ مِنَ الْوُقُوفِ
عَلَى الْأَبْوَابِ ، إِذَا دَنَوْا مِنْهَا دُفِعُوا عَنْهَا ؛ فَلَوْ لَحَقَّتْ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِفَضْلِكَ ،
وَأَدْنَيْتَهُمْ بِسَعَةِ دَرْعِكَ وَكَرَمِ خِيَمِكَ ، وَأَصْفَيْتَ إِلَى مَقَالَتِهِمْ بِسَمْعِكَ ،
وَقَابَلْتَهُمْ بِمِلَّةِ عَيْنِكَ ، كَانَ فِي ذَلِكَ بَقَاءٌ لِلنِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ ، وَصِيَتْ فَاشٍ بِذِكْرِكَ ،
وَتَوَابٌ مُؤَجَّلٌ^(١) فِي صَحِيفَتِكَ ، وَثَنَاءٌ مُعَجَّلٌ^(٢) عِنْدَ قَرِيبِكَ وَبَعِيدِكَ ؛ وَالْأَيَّامُ
مَعْرُوفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَاللَّيَالَى مَا خِصَّةٌ بِمَا يَتَمَجَّبُ مِنْهُ ذُو الْقَلْبِ ، وَالْمُخْجَدُودُ
مَنْ جُدَّ فِي جَدِّهِ ، أَعْنَى مَنْ كَانَ جَدُّهُ فِي الدُّنْيَا مَوْصُولًا بِمُظْهِهِ مِنْ
الْآخِرَةِ ، وَلَآنَ يُوَكَّلُ الْعَاقِلُ بِالْأَعْتِبَارِ بغيرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُوَكَّلَ غَيْرُهُ
بِالْأَعْتِبَارِ بِهِ .

أَيْهَا الْوَزِيرُ ، اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ صِنَاعَةٌ قَائِمَةٌ بِرَأْسِهَا ، قَلَّ مَنْ يَفْنَى بِرَبِّهَا^(٣) ،
أَوْ يَتَأَنَّى لَهَا ، أَوْ يَعْرِفُ حَلَاوَتَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْبَلَاغَةِ
وَالْحِسَابِ .

وَسَمِعْتُ ابْنَ سُورِينَ يَقُولُ : آخِرُ مَنْ شَاهَدْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْأَصْطِنَاعَ ،

(١) فِي الْأَصُولِ « يُوَجَد » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ بِ« مُعَجَّل » .

(٢) فِي (١) : « يَسْقَى تَرْبَهَا » مَكَانَ « يَنْبِي بَرَبَهَا » . وَفِي (ب) : « بَرَبَهَا » بِالْيَاءِ

الْمُثَنَّى ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ . يُقَالُ : رَبُّ الصَّنِيعَةِ يَرْبُهَا — بضم الراء — إِذَا
عَمَّاها وَتَهْدَمَا .

واستحلى الصفائح ، وارتاح لذِّكر الطَّيِّب ، واهتزَّ للمديح ، وطربَ على نَفْمة السائل ، وأغتمَّ خَلَّةَ المحتاج ، وأنتهبَ السَّكْرَمَ انتِهَاباً ، وأنتهبَ في عِشْقِ الثَّناء انتِهَاباً ، أبو محمد المَهَلْجِي ، فإنه قدَّم قَوْماً ونَوْهَ بهم ، ونَبَهَ على فضيلهم وأخوَجَ الناظرين في أمرِ الملِكِ إليهم ، وإلى كفايتهم ، منهم أبو الفضل العبَّاسُ بنُ الحُسيِّف ، ومنهم ابنُ معروف القاضي ، [ومنهم أبو عبد الله اليُفْرَنْجِيُّ] ، ومنهم أبو إسحاق الصَّابِيُّ ، وأبو الخطَّاب الصَّابِيُّ ، [ومنهم أحمد الطَّوِيل ، ومنهم أبو التَّلاء صاعد ، ومنهم أبو أحمد ابنُ المَيْثَم ، وابنُ حَفْصِ صاحبُ الديوان] ، وفلان وفلان ، هؤلاء إلى غير هؤلاء ^(١) ، [كأبي تمام الزَّيْنَبِي ، وأبي بكر الزَّهْرِي] ، وابن قريصة ، وأبي حامد المَرْوُزِي ، [وأبي عبد الله البَصْرِي] ، وأبي سَمِيد السَّيرَافِي ، [وأبي محمد الفَارِسِي] ، وابن دُرُسْتُويه ، [وابن البَقَال] ، وَالسَّرِي ، وَمَنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةُ مِنَ التَّجَارِ والمُدُول .

وقال لي [ابنُ سُوْرِين] : كان أبو محمد يَطْرَبُ على أصطناع الرِّجال كما يَطْرَبُ سَامِيعُ الْفِئَاءِ على الشَّبايِرِ ^(٢) ، وَيَرْتَاحُ كما يَرْتَاحُ مُدِيرُ الكَأْسِ على المشائر . وقال عنه : [إِنَّهُ] قال : والله لأَكُونَنَّ في دولة الدَّيْلَمِ ، أَوَّلَ مَنْ يُذْكَرُ ، إنْ قَاتُوا أَنْ كُنْتُ في دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ آخِرَ مَنْ يُذْكَرُ .

فلولا أَنَّكَ — أدامَ اللهُ دَوْلَتَكَ — أَذِنْتَ لي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كُلَّ مَا هَجَسَ في النَفْسِ ، وطلَّعَ به الرأى مما فيه مرَدَّةٌ على ما أَنْتَ فيه من هذا

(١) في (ب) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « هذا إلى غير هذا » .

(٢) في كلتا النسختين : « السَّائِر » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق

الكلام . والشباير : جمع شبور ، وهو من آلات اللوسيقى .

الثَّقَلِ الْبَاهِظِ ، وَتَنْبِيهِ عَلَى مَا تُبَاشِرُهُ بِكَاهِلِكَ الضَّخْمِ ، لَمْ يَكُنْ خَطَرِي
يَبْلُغُ مُوَاجَهَتِكَ بَلْفَظٍ يَثْقُلُ ، وَإِشَارَةِ تَغْلُظٍ ، وَكِفَايَةِ تَخْدِشٍ ^(١) ، لَكِنَّكَ
وَاللَّهُ يَأْخُذُ بِيَدِكَ ، وَيَقْرِنُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ — قَدْ رَخَّصْتَ
لِي فِي ذَلِكَ ، وَخَصَّصْتَنِي بِهِ مِنْ بَيْنِ غَاشِيَةِ بَابِكَ ، وَخَدَمَ دَوْلَتِكَ ، فَلَذَلِكَ
أَقُولُ مَا أَقُولُ مُعْتَمِدًا عَلَى حُسْنِ تَقَبُّلِكَ ^(٢) ، وَجَمِيلِ تَكَلُّمِكَ ^(٣) ، وَمُنْتَظَرِ
تَفَضُّلِكَ ؛ وَلَيْسَ فِي أَبْوَابِ السِّيَاسَةِ شَيْءٌ أَجْدَى وَأَنْفَعُ ، وَأَنْفَى لِلْفَسَادِ وَأَقْعَمُ ،
مِنَ الْأَعْتِبَارِ الْمُوقِظِ لِلنَّفْسِ ، الْبَاعِثِ عَلَى أَخْذِ الْحَزْمِ ، وَتَجَرِيدِ الْقَوْمِ ؛ فَإِنَّ
الْوِكَالَ ^(٤) وَالْمُؤَيَّنَاتِ قَلَمًا يُفَضِّلَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى دَرْكِ مَأْمُولٍ ، وَنَيْلِ مَرَادٍ ،
وَإِصَابَةِ مُتَمَنَّى . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ كَبِيرُ الْحِكْمَةِ ، مَعْرُوفُ الْحَنَكَةِ : الْمُعْتَبَرُ
كَثِيرٌ ، وَالْمُعْتَبَرُ قَلِيلٌ . وَصَدَقَ هَذَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :

لَوْ أَعْتَبَرْتُ مِنْ تَأَخَّرِ بَيْنِ تَقَدَّمَ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ يَتَحَسَّرُ فِي النَّاسِ ^(٥) وَيَنْدَمُ ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَهْلُهَا بَيْنَ يَقْظَةٍ وَنَوْمٍ ، وَبَيْنَ فَرَحٍ
وَتَرَحٍّ ، وَبَيْنَ حَيَاطَةٍ ^(٦) وَوَرْطَةٍ ، وَبَيْنَ حَزْمٍ وَغَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ زِيَارَةٍ وَسَلَوَةٍ ،
لَكِنَّ الْأَخْذَ بِالْحَزْمِ — وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ مَكْرُوهٌ — أَعْذَرُ عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ

(١) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَغْرِس » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ
سِيَاقُ مَا قَبْلَهُ .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « تَهْلِك » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي (ب) : « تَكَلُّف » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « الْوِكَان » بِالنُّونِ . وَفِي (ب) : « الْوِكَاك » بِالْكَافِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ
فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ .

(٥) فِي (ب) : « فِي الدُّنْيَا »

(٦) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « غِبْطَةٌ » ؛ وَلَمَّا تَحْرِيفٌ ، لِإِذِ الْغِبْطَةُ لَا تَقَابِلُ الْوَرْطَةَ ،
وَالَّتِي يَقَابِلُهَا الْحَيْطَةُ كَمَا أَثْبَتْنَا .

كلٌّ من كان في مسيكة ، من المأني بيده ، والمبتدلي بفروره ، والساعي في ثبوره ؛ وما وهب الله العقل لأحدٍ إلا وقد عرّضه للنجاة ، ولا حلاّ بالعلم إلا وقد دعاه إلى العمل بشرائطه ، ولا هداه الطريقين (أغنى النى والرشد) إلا ليزحف إلى أحدهما بمحسن الاختيار .

هذا بالأمرى أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير — وهو في وزارته وبسطة أمره ونهيه — قيل له ذات يوم : هذا التركي ساسكر^(١) تقياً بظله ، واعتصم بحبله ، واستسقى بسجله ، وارتو من سوره ، ولا يئبلنه عنك ، ما يوحشه منك ، ويخفيه^(٢) عليك . وقد قيل :

« أسجد لقرء سوء في زمانه »

وإذا لم تقدر على قطع يد جائرة ، فقبلها منبهة^(٣) منجدة غائرة . فلم يقبل ، حتى وجد أعداؤه طريقاً إليه ، فسلكوه وأوفعوه .

ثم قيل له في الوزارة الثانية : قد ذقت مرارة النكبة ، وتحرق بنار الشامة ، وتارقت على فرطات^(٤) العجز والفسالة ، وقد كان من ذلك كله ما كان ، ودارك بما تميت^(٥) الزمان ؛ فأنظر أين تضع الآن قدمك ، وبأى شيء تدير لسانك وقلمك ، فإن نخلصك من ورطتك بالمرصاد ، وقد

(١) لم نجد هذا الاسم فيما راجعناه من معجمات الأعلام التركية ؛ والذي وجدناه « سنجر » بالسین والجیم وبلا سین وألف في أوله .

(٢) في (١) : « ويخفه » ؛ وهو تحريف .

(٣) في كلتا النسخين : « بهمه » ؛ وهو تحريف .

(٤) في كلتا النسخين : « فطرات » ؛ والظاهر أن في حروفه قلباً وقع من التامسح . كما أن في كلتا النسخين : « وأرت » مكان « وتارقت » ؛ وما أبتناه أولى للامامة بينه وبين قوله قبل : « وتحرق » .

(٥) في (ب) : « ظننت » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ أُعَادَ اللَّهُ يَدَكَ^(١) إِلَى الْبَسْطَةِ ، وَرَدَّ حَالَكَ إِلَى السَّرُورِ
وَالنَّيْظَةِ ، أَنْكَ تَجْزِلُ الْمَاعِلَةَ ، وَتَنْسَى^(٢) الْمَقَابِلَةَ ، وَتَلْقَى وَلِيَّكَ وَعَدُوَّكَ
بِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذَا ، وَالْكَفَّ عَنْ هَذَا ، حَتَّى يَنْتَسُوا بِنَظَرِكَ ، وَيَتَعَبَّدَا
لَكَ بِتَفَضُّلِكَ .

فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ مَا دَلَّ عَلَى عِتْوِهِ وَثَبَاتِهِ^(٣) ، لِأَنَّهُ قَالَ : أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ
تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ [وَلَهُمْ لَكَذِيبُونَ] ؟
وَقَالَ لِي الْقَوْمُ مَسَى^(٤) — وَلَمْ يَقُلْ مَا فِي فَخْوَى هَذَا الْكَلَامِ — : مَا ذَاكَ ؟
قُلْتُ : فُجَاهُ وَلَوْ عَادُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ لَعُدْنَا [إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ بِمَا اسْتَحَقُّوا عَلَيْهِ .
وَصَدَقَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا لَيْثَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ
إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُورِدَهُ^(٥) وَلَمْ يُصْدِرْهُ ، وَأَعْتَرَهُ وَلَمْ يُنْمِشْهُ ، وَسَلَّمْ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى
أُسْتَبَلَّ رُوحَهُ مِنْ بَيْنِ جَنَدِيهِ ، شَاقِيًا بِهِ وَمُسْتَشْفِيًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
خُسْرًا ، وَلَوْ اتَّقَى اللَّهُ لَكَانَ آخِرُ أَمْرِهِ يُسْرًا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

وَهَذَا بِمَقْدَمِهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ طَلَقَى وَبَنَى ، وَافْتَحَمَ ظِلْمَاتِ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ ،
وَطَارَ بِجَنَاحِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ ، وَالشُّرْبِ وَالْقَصْفِ ، وَمَلَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَلَّ
بَيْنَ إِنْهَالِ اللَّهِ وَإِثْلَانِهِ ، غَاقَ بِهِ مَا ذَهَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَمَالُهُ ، وَخُرِبَ بَيْتُهُ ،
وَافْتَضَحَ أَهْلُهُ ، وَكَيْفَ كَانَ يَسْلَمُ ؟ أَمْ كَيْفَ كَانَ يَنْجُو وَقَدْ قَتَلَ ابْنَ السَّرَّاجِ

(١) فِي (ب) : « أُعَادَ اللَّهُ بِكَ أَيْمَانَكَ الْبَسِيطَةَ » ؛ وَفِي بَعْضِ كَلِمَاتِهَا تَحْرِيفٌ لَا يَخْفَى .

(٢) كَذَا فِي (أ) . وَالَّذِي فِي (ب) : « وَتَنْسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَتَنْسَى الْمَقَابِلَةَ ،

أَيَّ لَا تَقَابِلُ الذَّنْبِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقَابِهِ بَلْ تَغْفِرُ .

(٣) وَثَبَاتِهِ ، أَيُّ ثَبَاتِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَاسَةِ .

(٤) فِي كَلِمَاتِ النَّسَخَتَيْنِ : « الْمَسَى » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ كَمَا تَرَى ، سَوَاءٌ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) أُورِدَهُ وَلَمْ يُصْدِرْهُ فَاعْلَمْ الْقَائِلِينَ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْكَلَامِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ . أَيْ

أُورِدَهُ كَلَامَهُ الْخ .

بلا ذنب ، والجَرَ جَرَّائِي^(١) بلا حِجَّة ، وضربَ ابن مَعْرُوفٍ بالسَّيَاط
وأبا القاسم — أخا لأبي محمد القاضي — وشَهْرَهُ على جَمَلٍ في الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ١٩
والتَّشَقَّى حُلُوُّ الْعَلَانِيَةِ ، واسكنهُ مُرُءُ الْعَاقِبَةِ ، وَكَأَنَّ الْحَفِيفَةَ إِنَّمَا خُلِقَتْ
لِيُفْتَقَدَ^(٢) ، والحَقْدُ إِنَّمَا وَجِدَ لِيُبْلَغَ بِهِ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ .

وَكَأَنَّ الْعَفْوَ حَرَامٌ ، وَالْكَفْمَ^(٣) محظور ، والمُكَافَاةُ مأمورٌ بها .
وهذا بِالْأَمْسِ عَلَى بَنِي مُحَمَّدٍ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ ، اغْتَرَّ بِشَبَابِهِ ، وَلَهَا عَنْ
الْعَزْمِ وَالْأَخْذِ بِهِ فِيمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ ، وَظَنَّ أَنَّ كِفَايَتَهُ تَحْفَظُهُ ، وَنَسَبَهُ مِنْ
أَبِيهِ يَكْنُفُهُ ، وَبَرَاءَتَهُ تَحْتَجِّجُ لَهُ ، وَذُنُوبَهُ الصَّغِيرَةَ تُفْتَقِرُ ؛ لِإِبْلَائِهِ الْمَذْكُورِ ،
وَعَنَائِهِ الْمَشْهُورِ ؛ وَمَشَى قَعَتَرٌ ، وَرَابٌ^(٤) لُحْنَرٌ ، وَالْأَوَّلُ يَقُولُ :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبَوَةٌ لَمْ يَسْتَقِيلْهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَأَخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجْرٍ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْزِي

وَقَالَ لِي الْخَلِيلُ — وَكَانَ لَطِيفَ اللَّحْلِ عِنْدَهُ ، لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ
أَخْصَاصِ أَبِيهِ لَهُ ، وَلِمَا يَظْهَرُ مِنْ فَضْلِهِ عِنْدَهُ — : قُلْتُ لَهُ يَوْمًا : يَا هَذَا ،
فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ١٩ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَقَلُّلُ ١٩ وَقَدْ شُجِّدْتَ الْمَوَاسِي ، وَحُدِّدْتَ
الْأَنْيَابَ ، وَفُتِلَتِ الْمَرَائِرُ^(٥) ، وَنُصِبَتِ الْفِخَاخُ ، وَالْعَيُونُ مُحَدَّقَةٌ نَحْوَ الْقَطِيعَةِ ،

(١) فِي (١) : « الْجَرَ جَرَّائِي » .

(٢) فِي (١) : « لَتُنْفَذَ » . وَفِي (ب) : « لَتُنْفَذَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَالْعَطْمُ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (١) : « وَدَابَّ غُفْرَ » . وَفِي (ب) : « وَذَابَ غُفْرَ » ؛ وَلِلصَّوَابِ مَا أَثْبَتْنَا .

(٥) فِي (١) : « وَقِيلَتْ » . وَفِي (ب) : « وَقِيلَتْ » ؛ وَهُوَ تَحْصِيفٌ فِي كِلْتَا

النُّسخَتَيْنِ . وَفِي (١) : « لِلدَّابِرِ » ، مَكَانَ « الْمَرَائِرِ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا . وَالْمَرَائِرُ :
الْجِبَالُ ، جَمْعُ مَرِيرَةٍ .

والأعناقُ صُورٌ^(١) إلى الفَظِيعة ، وأنتَ لآءٍ ساءٍ عما يُرادُ بكَ بَعْدُ ؛
يَسْبِيكَ^(٢) هذا المِزْفَنُ^(٣) وهذا الرُّخْيُ^(٤) وهذا المَعْرَضُ^(٥) ، وهذا الخَلِيقُ ،
وهذا النَّتِيفُ ، وهذا المَعْرَبُ الصَّدْعُ ، وهذا المَصْفُوفُ الطَّرَّةُ ، وبالكاسِ^(٦)
والطاسِ ، والغناء والتَصَنُّفُ ، والنَّاي والعُودُ ، والصَّبُوحِ والغُبُوقُ ، والشرابِ
المُرُوقِ العتيقُ ؛ والله ما أدري ما أَصْنَعُ ، إن سَكَتُ عَنْكَ كِيدْتُ ، وإن
نَصَحْتُكَ خِفْتُ مِنْكَ ؛ ونَعُوذُ بالله من أَشْتَبَاهِ الرَّأْيِ ، واشْتَبَاكَ الْأَمْرِ ، وَقِلَّةِ
الْأَحْتِرَاسِ ، والإِعْرَاضِ عما يَجْرِي من أَفْوَاهِ النَّاسِ .

يا هذا ، سُوهُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ ، وَتَلَقَّى الْأَمْرِ بِالْحَزْمِ
وَالشَّهَامَةِ أَوْلَى مِنْ أَسْتِدْبَارِهِ بِالْحَسَرَةِ وَالنَّدَامَةِ ، وَمَنْ لَا تَجَرِبَةَ لَهُ يَقْتَبِسُ
يَمْنٌ لَهُ تَجَرِبَةً ، فَإِذَا نَقَبَ الْخَلْفُ دَيْمَى الْأَظْلَى . فقال : قد فَرَّغَ اللَّهُ عَمَّا هُوَ
كَائِنٌ ، وَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ .

قال : قلتُ له : ما أَطْلَعَكَ اللَّهُ عَلَى كَائِنَاتِ الْأُمُورِ ، وَلَا أَغْلَسَكَ بِعَوَاقِبِ
الْأَحْوَالِ ، وَإِنَّمَا عَرَفْتَكَ حَظَّكَ بَعْدَ أَنْ^(٧) وَفَّرَ عَقْلَكَ ، وَأَحْضَرَكَ اسْتَطَاعَتِكَ ،
وَأَوْضَحَ لِقَلْبِكَ مَا عَلَيْكَ وَلَكَ ، حَتَّى يَسْتَشِفَّ وَيَسْتَكْشِفَ ، وَمَلَّكَكَ

(١) صور ، أى ماثلة . إلى الفظيعة ، أى إلى النكبة الفظيعة . وفي كلتا النسختين :
« المظيعة » . وما أثبتناه هو ما يستقيم به السجع الذى التزمه المؤلف فى بعض فقراته .
(٢) فى (١) : « يعد تشبثك » . وفى (ب) : « يسد بسبك » ؛ وهو تحريف
فى كلتا النسختين .

(٣) المِزْفَن الذى يجعل صدغيه كالزرفين ، وهى الحلقة .

(٤) كذا فى (ب) والذى فى (١) « المِزْجَن » ، ولا معنى له هنا .

(٥) المَعْرَضُ بتشديد الراء الذى نبت شعر عارضيه . كما يقال عذْرُ الْفُلَامِ بتشديد الدال
لإذا نبت شعر عذاره .

(٦) وبالكاس متعلق بقوله قبل : « لاه » .

(٧) كذا فى (ب) . والذى فى (١) : « مقدار » مكان « بعد أن » ؛ وهو تحريف .

النَّوَاصِيَ حَتَّى تَمُنَّ^(١) وَتُرْسِلَ ، وَمَا طَالَبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُزَاحَ عِلَّتُكَ ، وَلَا عَاقِبَكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُنْذِرَكَ وَأَنْظُرَكَ ، وَبِمِثْلِ هَذَا تُطَالِبُ أَنْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ مِنْ خَدَمِكَ وَحَشَمِكَ ، وَأَوْلِيَانِكَ وَأَعْدَائِكَ ، وَهَذَا الَّذِي أَعْذَلُكَ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي بِهِ تَفْذُلُ غَيْرَكَ وَتَرَاهُ ضَالًّا فِي مَسَلِكِهِ ، مَتَعْرُضًا لِمَهْلِكِهِ .

نَقَالَ : أَيُظْلِمُنِي وَلِيٌّ نَفَعَنِي صُرَاحًا بِلَا ذَنْبٍ ، وَيَجْتَابُنِي^(٢) بِلَا جَرِيْمَةٍ ؛ وَيُثْلِمُ دَوْلَتَهُ بِلَا حُجَّةٍ ؟

قُلْتُ : اللَّهُ يُبَيِّنُكَ وَيُكْفِيكَ ، نَزَاكَ بِلَا ذَنْبٍ ، وَتَجِدُكَ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ، وَغَيْرُكَ لَا يَرَاكَ بِهَذِهِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَتَحَكَّمُ لَكَ بِهَذَا الْحُكْمِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَرَى فُرْصَةً فَاتَمِيزْهَا ، وَإِنْ كُنْتَ تَحُلُمُ بِقُصَّةٍ^(٣) فَاحْذَرِزْ مِنْهَا ؛ فَأَبْوَابُ النِّجَاةِ مُفْتَحَةٌ ، وَطُرُقُ الْأَمَانِ مُتَوَجِّهَةٌ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْتِيَاظِ وَاجِبٌ ، قَدْ قَرَّبَ الشَّائِخُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَالْقِيَامَةُ قَدْ قَامَتْ بِالْأَرْجَافِ ، وَالطَّيْرَةُ قُشْعِرِيْرَةُ النَّفْسِ ، كَمَا أَنَّ الْقُشْعِرِيْرَةَ طَيْرَةُ الْبَدَنِ ، وَالْأَسْتِرْسَالُ كَلَالُ الْحِسِّ ، وَالْقَالَ لِسَانُ الزَّمَانِ ، وَعُنْوَانُ الْحَدِثَانِ ، وَلَا يَقَعُ فِي الْأَفْوَاهِ إِلَّا مَا يُوجِبُ الْحَذَرَ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ ، وَاسْتِقْرَاءِ الْأَثَرِ وَالْخَبَرِ .

قَالَ : أَمَّا أَنَا بَعْدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ اسْتَظْهَرْتُ بِمُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبِ نَيْسَابُورٍ ، وَبَفَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ بِهِمَاذَانِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَبِعِزِّ الدَّوْلَةِ

(١) فِي (١) : « تَمُنْ وَتُرْسِدْ » . وَفِي (ب) : « تَمُنْ » مَكَانَ « تَمُنْ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا . وَتَمُنْ وَتُرْسِلْ ، أَيْ تَمُنْ بِالْفِعْلِ عَنْ أَسَاءٍ ، وَتُرْسِلْ مِنْ أَمْسِكَتَهُ ، أَيْ تَطْلُقْهُ .

(٢) كَذَا فِي (ب) . وَالَّذِي فِي (١) : « يَجِينُنِي » .

(٣) فِي (١) : « بَعْضُ » بِالْمَعْنَى وَالضَّادِ . وَفِي (ب) : « بِقُصَّةٍ » بِالْقَافِ وَالضَّادِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا .

وهو بمدينة السلام ؛ ومتى حَرَبَ حَارِب ، ورَابَ رَائِب ، أَوَيْتُ إلى واحدٍ من هؤلاء .

قال : قلتُ : ها هنا ما هو أسهلُ مِنْ هذا وإن كان أهول ، وأنجى وإن كان أشجى ، وأقرب وإن كان أعزَب .
قال : ما هو ؟ فرجُ عَنِّي وأهْدِنِي .

قلتُ : لتأيدْخُلْ هذا الوارد [الدار] ، ويدنو من طَرْف البساط ، تُندِرُ رأسه عن كاهله ، وتُلْقِي شِلْوَه في مزبلة ، فإن الميَّبة تَمُت ، والنائرة تَخْبُو ، والعَجَب يَفُتِّر ، والظُلَّة تَزُول ، والصَّدْر يَشْتَفِي ، والأَعْتَذَار يَنْتَفِي ؛ وَيُكْتَبَ إلى مُوفِدِهِ بأنَّ الرَّأْيَ أَوْجَبَ هذا الفعل ، لأنَّه غَلَبَ على الظَّنِّ أَنَّهُ وَاقٍ لِكَيْدِ يُوَصِّلُهُ إِلَيَّ ، وبلاء يُفْرِغُهُ عَلَيَّ ، فَأَزَلْتُ هذا الظَّنَّ باليقين ، ودَفَعْتُ الشُّبْهَةَ بالجلاء ، واستَخْلَصْتُ النورَ من الظلام ؛ وَلأنَّ تَبَعِدَ ساقطاً مِنْ خَدَمِكَ ، يَسُوهُ ظَنِّي بِهِ مِنْ جِهَتِكَ ، وَيَقْدَحُ في طاعَتِي لك ، [وَيُضْرِمُ في نار التَّهْمَةِ بيني وبينك ؛ خَيْرٌ لِي في نصيحتي لِدَوْلَتِكَ ، وخَيْرٌ لك] في بَقَائِي^(١) على أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، مِنْ أن يَلْتَمِثَ ضَمِيرِي في سِيَّاسَةِ دَوْلَتِكَ ، وَتَحُولَ نِيَّتِي^(٢) عَمَّا عَهَدْتُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ جُنْدِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَحِفْظِ قَاصِدَتِكَ وَدَانِيَتِكَ .

فقال : هذا أعظم ، واللهُ المُسْتَعَان .

وَلَيْتَنِي أَصَبْتُ بهذا الرَّأْيِ^(٣) أَمْراً عَلَا عَقْلُهُ ، فَيَقْبَلَهُ بَيَّان ، أَوْ يَرُدَّهُ

(١) كذا في (ب) . والذي في (أ) : « ثنائي » ؛ وهو تعريف .

(٢) في كلتا النسخين : « بيني » ؛ وهو تصحيف .

(٣) وردت هذه العبارة في كلتا النسخين هكذا « وليتني أصبت من أمر بهذا الرأي على عقله » ؛ وفيها تهديم وتأخير وتعريف إذ لا معنى لها على هذا الوجه ؛ ولعل الصواب ما أثبتنا .

بِزُهَانٍ ، فَكَانَ يَفْوَى أَوْ يَضْعَفُ ، وَيُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَوْ يُخْجِمُ عَنْهُ ، فَإِنَّ الْمُبْرَمَ أَفْوَى مِنَ السَّحِيلِ ، وَالسَّيِّئَ أَخْدُ مِنَ النَّحِيلِ ؛ ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ . وَكَانَ مَشَايِخُ الْعِرَاقِ وَالْجَبَلِ يَرَوْنَ مَا حَدَّثَ بِذَلِكَ الْفَتَى أَمْرًا قَرِيبًا ، وَظُلْمًا عَنَقَرِيًّا .

وَحَدَّثَنِي الْقَوْمِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِذَلِكَ أَمْرًا ، وَلَا سَبَقَ بِهِ إِذْنَ ، وَلَكِنْ لَمَّا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ ، وَقَعَ عَنْهُ إِسْكَ ، وَسُتِرَتْ الْكَرَاهِيَّةُ وَالْإِنْكَارُ .

* * *

وَالْأُمُورُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ظُهُورٌ وَبُطُونٌ ، وَهَوَادٍ وَأَمْجَازٌ ، وَأَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ ؛ وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ النِّجَاحَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّزَ فِي الْمُبَادِي ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ سَلِمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ : مَا لُئِمْتُ نَفْسِي عَلَى
قَوْتِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِمَزْمٍ ، وَلَا تَجِدْتُهَا عَلَى دَرَكِ أَمْرٍ بِدَأْتُهُ بِعَجْزٍ .

هَاهُنَا نَاسٌ إِذَا تَلَاقَوْا يَنْفُثُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِمَا هُوَ صَرِيحٌ وَكَفَايَةٌ ، وَيَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ يَوْسُفَ ، وَيَسْتَنْبِلِي ^(١) الْخَبِيثُ مِنَ الْجَالِسِ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ
مَكَانِ الرَّوَايَا .

^(٢) وَلَيْسَ يَصِحُّ كُلُّ مَا يُقَالُ فَيُرَوَّى عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَيْسَ يَخْفَى أَيْضًا كُلُّ
مَا يَجْزِي فَيُمْسَكَ عَنْهُ ؛ وَالْأُمُورُ مَرَجَةٌ ، وَالصَّدُورُ حَرَجَةٌ ، وَالْأَحْقَرَسُ

(١) حَبَابَةُ (١) : « وَمَسْلَمُ الْحَبِيثِ مِنَ الْحَالِينَ فَوْقَ مَشْرِعَةٍ » ؛ وَفِيهَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ
وَفِي (ب) : « الْحَبِيبُ » مَكَانَ « الْحَبِيثِ » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ أَيْضًا . وَيُرِيدُ بِالْحَبِيثِ ابْنَ يَوْسُفَ .
(٢) وَرَدَ فِي (١) قَبْلَ قَوْلِهِ : « وَلَيْسَ يَصِحُّ » قَوْلُهُ : « فَصْلٌ » .

واجب ، والنصح مقبول ، والرأى مشترك ، والنقمة بالله من اللوازم على مَنْ عَرَفَهُ وآمَنَ بِهِ ، وليس مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بُدٌّ على كُلِّ حال .

واللهُ أَسْأَلُ الدِّفَاعَ عَنْكَ ، والوقايةَ لَكَ ، في مُضْهِجِكَ وَمُتَمَسِّكِ ، وفي مَسِيَّتِكَ وَمَقِيلِكَ ، وشهادَتِكَ وَغَيْبَتِكَ ، ولذوى مليح^(١) في هذا الباب تَنْفُخُ وإيقاد ، وتَنَاقُلُ وأُتْيَار^(٢) ، ومَسْئَلَةٌ وجَوَاب .

وعند الشيخ أبي الوفاء مِنْ هَذَا الحديث ومن غيره مما يَتَّصِلُ بِهِ من نَاحِيَةِ ابنِ اليزيدي ما يَجِبُ أَنْ يُصَاحَّ لَهُ بِالْأُذُنِ الواعية ، ويُقَابَلُ بالنَّفْسِ الراعية ، ويُدَاوَى بالدَّواءِ الناجع ، وتُخَسَّمُ مادَّتُهُ من الْأَصْلِ ، فَإِنَّ الفَسَادَ إِذَا زَالَ حَصَلَ مَكَانَهُ الصَّلاح . وليس بَعْدَ المَرَضِ إِلَّا الإفْراق ، ولا بَعْدَ النَّزْعِ إِلَّا الإغراق .

إلى هاهنا انْتَهَى نَفْسِي بالنَّصْحِ وَإِنْ كَانَتْ شَفَقَتِي^(٣) تَتَجَاوَزُهُ ، وَحِرْصِي يَسْتَعْلِي عَلَيْهِ ، لَكُنِّي خَادِمٌ ، وكَمَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أُخَدِّمَ بِذِيَاتِ^(٤) الصِّدْرِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ أُلْزِمَ الحَدَّ بِمُحْسِنِ الْأَدَبِ .

واللهُ إِنِّي لَوَادٌّ مُخْلِصٌ ، وَعَبْدٌ طَائِعٌ ، وَرَجَائِي اليَوْمَ أَقْوَى من رَجَائِي أَمْسَ ، وَأَمَلِي غَدًا أَبْسَطُ^(٥) من أَمَلِي اليَوْمَ ؛ أَشْكُو إِلَيْكَ الْأَرْقَ بِاللَّيْلِ فِكْرًا فيما يُقَالُ ، وَتَحَفُّظًا^(٦) بما يُنَالُ ، وتَوَهُّمًا لِمَا لَا يَكُونُ [إِنْ كَانَ] ، وَشَرًّا الْعِدَا ، الَّذِينَ يَتَمَنُّونَ لِأُولَى نِعْمَتِهِمُ الرَّدَى ، وَيَبْتَغُونَ النِّكَاثَ^(٧) ،

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي (ب) وَلَمْ تَتَّحِدْ مِنْ مِ ذُووِ مَلِيحًا .

(٢) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « وَتَنَاقُلُ وَأُتْيَار » ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٣) فِي كِلْتَا النُّسخَتَيْنِ : « شَفَقَتِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي (أ) : « ذِيَّان » . وَفِي (ب) : « ذِيَّات » ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) فِي (ب) : « أَنْسَط » . (٦) فِي (ب) : « وَغِيظًا » .

(٧) فِي (ب) : « الْيَابِث » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَيَكْسِرُونَ الْأَجْفَانِ^(١)، وَيَتَخَازِرُونَ بِالْأَعْيُنِ، وَيَتَجَاهَرُونَ بِالْأَذْيِ إِذَا تَلَاقَوْا، وَيَتَهَامَسُونَ بِاللِّسَنِ إِذَا تَدَانَوْا، وَاللَّهُ يَضْرَعُ جُدُودَهُمْ، وَيُضْرِعُ خُدُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ وَهَذِهِ الرَّقَّةُ مَتَى وَالْحَقَاوَةُ، وَهَذِهِ الرُّعْشَةُ وَالْقَلَقُ، وَهَذَا التَّقْبِيعُ وَالتَّفْرِغُ كُلُّهُ، لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ، وَلَا شَاهَدْتُ شِبْهَكَ، كَرَّمَ خَيْمَ، وَلَيْنَ عَرِيكَ، وَجُودَ بَنَانٍ، وَخُضُورَ بَشَرٍ، وَتَهْلُلَ وَجْهِ، وَحُسْنَ وَعْدٍ، وَقُرْبَ إِنْجَازٍ، وَبَذَلَ مَالٍ، وَحُبَّ حِكْمَةٍ^(٢).

قَدْ شَاهَدْتُ نَاسًا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، صِغَارًا وَكِبَارًا وَأَوْسَاطًا، فَأَشَاهَدْتُ مَنْ يَدِينُ بِالْمَجْدِ، وَيَتَحَلَّى^(٣) بِالْجُودِ، وَيَرْتَدِي بِالْعَفْوِ، وَيَتَأَزَّرُ^(٤) بِالْحِلْمِ؛ وَيُعْطَى بِالْجَزَافِ، وَيَفْرَحُ بِالْأَضْيَافِ، وَيَصِلُ الْإِسْعَافَ بِالْإِسْعَافِ، وَالْإِتْحَافَ بِالْإِتْحَافِ، غَيْرَكَ.

وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَهَبُ الدَّرْهَمَ وَالْدِينَارَ وَكَأَنَّكَ غَضَبَانُ عَلَيْهِمَا، وَتُعْطِمُ الصَّادِرَ وَالْوَارِدَ كَأَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَخْلَفَكَ عَلَى رِزْقِهِمَا؛ ثُمَّ تَتَجَاوَزُ الْغَدَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى الثِّيَابِ الْعَزِيزَةِ، وَالْخِلْعِ النَفِيسَةِ، وَالْخَيْلِ الْعِتَاقِ، وَالْمَرَآكِبِ الثَّقَالِ، وَالنِّعَمَانِ وَالْجَوَارِي، حَتَّى السُّكُوبِ وَالْدَفَاقِرِ وَمَا يَضُنُّ بِهِ كُلُّ جَوَادٍ؛ وَمَا هَذَا مِنْ سَبَايَا الْبَشَرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ هَذَا نَبِيًّا صَادِقًا، وَوَلِيًّا اللَّهِ مُجْتَبَىً، [فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّنَ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْفَقْرِ، وَرَفَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عِزَّ الْمَالِ]، وَهُوَ عَلَى عِلْمِهِمْ

(١) في (١): «الأظفار»، وهو تحريف.

(٢) كذا في (ب). والذي في (١): «وبذل ما أوجب حكمة»، وهو تحريف كما لا يخفى.

(٣) في كلتا النسختين: «ويتحلَّى»، وهو تحريف سواه ما أثبتنا، إذ ليس اتصال الجود بما يمدح به.

(٤) في كلتا النسختين: «ويأرز»، وهو تحريف.

الإفراج عن كلِّ مُنْفِس^(١) ، يا قوتاً كان أو دُرّاً ، ذهباً كان أو فِضَّةً ؛ كفاكَ اللهُ عَيْنَ الحاسِدين ، وَوَقَالَ كَيْدَ المُفْسِدين ، الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم بِالْأَمْسِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهاد ، وَكَانُوا كَحَقَى فِجْلَتِهِمْ كَالْأَطْوَاد ؛ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِأَيْدِيكَ ، وَيَوَالُونَ أَعْدِيكَ ، وَيَتَجَمَّنُونَ لَكَ مَا أَرْجُو أَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُهُ بِرُءُوسِهِمْ ، وَيُنْزِلُهُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ ، وَيُذِيقُهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَيَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِّكُلِّ مَنْ يَرَامُ وَيَسْتَعْبَهُمْ ، كَانَ اللَّهُ لَكَ وَمَعَكَ ، وَحَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ .

أَحَلَّتْ الْحَدِيثَ تِلْكَذَا بِمَوَاجِهَتِكَ ، وَوَصَلَّتْهُ خِدْمَةٌ لِدَوْلَتِكَ ، وَكَوَرَّتْهُ تَوْقَعًا لِحُسْنِ مَوْقِعِهِ عِنْدَكَ ، وَأَعَدَّتْهُ وَأَبَدَّتْهُ طَلَبًا لِلْمَكَانَةِ فِي نَفْسِكَ .

وَأَرْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا أُخْرَمَ هَبَّةً مِنْ رِيحِكَ ، وَنَسِيماً مِنْ سَحَرِكَ ، وَخَيْرَةً بِنَظَرِكَ . لَمْ أَوْفُقْ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَا يَمُرُّ بِي يَأْسٌ مِنْ إِنْصَامِكَ فَأَقْوِيهِ بِالرَّجَاءِ ، وَلَا يَغْتَرِبْنِي وَنَمٌّ فِي الْخَيْبَةِ لَدَيْكَ فَأَتَلَاَّهُ بِالْأَمَلِ . إِنَّمَا قَصَارَى أُمْنِيَّتِي إِذَا حُكِمْتُ أَنْ أُعْطَى فِيكَ سُؤْلِي بِالْبَقَاءِ الْمَدِيدِ ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، وَالتَّدْوِي الْعَصْرِيِّ ، وَالْوَلِي الرَّفِيعِ ، وَالِدَوْلَةِ الْمُسْتَنبِتَةِ ، وَالْأَحْوَالِ الْمُسْتَحَبَّةِ ، وَالْأَمَالِ الْمَبْلُوغَةِ ، وَالْأَمَانِ الْمَذْرُوكَةِ ، مَعَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ النَّافِذِينَ ، بَيْنَ أَهْلِ الْخَافِقِينَ ؛ وَاللَّهُ يُبْلِغُنِي ذَلِكَ بِطَوْلِهِ وَمَنَّةِ .

وَأَخِرُ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ : مَرُّ بِالصَّدَقَاتِ ، فَإِنَّهَا مَجْلِبَةُ السَّلَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، مَدْفَعَةٌ لِلْمَكَارِهِ وَالْآفَاتِ ؛ وَاهْتِجِرُ الشَّرَابَ ، وَادِّمِ النَّظَرَ فِي الْمُنْصَحِّ ، وَافْزَعْ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْتِخَارَةِ ، وَإِلَى النَّقَاتِ بِالْأَسْتِشَارَةِ ؛ وَلَا تَبْخُلْ عَلَى نَفْسِكَ بِرَأْيٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَامِلاً فِي نَفْسِكَ ، قَلِيلاً فِي عَيْنِكَ ،

(١) كَذَا فِي (١) . وَالْفِي فِي (ب) : « مفسر » ، وَلَا يَسْتَعْمِلُ مَعَهُ الْكَلَامُ الْآتِي بَعْدَ .

فَإِنَّ الرَّأْيَ كَالذَّرَّةِ الَّتِي رُبَّمَا ^(١) وَجِدْتَ فِي الطَّرِيقِ فِي اللَّزِيزَةِ ، وَقَلَّ مَنْ
فَرَعَ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، وَإِلَى الصَّدِيقِ بِالإِسْمَاعِ ^(٢) مِنْهُ ، إِلَّا أَرَاهُ اللَّهُ
النَّجَاحَ فِي مَسْئَلَتِهِ ، وَالْقَضَاءَ لِحَاجَتِهِ ؛ وَالسَّلَامَ .

فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ بَعْدَ مَا قَرَأَ الرِّسَالَةَ : يَا أَبَا مَرْيَدَ ^(٣) ، يَبْيَضُّهَا ، وَعَجِبْتُ
مِنْ تَشْفِيقِ الْقَوْلِ فِيهَا ، وَمِنْ لُطْفِ ^(٤) إِرَادِكَ لَهَا ، وَمِنْ بِلَّةِ رِيكَ بِهَا .
وَاللَّهُ يَحَقِّقُ مَا نَأْمُلُهُ لَهُ ، وَنَرْجُوهُ لِأَنْفُسِنَا ، وَيَنْحَسِرُ عَنْهَا هَذَا الضَّبَابُ
الَّذِي رَكَدَ عَلَيْنَا ، وَيَزُولُ النِّيمُ الَّذِي اسْتَعْرَضَ فِي أَمْرِنَا ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ،
(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

رسالة في شكوى البؤس ورجاء المعونة وجه بها المؤلف إلى
الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له المؤلف هذا الكتاب .
وختم كتابه بها :

أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَلَّمَكَ اللَّهُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ ، وَحَقَّقَكَ وَفِيكَ وَبِكَ
غَايَةَ الْأَمُولِ .

هَذَا آخِرُ الْحَدِيثِ ، وَخَتَمْتُهُ بِالرِّسَالَتَيْنِ ، وَيَتَقَرَّرُ جَمِيعُ مَا جَرَى
وَدَارَ ^(٥) عَلَى وَجْهِهِ ، إِلَّا مَا لَمَمْتُ بِهِ شَعْنًا ، وَزَيَّنْتُ ^(٦) بِهِ لَفْظًا ، وَزِيدْتُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «إِنَّمَا» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَالسِّيَاقُ
يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «بِالإِسْمَاعِ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي مَا أَتَيْنَا .

(٣) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «يَا أَبَا مَرْيَدَ» .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «لُطْفٌ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَدَارَ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهَا هَذَا الْكَلَامُ : «وَزَيَّنْتُ» ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

مَنْقُوصًا ، ولم أَظْلِمَ مَعْنَى بِالْتَّحْرِيفِ ، ولا مِلْتُ فِيهِ إِلَى التَّخْوِيرِ ^(١) ؛ وأرجو
 أَنْ يَبَيِّنَ وَجْهِي عِنْدَكَ بِالرَّضَا عَنِّي ، فقد كَادَ وَعْدُكَ فِي عِنَايَتِكَ ^(٢) يَأْتِي
 عَلَيَّ ، وأنا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عِنَايَتَكَ عَلَيَّ ، كَسَابِقِ أَهْتَامِكَ بِأَمْرِي ، ^(٣) حَتَّى
 أَمْلِكَ بِهِمَا ^(٤) ، ما وَعَدْتَنِيهِ مِنْ تَكَرُّمَةِ هَذَا الْوَزِيرِ الَّذِي قَدْ أَشْبَعَ كُلَّ جَائِعٍ ،
 وَكَسَا كُلَّ عَارٍ ، وَتَأَلَّفَ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَحْسَنَ إِلَى كُلِّ مُسِيءٍ ^(٥) ، وَنَوَّهَ بِكُلِّ
 خَامِلٍ ، وَفَتَّقَ ^(٦) كُلَّ هَزِيلٍ ، وَأَعَزَّ كُلَّ ذَائِلٍ ؛ ولم يَبْقَ فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى قَهْرٍ وَبُؤْسٍ ، وَمُرَّةٍ وَيَأْسٍ ، غَيْرِي ؛ مع خِدْمَتِي السَّالِفَةِ وَالْآتِيَةِ ،
 وَبَذْلِي كُلِّ مَجْهُودٍ ، وَنَسْجِي كُلِّ عَرِيصٍ ، وَقِيَامِي بِكُلِّ صَنْبٍ ؛ وَالْأُمُورُ
 مَقْدَرَةٌ ، وَالْحُظُوظُ أَقْسَامٌ ، وَالْكَذْحُ لَا يَأْتِي بِبَعِيرٍ مَا فِي الْوُح .

فصل

خَلَفْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٧) مِنَ التَّكَلُّفِ ، أَنْفِذْنِي مِنْ لُئْسِ الْفَقْرِ ، أَطْلِقْنِي
 مِنْ قَيْدِ الْغُرِّ ، اشْتَرِنِي بِالْإِحْسَانِ ، اعْتَبِدْنِي بِالشُّكْرِ ، اسْتَعْمِلْ لِسَانِي
 بِفُنُونِ اللَّذِّعِ ، إِنْ كَفَيْتَنِي مُؤُونَةَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ .

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « التَّجْوِيز » — بِالْجِمْ وَالزَّاي ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « غِنَاؤُكَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ سِوَاهُ
 مَا أَثْبَتْنَا كَمَا يَقْتَضِيهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ .

(٣) وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ هَكَذَا « بِأَمْرِ يَرْجَى »
 وَلَا مَعْنَى لَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ؛ وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَا ، كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٤) بِهِمَا ، أَيْ بِالْعِنَايَةِ وَالْإِهْتِمَامِ .

(٥) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « شَيْءٌ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « وَفَتَّقَ » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) يَرِيدُ بِالرَّجُلِ أَبَا الْوَفَاءِ وَهُوَ لَقِيَ لَرَبَّهُ لَكَ الْوَزِيرَ .

إلى متى الكسيرة اليابسة ، والبُقيلة الذّاوية ، والقَميصُ للرّقع ، وبأني
دَرْبِ الحَاجِب ، وسَدَابُ دَرْبِ الرّوَاسِين ؟

إلى متى العَادَمُ بالخُبْرِ والزَّيْتُون ؟ قد والله بِحِ الخَلْق ، وتَغَيَّرَ الخَلْق ؛
اللهُ اللهُ في أَمْرِي ؛ اجْبُرْنِي فَإِنِّي مَكْسُور ، اسْقِنِي فَإِنِّي صَدِيد ، أَغْنِنِي فَإِنِّي
مَلْهُوف ، شَهِّرْنِي فَإِنِّي غُفْل ، جَلِّئْنِي فَإِنِّي عَاطِل .

قد أَذَلَّنِي السَّفَرُ من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ ، وَخَذَلَنِي الوُقُوفُ على بَابٍ بَابٍ ،
وَنَكِرَنِي العَارِفُ بِي ، وَتَبَاعَدَ عَنِّي القَرِيبُ مِنِّي .

أَغْرَكَ مِسْكُونُهُ حِينَ قَالَ لَكَ : قد تَنَيْتُ أَبَا حَيَّان ، وقد أَخْرَجْتَهُ مع
صَاحِبِ البَرِيدِ إلى قَرْمِيسِينَ ؟ !

واللهُ ثُمَّ وَحْيَاتِكَ الَّتِي هِيَ حَيَاتِي ، مَا انْقَلَبْتُ مِنْ ذَلِكَ بِنَفْقَةٍ شَهْرٍ ، وَاللهُ
نَظَرَ لِي بِالْعُودِ ، فَإِنَّ الأَرَاجِيْفَ اتَّصَلَتْ ، والأَرْضَ اقْشَعَرَّتْ ، والنَّفُوسَ
أَسْتَوْحَشَتْ ، وَتَشَبَهَ كُلُّ نَفْلٍ بِأَسَدٍ ، وَفَتَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ لَعْدُوهُ حَبْلًا
مِنْ مَسَدٍ .

أَيُّهَا الكَرِيمُ ، ارْحَمْ ؛ وَاللهُ مَا يَكْفِينِي مَا يَصِلُ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ
هَذَا الرِّزْقِ الْمُقْتَرِ الَّذِي يَرْجِعُ بَعْدَ التَّجْتِيرِ وَالتَّيْسِيرِ إِلَى أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا مع هَذِهِ
لِلثَوْنَةِ الغَلِيظَةِ ، وَالسَّفَرِ الشَّاقِّ (١) ، والأَبْوَابِ الْحُجْبَةِ ، وَالوُجُوهِ الْمُقْطَعَةِ ،
وَالْأَيْدِي الْمُسَرَّةِ ، والنَّفُوسِ الضَّيِّقَةِ ، والأَخْلَاقِ الدَّيْنِيَّةِ .

أَيُّهَا السَّيِّدُ ، أَقْصِرْ تَأْمِيْلِي ، ارْزَعْ ذِمَامَ اللَّيْلِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَتَذَكَّرْ

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « والسمر
الشاري » ؛ وهو تحريف سواه ما أجبنا أخذا من سياق الكلام .

العهد في مُحَبَّتِي ، طَالِبِ نَفْسِكَ بِمَا يَقْطَعُ حُجَّتِي ، دَعْنِي مِنَ التَّمْلِيلِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَالتَّسْوِيفِ الَّذِي لَا آخَرَ مَعَهُ .

ذَكَرَ الْوَزِيرَ أَمْرِي ، وَكَرَّزَ عَلَى أُذُنِهِ ذِكْرِي ، وَأَمَّلَ عَلَيْهِ سُورَةَ مِنْ شُكْرِي ، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيَّ .

افْتَحَ عَلَيْهِ بَابًا يُفْرِي^(١) الرَّاغِبَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ لَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْمَرْغَبِ ، وَالْفَاعِلُ لِلتَّخْيِيرِ لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْبَاعِثِ عَلَيْهِ .

أَنْفَقَ جَاهَكَ فَإِنَّهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَرِيضٌ ، وَإِذَا جُدْتَ بِالْمَالِ فَجَدُّ أَيْضًا بِالْجَاهِ ، فَإِنَّهُمَا أَخَوَانِ .

سَرَّخَنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أَوْ^(٢) إِلَى أَبِي السُّؤْلِ الْكَرْدِيِّ^(٣) أَوْ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجِبَالِ ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي بِرِسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَعَالِي بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَإِلَى الْبَصْرَةِ ، فَإِنِّي أَبْلُغُ فِي تَحْمِيلِ مَا أَجَلُّ ، وَأَدَاءِ مَا أَوْدَى ؛ وَتَزْيِينِ مَا أَرْيَى ، حَدًّا^(٤) أَمْلِكُ بِهِ الْحَمْدَ ، وَأَعْرِفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ وَأُسْتَوْفِي فِيهِ عَلَى الْغَايَةِ . دَعَّ هَذَا ، وَدَعَّ لِي أَلْفَ دَرَاهِمَ ، فَإِنِّي أَتَّخِذُ رَأْسَ مَالٍ ، وَأُشَارِكُ بِقَالَ الْمَحَلَّةِ فِي دَرْبِ الْحَاجِبِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَا ، تَقَدَّمْ إِلَى كَسَجِ^(٥) الْبَقَالِ حَتَّى يَسْتَمِعَ بِي لِأَبِيَعِ الدَّقَاتَرِ . قُلْتَ : الْوَزِيرُ

(١) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « يَنْفَى » بِالنُّونِ ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ مَا أَمْنَيْنَا

(٢) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « لَوَالِي » ؛ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ دُونَ (ب) وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

(٤) فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ : « جَدَا » بِالْجِيمِ ؛ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ بِالْكَافِ وَالسِّينِ وَالْجِيمِ فِي (١) الَّتِي وَرَدَ فِيهَا وَحْدَهُمَا هَذَا الْكَلَامُ ؛ وَلَمْ تَقَفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ فِيهِ .

مُسْغُول . فما أَضْنَعُ به إذا فَرَغَ ، فالشاعرُ يقول :

« تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ »

قد والله نَسِيتُ صَدَرَ هذا البيت ، وما بال^(١) غَيْرِي يُنَوِّله وَيُسَوِّله مع شُغْلِهِ^(٢) وأحرَمَ أنا ١٩ أنا كما قال الشاعر :

وَبَرَقَ أَضَاءُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ
وَاللَّهِ إِنَّ الْوَزِيرَ مَعَ أَشْغَالِهِ الْمُتَّصِلَةِ ، وَأَتَقَالَهُ الْبَاهِظَةُ ، وَفِكْرِهِ الْمَفْضُوزُ^(٣)
وَرَأْيِهِ الْمَشْتَرَكُ ، لِكَرِيمٍ مَاجِدٍ ، وَمُفْضِلٍ مُحْسِنٍ ، يَرْعَى الْقَلِيلَ مِنَ الْحُرْمَةِ ،
وَيُعْطِي الْجَزِيلَ مِنَ النِّعْمَةِ ، وَيُحَافِظُ عَلَى الْيَسِيرِ مِنَ الذَّمِّ ، وَيَقْبَلُ مَذَاهِبَ
الْكَرَامِ ، وَيَقْلُدُّ بِأَشْيَاءِ إِذَا سَمِعَ ، وَيَتَمَرَّضُ لِلشُّكْرِ مِنْ كُلِّ مُتَجَبِّعٍ ،
وَيَزَرِّعُ الْخَيْرَ ، رِيحُ خُصْدِ الْأَجْرِ ، وَيَوَاطِبُ عَلَى كَسْبِ الْمَجْدِ ، وَيُنَابِرُ عَلَى
أَحْتِلَابِ الْخُذِ ، وَيَنْخَدِعُ لِلسَّائِلِ ، وَيَتَهَلَّلُ فِي وَجْهِ الْأَمِلِ ، وَلَا يَتَبَوَّأُ مِنَ
الْفَضَائِلِ إِلَّا فِي ذُرَاهَا ، رَحِيمٌ بِكُلِّ غَادٍ وَرَائِحٍ ، وَلِكُلِّ صَالِحٍ وَطَالِحٍ .

وَأَنَا الْجَارُ الْقَدِيمُ ، وَالْعَبْدُ الشَّاكِرُ ، وَالصَّاحِبُ الْمَخْبُورُ ، وَلَسْتُكَ مُقْبِلٌ
كَالْمُفْرِضِ ، وَمُقَدَّمٌ كَالْمُؤَخَّرِ^(٤) ، وَمُوقِدٌ كَالْمُخْمِدِ ، تُدْنِيْنِي إِلَى حَظِّي
بِشِمَاكَ ، وَتَجْدِبُنِي عَنْ نَيْلِهِ بِيَهِينِكَ ، وَتُقَدِّبُنِي بُوْعْدِهِ كَالْمَعْلَسِ ، وَتُمَسِّبُنِي

(١) وردت هذه العبارة في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام هكذا « وما نال

غيري سؤال وتحول مع شغله وآخر من أنا » ؛ وفيها تحريف ظاهر لا يستقيم به المعنى .

(٢) ينوِّله ويعوِّله ، أى ينوله الوزير ويعوِّله . مع شغله ، أى مع شغل الوزير .

(٣) المفضوز ، أى المنفرد غير المجتمع .

(٤) في (١) التي ورد فيها وحدها هذا الكلام : « ومؤخر كالقدم » ؛ وفي

كلتا الكلمتين تديم وتأخير من الناسخ ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

يَبِئْسَ كَالْحَنِظَلِ ، « وَمَنْ ^(١) كَانَ عَتَبَهُ عَلَى مِظَنَّةِ عَيْبِكَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَقْصِيرُهُ عَلَى نِيَّتِهِ ^(٢) بِنَصْرِكَ » .

نعم ؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَعَرَفْتُ الْبِرَاءَةَ فَهَلَّا نَفَعَتْ ؟ وَاللَّهِ مَا أَدْرَى مَا أَقُولُ ، إِنَّ شَكَرْتُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيحِ لَدَعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمِ ، وَإِنْ حِيدْتُكَ عَلَى أَوْلِكَ الْجَمِيلِ ، أَفْسَدْتُ لَأَخْرُكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ .

قَدْ أَطَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا شَفِيتُ ، وَنَهَيْتُ وَعَلَلْتُ ، وَلَكِنْ مَا رَوَيْتُ .
وَأَخِيرُ مَا أَقُولُ : اِفْعَلْ مَا تَرَى ، وَأَصْنَعْ مَا تَسْتَحْسِنُ ، وَأَبْلُغْ مَا تَهْوَى ، فَلَيْسَ وَاللَّهِ مِنْكَ بَدٌّ ، وَلَا عَنْكَ غِنَى .

وَالصَّبْرُ عَلَيْكَ أَهْرُنُ مِنَ الصَّبْرِ عَنْكَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مَقْرُونٌ بِالتَّيَّاسِ ، وَالصَّبْرَ عَلَيْكَ رُبَّمَا يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا الْوَسْوَاسِ ، وَالسَّلَامُ لِلْأَهْلِ السَّلَامِ .

صورة ما كتبه الناسخ في آخر النسخة المرموز إليها بحرف (ا)

تم الجزء الثالث من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بحول الله وحسن توفيقه ، في شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة ، على يد أضعف العباد شرف بن أميرة ، أصلح الله شأنه ، في مصر المحروسة ، حماها الله تعالى من الآفات والمآهات ، ومن عوادي الزمان . آمين يا رب العالمين .

تم الكتاب

(١) كذا ورد هذا الكلام في الأصل . وفيه تحريف ظاهر لم نهند إلى وجه الصواب فيه .

(٢) على نيته ، أى مع بطلانه . « ويكون » معنا تامة .

فهرست الاعلام

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

(١)

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ابن حجاج الشامي — ١٥٣ ح | الأمدي — ٢٧ |
| ابن حذقيار — ١٤٨ ح | إبراهيم بن الجنيد — ٤ |
| ابن حريار = أبو محمد | إبراهيم (الحنبل) — ٨٧، ٣ |
| ابن حسان القاضي — ١٥٤، ١٥٧ | الأبرش الكلبي — ١٧٣، ١٧٤ |
| ابن حفص (صاحب الديوان) — ٢١٣ | ابن أبي البغل — ٤٧ |
| ابن دوستويه — ٢١٣ | ابن أبي بكرة — ٥ |
| ابن الدقاق — ١٦١ | ابن أبي عمرة القزويني — ٧٦ ح |
| ابن دينار — ٤٧ | ابن الأثير — ٧٢ ح |
| ابن رباط الكوفي شيخ الكرخ و نائب | ابن أحمد — ٢٠٦ |
| الشيعه — ١٥٣، ١٩٧ | ابن الأخشاد — ١٩٦ |
| ابن الزبير — ١٨٢ | ابن آدم — ٢٨ |
| ابن زرة النصراني = أبو علي | ابن آدم التاجر — ١٥٣ |
| ابن زياد = حبيب الله | ابن أسادة — ٢٨ |
| ابن السراج — ٢١٦ | ابن الأعرابي — ١٤، ٢٦، ٣٠، ٤٨، |
| ابن سكرة — ٧٧ | ٨١، ٧٣، ٥٤ |
| ابن السكيت = يعقوب | ابن أيوب الطعان — ١٥٣ |
| ابن سلام — ٢٩ | ابن بدو — ٤١ |
| ابن السكك — ١٥٨ | ابن برمويه — ١٩٨ |
| ابن سمعون — ١٤٧ | ابن البقال — ١٩٠، ١٩٥، ٢١٣ |
| ابن سورين — ٢١٢، ٢١٣ | ابن التلاج — ١٩٦ |
| ابن سيارة القاضي = أبو بكر | ابن جبلة — ١٩٨ |
| ابن سيرين — ٣ | ابن الجصاص الصوفي — ٧٧ |
| ابن شاهويه = أبو بكر | ابن حبيب — ٢٧، ٣٥، ٤١ |
| ابن صيفي — ١٦٥ ح | |
| ابن ضيمون الصوفي — ٧٦ | |
| ابن الضحاك بن ليس القهري — ١٩٥ | |

أبو أحمد اللوسوى — ١٦١
 أبو أحمد بن الميثم — ٢١٣
 أبو الأرضة — ١٦٠
 أبو إسحاق الصائغ — ١٥٩، ٢١٣
 أبو الأسود الدؤلى — ٣٣، ١٧٦
 أبو أمية بن المغيرة — ٥٣
 أبو أيوب الأنصارى — ١٠
 أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى — ١٧٧
 أبو بكر بن شاهويه — ١٤٨، ١٤٩
 أبو بكر أحمد بن إبراهيم — ٧
 أبو بكر الرازى — ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨
 أبو بكر الزهرى — ٢١٧
 أبو بكر بن سيار القاضى — ١٥٤
 أبو بكر الصديق — ١٠، ١٠٣، ١٦٦، ١٩٩
 أبو بكر = عبدة بن الزبير
 أبو تمام الزينى — ١٠٠، ١٥٣، ٧١٣
 أبو تمام (الشاعر) — ١٨٥، ١٨٦
 أبو الجراح (ابن عياش) — ٥٢، ٥٥، ١٧٦
 أبو جعفر المنصور (الخليفة) — ١٥٩ ح، ١٨٠، ١٨١
 أبو الجوزاء — ٣١
 أبو حاتم — ٨١
 أبو الحارث حيد — ٣٩
 أبو الحارث = القيث بن سعد
 أبو حازم الدنى — ٦
 أبو حامد الروروذى القاضى — ١٠٠، ٢١٣، ١٨٨
 أبو حنيفة = جرير العامر
 أبو الحسن — ١٥٤
 أبو الحسن الضرير — ٩٤
 أبو الحسن الطوسى — ١٢، ١٣، ١٤
 أبو الحسن الناصرى — ٩٤

ابن طاهر — ٢٠٧
 ابن الطحان الضرير البصرى — ١٩٦
 ابن عليان التيمى = عبدة بن زياد بن عليان
 ابن حاصر — ٨٤
 ابن عباد (المصاحب) — ٧، ١٨٤
 ابن عباس — ٧٢، ٧٦
 ابن عبد المنصورى — ١٠٠
 ابن عبدة — ٥١
 ابن عبدة الكاتب — ٧٤
 ابن عطاه — ١٦٥ ح
 ابن علقمة — ٥٩ ح
 ابن عمر — ٥٩، ٥
 ابن عياش (المتوفى) — ١٧٢، ١٧٦
 ابن غسان البصرى — ٧٨
 ابن غسان القاضى — ١٥٣
 ابن فارس = أبو الفتح
 ابن قريمة — ٢١٣
 ابن قرارة المطار — ٧٥
 ابن القرية — ٤٨
 ابن كبرويه — ١٦٠
 ابن كيسان — ٦
 ابن المبارك — ٤
 ابن معروف القاضى — ١٠٠، ١٥٣، ١٨٨، ٢١٣، ٢١٧
 ابن مقله = أبو علي
 ابن مكرم — ٦٩، ١٥٣
 ابن نورية — ٧٣
 ابن هيرة = عمر
 ابن الميثم — ١٩٥
 ابن وصيف — ٢٠٦
 ابن يزيدى — ٢٢٢
 ابن يوسف = عبد العزيز
 أبو أحمد الجرجاني — ١٥٤

- أبو الحسن = علي بن عيسى الرمانى
أبو الحسن الميثم — ١٨
أبو الحسين البنى — ١٠٠
أبو حنيفة (الإمام) — ١٨٠
أبو حيان — ٢٢٧
أبو خالد أزيد — ١٦٦ ح
أبو خالد الكاتب = أحمد
أبو خالد مروان بن الحكم — (كفا)
١٨٠، ١٦٥
أبو الخطاب الصابى — ٢١٣
أبو خليفة الفضل بن الحباب — ٧
أبو الخندف — ١٨٣
أبو الخير — ١٠٦
أبو دلامة الأسدى — ٢٤
أبو الدود — ١٦٠
أبو الدياب — ١٦٠
أبو زكرياء الزاهد — ٩٢
أبو زيد (الكلوى) — ١٨٥، ٣٧
أبو زين = بكر بن نطاح
أبو سعيد الحضرى — ١٩٢
أبو سعيد الحضرى — ٥
أبو سعيد الخراز — ٩٧
أبو سعيد السمرقانى — ١٥٤، ١٢٩، ٨٣
٢١٣، ٢٠٤، ١٩٩، ١٧٨، ١٥٨
أبو سعيد بن العباس — ١٦٦
أبو السفر — ١٦٦
أبو سفيان (والد معاوية) — ١٧٨
أبو سليمان النعطقى — ٩٩، ٩٧، ٨٦
١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤
١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠
١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥
١٣٧، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧
١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣
١٩٧
- أبو السؤل الكردى — ٢٢٨
أبو شاعر بن هشام بن عبد الملك — ١٧٢
أبو صالح — ٧٦
أبو الصلت — ٦١
أبو طنبلة الحرمازى — ٨١
أبو الطمغان القينى — ٧٣
أبو العباس (سابع جيش آل سامان) — ٩١
أبو العباس البرد — ١٧٣، ٥٤، ١٨٦ ح
أبو عبد الله البصرى — ٢١٣
أبو عبد الله (هفام) — ١٢
أبو عبد الله اليزيدى — ٢٥
أبو عبد الله القرقى — ٢١٣
أبو عبيدة — ١٣، ٣٨، ٤٨
أبو عثمان الأدى — ١٩٦
أبو العلاء ساعد — ٢١٣
أبو علقمة — ١٨٥
أبو على — ١٢٩
أبو على الحسن بن على القاضى التنوخى —
١٤٨
أبو على = عيسى بن زرعة
أبو على = عامر بن الطليل
أبو على القالى (صاحب الأمالى) — ٣٦ ح
أبو على بن مقله — ٧٥
أبو عمر انشارى — ٧٦
أبو عمرو — ٣٣، ٥٩
أبو عمرو بن أمية — ٥٣
أبو عيسى الوراق — ١٩٧
أبو الصناء — ٦٩
أبو القتص بن فارس — ٢٠٥، ٢٠٦
أبو فراس (الفرزدق) — ١٦٨، ١٨٥
أبو فرعون القاشى — ٣٤، ٧٠
أبو فرعون المدوى — ٧
أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير =
العباس بن الحسين الوزير

أحمد بن إبراهيم = أبو بكر
 أحمد بن أبي خالد الكاتب — ٨٠
 أحمد بن روح الأهوازي — ٧٧
 أحمد الطويل — ٢١٣
 أحمد بن يوسف الكاتب — ٨٠
 الأحنف بن قيس — ١٧٣، ٥٩
 الأحوص الشاعر — ١٨٤
 الأختال الشاعر — ١٨٣
 أردشير — ٤٠
 أرسطوطاليس — ١٠٠
 استاينجاس — ٧٠ ح، ٧٤ ح، ٧٥ ح،
 ١٧٥ ح
 إسحاق (النبي) — ٧٨
 إسحاق الموصلي — ٧٩، ٨٠
 أسد بن عبد الغزي — ٥٣
 أسد المجاسي — ٩٧
 أسعد بن زرارة — ١٠
 الإسكندر — ٩٨
 أسماء بن خارجة — ٢
 أسماء بنت عميس — ٧٢،
 ١٨٢
 أسود الزيد — ١٦٠
 الأسود بن الطلب بن أسد بن عبد الزى
 ٥٣
 أسيد = أبو خالد
 الأصمى — ٦، ١٣، ١٦، ١٨ ح،
 ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٥٨، ٨١
 الأعشى — ١١، ٤٨، ١٧٤
 الأعمش — ٣
 أم أيوب — ٩
 أم البنين — ٦
 أم الجلال — ١٧٤
 أم الخثيف — ١٨٣
 أم سلمة — ٧٢ ح

أبو القاسم الحارثي — ١٨٨
 أبو القاسم أخو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو القاسم = عبد العزيز بن يوسف
 أبو خثافة — ١٦٦
 أبو القمقام — ٦٩
 أبو الكرشاء — ٣٤
 أبو كعب الأنصاري — ١٥٤، ١٥٦،
 ١٩٦
 أبو لهب — ١٨٠
 أبو محمد = المهاجر بن يوسف الثقفي
 أبو محمد بن حريز (كذا) — ١٤٨
 أبو محمد الشالوسي — ١٥٣
 أبو محمد العروسي — ١٨٦
 أبو محمد الفارسي — ٢١٣
 أبو محمد القاسمي — ٢١٧
 أبو محمد = مسعر بن مكرم
 أبو محمد الهلبي — ٢١٣
 أبو مزروق — ٢٦
 أبو يزيد — ٢٢٥
 أبو مطر = عبيدة بن زياد بن غلبان
 التيمي — ١٨٣
 أبو منصور الطعان — ٤٥
 أبو موسى الأشعري — ١٧٧
 أبو النجم — ٢٥، ٢٦ ح
 أبو النفيس — ١٣٨
 أبو النواج — ١٦٠
 أبو هريرة — ٤٦
 أبو حام — ١٩٨
 أبو الوفاء المهندس — ١٥٤، ١٥٩،
 ٢٠٧ ح، ٢٢٢، ٢٢٥
 أبو يزيد البسطامي — ٩٧
 أبو يوسف (حاجب عبد الملك بن مروان)
 — ١٦٨

التورى — ١٣ ، ٣٢

(ج)

- جابر (ابن عبد الله) — ٤٠ ، ٦٠
 جابر بن قبيصة — ٤٥
 الجاحظ — ٢ ، ٣ ، ٢٥ ح
 جالينوس — ١٢٩
 الجرجاني — ٢١٢
 الجرجاني — ٢١٧
 جرير (الشاعر) — ٨٩ ح ، ١٦٧ ح ،
 ١٨٣ ح ، ١٨٤ ، ١٨٦
 جبل — ١٥٤
 جعفران الموسوس — ٨٣
 جيز — ١٠٢
 جبل — ١٦٨
 الجنيدي بن عبد الرحمن — ١٧٩
 الجنيدي بن محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 جهنم — ١٩٦
 الجواليقي — ١٨٩

(ح)

- حاتم الأصم — ٣ ح ، ٤ ، ٨٥
 حاتم الطائي — ٤٢
 الحاتمي — ١٢٦ ، ١٢٧
 الحارث بن أسد المحاسبي — ٩٧
 حاطب بن أبي بلتعة — ١٧٩
 حامد القفاف الترمذي (كنيا) — ٣
 الحجاج (ابن يوسف الثقفي) — ٨٠ ،
 ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢
 الحجابي — ٧١
 حذيفة — ١٠٢
 حسان (ابن ثابت) — ٣٨ ، ١٦٥ ، ١٧٨

أم عباد — ٥١

أم هشام السلوية — ١٨

أمية أخو خالد — ١٧١

أمية بن عبد الله بن خالد — ١٧٠

الأندلسي (أبو العباس) — ١٨ ، ١٢٦

الأصماري بن كعب — ١٩٦

أيوب بن ظبيان — ١٦٧ ح

(ب)

- بثينة جبل — ١٦٨
 البحتري — ١٨٥ ، ١٨٦
 بختيار (عز الدولة) — ٧٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩
 بشار (ابن برد) — ٣١
 بكر بن عبد الله الزني — ٣
 بكر بن نطاح — ٥٠
 بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري —
 ١٧٧ ، ١٨٥
 بهرام — ٢١٠
 بهرام جور — ١٧٥
 بيان التبان بن سمان التميمي — ١٧٦ ح

(ت)

التوزي — ١٣ ح

(ث)

- ثابت (ابن عبد الله بن الزبير) — ١٦٤ ،
 ١٦٦
 الثعالبي — ١٦٧ ح
 ثعلب — ٥٢ ح
 ثعلبة (ابن حوشب) — ١٧١ ، ١٧٢ ح

الحليل — ٢١٧

خيثة — ٣

(د)

دفيف (كذا) — ٤٩ ، ٥٠

دوس — ٩

ديك الجن — ٣٤

(ذ)

ذو الرمة — ٦١ ح

ذؤيب بن عمرو — ١٥

(ر)

الربضي — ١٥٠

رجاء بن سلمة — ١٥

رستم (صاحب الأعاجيم) — ١٠٤ ، ١٠٢

رقية بن مصقلة — ٣٤

رويم — ٩٧

(ز)

زامل بن عمرو — ١٧٩ ، ١٨٠

الزبركان بن بدر — ١٦٣

الزبير — ١٧١

الزبير الأسدي — ١٠٤ ح

الزبيرى — ١٤ ، ١٥٣

زفر بن الحارث الكلبي — ١٧٠ ، ١٧١

الزحفري — ٧٢ ح

زمنة بن الأسود — ٥٣ ح

الزهري — ١٠٠ ، ١٥٣ ح

زهير (ابن أبي سلمى) — ٤١ ، ١٨٦

الزهيري — ١٩٦

الحسن — ٥

الحسن البصري — ٣٥ ، ٣٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ٢١٤

الحسن بن سهل — ٨٣

الحسن بن علي بن أبي طالب — ٢ ، ١٨٠

الحسن بن علي القاضي التنوخي = أبو علي

الحكم بن أبي العاص — ١٦٤

حامد بن أبي سليمان — ٥

حامد بن أبي حنيفة — ١٨٠

حامد الراوية — ٦٧

حاتمة الخطيب م — ١٨٠

حدان — ٧٧

هران — ١٨٤

هزة بن بيض الحنفي — ١٨٥

هزة للمنصف — ٨٣

هبة ابن عاد (كذا) — ٤٩

هيد — ٨٣

الخبيلوني (كذا) — ٢٨

حوشب — ١٩ ، ١٧٢

(خ)

خالد بن أسيد — ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١

خالد البرمكي — ١٥٣ ح

خالد الحصى — ٢٠١

خالد بن صفوان بن الأهم — ٦٠ ، ١٦٨

خالد بن عبد الله — ١٧٦ ح

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد — ١٧٠

خالد بن عبد الله (الفسري) — ١٧٧

خالد القرشي — ١٧٠

خالد بن الوليد — ١٦٥

خالد بن يزيد بن معاوية — ١٧٨

خداس بن زهير — ١٧٢ ح

الخطاب (والد عمر) — ١٠٣

خديجة (أم للؤميتين) — ١٨٧

زياد — ٤٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٢ ، ١٧٤

(س)

سابق الزبيرى — ٧٤
 ساسنكر التركى (كذا) — ٢١٥
 سالم — ١٥
 سالم بن حارة — ١٦٧
 السرى — ٢١٣
 سعد بن أبى واطس — ١٠٢ ، ١٠٣
 سعد بن عبادة — ١٠ ، ١٦٩
 سعد الماعلى — ٢٢٨
 سعيد بن سلة — ٨٤
 سعيد بن القاس — ١٧ ح ، ١٦٦
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان — ١٦٨ ، ١٦٩
 سعيد بن عثمان بن عفان — ١٦٤
 سعيد بن أبى عروة — ٨٠
 سعيد بن المديب — ٣١
 السفاح بن بكر — ٨٢
 سمويه القاس — ٢٧
 سفيان الثورى — ٣٧
 سفيان بن معاوية المهلبى — ١٨١
 سلمان (أى سليمان) — ٨
 سلمان الفارسى — ٨٣
 سلة — ٦٩
 سليمى — ٣٦
 سليمان بن ثوبة — ٧
 سليمان (ابن داود عليه السلام) — ٢٩ ، ١٠٣
 سليمان بن عبد الملك — ١٦٨ ، ١٧١ ، ٢٢٦
 سماعة بن أشول — ٥١

سلمان التميمى — ١٧٦ ح
 سنان بن أبى حارثة — ٨٢
 سنان بن مكل — ١٦٧ ح
 سنجر — ٢١٥ ح
 السيرافى = أبو سعيد

(ش)

الشالوسى = أبو محمد
 شرف بن ميرة — ٢٣٠
 شريك بن محمد — ١٦٧ ح
 الشعي — ٣٢ ، ١٨٣
 شقيق البخى — ٨٥
 شمر (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
 الشبوذى — ١٤

(ص)

الصابى = أبو إسحاق
 صمصمة — ١٧٨
 صفية (أم المؤمنين) — ١٨٢
 صهيب — ١٠

(ض)

الضحاك بن قيس الفهرى — ١٦٥ ، ١٧١

(ط)

طاهر بن محمد بن إبراهيم — ٢٠٦
 الطبرى — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
 طفيل (ابن عاد) (كذا) — ٤٩
 طفيل المرائس — ٥٦
 طلحة بن عبد الله — ١٧٩

طلحة بن عبيد الله — ٤٩

الطوسي — ١٣

(ع)

عادية بنت فرعة الزبيرية (كذا) — ٩

عاصم بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب

العاصري — ٦٩

عاصم بن عبد القيس — ٨٤ ، ١٨٤

عائشة (أم المؤمنين) — ١٨٢ ، ٦٩ ، ٧

١٩٩

عباد بن زياد — ١٦٨

عباس بن الحسين الوزير — ٢١٣ ، ٢١٥

العبداني — ١٨٠

عبد الأعلى القاسي — ١٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — ١٨١

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت — ١٦٥ ،

١٦٨ ، ١٦٩

عبد الرحمن بن حوشب — ١٦٣

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد — ١٦٥

عبد الرحمن بن سعيد القرشي — ٢٠١

عبد العزيز بن يسار — ١٨

عبد العزيز بن يوسف — ١٤٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ٢٢١

عبد الله بن الزبير — ١٠٤ ح ، ١٦٤ ،

١٨٢

عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي — ١٨١

عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس

٧٦ —

عبد الملك بن مروان — ٨٤ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٠١

عبيد الله بن زياد — ١٧٦

عبيد الله بن زياد بن ظبيان — ٤٨ ، ١٧٢

عبيد الله بن سليمان — ٨٩

عبيد الله بن عباس — ٤٢

عتمة بن أبي سفيان — ١٧٨

عثمان بن خالد — ١٩٥

عثمان بن رواح — ٤٠

عثمان بن عفان — ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،

١٨٣ ، ١٩٩

عدة الدولة — ١٥٦

مهرام بن شثير — ١٦٧

عروة بن الزبير — ١٨٢

الريان بن المهيم الهجيمي — ١٧٧

من الدولة = مختار — ١٥٤ ، ١٥٢ ، ٧٨ ،

١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٩

عضد الدولة — ١٤٨

هطاء بن أبي سفيان — ١٦٥

عقبة — ٥٣

عقيل (ابن أبي طالب) — ١٨٠ ، ١٨٤ ،

عقيل بن علفة — ٥٩

عكرمة بن ربيع الشيباني — ١٩

الطوي (صاحب الزنج) — ٤٣ ح

علي بن خالد الهجيمي — ١٧٣

علي بن أبي طالب — ٧٠ ح ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩

علي بن عبد الله — ١٧٨

علي بن عبد الله بن العباس — ٧٦

علي بن عيسى — ١٦

علي بن عيسى الرماني (أبو الحسن) — ١٣٠ ،

١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،

علي بن محمد (رسول سجنستان) — ١٩٨

علي بن محمد ذو الكفائتين — ٢١٧

عمار — ١٩

عمار (ابن عاد) (كذا) — ٤٩

الهماني الشاعر — ٥٦

عمر (ابن الخطاب) — ١٠ ، ١٣ ، ٤٥ ،

٥٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ١٠٢ ،

الفضل بن العباس — ٧٩

(ق)

قنادة — ٦٧

قتيبة (ابن مسلم) — ١٧٢، ٣٢

قرزعة بن إمام (كذا) — ٤٩

القومسي — ٢٢١، ٢١٦

قيس بن سعد بن عباد — ١٧٠، ١٦٩

قيصر — ٢٠٣

(ك)

الكروسي الشاعر — ٢٩

كسج البقال (كذا) — ٢٢٨

كسري — ١٧٥، ٢٠٣

الكلابي — ١٤

كلثوم بن المدم — ١٠

الكيت — ١١

الكندي — ١٣٣

كهس (كذا) — ٧

(ل)

ليد ابن ربيعة — ٦٩ ح

لقمان (الحكيم) — ٨٥

لقمان بن عاد — ٤٩

لقيط بن زرارة — ٧٢، ٦٠١

لوسترانج — ١٦٠ ح

الليث بن سعد — ٤

(م)

مالك بن دينار — ٣

مالك (ابن عاد) — ٤٩

١٧٨، ١٠٤، ١٠٣

عمر بن عبد العزيز — ١٨٣، ٦

عمر بن عمران — ٧

عمر بن حبيبة الفزاري — ١٦٧، ٣٩

١٧٦

عمرو بن الأحمم التميمي — ١٦٣

عمرو بن العاص — ١٨٢، ١٨١، ٤٥

١٨٣

عمرو بن عثمان اللحي — ٩٧

العوام — ١٥٧، ١٥٤، ١٥٣، ٢٨

هيسى بن زوزة — ١٢٧، ٦٦، ٦٣

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤

١٩٧

هيسى بن عمر — ١٦

هيسى بن مريم (عليه السلام) — ٣

١٧٩

(غ)

غسان بن ذهل — ٩ ح

الغلابي — ١٧٤

غيلان بن خرشة — ٦٧

غيلان الواعظ — ١٨٢

(ف)

الفتح الموصل — ٩٧

فخر الدولة — ٢١٩

الفراء — ١٣٠

فرج الرنجبي — ١٢

الفرزدق — ٣١، ٣٤، ٥٩، ١٦٨

١٨٦، ١٨٥

فريصة — ١٦٦

فضل (رئيس الفرقة التي تنسب إليه) — ١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير — ٤٦
 المطلب بن أسد بن عبد العزى — ٥٣
 مطهر بن أحمد الكاتب — ٧٥
 المطيع لله (أمير المؤمنين) — ١٥٥
 معاوية (ابن أبي سفيان) — ٤٥ ، ٦٠ ،
 ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
 ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢
 معاوية بن صبيعة — ١٦
 معاوية للمهلب — ١٨١
 المصمم الخليفة — ١٥٥
 المتضد (الخليفة) — ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥
 الملقب بن أيوب — ٢٠١
 معن بن أوس — ١٧
 معن بن زائدة — ١٨٠
 المنيرة بن شمعة — ٤٥
 المنجب — ٣٤
 المفضل الضبي — ١٨٣
 الموقس (ملك الإسكندرية) — ١٧٩
 المنصور (أبو جعفر الخليفة) — ٧٦ ، ١٠٥ ،
 ١٥٩ ، ١٨١
 منظور بن أنان — ١٧٨
 المهلب (ابن أبي صفرة) — ٨٥
 مهمل (ابن ربيعة الشاعر) — ١٧
 موريث — ١٣٠
 الموصل (أبو إسحاق) — ١٦١
 ميسرة الرأس — ٧٩
 ميمون بن مهران — ٣

(۵)

النابغة الشاعر -- ٧٣ ، ١٨٦
نصر بن سيار — ١٠١
ثقف (ان عادكذا) — ٤٩ ، ٥٠

ملك بن مسعم — ١٧٢، ١٧٣
 للأمامون (الخليفة) — ١٠٤، ١٠٥، ٢٠١
 للبرد = (أبو العباس)
 للثني الشاعر — ٦٦ ح
 مجاهد — ٤٢
 المحي — ٦٠ ح
 الحسن النسي — ٨١
 محمد بن إبراهيم — ٩١، ٢٠٦، ٢١٩
 محمد بن بشير — ٢٨
 محمد بن بقة — ٢١٦
 محمد بن خالد القرشي — ١٧٠
 محمد بن صالح بن شيان — ١٥٣
 محمد الصوفي البغدادي العالم — ٩٧
 محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) —
 ١٠٣، ١٥٥
 محمد بن عماره — ١٦٦
 محمد بن عمر (الشريف) — ١٠٠
 للمدائني — ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧،
 ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،
 ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
 ١٨٤
 مرئد (ابن حوشب) — ١٧١، ١٧٢ ح
 مرعوش (رئيس الطائفة المرويشية) — ١٨٨
 للرقش الأكبر — ٤٣
 مروان بن الحكم = أبو خالد
 مزبد — ٧١، ٧٨
 مسافر بن أبي مروان أمية — ٥٣
 مسعر بن مكرم — ٣٤
 مسكويه — ٢٢٧
 مسكين الفارسي — ١٧٧
 مسلم بن قتيبة — ٣٣، ٢٠٠، ٢٠١
 سلمة بن عبد الملك — ١٦٣، ٢٠١
 السبيح (عليه السلام) — ١٩٥
 مصعب بن الزبير — ١٨ ح، ١٧٠

وكيع بن الجراح — ١٧٨ ، ٧٦
الوليد — ١٧٢ ح
الوليد النبري — ١٦٧

(ى)

ياقوت ١٨ ح ، ١٦٠ ح
يحيى بن أكرم — ٧٦
يحيى بن الحكم (أخو مروان) — ١٨٠ ح
يحيى بن خالد البرمكي — ١٥٣ ح
يحيى بن زكريا — ١٧٩
يحيى بن مطا — ٨٥
يزيد بن ربيع — ٧٥
يزيد بن مسلم — ١٦٨
يزيد بن معاوية — ١٧٨
اليزيدي = أبو عبد الله
يظوب بن السكيت — ٢٤ ح ، ٣٠ ح ،
٣٩ ، ٨٤ ، ١٠١
يونس — ٤٠ ، ٧٤

(هـ)

حذية المنرى — ٢٠٣
هرمز — ١٠٣
هفام — ١٧
هفام بن عبد الملك — ١٧٢ ، ١٦٥ ، ١٥٠ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠١
هفام للتكلم ١٨٩
هفيم — ٣٠
هلال بن مكل الخنيزي — ١٦٧
الحلال — ٤٦
هيان بن صفاء — ٣١
الميثم بن جراد — ٥٨

(و)

واصل بن مطا — ١٥٨
الواقدي — ٩

تم فهرست الأعلام

فهرست أسماء الأماكن الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والملاؤنة لأبي حيان التوحيدي

يولاق — ١٧٠ ح
البيت (بيت الله الحرام) — ٢٠
اليضاء — ١٥٠
بين السورين — ١٦١

(ت)

تباة — ١٧٢
تسق — ٦٨
تكرت — ١٨ ح
تهامة — ٣٠

(ج)

الجامع — ١٤٧
جامع البصرة — ١٠٠
الجبال — ٦٨ ح
جبال فنام — ١٤٦
الجبيل — ١٥٥ ، ٢٢١
جرجان — ٧

(ح)

الحجاز — ١٠ ح ، ١٥٧
الحرم — ٣٠
حلوان — ٢٠٥ ح

(ا)

ابن فنام — ١٤٦ ح
أجباد — ١٦٥
أحد — ١٦٩
أفريجان — ١٥٥
الأراك — ١٧٢ ح
أرميل — ٤٥
الإسكندرية — ١٧٩
أسبهان — ٧٨ ، ٦٨ ، ٩١ ح
الأهواز — ٧٨ ، ٦٨
أوريا — ٤٩ ح ، ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح ،
١٧٤ ح

(ب)

باب الطاق — ١٨٨ ، ٨٨
باجيري — ١٨
البصرة — ١٥ ح ، ٣٤ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ،
٢٢٨ ، ١٨٨
البطائح — ٢٢٨
بلن مر — ١٧٢ ح
بنباد (دار السلام) — ١٥٣ ح ، ٦٩ ،
١٦١ ح ، ١٨٨ ، ١٩٧
البقيع — ١٣

الصبيحة — ٦٨ ح
الصين — ١٢٤

(ط)

الطائف — ١٨٢
طيس — ٩١ ح

(ع)

المراق — ٧ ح ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ،
٢٢١
القيق — ٧٠
عمان — ١٧٣

(غ)

النفا — ٣٩

(ف)

فارس — ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٤

(ق)

قاين — ٩١ ح
قبا — ١٠
قريسين — ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧
قزوين — ٤٥
قنطرة البطريق — ١٦٠ ح
قنطرة الزبد — ١٦٠

(ك)

السكرخ — ١٥٣ ، ١٦٠

(خ)

خراسان — ٩١ ح ، ١٠١ ، ١٥٧ ،
١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٠٠
خوزستان — ٧ ح ، ٦٨ ح

(د)

دار الكتب المصرية — ٢٤ ح
درب الحاجب — ٢٢٧ ، ٢٢٨
درب الرواسين — ٢٢٧
الدينور — ٢٠٥ ح

(ر)

رعي البطريق — ١٦٠
الرصافة — ١٥٣ ح ، ٢٠١ ، ٢٠٧
الري — ١

(س)

سجستان — ١٧١ ، ١٩٣ ، ١٩٨
سلي — ٢٠٣
سوق يحيى — ١٥٣

(ش)

الشام — ٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٢٨

(ص)

الصراة — ١٦٠
صفين — ١٨٣
صناء — ٢٠٨

مكتب الرضى — ١٥٠	الكعبة — ١٩٠
مكة — ٧٠، ٣٠، ٨٠، ١٠٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٥	الكوفة — ١٠٢، ١٠٣، ٧٩، ٥٩، ١٥٤، ١٥٣
مهرجان قلقي — ٦٨	(ل)
الموصل — ١٨٠، ١٧٩، ١٥٥، ١٥١	ليزيج — ١٧٢ ح
(ن)	(م)
النباج — ٥٤	المجمع العلمي العربي — ٢٦٦ ح
نجران — ١٤٦	المدينة — ١٣، ١٥، ٢٣، ٣٩، ١٦٤، ١٧١، ١٦٦، ١٦٥
نصيبين — ١٥١	مدينة السلام (بغداد) — ١٥١، ١٥٣، ٢٢٠
التقيع — ١٣	المرج — ١٧٢ ح
نهر الصراة — ١٦٠	صرح راعط — ١٧١ ح
نيسابور — ٩١، ١٨٠، ٢١٩	مسجد ابن رغبان — ١٦١
(هـ)	مفرحة الروايا — ٢٢١
همنان — ١٤٨، ٢٠٥، ٢١٩ ح	مصر — ١٥٧، ١٨١، ٢٣٠
(ي)	الطبعة العلمية — ٩ ح
اليمين — ١٥٧، ٢٠٨	

تم فهرست الأماكن

فهرست الكتب

الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي

ديوان حسّان — ٣٨ ح
ديوان الحماسة — ٢٨ ح
ديوان ذي الرمة — ٦١ ح
ديوان معن بن أوس — ١٧ ح

(ش)

شرح القاموس — ٥٣ ح
شعر أعشى همدان — ١٧٤ ح
شعر الأعشى — ٤٩ ح ، ١٧٤ ح

(ع)

المقدّم القريد — ١٠٢ ح ، ١٦٧ ح
١٧٠ ح
عيون الأخبار — ١٠٢ ح ، ١٧٦ ح

(ف)

الفرق بين الفرق — ١٧٦ ح

(ك)

الكامل لابن الأثير — ١٧٦ ح
الكامل للمبرّد — ١٧٣ ح

(١)

إصلاح للنطق لابن السكيت — ٢٤ ح ،
٣٠ ح ، ٣٢ ح
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني — ١٧٢ ح ،
١٧٧ ح
الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي —
٢٣٠

(ب)

البيان والبيان الجاحظ — ٢٩ ح

(ت)

التاجي لأبي إسحاق الصابئ — ١٥٩
تاريخ الطبري — ١٦٧ ح ، ١٧٢ ح
التصنيف — ١٨٥

(ح)

الحیوان الجاحظ — ٢٥ ، ٣٧ ح

(د)

ديوان جرير — ٩ ح

- ع -

مجموعة الماني - ٢٤، ٤٣، ٤٤،
 ح ١٠٤
 الخماسن والأشهاد الجاحظ - ٢٤
 محاضرات الأدباء الراغب - ٣٨
 الخصص لابن سيدة - ٣١، ٧١،
 ح ٨٤
 معجم البلدان لياقوت - ١٨، ١٦٠
 للمعجم القاموس الإنجليزى لأستانيجاس -
 ٧٠، ٧٤، ٧٥، ١٧٥

(ن)

التفائض - ٥٨
 النهاية لابن الأثير - ٧٢
 نهاية الأرب لتويرى - ١٦٧

(ي)

يئمة الدهر لشمالي - ٧٧

كتاب بغداد للأستاذ لوستراخ - ١٦٠
 كتاب التنبه على أخلاط أبي على القالى -
 ح ٣٦
 السكتاية والتعريض لشمالي - ١٦٧

(ل)

لسان العرب لابن منظور - ١١،
 ١٣، ٢٠، ٢٤، ٢٩،
 ٣٠، ٣٣، ٣٦، ٤٤،
 ٤٥، ٥٢، ٥٨، ٦٠،
 ٧٠، ٧٣

(م)

مايدول عليه في المضاف والمضاف إليه للمعنى
 - ١٣، ٦٠
 مجلة المجمع العلمي العربى - ٢٦
 مجمع الأمثال للبيداني - ٣٥، ٣٩،
 ١٧٠

تم فهرست

فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق
الواردة في الجزء الثالث من كتاب الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدى

(ت)	(ا)
الترك — ١٧٥، ١٢٩، ١٨	آل أبي طالب — ١٥٤
نميم — ١٧٣	آل أبي معيط — ١٧٦
	آل سامان — ٩٢، ٩١
(خ)	آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم — ١٥٥
الخروج — ١٧٨	الأماجم — ١٧٥
خوزان — ٧	الأنصار — ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤
(د)	(ب)
الدليم — ٢١٣	بأهله بن يستر — ١٧٢
	بجيلة — ٩٦
(ذ)	بكر بن وائل — ١٧٣
ذوو مليح (كفا) — ٢٢٢	بنو أسد بن خزعة — ١٧٩ ح ٢٤
	بنو بدر — ٤٥
	بنو بيم الله — ١٩
(ر)	بنو الجلاح — ١٦
الروم — ٧٢ ح ١٢٩، ١٥١، ١٥٢	بنو دبير — ٥٠
	بنو عبادة — ١٤
	بنو العباس — ٢١٣، ١٠٥
(ز)	بنو غاضرة — ٥١
الزنج — ٤٣ ح	بنو النجار — ١٦٥
	بنو نصر — ٢٠٣
	بنو نعيم — ١٦٨، ١٦٧

١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢

١٨٢
قيس — ١٧١

(ك)

السكر — ١٢٩
كعب — ١٦٧، ١٦٨
كلاب — ١٢٧، ١٦٨
كلب — ١٧٣
كليب — ٩ ح
كليب بن وائل — ٣٤

(م)

مباشع — ٥٨
مزينة — ١٧٨
المسلون — ١٥١، ١٨٥، ١٨٩

(ن)

النبط — ٧
النصارى — ١٩٢
نمير = بنو نمير

(هـ)

همدان — ١٧٤

(ي)

اليهود — ١٧٩
يونان — ١٠٠

(س)

سخينة (لقب للريش) — ١٧٢

(ش)

شبيان — ٤٧

(ص)

الصوفية — ٩١، ٩٢، ٩٧، ١٤٧

(ع)

عاد — ٤٩، ١٠٣
العجم — ١٧٦، ١٩٠
مدنان — ٨
العرب — ١٣، ١٤، ١٧ ح، ١٨ ح،
٢٩، ٣٩، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٦٠،
٦٧، ٦٩، ٨٥، ٩٠، ٩٨،
١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٩،
١٣٥، ١٦٧ ح، ١٧٦

(ف)

فزارة — ٢٤

(ق)

القحاطنة — ٨، ١٧٥
قريش — ٥٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩،

تم فهرست أسماء القبائل والأمم والفرق

ملاحظات للدكتور مصطفى جواد

الأستاذ بمدرسة المعلمين العليا بغداد

على بعض ألفاظ وردت في الجزء الأول والثاني من كتاب الإمتاع وللؤاسة نلصقها فها على مع جزل الفكر لكانها الفاضل على حسن نيته وجميل تقديره لما بذلناه في تصحيح هذا الكتاب من جهد .

الجزء الأول

- ١ - ورد في الصفحة « م » من المقدمة في السطر « لأني على الحسن التتوخي » والصواب « المحسن » .
- ٢ - س ٦ س « فوارضها » . الصحيح « عوارضها » .
- ٣ - س ١٣ س ٨ « ويكون سبيلاً قوياً على حسن الحال وطلب العيش » . الصواب « قوياً إلى حسن الحال وطلب العيش » .
- ٤ - س ١٦ س ٦ « الدهر الحال من الديانين » . الديان حواقة والأولى « الريانين » و « الديانين » وهم المنسوبون إلى الديانة . وهذه الكلمة من كلمات القرن الرابع للهجرة تجدونها في أول صفحة من مروج الذهب للمسعودي .
- ٥ - س ٢١ س ١ « ولا عناية ولا انمياش » والصواب « عناية » بالهاء ، قال الزعفراني في أساس البلاغة « ومن المجاز : حاوتني فلان عن كذا إذا خادعك عنه وراوغك ، وظل فلان يحاوتني بخدعه ومنه يداورني فعل الحوت في الماء » .
- ٦ - وفي س ٣٤ س ٩ « ولم يتفوح برده الفلسفة » وفي الأصل « لم يتفرخ » والصواب « يتفرج » .
- ٧ - وفي س ٤٠ س ٣ « والأمر الربوي » بضم الراء . والذي لأمله يفتح الراء .
- ٨ - س ٤٤ س ٦ « تأجيل المهنا » . والذي أراه لمراعاة الأصل « تعجيل اللعنا » أي للمبادرة بإظهار الكراهية والبغضة .
- ٩ - س ٤٥ س ٨ « كيف استكني هذه الجماعة حوله » وفي الأصل « استكنيت » . فالصواب « استكنت هذه الجماعة حوله » . وفي أساس البلاغة : « واستكن الناس حواليه : أحذقوا به » .
- ١٠ - س ٥٠ س ٧ « وبقرني » . والأولى « وبقرني » أي أتاح لي اليسر .
- ١١ - وجاء في س ٥١ س ٧ ذكر « التاسومة » ولم تجدوها في كتاب لغة . والصحيح أنها

- وردت في غير مادتها فقد ذكرها المروى مؤلف التريين في مادة
« نعل » من غريب الحديث ، وتلقاها عنه للبارك بن الأثير في « النهاية »
ونقل عن أحدهما القيوي في « نعل » من الصباح المنير .
- ١٢ — من ٦٢ س ١١ « والتشيع الظاهر والدعوى الماربة » الخ . ولا عمل للتشيع أبداً
والصواب « التشيع » وهو تكلف الشيع ومنه الحديث النبوي
العزيز « للتشيع بما ليس فيه كلابس ثوبي زور » .
- ١٣ — من ٦٨ س ١٢ « بدافع ما يعلمه » والصواب « بدفع ما يعلمه » أي بالنسكاره ،
وما بعده حكاية وردت فيها الأعلام مصحفة وكانت جرت في عهد
بني أمية فصيرها التصحيح مما جرى في عهد بني العباس . وفي الحكاية
ذكر أمير المؤمنين المهدي . فالظاهر أن لفظ « المهدي » تصحيف
اسم أمير من أمراء بني أمية كالمهلي وغيره ، وأما « كرز »
الوارد في السطر ٧ فصوابه « كردين » وهو من رجال الدولة
الأموية كما في ميون الأخبار « ج ١ س ١٧١ » وأما « دوست »
الوارد في السطر ٩ فصوابه « درست » بالراء وهو من رجال
العهد الأموي أيضاً كما في البيان والتبيين « ج ٢ س ١٢٧ » .
- ١٥ — من ٧٢ س ١٦ « وهم يحاضون به » والصواب « يتعاضون » .
- ١٦ — وفي ٧٩ س ٢ « ويتاورون » . والصواب « يتفاوون » أي يغير بعضهم
على بعض .
- ١٧ — من ٨٧ س ١٠ « وقع بالسير ورعى العيش » . والصواب « بالسير من رعى
العيش » .
- ١٨ — من ١٠٣ س ١١ « كان يخط في هواه » وفي الماشية أنه « يخط » وأنه تصحيف
استوجب التصحيح . قلت : وهذا غير صحيح ، فالأصل هو
الفصيح ، قال الزمخشرى في أساس البلاغة « وخط في هواه وانخط
فيه ، ويقال : أكل من حلوائهم فانخط في أهوائهم » .
- ١٩ — من ١٠٩ س ٢ « المصاع من صاع الشعاع أقرانه إذا حمل عليهم ففرق جمعهم »
والصواب « ماصع يماصع » أي ضرب بالسيف خاصة .
- ٢٠ — من ١١٩ س ١٢ « أن يبرر لهم ما صبح له بالاعتبار » . والصواب « أن يبرز
لهم ما صبح » .
- ٢١ — من ١٣٩ س ٧ « ويثم فيهم » والصواب « يشتم » من القم .
- ٢٢ — من ١٤١ س ١٣ « إلا أنه يأتي لابن عباد في سمته » . والصواب « تأتي » أي
ترقى وتلطف .
- ٢٣ — من ١٤٢ س ١٤ « أو أطلع عن كبيرة رغبة » . والصواب « رجة » .
- ٢٤ — من ١٤٤ س ١٣ « وسمن بمروا » والصحيح « سمن الير » وهو مذكور في
حياة الحيوان .

— ش —

- ٢٥ — س ١٥٨ س ٧ « كل شيء يطلبه ويتوفاه » : الصواب « ويتوفاه » .
 ٢٦ — س ١٦٢ س ٩ « العقاب يجلس » والصواب « تجلس » .
 ٢٧ — س ١٦٨ س ٥ « إلى أن يترحل النهار » ترحل النهار يدل على عكس المراد بالمسكاية . والصواب « يترجل » أى يعلو ويرتفع .
 ٢٨ — س ١٧٠ س ٤ « ويستغنى في البحر » ، والصواب « في الشجر » .
 ٢٩ — س ١٧٥ س ١١ « ثم انطلق في لبن » . الصواب « أقمه » ومصدره الإقعاع أى ربطه ورببه بالبن .
 ٣٠ — س ١٧٦ س ٣ « حوت يقال له : موفى » . الصواب « موفى » منسوب إلى اللوت ، لأنه يتأوت ويتهاكك .
 ٣١ — س ١٨٠ س ٤ « حابة يقال لها بالفارسية دوباست » . والصواب « بادستر » وهو « الجند بادستر » .
 ٣٢ — س ١٨٢ س ٨ « الجرذان » . والصواب « الفردان » جمع الفرد .
 ٣٣ — س ١٩٠ س ٦ « لسرعة إحناء أجنحته » والصواب « إعياء أجنحته » .
 ٣٤ — س ١٩٧ س ١ « بما هاج الحبيب حبيب » صوابه « كما هاج الحبيب حبيب » .
 ٣٥ — س ٢٠٠ س ١٤ « تحركه وتمحسه » . الصواب « تمثته » .
 ٣٦ — س ٢٢١ س ١٢ « من لقيه الخروى إلى أى شيء ينسب » . والصواب اللازم صهبة الخروى إلى أى شيء تنسب .

الجزء الثانى

- ٣٧ — س ٥ س ١٠ « ولقنوها للناس » . والصواب « لقنوها الناس » فالفعل متعد إلى المفعولين بنفسه .
 ٣٨ — س ١١ س ٥ « لكن الحريرى غلام ابن طرارة هيجبه يوماً في الوراقين » . الصواب « الحريرى » نسبة إلى مذهب محمد بن جرير الطبرى المشهور والصواب ابن طرارة (بتخفيف الراء) لا تفديدها .
 ٣٩ — س ١٣ س ١٣ « ومزقتم بين مجتمعين » . والصواب « وفرقتم بين مجتمعين » .
 ٤٠ — س ٢١ س ٦ « وإن هذا التعت من قول ... » . الصواب « وأين » .
 ٤١ — س ٢١ س ١٨ « الأفسى تأخذ السم من الأصلية » . صوابه « من الأصلية » ومن نوع من الحيات .
 ٤٢ — س ٥١ س ٥ « طالحات بالسلام » . صوابه « طالحات بالسلام » .
 ٤٣ — س ٥٩ س ١٤ « الصراة » . الصراة « بأنه نهر بالعراق ، وكان الأولى أن يقال « نهر كان ينفذاد » .

- ٤٤ — س ٦٠ س ١ « ويا قصرأ بلا مستاه » . الصواب « السنة » ومى البنية التي
تبني بين القصور وماء النهر لتحتفظها من الماء .
- ٤٥ وجاء في س ٧٩ س ١ « وقلت لابن الجلاء الزاهد بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ... »
والذي في تاريخ بغداد « ج ٥ ص ٢١٣ » الخطيب البغدادي وأنساب
السماعى بمادة « الجلاء » أن ابن الجلاء توفي سنة « ٣٠٦ هـ » .
- ٤٦ — س ٩٣ س ١٢ « من صبر باب » . والمحفوظ في الحديث « صبر » .
- ٤٧ — س ١٣٦ س ٩ « ظاهر النفع في ممابة الروح » . والصواب « ممابة الروح » .
- ٤٨ — س ١٤٣ س ١٠ « ومقاساة الحُرقة » . والصحيح « الحُرقة » أى الفقر والموز .
- ٤٩ — س ١٥٦ س ٥ « فلما أجمنا على العجن والملك لم نجد الحراق » ، والصواب
« الل » وهو الاختياز على « الللة » أى الجمر المختلط بالرماد .
- ٥٠ — س ١٥٧ س ٥ « الانخزال » . والصواب « الانخزال » .
- ٥١ — س ١٦٢ س ٧ « والزيادة والرفع » . والصواب « الزيع » .
- ٥٢ — س ١٦٧ س ٦ « [القاطن] في دار القطن عند جامع المدينة » صوابه القاطن في
دار القطن كما هو في الأصل .
- ٥٣ — س ١٧٠ س ٥ « تسحب الحاطر » . الصواب عندي « تسحب الحاطر » .
- ٥٤ — س ١٧١ س ١٣ « ولا طرب ابن صُبر القاضى » . قلت : الصواب « ابن صُبر »
بضم الصاد وفتح الباء .
- ٥٥ — س ١٧٤ س ٩٠ « وقد علق عنازا فهناهم كما كنتا » . والصواب « هم » بفتح
الماء وهو موضع النكتة التي جاء الخبر من أجلها فإنه استعمل
« م » العامية العراقية بمعنى « أيضاً » ولا يزال العراقيون
يستعملونها ، والكرد أيضاً ، قال الحريري في درة القواس
« ويقولون للمخاطب م فلت وم خرجت » فيزيدون هم في
افتتاح الكلام وهو من أشنع الأغلاط ، ومن الأخفش أنه قال
لثلامذته : جنيوني أن تهولوا هم : وأن تهولوا بس وأن تهولوا
ليس لفلان بخت » . وقلنا قال أبوحيان : « وأصحابنا يستعملون
قوله هم ها هنا » . ولا استلج مع « هم » .
- ٥٦ — س ١٧٦ أيضا س ١٢ « إذا أخذت في هزارها » . وفي الحاشية اعتذار من الصوفى .
قلت : الهزار ها هنا من الفارسية بمعنى « الأنشودة » .
- ٥٧ — س ١٨٠ س ٣ « والبوارد والجوزيات » . قلت : أما البوارد فقد ذكرها محمد بن
الحسن بن الكرم البغدادي في كتابه « الطليخ » س ٥٦
فقال « الباب الخامس في الطينيات والبوارد ... » وشرحها بلا داع
طالع الكتاب فقال « من يقول للطلوخة للوضوعة في الأهياء

— ث —

الحامضة كالخل وماء الحصرم وماء التفاح (كذا) . . . ، وأما
« الجوزيات » فالظاهر أنها تمجيد « جوفابات » جمع « جوفابة »
وهي معروفة بين ألوان الأطعمة والخلوى .

٥٨ — من ١٨٩ س ١٢ « ما يُكسبك الفكر » والصواب « يكسبك » بفتح الياء لأنه
متعد إلى مفعوليه بنفسه .

٥٩ — من ١٩٥ س ١١ « مستغر بذنبه » . والصواب « مستغر » من الاستغفار
وهو معروف .

٦٠ — من ٢٠٢ س ١١ « ولقدیم قدم » . وعندی أن الأصل « ولقدیم عدم » .
والله يوفقنا وإياكم للصواب .

مصطفى مراد

ملاحظات للأستاذ كراوس

على الأجزاء الثلاثة من كتاب الإمتاع واللؤاسة لأبي حيان التوحيدي

الجزء الأول

- س ٣٨ : ٤ : بُكَّش ، والصواب : بَكَّش (Bakksus) .
 ٥٨ : ١٠ : ابن ثوبخت — ابن ثوبخت .
 « تطبيق ٢ : كان علي بن ربن الطبري نصرانياً لا يهودياً أسلم .
 ٧٩ : ٩ : يقفور ، صحه كرد علي قففور ، والصحيح : يقفور .
 ١٦٤ : ٣ : أدبوس ، والصواب : أدبوس (Odysseus) .
 « ٧ : للتصب ، والصواب للصمت كما في الديمري .
 ١٩٨ : ١٤ : ٢٠٢ : ٢ : بحس من الإحساس ، والصواب : الأحساس جمع حس .

الجزء الثاني

- ن ٧٧ : ٦ : وهذا أخشى ، والصواب : إسحاق ، والإسحاقية فرقة من غلاة الشيعة
 قرية للنصب من التصيرية ، ذكرها العمريستانى والمزجاني في التبرعات
 وغيرها ومؤسسها أبو يقوب إسحاق بن محمد بن أبان النخعي الكوفي
 للتوفى سنة ٢٨٦ هـ .
 « : « : قطي . والأصح : القطي .
 « ٧٨ : تطبيق ١ : ليست الراوندية من أنباي ابن الراوندي للحد بل من فرقة من أنباي
 عبد الله الراوندي ، قالت بالوهبة الخليفة منصور من آل بني عباس ، راجع
 مقالات الأعمري ص ٢١ وابن حزم ج ٤ ص ١٨٧ وابن الأثيري وفتح
 سنة ١٤١ وما إليها من المصادر .
 « ٨٤ : ١٥ : ٨٥ : ٢ : استثبتها ، وفي الأصل « أسباب إثباتها » أو « إثبات
 إثباتها » — أما الصواب بلا شك أنه « إثبات أَرْتِثَاتِها » .
 س ٨٤ : ١٦ : إلى تحقيق إثباتها ، وفي الأصول : ما ينالها أو مسابها — والصواب :
 إلى تحقيق ما ثبتها ، وللتأنيدها تهابل الإنية .
 ٨٧ : ٢ : العبارة « بمنزلة » صحيحة وهي ترد مكثراً في كثير من الكتب المترجمة من
 اليونانية ومنها « مثل » .
 ٨٧ : ٥ : والمُرتَّبان ، والصواب : والمُرتَّبان أعني المرتبة السوداء والمرّة الصفراء .
 ٨٧ : ٦ : الأربع ، والأصح : الأربعة .

- ٩١ : ٢ : بالاستمرار : والصواب الاستمرار .
 » : ١٠ : ورضوا بالزهد ، وأظن الصواب : ووصوا كما في س ١٢ .
 ١٠٥ : ١٧ : لعل الصواب : أحذر [من القذب (أو القراب) وألمس] من العقبى . راجع
 الأمثال للبيداني .
 ١٠٧ : السطر الأخير : الطلق ، والصواب الطلق .
 ١٠٨ : ٥ : يرشح ؟ لعله يرشح ؟
 ١٠٨ : ٧ : اللثك ، والصواب اللثك .
 ١١٣ : ٥ : بالحد والاسم ، أليس الصواب : بالحد والرسم .
 » : ١٠ : و ١١ : ماله فيه (منه) ، والصواب عندي مائيته أو مائيته .
 ١٥٣ الخ : ليس اسم الشاعر اليوناني كندس بل هو لمبيكس (Ibykos) كما في
 الأصول وقصته مع الكراكي معروفة متداولة عند كتاب اليونان ، وقد
 اختارها Sohieecx موضوعاً لفصيدة له — أما اسم الملك فلا شك أنه
 محرف ، وكان المنتظر أن يكون Polykrakes الذي عاش لمبيكس الشاعر
 في أيامه . ويلاحظ أن اسم لمبيكس مصحح في فهرس الأعلام لهذا الجزء .
 فراجع .
 ١٥٧ الخ : يلهم صديق M. Stern على أن هذه القصة (قصة المحبوس واليهودي)
 وردت في رسائل إخوان الصفاء في الرسالة التاسعة من الجزء الأول منها
 (ص ٤٦ من القسم الثاني من الجزء الأول من طبعة بجاي) .
 ١٥٧ : ١٥ : سفرة ، وفي الأصول : في سفره ، والصواب : كما في رسائل إخوان
 الصفاء : بنلة له عليها [كل ما يحتاج إليه للسافر] في سفره .

الجزء الثالث

- ١٠٨ : ١٦ : النفس عددٌ محركٌ بناته ، كذا في كلتا النسختين وهو صحيح لا يحتاج إلى
 تصحيح «عدد» بقرض — وهو حد مدرسة فوثاغورس للنفس ،
 راجع الترجمة العربية للآراء الطبيعية لفلوطرخوس التي نقرتها في ملحق
 بحثي عن جابر بن حيان (ص ٣٢٢ من الجزء الثاني) : «وأما فوثاغورس
 فيرى أن النفس عددٌ محركٌ ذاته ويعني بقوله العدد الطل — ولعل
 الأسح أن يقرأ في «الإمتاع» محرك ذاته أو متحرك بناته .
 ١٣٠ السطر الأخير : موريس ؟ لعله أمورس ؟
 ١٤٢ : ٢ ، ١٥ : وكذلك ١٤٤ : ١٣ : الإحساس ، والصواب : الأحساس ، جمع
 الحس .
 ١٥٣ : ٧ : أظن أن قراءة نسخة ب (باب الشيعة) صحيحة ، فإن الشيعة تسمى وثمها
 الذي يل في الترتيب الإمام القائب باباً .